

الكَشْفُ وَالْبَيِّنَاتُ

فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

المعروف بـ

تَفْسِيرِ التَّعْلِي

للإمام العالم العلامة أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم التعلبي

المتوفى ٤٢٧ هـ

تحقيقه

الشيخ سيد كشروي حسن

المجلد الرابع

المحتوى:

منه أول سورة الإسراء - إلى آخر سورة القصص

مكتوبات

محمد رحيمي بينون

دار الكتب العالمية

بيروت - لبنان

منشورات تحت رعايتنا بيروت



دار الكتب العلمية

جميع الحقوق محفوظة

Copyright

All rights reserved ©  
Tous droits réservés ©

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة  
لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان.  
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو  
مجزأً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر  
أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً

Exclusive rights by ©

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be translated,  
reproduced, distributed in any form or by any means,  
or stored in a data base or retrieval system, without the  
prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à ©

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beyrouth - Liban

Toute représentation, édition, traduction ou reproduction  
même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite  
sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite  
et exposerait le contrevenant à des poursuites  
judiciaires.

الطبعة الأولى

٢٠٠٤ م - ١٤٢٥ هـ

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

رمل الظرفي - شارع البحري - بناية ملكات

الإدارة العامة: عزمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية

هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (+٩٦١ ٥)

صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Beirut - Lebanon

Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor

Head office

Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.

Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13

P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Beyrouth - Liban

Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage

Administration général

Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13

B.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-4410-3



9 782745 144102

<http://www.al-ilmiyah.com/>

e-mail: [sales@al-ilmiyah.com](mailto:sales@al-ilmiyah.com)

[info@al-ilmiyah.com](mailto:info@al-ilmiyah.com)

[baydoun@al-ilmiyah.com](mailto:baydoun@al-ilmiyah.com)

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### سُورَةُ الْإِسْرَاءِ

(بنی اسرائیل)

مكية . وهى ستة آلاف وأربعمائة وستون حرفاً ،

وألف وخمسمائة وثلاث وثلاثون كلمة ، ومائة وإحدى عشرة آية

روى زيد بن أسلم عن أبى أمامة عن أبى بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ سورة بنى إسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين أعطى فى الجنة قنطارين من الأجر والقنطار ألف أوقية ومائتا أوقية والأوقية منها خير من الدنيا (وما فيها) » .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ مِّنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ آلَا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلاً ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلَتْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾» .

«سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا» عن طلحة بن عبيد الله قال : سألت رسول الله ﷺ عن تفسير سبحان الله . قال : «تنزيه الله عن كل سوء» ويكون سبحان بمعنى التعجب . قال الأعشى :

أقول لما جاءنى فخر سبحان من علقمة الفاخر

وفى بعض الحديث تفسير سبحان الله : براءة الله من سوء .

فالآية متضمنة للمعنيين جميعاً .

«مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» . اختلفوا فيه : قال بعضهم : كان إسراء رسول الله ﷺ من مسجد مكة .

يدل عليه ما روى قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة أن النبى ﷺ قال : «بينما أنا فى

المسجد الحرام فى الحجر عند البيت بين النائم واليقظان إذ أتانى جبرائيل بالبراق . . » وذكر

حديث المعراج .

وقال الآخرون : عرج برسول الله ﷺ من دار أم هانئ بنت أبي طالب أخت علي (رضي الله عنه) وزوجها هيرة بن أبي وهب المخزومي .

وقالوا : معنى قوله «مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» من الحرام ، لأن الحرم كله مسجد .

يدل عليه ما روى الكلبي عن أبي صالح عن باذان عن أم هانئ بنت أبي طالب أنها كانت تقول : ما أسرى رسول الله ﷺ إلا وهو في بيتي نائم عندي تلك الليلة فصلى في بيتي العشاء الآخرة فصليت معه ، ثم قمت فتمت وتركته في مصلاه فلم انتبه حتى أنبهني لصلاة الغداة ، قال : «قومي يا أم هانئ أحدثك العجب» .

فقلت : كل حديثك العجب بأبي أنت وأمي فقام وصلى الغداة فصليت معه فلما انصرف قال : «يا أم هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بعد نومك ثم أتاني جبرائيل وأنا في مصلاي هذا فقال : يا محمد اخرج فخرجت إلى الباب فإذا بملك راكب على دابة فقال لي : اركب فركبت فسارت بي إلى بيت المقدس ، فإذا أتيت على واد طالت يدا الدابة وقصرت رجلاها ، فإذا أتيت على عقبة طالت رجلاها وقصرت يداها حتى إذا انتهيت إلى بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت صلاة الغداة معكم الآن كما ترونى» .

قال مقاتل : كانت ليلة الإسراء قبل الهجرة بسنة .

«إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا» يعنى بيت المقدس ، سمى أقصى لأنه أبعد المساجد التي تزار «الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ» بالماء والأنهار والأشجار والثمار .  
وقال مجاهد : سماه مباركا لأنه مقرّ الأنبياء ، وفيه مهبط الملائكة والوحى ، وهو الصخرة ، ومنه يحشر الناس يوم القيامة .

«لَثَرِيهِ وَمِنْ آيَاتِنَا» عجائب أمرنا «إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» .

وأما حديث المسرى ، فاقصرت به على الأخبار الماثورة المشهورة دون المناكير والأحاديث الواهية الأسانيد وجمعتها على نسق واحد مختصر ، ليكون أعلى في الاستماع وأدنى إلى الانتفاع ، وهو ما روى الزهري عن ابن سلمة بن عبد الرحمن قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : قال رسول الله ﷺ .

وروى السدي عن محمد بن السائب عن باذان عن ابن عباس عن النبي ﷺ : دخل كلام بعضهم في بعض قالوا : قال رسول الله ﷺ : «لما كانت ليلة أسرى بي وأنا بمكة بين النائم واليقظان ، جاءني جبرائيل (عليه السلام) فقال يا محمد قم فقامت فإذا جبرائيل ومعه ميكائيل

فقال جبرائيل لميكائيل: اتنى بطست من ماء زمزم لكيما أعطر قلبه وأشرح له صدره قال: فشق بطنى فغسله ثلاث مرات واختلف إليه ميكائيل بثلاث طشات من ماء زمزم، فشرح صدرى ونزع ما كان فيه من غل وملاء حلماً وعلماً وإيماناً وختم بين كتفى بخاتم النبوة، ثم أخذ جبرائيل بيدي حتى انتهى بى إلى سقاية زمزم فقال الملك: اتنى بتور من ماء زمزم ومن ماء الكوثر، فقال: توضاً فتوضأت ثم قال لى: انطلق يا محمد. قلت: إلى أين؟ قال: إلى ربك ورب كل شىء، فأخذ بيدي وأخرجنى من المسجد فإذا أنا بالبراق دابة فوق الحمار ودون البغل - خده كخد الإنسان وذنبه كذنب البعير وعرفه كعرف الفرس وقوائمه كقوائم الإبل وأظلافه كأظلاف البقر وصدره كأنه ياقوتة حمراء وظهره كأنه درة بيضاء عليه رحل من رحائل الجنة، وله جناحان فى فخذه يرم مثل البرق خطوه منتهى طرفه فقال لى: اركب، وهى دابة إبراهيم التى كان يزور عليها البيت الحرام.

قال: فلما وضعت يدي عليه شمس واستعصى على، فقال جبرائيل: مه يا براق، فقال البراق: يا جبرائيل مس ظهري، فقال جبرائيل: هل مسست ظهراً.

قال: لا والله إلا أنى مررت يوماً على (نصاب إبل) فمسحت يدي على رءوسهما وقلت: إن قوماً يعبدونكما من دون الله ضلال. فقال جبرائيل: يا براق أما تستحى فوالله ما ركبك مذ كنت قط نبي أكرم على الله من محمد ﷺ قال: فارتعش البراق وانصب عرفاً حياءً منى، ثم خفض لى حتى لزق بالأرض، فركبته واستويت عليه قام بى جبرائيل نحو المسجد الأقصى بخطو البراق مد البصر يرسل إلى جنبى لا يفوتنى ولا أفوته حيناً أنا فى مسيرى إذ جاءنى نداء عن يمينى قال: يا محمد على رسلك اسلك - يقولها ثلاثاً - فلم أرفق عليه ثم مضيت حتى جاوزه، فإذا أنا بامرأة عجوز رفعت لى عليها من كل زينة وبهجة تقول: يا محمد إلى، فلم ألتفت إليها وقلت: يا جبرائيل من هذا الذى نادانى عن يمينى؟ فقال: داعية اليهود والذى نفسى بيده لو أحبته لتهودت أمتك من بعدك والذى ناداك من يسارك داعية النصارى، والذى نفسى بيده لو أحببت لتتصرت أمتك من بعدك، فأما التى رفعت لك بهجتها وزيتها فهى الدنيا لو التويت إليها لاخترت أمتك الدنيا على الآخرة.

ثم أتيت بإناءين أحدهما اللبن والآخر خمرة فقيل لى: اشرب أيهما شئت، فأخذت اللبن فشربته. فقال لى جبرائيل: أصبت الفطرة أنت وأمتك، أما إنك لو أخذت الخمر لخرمت أمتك من بعدك قال: ثم سار رسول الله ﷺ وسار معه جبرائيل فأتى على قوم يزرعون ويحصدون فى يوم واحد، كلما حصدوا عاد كما كان فقال النبى ﷺ: من هؤلاء؟ فقال: هؤلاء

المهاجرون في سبيل الله يضاعف لهم الحسنة سبعمائة ضعف ، وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين .

قال : ثم أتى على قوم يرضخ رءوسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شيئاً . قال : ما هؤلاء يا جبرائيل ؟ قال : هؤلاء الذين تتناقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة . ثم أتى على قوم على أقبالهم رقاع وعلى أديبارهم رقاع فيسرحون كما تسرح الأنعام إلى الضريع ، والزقوم قد صف جهنم وحجارتها فقال : ما هؤلاء يا جبرائيل ؟ فقال : هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ (فصلت : ٤٦) .

ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم في قدر نضيج طيب ولحم آخر خبيث ، فجعلوا يأكلون الخبيث ويدعون النضيج الطيب ، قال : ما هؤلاء يا جبرائيل ؟ فقال : هذا الرجل من يكون عنده المرأة حلالاً طيباً فأتى امرأة خبيثة فبييت معها حتى يصبح ، فالمرأة تقوم من عند زوجها حلالاً طيباً فتأتى الرجل الخبيث فتبيت معه حتى تصبح ، ثم أتى على (امرأة) في الطريق لا يمر بها ثوب إلا شقته ولا شيء آخر إلا فثته . فقال : ما هذا يا جبرائيل ؟ قال : هذا مثل أمتك يقعدون على الطريق فيقطعون مثلاً ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعَدُونَ ﴾ (الأعراف : ٨٦) الآية ثم أتى على رجل جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها فقال : ما هذا يا جبرائيل ؟ قال : هذا رجل من أمتك عليه أمانات الناس لا يقدر على أدائها وهو يزيد عليها ، ثم أتى على قوم يقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد ، كلما قرضت عادت كما كانت . قال : ما هؤلاء يا جبرائيل ؟ قال هؤلاء خطباء الفتنة ، ثم أتى على جحر صغير يخرج منه ثور عظيم فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع .

قال : ما هذا ؟ قال : هذا الرجل من أمتك يتكلم الكلمة العظيمة ثم يندم عليها ولا يستطيع أن يردها . قال : ثم أتى على واد فوجد ريحاً طيبة باردة وصوتاً . قال : ما هذه الريح الطيبة وما هذا الصوت ؟ قال : هذا صوت الجنة ، فقال : رب أرني بما وعدتني فقد كثر عُرفي وإستبرقي وحريري وسندسي وعبري ولؤلؤي ومرجاني وفضتي وذهبي وأكوابي وصحافي وأباريقي وفواكهي وعسلي ولبنى وخمري ومائي ، فأنتى بما وعدتني . فقال : لك كل مؤمن ومؤمنة من آمن بى وبرسلى وعمل صالحاً ولم يشرك بى ولم يتخذ من دونى أنداداً ، ومن خشينى فهو آمن ومن سألتنى أعطيته ومن أقرضنى جزيته ومن توكل على كفيته ، إني أنا الله لا إله إلا أنا لا أخلف الميعاد قد أفلح المؤمنون تبارك الله أحسن الخالقين قال : قد رضيت . قال ثم أتى على واد فسمع صوتاً منكراً ووجد ريحاً منتنة فقال : ما هذا يا جبرائيل ؟ قال : هذا صوت جهنم تقول :

(يا ربّ آتني) ما وعدتني فقد كثرت سلاسلى وأغلالى وسعيرى وحميمى وضريعى وغساقى وعذابى، وقد بعد قعرى واشتد حرّى اثنتى بما وعدتني، قال: لك كل مشرك ومشركة وكافر وكافرة وكل خبيث وخبيثة وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب.

قالت: قد رضيت يا رب، ثمّ سار ومعه جبرائيل فقال له جبرائيل: انزل فصل. قال: فنزلت وصليت، فقال: أتدرى أين صليت؟ صليت بطيبة وإليها المهاجرة إلى الله. ثمّ قال: انزل فصلّ قال فنزلت فصليت فقال: أتدرى أين صليت! صليت بطور سيناء حيث كلّم الله موسى ثمّ قال: انزل فصل، قال: فنزلت فصليت. فقال: أتدرى أين صليت؟ صليت بيت لحم حيث ولد عيسى (عليه السلام) قال: ثمّ مضينا حتّى أتينا بيت المقدس فلما انتهيت إليه إذا أنا بملائكة قد نزلوا من السماء يتلقوننى بالبشارة والكرامة من عند رب العزة يقولون: السلام عليك يا أول ويا آخر ويا حاشر، قال: قلت يا جبرائيل ما تحتهم إياى؟ قال: إنك أول من تنشر عنه الأرض وعن أمّتك، وأول شافع وأول مشفع وإنك آخر الأنبياء وإن الحشر لك وبأمّتك يعنى حشر يوم القيامة.

قال ﷺ: «ثمّ جاوزناهم حتّى انتهينا إلى باب المسجد، فأنزلى جبرائيل وربط البراق بالحلقة التى كانت تربط بها الأنبياء (عليهم السلام) بحطام عليه من حرير الجنة، فلما دخلت الباب إذا أنا بالأنبياء والمرسلين».

وفى حديث أبى العالية: «أرواح الأنبياء والمرسلين الذين بعثهم الله قبلى من لدن إدريس ونوح إلى عيسى قد جمعهم الله عزّ وجلّ، فسلموا علىّ وحيونى بمثل تحية الملائكة قلت: يا جبرائيل من هؤلاء؟ قال: إخوتك الأنبياء، زعمت قريش أن الله شريكاً، واليهود والنصارى أن الله ولداً، سل هؤلاء المرسلين هل لله شريك؟ وذلك قوله تعالى: ﴿وَسْئَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهَةً يَعْْبُدُونَ﴾ (الزخرف: ٤٥) فأقروا بالربوبية لله تعالى ثمّ جمعهم والملائكة صفوفًا فقدمنى وأمرنى أن أصلى بهم فصليت بهم ركعتين. ثمّ إن الأنبياء أثنوا على ربهم فقال إبراهيم (عليه السلام) الحمد لله الذى اتخذنى خليلاً وأعطانى ملكاً عظيماً وجعلنى أمة قائماً يؤتم بى وأنقذنى من النار وجعلها على برداً وسلاماً. ثمّ إن موسى (عليه السلام) أثنى على ربّه فقال: الحمد لله رب العالمين الذى كلمنى تكليماً وجعل هلاك فرعون منه ونجاة بنى إسرائيل على يديّ، وجعل من أمتى قومًا يهدون بالحق وبه يعدلون. ثمّ إن داود (عليه السلام) أثنى على ربه فقال: الحمد لله الذى جعل لى ملكاً عظيماً وعلمنى الزبور والآن لى الحديد وسخر لى الجبال يسبحن والطير وأعطانى الحكمة وفصل الخطاب. ثمّ

إن سليمان (عليه السلام) أثنى على ربه فقال: الحمد لله الذى سخر لى الرياح وسخر لى جنود الشياطين يعملون لى ما شئت من محاريب وتمائيل وجفان كالجوانب وقدرور راسيات، وعلمنى منطق الطير وآتانى من كل شىء فضلاً وآتانى ملكاً عظيماً لا ينبغى لأحد من بعدى وجعل ملكى ملكاً طيباً ليس علىّ فيه حساب.

ثم إن عيسى (عليه السلام) أثنى على ربه فقال: الحمد لله ربّ العالمين الذى جعلنى كلمة منه وجعلنى أخلق من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وجعلنى أبرئ الأكمة والأبرص وأحىى الموتى بإذن الله ورفعنى وطهرنى وأعادنى وأمى من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان علينا سبيل.

ثم إن محمداً ﷺ قال: كلكم قد أثنى على ربه وأنا مثن على ربي فقال: الحمد لله الذى أرسلنى رحمة للعالمين وكافة للناس بشيراً ونذيراً وأنزل علىّ القرآن (فيه بيان كل شىء) وجعل أمتى ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: ١١٠) وجعل أمتى ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ (البقرة: ١٤٣) وجعل أمتى هم الأولون والآخرون وشرح لى صدرى ووضع عنى وزرى ورفع لى ذكرى وجعلنى فاتحاً وخاتماً.

فقال إبراهيم (عليه السلام): بهذا أفضلكم محمد، ثم أتى بآية ثلاثة مغطاة أفواهاها: إناء فيه ماء فقيل له: اشرب فشرّب منه يسيراً، ثم دفع إليه إناء آخر فيه لبن فقيل له: اشرب فشرّب منه حتى روى، ثم دفع إليه إناء آخر فيه خمر فقيل له: اشرب، فقال: لا أريده قد رويت. فقال له جبرائيل: قد أصبت أما إنها ستحرم على أمتك، ولو شربت منها لم يتبعك من أمتك إلا قليل، ولو رويت من الماء لغرقت وغرقت أمتك ثم أخذ جبرائيل (عليه السلام) بيدي فانطلق بى إلى الصخرة فصعد بى إليها فإذا معراج إلى السماء لم أر مثله حسناً وجمالاً لم ينظر الناظرون إلى شىء قط أحسن منه. ومنه تعرج الملائكة أصله على صخرة بيت المقدس ورأسه ملتصق بالسماء إحدى عارضتيه ياقوته حمراء والأخرى زبرجدة خضراء درجة من فضة ودرجة من ذهب ودرجة من زمرد مكلل بالدر والياقوت وهو المعراج الذى ينطلق منه ملك الموت لقبض الأرواح (...)<sup>(١)</sup>، فاحتملنى جبرائيل حتى وضعنى على جناحه ثم ارتفع بى إلى سماء الدنيا من ذلك المعراج، ففرع الباب فقيل: من؟ قال: أنا جبرائيل. قال: ومن معك؟ قال: محمد.

قال: أو قد بعث محمد؟ قال: نعم. قال: مرحباً به حيّاه الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ

(١) بياض بالأصل المخطوط.



ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء ففتح الباب ودخلنا . قال : فبينما أنا أسير في السماء الدنيا إذ رأيت ديكا له زغب أخضر ورأس أبيض بياض ريشه كأشد بياض ما رأيته قط ، وزغب أخضر تحت ريشه كأشد خضرة ما رأيته قط وإذا رجلاً في تخوم الأرض السابعة السفلى ورأسه عند العرش مثني عنقه تحت العرش له جناحان من منكبیه إذا نشرهما جاوز المشرق والمغرب فإذا كان في بعض (الميل) نشر جناحيه وخفق بهما ، وصرخ بالتسبيح لله عز وجل يقول سبحان الملك القدوس الكبير المتعال لا إله إلا هو الحى القيوم ، فإذا فعل ذلك سبّحت ديكة الأرض كلها وخفقت بأجنحتها وأخذت في الصراخ فإذا سكن ذلك الديك في السماء سكنت ديكة الأرض كلها ، ثم إذا هاج بنحو ما فعلوا في السماء صاحت ديكة الأرض جواباً له بالتسبيح لله عز وجل بنحو قوله .

قال رسول الله ﷺ : «لم أزل منذ رأيت ذلك الديك مشتاقاً إليه أن أراه ثانية» .

قال : ثم مررت بملك نصف جسده مما يلي رأسه نار والنصف الآخر ثلج وما بينهم رتق ، فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفى النار ، وهو قائم ينادى بصوت له حسن رفيع : اللهم مؤلف بين الثلج والنار ألفت بين قلوب عبادك المؤمنين .

فقلت : يا جبرائيل من هذا؟ قال : ملك من الملائكة يقال له حبيب وكله الله بأكتاف السموات وأطراف الأرضين ، ما أنصحه لأهل الأرض هذا قوله منذ خلقه الله تعالى . قال : ثم مررت بملك آخر جالس على كرسي قد جمع الدنيا بين ركبتيه ، وفي يديه لوح مكتوب من نور ينظر فيه لا يلتفت يمينا ولا شمالاً ينظر فيه كهية الحزين . فقلت : من هذا يا جبرائيل؟ ما مررت أنا بملك أنا أشد خوفاً منه شيء من هذا؟ قال : وما يمنعك كلنا بمنزلتك ، هذا ملك الموت دائم فى قبض الأرواح وهو أشد الملائكة عملاً وأدأبهم . قلت : يا جبرائيل كل من مات نظر إلى هذا؟ قال : نعم . قلت : كفى بالموت من طامة . فقال : يا محمد ما بعد الموت أطم وأعظم ، قلت : يا جبرائيل أذننى من ملك الموت أسلم عليه وأسأله فأدنانى منه فسلمت عليه فأوماً إلى فقال له جبرائيل : هذا محمد نبى الرحمة ورسول العرب فرحب بى وحيانى وأحسن بشارتى وإكرامى . وقال : أبشريا محمد فإنى أرى الخير كله فى أمتك . فقلت : الحمد لله المنان بالنعم ، ما هذا اللوح الذى بين يديك؟ قال : مكتوب فيه آجال الخلائق .

قلت : فأين أسماء من قبضت أرواحهم فى الدهور الخالية؟ قال : تلك فى لوح آخر قد علمت خلقها ، ولذلك أصنع بكل ذى روح إذا قبضت روحه خلّفت عليها ، فقلت : يا ملك الموت سبحان الله كيف تقدر على قبض أرواح جميع أهل الأرض وأنت فى مكانك هذا لا

تبرح؟ قال: ألا ترى أن الدنيا كلها بين ركبتي وجميع الخلائق بين عيني ويداى يبلغان المشرق والمغرب وخلقهما فإذا نفذ أجل عبد من عباد الله نظرت إليه وإلى أعوانى فإذا نظر أعوانى من الملائكة إلى فنظرت إليه عرفوا أنه مقبوض فعمدوا إليه يعالجون نزع روحه فإذا بلغ الروح الخلقوم علمت ذلك ولا يخفى على شىء من أمرى، أمددت يدي إليه فقبضته فلا يلى قبضه غيرى، فذلك أمرى وأمر ذوى الأرواح من عباد الله.

قال: إنما أبكاني حديثه وأنا عنده ثم جاوزنا فمررنا بملك آخر ما رأيت من الملائكة خلقاً مثله عابس الوجه كربه المنظر شديد البطش ظاهر الغضب، فلما نظر رعبت منه شيئاً وسألته فقلت: يا جبرائيل من هذا؟ فإني رعبت منه رعباً شديداً قال: فلا تعجب أن ترعب منه كلنا بمنزلتك فى الرعب منه، هذا مالك خازن النار لم يتبسم قط ولم يزل منذ ولاء الله عز وجل جهنم يزداد كل يوم غضباً وغيظاً على أعداء الله عز وجل وأهل معصيته لينتقم منهم، قلت: ادنى منه. فأدنانى منه فسلم عليه جبرائيل فلم يرفع رأسه فقال جبرائيل: يا مالك هذا محمد رسول العرب فنظر إلى وحيانى وبشرنى بالخير. فقلت: مُدِّ كم أنت واقف على جهنم؟ فقال: مذ خلقت حتى الآن وكذلك إلى أن تقوم الساعة فقلت: يا جبرائيل مره ليرنى طرفاً من النار فأمره ففعل فخرج منه لهب ساطع أسوط معه دخان مكدر مظلم امتلاً منه الآفاق فرأيت هولاً عظيماً وأمرأً فظيماً أعجز عن صفته لكم فغشيت على وكاد يذهب نفسى، فضمّنى جبرائيل وأمر أن يرد النار فردّها.

قال ﷺ: «فجاوزناها فمررنا بملائكة كثيرة لا يحصى عدتهم إلا الله عز وجل منهم وجوه بين كتفيه ووجوه فى صدره فى كل وجه أفواه وألسن، فهو يحمد الله ويسبحه بتلك الألسن ورأيت من أجسامهم وخلقهم وعبادتهم أمرأً عظيماً، ثم جاوزناها فإذا برجل تام الخلق لم ينقص من خلقه شىء كما ينقص من خليفة الناس عن يمينه باب تخرج منه ريح طيبة وعن شماله باب تخرج منه ريح خبيثة إذا نظر إلى الباب الذى عن يمينه ضحك فإذا نظر إلى الباب الذى عن شماله بكى بحزن، فقلت: يا جبرائيل من هذا وما هذان البابان؟ قال: هذا أبوك آدم (عليه السلام) هذا الباب عن يمينه باب الجنة إذا نظر إلى من يدخل من ذريته الجنة ضحك واستبشر، والباب الذى عن شماله باب جهنم إذا نظر إلى من يدخل من ذريته جهنم بكى وحزن قال: ثم صعدنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبرائيل (عليه السلام) فقيل: من هذا؟ قال: جبرائيل. قيل ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسله الله.

قال: نعم. قالوا: حياها الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم الحجيء،

فدخلنا فإذا بشابين فقلت: يا جبرائيل من هذان الشبان؟ فقال: هذا عيسى ويحيى أبناء الخالة.

قال: ثمَّ صعدت إلى السماء الثالثة فاستفتح فقالوا: من هذا؟

قال: جبرائيل. قيل ومن معك؟ قال: محمد. قالوا: وقد أرسل محمد؟ قال: نعم. قالوا: حياهُ الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء، فدخلنا فإذا برجل قد فضّل على الناس بالحسن كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب قلت: من هذا يا جبرائيل؟ قال: هذا أخوك يوسف (عليه السلام).

قال ﷺ: «ثمَّ صعدت إلى السماء الرابعة فاستفتح قالوا: من هذا؟ قال: جبرائيل، قالوا: ومن معك؟ قال: محمد. قالوا: وقد أرسل محمد؟ قال: نعم. قالوا: حياهُ الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء، فدخلنا فإذا برجل من حاله (كذا) فقلت: من هذا يا جبرائيل؟ قال: «هذا إدريس رفعه الله مكاناً علياً وهو مسند ظهره إلى دواوين الخلائق التي فيها أمورهم.

قال: ثمَّ صعدت إلى السماء الخامسة فاستفتح قالوا: من هذا؟ قال: جبرائيل. قالوا: من معك؟ قال: محمد قالوا: وقد أرسل محمد؟ قال: نعم. قالوا: حياهُ الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء.

قال: ثمَّ دخلنا فإذا برجل جالس وحوله قوم يقصُّ عليهم فقلت: يا جبرائيل من هذا؟ ومن هؤلاء الذين حوله؟ قال: هذا هارون (الحبيب) وهؤلاء الذين حوله بنو إسرائيل.

قال: «ثمَّ صعدنا إلى السماء السادسة فاستفتح فقالوا: من هذا؟ قال: جبرائيل. قالوا: ومن معك؟ قال: محمد؟ قالوا: وقد أرسل محمد؟ قال: نعم قالوا: حياهُ الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء، ثمَّ دخلنا فإذا برجل جالس فجاوزناه فبكى الرجل فقلت: يا جبرائيل من هذا؟ قال: هذا موسى. قلت: فماله يبكي؟ قال: يزعم بنو إسرائيل أني أكرم بنى آدم على الله عزّ وجلّ، وهذا رجل من بنى آدم وقد خلفني في دنياه وأنا في آخرتي فلو أنه بنفسه لم أبال ولكن مع كل نبى أمته.»

قال: «ثمَّ صعدت إلى السماء السابعة فاستفتح فقيل من هذا؟ قال: جبرائيل. قيل ومن معك؟ قال: محمد. قالوا: وقد أرسل محمد؟ قال: نعم. قالوا: حياهُ الله من أخ ومن خليفة، فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء، ثمَّ دخلنا فإذا برجل (أشمط) جالس على كرسي عند باب الجنة وعنده قوم جلوس (بيض) الوجوه أمثال القراطيس، وقوم فى ألوانهم

شئ ( . . . )<sup>(١)</sup> فقام الذين فى ألوانهم شئ فدخلوا نهراً فاغتسلوا فيه فخرجوا منه وقد خلص من ألوانهم شئ ، ثم دخلوا نهراً آخر فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلص من ألوانهم وصارت مثل ألوان أصحابهم فجاءوا فجلسوا إلى جنب أصحابهم فقلت : يا جبرائيل من هذا الأشمط ومن هؤلاء وما هذه الأنهار؟ قال : هذا أبوك إبراهيم (عليه السلام) أول من شمط على الأرض ، وأما هؤلاء البيض الوجوه فقوم لم يلبسوا إيمانهم بظلم ، فأما هؤلاء الذين فى ألوانهم شئ فقوم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً فتابوا فتاب الله عليهم ، وأما الأنهار الثلاثة فأولها رحمة الله والثانى نعمة الله والثالث سقاهاهم ربهم شراباً طهوراً قال : فإذا إبراهيم مستند إلى بيت فسألت جبرائيل ، فقال : هذا البيت المعمور يدخل فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا إليه آخر ما عليهم . قال : فأتى بى جبرائيل حتى انتهينا إلى سدرة المنتهى فإذا أنا بشجرة لها أوراق الواحدة منها مغطية الدنيا بما فيها وإذا شقها مثل قلال هجر تخرج من أصلها أربعة أنهار نهران ظاهران ونهران باطنان فسألت عنها جبرائيل فقال : أما الباطنان ففى الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات ويخرج أيضاً من أصلها ﴿أَنْهَرٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَرٌ مِنْ لَبَنٍ لَرِيْقٍ طَعْمُهُ وَأَنْهَرٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَرٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ (محمد: ١٥) وهى على حد السماء السابعة مما يلى الجنة وعروقها وأغصانها تحت الكرسى .

قال رسول الله ﷺ : «انتهيت إلى سدرة المنتهى وأنا أعرف أنها سدرة المنتهى وأعرف ورقها وثمرها فغشيتها من نور الله ما غشيتها وغشيتها الملائكة كأنهم جراد من ذهب من خشية الله تعالى فلما غشيتها ما غشيتها تحولت حتى ما يستطيع أحد منعها ، قال : وفيها ملائكة لا يعلم عدتهم إلا الله عز وجل ، ومقام جبرائيل فى وسطها فلما انتهيت إليها قال لى جبرائيل : تقدم . فقلت : أقدم من؟ تقدم أنت يا محمد فإنك أكرم على الله منى ، فتقدمت وجبرائيل على أترى حتى انتهى بى إلى حجاب فراس الذهب فحرك الحجاب . فقال : من ذا؟ قال : أنا جبرائيل ومعى محمد ، قال الملك : الله أكبر فأخرج يده من تحت الحجاب فاحتملنى خلف جبرائيل فقلت له : إلى أين؟ قال : يا محمد وما منا إلا له مقام معلوم إن هذا منتهى الخلائق ، وإنما أذن لى فى الدنو إلى الحجاب لاحترامك ولجلالك» .

قال : «فانطلق بى الملك أسرع من طرفة عين إلى حجاب اللؤلؤ فحرك الحجاب . قال الملك : من وراء الحجاب : من هذا؟ قال : أنا صاحب فراس الذهب وهذا محمد رسول العرب معى .

(١) بياض بالأصل المخطوط .

فقال الملك: الله أكبر وأخرج يده من تحت الحجاب فاحتلمنى حتى وضعنى بين يديه فلم أزل كذلك من حجاب إلى حجاب حتى جاوزوا بى سبعين حجاباً غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام وما بين الحجاب إلى الحجاب مسيرة خمسمائة عام، ثم دلى لى رفر ف أخضر يغلب ضوءه ضوء الشمس فالتمع بصرى ووضعت على ذلك الرفر ف ثم احتلمنى حتى وصلنى إلى العرش فلما رأيت العرش اتضح كل شىء عند العرش فقربنى الله إلى سند العرش وتدلنى لى قطرة من العرش فوقف على لسانى فما ذاق الذائقون شيئاً قط أحلى منها فأنبأنى الله عز وجل بها نبأ الأولين والآخرين وأطلق الله لسانى بعدما كل من هيبة الرحمن، فقلت: التحيات لله والصلوات والطيبات. فقال الله تعالى: سلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته، فقلت: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فقال: يا محمد هل تعلم فيم اختصم الملائة الأعلى؟ فقلت: أنت أعلم يا رب بذلك وبكل شىء وأنت علام الغيوب. قال: اختلفوا فى الدرجات والحسنات، فهل تدري يا محمد ما الدرجات وما الحسنات؟

قلت: أنت أعلم يا رب. قال: الدرجات إسباغ الوضوء فى المكروهات والمشى على الأقدام إلى الجماعات وانتظار الصلوات بعد الصلاة والحسنات إفشاء السلام وإطعام الطعام والتهجد بالليل والناس نيام ثم قال: يا محمد آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه؟ قلت: نعم أى رب. قال: ومن؟ قلت: والمؤمنين ﴿كُلُّ ءَٰمَنٍ بِاللَّهِ وَمَلَٰئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ لَأَتَّقِيَ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ (البقرة: ٢٨٥) كما فرقت اليهود والنصارى. فقال: ماذا قالوا؟

قلت: قالوا: سمعنا قولك وأطعنا أمرك. قال: صدقت فسل تعط. قال: فقلت: ﴿غُفْرَانِكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (البقرة: ٢٨٥) قال: قد غفرت لك ولأمتك سل تعطه؟ فقلت: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قال: قد رفعت الخطأ والنسيان عنك وعن أمتك وما استكروها عليه، قلت: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ قال: قد فعلت ذلك بك وبأمتك. قلت ربنا ﴿وَأَعْفُ عَنَّا﴾ من الحسف ﴿وَأَغْفِرْ لَنَا﴾ من القذف ﴿وَأَرْحَمْنَا﴾ من المسخ ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا فَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٢٨٦) قال: قد فعلت ذلك لك ولأمتك، ثم قيل لى: سل. فقلت: يا رب إنك اتخذت إبراهيم خليلاً، وكلمت موسى تكليماً، ورفعت إدريس مكاناً علياً، وآتيت سليمان ملكاً عظيماً، وآتيت داود زبوراً، فما لى يا رب؟

قال ربي: يا محمد اتخذتك خليلى كما اتخذت إبراهيم خليلاً وكلمتك كما كلمت موسى تكليماً وأعطيتك فاتحة الكتاب وخواتيم البقرة وكانا من كنوز العرش ولم أعطهما نبياً قبلك، وأرسلتك إلى أهل الأرض جميعاً أبيضهم وأسودهم وإنسهم وجنهم ولم أرسل إلى جماعتهم

نبياً قبلك وجعلت الأرض كلها برّها وبحرها طهوراً ومسجداً لك ولأمتك وأطعمتك وأمتك الفىء ولم أطعمه أمة قبلهم ونصرتك بالرعب على عدوك مسيرة شهر، وأنزلت عليك سيد الكتب كلها ومهيماً عليها قرآناً فرقناه ورفعنا لك ذكرك فتذكر كلما ذكرت فى شرائع دينى، وأعطيتك مكان التوراة الثانى ومكان الإنجيل المبين ومكان الزبور الحواميم، وفضلتك بالمفصل وشرحت لك صدرك ووضعت عنك وزرك وجعلت أمتك خير أمة أخرجت للناس وجعلتهم أمة وسطاً وجعلتهم الأولين وهم الآخرون فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين».

قال ﷺ: «ثم فوّض لى بعهد بعدها أمور لم يؤذن لى أن أخبركم بها ثم فرضت علىّ وعلى أمتى فى كل يوم وليلة خمسون صلاة فلما شهد لىّ بعهده وتركنى عنده ما شاء قال لى: ارجع إلى قومك فبلغهم عنى فحملنى الررف الأخر الذى كنت عليه يخفضنى ويرفعنى حتى أهوى بى إلى سدرة المنتهى فإذا أنا بجبرائيل (عليه السلام) أبصره خلفى بقلبى كما أبصره بعينى أمامى، فقال لى جبرائيل: أبشريا محمداً فإنك خير خلق الله وصفوته من النبيين حياك الله بما لم يحيى به أحداً من خلقه لا ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلأً ولقد وضعك مكاناً لم يصل إليه أحد من أهل السموات والأرض فهناك الله كرامته وما حباك من المنزلة الأثيرة والكرامة الفائقة، فخذ ذلك واشكر فإن الله منعم يحب الشاكرين.

فحمدت الله على ذلك ثم قال لى جبرائيل: انطلق يا محمداً إلى الجنة حتى أريك ما لك فيها فتزداد بذلك فى الدنيا زهادة إلى زهادتك وفى الآخرة رغبة إلى رغبتك فسرنا نهوى منفضين أسرع من السهم والريح حتى وصلنا بإذن الله إلى الجنة فهذأت نفسى (وثاب) إلى فؤادى وأنشأت أسأل جبرائيل عما كنت رأيت (فى الجنة) من البحور والنار والنور وغيرها، فقال: سبحان الله تلك سرادقات عرش رب العزة التى أحاطت بعرشه فهى سترة الخلائق من نور الحجب ونور العرش لولا ذلك لأحرق نور العرش ونور الحجب من تحت العرش من خلق الله وما لم تره أكثر وأعجب، قلت: سبحان الله ما أكثر عجائب خلقه.

قلت: يا جبرائيل ومن الملائكة الذين رأيتهم فى تلك البحور الصفوف بعد الصفوف كأنهم بنيان مرصوص؟

قال: يا رسول الله هم الروحانيون الذين يقول الله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ (النبا: ٣٨) ومنهم الروح الأعظم، ثم بعد ذلك قلت: يا جبرائيل فمن الصف الواحد الذى فى البحر الأعلى فوق الصفوف كلها قد أحاطوا بالعرش؟ قال: هم الكروبيون أشراف الملائكة وعظماؤهم ولا يجترئ أحد من الملائكة أن ينظر إلى ملك من الكروبيين وهم أعظم شأنًا من

أن أصف صفتهم لك وكفى ما رأيت منهم، ثم طاف بى جبرائيل فى الجنة بإذن الله فما نزل منها مكاناً إلا رأيت وأخبرنى عنه فرأيت القصور من الدر والياقوت والإستبرق والزبرجد ورأيت الأشجار من الذهب الأحمر قضبانهم اللؤلؤ وعروقهم الفضة راسخة فى المسك فلأنا أعرف بكل قصر وبيت وغرفة وخيمة ونهر وثمر فى الجنة منى بما فى مسجدى هذا.

قال: ورأيت نهراً يخرج من أصله ماء أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل على رضراض دُرّ وياقوت ومسك أذفر. فقال جبرائيل: هذا الكوثر الذى أعطاك الله عزّ وجلّ وهو التسنيم يخرج من دورهم وقصورهم وبيوتهم وغرفهم يمزجون بها أشربتهم من اللبن والعسل والخمر فذلك قوله: ﴿وَمِزْجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿المطففين: ٢٧، ٢٨﴾ الآية.

ثم انطلق بى يطوف فى الجنة حتى انتهينا إلى شجرة لم أر شجرة مثلها، فلما وقفت تحتها رفعت رأسى فإذا أنا لا أرى شيئاً من خلق ربى غيرها لعظمتها وتفرق أغصانها ووجدت فيها ريحاً طيبة لم أشم فى الجنة ريحاً أطيب منها فقلت بصرى فيها فإذا ورقها حلل طرايف من ثياب الجنة من بين أبيض وأحمر وأخضر وثمارها أمثال القلال العظام من كل ثمرة خلقها الله فى السموات والأرضين من ألوان شتى وطعوم شتى وريح شتى، فعجبت من تلك الشجرة وما رأيت من حسنها. قلت: يا جبرائيل ما هذه الشجرة؟ قال: هذه التى ذكرها الله عزّ وجلّ ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسَنُ مَّآبٍ﴾ (الرعد: ٢٩) ولكثير من أمتك ورهطك فى ظلها حسن مقيل ونعيم طويل ورأيت فى الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر كل ذلك مفروغ عنه معدّ إنما ينتظر به صاحبه من أولياء الله عزّ وجلّ وما غمنى الذى رأيت قلت: لمثل هذا فليعمل العاملون.

ثم عرض على النار حتى نظرت إلى أغلالها وسلاسلها وحياتها وعقاربها وغساقها ويحمومها، فنظرت فإذا أنا بقوم لهم مشافر كمشافر الإبل وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم، ثم يجعل فى أفواههم صخراً من نار تخرج من أسافلهم. قلت: يا جبرائيل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً. ثم انطلقت فإذا أنا بنفر لهم بطون كأنها البيوت وهم على سابلة آل فرعون فإذا مرّ بهم آل فرعون ثاروا فيميل بأحدهم بطنه فيقع فيتوطأهم آل فرعون بأرجلهم وهم يعرضون على النار غدواً وعشيا. قلت: من هؤلاء يا جبرائيل؟ قال: هؤلاء أكلة الربا ﴿لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ (البقرة: ٢٧٥) ثم انطلقت فإذا أنا بنساء معلقات بشديهن منكسات أرجلهن. قلت: من هؤلاء يا جبرائيل؟ قال: هن اللاتى يزنين ويقتلن أولادهن.

ثم أخرجني من الجنة فمررنا بالسموات منحدرًا من السماء إلى السماء حتى أتيت على موسى فقال: فما فرض الله عليك وعلى أمتك؟ قلت: خمسين صلاة. فقال موسى: أنا أعلم بالناس منك وإنى سرت الناس - بنى إسرائيل - وعالجتهم أشد المعالجة وإن أمتك أضعف الأمم فارجع إلى ربك واسأله التخفيف لأمتك فإن أمتك لن تطيق ذلك. قال: فرجعت إلى ربي.

وفى بعض الأخبار: «فرجعت فأتيت سدرة المنتهى فخررت ساجدًا، قلت: يا رب فرضت عليّ وعلى أمتي خمسين صلاة ولن أستطيع أن أقوم بها ولا أمتي فحَقَّقَ عني عشرًا. فرجعت إلى موسى فسألني فقلت: خفف عني عشرًا. قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك أضعف الأمم فإنني قد لقيت من بنى إسرائيل شدة. قال: فرجعت فردّها إلى ثلاثين فما زلت بين ربي وبين موسى (عليه السلام) حتى جعلها خمس صلوات فأتيت موسى (عليه السلام) فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف. فقلت: فإنني قد رجعت إلى ربي حتى استحيت وما أنا براجع إليه، قال: فنوديت أني يوم خلقت السموات والأرض فرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة، ولا يبدل القول لدى فخمسة بخمسين فقم بها أنت وأمتك إنني قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي وأجزى بالحسنة عشر أمثالها لكل صلاة عشر صلوات. قال: فرضني محمد ﷺ كل الرضا وكان موسى (عليه السلام) من أشدهم عليه حين مرّ به وخيرهم له حين رجع إليه.

ثم انصرفت مع صاحبي وأخي جبرائيل لا يفوتني ولا أفوته حتى انصرف بي إلى مضجعي وكان كل ذلك ليلة واحدة من لياليكم هذه فأنا سيد ولد آدم ولا فخر، ويدي لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وإلى مفاتيح الجنة يوم القيامة ولا فخر، وأنا مقبوض عن قريب بعد الذي رأيت فإنني رأيت من آيات ربي الكبرى ما رأيت وقد أحببت للقوق بربي عز وجلّ ولقاء من رأيت من إخواني، وما رأيت من ثواب الله لأوليائه ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (القصص: ٦٠).

قال: فلما رجع رسول الله ﷺ ليلة أُسرى به وكان بذى طوى قال: «يا جبرائيل إن قومي لا يصدقونني».

قال: يصدقك أبو بكر وهو الصديق (رضى الله عنه).

قال ابن عباس وعائشة رضی الله عنهما: قال رسول الله ﷺ: «لما كانت ليلة أُسرى بي وأصبحت بمكة قطعت بأمرى وعرفت أن الناس تكذبني».

قال: فقعد رسول الله ﷺ معتزلاً حزيناً فمرّ به أبو جهل عدو الله فاتاه فجلس إليه، وقال كالمستهزئ: هل استفدت من شيء؟ قال: «نعم إنني أُسرى بي الليلة» قال: إلى أين؟ قال:



«إلى بيت المقدس» قال: ثم أصبحت بين ظهرانينا. قال: «نعم» فكان أبو جهل ينكر مخافة أن يجحده، الحديث. قال: أتحدث قومك ما حدثتني؟

قال: «نعم» قال أبو جهل: يا معشر بنى كعب بن لؤى هلموا.

قال: فانتقضت المجالس فجاءوا حتى جلسوا إليهما. قال: حدث قومك ما حدثتني قال: «نعم إننى أسرى بى الليلة». قالوا: إلى أين؟ قال: «إلى بيت المقدس». قال: ثم أصبحت بين ظهرانينا قال: «نعم». قال: فمن بين مصفق ومن بين واضح يده على رأسه متعجباً للكذب، فارتد ناس ممن كان آمن به وصدقه وسعى رجال من المشركين إلى أبى بكر (رضى الله عنه) فقالوا: هل لك فى صاحبك يزعم أنه أسرى به الليلة إلى بيت المقدس؟

قال: أو قد قال؟ قالوا: نعم. قال: لئن كان قال ذلك لقد صدق. قالوا: تصدقه أنه ذهب إلى بيت المقدس فى ليلة وجاء قبل أن يصبح؟ قال: نعم إنى لأصدقه بما هو أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء فى غدوه وروحته. فلذلك سمى أبو بكر الصديق (رضى الله عنه). قال: وفى القوم من قد سافر هناك ومن قد أتى المسجد، فقالوا: هل تستطيع أن تصف لنا المسجد؟ قال: «نعم».

قال: فذهبت أنعت وأنعت فما زلت أنعت حتى التبس على.

قال: فجىء بالمسجد وأنا أنظر إليه حتى وضع دون دار عقيل أو عقال فنعت المسجد وأنا أنظر إليه. فقال القوم: أما النعت فوالله قد أصاب. ثم قالوا: يا محمد أخبرنا عن غيرنا فهى أهم إلينا من قولك، هل لقيت فيها شيئاً؟ قال: «نعم مررت على غير بنى فلان وهى بالروحاء وقد أضلوا بعيراً لهم وهم فى طلبه وفى رحالهم قعب من ماء فعطشت فأخذته فقربته ثم وضعتة كما كان فاسألوهم هل وجدوا الماء فى القدح حين رجعوا إليه».

قالوا: إن هذه آية واحدة. قال: «ومررت بعير فلان وفلان وفلان راكبان قعوداً لهما بنى مرة ففرا بكرهما منى فرمى بفلان فانكسرت يده فسلوهما عن ذلك. قالوا: وهذه آية أخرى.

قالوا: أخبرنا عن غيرنا نحن؟ قال: «مررت بها بالتنعيم». قالوا: فما عدتها وأحمالها وغنمها؟ قال: «كنت فى شغل من ذلك ثم مثلت لى فكأنه بالجزورة وبعدها وأحمالها وهيئتها ومن فيها» فقال: «نعم هيئتها كذا وكذا وفيها فلان وفلان تقدمها جعل أورق عليه خزارتان مخيظتان يطلع عليكم عند طلوع الشمس».

قالوا: وهذه آية، ثم خرجوا يشدون نحو (الثلاثة) وهم يقولون: والله لقد قص محمد شيئاً وبينه حتى أتوا كدأ فجلسوا عليه فجعلوا ينظرون متى تطلع الشمس فيكذبون، إذ قال قائل منهم: هذه الشمس قد طلعت. وقال الآخر: وهذه الإبل قد طاعتت يتقدمها بعير أورك فيها فلان وفلان كما قال لهم، فلم يؤمنوا ولم يفلحوا وقالوا: ما سمعنا بهذا قط إن هذا إلا سحر مبین.

آخر المعراج والله الحمد والمنة.

فإن قيل: إنما قال الله ﴿سُبْحٰنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ فإنا قلنا: إنه أسرى إلى السماء.

فالجواب أنه قال: إنما قال: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ كان ابتداء أمر المعراج كان المسرى، والعروج كان بعد الإسراء، وقد أخبر الرسول ﷺ وهو الصادق المصدق، والحكمة فيه والله أعلم أنه لو أخبر ابتداء بعروجه إلى السماء لاشتد إنكارهم وعظم ذلك في قلوبهم ولم يصدقوه، فأخبر بيت المقدس بها فلما تمكن ذلك في قلوبهم وبأن لهم صدقه وقامت الحجة عليهم له، أخبر بصعوده إلى السماء العليا وسدرة المنتهى وبقرينة حتى دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ كما أسرينا بمحمد ﷺ، ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ الآية يعني ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكَيْلًا﴾ رباً وشريكاً وكفيلاً.

قرأه العامة: (يتخذوا) بالياء، يعني قلنا لهم لا يتخذوا.

وقرأ ابن عباس ومجاهد وأبو عمر: بالياء واختاره أبو عبيد قال: لأنه خبر عنهم ﴿ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ فأنجيناهم من الطوفان ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾.

قال المفسرون: كان نوح (عليه السلام) إذا لبس ثوباً أو أكل طعاماً أو شرب شراباً. قال: الحمد لله فسمى عبداً شكوراً.

روى النضر بن شقي عن عمران بن سليم قال: إنما سمي نوح (عليه السلام) عبداً شكوراً لأنه كان إذا أكل طعاماً قال: الحمد لله الذي أطعمني ولو شاء أجاعني، فإذا شرب قال: الحمد لله الذي سقاني ولو شاء أظماني وإذا اكتسى قال: الحمد لله الذي كساني ولو أشاء أعراني، فإذا اهتدى قال: الحمد لله الذي هداني ولو أشاء لما هداني فإذا قضى حاجته قال: الحمد لله الذي أخرج عني الأذى في عافية ولو شاء لحبسه.



﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُم أَكْثَرِ نَفِيرًا ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوُوا وَجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمُ وَإِنْ عُدْتُمْ عَدُنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ إلى قوله: ﴿حَصِيرًا﴾.

روى سفيان بن سهيل عن منصور بن المعتمر عن ربعي بن خراش قال: سمعت حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ «إن بنى إسرائيل لما اعتدوا وعتوا وقتلوا الأنبياء بعث الله عليهم ملك فارس بختنصر، وكان الله ملكه سبعمائة سنة فسار إليهم حتى دخل بيت المقدس فحاصرها ففتحها وقتل على دم يحيى بن زكريا (عليه السلام) سبعين ألفاً، ثم سبى أهلها وسلب حلى بيت المقدس واستخرج منها سبعين ألفاً ومائة عجلة من حلى (حتى أوردته بابل)».

قال حذيفة: يا رسول الله لقد كان بيت المقدس عظيماً عند الله قال: «أجل بناه سليمان ابن داود من ذهب وياقوت وزبرجد، وكان بلاطه بلاطه من ذهب وبلاطه من فضة أعطاه الله ذلك وسخر له الشياطين يأتونه بهذه الأشياء فى طرفه عين فسار بختنصر بهذه الأشياء حتى نزل بها بابل وأقام بنو إسرائيل فى يديه مائة سنة يستعبدهم المجوس وأبناء المجوس فهم الأنبياء وأبناء الأنبياء، ثم إن الله تعالى رحمهم فأوحى إلى ملك من ملوك فارس يقال له كورش وكان مؤمناً أن سر إلى بقايا بنى إسرائيل حتى يستنقذهم فسبا كورش بنى إسرائيل وحلى بيت المقدس حتى رده إليه، فأقام بنو إسرائيل مطيعين لله مائة سنة ثم إنهم عادوا فى المعاصى فسلط عليهم ملكاً يقال له: إنطياخوش فغزا بنى إسرائيل حتى أتى بهم بيت المقدس فسبا أهلها وأحرق بيت المقدس وقال لهم: يا بنى إسرائيل إن عدتم فى المعاصى عدنا عليكم بالسبى، فعادوا فى المعاصى فسلط الله عليهم ملك رومية يقال له: ماقسير بن إسبيانوس فغزاهم فى البر والبحر فسباهم وسبا حلى بيت المقدس وأحرق بيت المقدس».

قال رسول الله ﷺ: «فهذا من صفة حلى بيت المقدس ويرده المهدي إلى بيت المقدس وهو

ألف سفينة وسبعمائة سفينة يرمى بها على يافا حتى ينقل إلى بيت المقدس هديها يجمع الله الأولين والآخرين».

وقال محمد بن إسحاق بن يسار: كان مما أنزل الله على موسى في خبر عن بني إسرائيل في أحداثهم وما هم فاعلون بعده ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ إلى قوله: ﴿حَصِيرًا﴾ فكانت بنو إسرائيل وفيهم الأحداث والذنوب، وكان الله في ذلك متجاوزاً عنهم متعطفاً عليهم محسناً إليهم، فكان أول ما أنزل بهم بسبب ذنوبهم من تلك الوقائع كما أخبر على لسان موسى (عليه السلام) أن ملكاً منهم كان يدعى صديقة كان الله عز وجل إذا ملك الملك عليهم بعث الله نبياً يسدده ويرشده ويكون فيما بينه وبين الله تعالى، فيتحدث إليهم في أمرهم لأنزل عليهم الكتب، إنما يؤمرون باتباع التوراة والأحكام التي فيها وينهونهم عن المعصية ويدعونهم إلى ما تركوا من الطاعة، فلما ملك الله ذلك الملك بعث الله أشعيا بن أمصيا وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى وعيسى، وأشعيا هو الذي بشر بعيسى ومحمد ﷺ فقال: أشيروا (. . . .) (١) الآن يأتيك راكب الحمار ومن بعده راكب البعير، فملك ذلك الملك بني إسرائيل وبيت المقدس زماناً، فلما انقضى ملكه عظمت الأحداث وأشعيا معه، بعث الله عليهم سنحاريب ملك بابل مع ستمائة ألف راية، فأقبل سائراً حتى أقبل حول بيت المقدس والملك مريض في ساقه قرحة فجاء إلى أشعيا فقال: يا ملك بني إسرائيل إن سنحاريب ملك بابل قد نزل هو وجنوده بستمائة ألف قد هابهم الناس وفرقوا منهم، فكبر ذلك على الملك. فقال: يا نبي الله هل أتاك وحى من الله فيما حدث فتخبرنا به كيف يفعل الله بنا وسنحاريب وجنوده.

فقال له النبي (عليه السلام): لم يأت وحى فيينا هم إلى ذلك أوحى الله تعالى إلى أشعيا النبي (عليه السلام) أن أتت ملك بني إسرائيل فمره أن يوصى بوصيته ويستخلف على ملكه من شاء من أهل بيته، فأتى أشعيا صديقه وقال له: إن ربك قد أوحى إليك أن أمرك أن توصى بوصيتك وتستخلف من شئت على ملكك من أهل بيتك فإنك ميت. فلما قال ذلك أشعيا لصديقه أقبل على القبلة وصلى ودعا وبكى فقال وهو يصلى ويتضرع إلى الله تعالى بقلب مخلص متوكل رصين وظن صادق: اللهم رب الأرباب وإله الآلهة قدوس المقدس يا رحمن يا رحيم يا رءوف الذي لا تأخذه سنة ولا نوم أكرمتني بعملى وفعلى وحسن قضائى على بنى إسرائيل وذلك كله كان منك وأنت أعلم به منى بسرى وعلانيتى لك وأن الرحمن استجاب له وكان عبداً صالحاً، فأوحى الله إلى أشعيا وأمره أن يخبر صديقه الملك أن ربه قد استجاب له

(١) بياض بالأصل المخطوط.

وقبل منه ورحمه وقد أخرج خمسة عشر سنة فأنجاه من عدوه سنحاريب ملك بابل وجنوده فأتاه أشعيا النبي (عليه السلام) وأخبره بذلك، فلما قال ذلك ذهب عنه الوجد وانقطع عنه الحزن وخر ساجداً وقال: يا إلهي وإله آبائي لك سجدت وسبحت وكرمت وعظمت، أنت الذى تعطى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء، عالم الغيب والشهادة أنت الأول والآخر والظاهر والباطن وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين، أنت الذى أجبت دعوتى ورحمت ضرى فلما رفع رأسه أوحى الله إلى أشعيا أن قل للملك صديقه فيأمر عبداً من عبيده فيأتيه بالتين فيجعله على قرحه فيشفى ويصبح قديراً، ففعل ذلك فشفى، وقال الملك لأشعيا: سل ربك أن يجعل لنا علماً بما هو صانع بعدونا هذا. فقال الله لأشعيا: قل له إنى قد كفيتك عدوك وأنجيتك منهم وأنهم سيصبحون موتى كلهم إلا سنحاريب وخمسة نفر من كتّابه.

فلما أصبحوا جاءه صارخ فصرخ على باب المدينة: يا ملك بنى إسرائيل إن الله قد كفأك عدوك فأخرج فإن سنحاريب ومن معه هلكوا، فلما خرج الملك التمس سنحاريب فلم يوجد فى الموتى فبعث الملك فى طلبه فأدركه الطلب فى مفازة ومعه خمسة من كتّابه أحدهم بختنصر، فجعلوهم فى الجوامع ثم أتوا بهم ملك بنى إسرائيل فلما رأوهم خرّ ساجداً حين طلعت الشمس إلى العصر، ثم قال لسنحاريب: كيف ترى فعل ربنا بكم؟ ألم نقتلكم بحوله وقوته ونحن وأنتم غافلون؟ فقال سنحاريب: قد أتانى خبر ربكم ونصره إياكم ورحمته التى رحمكم بها قبل أن أخرج من بلادك فلم أطع مرشداً ولم يلبنى فى الشقوة إلا قلة عقلى ولو سمعت وأطعت ما غزوتكم ولكن الشقوة غلبت على وعلى من معى. فقال صديقه: الحمد لله رب العزة الذى (كفاناكم) بما شاء أن ييقك لى من معك لكرامة لك عليه وإنما أبقاك ومن معك ليزدادوا شقوة فى الدنيا وعذاباً فى الآخرة ولتخبروا من وراءكم بما رأيتم من فعل ربنا، فلذلك ودم من معك (آتون) على الله من دم قراد لو قتلت، ثم إن ملك بنى إسرائيل أمر أمير جيشه فقذف فى رقابهم الجوامع وطاف بهم سبعين ما حول بيت المقدس، وكان يرزقهم فى كل يوم خبزتين من الشعير لكل رجل منهم.

فقال سنحاريب لملك بنى إسرائيل: القتل خير مما يفعل بنا فافعل ما أمرت، فأمر بهم الملك إلى سجن القتل فأوحى الله إلى أشعيا النبي (عليه السلام): أن قل لملك بنى إسرائيل ليرسل سنحاريب ومن معه لينذروا من وراءهم وليكرمهم ويحملهم حتى يبلغوا بلادهم، فبلغ أشعيا (للملك ذلك) ففعل، فخرج سنحاريب ومن معه حتى قدموا بابل فلما قدموا جمع

الناس فأخبرهم كيف فعل الله بجنوده، فقال له كهانته وسحرته: يا ملك (بابل) قد كنا نقص عليك خبر ربهم وخبر نبیهم ووحى الله إلى نبیهم فلم تطعنا، وهى أمة لا يستطيعها أحد مع ربهم، وكان أمر سنحاريب مما خوفوا، ثم كفاهم الله إياه تذكرة وعبرة ثم لبث سنحاريب بعد ذلك سبع سنين ثم مات، واستخلف (بعده) ابن ابنه على ما كان عليه، فعمل فيهم بمثل عمل جده وقضى فى الملك حتى قتل بعضهم (بعضاً عليه) ونبیهم أشعيا معهم لا يدعون إليه ولا يقبلون منه، فلما فعلوا ذلك قال الله لأشعيا: قم فى قومك أوح على لسانك.

فلما قام النبى (عليه السلام) أطلق الله لسانه بالوحى، فقال: يا سماء استمعى ويا أرض أنصتى، فإن الله يريد أن يقص شأن بنى إسرائيل الذين رباهم بنعمه واصطنعهم لنفسه وخصهم بكرامته وفضلهم على عباده واستقبلهم بالكرامة وهم كالغنم الضائعة التى لا راعى لها، فأوى شاردتها وجمع ضالتها وجبر كسرهما وداوى مريضها وأسمن مهزولها وحفظ سمينها، فلما فعل ذلك بطرت فتناطحت كباشها فقتل بعضهم بعضاً حتى لم يبق منها عظم صحيح يجبر إليه آخر كبير، فويل لهذه الأمة الخاطئة الذين لا يدرون من أين جاءهم الخير، إن البعيد مما يذكر وطنه فينتابه وإن الحمار مما يذكر الآرى الذى يشبع عليه فيراجعه وإن الثور مما يذكر المرج الذى سمن فيه فينتابه وإن هؤلاء القوم لا يدرون من أين جاءهم الخير وهم أولو الأبواب والعقول ليسوا بقرأ ولا حميراً، وإنى ضارب لهم مثلاً فليستمعوا، قل لهم: كيف ترون فى أرض كانت خواء زماناً خربة مواتاً لا عمران فيها وكان لها رب حكيم قوى، فأقل عليها بالعمارة وكره أن تحرب أرضه فأحاط عليه جداراً وشيد فيها قصراً وأنبط نهراً وصنف فيها غراساً من الزيتون والرمان والنخيل والأعناب وألوان الثمار كلها، وولى ذلك واستحفظه قيماً ذا رأى وهممة ومتعة حفيظاً قوياً أميناً وانتظرها فلما أطلعت جاء طلوعها خروباً قالوا: بئست الأرض هذه، نرى أن يهدم جدارها وقصورها ويدفن نهرها ويقبض قيمها ويحرق غرسها حتى تصير كما كانت أول مرة خراباً مواتاً لا عمران فيها.

قال الله لهم: فإن الجدار ذمتى وإن القصر شريعتى وإن النهر كتابى وإن القيم نبىي وإن الغراس هم وإن الخروب الذى أطلع الغراس أعمالهم الخبيثة وإنى قد قضيت عليهم قضاءهم على أنفسهم، وأنهم مثل ضربه الله تعالى لهم يتقربون إلى بذب البقر والغنم وليس ينالنى اللحم ولا أكله، ويدعون أن يتقربون إلى بالتقوى والكف عن الأنفس التى حرمتها فأيديهم مخضوبة منها، وثيابهم متزملة بدمائها، يشيدون لى البيوت مساجد ويطهرون أجوافها وينجسون قلوبهم وأجسادهم ويدنسونها، فأى حاجة إلى تشييد البيوت ولست

أسكنها، أم أى حاجة إلى تزويق المساجد ولست أدخلها إنما أمرت برفعها لأذكر فيها وأسبح ولتكون معلماً لمن أراد أن يصلى فيها، يقولون: لو كان الله يقدر على أن يجمع ألفتنا لجمعها، ولو كان الله يقدر على (أن) يفقه قلوبنا لفقهها فاعمد إلى عودين يابسين، ثم آتت بهما ناديمها فى أجمع ما يكونون فقل للعودين: إن الله يأمركما أن تكونا عوداً واحداً ففعل، ذلك فى مجلسه اختلطا فصارا واحداً، فقال الله لهم: إنى قد قدرت على أن أفقه العيدان اليابسة وعلى أن أوألف بينهما فكيف لا أقدر على أن أجمع إلفتهم إن شئت، أم كيف لا أقدر على أن أفقه قلوبهم وأنا الذى صورتها.

يقولون: صمنا فلم يرفع صيامنا وصلينا فلم تقبل صلاتنا وتصدقنا فلم تزك صدقاتنا، ودعونا بمثل (حنين الحمام) وبكينا مثل عواء الذئب فى مكان ذلك لا نسمع ولا يستجاب لنا قال الله: فاسألهم ما الذى يعنى أن أستجيب لهم، ألست أسمع السامعين وأبصر الناظرين وأقرب المجيبين وأرحم الراحمين؟ الآن ذلت يدي؟

قلت: كيف ويداي مبسوطتان بالخير أنفق كيف أشياء ومفاتيح الخزائن عندي لا يفتحها غيرى أو لأن رحمتى ضاقت فكيف ورحمتى وسعت كل شىء، إنما يتراحم المتراحمون بفضلها أو لأن (البخل يعتربنى) أو لست أكرم الأكرمين والفتاح بالخيرات؟ أجود من أعطى وأكرم من سئل لو أن هؤلاء القوم نظروا لأنفسهم بالحكمة التى نورت فى قلوبهم فنبذوها واشتروا بها الدنيا إذا لأبصروا من حيث أتوا وإذا لأيقنوا أن أنفسهم (هى) أعدى العداة فيهم، فكيف أرفع صيامهم وهم يلبسونه بقول الزور (ويتقون) عليه بطعمة الحرام؟ وكيف أنور صلاتهم وقلوبهم صاغية إلى من يحاربنى وينتهك محارمى، أم كيف تزكو عندي صدقاتهم؟ وهم يتصدقون بأموال غيرهم وإنما أوجر عليها أهلها المغصوبين، أم كيف أستجيب لهم دعاءهم؟ وإنما هو قول بألستهم والفعل من ذلك بعيد وإنما أستجيب للداعى اللين وأنا أسمع قول المستضعف المسكين، وإن من علامة رضائى رضا المساكين، فلو رحموا المساكين وقربوا الضعفاء وأنصفوا المظلوم ونصروا المغصوب والمغلوب وأعدلوا الغائب (وأدوا) إلى اليتيم والأرملة والمسكين وكل ذى حق حقه، ثم لو كان ينبغى أن أكلم البشر إذا لكلمتهم، وإذا لكنت نور أبصارهم وسمع آذانهم ومعقول قلوبهم وإذا لدعمت أركانهم وكنت قوة أيديهم وأرجلهم، وإذا لثبت ألستهم وعقولهم.

يقولون لما سمعوا كلامى وبلغتهم رسالاتى: إنها أقاويل متقولة وأحاديث متوارثة وتأليف كما يؤلف السحرة والكهنة، وزعموا أنهم لو شاءوا أن يأتوا بحديث مثله فعلوا وأن يطلعوا

على علم الغيب ، لاطلعوا بما توحى إليهم الشياطين وكلمهم ويستخفى بالذى يقول ويسرّ وهم يعلمون أنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما يدون وما كانوا يكتمون وإنى قد قضيت يوم خلقت السماء والأرض قضاء أثبتته على نفسى وجعلت دونه أجلاً مؤجلاً لا بد أنه واقع ، فإن صدقوا بما ينتحلون من علم الغيب فليخبروك متى أنفذه أو فى أى زمان يكون وإن كانوا يقدرون على أن يأتوا بما يشاءون فليأتوا بمثل القدرة التى بها أمضيت فإنى مظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

وإن كانوا يقدرون على أن يقولوا ما يشاءون فليألفوا مثل الحكمة التى أدبر بها أمر ذلك القضاء إن كنتم صادقين فإنى قد قضيت يوم خلقت السموات والأرض أن أجعل النبوة فى الإجراء وأن أجعل الملك فى الدعاء والعز فى الأذلاء والقوة فى الضعفاء والغنى فى الفقراء والثروة فى الأثلاء (والمدائن فى الفلوات) والأجام فى المغوز والبردة فى الغيطان ، والعلم فى الجهلة والحكم فى الأميين فسلمهم متى هذا ومن القيم بها وعلى يد من أسنّه ومن أعوان هذا الأمر وأنصاره إن كانوا يعلمون ، فإنى باعث لذلك نبياً أحيا ليس أعمى من عميان ولا ضالاً من ضالين وليس بفظ ولا غليظ ولا (بصخاب) فى الأسواق (ولا متزين بالفحش) ولا قوال للخنى أسدده لكل جميل أهب له كل خلق (كريم) أجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعمو والمعروف خلقه والعدل والمعروف سيرته والحق شريعته والهدى إمامه والإسلام ملته وأحمد اسمه أهدى به بعد الضلالة وأعلم به بعد الجهالة ، ثم أرفع به بعد (الخمالة) وأشهر به بعد النكرة وأكثر به بعد القلة وأغنى به بعد المعيلة وأجمع به بعد الفرقة وأؤلف به قلوباً مختلفة وأهواء متشتتة وأمماً متفرقة وأجعل أمته خيراً أمة أخرجت للناس ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر إيماناً بى وتوحيداً لى وإخلاصاً بى يصلون لى قياماً وقعوداً وركعاً وسجوداً ويقاتلون فى سبيلى صفوفاً وزحوقاً ويخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء رضوانى ، ألهمتهم التكبير والتوحيد والتسييح والحمد والمدحة والتمجيد لى فى مساجدهم ومجالسهم ومضاجعهم ومتقلبهم ومثواهم ، يكبرون ويهللون ويقدمون على رءوس الأسواق ويطهرون لى الوجوه والأطراف ويعقدون فى الأنصاف ، قربانهم دماؤهم وأناجيلهم فى صدورهم رهابين فى الليل ليوث فى النهار ، ذلك فضلى أوتيه من أشاء وأنا ذو الفضل العظيم .

فلما فرغ نبيهم أشعياء إليهم من مقالته عدواً عليه ليقتلوه فهرب منهم فلقيته شجرة وانفلقت له فدخل فيها (وأدرك الشيطان الشجرة) فأخذ بهدبة من ثوبه فأراهم إياها فوضعوا



المنشار فى وسطها فنشروها حتى قطعوها وقطعوه فى وسطها، (فاستخلف الله) على بنى إسرائيل بعد قتلهم أشعياء رجلاً منهم يقال له ناشية بن أموص وبعث لهم الخضر نبياً - واسم الخضر أرميا بن حلفيا - وكان من سبط هارون بن عمران فأما سمي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء فقام (عنها وهى تهتز) خضراء، فقال الله لأرميا حين بعثه نبياً إلى بنى إسرائيل: يا أرميا من قبل أن أخلقك اخترتك، ومن قبل أن أصورك فى بطن أمك قدستك ومن قبل أن أخرجك من بطن أمك طهرتك، وذكر الحديث بطوله فى خطبة أرميا لقومه وفتياه التى أفتى به، ودخول بختنصر وجنوده بيت المقدس فوطئ الشام كما ذكرنا فى سورة البقرة.

فلما رأى أرميا ذلك طار حتى خالط الوحش ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس فوطئ الشام وقتل بنى إسرائيل حتى أفناهم وخرّب بيت المقدس، ثم أمر جنوده أن يملا كل رجل منهم قربته تراباً ثم يقذفه فى بيت المقدس فقفذوا فيه التراب حتى ملئوه، ثم انصرف راجعاً إلى أرض بابل واحتمل معه سبايا بنى إسرائيل وأمرهم أن يجمعوا من كان فى بيت المقدس كلهم فجمعوا عنده كل صغير وكبير من بنى إسرائيل فاختر منهم سبعين ألف صبى.

فلما خرجت غنائم جنده وأراد أن يقسمهم فيهم قالت له الملوك الذين كانوا معه: أيها الملك لك غنائمنا كلها (واقسم بيننا) فلولا الصبيان الذين اخترتهم من بنى إسرائيل، ففعل فأصاب كل رجل منهم أربعة غلّمة وكان من أولئك الغلمان دانيال، وحنانيا، وعزاريّا، وماشايل وسبعة آلاف من أهل بيت داود وأحد عشر ألفاً من سبط يوسف بن يعقوب وأخيه ابن يامين، وثمانية آلاف من سبط أشر بن يعقوب، وأربعة عشر ألفاً من سبط زبالون بن يعقوب (ونفتال) بن يعقوب وأربعة آلاف من سبط (يهوذا) بن يعقوب (وأربعة) آلاف من سبط (روبييل ولاوى) ابنى يعقوب ومن بقى من بنى إسرائيل جعلهم بختنصر ثلاث فرق: فثلثاً أقر بالشام وثلثاً سبى وثلثاً قتل.

وذهب بأبيه بيت المقدس حتى أقدمها بابل وذهب بالصبيان التسعين الألف حتى أقدمهم بابل، فكانت هذه الواقعة الأولى التى أنزل الله بنى إسرائيل بأحداثهم وظلمهم وذلك قول الله ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ يعنى بختنصر وأصحابه.

ما يروى عن حجاج عن ابن جريج عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير قال: كان رجل من بنى إسرائيل يقرأ حتى إذا بلغ ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ بكى وفاضت عيناه ثم أطبق المصحف وقال: أى رب أرنى هذا الرجل الذى جعلت هلاك بنى إسرائيل على يديه فأرى فى المنام مسكيناً ببابل يقال له: بختنصر فانطلق بمال (وبأعبد له) وكان رجلاً موسراً

(وقيل له أين) تريد؟

قال: أريد النجارة حتى نزل داراً ببابل (فأستكبر) إلهاً ليس فيها أحد غيره فجعل يدعو المساكين ويتلطف بهم حتى لا يأتيه أحد فقال: هل بقي غيركم مسكين؟ قالوا: نعم مسكين (يفتح الفلان مريض) يقال له: بختنصر، فقال لغلمانه: انطلقوا حتى أتاه، فقال: ما اسمك؟ قال: بختنصر، فقال لغلمانه احتملوه فنقل عليه فمرّضه حتى برأ فكساه وأعطاه نفقة ثم أذن الإسرائيلي بالرحيل فبكى بختنصر، فقال الإسرائيلي: ما يبكيك؟

قال: أبكى أنك فعلت بي ما فعلت ولا أجد شيئاً أجزيك، قال: بلى شيئاً يسراً إن ملكت أطعنتي فجعل لا يتبعه فيما سألت فقال: تستهزئ بي ولا يمنعك أن يعطيه ما سألت إلا أنه يرى أنه يستهزئ به قبلي الإسرائيلي، فقال: لقد علمت ما يمنعك أن تعطيني ما سألتك إلا أن الله يريد أن ينفذ ما قد قضى وكتب في كتابه وضرب الدهر من ضربه.

قال صيحورا ملك فارس ببابل: لو أنا بعثنا طليعة إلى الشام قالوا: وما ضرك لو فعلت؟ قال فمن ترون قال: فلا فبعث رجلاً وأعطاه مائة ألف وخرج بختنصر في مطبخه لا يخرج إلا ليأكل في مطبخه.

فلما قدم الشام رأى صاحب الطليعة أكثر أرض الله فرساً ورجالاً (جاء وقد كسر) ذلك في ذرعه فلم يسأل قال: فجعل بختنصر يجلس مجالس أهل الشام فيقول: ما يمنعكم أن تغزوا بابل فإذا غزوتموها ما دون بيت ما لها شيء.

فلما قدم الشام رأى صاحب الطليعة أكثر أرض الله فرساً ورجالاً (جاء وقد كسر) ذلك في ذرعه فلم يسأل قال: فجعل بختنصر يجلس مجالس أهل الشام فيقول: ما يمنعكم أن تغزوا بابل فإذا غزوتموها ما دون بيت ما لها شيء.

قال: لا نحسن القتال، قال: ولو أنكم غزوتهم قالوا: لا نحسن القتال ولا نقاتل حتى أنفذ مجالس أهل الشام، ثم رجعوا فأخبر الطليعة ملكهم بما رأى وجعل بختنصر يقول لفوارس الملك: لو دعاني الملك لأخبرته غير ما أخبره فلان، فرفع ذلك إليه فدعاه فأخبره الخبر وقال: إن فلاناً لما رأى أكثر أرض الله فرساً ورجالاً جلدأ كبر ذلك في روعه ولم يسألهم عن شيء، قال: لم أدر مجلساً شيئاً بالشام (الآجال واصلة) فقلت لهم: كذا وكذا، فقالوا لي: كذا وكذا.

قال سعيد بن جبير: وقال صاحب الطليعة لبخت نصر: إن صحبتني أعطى لك مائة ألف وتنزع عما قلت. قال: لو أعطيتني بيت مال بابل لما نزعتم الدهر من ضربة، فقال

الملك : لو بعثنا جريدة خيل إلى الشام، فإن وجدوا مساعًا وإلا اثنوا ما قدروا عليه، قال : وما ضرّك لو فعلت، قال : فمن ترون؟ قالوا : فلان . قال : هل الرجل الذى (أخبرنى بما أخبرنى) فدعا بختنصر فأرسله وانتخب معه أربعمائة ألف من فرسانهم فانطلقوا ﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ (فسبوا) ما شاء الله ولم (يخربوا) ولم يقتلوا، ومات (صيحون فقالوا) : استخلفوا رجلاً، قالوا : على رسلكم حتى يأتى أصحابكم فإنهم فرسانكم لن ينقضوا عليكم شيئاً، أمهلوا فأمهلوا حتى جاء بختنصر (بالسبي) وما معه فقسمه فى الناس، فقالوا : ما رأينا أحداً أحق بالملك من هذا فملكوه .

وقال السدى بإسناده : إن رجلاً من بنى إسرائيل رأى فى النوم أن خراب بيت المقدس هلاك بنى إسرائيل (خلى إلى) غلام يتيم ابن أرملة من أهل بابل يدعى بختنصر وكانوا يصدقون فيصدق، فأقبل يسأل عنه حتى (نزل على أبيه) وهو يحتطب فلما جاءوا على رأسه حزمة من حطب ألقاها ثم قعد فى جانب من البيت فكلمه ثم أعطاه ثلاثة دراهم، فقال : اشتر بهذا طعاماً وشراباً واشتر بدرهم لحماً وبدرهم خبزاً وبدرهم خمراً، فأكلوا وشربوا حتى كان اليوم الثانى فعل به مثل ذلك، حتى إذا كان اليوم الثالث فعل به مثل ذلك، ثم قال : إنى أحب أن (تكتب لى أماناً) إن كنت ملكت يوماً من الدهر، فقال : أتسخر منى؟ قال : إنى لا أسخر بك (ولكن ما عليك لن تتخذ) بها عندى مريداً فكلمته آية، فقالت : يا ملك إن كان مالاً لم ينقصك شيئاً فيكتب به أماناً، فقال : أرايت إن جئت والناس حولك قد حالوا بينى وبينك فاجعل لى آية تعرفنى بها، قال : ترفع صحيفتك على قصة فأعرفك بها فكساه وأعطاه .

ثم إن ملك بنى إسرائيل كان يكرم يحيى بن زكريا (عليهما السلام) ويدنى مجلسه ويستشيره فى أمره ولا يقطع أمراً دونه (فإنه هوى) أن يتزوج بنت امرأة له، فسأل عن ذلك يحيى فنهاه عن نكاحها، قال : لست أرضاها لك، فبلغ ذلك أمها فحقدت على (يحيى) حين نهاه أن يتزوج ابنتها (فذهبت إلى جارية) حين حس الملك على شرايه، فألبستها ثياباً رقيقاً خضراء وطيبتها وألبستها من الحلى وألبستها فوق ذلك كساء أسود فأرسلتها إلى الملك وأمرتها أن تسقيه وأن تتعرض له فإن راودها عن نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما سألته، فإذا أعطاه ذلك سألته أن يأتى برأس يحيى بن زكريا (عليهما السلام) فى طست، ففعلت فجعلت تسقيه وتعرض له فلما أخذ منه الشراب راودها عن نفسها، فقالت : لا (أقبل) حتى تعطينى ما أسألك، قال : ما تسألين؟ قالت : أسألك أن تبعث إلى يحيى بن زكريا فتأتى برأسه فى هذا الطست، فقال الملك : سلىنى غير هذا .

قالت: ما أريد إلا هذا، فلما أبت عليه بعث إليه فأتى برأسه (والرأس يتكلم) فى الطست حين وضع بين يديه وهى تقول (لا يحل لك)، فلما أصبح إذ دمه يغلى فأمر بتراب فألقى عليه فرمى الدم فوقه فلم يزل يلقى عليه من التراب حتى بلغ سور المدينة وهو يغلى وبلغ صحابين فثار فى الناس وأراد أن يبعث إليهم جيشاً أو يؤمر عليهم رجلاً.

فأتاه بختنصر فكلمه وقال: إن الذى كنت أرسلته تلك المرة ضعيف وإنى قد دخلت المدينة وسمعت كلام أهلها (فابعثنى) فبعثه فسار بختنصر حتى إذا بلغوا ذلك المكان (تحصنوا) منه فى مدائنهم فلم يطقهم فلما اشتد عليهم المقام وجاع أصحابه أرادوا الرجوع، فخرجت إليه عجوز من عجائز بنى إسرائيل فقالت: أين أمير الجند؟ فأتى بها إليه فقالت له: إنه قد بلغنى أنك تريد (. . . .) <sup>(١)</sup> ثم ترجع بجندك قبل أن تفتح هذه المدينة، قال: نعم، قد طال مقامى وجاع أصحابى لست أستطيع المقام فوق الذى كان منى، فقالت: رأيته إن فتحت لك المدينة أعطيتنى ما أسألك (فتقتل) من أمرتك بقتله وتكف إن أمرتك أن تكف؟ قال لها: نعم، قالت: إذا أصبحت فاقسم جندك أربعة أرباع ثم أقم على كل زاوية ربعاً ثم ارفعوا أيديكم إلى السماء فنادوا: إنا نستفتحك يا الله بدم يحيى بن زكريا فإنها سوف تتساقط، ففعلوا فتساقطت المدينة ودخلوا من جوانبها فقالت له: كف يدك وأقبل على هذا الدم حتى يسكن وانطلقت به إلى دم يحيى وهو على (تراب كثيرة) فقتل عليه حتى سكن فقتل سبعين ألفاً فلما سكن الدم، قالت له: كف يدك فإن الله تعالى إذا قتل نبي لم يرض حتى يقتل من قتله ومن رضى قتله، وأتاه صاحب الصحيفة بصحيفة فكف عنه وعن أهل بيته وخرّب بيت المقدس وأمر أن يطرح الجيفة فيه، وقال: من طرح جيفة فيه فله جزيته تلك السنة وأعانه الله على خرابة الروم من أجل أن بنى إسرائيل قتلوا يحيى.

فلما خربه بختنصر فرجبت معه بوجوه بنى إسرائيل وأشرافهم وذهب بدانيال وعليا وعزاريّا وميشائيل هؤلاء كلهم من أولاد الأنبياء وذهب معه برأس جالوت، فلما قدم أرض بابل وجد صحابين قد مات فملك مكانه وكان أكرم الناس عليه دانيال وأصحابه حسدهم المجوس على ذلك فوشوا بهم إليه وقالوا: إن دانيال وأصحابه لا يعبدون إلهك وإنما يعبدون غيره ولا يأكلون ذبيحتك فدعاهم فسألهم فقالوا: أجل إن لنا رباً نعبده ولسنا نأكل من ذبيحتكم فأمر بخذ فخذ لهم فألقوا فيه وهم ستة وألقى معهم سبعا ضارياً ليأكلهم ففعلوا ذلك فانطلقوا ليأكلوا ويشربوا فذهبوا فأكلوا وشربوا ثم راحوا فوجدوهم جلوساً والسبع مفترش ذراعيه

(١) بياض بالأصل المخطوط.

بينهم لم يחדش منهم أحداً ولم ينكأه شيئاً ووجدوا معهم رجلاً فعدوهم فوجدوهم سبعة فقالوا: ما بال هذا السابع وإنما كانوا ستة فخرج إليهم السابع وكان ملكاً من الملائكة فلطمه لطمه فصار في الوحش ومسخه الله سبع سنين فيه .

ثم إن باختصر رأى رؤيا عبرها له دانيال (عليه السلام) ، وهو ما روى إسماعيل بن عبد الكريم عن عبد الصمد بن معقل أنه سمع راهباً يقول: إن باختصر رأى فى آخر زمانه صنماً رأسه من ذهب وصدرة من فضة وبطنه من نحاس وفخذه من حديد وساقاه من فخار، ثم رأى حجراً من السماء وقع عليه فذفه ثم أتاه الحجر حتى ربا فملاً ما بين المشرق والمغرب، ورأى شجرة أصلها فى الأرض وفروعها فى السماء ثم رأى رجلاً بيده فأس، وسمع منادياً ينادى: اضرب بجذعها لتفرق الطير من فروعها وتفرق الدواب والسباع من تحتها، وأنزل ( . . . )<sup>(١)</sup> عبرها له دانيال (عليه السلام) .

قال: أما الصنم الذى رأيت فأتيت الرأس الذهب فأنت أفضل الملوك، وأما الصدر الذى رأيت من فضة فابنك يملك من (بعدك) ، وأما البطن الذى رأيت من نحاس فذلك يكون من بعد (ابنك) وأما ما رأيت من الفخذ من حديد فهو ملك أهل فارس يكون ملكهم شديداً مثل الحديد، وأما الرجل من فخار فتفرق أهل فارس فرقتين ولا يكون فيهم حينئذ قوام كما لم يكن قوام الصنم على رجلين من فخار، وأما الحجر الذى ربا حتى ملاً ما بين المشرق والمغرب فبى يبعثه الله فى آخر الزمان فيفرق ملكهم كله فيربو ملكه حتى يكون ما بين المشرق والمغرب .

وأما الشجر الذى رأيت والطير الذى عليها والسباع والدواب التى تحتها وما أمر (بقطعها فيذهب) ملكك فيردك الله طائراً يكون شر ملك الطير ثم يردك ثوراً ملك الدواب ثم يردك الله أسداً ملك السباع والوحش سبع سنين كان مسخه كله سبع سنين . فى ذلك كله قلبك قلب إنسان حتى تعلم أن الله له ملك السموات والأرض وهو يقدر على الأرض ومن عليها، وما رأيت أصلها (قائماً) فإن ملكك قائم، فمسخ باختصر نسرًا من الطير وثورًا من الدواب وأسداً من السباع ثم ردّ الله إليه ملكه فأمن ودعا الناس إلى الله .

(وسئل وهب بن منبه) أكان مؤمناً؟ قال: وجدت أهل الكتاب قد اختلفوا فيه، فمنهم من قال: مات مؤمناً، ومنهم من قال: أحرق بيت الله وكتبه وقيد الأنبياء، وغضب الله عليه غضباً، فلم يقبل منه حينئذ توبته .

وقال باختصر لما رجع إلى صورته ثانية بعد المسخ (فردّ الله) إليه ملكه: كان دانيال

وأصحابه أكرم الناس عليه فحسدتهم الجوس وقالوا لبخت نصر: إن دانيال إذا شرب الخمر لم يملك نفسه أن يبول، وكان ذلك فيهم عاراً فجعل لهم بختنصر طعاماً فأكلوا وشربوا وقال للبواب: انظر أول من يخرج عليك ليبول فاضربه بالطبرزين وإن قال: أنا بختنصر، فقل: كذبت بختنصر أمرني به فحبس الله عن دانيال البول وكان أول من قام من القوم يريد البول بختنصر وكان مدلاً وكان ليلاً، فقام يسحب ثيابه فلما رآه البواب شد عليه فقال: أنا بختنصر قال: كذبت بختنصر أمرني أن أقتل أول من يخرج فضربه فقتله.

وأما محمد بن إسحاق بن يسار فإنه قال: في هلاك بختنصر غير ما قال السدي، وذلك أنه قال بإسناده: لما أراد الله (. . . .) <sup>(١)</sup> ليعث فقال لمن كان في (. . . .) <sup>(١)</sup> وكان يعذبه من بني إسرائيل: أن أتم هذا البيت الذي خربته وهؤلاء الناس الذين قلت من هم وما هذا البيت، فقالوا: هذا بيت الله ومسجد من مساجده وهؤلاء أهله، كانوا من (ذراري الأنبياء) وظلموا (وتعذروا) وعصوا عليهم بذنوبهم وكان ربهم رب السموات والأرض ورب الخلق كلهم يكرههم ويمنعهم (ويحرمهم)، فلما فعلوا ما فعلوا أهلهم الله وسلط عليهم غيرهم.

قال: فأخبروني ما الذي يطلع بي إلى السماء العليا لعلني أطلع عليها فأقبل من فيها وأتخذها ملكاً فإني قد (فرغت) من الأرض ومن فيها، قالوا: ما يقدر عليه أحد من الخلائق، قال: لتفعلن (أو لأقتلنكم عن آخركم) فبكوا إلى الله وتضرعوا إليه، فبعث الله عليه بقدرته بعوضة ليرى ضعفه وهوانه فدخلت في منخره ثم سلفت في منخره حتى عضت بأم الدماغ، فما كان (يقر ولا يسكن) حتى توجأ له رأسه على أم دماغه فلما عرف الموت قال لخاصته من أهله: إذا مت فشقوا رأسي وانظروا ما هذا الذي قتلني، فلما مات شق رأسه فوجد البعوضة عاضة بأم دماغه، ليرى الله العباد قدرته وسلطانه ويحيى الله من كان بقى في يديه من بني إسرائيل وترحم عليهم وردهم إلى إيليا والشام فبنوا فيها وأربوا وكثروا حتى كانوا على أحسن ما كانوا عليه.

ويزعمون أن الله تعالى اختار توليت الموتى الذين قتلوا ولحقوا بهم، ثم إنهم لما رجعوا إلى الشام وقد أحرقت التوراة (وليس معهم عهد) من الله جدد الله توراته ورددها عليهم على لسان عزيز (عليه السلام) وقد مضت القصة، فهذا الذي ذكرت جميع أمر بختنصر على ما جاء في التفسير المعتمد في أخبار الأنبياء، إلا أن رواية من روى أن بختنصر هو الذي غزا بني إسرائيل عند (قتلهم) يحيى بن زكريا غلط (أهل السير) والأخبار والعلم بأمور الماضين من أهل الكتاب

(١) بياض بالأصل المخطوط.

والمسلمين، ذلك أنهم مجمعون على أن يختصر غزا بني إسرائيل عند قتلهم نبيهم أشعيا وفي عهد أورميا بن حلفيا (عليه السلام) وهى الواقعة الأولى التى قال الله: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ يعنى يختصر وجنوده، قالوا ومن عهد أورميا وتخريب يختصر بيت المقدس إلى عهد يحيى بن زكريا أربعمائة وإحدى وستون سنة، وذلك أنهم يعدون من لدن تخريب يختصر بيت المقدس إلى حين (عمارته فى عهد كوسك) سبعين سنة، ثم من بعد عمرانه إلى ظهور الإسكندر على بيت المقدس وحيازة ملكها إلى مملكة الإسكندر ثمانية وثمانين سنة، ثم من بعد مملكة الإسكندر إلى موت يحيى بن زكريا (عليه السلام) بثلاثمائة وثلاث وستين، ويروى بثلاثمائة سنة وثلاث سنين.

وإنما الصحيح من ذلك ما ذكر محمد بن إسحاق بن يسار قال: كثر عن بني إسرائيل بعدما عمرت الشام وعادوا إليها بعد إخراب يختصر إياها وسبيهم منها، فجعلوا بعد ذلك يحدثون الأحداث بعد مهلك عزيز (عليه السلام) ويتوب الله عليهم وبعث الله فيهم الأنبياء وفريقاً يكذبون وفريقاً يقتلون حتى كان آخر من بعث الله فيهم من أنبيائهم زكريا ويحيى وعيسى وكانوا من بيت آل داود، فمات زكريا وقتل يحيى بسبب رغبة الملك عن نكاح ابنته، فى قول عبد الله بن الزبير وبنت أخته فى قول السدى وبنت أخيه فى قول ابن عباس.

وهو الأصح إن شاء الله، لما روى الأعمش عن المنهال عن سعيد بن جبيرة قال: بعث عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا فى اثني عشر من الحواريين يعلمون الناس، وكان مما نهوهم نكاح بنت الأخ، قال: وكانت لملكهم بنت أخ تعجبه يريد أن يتزوجها وكانت لها فى كل يوم حاجة يقضيها، وذكر الحديث بطوله فى مقتل يحيى.

رجعنا إلى حديث ابن إسحاق، فلما رفع الله موسى من بين أظهرهم وقتلوا يحيى بن زكريا، وبعض الناس يقول: قتلوا زكريا انبعث عليهم ملك من ملوك بابل يقال له: خردوس فسار إليهم بأهل بابل حتى دخل عليهم الشام، فلما ظهر عليهم أمر رأساً من رؤوس جنوده يدعى (نبور زاذان) صاحب القتل فقال له: إني قد كنت حلفت بإلهي لئن أنا ظهرت على أهل بيت المقدس لأقتلنهم حتى تسيل دماؤهم فى وسط عسكرى، إلا أنى لا أجد أحداً أقتله، فأمره أن يقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم نبور زاذان، فدخل بيت المقدس وكان فى البقعة التى كانوا يقربون فيها قربانهم (فوجد فيها دماً يغلى) فسألهم عنه، قالوا: هذا دم قربان قربناه فلم يقبل منا فلذلك هو يغلى كما تراه ولقد قربنا منذ ثمانمائة سنة القربان فتقبل منا إلا هذا القربان، قال: ما صدقتمونى الخبر قالوا له: لو كان كأول زماننا لقبول منا ولكنه قد انقطع منا الملك

والنبوة والوحى فلذلك لم يتقبل منا فذبح منهم (نبور زاذان) على ذلك الدم سبعمائة وسبعين رأساً من رؤسائهم فلم يهدأ فأمر بسبعة آلاف من شيعهم وأزواجهم فذبحهم على الدم فلم يبرد ولم يهدأ فلما رأى نبور زاذان أن الدم لا يهدأ قال لهم: ويلكم يا بنى إسرائيل اصدقوني واصبروا على أمر ربكم (فقد طال) ما ملكتم فى الأرض، تفعلون فيها ما شئتم قبل أن لا أترك نافخ نار لا أنشى ولا ذكر إلا قتلته فلما (رأوا الجهد) وشدة القتل صدقوه القول فقالوا له: إن هذا دم نبى منا كان ينهانا عن أمور كثيرة من سخط الله فلو أظعنا فيها لكان أرشد لنا وكان يخبرنا بالملك فلم نصدقهم فقتلناه فقال لهم نبور زاذان: ما كان اسمه؟ قال: يحيى بن زكريا، قال: وهل صدقتمونى، بمثل هذا ينتقم منكم ربكم، فلما رأى نبور زاذان أنهم قد صدقوه خراً ساجداً وقال لمن حوله: أغلقوا أبواب المدينة واجمعوا من كان هاهنا من جيش خردوس وخلا فى بنى إسرائيل.

قال: يا يحيى بن زكريا قد علم ربي وربك ما قد أصاب قومك من أجلك وما قتل منهم من أجلك فاهدأ بإذن الله قبل أن لا يبقى من قومك أحد، فهدأ دم يحيى بن زكريا بإذن الله، ورفع نبور زاذان عنهم القتل (وقال: آمنت بما آمنت به بنو إسرائيل وصدقت به وأيقنت أنه لا رب غيره، ولو كان معه آخر لم يصلح ولو كان له شريك لم تستمسك السموات والأرض، ولو كان له ولد لم يصلح، فتبارك وتقدس وتسبح وتكبر وتعظم ملك الملوك الذى له ملك السموات السبع والأرض وما فيهن وما بينهن، وهو على كل شىء قدير فله الحكم والعلم والعزة والجبروت وهو الذى بسط الأرض وألقى فيها رواسى لثلا تزول، فكذلك ينبغى لربى أن يكون ويكون ملكه) فأوحى الله تعالى إلى رءوس من رءوس بقية الأنبياء أن نبور زاذان حبور صدوق.

وإن نبور زاذان قال لبنى إسرائيل: يا بنى إسرائيل إن عدو الله خردوس أمرنى أن أقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكره وإنى لست أستطيع أن أعصيه قالوا له: افعل ما أمرت به فأمرهم فحفروا خندقاً وأمر بأموالهم من الخيل والبغال والحمير والإبل والبقر والغنم فذبحها حتى سال الدم فى العسكر وأمر بالقتلى الذين كانوا قتلوا قبل ذلك فطرحوا على ما قتل من مواشيهم حتى كانوا فوقهم، فلم يظن خردوس إلا أن ما كان فى الخندق من بنى إسرائيل فلما بلغ الدم عسكره أرسل إلى نبور زاذان أن ارفع عنهم القتل فقد بلغنى دماؤهم (وقد انتقمت منهم لما فعلوا) ثم أنصرف عنهم إلى بابل وقد أفنى بنى إسرائيل أو كاد، وهى الواقعة الأخيرة التى أنزل الله ببنى إسرائيل فى قوله: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ



مَرَّتَيْنِ ﴿الآيات .

وكانت الوقعة الأولى: بختنصر وجنوده ثم ردَّ الله لهم الكرة عليهم وكانت الوقعة الأخيرة خردوس وجنوده فلم (....) (١) همام بعد ذلك (....) (١) فانتقل الملك بالشام ونواحيها إلى الروم واليونان، ثم إن بنى إسرائيل كثروا وانتشروا بعد ذلك وكانت لهم بيت المقدس (بزواجها) على غير وجه الملك وكانوا فى أهبة ومنعة إلى أن بدلوا وأحدثوا الأحداث وانتهكوا المحارم وضربوا الحدود فسلط الله عليهم ططوس بن سيانو الرومى، فأخرب بلادهم وطردهم عنها ونزع الله عنهم الملك والرياسة وضرب عليهم الذلة، فليسوا فى أمة من الأمم إلاّ وعليهم (الصفار) والملك فى غيرهم وبقي بيت المقدس خراباً إلى أيام عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) عمّره المسلمون بأمره.

وروى أبو عوانة عن أبى بشير قال: سألت سعيد بن جبير عن قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ الْآيَاتِ﴾ فقال: أما الذين ﴿فَجَاسُوا خَلَلِ الدِّيَارِ﴾ فكان مرحا بن الجزرى ﴿فَإِذَا جَاءَ﴾ إلى قوله: ﴿تَنْبِيْرًا﴾ فكان جالوت الجزرى شعبة من (....) (١). ثم قال: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ﴾ إلى قوله: ﴿تَنْبِيْرًا﴾ قال: هذا بختنصر الذى خرب بيت المقدس.

ثم قال لهم بعد ذلك ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ (على هذا ثم) ﴿وَإِن عُدْتُمْ عَدُنَا﴾ قال فعادوا فعيد عليهم فبعث الله عليهم ملك الروم ثم عادوا أيضاً فعيد عليهم فبعث الله عليهم ملك (....) (١) ثم عادوا أيضاً فعيد عليهم سابور ذو الأكتاف.

قتادة فى هذه الآية (وقضينا) قضى على القوم كما تسمعون فبعث عليهم فى الأولى جالوت، فسبى وقتل وخرب ﴿فَجَاسُوا خَلَلِ الدِّيَارِ﴾، ثم ردنا لكم يا بنى إسرائيل الكرة عليهم والملك فى زمان داود (عليه السلام) ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ الْآخِرَةُ﴾ آخر الكرتين بعث الله عليهم بختنصر أبغض خلق الله، فسبى وقتل وخرب بيت المقدس وسامهم سوء العذاب، ثم قال: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ فعاد الله إليهم برحمته ثم عاد (الله إليهم بشر بما عذبهم، فبعث الله عليهم ما شاء أن يبعث من آفته وعقوبته، ثم بعث الله عليهم هذا الحى من العرب كما قال: ﴿وَإِذ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْفَيْسَمَةِ مِنْ سَوْمِهِمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ (الأعراف: ١٦٧) (....) (١).

﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾ أى أخبرناهم وعلمناهم ما آتيناهم من الكتب. وقال ابن عباس وقتادة: يعنى وقضينا عليكم، وعلى هذا التأويل يكون (إلى) بمعنى

(على) وبمعنى بالكتاب اللوح المحفوظ، «لَتُفْسِدُنَّ» قيل: لام القسم مجازة: والله لتفسدن ﴿فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ بالمعاصي «وَلَتَعْلُنَّ» ولتستكبرن ولتظلمن الناس ﴿عُلُوقًا كَبِيرًا﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ أُولَهُمَا ﴿يعنى أولى المرتين واختلفوا فيها فعلى قول قتادة: إفسادهم فى المرة الأولى ما خالفوا من أحكام التوراة (وحكموا) ربهم ولم يحفظوا أمر نبيهم موسى (عليه السلام) وركبوا المحارم وتعدوا على الناس.

وقال السدى: فى خبر ذكره عن أبى مالك وأبى جهل عن ابن عباس وعن أمية الهمداني عن ابن مسعود: إن أول الفسادين قتل زكريا.  
وقال ابن إسحاق: إن إفسادهم فى المرة الأولى قتلهم أشعيا بن أمصيا فى عهد أرمياء فى الشجرة.

وقال ابن إسحاق: إن بعض أهل العلم أخبره أن زكريا مات موتاً ولم يقتل وأن المقتول هو أشعيا (عليه السلام).

﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا﴾ يعنى (جالوت الجزرى) وجنوده وهو الذى قتله داود.  
قال قتادة: وهى رواية العوفى عن ابن عباس، وقال أبو المعلى ويعلى عن سعيد بن جبير: هم صحاريب من أهل نينوى، وهى الموصل.

أبو بشير عنه: صرخان الحزرى، وقال ابن إسحاق: بختنصر البابلى وأصحابه.  
﴿أُولَى بَأْسٍ﴾ يعنى بطش، وفى الحرب ﴿شَدِيدٍ فَجَاسُوا﴾ أى خافوا وداروا.  
قال ابن عباس: مشوا، الفراء: قتلوكم بين بيوتكم.  
وأنشد لحسان:

ومنا الذى لاقى بسيف محمد  
فجاس به الأعداء عرض العساكر  
أبو عبيدة: طلبوا ما فيها كما يجوس الرجل الأخبار أى يطلبها.  
القتيبى: (عاشوا وقتلوا) وأفسدوا.

ابن جرير: طافوا من الديار يطلبونهم ويقتلونهم ذاهبين وجائين فجمع التأويلات.  
وقرأ ابن عباس: ﴿فَجَاسُوا﴾ بالهاء ومعناها واحد.  
﴿حَلَلِ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعَدًا مَّفْعُولًا﴾ قضاء كائناً لا خلف فيه ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ﴾ الرجعة والدولة ﴿عَلَيْهِمْ وَأَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ عدداً.  
قال القتيبي: والنفير من نفر مع الرجل من عشيرته وأهل بيته، يقال: النفير والنافر، وأصله التقدير والقادر.

﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ﴾ يا بنى إسرائيل ﴿أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾ لها ثوابها ونفعها ﴿وَأِنْ أَسَآءْتُمْ فَلَهَا﴾ أى فعلها كقوله: ﴿فَسَلَّمْ لَكَ﴾ (الواقعة: ٩١) أى عليك .

وقال محمد بن جرير: قالها كما قال: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ (الزلزلة: ٥) أى إليها، وقيل: فلها الجزاء والعقاب .

وقال الحسين بن الفضل: يعنى فلها رب يغفر الإساءة .

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ الْآخِرَةَ﴾ أى المرة الآخرة من إفسادكم وذلك على قصدهم قتل عيسى (عليه السلام) يحيى حين رُفِعَ، وقتلهم يحيى بن زكريا (عليه السلام) فسلط الله عليهم الفرس والروم (. . . .) <sup>(١)</sup> قتلوهم وسبوهم ونفوههم عن بلادهم وأخذوا بلادهم وأموالهم فذلك قوله ﴿لَيْسْتُمْ أَوْ جُوهَكُمُ﴾ أى ليحزن، واختلف القراء فيه، فقرأ الكسائي: (لنساء) بالنون وفتح الهمزة على التعظيم اعتباراً، وقضينا وبعثنا ورددنا وأمددنا وجعلنا .

وروى ذلك عن على (رضى الله عنه): وتصديق هذه القراءة قرأ أبى بن كعب: (لنسون) وجوهكم بالنون وحرف التأكيد .

وقرأ أهل الكوفة: بالياء على التوحيد، ولها وجهان: أحدهما: ليسوء الله وجوهكم، والثانى: ليسوء (العدو) وجوهكم .

وقرأ الباقون: (ليسؤ وجوهكم) بالياء وضم الهمزة على الجمع، بمعنى ليسؤ العباد أولى بأس شديد وجوهكم ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾ يعنى بيت المقدس ونواحيه ﴿كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ و﴿لِيَتَبَرَّوْا﴾ وليهلكوا أو ليدمروا ﴿مَا عَلَوْا﴾ غلبوا عليه (تدميراً) ﴿تَنْبِيْراً عَسَىٰ﴾ لعل ﴿رَبُّكُمْ﴾ يا بنى إسرائيل ﴿أَنْ يَّرْحَمَكُمْ﴾ بعد انتقامهم منكم ﴿وَأِنْ عُدْتُمْ عَدْنَا﴾ .

قال ابن عباس: وإن عدمتم إلى المعصية عدنا إلى العقوبة، فعادوا فبعث الله عليهم محمداً رسول الله ﷺ يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ معيناً سجنًا ومحبساً من الحصر وهو الحبس، والغرب تسمى (النخيل) حصوراً والملك حصيراً، لأنه محجوب ومحبوس عن الناس .

قال لييد:

وقماقم غلب الرقاب كأنهم جن لدى باب الحصير قيام

أى باب الملك ومنه: انحصر فى الكلام إذا (احتبس عليه) وأعياه، والرجل المحصور عن

النساء وحصر الغائط .

(١) بياض بالأصل المخطوط .

قال الحسن ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ أى فراشاً ومهاداً، ذهب إلى الحصير الذى يفرش، وذلك أن العرب تسمى البساط الصغير حصيراً، وهو وجه حسن وتأويل صحيح.



﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحْوَنًا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلَمِنَهُ طَائِفَةٌ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَأَنَا لِيَهْتَدَىٰ لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَأَنَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ أى الطريقة التى (هى أسد وأعدل وأصوب) ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ وهو الجنة ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ وهى النار ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ﴾ حذف الواو هنا فى اللفظ والخط ولم تحذف فى المعنى لأنها فى موضع رفع وكان حذفها باستقلالها اللام الساكنة كقوله: ﴿سَدَّعَ الرَّبَّانِيَّةُ﴾ (العلق: ١٨)، ﴿وَيَبْحُ اللَّهُ الْبَاطِلُ﴾ (الشورى: ٢٤)، ﴿يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النساء: ١٤٦)، ﴿يُنَادِ الْمُنَادِ﴾ (ق: ٤٧)، ﴿فَمَا تَعْنِ أَلْتُدُنُّ﴾ (القمر: ٥) ومعنى الآية ويدع الإنسان على (ماله وولده ونفسه بالسوء) وقوله عند الضجر والغضب: اللهم العنه اللهم أهلكه ﴿دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ﴾ أى كدعائه ربه أن يهب له العافية والنعمة ويرزقه السلامة فى نفسه وماله وولده (بالشر لهلك) ولكن الله بفضله لا يستجيب له فى ذلك، نظيره قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَعْلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَعْجَلَهُمْ بِالْخَيْرِ لَفُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ﴾ (يونس: ١١)، ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ عجلًا بالدعاء على ما يكره أن يستجاب له فيه.

قال مجاهد وجماعة من المفسرين، وقال ابن عباس: (يريد) ضجرًا لا صبرًا له على سراء

ولا ضراء.

وقال قوم من المفسرين: أراد بالإنسان آدم.

قال سلمان الفارسي: أول ما خلق الله من آدم رأسه، فجعل ينظر وهو يخلق جسده فلما كان عند العصر بقيت رجلاه لم يث فيها الروح، فقال: يا رب عجل قبل الليل فذلك قوله ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾.

وروى الضحاك عن ابن عباس قال: لما خلق الله رأس آدم نظر إلى جسده فأعجبه، فذهب لينهض فلم يقدر، فهو قول الله ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ وقيل: المراد آدم فإنه لما اهتدى للصح إلى سترته ذهب لينهض فسقط. يروى أنه علم وقع أسيراً إلى سودة بنت زمعة فرحمته لأثينه فأرخت من كتافه فهرب فدعا النبي عليها بقطع اليد ثم ندم فقال: اللهم إنما أنا بشر فمن دعوت عليه فاجعل دعائي رحمة له فنزلت هذه الآية.

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ﴾ دلالتين وعلامتين على وحدانيتنا ووجودنا وكمال علمنا وقدرتنا وعدد السنين والحساب ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ قال أبو الطفيل: سأل ابن الكواء علياً (رضي الله عنه) فقال: ما هذا السواد في القمر؟ فقال علي: ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ وهو المحو.

وقال ابن عباس: الله نور الشمس سبعين جزءاً ونور القمر سبعين جزءاً فمحا من نور القمر تسعة وستين جزءاً فجعله مع نور الشمس فالشمس على مائة وتسعة وثلاثين جزءاً والقمر على جزء واحد.

﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ﴾ وهي الشمس ﴿مُبْصِرَةً﴾ منيرة مضيئة.

وقال أبو عمرو بن العلاء: يعني بصرها.

قال الكسائي: هو من قول العرب أبصر النهار إذا أضاء وصار بحالة يبصرها.

وقال بعضهم: هو كقولهم: (رجل خبيث مخبث إذا كان أصحابه خبيثاً ورجل مضعف

إذا كانت دوابه ضعافاً فكذلك النهار مبصراً إذا كان أهله بصراء)<sup>(١)</sup>.

﴿لَتَبْتَغُوا أَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَصَلَّنَا تَقْصِيلاً﴾ بيناه تبييناً.

مقاتل بن علي عن عكرمة عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله تعالى

لما أبرم خلقه فلم يبق من خلقه غير آدم خلق شمساً من نور عرشه وقمرأ فكانا جميعاً شمسين

فأما ما كان في سابق علم الله أن يدعها شمساً فإنه خلقها مثل الدنيا ما بين مشارقها ومغاربها

وأما ما كان في سابق علمه أن يطمسها فيحولها قمرأ فخلقها دون الشمس من العظيم ولكن

(١) بياض بالأصل المخطوط. وما بين القوسين من القرطبي (١٠/٢٢٩).

إنما يرى صغرهما من شدة ارتفاع السماء وبعدهما عن الأرض ، فلو ترك الله الشمس والقمر كما خلقهما لم يعرف الليل من النهار ولا النهار من الليل ولا كان يدرك الأجير إلى متى يعمل ومتى يأخذ أجره ولا يدرى الصائم إلى متى يصوم ومتى يفطر ، ولا تدرى المرأة كيف تعتد ولا يدرى المسلمون متى وقت صلاتهم ومتى وقت حجهم ، ولا يدرى الديان متى يحل دينهم ولا تدرى الناس متى يبذرون ويزرعون لمعاشهم ومتى يسكنون لراحة أبدانهم فكان الرب سبحانه أنظر لعباده وأرحم بهم فأرسل جبرائيل (فأمّر) جناحه على وجه القمر وهو يومئذ شمس فطمس عنه الضوء وبقي فيه النور ، فذلك قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ لِّمَنۡ فَحَوَّنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ (والسواد) الذى ترونه فى جوف القمر يشبه الخطوط ، فهو أثر المحو .

﴿ وَكُلَّ إِنۡسَانٍ أَلۡمَنۡنَا بِرِزۡقِهِ ۗ فِىۡ عُنُقِهِ ۗ ﴾ قال ابن عباس : وما قدر عليه (من خير وشر) فهو ملازمه أينما كان .

الكلبي ومقاتل : خيره وشره معه لا يفارقه حتى يحاسب به (وتلا الحسن : ﴿ عَنِ الۡيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾ (ق : ١٧)) ثم قال يا بن آدم بسطت لك صحيفتك ووكل بك ملكان أحدهما عن يمينك والآخر (عن يسارك فأما الذى عن يمينك فيحفظ حسناتك ، وأما الذى عن شمالك فيحفظ سيئاتك فاعمل ما شئت أقلل أو أكثر حتى إذا مت طويت صحيفتك فجعلت فى عنقك معك فى قبرك حتى تخرج يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً) .

مجاهد : عمله ورزقه ، وعنه : ما من مولود يولد إلا وفى عنقه ورقة مكتوب فيها شقى أو سعيد .

وقال أهل المعانى : أراد بالطائر ما قضى عليه (أنه) عامله فيما هو صائر إليه من سعادة أو شقاوة ، وإنما عبر عنه بالطائر على عادة العرب كما كانت تتفاءل به أو تتشاءم من سوانح الطير وبوارحها .

أبو عبيد واليعنى : أراد بالطائر حظه من الخير والشر من قولهم طار منهم فلان بكذا أى جرى له الطائر بكذا .

وقرأ الحسن ومجاهد وأبو رجاء : ﴿ طَبَّرَهُ فِى عُنُقِهِ ۗ ﴾ بغير ألف وإنما خص عنقه دون سائر أعضائه ، لأن العنق موضع السمات وموضع القلائد والأطراف وغير ذلك مما يشين أو يزين ، فجرى كلام العرب بنسبة الأشياء اللازمة إلى الأعناق فيقولون هذا فى عنقى حتى أخرج منه وهذا الشيء (لازم صليت) عنقه .

﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا﴾ قرأ الحسن ومجاهد وابن محيصن ويعقوب: (ويخرج) بفتح الياء وضم الراء على معنى ويخرج له الطائر يوم القيامة كتاباً على الحال، ويحتمل أن يكون معناه ويخرج له الطائر فيصير كتاباً.

وقرأ أبو جعفر: (ويخرج) بضم الياء وفتح الراء على غير تسمية الفاعل ومجازه ويخرج له الطائر كتاباً.

وقرأ يحيى بن وثاب: (ويخرج) أى ويخرج الله.

وقرأ الباقون: بنون مضمومة وكسر الراء على معنى ونحن نخرج له يوم القيامة كتاباً ونصب ﴿كِتَابًا﴾ بإيقاع الإخراج عليه واحتج أبو عمرو لهذه القراءة بقوله ﴿الزَّمَنَةُ﴾.

﴿يَلْقَاهُ﴾ قرأ أبو عامر وأبو جعفر: (تلقاه) بضم التاء وتشديد القاف يعنى تلقى الإنسان ذلك الكتاب أى (يؤتا). وقرأ الباقون: بفتح الياء أى يراه. ﴿مَنْشُورًا﴾ نصب على الحال.

عن بسطام بن مسلم قال: سمعت أبا النجاج يقول سمعت أبا السوار العدوى يقرأ هذه الآية ثم قال: نشرتان وعليه ما حبيت يا ابن آدم فصحيفتك منشورة فاعمل فيها ما شئت، فإذا مت طويت ثم إذا بعثت نشرت.

﴿أَقْرَأَ كِتَابَكَ﴾ يعنى فيقال له اقرأ كتابك ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ محاسباً مجازياً. قتادة: سيقراً يومئذ كل من لم يكن فى الدنيا مجازياً.

وقال الحسن: (قد عدل والله عليك من جعلك حسيب نفسك).

﴿مَنْ أَمْتَدَىٰ فَإِنَّا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ لها نوليه ﴿وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ لأن عليها عقابه ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ ولا يحمل حامله عمل آخر من الأثام ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ إقامة للحجة عليهم بالآيات التى تقطع عذرهم ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْبَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾.

قرأ عثمان النهدي وأبو رجاء العطاردي وأبو العالية (وأبو جعفر) ومجاهد: (أمرنا) بتشديد الميم أى خلطنا شرارها فعصوا فيها، فإذا فعلوا ذلك أهلكتهم.

وقرأ الحسن وقاتدة وأبو حياة الشامى ويعقوب: (أمرنا) ممدودة أى أكثرنا.

وقرأ الباقون: بكسر الميم، أى أمرناهم بالطاعة فعصوا، ويحتمل أن يكون بمعنى جعلناهم أمراً لأن العرب تقول أمر غير مأمور أى غير مؤمر، ويجوز أن يكون بمعنى أكثر ما يدل عليه قول النبي ﷺ: «خير المال مهرة مأمورة أو سكة مأبورة» أراد بالمأمورة كثرة النسل ويقال للشئ الكثير: أمر، والفعل منه أمر يأمرون أمراً إذا كثروا.

وقال لبيد:

كل بنى حرة مصيرهم  
إن يغبطوا يهبطوا وإن أمروا  
قل وإن أكثرت من العدد  
يوماً يصيروا للهلك والنقد  
واختاره أبو عبيد وأبو حاتم وقرأه العامة.

وقال أبو عبيد: إنما اخترنا هذه القراءة، لأن المعاني الثلاثة تجتمع فيها معنى الأمر والإمارة والكثرة، «متر فيها» (١) «...» وهم أغنياؤها ورؤساؤها «فَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ» يوجب عليها العذاب «فَدَمَّرْنَا تَدْمِيرًا» فجزيناها (وأهلكناهم إهلاكًا بأمر فيه أعجوبة).  
روى معمر عن الزهري قال: دخل رسول الله ﷺ يوماً على (زينب) وهو يقول: «لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه» قالت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون، قال: «نعم إذا كثر الخبث».



﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ مَن  
كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا  
مَدْحُورًا ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿  
كُلًّا نُمِدُّ هُنُوًا وَهَنُورًا وَمِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿ أَنْظَرَ كَيْفَ  
فَضَلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۗ وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ  
إِلَهًا آخَرَ فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُومًا ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ  
إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا  
قَوْلًا كَرِيمًا ﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿  
رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿  
﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾ تخوف كفار مكة ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا  
بَصِيرًا﴾ وقد اختلفوا في مبلغ مدة القرن:

قال عبد الله بن أبي: وفي القرن عشرون ومائة سنة، فبعث رسول الله ﷺ في أول قرن كان

(١) بياض بالأصل المخطوط.



وأخرهم يزيد بن معاوية .

وروى محمد بن القاسم عن عبد الله بن بشير المازني أن النبي ﷺ وضع يده على رأسه وقال : « سيعيش هذا الغلام قرناً » فقلت : كم القرن ؟ قال : « مائة سنة » .  
قال محمد بن القاسم : ما زلنا نعدله حتى (تمت) مائة سنة ثم مات .  
وقال الكلبي : القرن ثمانون سنة .

وروى عمر بن شاعر عن ابن سيرين قال : قال رسول الله ﷺ : « القرن أربعون سنة » .  
﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ ﴾ يعنى الدنيا فعبرنا بحرف عن الاسم ، أراد بالدار العاجلة ﴿ عَجَلْنَا لَهُ ﴾ فيها ما نشاء ﴿ من البسط والتقدير ﴾ ﴿ لَمَنْ يُرِيدُ ﴾ أن يفعل به ذلك (أول) إهلاكه ، ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ ﴾ فى الآخرة ﴿ يَصَلُّهَا ﴾ يدخلها ﴿ مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴾ مطروداً مبعداً ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا ﴾ وعمل لها عملها ﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴾ مقبولاً غير مكفور ﴿ كَلَّا نُنَدُّهُ هُنَّوَلَاءَ وَهَؤُلَاءِ ﴾ أى نمد كلا الفريقين ، من يريد العاجلة ومن يريد الآخرة فيرزقهما جميعاً ﴿ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ﴾ ثم يختلف بهما الحال فى المال ﴿ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ ممنوعاً (محبوساً) عن عباده ﴿ أَنْظِرْ يَا مُحَمَّدُ ﴾ كيف فضّلنا بعضهم على بعض ﴿ فى الرزق والعمل ، يعنى طالب العاجلة وطالب الآخرة ﴾ ﴿ وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ لا تجعل مع الله إلهاً آخر ﴿ الخطاب إلى النبي ﷺ والمراد به غيره ﴾ ﴿ فَتَقَعْدُ ﴾ فتبقى ﴿ مَذْمُومًا مَخْذُولًا ﴾ وقضى ﴿ أمر رَبِّكَ ﴾ .

قال ابن عباس وقتادة والحسن قال زكريا بن سلام : جاء رجل إلى الحسن وقال إنه طلق امرأته ثلاثاً ، فقال : إنك عصيت ربك وبنات منك امرأتك . فقال الرجل : قضى الله ذلك على .

قال الحسن وكان فصيحاً : ما قضى الله ، أى ما أمر الله وقرأ هذه الآية ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ فقال الناس : تكلم الحسن فى (القدر) .

وقال مجاهد وابن زيد : وأوصى ربك ، ودليل هذا التأويل قراءة على وعبد الله وأبى : (ووصى ربك) .

وروى أبو إسحاق (الكوفى) عن شريك بن مزاحم أنه قرأ : (ووصى ربك) وقال : إنهم (أدغموا) الواو بالصاد فصارت قافاً .

وقال الربيع بن أنس : (وأوجب) ربك ألا تعبدوا إلا إياه .  
﴿ وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا احْسِبُوا أَن تَتَلَوثُوا ﴾ أى وأمر بالأبوين إحساناً برأ بهما وعطفاً عليهما ﴿ إِمَّا يَبْتَغَِنَّ عِنْدَكَ

الْكَبِيرِ الكسائي بالألف، وقرأ الباقون: (يلغن) بغير الألف على الواحدة وعلى هذه القراءة قوله: ﴿أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾ كلام (مستأنف) كقوله: ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ (المائدة: ٧١)، وقوله: ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾ (طه: ٦٢) ثم ابتداء فقال: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَلْفٌ﴾ فيه ثلاث لغات بفتح الفاء (حيث قد رفع) وهى قراءة أهل مكة والشام واختيار يعقوب وسهيل.

و﴿أُفٍ﴾ بالكسر والتنوين وهى قراءة أهل المدينة وأيوب وحفص.  
و﴿أَفٌ﴾ مكسور غير منون وهى قراءة الباقيين من القراء، وكلها لغات معروفة معناها واحد.  
قال ابن عباس: هى كلمة كراهة. مقاتل: الكلام الردىء الغليظ.

أبو عبيد: أصل الألف والتف الوسخ على الأصابع إذا فتلتها وفرق الآخرون بينهما فقيل الألف ما يكون فى المغابن من العرق والوسخ، والتف ما يكون فى الأصابع، وقيل: الألف وسخ الأذن والتف وسخ (الأظفار) وقيل: الألف وسخ الظفر والتف ما رفعت يدك من الأرض من شىء حقير.

﴿وَلَا تَنْهَرُهُمَا﴾ لا تزجرهما ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ حسناً جميلاً.

وقال ابن المسيب: كقول العبد المذنب للسيد الفظ.

وقال عطاء: لا تسمهما ولا تكنهما وقل لهما: يا أبتاه ويا أماه.

مجاهد فى هذه الآية: إن بلغا عندك من الكبر ما يولان ويحدثان فلا تتعذرهما، ولا تقل لهما أف حين ترى الأذى وتميط عنهما الخراء والبول كما كانا يميطنانه عنك صغيراً ولا تؤذهما.  
وروى سعيد بن المسيب: أن (العاق) يموت ميتة سوء، وقال رجل لرسول الله (صلى الله عليه وآله): إن أبوى بلغا من الكبر أنى أوليهما ما وليا منى فى الصغر فهل قضيتهما؟ قال (صلى الله عليه وآله): «لا فإنهما كانا يفعلان لك وهما يحبان بقاءك وأنت تفعل وأنت تريد موتهما».

﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾.

قال عروة بن الزبير: ألن لهما حتى لا يمتنع من شىء أحياء.

مقاتل: ألن لهما جانبك فاخضع لهما.

وقرأ الحسن وسعيد بن جبير وعاصم الجحدري: (جناح الذل) بكسر الذال أى (لا تستصعب معهما).

﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَنهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾.

قال ابن عباس: هو منسوخ بقوله ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ﴾ (التوبة: ١١٣) الآية.

روى شعبة عن يعلى بن عطاء عن أبيه عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «رضا الله تعالى مع رضا الوالدين وسخط الله مع سخط الوالدين».

عطاء عن عائشة قال: قال رسول الله ﷺ: «يقال للعاق اعمل ما شئت إنى لا أغفر لك ويقال للبار اعمل ما شئت وإنى أغفر لك».

روى عطاء عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «من أمسى وأصبح مرضياً لوالديه أصبح وله بابان مفتوحان إلى الجنة، وإن أمسى وأصبح مسخطاً لوالديه أصبح وله بابان إلى النار وإن واحداً فواحد».

فقال رجل: يا رسول الله وإن ظلمناه؟ قال: «وإن ظلمناه»، ثلاث مرات.

وروى رشيد بن سعد عن أبي هانئ الخولاني عن أبي عمر (القصبى) قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله دلنى على عمل أعمله يقربنى إلى الله؟ قال: «هل لك والدة ووالد؟» قال: نعم. قال: «فإنما يكفى مع البر بالوالدين العمل (اليسير)».

﴿بِكُمْ أَكْرُبُ مَا فِى نَفْسِكُمْ﴾ من بر الوالدين وعقوقهما ﴿إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾ أبراراً مطيعين فيما أمركم الله به بعد تقصير كان منكم فى القيام بما لزمكم من حق الوالدين، وغير ذلك من فرائض الله ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ﴾ بعد المعصية والهفوة ﴿غُفُورًا﴾.

وقال سعيد بن جبير فى هذه الآية: هو الرجل يكون منه المبادرة إلى أبويه لا يريد بذلك إلاّ الخير، فإنه لا يؤخذ به.

واختلف المفسرون فى معنى الأوابين:

فقال سعيد بن جبير: الراجعين إلى الخير، سعيد بن المسيب: الذى يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب.

مجاهد عن عبيد بن عمر: هو الذى يذكر ذنوبه فى الخلاء فيستغفر الله تعالى عنها.

عمرو بن دينار: هو الذى يقول: اللهم اغفر لى ما أصبت فى (مجلسى) هذا.

ابن عباس: الراجع إلى الله فيما لحق به ونيوبه، والأواب فعال من أوب إذا رجع.

قال عبيد بن الأبرص:

وكل ذى غيبة يؤوب      وغايب الموت لا يؤوب

وقال عمرو بن شرحبيل: وهى رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس دليله قوله: ﴿يَجِبَالٌ﴾

أَوْبَى مَعَهُ ﴿سَبَا: ١٠﴾ .

الوالبي عنه : المطيعين المحبتين .

قتادة : المصلين . عون العقيلي : هم الذين يصلون صلاة الضحى .

ابن المنكدر : بين المغرب والعشاء .

روى ابن إدريس عن أبيه عن سعيد بن جبير قال : الأوابين الرغابين .



﴿وَأَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذِرْ تَبْذِيرًا ۖ إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا  
إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ۖ وَإِنَّمَا تَعْرِضَنَ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ  
تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مِّسُورًا ۖ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسِطِ  
فَتَقْعَدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ۖ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا  
بَصِيرًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِن قُتِلْتُمْ كَانَتْ خَطَا  
كَبِيرًا ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ  
إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطٰنًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ  
مَنْصُورًا ۖ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۗ إِنَّ  
الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ۖ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلَّمْتُمْ وِزْنًَا بِالْقِسْطِ ۗ الْمُسْتَقِيمِ ۗ ذٰلِكَ خَيْرٌ  
وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۖ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۗ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ  
عِنْدَهُ مَسْئُولًا ۖ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ۖ  
كُلُّ ذٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ۖ ذٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ۗ وَلَا  
تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ۖ أَفَأَصْفَكَمُ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ  
مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا ۗ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ۖ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هٰذَا الْقُرْآنِ  
لِيذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ۖ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي  
الْعَرْشِ سَبِيلًا ۖ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ۖ﴾

﴿وَأَتَا ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ يعني صلة الرحم . وقال بعضهم : عنى بذلك قرابة رسول الله ﷺ .  
 روى السدى عن ابن الديلمي قال : قال على بن الحسين لرجل من أهل الشام أقرأت القرآن؟ قال نعم؟ قال : أفما قرأت فى بنى إسرائيل ﴿وَأَتَا ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ قال : إنكم القرابة الذين أمر الله أن يوتى حقه؟ قال : نعم .

﴿وَالسَّكِينِ وَأَيْنَ السَّبِيلِ﴾ يعنى مار الطريق ، وقيل : الضيف ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ ولا تنفق مالك فى المعصية .

وروى سلمة بن كهيل عن أبى (عبيدة) عن ابن الضرير أنه سأل ابن مسعود ما التبذير؟ فقال : إنفاق المال فى غير حقه .

وقال مجاهد : لو أنفق إنسان ماله كله فى (الحق ما كان) تبذيراً ، فلو أنفق يداً فى باطل كان تبذيراً به .

وقال شعيب : كنت أمشى مع أبى إسحاق فى طريق الكوفة ، فأتى على دار تبنى بجص وأجر فقال : هذا التبذير فى قول عبد الله : إنفاق المال فى غير حقه .

﴿إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ﴾ أولياؤهم وأعوانهم ، والعرب تقول : لكل (من يلزم) سنة قوم وتابع أمرهم هو أخوهم ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ جحود النعمة .

﴿وَأَمَّا تَعْرِضُ عَنْهُمْ﴾ الآية نزلت فى منجع وبلال وصهيب وسالم وخباب ، كانوا يسألون النبى ﷺ فى الأحايين ما يحتاجون إليه ولا يجد لهم متسعاً ، فيعرض عنهم حياءً منهم فأنزل الله عز وجل ﴿وَأَمَّا تَعْرِضُ عَنْهُمْ﴾ يعنى وإن تعرض عن هؤلاء الذين أمرتك أن تؤتيهم حقوقهم عند مسألتهم إياك ما لا يجد إليه سبيلاً حياءً منهم .

﴿أَبْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾ ابتغاء رزق من الله ﴿تَرْجُوهَا﴾ أن يأتيك ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مِّسُورًا﴾ لينا وعدمهم وعداً جميلاً ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً﴾ الآية .

قال جابر بن عبد الله : بينما رسول الله ﷺ قاعد فيما بين الصحابة أتاه صبي فقال : يا رسول الله إن أمى تستكسيك درعاً ، ولم يكن عند رسول الله ﷺ إلا قميصه ، فقال الصبي : من ساعة إلى ساعة يظهر بعد وقتاً آخر ، فعاد إلى أمه فقالت : قل له إن أمى تستكسيك الدرع الذى عليك ، فدخل رسول الله ﷺ داره ونزع قميصه وأعطاه وقعد عرباناً ، فأذن بلال للصلاة فانظروا فلم يخرج فشغل قلوب الصحابة فدخل عليه (بعضهم فرآه) عارياً فأنزل الله تعالى ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ يعنى ولا تمسك يدك عن النفقة فى الحق ، كالمشدودة يده على عنقه فلا يقدر على مدها والإعطاء .

﴿وَلَا تَبْسُطْهَا﴾ بالعطاء ﴿كُلَّ الْبَسْطِ﴾ فتعطى جميع ما تملك ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا﴾ يلومك سائلوك إذا لم تعطهم ﴿مَحْسُورًا﴾ منقطعاً بك لا شيء عندك تنفقه، فقال: حسرتة بالمسألة إذا أكلته، ودابة حسيرة إذا كانت كالة رازحة، وحسیر البصر إذا كل، قال الله: ﴿يَتَقَلَّبُ إِلَيْكَ الْأَبْصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ (الملك: ٤) وقال قتادة: نادماً على ما سلف منك. ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ﴾ يوسع ﴿الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَقَدِيرٌ﴾ يقتدر ويضيق ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ نظيرها قوله: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ (الشورى: ٢٧) الآية ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ ضيق وإقتار ﴿لَحْنُ نَرْزُقَهُمْ وَإِنَّا كَرِيمٌ﴾ وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يثدنون بناتهم خشية الفاقة فنهاهم الله تعالى عن ذلك وأخبرهم أن رزقهم ورزق بناتهم على الله تعالى ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ اختلف القراء فيه:

فقرأ أبو جعفر وابن عامر: بفتح الخاء والطاء والهمزة مقصورة.

وقرأ ابن كثير: بكسر الخاء وفتح الطاء ومد الهمزة.

وقرأ الآخرون: بكسر الخاء وجزم الطاء، وكلها لغات بمعنى واحد ويكون اسماً ومصدرًا.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴿وبحقها بما روى حميد عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها (عصموا) منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله» قيل: وما حقها؟ قال: زنا بعد إحصان وكفر بعد إيمان وقتل نفس فيقتل بها.

﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا﴾ قوة وولاية على قاتل وليه فإنه لما استفاد منه فقتله وإن الله أحل الدية وإن شاء عفا عنه.

﴿فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقِتَالِ﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف: (تسرف) بالتاء أى فلا تسرف أيها القاتل، ويجوز أن يكون الخطاب لرسول الله ﷺ والمراد منه الأئمة والأمة من بعده، ومن قرأ بالياء رجع إلى المولى.

واختلفوا فى الإسراف ما هو: فقال ابن عباس: لا يقتل غير قاتله.

قال الحسن وابن زيد: كانت العرب فى الجاهلية إذا قتل منهم قتيل، لم يرضوا أن يقتلوا قاتل صاحبهم حتى يقتلوا أشرف من الذى قتله، فيعمد ولى المقتول إلى الشريف من قبيلة القاتل فيقتله بوليه ويترك القاتل، فنهى الله عن ذلك، وقال رسول الله ﷺ: «إن من أعتى الناس على الله جل ثناؤه قتل غير قاتله أو قتل بدخن الجاهلية أو قتل فى حرم الله».

وقال الضحاك: كان هذا بمكة ونبي الله ﷺ بها، وهو أول شيء نزل من القرآن فى شأن القتل وكان المشركون من أهل مكة يقتلون أصحاب النبي ﷺ فقال الله: من قتلكم من المشركين

فلا يحملنكم قتله إياكم على أن لا تقتلوا إلا قاتلكم، فلا يقتلوا له أباً أو أخاً أو أحداً فإن كانوا من المشركين فلا يحملنكم ذلك (...).<sup>(١)</sup> على فلا تقتلوا إلا قاتلكم، وهذا قبل أن تنزل سورة براءة وقبل أن يؤمروا بقتال المشركين.

وقال سعيد بن جبير: لا يقبل (...).<sup>(١)</sup> على العدة.

قتادة وطارق بن حبيب وابن كيسان: (لا يمثل به).

﴿إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ اختلفوا في هذه الكناية (إلى من ترجع فقيل: ترجع) على ولى المقتول، هو المنصور على القاتل (فيدفع الإمام) إليه القاتل، فإن شاء قتل وإن شاء عفا عنه وإن شاء أخذ الدية، وهذا قول قتادة.

وقال الآخرون: (من) راجعة إلى المقتول في قوله: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا﴾ يعنى أن المقتول (منصور) في الدنيا بالقصاص وفي الآخرة (بالتوبة) وهو قول مجاهد.

﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾ إلى قوله: ﴿مَسْئُولًا﴾ عنه، وقيل معناه: كان مظلوماً ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كُنْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطِ السُّبْحَانَ﴾.  
قرأ أهل الكوفة: ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بكسر القاف.

الباقون: بفتح وهو الميزان مثل القسطاس، والقسطاس معناه الميزان صغيراً كان أو كبيراً. مجاهد: هو العدل بالرومية. وقال الحسن: هو القبان.

﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ أى عاقبة.

(قال الحسن): ذكر لنا أن نبي الله ﷺ قال: «لا يقدر رجل على حرام ثم يدعه ليس لديه إلا مخافة الله إلا أبدله الله في عاجل الدنيا قبل الآخرة ما هو خير له من ذلك».  
﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾.

قال قتادة: لا تقل رأيت ولم تره وسمعت ولم تسمعه وعلمت ولم تعلمه وهذه رواية على عن ابن عباس.

قال مجاهد: ولا ترم أحداً بما ليس لك به علم، وهى رواية عطية عن ابن عباس.

وقال ابن الحنفية: هو شهادة الزور.

قال (القتبي): لا تتبع الحدس والظنون، وكلها متقاربة، وأصل القفو البهت والقذف

بالباطل، ومنه قول النبي ﷺ: «نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفو أمتنا ولا نتفى من أمتنا».

وقال النابغة:

(١) بياض بالأصل المخطوط.

ومثل الدمى شم العرائن ساكن  
وقال الكميت:  
بهن الحياء لا يشعن التقافيا

فلا أرمى البريء بغير ذنب  
ولا أقفوا الحواصين إن قفينا  
وقال (القتبي): فهو مأخوذ من القفاء كأنه يقفو الأمور ويكون فى أقفائها يعقبها  
(ويتتبعها) ويتعرفها. يقال: قفوت أثره على وزن دعوت والنهى منه لا يقف، كقولك: لا  
تدع.

وحكى الفراء عن بعضهم: أصله من القيافة، وهو اتباع الأثر وإذا كان كذلك وجب أن  
يكون (ولا تقف) بضم القاف وسكون الفاء مثل: ولا تقل، قال: والعرب تقول: قفوت أثرها  
وقفت مثل قولهم: قاع الجمل الناقة إذا ركبها وقعا، وعاث وعاثا واعتم واعتمى واحتاج ماله  
واحتجا.

قال الشاعر:

ولو أنى رميتك من قريب  
أى عائق.

﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ﴾ أى كل هذه الجوارح والأعضاء ما يقل تلك.  
كقول الشاعر، وهو جرير:

ذم المنازل بعد منزلة اللوى  
والعيش بعد أولئك الأيام  
ويجوز أن يكون راجع إلى أصحابها وأربابها.

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ بطراً وفخراً وخيلاء، وهو تفسير المشى لا نعته فإن ذلك أخرجه  
على المصدر ﴿إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾ أى لن تقطعها بكعبيك حتى تبلغ آخرها، يقال فلان  
أخرق الأرض من فلان إذا كان أكثر سفرًا وعزة.  
وقال رؤبة:

❖ وقائم الأعماق حاوى المخترق ❖

أى المقطع ﴿وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ أى (لن تساويها بطولك ولا تطاولك) وأخبر أن صاحبه  
لا ينال به شيئاً (....) (١) عنه غيره ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾.  
قرأ الحسن ويحيى بن يعمر وابن عمر وأهل الكوفة: سيئة على الإضافة، بمعنى كل هذا  
الذى ذكرنا من قوله ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ (الإسراء: ٢٣).

(١) بياض بالأصل المخطوط.



(كان سيئة) أى سئى بما ذكرنا ووعدنا عليك عند ربك مكروهاً، قالوا: لأن فيما ذكره الله من قوله ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ إلى هذا الموضع أموراً مأمورات بها ومنهيات عنها، واختار أبو عبيد هذه القراءة لما ذكرنا من المعنى، ولأن فى قراءة أبي حجة لها، وهى ما روى أبو عبيد عن حجاج عن هارون فى قراءة (أبى بن كعب) (كان سيئاته) قال: فهذه تكون بإضافة سيئة منونة منصوبة، بمعنى كل ذلك الذى ذكرنا ووعدنا من قوله ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ إلى هذا الموضع كان سيئة لا حسنة فيه فجعلوا «كلا» محيطاً بالمنهى عنه دون غيره.

فإن قيل: هلا جعلت مكروهاً خبر ثان، قلنا: فى الكلام تقديم وتأخير تقديره: كل ذلك كان مكروهاً سيئة، وقيل هو (. . . .) <sup>(١)</sup> كالبدل لا على الصفة، مجازه: كل ذلك كان سيئة وكان مكروهاً.

وقال أهل الكوفة: رجع إلى المعنى، لأن السيئة الذنب وهو (غير حقيقى) ﴿ذَلِكَ﴾ الذى ذكرنا (ووعدنا) ﴿مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ إلى قوله ﴿مَذْخُورًا﴾ مطروداً مبعداً من كل نصير والمراد به غيره.

قال الكلبي: (الثمان عشرة) آية كانت فى ألواح موسى وهى عشر آيات فى التوراة. ﴿أَفَأَصْفَنكُمْ﴾ اختاركم واختصكم ﴿رَبُّكُمْ بِالْبَيْنِ وَأَتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا﴾ بنات ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ يخاطب مشركى العرب حيث قالوا: الملائكة بنات الله. ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ قرأه العامة: بالتشديد على التكثير. وقرأ الحسن: صرفنا بالتخفيف.

﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾ يعنى العبر والحكم والأمثال والأحكام والحجج والأعلام. سمعت أبا القاسم الحسين يقول بحضرة الإمام أبى الطيب: لقوله تعالى ﴿صَرَّفْنَا﴾ معنيان أحدهما: لم يجعله نوعاً واحداً، بل وعداً ووعداً وأمرأً ونهياً ومحكماً ومتشابهاً وناسخاً ومنسوخاً وأخباراً وأمثلاً، مثل تصريف الرياح من صبا ودبور وجنوب وشمال، وتصريف الأفعال من الماضى إلى المستقبل ومن الفاعل إلى المفعول ونحوها. والثانى: لم ينزله مرة واحدة بل (نجوماً) مثل قوله ﴿وَقَرَأْنَا أَنَا وَفَرَّقْنَاهُ﴾ (الإسراء: ١٠٦) ومعناه أكثرنا صرف جبرائيل إليك.

﴿لِيَذْكُرُوا﴾. قرأ يحيى والأعمش وحمزة والكسائى (ليذكروا) مخففاً. وقرأ الباقون: بالتشديد واختيار أبو عبيد أى ليتذكروا ﴿وَمَا يَرِيدُهُمْ﴾ أى التصريف والتذكير

(١) بياض بالأصل المخطوط.

﴿إِلَّا تَقُورًا﴾ ذهابًا وتباعدًا عن الحق ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين ﴿لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾.

قرأ ابن كثير وحفص: يقولون بالياء. الباقون: بالتاء.

﴿إِذَا لَآبَتُوا﴾ لطلبوا معنى الآلهة القربة ﴿إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ فالتمست الزلفة عنده.

قال قتادة: يقول لو كان (الأمر) كما يقولون إذا عرفوا الله فضله ومقربته عليهم، فأمضوا ما يقربهم إليه.

وقال الآخرون: إذا لطلبوا مع الله منازعة وقتالاً، كفعل ملوك الدنيا بعضهم ببعض، ثم نزه نفسه، فقال ﴿سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ﴾.

الأعمش وحمزة والكسائي، واختاره أبو عبيد عنهم بالتاء ﴿عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ ولم يقل تعاليًا كقوله (...).<sup>(١)</sup>



﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّأَ عَلَىٰ أذَانِهِمْ تَقُورًا﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ وَقَالُوا أَءِذَا كُنَّا عِظْمًا زُرْقًا أءِذَا لَمَبُّوْهُمْ خَلَقًا جَدِيدًا ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾

﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ قرأ الحسن: وأبو عمر ويعقوب وحمزة والكسائي وحفص: بالتاء، غيرهم: يسبح بالياء واختاره أبو عبيد (...).<sup>(١)</sup> وهو التانيث

(١) بياض بالأصل المخطوط.

ومعنى التسييح التنزيه والطاعة والالتزام الربوية وكونها دالة على وجوده وتوحيده.

﴿وَأَنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾.

قال ابن عباس: وإن من شيء حى.

وقال الحسن والضحاك: يعنى كل شيء فيه الروح.

قال قتادة: يعنى الحيوانات والنباتات (. . . .) (١).

قال عكرمة: الشجرة تسبح والإسطوانة لا تسبح.

قال أبو الخطاب: كنا مع يزيد الرقاشى ومعه الحسن فقدموا الخوان فقال يزيد الرقاشى يا أبا

سعيد يسبح هذا الخوان؟ فقال كان يسبح مرة وقال النبى ﷺ: «(ما سبحت عصا إلا ترك)

التسييح».

وقال إبراهيم: الطعام يسبح.

وروى موسى بن عبيدة عن زيد بن أسلم عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ:

«ألا أخبركم بشيء أمر به نوح ابنه؟ إن نوحاً قال لابنه: يا بنى أمرك أن تقول: سبحان الله

وبحمده فإنها صلاة الخلق وتسييحهم (وبها يرزق الخلق)».

قال الله ﷻ ﴿وَأَنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾.

قال وهب: إن (. . . .) (١) إلا وقد كان يسبح لله ثلاثمائة سنة.

وروى عبد الله بن (. . . .) (١) عن المقداد بن معد يكرب قال: إن التراب يسبح ما لم يتبل

فإذا ابتل ترك التسييح، وإن الجوزة لتسبح ما لم ترفع من موضعها، فإذا رفعت ترك التسييح،

وإن الورق يسبح ما دام على الشجرة، فإذا سقط ترك التسييح وإن الماء ليسبح ما دام ماءً فإذا

(تغير) ترك التسييح، وإن الثوب يسبح ما دام جديداً فإذا وسخ ترك التسييح، وإن الوحش إذا

صاحت سبحت فإذا سكنت تركت التسييح، وإن الثوب (الخلق) لينادى فى أول النهار: اللهم

اغفر لمن (. . . .) (١).

وروى أبو عتبة عن ثابت البنائى عن أنس بن مالك قال: كنا عند رسول الله ﷺ فأخذ كفاً

من حصى فسبحن فى يد رسول الله ﷺ حتى سمعنا التسييح، ثم صبهن فى يد أبى بكر حتى

سمعنا التسييح ثم صبهن فى عمر حتى سمعنا التسييح، ثم صبهن فى يد عثمان حتى سمعنا

التسييح، ثم صبهن فى أيدينا فما سبحت فى أيدينا.

وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال: «مرض النبى ﷺ فأناه جبرائيل بطبق فيها رمان وعنب

(١) بياض بالأصل المخطوط.

فتناول النبي ﷺ فسيح، ثم دخل الحسن والحسين فتناولوا فسيح العنب والرمان، ثم دخل على فتناول منه فسيح أيضاً، ثم دخل رجل من أصحابه فتناول فلم يسيح، فقال جبرائيل: إنما يأكل هذا نبي أو وصى أو ولد نبي».

﴿وَلَكِنَّ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ يعني لا تعلمون تسبيح ما عدا من تسبيح بلغاتكم وألستكم ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ ﴿يَا مُحَمَّدَ (عَلَى) الْمُشْرِكِينَ ﴿جَعَلْنَا بَيْنَكَ﴾ وبينهم حجاباً يحجب قلوبهم عن فهمه والانتفاع به.

قتادة: هو حجاب مستور، والمستور يعني الساتر كقوله ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا﴾ (مریم: ٦١) آتياً مفعول بمعنى فاعل.

وقيل: معناه مستوراً عن أعين الناس فلا يرونه. وفسره بعض المفسرين: بالكتاب عن الأعين الظاهرة (فلا يرونه ولا يخلصون) إلى أدلته.

عطاء عن سعيد بن جبیر قال: لما نزلت ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (المسد: ١) جاءت امرأة أبي لهب إلى النبي ﷺ ومعه أبو بكر (رضى الله عنه) فقال: يا رسول الله لو تنحيت عنها لثلاث تسمعك ما يؤذيك، فإنها امرأة بذئنة.

فقال النبي ﷺ: «إنه سيحال بيني وبينها» فلم تره فقالت لأبي بكر: يا أبا بكر هجانى صاحبك قال: والله ما ينطق بالشعر ولا يقوله.

فقالت: وإنك لمصدقه، فاندفت راجعة. قال أبو بكر: يا رسول الله أما رأيتك؟ قال: «لا ما زال ملك بيني وبينها يسترني حتى ذهبت».

وروى الكلبي عن رجل من أهل الشام عن كعب في هذه الآية قال: كان رسول الله ﷺ يستتر من المشركين بثلاث آيات: الآية التي في الكهف ﴿جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ (الكهف: ٥٧) والآية التي في النحل ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ إلى قوله ﴿هُرُ الْعَفْلُونَ﴾ (النحل: ١٠٨).

والآية التي في الجاثية ﴿أَفْرَأَيْتَ مَنْ آتَخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ إلى قوله ﴿غِشَّوَةٌ﴾ (الجاثية: ٢٣) فكان رسول الله ﷺ إذا قرأهن يستتر من المشركين.

قال كعب: فحدثت بهن رجلاً من أهل الشام فمكث فيهم ما شاء الله أن يمكث ثم قرأ بهن فخرج هارباً وخرجوا في طلبه حتى كانوا يكونون على طريقه ولا يبصرونه.

قال الكلبي: حدثت به رجلاً بالرى فأسر بالديلم فمكث فيهم ما شاء الله أن يمكث ثم قرأهن وخرج هارباً وخرجوا في طلبه حتى جعل ثيابهم لتلمس ثيابه فما يبصرونه.

﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ﴾ يقول: وإذا قلت: لا إله إلا الله في القرآن وحده وأنت تتلوه ﴿وَلَوْ أَعْلَىٰ أَدْبَرَهِمْ نَفُورًا﴾ كارهين له معرضين عنها.

حدثنا أبو الجوزاء عن ابن عباس في قوله ﴿وَلَوْ أَعْلَىٰ أَدْبَرَهِمْ نَفُورًا﴾ قال: هم الشياطين والنفور جمع نافر مثل قاعد وعود وجالس وجلوس، وجائز أن يكون مصدرًا أُخرج على غير لفظه إذا كان قوله ﴿وَلَوْ أَعْلَىٰ﴾ بمعنى نفروا، فيكون معناه نفورًا.

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْمَعُونَ بِهِ إِذْ يَسْمَعُونَ إِلَيْكَ﴾ لمن يقرأ القرآن ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ﴾ متناجون في أمرك، بعضهم يقول: هو مجنون، وبعضهم يقول: هو كاهن، وبعضهم: ساحر، وبعضهم: شاعر ﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ﴾ يعنى الوليد بن المغيرة وأصحابه حين رجع إليه كفار مكة من أمر محمد وشاوروه فقال ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ مطبوبًا، وقيل: مخدوعًا، وقال أبو عبيدة: ﴿مَسْحُورًا﴾ يعنى رجلاً له سحر يأكل ويشرب مثلكم والسحر الرثة يقول العرب للجان: قد سحره ولكل من أكل وشرب من آدمى وغيره مسحور ومسحر.

قال الشاعر امرؤ القيس:

أرانا موضعين لأمر غيب      ونسحر بالطعام وبالشراب

أى: تغذى ونعلل.

﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ شبهوا ذلك الأشباه.

فقالوا: شاعر وساحر وكاهن ومجنون ﴿فَضَلُّوا﴾ فجالوا وجاروا ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾

مخرجًا ولا يهتدون إلى طريق الحق.

﴿وَقَالُوا أَءِذَا كُنَّا عِظْمًا﴾ بعد الموت ﴿وَرَفَلْنَا﴾.

قال ابن عباس: غبارًا.

قال مجاهد: ترابًا، والرفات ما تكسر وبلى من كل شيء، كالفئات والحطام والرضاض.

﴿أَمْ نَأْتِي الْمَعُوتُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ فى الشدة والقوة ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي

صُدُورِكُمْ﴾ يعنى خلقًا مما يكبر عندكم عن قبول الحياة وبعثكم وعملكم على (.....).

إحياؤه فإنه يجيئه، وقيل: ما يليه من بعد ورائهم الموت، وقيل: السموات والأرض، وقيل:

أراد به البعث وقيل الموت.

وقال أكثر المفسرين: ليست فى نفس بنى آدم أكبر من الموت، يقول: لو كتتم الموت

لأميتنكم ولأبعثنكم.

سفيان عن مجاهد وعكرمة فى قوله ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ قالوا: الموت.

وروى المعمر عن مجاهد قال: السماء والأرض والجبال يقول كونوا ما شئتم فإن الله يميئكم ثم يبعثكم ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا﴾ خلقاً جديداً بعد الموت ﴿قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ﴾ خلقكم ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ فسيفضون إيتك رؤوسهم أي يحركون رؤوسهم متعجبين ومستهزئين يقال: غضت سنه إذا حركت وأقلعت من أصله. قال الراجز:

❖ ناغض نحوى رأسه وأقنعا ❖

وقال آخر:

❖ لما رأسنى الغضت لى الرأسا ❖

وقال الحجاج:

❖ أمسك بقضبا لابنى مستهدجا ❖

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ يعنى هو قريب لأن عسى من الله واجب نظيره قوله ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ (الأحزاب: ٦٣)، ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ (الشورى: ١٧).  
﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ من قبوركم إلى (موقف يوم القيامة) ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾. قال ابن عباس: بأمره.

قتادة: بمعرفته ووطأته، ويحمدونه (وهو مستحق) للحمد.

﴿وَتَقْتُلُونَ إِن لَّبِثْتُمْ﴾ فى الدنيا فى قبوركم ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمرو أن النبى ﷺ قال: «ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة فى قبرهم ولا حشرهم، كانى بأهل لا إله إلا الله وهم يفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ (فاطر: ٣٤) الآية».

❖ ❖ ❖

﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ أِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿١١﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿١٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿١٣﴾ وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ

الْقَيْمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿١٠١﴾ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلُونَ ﴿١٠٢﴾ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿١٠٤﴾

﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ نزلت في عمر بن الخطاب، وذلك أن رجلاً من العرب شتمه فأمره الله تعالى بالعتف.

الكلبي: كان المشركون يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ بالقول والفعل، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى هذه الآية على ذلك.

وقل لعبادي المؤمنين يقولوا للكافرين التي هي أحسن يعنى الكلمة التي هي أحسن لا تكافئهم.

قال الحسن: يقول هداك الله يرحمك الله، وهذا قبل أن يؤمروا بالجهاد.

وقيل: الأحسن كلمة الإخلاص لا إله إلا الله ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزِعُ بَيْنَهُمْ﴾ يفترى، وألقى بينهم العداوة ويغري بينهم ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ زُكْرًا أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمَكُمُ يُوَفِّقُكُمْ فَيُؤْمِنُوا ﴿أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ يُمَيْتِكُمْ عَلَى الشَّرْكِ فَيُعَذِّبْكُمْ﴾ قاله ابن جريج.

وقال الكلبي: إن يشأ الله يرحمكم فيحفظكم من أهل مكة، وإن يشأ يعذبكم فيسلطهم عليكم ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ وكفيلاً، نسختها آية القتال ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فجعلهم مختلفين في أخلاقهم من أمورهم وأحوالهم ومآلهم، كما يختلف بعض المتقين على بعض.

قتادة: في هذه الآية اتخذ الله إبراهيم خليلاً، وكلم الله موسى تكليماً، وقال لعيسى كن فيكون وأتى سليمان ملكاً عظيماً لا ينبغي لأحد من بعده، وأتى داود زبوراً كتاباً علمه داود فيه دعاء وتحميد وتمجيد وليس فيه حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود وغفر (لحمداً) ما تقدم من ذنبه وما تأخر ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ آلهةٌ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفِ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَخْوِيلًا﴾ عنكم إلى غيركم، قيل: هو ما أصابهم من القحط سبع سنين.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ﴾. قتادة عن عبد الله الزنجاني عن ابن مسعود أنه قرأ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ﴾ بالتاء،

وقرأهما الباقون: بالياء يبتغون.

﴿إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ القربة إلى ربهم ﴿أَتَيْتُمْ أَقْرَبَ﴾ إليه ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ قال ابن عباس ومجاهد وأكثر العلماء: هم عيسى وأمه وعزير والملائكة والشمس والقمر والنجوم.

وقال عبد الله بن مسعود: كان نفر من الإنس يعبدون نقرأ من الجن، فأسلم الجن ولم يعلم الإنس الذين كانوا يعبدونهم بإسلامهم فتمسكوا بعبادتهم فغيرهم الله بذلك وأنزل هذه الآية.

﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ﴾ يعنى وما من قرية ﴿إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ أى مخربوها ومهلكو أهلها بالسيف ﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ بأنواع العذاب إذا كفروا وعصوا. وقال بعضهم: هذه الآية عامة.

قال مقاتل: أما الصالح فبالموت وأما الطالح فبالعذاب.

قال ابن عباس: إذا ظهر الزنا والربا فى أهل قرية أذن الله فى هلاكها.

﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ﴾ فى اللوح المحفوظ ﴿مَسْطُورًا﴾ مكتوبًا ﴿وَمَا مَعْنَىٰ أَنْ تُرْسِلَ بِالْآيَاتِ﴾.

قال ابن عباس: قال أهل مكة: اجعل لنا الصفا ذهبًا، فأوحى الله إلى رسوله: إن شئت أن تستأنى بهم فقلت وإن شئت أوتيتهم ما سألوا، فقلت: فإن لم يؤمنوا أهلكتهم كما أهلكت من كان قبلمهم. فقال ﷺ: لا بل تستأنى بهم فأنزل الله تعالى ﴿وَمَا مَعْنَىٰ أَنْ تُرْسِلَ بِالْآيَاتِ﴾ التى سألتها كفار قومك ﴿إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأُولَىٰ﴾ فأهلكناهم فإن لم يؤمن قومك أهلكتهم أيضًا لأن من خسفنا فى الأمم إذا سألوا الآيات فيأتيتهم ثم لم يؤمنوا أن نعذبهم ونهلكهم ولا نملهم، فإن الأول فى محل النصب وقوع المنع عليه، وأن الثانية فى محل رفع ومجاز الأول: معنا إرسال الآيات إلا تكذيب الأولين بها قالوا ﴿وَأَتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ مضيئة بينة ﴿فَطَلَّمُوا بِهَا﴾ أى أقروا بها أنها من عند الله ﴿وَمَا تُرْسِلُ بِالْآيَاتِ﴾ بالعبر والدلالات ﴿إِلَّا تَخَوِّفًا﴾ للعباد ليؤمنوا ويتذكروا فإن لم يفعلوا عذبوا.

قال قتادة: إن الله يخوف الناس بما شاء من آياته لعلهم يعون أو يذكرون أو يرجعون، ذكر أن الكوفة رجفت على عهد ابن مسعود فقال: يا أيها الناس إن الله ليس يعتكم فأعتبوه.

وروى محمد بن يوسف عن الحسن فى قوله عز وجل ﴿وَمَا تُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخَوِّفًا﴾ قال الموت الذريع.





﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي آرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿١٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿١١﴾ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأُحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٢﴾ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴿١٣﴾ وَأَسْتَفْزِرُّ مِنْ أَسْطَعْتُمْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمُ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكَهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿١٥﴾ رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿١٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّيْكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿١٧﴾ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخْصِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا أَلَكُمْ وَعِيَالَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغَرِّقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿١٨﴾ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿١٩﴾ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِسْمِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَبِئَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٢٠﴾ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٢١﴾﴾

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ فهم في قبضته لا يقدرّون على الخروج من مشيئته وهو

مانعك منهم وحافظك فلا تهبهم وامض لما أمرك به في تبليغ رسالته ، قاله أكثر المفسرين .

قال ابن عباس : يعني أحاط علمه بهم فلا يخفى عليه منهم شيء .

مقاتل والبراء : أحاط بالناس يعني أهل مكة أي أنها ستفتح لك .

﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي آرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ .

قال قوم : هي رؤيا عين وهو ما أرى النبي ﷺ ليلة المعراج من العجائب والآيات فكان ذلك

فتنة للناس ، فقوم أنكروا وكذبوا ، وقوم ارتدوا ، وقوم صدقوا ، والعرب تقول : ( رأيت

بعيني) رؤية ورؤيا وعلى هذا يحمل حديث معاوية أنه كان إذا سئل عن مسرى رسول الله ﷺ قال: كانت رؤيا من الله صادقة أى (رؤيا عيان) أرى الله نبيه ﷺ وما ذكرنا من تأويل الآية، قول سعيد بن جبير والحسن ومسروق وأبى مالك وقتادة ومجاهد والضحاك وابن زيد وابن جريج وعطية وعكرمة وعطية عن ابن عباس .

وقال آخرون: هى ما أرى الله نبيه ﷺ ليلة أسرى بروحه دون بدنه فلما قصها رسول الله ﷺ على أصحابه ( . . . )<sup>(١)</sup> من أصحاب المسلمين وطعن فيها ناس من المنافقين . وهو ما روى جرير بن حازم عن أبى رجاء العطاردى ، يحدث عن سمرة بن جندب قال : كان رسول الله ﷺ إذا صلى الغداة استقبل الناس (بوجهه) فقال : «هل رأى أحد منكم الليلة رؤيا؟» فإن كان أحداً رأى تلك الليلة رؤيا قصها عليه فيقول فيها ما شاء الله أن يقول فسألنا يوماً ، فقال : «هل رأى منكم أحد الليلة رؤيا» قلنا : لا ، قال : «لكنى أتانى الليلة آتيان فقالا لى : انطلق فانطلقت معهما فأخرجانى إلى أرض مستوية فإذا رجل مستلقى على قفاه ورجل قائم بيده صخرة فشدخ بها رأسه (فيتبع) الحجر فإذا ذهب يأخذه عاد رأسه كما كان فهو يصنع به مثل ذلك ، فقلت : ما هذا؟ قالاً : انطلق فانطلقت معهما فأتينا على رجل مستلق لقفاه يرمش عينه ، فإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد فإذا هو يأخذ أحد شقى وجهه فيشرشر شدقه إلى قفاه وعينه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ذلك فما يفرغ من ذلك حتى يصبح ذلك الجانب كما كان ثم يعود إليه ، فقلت لهما : سبحان الله ما هذا؟ قالاً لى : انطلق فانطلقت معهما فأتينا على بيت مبنى مثل بناء التنور أعلاه ضيق (وأسفله واسع) يوقد فيه النار فاطلعنا فيه فإذا فيه رجال ونساء عراة وإذا هم يأتهم لهب من أسفل منهم فإذا أتاهم ذلك اللهب من أسفل (ضجوا) ، قلت لهما : ما هؤلاء؟

قالاً لى : انطلق فانطلقنا فأتينا على نهر من دم أحمر وإذا فى البحر سابح يسبح فإذا على شاطئ النهر رجل عنده حجارة كثيرة وإذا ذلك السابح يأتى ذلك الذى قد جمع عنده الحجارة فيفغر له فاه فيلقمه حجراً فيذهب فيسبح ما يسبح ثم يرجع إليه كما رجع إليه فيفغر له فاه فألقمه حجراً قال : فقلت ما هذا؟ قالاً : انطلق فانطلقت فأتينا على رجل كربه المرأة كأكره ما رأيت رجلاً وإذا هو عنده نار (يحشها ويسعى) حولها قلت لهما : ما هذا؟ قالاً : انطلق فانطلقنا فأتينا على روضة (معتمة) فيها من كل نوع الربيع وإذا شجرة عظيمة وفى أصلها شيخ طويل فإذا حوله صبيان كأكثر ولدان رأيتهم قط . قال : قلت ما هؤلاء؟ قالاً : انطلق فانطلقنا

(١) بياض بالأصل المخطوط .

فأتينا على دوحة عظيمة لم أرَ دوحة قط أعظم منها (ولا أحسن) قالوا لى : ارق فارتقينا فانتهينا إلى مدينة مبنية من ذهب ولبن فضة فأتينا باب المدينة فاستفتحناها ففتح لنا فدخلناها فتلقانا فيها رجال شطر من خلقهم (كأحسن) ما رأيت (وشطر كأقبح) ما رأيت ، قالوا لهم : اذهبوا فقعدوا فى ذلك النهر وإذا نهر معترض يجرى كأنه المبيض من البياض فذهبوا فوقعوا فيه ثم رجعوا إلينا وقد ذهب السوء عنهم فصاروا فى أحسن صورة قال : فقلت لهما (والله) إنى ما رأيت مثل الليلة عجبا فما هذا الذى رأيت قالوا إنا سنخبرك أما الذى أتيت عليه يشدخ رأسه بالحجر فإنه رجل يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة وأما الذى أتيت عليه يشرشر شذقه وعينه ومنخره إلى قفاه فإنه رجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق .

وأما الرجال والنساء العراة الذين فى مثل التنور فإنهم الزناة والزوانى ، وأما الرجل الذى يسبح فى النهر ويلقم الحجارة فإنه أكل الربا ، وأما الرجل الكريه المرأة الذى عنده النار يحشها فإنه مالك خازن النار ، وأما الرجل الطويل الذى فى (الروضة) فإبراهيم (عليه السلام) وأما الولدان الذين حوله فكل مولود يولد على الفطرة .

أما القوم الذين كانوا شطر خلقهم حسنا وشطرا قبيحا فإنهم قوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فتجاوز الله عنهم ، وأما الروضة فهى جنات عدن وأما المدينة التى دخلت فدار الشهداء . قال : بينما بصرى صعدا فإذا مثل الذبابة البيضاء ، قالوا لى : ها هو ذا منزلك ، وأنا جبرائيل وهذا ميكائيل . فقلت : بارك الله فيكما دعانى أدخل دارى ، فقالا : إنه قد بقى لك ولم تستكمله ولو استكملته دخلت دارك .

وروى على بن أبى طلحة عن ابن عباس قال : هى رؤيا التى رأى أنه يدخل مكة عام الحديبية هو وأصحابه وهو يومئذ بالمدينة فعجل رسول الله ﷺ السير إلى مكة قبل الأجل فردّه المشركون .

فقال ناس : قد ردّ رسول الله ﷺ وقد كان حدثنا أنه سيدخلها فكانت رجعتهم فنتهم وقد كان فى العام المقبل سار إليها رسول الله ﷺ فدخلها فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ (الفتح: ٢٧) .

سفيان بن عيينة عن على بن زيد بن حذيفة عن سعيد بن المسيب ، من قول الله تعالى : ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ قال : أرى بنى أمية على المنابر فسأه ذلك فقيل له إنها الدنيا يعطونها (فتزوى) عنه ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ قال : بلاء للناس .

وروى عبد المهيمن عن ابن عباس عن سهل بن سعد عن أبيه عن جده قال : رأى رسول الله

وَعَلَّمَ بَنِي أُمِيَّةٍ يَنْزُونَ عَلَىٰ مَنبَرِهِ نَزْوِ الْقَرْدَةِ فَسَاءَ ذَلِكَ فَمَا اسْتَجْمَعُ ضَاحِكًا حَتَّىٰ مَاتَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ﴾ المذكورة ﴿فِي الْقُرْآنِ﴾  
يعنى شجرة الزقوم، ومجاز الآية: الشجرة الملعونة المذكورة فى القرآن، ونصب الشجرة عطفًا بها على الرؤيا تأويلها: وما جعلنا الرؤيا التى أريناك والشجرة الملعونة فى القرآن إلا فتنه للناس فكانت فتنتهم فى الرؤيا ما ذكرت، وفتنتهم فى الشجرة الملعونة أن أبا جهل قال - لما نزلت هذه الآية: أليس من الكذب ابن أبى كبشة أن يوعدكم بحرق الحجارة ثم يزعم أنه ينبت فيها شجرة وأنتم تعلمون أن النار تحرق الشجرة فما يقولون فى الزقوم.  
فقال عبد الله بن (الزبوى): إنها الزبد والتمر بلغة بربرة.

فقال أبو جهل: يا جارية زقمينا فأتته بالزبد والتمر، فقال: تزقموا يا قوم فإن هذا ما يخوفكم به محمد والله ما يعلم الزقوم إلا الزبد والتمر، فأنزل الله تعالى ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾ (الدخان: ٤٣، ٤٤) ووصفها فى الصفات فقال: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ (الصفات: ٦٤) أى خلقت من النار وغذيت بها وأنزل الله ﴿وَنَحْوُ فُحْمٍ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾.  
وروى ابن أبى فديك عن ابن أبى ذئب عن مولى لبنى هاشم حدثه أن عبد الله بن الحارث ابن نوفل أرسل إلى ابن عباس: عن الشجرة الملعونة فى القرآن؟ قال: فقال: الشجرة الملعونة هى هذه الشجرة التى تلتوى على الشجر يعنى الكشوث.

﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ يعنى من طين.  
وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: بعث رب العزة إبليس فأخذ كفاً من أديم الأرض من عذبتها وملحها فخلق منه آدم فكل شىء خلقه من عذبتها فهو صائر إلى السعادة وإن كان ابن كافرين، وكل شىء خلقه من ملحها فهو صائر إلى الشقاوة وإن كان ابن نبيين.  
قال: ومن ثم قال إبليس: أسجد لمن خلقت طينا أى هذه الطينة أنا جئت بها، ومن ثم سمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض.

﴿قَالَ إِبْلِيسُ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ أى فضلته ﴿لَبِنَ أَخْرَجْتَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ وأمهلتنى ﴿لَأَخْتَبِكَ ذُرِّيَّتَهُ﴾ أى لأستولين على أولاده ولأحتوينهم ولأستاصلنهم بالإضلال ولأجتاحنهم.

يقال: (احتتك) فلان ما عند فلان من علم أو كمال مما استقصاه وأخذه كله، واحتتك الجراد الزرع إذا أكله كله.  
قال الشاعر:

أشكو إليك سنة قد أجهفت وأحنكت أموالنا واجتلفت

ويقال: هو من قول العرب حنك الدابة يحنكها إذا شد في حنكها الأسفل حبلاً يقودها به

حتى يثبت .

﴿إِلَّا قَلِيلاً﴾ يعنى المعصومين الذين استثناهم الله فى قوله ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ﴾ (الحجر: ٤٢) ﴿قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَأُؤُكُمْ﴾ أى جزاءك وجزاء أتباعك ﴿جَزَاءَ مَوْفُورًا﴾ وأمرًا مكملًا ﴿وَأَسْتَفْزِرُ﴾ (استول) واستخف واستزل واستمل ﴿مَنْ أَسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ﴾ أى من ذرية آدم ﴿بِصَوْتِكَ﴾ .

قال ابن عباس وقتادة: بدعائك إلى معصية الله وكل داع إلى معصية فهو من جند إبليس .

وقال مجاهد: بالغناء والمزامير .

﴿وَأَجْلَبَ عَلَيْهِمْ﴾ أى اجمع وصح . مقاتل: استفزعنهم .

﴿بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ﴾ أى ركبان جندهم ومشاتهم .

قال المفسرون: كل راكب وماش فى معاصى الله .

ابن عباس ومجاهد وقتادة: إن له خيلاً ورجلاً من الجن والإنس ، فما كان من راكب يقاتل فى معصية فهو من خيل إبليس ، وما كان من راجل يقاتل فى معصية الله فهو من رجل إبليس والرجل الرجالة .

وقرأ حفص: «ورجلك» بكسر الراء ، وهما لغتان يقال: راجل ورجل مثل تاجر وتجر ،

وراكب وركب .

﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ﴾ قال قوم: هو كل مال أصيب من حرام وأنفق فى حرام ، وهذا قول

مجاهد والحسن وسعيد بن جبیر وعبد الرحمن بن زيد ، ورواية على بن أبى طلحة عن ابن عباس .

عطاء بن أبى رباح: هو الربا . قتادة: ما كان المشركون يحرّمونه من الأنعام كالبحائر

والسوايب والوصيلة والحوامى وهى رواية العوفى عن ابن عباس .

وقال الضحاك: هو ما كان يذبحونه لآلهتهم .

﴿وَالْأَوْلَادِ﴾ .

قال بعضهم: هم أولاد الزنا ، وهو قول مجاهد والضحاك ورواية عطية عن ابن عباس .

الوالبى عنه: هو ما قتلوا من أولادهم وأتوا فيهم الحرام .

الحسن وقتادة: عدو الله شاركهم فى أموالهم وأولادهم فمجسّوا وهودّوا ونصّروا وصبّغوا

غير صبغة الإسلام.

أبو صالح عن ابن عباس: مشاركته إياهم في الأولاد وتسميتهم أولادهم عبد الحارث وعبد شمس وعبد فلان.

﴿وَعَدَّكُمْ﴾ ومنهم الجميل في طاعتك. قال الله ﴿وَمَا يَعْدُهُرُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ باطلاً وخديعة لأنه لا يغني عنهم من عذاب الله إذا نزل بهم شيئاً كقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَّكُمْ وَعَدَّ الْحَقُّ وَعَدَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ (إبراهيم: ٢٢).

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ رَبُّكُمْ الَّذِي يُرِيحُ (يسوى ويجرى).  
﴿لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ﴾ إلى قوله ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ﴾ أصابكم (الجهد) ﴿فِي الْبَحْرِ﴾ وخفتم الغرق ﴿ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾ إلا دعاؤكم إياه فلم تجدوا ما يكفيكم سواه ﴿فَلَمَّا تَجَنَّكُمُ﴾ من البحر وأخرجكم ﴿إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ عن الإيمان والطاعة وكفرت بما جاءكم ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ أفأمنتكم بعد ذلك ﴿أَنْ يُخَسِّفَ بِكُمْ﴾ يغييكم ويذهبكم في ﴿جَانِبِ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ حجارة تمطر عليكم من السماء كما أمطر على قوم لوط.

وقال أبو عبيد والقتبي: الحاصب الذي يرمى بالحصاء، وهي الحصا الصغار.

قال الفرزدق:

مستقبلين شمال الشام يضرنا بحاصب كنديف القطن مثبور

﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾ أمر أمنتكم أن يعيدكم فيه ﴿فِي الْبَحْرِ﴾ تارة مرة ﴿أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ﴾ أى قاصفاً وهي الريح الشديدة.

قال ابن عباس وقال أبو عبيدة: هي التي تقصف كل شيء أى تدقه وتحطمه وهي التي تقصف الشجر أى تكسره ﴿فَيَغْرِقُكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ ناصراً ولا ثائراً. واختلف القراء في هذه الآية. فقرأ ابن كثير وأبو عمرو: نخسف ونرسل ونعيدكم ونغرقكم كلها بالنون لقوله ﴿عَلَيْنَا﴾.

وقرأ الباقون: كلها بالياء لقوله (إياه). إلا أبا جعفر فإنه قرأ (تغرقكم) بالتاء يعنى الريح. ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ ميمون بن مهران عن ابن عباس فى قوله ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ قال: كل شيء يأكل بفيه إلا ابن آدم يأكل بيديه، وعنه أيضاً بالعقل.

الضحاك: بالنطق وثم التمييز.

عطاء: تعديل القامة وامتدادها، يمان: بحسن الصورة.

محمد بن كعب: بأن جعل محمداً منهم، وقيل: الرجال بالحى والنساء بالذوائب.

محمد بن جرير: بتسليطهم على غيرهم من الخلق وتسخير سائر الخلق لهم.  
 ﴿وَحَمَلْنَهُمْ فِي الْوَجْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ يعني لذيذ المطاعم والمشارب.  
 مقاتل: السمن والزبد والتمر والحلاوة وجعل رزق غيرهم ما لا يخفى عليكم.  
 ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾.

قال قوم: قوله: ﴿كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا﴾ استثناء للملائكة.

قال الكلبي: فضلوا على الخلائق كلهم غير طائفة من الملائكة جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت وأشباههم.

وقال الآخرون: المراد به جميع من خلقنا فالعرب قد تضع الأكثر والكثير في موضع الجمع والكل، كقول الله عز وجل ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾ تنزل على كل أفك أثير يلقون أسمع وأكثرهم كذبون (الشعراء: ٢٢١-٢٢٣) والمراد به جميع الشياطين.

معمر بن زيد بن أسلم، في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ قال: قالت: الملائكة ربنا إنك أعطيت بنى آدم الدنيا يأكلون فيها ويتمتعون ولم تعطنا ذلك فأعطنا في الآخرة، فقال: وعزتي وجلالي لا أجعل ذرية من خلقت بيدي كما قلت له كن فيكون.

حماد بن سلمة عن أبي المهزم قال: سمعت أبا هريرة يقول: المؤمن أكرم على الله من الملائكة الذين عنده.

﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَسٍ بِإِسْمِهِ﴾ قال مجاهد وقتادة: بنبيهم، يدل عليه ما روى السدي عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في قوله تعالى ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَسٍ بِإِسْمِهِ﴾ قال: بنبيهم.  
 وقال أبو صالح وأبو نصر والضحاك وابن زيد: بكتابهم الذي أنزل عليهم وهي رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد وعن علي بن الحسين بن علي المرتضى (عليهم السلام) عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَسٍ بِإِسْمِهِ﴾ قال: «يؤتى كل قوم بإمام زمانهم وكتاب ربهم وستة نبيهم».

أبو العالية والحسن: بأعمالهم، ودليل هذا التأويل قوله تعالى في سياق الآية ﴿فَمَنْ أَوْفَىٰ كِتَابَهُ يَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ﴾ الآية ونظيرها قوله ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ (يس: ١٢) فسمى الكتاب إماماً.

روى ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من الجنة يا عبد الله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دعى من

باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعى من باب (الريان)».

فقال أبو بكر الصديق (رضى الله عنه): يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما على من دعى من تلك الأبواب من ضرورة فهل يدعى من تلك الأبواب كلها أحد؟ قال: «نعم، وأرجو أن تكون منهم».

وتصديق هذا القول أيضاً حديث الألوية والرايات.

بإذن وسعيد بن جبير عن ابن عباس: يمامهم الذي دعاهم في الدنيا إلى الضلالة أو الهدى.

على بن أبي طلحة: بأئمتهم في الخير والشر.

قال الله تعالى ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ (الأنبياء: ٧٣) قال: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ (القصص: ٤١)، وقيل: لمعبودهم.

محمد بن كعب: بأمهاتهم.

قالت الحكماء: في ذلك ثلاثة أوجه من الحكمة أحدها: لأجل عيسى (عليه السلام)، والثاني: أخيار الشرف الحسن والحسين (عليهما السلام)، والثالث: لثلاث يفضح أولاد الزنا. ﴿فَمَنْ أَوْفَى كِتَابَهُ رَيْبِيْنِهِ﴾ إلى قوله تعالى ﴿فِي هَذِهِ أَعْمَى﴾ اختلفوا في هذه الإشارة.

فقال قوم: هي راجعة إلى النعم التي عددها الله في هذه الآيات.

عكرمة: جاء نفر من أهل اليمن إلى ابن عباس فسأله رجل عن هذه الآية فقال: اقرأ ما قبلها ﴿رَبُّكُمْ الَّذِي يُرْجِي لَكُمْ أَفْلَاحَكُمْ﴾ إلى قول الله ﴿سَيِّئاً﴾ فقال ابن عباس: من كان في هذه النعم التي رأى وعان أعمى فهو في أمر الآخرة التي لم ير ولم يعان أعمى وأضل سبيلاً. وقال آخرون: هي راجعة إلى الدنيا يقول من كان في هذه الدنيا أعمى عن قدرة الله وآياته فهو في الآخرة أعمى.

وقال أبو بكر الوراق: من كان في هذه الدنيا أعمى عن حجته فهو في الآخرة أعمى عن جنته.

وقال الحسن: من كان في الدنيا ضالاً كافراً فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً، لأنه لم يتب في الدنيا ففي الآخرة لا تقبل توبته.

واختلف القراء في هذين الحرفين. فأمالها أهل الكوفة وفتحها الآخرون.

وأما أبو عمرو فكان يكسر الأول ويفتح الآخر يعني فهو في الآخرة أشد عمى لقوله: ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾ هي اختيار أبي عبيدة.



قال الفراء: حدثني بالشام شيخ من أهل البصرة أنه سمع من العرب تقول: ما أسود شعره.

قال الشاعر:

أما الملوك فأنت اليوم الأمم      لوماً وأبيضهم سربال طباخ



﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ حَلِيلًا ﴿١٠٠﴾ وَأَوْلَا أَنْ تَبْنِيَنَّكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿١٠١﴾ إِذَا لَا ذَقْنَكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿١٠٢﴾ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبِثُونَ خِلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٠٣﴾ سَنَّةً مِّنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿١٠٤﴾﴾

﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾ الآية اختلفوا في سبب نزولها.

فقال سعيد بن جبير: كان النبي ﷺ يستلم الحجر الأسود فمئنته قريش وقالوا: لا ندعك حتى تلم بأهتنا فحدث نفسه وقال: ما على أن ألم بها والله يعلم أني لها كاره بعد أن يدعونني أستلم الحجر فأنزل الله عز وجل هذه الآية.

قتادة: ذكر لنا أن قريشاً خلوا برسول الله ﷺ ذات ليلة إلى الصباح يكلمونه ويخيرونه ويسودونه ويقارنونه وكان في قولهم أن قالوا: إنك تأتي بشيء لا يأتي به أحد من الناس وأنت سيدنا وابن سيدنا فما زالوا يكلمونه حتى كاد يقاربهم في بعض ما يريدون ثم عصمه الله تعالى من ذلك وأنزل هذه الآية.

مجاهد: مدح آلهتهم وذكرها ففرحوا. ابن (جموح): أتوه وقالوا له: انت آلهتنا فأمسها فذلك قوله ﴿شَيْئًا قَلِيلًا﴾.

ابن عباس: قدم وفد ثقيف على النبي ﷺ فقالوا: نبعايك على أن تعطينا ثلاث خصال. قال: ما هن؟ فقالوا: لا ننحنى في الصلاة، ولا نكسر أصناماً بأيدينا (وتمتعنا باللات) سنة.

فقال لهم رسول الله ﷺ: «لا خير في دين لا ركوع فيه ولا سجود وأما أن لا تكسروا أصنامكم بأيديكم فذلك لكم وأما الطاعة للآلات فإني غير ممتعكم بها».

فهنا قالوا الرسول الله: فإننا نحب أن نسمع العرب أنك أعطيتنا ما لم تعطه غيرنا فإن كرهت ذلك وخشيت أن تقول العرب أعطيتهم ما لم تعطنا فقل الله أمرني بذلك، فسكت رسول الله ﷺ ودعاهم ليؤمنوا، فعرف عمر (رضى الله عنه) أن رسول الله ﷺ كان لما سأله فقال: ما لكم آذيتم رسول الله ﷺ أحرق الله أكبادكم إن رسول الله لا يدع الأصنام في أرض العرب إما أن تسلموا وإما أن ترجعوا فلا حاجة لنا فيكم.

فأنزل الله تعالى هذه الآية ووعدهم رسول الله ﷺ أن يعطيهم ذلك.

عطية عنه قالت ثقيف للنبي ﷺ: أجلنا سنة حتى نقبض ما يهدى لآلهتنا فإذا قبضنا التي يهدى لآلهتنا كسرناها وأسلمنا، فهم رسول الله ﷺ أن يؤجلهم فأنزل الله تعالى ﴿وَإِنْ كَادُوا﴾ وقد هموا ﴿أَيُفْتِنُونَكَ﴾ ليستزلونك ويصرفونك ﴿عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ﴾ لتخلق ﴿عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا﴾ لو فعلت ما دعوك إليه ﴿لَأَتَّخِذُوكَ خَلِيلًا﴾ أى قالوك وصافوك ﴿وَلَوْلَا أَنْ تَبْنَتْنَا﴾ على الحق بعوننا ﴿لَقَدْ كِدْتُمْ تَرْكَنُ﴾ تميل ﴿إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ ولو فعلت ذلك ﴿إِذَا الْأَذْقَنْتَكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾ المحتضر أى ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات يعنى ضعفنا لك العذاب فى الدنيا والآخرة ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ ناصراً يمنعك من عذابنا. قال قتادة: فلما نزلت هذه الآيات، قال رسول الله ﷺ: «اللهم لا تُكَلِّني إلى نفسى طرفة عين».

﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾ ليستخفونك ﴿مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾ الآية.

قال الكلبي: إن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة حسدت اليهود مقامه بالمدينة وكرهوا قربه منهم فأتوا فقالوا: يا محمد أنبى أنت؟ قال: نعم، قالوا: والله لقد علمت ما هذه بأرض الأنبياء وإن أرض الأنبياء الشام، وكان بها إبراهيم و(الأنبياء)، فإن كنت نبياً مثلهم فأت الشام وقد علمنا إنما يمنعك الخروج إليها مخافتك الروم وإن الله سيمنعك بها من الروم إن كنت رسوله وهى الأرض المقدسة وإن الأنبياء لا يكونون بهذا البلد.

فعسكر رسول الله ﷺ على ثلاثة أميال من المدينة أو أربعة أميال، وفى بعض الروايات إلى ذى الحليفة، حتى تتراد ويجتمع عليه أصحابه وينظر إليه الناس. فأنزل الله عز وجل ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ﴾ التى كنت بها وهى أرض المدينة.

وروى شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن الحكم: أن اليهود أتوا نبى الله ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم إن كنت صادقاً أنك نبى فالحق بالشام فإنها أرض المحشر والنشر وأرض الأنبياء فصدق رسول الله ما قالوا وقد كان فى غزوة تبوك لا يريد بذلك إلا الشام فلما بلغ تبوك أنزل

الله عليه آية من سورة بنى إسرائيل بعدها ختمت السورة ﴿وَأَن كَاذِبًا تَلْفِظُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ الآية وأمره بالرجوع إلى المدينة وقال: فيها خيلك وملكك وفيها مبعثك.

قال مجاهد وقتادة: هم أهل مكة عمداً بإخراج النبي ﷺ من مكة ولو فعلوا ذلك لما توطنوا ولكن الله كفهم عن إخراجهم حتى أمره ولقلما لبثوا مع ذلك بعد خروج النبي ﷺ من مكة حتى أهلكهم الله يوم بدر.

وهذا التأويل أليق بالآية لأن ما قبلها خبر من أهل مكة ولم يجد لليهود ذكر ولأن هذه السورة مكية.

وقيل: هم الكفار كلهم كادوا أن يستخفوه من أرض العرب باجتماعهم وتظاهرهم عليه فمنع الله رسوله ﷺ ولم ينالوا منه ما أملوا من الظفر ولو أخرجوه من أرض العرب لم يميلوا أن يقيموا فيها على كفرهم بل أهلكوا بالعذاب فذلك قوله: ﴿وَأَن كَاذِبًا تَلْفِظُوا مِنَ الْأَرْضِ لِخُرُوجِكُمْ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلْفَكَ﴾ أي بعدك وهي قراءة أبي عمرو وأهل الحجاز واختاره أبو عبيد.

وقرأ الباقون: خلافاً واختاره أبو حاتم اعتباراً بقوله ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلْفَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ (التوبة: ٨١) ومعناه أيضاً بعدك.

قال الشاعر:

عفت الديار خلافاً فكأنما بسط الشواطئ منهن حصيراً

أي بعدها.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ حتى تهلكوا ﴿سُنَّةً مِّن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا﴾ أي كسنتنا فيمن أرسلنا قبلك من رسلنا إذا يكذبهم الأمم أهلكتناهم بالعذاب ولا يعذبهم ما دام فيهم بين أظهرهم فإذا خرج نبينهم من بين أظهرهم عذبناهم ﴿وَلَا تَجِدُ لَسَانِنَا تَحْوِيلًا﴾ تبديلاً.



﴿أَقْرِ الصَّلَاةَ لِلدُّلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿١٨﴾ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِّن لَّدُنكَ سُلْطٰنًا نَّصِيرًا ﴿١٩﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٢٠﴾ وَنَزَلَ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ

لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا أَعْمَنَّا عَلَى الْإِنْسَانِ أُعْرَضَ وَنَا بِجَانِبِهِ  
وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ﴿١٠١﴾ قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَأْنِهِ فَرِيضَتُهُ مَعَهُ هُوَ أَهْدَى

سَبِيلًا ﴿١٠٢﴾

﴿أَقْرِ الصَّلَاةَ لِلذُّلُوكِ الشَّمْسِ﴾ قال إبراهيم النخعي ومقاتل بن حيان والسدي ويمان وابن زيد:  
دلوكها غروبها. قال الشاعر:

هذا مقام قدمى رياح غدوة حتى هلكت براح

أى غربت الشمس، وبراح اسم للشمس مثل قطام وجدام ورفاش.  
ويروى، براح بكسر الباء يعنى أن الناظر يضع كفه على حاجبه من شعاعها لينظر ما بقى  
من غبارها، ويقال ذلك للشمس إذا غابت.  
قال ذو الرمة:

مصاييح ليست باللواتي يقودها نجوم لا بالآفلات الدوالك

ودليل هذا التأويل حديث عبد الله بن مسعود أنه كان إذا غرب الشمس صلى المغرب وأفطر  
إن كان صائماً ويحلف بالله الذى لا إله إلا هو أن هذه الساعة لميقات هذه الصلاة وهى التى قال  
الله ﴿أَقْرِ الصَّلَاةَ لِلذُّلُوكِ الشَّمْسِ﴾.

وقال ابن عمر وابن عباس وجابر بن عبد الله وأبو العالية وعطاء وقتادة ومجاهد والحسن  
ومقاتل وجعفر بن محمد وعبيد بن حجر: دلوكها زوالها، وبه قال الشافعى (رضى الله عنه)،  
يدل عليه حديث أبى مسعود عقبة بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «أتانى جبرائيل للدلوك  
الشمس حين زالت الشمس فصلى بى الظهر».

وقال أبو برزة: كان رسول الله ﷺ يصلى الظهر إذا زالت الشمس ثم تلا هذه الآية ﴿أَقْرِ  
الصَّلَاةَ لِلذُّلُوكِ الشَّمْسِ﴾.

قال جابر بن عبد الله: دعوت النبى ﷺ ومن شاء من أصحابه فطعموا عندى ثم خرجوا  
حين زالت الشمس فخرج النبى ﷺ وقال: «اخرج يا أبا بكر فهذا حين دلكت الشمس».  
وعلى هذا التأويل تكون الآية جامعة لمواقيت الصلاة كلها، فدلوك الشمس صلاة الظهر  
والعصر، وغسق الليل صلاتا العشاء، وتصديق هذا التفسير إن جبرائيل (عليه السلام) حين  
علم رسول الله ﷺ كيفية الصلاة إنما بدأ بصلاة الظهر.

وروى محمد بن عمار عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «جاءنى جبرائيل ﷺ فصلى

صلاة الظهر حين زاغت الشمس ثم جاءني فصلى العصر حين كان ظل كل شىء مثله، ثم صلى بي المغرب حين غربت الشمس ثم صلى بي العشاء حين غاب الشفق ثم جاءني فصلى بي الصبح حين طلع الفجر، ثم جاءني فى الغد فصلى بي الظهر حين كان ظل كل شىء مثله ثم صلى بي العصر حين كان ظل كل شىء مثليه ثم صلى بي المغرب حين غربت الشمس ثم صلى بي العشاء حين ذهب ثلث الليل ثم صلى بي الصبح حين أسفر ثم قال: هذه صلاة النبيين من قبلك فالزمهم».

عطاء بن أبى رباح عن جابر قال: إن جبرائيل أتى النبي ﷺ يعلمه مواقيت الصلاة فتقدم جبرائيل ورسول الله ﷺ خلفه والناس خلف رسول الله ﷺ فصلى الظهر حين زالت الشمس وأتاه حين كان الظل مثل شخصه فصنع كما صنع فتقدم جبرائيل ورسول الله ﷺ خلفه والناس خلف رسول الله ﷺ فصلى العصر، ثم أتاه حين وجبت المغرب وقد تقدم جبرائيل ورسول الله ﷺ خلفه والناس خلف رسول الله ﷺ فصلى المغرب، ثم أتاه حين غاب الشفق فتقدم جبرائيل ورسول الله ﷺ خلفه والناس خلف رسول الله ﷺ فصلى العشاء، ثم أتاه جبرائيل حين انشق الفجر فتقدم جبرائيل ورسول الله ﷺ خلفه والناس خلف رسول الله ﷺ فصلى الغداة. ثم أتاه اليوم الثانى حين كان ظل الرجل مثل شخصه فصنع مثل ما صنع بالأمس صلى الظهر، ثم أتاه حين كان ظل الرجل مئاً مثل شخصيه فصنع كما صنع بالأمس فصلى العصر ثم أتاه حين وجبت الشمس فصنع كما صنع بالأمس فصلى المغرب متمنياً ثم تمنا ثم قمنا فأتاه فصنع كما صنع بالأمس فصلى العشاء. ثم ابتدأ الفجر وأصبح والنجوم بادية مشتبكة فصنع كما صنع بالأمس فصلى الغداة ثم قال: ما بين هاتين الصلاتين وقت.

وعن نافع بن جبير بن مطعم عن عبد الله بن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «أتانى جبرائيل عند باب الكعبة مرتين فصلى الظهر حين كان الفىء مثل الشراك ثم صلى العصر حين كان كل شىء بقدر ظله ثم صلى المغرب حين أفطر الصائم ثم صلى العشاء حين غاب الشفق ثم صلى الصبح حين حرم الطعام والشراب على الصائم ثم صلى الظهر فى المرة الأخيرة حين كان كل شىء بقدر ظله لوقت العصر بالأمس، ثم صلى العصر حين كان ظل شىء مثليه ثم صلى المغرب للوقت الأول لم يؤخرها ثم صلى العشاء الأخيرة حين ذهب ثلث الليل ثم صلى الصبح حين أسفر ثم التفت فقال: يا محمد هذا وقت الأنبياء من قبلك، الوقت فيما بين هذين الوقتين».

﴿إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ إقباله بظلامه.

قال ابن عباس: بدو الليل. قتادة: صلاة المغرب.

مجاهد: غروب الشمس. أبو عبيدة: سواده.

ابن قيس الرقيات:

إن هذا الليل قد غسقا فاشتكت الهم والأرقا

وقيل: غسق يغسق غسوقاً.

﴿وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ﴾ أى صلاة الفجر فسمى الصلاة قرآناً لأنها لا تجوز إلا بقرآن، وقيل: يعنى

قرآن الفجر ما يقرأ به فى صلاة الفجر.

وانتصاب القرآن من وجهين: أحدهما: أنه عطف على الصلاة أى أقم قرآن الفجر، قاله

الفراء، وقال أهل البصرة: على (الإغراء) أى عليك بقرآن الفجر.

وقال بعضهم: اجتماعه وبيانه وحينئذ يكون مجاز أقم الصلاة لدلوك الشمس بقرآن

الفجر.

﴿إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ يشهد ملائكة الليل وملائكة النهار ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء

فهو فى آخر ديوان الليل وأول ديوان النهار، وفى هذه الآية دليل واضح على تعلق وجوب

الصلاة بأول الوقت فاستحباب التغليس بصلاة الفجر.

الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «فضل صلاة الجميع على

صلاة الواحد خمس وعشرون درجة ويجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار فى صلاة الصبح».

قال: يقول أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم ﴿وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾.

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ﴾ أى قم بعد نومك وصل.

قال المفسرون: لا يكون التهجد إلا بعد النوم يقال: تهجد إذا سهر، وهجد إذا نام.

وقال بعض أهل اللغة: يقال تهجد إذا نام وتهجد إذا سهر وهو من الأضداد.

روى حميد بن عبد الرحمن بن عوف: عن رجل من الأنصار أنه كان مع رسول الله ﷺ فى

سفر وقال: لأنظرن كيف يصلى النبى ﷺ قال: فنام رسول الله ﷺ ثم استيقظ فرفع رأسه إلى

السماء فتلا أربع آيات من سورة آل عمران: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ

وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ﴾ (آل عمران: ١٩٠) ثم أهوى بيده إلى القربة وأخذ مسواكاً فاستن به ثم توضأ ثم

صلى ثم نام ثم استيقظ، فصنع كصنيعه أول مرة، ويزعمون أنه التهجد الذى أمره الله تعالى.

﴿نَافِلَةٌ لَّكَ﴾ قال ابن عباس: خاصة لك، مقاتل بن حيان: كرامة وعطاء لك.

ابن عباس: فريضتك.

وقال: أمر النبي ﷺ بقيام الليل خاصة وكتبت عليه، ويكون معنى النافلة على هذا القول فريضة فرضها الله عليك فضلاً عن الفرائض التي فرضها الله علينا زيادة.  
وقال قتادة: تطوعاً وفضيلة.

وقال بعض العلماء: كانت صلاة الليل فرضاً عليه في الابتداء ثم رخص له في تركها فصارت نافلة.

وقال مجاهد: والنافلة للنبي ﷺ خاصة من أجل أنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فما عمل من عمل سوى المكتوبة فهو نافلة له من أجل أنه لا يعمل ذلك كفارة لذنوبهم، فهي نوافل له وزيادة للناس يعملون ويصلون ما سوى المكتوبة لذنوبهم في كفارتها فليست للناس نوافل.

﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾.

قال أهل التأويل: عسى ولعل من الله جزاء لأنه لا يدع أن يفعل لعباده ما أطمعهم فيه من الجزاء على طاعتهم لأنه ليس من صفته الغرور، ولو أن رجلاً قال لآخر: اهدني والزمني لعل أن أنفك فلزمه ولم ينفعه مع إطماعه فيه ووعده لكان عاراً له وتعالى الله عن ذلك، وأما المقام المحمود فالمقام الذي يشفع فيه لأُمَّته يحمد فيه الأولون والآخرون.

عاصم بن أبي النجود عن زيد عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت ابن أبي قحافة خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله ثم قرأ ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾».

وعن حذيفة بن اليمان قال: يُجمع الناس في صعيد واحد فلا تكلم نفس فتكون أول من يدعو محمداً ﷺ فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس إليك، والمهدى من هديت، وعبدك بين يديك وبك وإليك لا ملجأ ولا منجأ منك إلا إليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت فذلك قوله تعالى ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾.

قتادة عن مأمون بن مالك عن النبي ﷺ قال: «يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيلهمون فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا فأراحنا من مكاننا هذا فيأتون آدم (عليه السلام) فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله عز وجل بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء فاشفع لنا إلى ربك حتى يريحنا من هذا المكان فيقول لهم لست هناك، ويذكر ذنبه الذي أصابه فيستحي ربه من ذلك ولكن اتنوا نوحاً فإنه أول الرسل بعثه الله إلى أهل الأرض، فيأتون نوحاً فيقول لست هناك ويذكر خطيئته وسؤاله ربه هلاك قومه فيستحي ولكن اتنوا إبراهيم خليل الرحمن

فيأتون إبراهيم (عليه السلام) فيقول: لست هناك ولكن اتوا موسى عبداً كلمه الله وأعطاه التوراة فيأتون موسى (عليه السلام) فيقول: لست هناك، ويذكر لهم النفس التي قتل بغير نفس فيستحي من ذلك فيقول اتوا عيسى عبد الله ورسوله هو كلمة الله وروحه، فيأتون عيسى عليه السلام فيقول هناك ولكن اتوا محمداً عبداً غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتونني فأقوم وأمشي بين سماطين من المؤمنين حتى أستأذن على ربي فيؤذن لي فإذا رأيت ربي خررت ساجداً لربي فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقول: ارفع رأسك ثم يقول: قل يسمع وسل تعط واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة، ثم أعود إليه الثانية فإذا رأيت ربي وقعت أو خررت ساجداً لربي فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقول: ارفع يا محمد رأسك قل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأحمد بتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة.

ثم أعود إليه الثالثة فإذا رأيت ربي وقعت وخررت ساجداً لربي فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال ارفع يا محمد رأسك قل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسي فأحمده تحميداً يعلمنيه ثم أشفع فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة ثم أعود إليه الرابعة، وأقول يا رب ما بقى إلا من حبسه القرآن.

قال أنس بن مالك: إن النبي ﷺ قال: «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة».

وروى أبو عاصم محمد بن أبي أيوب الثقفي عن يزيد بن صهيب قال: كنت قد شغلني رأى من رأى الخوارج وكنت رجلاً شاباً، قال: فخرجنا في عصابة ذوى عدد يريد أن يحج ثم يخرج على الناس فمررنا على المدينة فإذا جابر بن عبد الله يحدث القوم عن رسول الله ﷺ جالس إلى سارية وإذا هو قد ذكر الجهنميين فقلت له: يا صاحب رسول الله ما هذا الذي تحدث والله عز وجل يقول: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ﴾ (آل عمران: ١٩٢) ﴿كَلِمَاتٌ أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾ (الحج: ٢٢).

فقال لي: تقرأ القرآن؟ قلت: نعم فقال: فهل سمعت مقام محمد الحمود الذي يبعثه الله فيه؟ قلت: نعم، قال: فإنه مقام محمد ﷺ الحمود الذي يخرج الله به من يخرج من النار. ثم نعت وضع الصراط ومرور الناس عليه قال: وأخاف أن لا أكون حفظت ذلك غير أنه قد زعم أن قوماً يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها، قال: فيخرجون كأنهم عيدان



السماسم فيدخلون نهراً من أنهار الجنة فيغتسلون فيه فيخرجون كأنهم القراطيس . قال : فرجعت وقلنا أيرون كهذا الشيخ يكذب على رسول الله ﷺ فوالله ما خرج منا غير رجل واحد .

الزهري عن علي بن حسين قال : قال النبي ﷺ : « إذا كان يوم القيامة مدّ الأرض مدّ الأديم ( . . . ) حتى لا يكون لبشر من الناس إلا موضع قدميه » .

قال النبي ﷺ : « فأكون أنا أول من يدعى وجبرائيل عن يمين الرحمن والله ما رآه قبلها ، وأقول : يا رب إن هذا أخبرني أنك أرسلته إليّ فيقول الله تعالى : صدق ، ثم أشفع فأقول يا رب عبادك عبدوك في أطراف الأرض قال : وهو المقام المحمود » .

وروى سفيان عن سلمة بن سهيل عن أبي الزعراء قال : قال عبد الله : يكون أول شافع يوم القيامة روح القدس جبرائيل ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم يقوم نبيكم ﷺ رابعاً فلا يشفع أحد بعده فيما يشفع فيه وهو المقام المحمود .

سعيد بن عروبة عن قتادة عن أنس أن النبي ﷺ قال : إن البراق قال لجبرائيل : والذي بعثك بالحق لا يركبني حتى يضمن لي الشفاعة .

عبد الله بن إدريس عن عبد الله عن نافع عن ابن عمرو قال : إن رسول الله ﷺ قرأ ﴿ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ .

قال : يدنيني فيقعنني معه على العرش .

ابن فنجويه : أجلسني معه على سريره .

أبو أسامة عن داود بن يزيد (الأزدى) عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ﴿ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ قال : « الشفاعة » .

عاصم عن أبي وائل عن عبد الله قال : إن الله تعالى اتخذ إبراهيم خليلاً وإن صاحبكم خليل الله وأكرم الخلق على الله ثم قرأ ﴿ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ قال : يقعه على العرش .

وروى سعيد الجروي عن سيف السدوي عن عبد الله بن سلام قال : إذا كان يوم القيامة يأتي نبيكم ﷺ فيقع بين يدي الرب عز وجل على الكرسي .

وروى ليث عن مجاهد في قوله عز وجل ﴿ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ قال : يجلسه على العرش .

قال الأستاذ الإمام أبو القاسم الثعلبي: هذا تأويل غير مستحيل لأن الله تعالى كان قبل خلقه الأشياء قائماً بذاته ثم خلق الأشياء من غير حاجة له إليها، بل إظهاراً لقدرته وحكمته ليعرف وجوده وحده وكمال علمه وقدرته بظهور أفعاله المتقنة بالحكمة، وخلق لنفسه عرشاً استوى عليه كما يشاء من غير أن صار له مما شاء أو كان له العرش مكان بل هو الآن على الصفة التي كان عليها قبل أن يخلق المكان والزمان، فعلى هذا القول سواء أقعد محمداً ﷺ على العرش أو على الأرض لأن استواء الله على العرش ليس بمعنى الاستقبال والزوال أو تحول الأحوال من القيام والقعود أو الحال الذي يشغل العرش، بل هو مستو على عرشه كما أخبر عن نفسه بلا كيف، وليس إقاعده محمداً ﷺ على العرش موجباً له صفة الربوبية أو مخرجاً إياه من صفة العبودية بل هو رفع لمحلته وإظهار لشرفه وتفضيل له على غيره من خلقه، وأما قولهم: في الأخبار معه، فهو شابه قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ (الأعراف: ٢٠٦) و﴿رَبِّ آيِنِ لِي عِنْدَكَ نَبِيًّا فِي الْبَيْتَةِ﴾ (التحریم: ١١) ونحوهما من الآيات، كل ذلك راجع إلى الرتبة والمنزلة لا إلى المكان والجهة والله أعلم.

﴿وَقَالَ رَبِّ ادْخُلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ قرأه العامة: بضم الميمين على معنى

الإدخال والإخراج.

وقرأ الحسن: بفتحهما على معنى الدخول والخروج.

واختلف المفسرون في تأويلها.

فقال ابن عباس والحسن وقتادة ﴿أَدْخَلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ المدينة ﴿وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ من مكة نزلت حين أمر رسول الله ﷺ بالهجرة فروى أبو حمزة الشمالي عن جعفر بن محمد عن محمد بن المنكدر قال: قال رسول الله ﷺ: «حين دخل الغار ﴿رَبِّ ادْخُلْنِي﴾ يعني الغار ﴿مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي﴾ من الغار ﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ إلى المدينة».

وقال الضحاك: ﴿وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ من مكة آمناً من المشركين ﴿أَدْخَلْنِي﴾ مكة ﴿مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ ظاهراً عليها بالفتح.

عطية عن ابن عباس ﴿أَدْخَلْنِي﴾ القبر ﴿مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ عند الموت ﴿وَأَخْرِجْنِي﴾ من القبر ﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ عند البعث.

الكلبي ﴿أَدْخَلْنِي﴾ المدينة ﴿مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ حين أدخلها بعد أن قصد الشام ﴿وَأَخْرِجْنِي﴾ منها إلى مكة افتتحها لى.

مجاهد ﴿أَدْخَلْنِي﴾ في أمرك الذي أدخلتني به من النبوة ﴿مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي﴾ منه

﴿مُخْرَجٍ صِدْقٍ﴾.

قتادة عن الحسن: ﴿أَدْخَلَنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ فى طاعتك ﴿وَأَخْرَجَنِي مُخْرَجٍ﴾ بالصدق أى سالمًا غير مقصر فيها.

وقيل: معناه ﴿أَدْخَلَنِي﴾ حيث ما أدخلتني بالصدق ﴿وَأَخْرَجَنِي﴾ بالصدق أى لا تجعلني ممن أدخل بوجه وأخرج بوجه فإن ذا الوجهين لا يكون أمينًا عند الله. ﴿وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ مجاهد: حجة بينة.

قال الحسن: يعنى ملكًا قويًا ينصرنى به على من والانى وعزًّا ظاهرًا أقيم به دينك، قال: فوعده الله تعالى لينزعن ملك فارس والروم وعزتهما فيجعله له.

قتادة: إن نبي الله ﷺ علم أن لا طاقة له بهذا الأمر إلا بسultan فسأل سلطانًا نصيرًا بكتاب الله وحدوده، وفرائضه وإقامة دينه وإن السلطان رحمة من الله جعلها من أظهر عباده لا يقدر بعضهم على بعض وأكل شديدهم ضعيفهم. وقيل: هو فتح مكة.

وروى موسى بن إسماعيل عن حماد عن الكلبي فى قوله ﴿وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ قال: سلطانه النصير.

عتاب بن أسيد بن أبى العاص بن أمية: استعمله رسول الله ﷺ على أهل مكة (قال له: ) انطلق فقد استعملتك على أهل الله يعنى مكة فكان شديدًا على (المنافقين) لينًا للمؤمنين. قال: لا والله لا أعلم متخلفًا ينطلق عن الصلاة فى جماعة إلا ضربت عنقه فإنه لا يتخلف عنها إلا منافق.

فقال أهل مكة: يا رسول الله تستعمل على أهل الله: عتاب بن أسيد أعرابيًا حافيًا؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنى رأيت فيما يرى النائم، كأن عتاب بن أسيد أتى باب الجنة فأخذ بحلقة الباب ففلقها لا شديدًا حتى فتح له فدخلها فأعز الله به الإسلام لنصرته المؤمنين على من يريد ظلمهم فذلك السلطان النصير».

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ يعنى أتى ﴿وَوَهَوَ الْبَطِلُ﴾ أى ذهب الشيطان وهلكه، قاله قتادة. وقال السدى: الحق الإسلام، والباطل الشرك. وقيل: الحق دين الرحمن والباطل الأوثان.

وقال ابن جريج: الحق الجهاد والقتال.

﴿إِنَّ الْبَطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ ذاهبًا.

يقال: زهقت نفسه إذا خرجت وزهق السهم إذا جاوز الفرض فاستمر على جهته .  
قال ابن مسعود وابن عباس: لما افتتح رسول الله ﷺ مكة وجد حول البيت ثلاثمائة وستين صنماً، صنم كل قوم بحيالهم ومعه مخصرة فجعل يأتي الصنم فيطعن في عينه أو في بطنه ثم يقول ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ فجعل الصنم ينكب لوجهه وجعل أهل مكة يتعجبون، ويقولون فيما بينهم ما رأينا رجلاً أسحر من محمد .  
﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ أى بيان من الضلالة والجهالة بين المؤمنين ما يختلف فيه ويشكل عليه، فيشفى به من الشبهة ويهدى به من الحيرة وإذا فعل ذلك رحمه الله، فهو شفاء للقلوب بزوال الجهل عنها كما يشفى المريض إذا زالت العلل عنه .

قتادة: إذا سمعه المؤمن انتفع به وحفظه ووعاه .  
﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ لأنه لا ينتفع به ولا يحفظه ولا يعيه .  
وقال همام: سمعت قتادة يقول: ما جالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان ثم قرأ هذه الآية .

وروت ساكنة بنت الجروود قالت: سمعت رجاء الغنوى يقول: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لَمْ يَسْتَشْفِ بِالْقُرْآنِ فَلَا شِفَاءَ لَهُ» .

﴿وَإِذَا أُنْمِتْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أُغْرِضْ﴾ عن ذكرنا ﴿وَنَسَا بِجَانِبِهِ﴾ وتباعدا بنفسه .  
وقال عطاء: تعظم وتكبر .

واختلف القراء فى هذا الحديث، فقرأ أبو عمرو وعاصم ونافع وحزمة فى بعض الروايات عنهم: بفتح النون وكسر الهمزة على الإمالة .

وقرأ الكسائى وخلف وحزمة فى سائر الروايات: بكسرهما، اتبعوا الكسرة .  
وقرأ أكثرهم: بفتحهما على التفخيم وهى اللغة العالية .

وقرأ أبو جعفر وعامر: بالنون ولها وجهان: أحدهما: مقلوبة من نأى كما يقال رأى ورأى، والثانى: إنها من النوء وهو النهوض والقيام ويقال أيضاً للوقوف الجلوس نوء وهو من الأضداد .

﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ الشدة والضرر ﴿كَانَ يَتُوسَّ﴾ قنوطاً ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَأْنِ كَلْبِهِ﴾ .

قال ابن عباس: على ناحيته . مجاهد: على حدته .

الحسن وقتادة: على نيته . ابن زيد: على دينه .

مقاتل : على جدلته . الفراء : على طريقته التي جبل عليها .

أبو عبيدة والقتبي : على خليقته وطبيعته .

وهو من الشكل ، يقال : لست على شكلي وشاكتي ، وقيل : على سبيله الذي اختاره لنفسه ، وقيل : على اشتباهه من حولهم ، أشكل على الأمر أى اشتبه ، وكل هذه الأقاويل متقاربة .

يقول العرب : طريق ذو شواكل إذا ينشعب الطرق (منه) ، ومجاز الآية : كل يعمل ما يشبهه ، كما قيل فى المثل السائر : كل امرئ يشبه فعله ما فعل المروء فهو أهله .  
﴿فَرِيكُمُ أَغْمُرُ مَن هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾ .



﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿١٧﴾ وَلَئِن سَأَلْنَا لَنَدْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿١٨﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿١٩﴾ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٢٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٢١﴾ .  
﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ .

الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال : كنت أمشى مع النبي ﷺ بالمدينة وهو متكئ على عسيب فمرَّ بقوم من اليهود ، فقال بعضهم : سلوه عن الروح ، وقال بعضهم : لا تسألوه ، فقام متكأ على العسيب ، قال عبد الله ، وأنا خلفه فظننت أنه يوحى إليه فقال  
﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ .

فقال بعضهم لبعض : قلنا لكم لا تسألوه ، وفى غير الحديث عن عبد الله ، قالوا : فكذلك نجد مثله إن الروح من أمر الله تعالى .

وقال ابن عباس : قالت اليهود للنبي ﷺ أخبرنا ما الروح وكيف يعذب الروح فى الجسد ولم يكن نزل فيهم شيء ؟ فلم يجبهم فأتاه جبرائيل (عليه السلام) بهذه الآية .

ويروى أن اليهود اجتمعوا فقالوا لقريش حين سألوهم عن شأن محمد وحاله أسألوا محمداً عن الروح . وعن فتية فقدوا فى الزمان الأول ، وعن رجل بلغ شرق الأرض وغربها ،

فإن أجاب في ذلك كله فهو نبي وإن لم يجب من ذلك كله فليس نبي، وإن أجاب في بعض ذلك وأمسك عن البعض فهو نبي فسألوا النبي ﷺ عنها فأنزل الله عز وجل فيما سأله عن الفتية قوله ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ﴾ (الكهف: ٩) إلى آخر القصة. وأنزل عن الرجل الذي بلغ شرق الأرض وغربها ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (الكهف: ٨٣) إلى آخر القصة.

وأنزل في الروح قوله ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ الآية. واختلفوا في هذا الروح المستؤل عنه ما هو: فقال الحسن وقتادة: هو جبرائيل. قال قتادة: وكان ابن عباس يكتمه.

وروى أبو الميسرة ممن حدثه عن علي بن أبي طالب (رضى الله عنه) أنه قال: في قوله ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ الآية، قال: هو ملك من الملائكة له سبعون ألف وجه لكل وجه منها سبعون ألف لسان لكل لسان منها سبعون ألف لغة، يسبح الله عز وجل بتلك اللغات كلها، يخلق من كل تسيحة ملك يطير مع الملائكة إلى يوم القيامة.

ابن عباس: الروح خلق من خلق الله صورهم على صور بنى آدم، وما نزل من السماء ملك إلا ومعه واحد من الروح.

أبو صالح: الروح كهية الإنسان وليسوا بناس. مجاهد: الروح على صورة بنى آدم لهم أيد وأرجل ورءوس يأكلون الطعام وليسوا بملائكة.

سعيد بن جبير: لم يخلق الله خلقاً أعظم من الروح غير العرش ولو شاء أن بلع السموات السبع والأرضين السبع ومن فيها بلقمة واحدة لفعل، صورة خلقه على صورة الملائكة وصورة وجهه على صورة وجه الآدميين، فيقوم يوم القيامة وهو من يشفع لأهل التوحيد لولا أن سندس الملائكة ستراً من نور لا تحترق أهل السموات من نوره.

وقال قوم: هو الروح المركب في الخلق الذي يفقده (....) (١).

وقال بعضهم: أراد بالروح القرآن وذلك أن المشركين قالوا: يا محمد من أتاك بهذا القرآن، فأنزل الله تعالى هذه الآية وبين أنه من عنده ﴿وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ يعني القرآن ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلِيَّةً وَكَيلاً﴾ ناصراً ينصرك ويرده عليك.

وقال الحسن: وكياً ناصراً يمنعك منا إذا أردناك.

(١) بياض بالأصل المخطوط.

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ يعنى لكن لا يشاء ربك رحمة من ذلك، ﴿إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ .  
 هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن عمرو: أن رسول الله ﷺ خرج وهو معصوب الرأس من وجع فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أيها الناس ما هذه الكتب التى يكتبون الكتاب غير كتاب الله يوشك أن يغضب الله لكتابها فلا يدع ورقاً إلا قليلاً إلا أخذ منه». قالوا: يا رسول الله فكيف بالمؤمنين والمؤمنات يومئذ؟ قال: «من أراد الله به خيراً أبقى فى قلبه لا إله إلا الله» .

وروى شداد بن معقل عن عبد الله بن مسعود قال: إن أول ما تفقدون من دينكم الأمانة وآخر ما تفقدون الصلاة والمصلين، قوم لا دين لهم، وإن هذا القرآن تصبحون يوماً وما معكم منه شىء، فقال رجل: كيف يكون ذلك يا أبا عبد الرحمن وقد أثبتناه فى قلوبنا وأثبتناه فى مصاحفنا نعلمه أبناءنا ويعلمه أبناءنا إلى يوم القيامة.  
 قال: يسرى به فى ليلة فيذهب بما فى المصاحف وما فى القلوب (فتصبح الناس كالبهائم) ثم قرأ عبد الله ﴿وَلَيْنَ شِئْنَا لَنَتَذَهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ الآية .

وروى موسى بن عبيدة عن صفوان بن سليم عن ناجية بن عبد الله بن عتبة عن أبيه عن عبد الله قال: أكثروا الطواف بالبيت قبل أن يرفع وينسى الناس مكانه وأكثروا تلاوة القرآن قبل أن يرفع؟ قالوا: هذه المصاحف ترفع فكيف بما فى صدور الرجال؟  
 قال: يسرى عليه ليلاً يصبحون منه فقراء (وينسون) قول لا إله إلا الله فيتبعون قول أهل الجاهلية وأشعارهم فذلك حين يقع عليهم القول .

وعن عبد الله بن عمرو قال: لا تقوم الساعة حتى يرفع القرآن من حيث نزل له دوى كدوى النحل فيقول الله تعالى: ما بالك، فيقول: منك خرجت وإليك أعود أتلى ولا يعمل فى .  
 ﴿قُلْ لَيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ لا يقدر على ذلك .

قال السدى: لا يأتون بمثله لأنه غير مخلوق ولو كان مخلوقاً لأتوا بمثله .  
 ﴿وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ عوناً .

نزلت هذه الآية حين قال الكفار: لو شئنا لقلنا مثل هذا فأكذبهم الله تعالى ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ﴾ إلى قوله ﴿إِلَّا كُفُورًا﴾ جحوداً .



﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿١٠٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَافَ تَجْجِيرِهَا ﴿١٠١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتِ عَلَيْنَا كَيْفًا أَوْ تَأْتِي بِنَا اللَّهُ وَالْمَلَكُوتَ كَيْلًا ﴿١٠٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى نُنزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ ﴿١٠٣﴾ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿١٠٤﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿١٠٥﴾ قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَشْهَدُونَ لَنزَلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكَاتٍ رَسُولًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٠٧﴾ وَمَنْ يَشْهَدِ اللَّهَ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ ۗ وَيَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَ ۗ وَكَمَا وَصَّيْنَا مَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿١٠٨﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ أُولَئِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفَاتًا أِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿١٠٩﴾ ۗ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿١١٠﴾ قُلْ لَوْ أَنَّكُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴿١١١﴾﴾  
﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ۗ﴾

عكرمة عن ابن عباس أن عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا سفيان بن حرب والنضر بن الحارث وأبا البحتري بن هشام، والأسود بن المطلب وزمعة بن الأسود والوليد بن المغيرة وأبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية وأمّية بن خلف والعاص بن وائل ونيبها ومنبها ابني الحجاج اجتمعوا - أو من اجتمع منهم - بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة .

فقال بعضهم لبعض : ابعثوا إلى محمد وكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه ، فبعث إليه أن أشرف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك فجاءهم رسول الله ﷺ سريعاً وهو (يظن بأنه) بدا لهم في أمره بداءً ، وكان عليهم حريصاً يحب رشدهم ويعز عليه عنتهم .

فقالوا : يا محمد إنا قد بعثنا إليك لنعذر فيك وإنا والله لا نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك ، لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسفهت الأحلام وشتمت الآلهة وفرقت الجماعة فما بقي أمر قبيح إلا وقد جئته فيما بيننا (وبينك) ، وإن كنت إنما جئت بهذا



الحدث تطلب به مالا حزنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا سوّدناك علينا، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك به ربي قد غلب عليك - فكانوا يسمون من الجن من يأتي الإنسان بالخير والشر فرما كان ذلك - بذلنا أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه أو نعذر فيك .

فقال رسول الله ﷺ: « ما بى ما تقولون ، ما جئتكم بما جئتكم أطلب به أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثنى إليكم رسولاً وأنزل على كتاباً وأمرنى أن أكون لكم بشيراً ونذيراً فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم فإن تقبلوا منى ما جئتكم فهو حظكم فى الدنيا والآخرة وإن تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم» .

فقالوا: يا محمد وإن كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيق بلاداً ولا أقل مالا ولا أشد عيشاً منا ، فسل لنا ربك الذى بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التى قد ضيقت علينا وليبسط لنا بلادنا وليجر فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا ، وليكن ممن يبعث لنا فيهم قصى بن كلاب فإنه كان شيخاً صدوقاً فنسألهم عما تقول أحق هو أم باطل فإن صنعت ما سألناك وصدقوك صدقناك وعرفنا به منزلتك عند الله وأنه بعثك رسولاً كما تقول .

فقال لهم رسول الله ﷺ: « ما بهذا بعثت إنما جئتكم من عند الله بما بعثنى به فقد بلغتكم ما أرسلت به فإن تقبلوه فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ، وإن تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم» .

قالوا: فإن لم تفعل هذا فخذ لنفسك فسل ربك أن يبعث ملكاً يصدقك وسله فيجعل لك تيجان وكنوزاً وقصوراً من ذهب وفضة ويغنيك بها عما نراك فإننا نراك تقوم بالأسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه .

فقال لهم رسول الله ﷺ: «(ما أنا بفاعل) ما أنا بالذى يسأل ربه هذا وما بعثت إليكم بهذا، ولكن الله بعثنى بشيراً ونذيراً» .

قالوا: فأسقط السماء (علينا كسفاً) كما زعمت أن ربك (إن) شاء فعل .

فقال رسول الله ﷺ: « ذلك إلى الله إن شاء فعل بكم ذلك» .

قالوا: قد بلغنا أنه إنما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له الرحمان ، وإننا والله لا نؤمن بالرحمان أبداً فقد أعذرنا إليك يا محمد أما والله لا تتركك وما بلغت منا حتى نهلكك أو تهلكنا .

وقال قائل منهم: ﴿أَوْ تَأْتِي بِلَهُ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾.

فلما قالوا ذلك قام النبي ﷺ، وقام معه عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو ابن مخزوم وهو ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب فقال له: يا محمد عرض عليك ما عرضوا فلم تقبل منهم ثم سألك لأنفسهم أمراً ليعرفوا به منزلتك من الله فلم تفعل ذلك، ثم سألك أن تعجل ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل، فوالله لا أومن بك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سلماً ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها وتأتى بنسخة مصورة معك ونفر من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول وإيم الله لو فعلت ذلك لظننت ألا أصدقك، ثم انصرف وانصرف رسول الله ﷺ.

فقال أبو جهل، حين قام رسول الله ﷺ: يا معشر قريش إن محمداً قد أتى إلا ما ترون من عيب ديننا وشتم آلهتنا وسفه أعلامنا وسب آباءنا فإني أعاهد الله لأجلسن له عند الحجر قدر ما أطيق حمله وإذا سجد في صلاته رضخت به رأسه.

وانصرف رسول الله ﷺ إلى أهله حزينا لما فاته من متابعة قومه ولما رأى من مباحدتهم فأنزل الله تعالى ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ﴾.

قال أهل الكوفة: (تفجر) خفيفة بفتح التاء وضم الجيم، واختاره أبو حاتم لأن الينبوع واحد.

(قرأ) الباقون بالتشديد على التفعيل، واختاره أبو عبيد ولم يختلفوا في الثانية أنها مشددة لأجل الأنهار لأنها جمع، والتشديد يدل على التكثير من الأرض يعنى أرض مكة ينبوعاً يعنى عيوناً هو مفعول من نبع الماء.

﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّحِيلٍ وَعَنبٌ فَفَجَرَ الْآتِهَرَ خِلَافَهَا﴾ وسطها ﴿تَفْجِيرًا﴾ (رقيقاً) ﴿أَوْ تَسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِنْفًا﴾ قرأ أكثر قراء العراق: بسكون السين أى قطعة أجمع كسفه وهو جمع الكثير، مثل تمر وتمر وسدر وسدر.

تقول العرب: أعطنى كسفة من هذا الثوب أى قطعة، ويقال: منه جاءنا ببريد كسف أى قطع خبز، وقيل: أراد جاثياً.

وفتح الباقون السين، وهو القطع أيضاً جمع القليل للكسفة.

﴿أَوْ تَأْتِي بِلَهُ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾.

قال ابن عباس: كفيلاً. الضحاك: ضامناً. مقاتل: شهيداً.

مجاهد: جمع القبيلة أى بأصناف الملائكة قبيلة قبيلة.

قتادة: عياناً. الفراء: هو من قول العرب: لقيت فلاناً قبلاً وقبلأ أى معاينة.

﴿أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُرْحٍ﴾ من ذهب وأصله الزينة.

مجاهد: كنت لا أدري ما الزخرف حتى رأيت في قراءة ابن مسعود: بيت من ذهب.

﴿أَوْ تَرْقَى﴾ تصعد ﴿فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾ أى من أجل رقيقك صعودك ﴿حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا

كِتَابًا نَّقْرُؤُهُ﴾ أمرنا فيه باتباعك ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿سُبْحَانَ رَبِّي﴾.

وقرأ أهل مكة والشام: (قال سبحان ربي) يعنى محمد ﷺ ﴿هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾

وليس ما سألتهم في طوق البشر ولا قدرة الرسل ﴿وَمَا مَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ

قَالُوا أَبْعَثْ﴾ جهلاً منهم ﴿أَبْعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ وأن الأولى في محل النصب والثانية في محل

الرفع وفي الآية اختصار فتأويلها هلاً بعث الله ملكاً رسولاً فأجابهم الله تعالى ﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي

الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَسْمَعُونَ مُطْمَئِنِّينَ﴾ مستوطنين مقيمين ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ لأن

الملائكة إنما تبعث إلى الملائكة ويраهم الملائكة ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ إنه رسوله إليكم

﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ إلى قوله ﴿أُولَئِكَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ﴾ دونهم ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ

وُجُوهِهِمْ﴾.

شيبان عن قتادة عن أنس: أن رجلاً قال: يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم

القيامة؟ فقال نبي الله ﷺ: «إن الذي أمشاه على رجليه قادر أن يمشيه على وجهه (في النار)».

وروى حماد بن سلمة عن علي بن يزيد عن أوس بن خالد عن أبي هريرة قال: قال رسول

الله ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف: صنفاً مشاةً وصنفاً ركبانياً وصنفاً يمشون على

وجوههم».

قيل: يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم؟ قال: «إن الذي أمشاهم على أقدامهم

قادر على أن يمشيهم على وجوههم إنهم يتقون بوجوههم كل حذب وشوك».

﴿عَمِيًّا وَبِكْمًا وَصُمًَّا﴾ إن قيل: وكيف وصف الله عز وجل هؤلاء يأتيهم يوم القيامة عمى

وصم وبكم، وقال تعالى ﴿وَرَبُّكَ الْمُبْجِرُ مَوْنِ النَّارِ﴾ (الكهف: ٥٣) فقال: ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا﴾

(الفرقان: ١٢) وقال ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ (الفرقان: ١٣) والجواب عنه ما قال ابن عباس: عمياً لا

يرون شيئاً يسرهم، بكماً لا ينطقون بحجة، صمماً لا يسمعون شيئاً يسرهم.

وقال الحسن: هذا حين (جاءتهم) الملائكة وحين يساقون إلى الموقف عمى العيون وزرقها

سود الوجوه إلى أن يدخلوا النار.

مقاتل: هذا حين يقال لهم: اخسئوا فيها ولا تكلمون، فيصبرون بأجمعهم عمياً بكماً

صمًا لا يرون ولا يسمعون ولا ينطقون بعد ذلك .

وقيل : عميًا لا يبصرون الهدى ، وبكمًا لا ينطقون بخير ، وصمًا لا يسمعون الحق .

﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ﴾ قال ابن عباس : (سكنت) مجاهد : (طفيت) قتادة : لانت

وضعت .

﴿زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ وقودًا ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ هُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِبَيِّنَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفَاتًا أَلَمْبَعُوثُونَ خَلَقْنَا جَدِيدًا﴾ فأجابهم الله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ في عظمها وشدتها وكثرة أجزائها وقوتها ﴿قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ في صغرهم وضعفهم نظيره قوله ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ (المؤمن : ٥٧) وقوله ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ﴾ (النازعات : ٢٧) .

﴿وَجَعَلْ لَهُمْ أَجَلًا﴾ أى وقتًا لعذابهم وهلاكهم ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أنه إليهم ، وقيل : إن هذا جواب لقولهم ﴿أَوْ تَسْقِطُ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمْتِ عَلَيْنَا كَيْفًا﴾ ، وقيل : هو يوم القيامة ، وقيل : هو الموت الذى يعاينونه ﴿فَأَبَى الظَّالِمُونَ﴾ الكافرون ﴿الْأَكْفُورًا﴾ جحودًا ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَتْلُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ أى أملاك ربي وأمواله وأراد بالرحمة ههنا الرزق ﴿إِذَا الْأَمْسَكَةُ﴾ لبختم وحبستم ﴿خَشِيَةَ الْإِنْفَاقِ﴾ أى الفاقة ، ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ أى بخيلًا مسكًا ضيقًا .



﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ سِتْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسُئِلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ قال لقد علمت ما أنزل هتولاء إلا رب السموات والأرض بصائر وإني لأظنك يفرعون مثبورًا ﴿فَأَرَادَ أَنْ يَنْفِرَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ وَجَمِيعًا﴾ وقلنا من بعده لبني إسرائيل أسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيما ﴿وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا﴾ وقرء انا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا ﴿قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا﴾ ويقولون سبحن ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا ﴿ويخرون للأذقان يبتكون ويتردهم خشوعا﴾ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أي ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخاف بها وأبغ بين

ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٧﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلَكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ  
وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبِيرَةٌ تَكْبِيرًا ﴿١٨﴾

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى سَعَاءَ آيَاتٍ بَيَّنَّتْ﴾ قال ابن عباس والضحاك: هي العصا واليد البيضاء والعقدة التي كانت بلسانه فحلها وقلق البحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم.  
وقال: عكرمة: مطر، الوراق وقتادة ومجاهد والشعبي وعطاء: هي الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والعصا واليد والسنون ونقص من الثمرات.  
وعن محمد بن كعب القرظي قال: سألتني عمر بن عبد العزيز عن الآيات التسع، فقلت: الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات وعصا موسى ويده والطمس والبحر.

فقال عمر: وأنا أعرف أن الطمس إحداهن.

قال محمد بن كعب: إن رجلاً منهم كان مع أهله في فراشه وقد صارا حجرتين، وإن المرأة منهم لقائمة تختبز وقد صارت حجراً، وإن المرأة منهم لفي الحمام وإنها تصير حجراً. فقال عمر: كيف يكون الفقه إلا هكذا ثم دعا بخريطة فيها أشياء مما كانت أصيبت لعبد العزيز بن مروان بمصر حين كان عليها من بقايا آل فرعون فأخرج منها البيضة مشقوقة (قطعاً) وإنها لحجر وأخرج الجوزة مشقوقة وإنها لحجر وأخرج أشباه ذلك من الفواكه وإنها لحجارة، وأخرج دراهم ودنانير وفلوساً وإنها لحجارة. فعلى هذا القول يكون الآيات بمعنى الدلالات والمعجزات.

وقال بعضهم: هي بمعنى آيات الكتاب.

روى شعبة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة عن صفوان بن غسان المرادي: أن يهودياً قال لصاحبه: تعال حتى نسأل هذا النبي، فقال الآخر: لا تقل نبي لأنه لو سمع صارت له أربعة أعين فأتياه فسألاه عن هذه الآية ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى سَعَاءَ آيَاتٍ بَيَّنَّتْ﴾.

فقال ﷺ: «لا تشركوا بالله شيئاً ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تزنوا ولا تأكلوا الربا ولا تسحروا ولا تمشوا بالبريء إلى سلطان ليقتله ولا تسرقوا ولا تقذفوا المحصنة ولا تولوا يوم الزحف، وعليكم خاصة في اليهود أن لا يتعدوا في السبت».

فقبلوا يده وقالوا: نشهد أنك نبي، قال: «فما يمنعكم أن تتبعوني؟» قالوا: إن داود دعا أن

لا يزال في ذريته نبي، وإننا نخاف إن اتبعناك تقتلنا اليهود.

﴿فَسئَلَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ﴾ موسى (عليه السلام)، وهو قراءة العامة، وروى حنظلة السدوسي عن شهر بن حوشب عن ابن عباس أنه قرأ ﴿فَسئَلَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ﴾ على الخبر وقال: سأل موسى فرعون أن يخلّي سبيل بني إسرائيل ويرسلهم معه.

﴿فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَلْمُوسَى مَسْحُورًا﴾ أى قد سحروك، قاله الكلبي، وقال ابن عباس: مخدوعاً، وقال محمد بن جرير: يعطى علم السحر فهذه العجائب التي يفعلها من سحرك، وقال الفراء وأبو عبيد: ساحراً فوضع المفعول موضع الفاعل، كما قال: هو مشؤوم وميمون أى شائم ويامن، وقيل: معناه: وإني لأعلمك يا موسى بشراً ذا سحر، أى له رثة.

﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُ﴾ قراءة العامة بفتح التاء خطاباً لفرعون، وقرأ الكسائي بضم التاء وهي قراءة على.

روى شعبة عن أبي إسحاق عن رجل من مراد عن علي بن أبي طالب (رضى الله عنه) أنه قرأها: (لقد علمت) برفع التاء وقال: والله ما علم عدو الله ولكن موسى هو الذي علم، قال: فبلغت ابن عباس فقال: إنها لقد علمت تصديقاً لقوله: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾ (النمل: ١٤).

قال أبو عبيد: والمأخوذ عندنا نصب التاء، وهو أصح من المعنى الذي احتج به ابن عباس، ولأن موسى (عليه السلام) لا يحتج بأن يقول علمت أنا وهو الرسول الداعي، ولو كان مع هذا كله تصح تلك القراءة (عن علي) لكانت حجة، ولكنها ليست تثبت عنه إنما هي عن رجل مجهول، ولا نعلم أحداً من القرآء تمسك بها غير الكسائي، والرجل المرادى الذي روى عنه أبو إسحاق هو كلثوم المرادى.

﴿مَا أَنْزَلَ مَثُورًا﴾ الآيات التسع ﴿إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصِيرٌ﴾ جمع بصيرة ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَنْفِرِعُونَ مَثُورًا﴾ قال ابن عباس: يعنى ملعوناً، مجاهد: هالكا، قتادة: مهلكاً.

وروى عيسى بن موسى عن عطية العوفى فى قوله: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَنْفِرِعُونَ مَثُورًا﴾ قال: مُبَدَّلًا، ابن زيد: مخبولاً، لا عقل لك، مقاتل: مغلوباً، ابن كيسان: بعيداً عن الخيرات، وروى سفيان بن حصين عن الحسن فى قوله: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَنْفِرِعُونَ مَثُورًا﴾ قال (سلاحاً) فى القטיפفة.

قال مجاهد: دخل موسى على فرعون فى يوم شات وعليه قטיפفة له فألقى موسى عصاه فرأى فرعون جانبى البيت (فقميها)، ففزع فرعون وأحدث فى قטיפفته.

وعن إبراهيم بن سعيد الجوهري قال: كنت قائماً على رأس المأمون وهو يناظر رجلاً

فسمعتة يقول: يا مثير، ثم أقبل على فقال: يا إبراهيم ما معنى: يا مثير؟ قلت: لا أدري، فقال: حدثني الرشيد قال: حدثني أمير المؤمنين المنصور فسمعتة يقول لرجل يا مثير، فقلت له: يا أمير المؤمنين ما معنى مثير؟ قال: قال ميمون بن مهران قال ابن عباس في قوله: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنَ مَثُورًا﴾ قال: ناقص العقل، قال الفراء: يعنى مصروفًا ممنوعًا من الخير، والعرب تقول: ما تبرك عن هذا الحق؟ أى ما منعك عنه وصرفك، وثبره الله يثبره ومثبره وهو لغتان، وقال ابن الزهري: الغليظ الأرب إذا بارى الشيطان فى سنن الغى ومن مال ميله مثير. ﴿فَأَرَادَ﴾ فرعون ﴿أَنْ يَسْتَفْزَهُمْ﴾ يعنى يخرجهم، أى بنى إسرائيل ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ أى أرض مصر والشام.

﴿فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾ ونجينا موسى وقومه ﴿وَوَقَلْنَا مِنَ الْبَدْيِ﴾ أى من بعد هلاك فرعون وقومه ﴿لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ يعنى مصر والشام ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ وهى الساعة ﴿جِئْنَا بِكُمْ﴾ من قبوركم إلى موقف القيامة ﴿لَفِيئًا﴾ مختلطين وقد التف بعضكم ببعض لا تتعارفون ولا ينحاز (أحدكم) إلى قبيلته وحيه، وهو من قول الجيوش إذا اختلطوا، وكل شىء اختلط بشىء تعطف به والتف.

وقال مجاهد والضحاك: (لفيئًا) أى جميعًا، ووحد اللفييف وهو خبر عن الجمع لأنه بمعنى المصدر كقول القائل: لفته لفاً ولفيئًا.

وقال الكلبي: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ يعنى مجىء عيسى ابن مريم من السماء جئنا بكم لفيئًا وقال البزار: من ههنا وههنا، يقول: جميعًا.

وهذه القصة تعزية لبيينا ﷺ وتقوية لقلبه، يقول الله تعالى: كما أنزلت عليك القرآن فكذبك كفار قومك من مكة كذلك أتيت موسى التوراة فكذبه فرعون وقومه، وكما أراد أهل مكة أن يستفزوك منها، كذلك أراد فرعون أن يستفز موسى وبنى إسرائيل من مصر، فأنجيناهم منهم وأظفرتهم عليهم، وكذلك أظفرتك على أعدائك، وأتم نعمتى عليك وعلى من أتبعك نصرًا للدين ولو كره الكافرون، فأنجز الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده وله الحمد والمنة.

﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلَهُ﴾ يعنى القرآن ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ يا محمد ﴿إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ﴾ أى وأنزلناه قرآنًا ففصلناه.

قرأ ابن عباس: (فرقناه) بالتشديد وقال: لأنه لم ينزل مرة واحدة وإنما أنزل (نجومًا) فى عشرين سنة، وتصديقه قراءة أبى بن كعب: وقرآنًا فرقناه عليك، وقرأ الباقون بالتخفيف

كقوله: ﴿فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ (الدخان: ٤).

قال ابن عباس فصلناه، قال الحسن: فرق الله به بين الحق والباطل، وقرأ الآخرون: بيناه. ﴿لَتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْتٍ﴾ أى تودة ومهل فى ثلاث وعشرين سنة ﴿وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا﴾ أمر وعد وتهديد ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ أى من قبل نزول القرآن وخروج محمد ﷺ وهم مؤمنوا أهل الكتاب ﴿إِذَا يَتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ يعنى القرآن ﴿يَخْرُونَ﴾ يسقطون ﴿لِلَّذَقَانِ﴾ على الأذقان وهى جمع الذقن وهو مجتمع اللحيين، قال ابن عباس أراد الوجوه ﴿سُجَّدًا﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ قال مجاهد: هم ناس من أهل الكتاب حين سمعوا ما أنزل على محمد ﷺ خروا سجداً وقالوا سبحان ربنا ﴿إِنْ كَانَ﴾ أى وقد كان وعد ربنا لمفعولاً ﴿وَيَخْرُونَ لِلَّذَقَانِ يَتَكُونَ وَيَرِيدُهُمْ﴾ نزول القرآن ﴿خُشوعًا﴾ خضوعاً وتواضعاً لربهم.

قال عبد الأعلى التيمى: من أوتى من العلم ما لا يبكيه لخليق أن لا يكون أوتى علماً ينفعه، وتلا هذه الآية، نظيرها قوله: ﴿إِذَا تَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُوا سُجَّدًا وَبُكِيًا﴾ (مرم: ٥٨).

﴿قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ الآية، قال ابن عباس: تهجد رسول الله ﷺ ذات ليلة فجعل يقول فى سجوده: يا الله يا رحمن يا رحيم، فقال المشركون: كان محمد يدعو إلهاً واحداً فهو الآن يدعو إلهين اثنين الله والرحمن، والله ما نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب، فأنزل الله عز وجل هذه الآية.

قال ميمون بن مهران: كان النبى ﷺ فى أول ما أوحى إليه يكتب: باسمك اللهم حتى نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (النمل: ٣٠) فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال مشركو العرب: هذا الرحيم نعرفه فما الرحمن؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

الضحاك: قال أهل الكتاب لرسول الله ﷺ إِنَّكَ لَتَقُلُّ ذَكَرَ الرَّحْمَنِ وَقَدْ أَكْثَرَ اللَّهُ فِي التَّوْرَةِ هَذَا الْاسْمَ، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ الآية.

﴿يَا مَا تَدْعُوا﴾ من هذين الاسمين ومن جميع أسمائه ﴿فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ مجازة: أيًا تدعوا، كقوله: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾ (المؤمنون: ٤٠) ﴿جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ﴾ (ص: ١١).

﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُتْ بِهَا﴾ قال ابن عباس: كان النبى ﷺ إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمع ذلك المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن تلا به كما حكاه القرآن:



﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْقَوَافِ فِيهِ﴾ (فصلت: ٢٦) ربما صَفَرُوا لِيُغْلَطُوا النَّبِيَّ ﷺ وَيُخْلَطُوا عَلَيْهِ قراءته فأنزل الله تعالى ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ أى فى الصلاة فيسمع المشركون فيؤذوك، ولا تخافت بها فلا يسمع أصحابك حتى يأخذوا عنك.

وقال سعيد: كان النبي ﷺ يجهر بقراءة القرآن فى المسجد الحرام، فقالت قريش: لا تجهر بالقراءة فتؤذى آلهتنا فنهجوريك، وقال مقاتل: كان رسول الله ﷺ يصلّى فى دار أبى سفيان ابن حرب عند الصفا، يجهر بقراءته فمرّ به أبو جهل فقال: لا تفتتر على الله، فجعل يخفت صوته، فقال أبو جهل للمشركين: ألا ترون ما فعلت بابن أبى كبشة، رددته عن قراءته فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وروى (علقمة) عن ابن سيرين فى هذه الآية قال: كان أبو بكر (رضى الله عنه) يخافت بالقراءة فى الصلاة ويقول: أناجى ربي، وقد علم بحاجتى، وكان عمر بن الخطاب يرفع صوته ويقول: أجزر الشيطان وأوقظ المنان، فأمر أبو بكر حين نزلت هذه الآية أن يرفع صوته شيئاً، وأمر عمر أن يخفض شيئاً.

وقالت عائشة رضى (رضى الله عنها): نزلت هذه الآية فى التشهد، كان الأعرابي يجهر فيقول: التحيات لله والصلوات ويرفع بها صوته، فنزلت هذه الآية، وقال الحسن: (لا تراء) بصلاتك فى العلانية ولا (تُسئها) فى السر.

الوالبى عن ابن عباس: لا تصلّ مرأياً للناس، ولا تدعها مخافة الناس، ابن زيد: كان أهل الكتاب يخافتون فى الصلاة، ثم يجهر أحدهم بالحرف فيصيح ويصيح من وراءه، فنهاه الله أن يصيح كما يصيحون، ويخافت كما يخافتون، والسبيل الذى بين ذلك الذى بين له جبرائيل فى الصلاة.

وقال على والنخعى ومجاهد وابن مكحول: هى فى الدعاء، (وبه قال أشعث عن) عطية عن ابن عباس، وقال عبد الله بن شدّاد: كان أعراب من بنى تميم إذا سلّم النبي ﷺ قالوا: «اللهم ارزقنا»، فقال لهم: أتجهرون؟ فأنزل الله هذه الآية.

ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج أبى السمح أن شيخاً من أصحاب رسول الله ﷺ حدّثه أن رسول الله قال فى هذه الآية: «إنما أنزلت فى الدعاء، يقول: لا ترفع صوتك فى الدعاء عند استغفارك وذكر ذنوبك فيسمع منك فتعير بها وتخافت فى الصوت والسكون»، ومنه يقال للميت إذا برد خفت.

﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ أى بين الجهر والإخفات ﴿سَبِيلًا﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ قال

الحسين بن الفضل: يعنى الذى عرفنى أنه لم يتخذ ولداً ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ  
وَلِيٌّ مِّنَ الدُّنْيَا﴾ قال مجاهد: لم يذل فيحتاج إلى ولى يتعزز به .

﴿وَكَبِيرَةٌ تَبْتَغِي﴾ وعظمه أن يكون له شريك أو ولى ، قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه:  
قول العبد: «الله أكبر» خير من الدنيا وما فيها .

وروى سهل بن معاذ عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «آية العزِّ ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ  
وَلَدًا﴾» إلى آخره .

وروى سفيان بن وكيع عن سفيان بن عيينة عن عبد الكريم عن عمرو بن شعيب عن أبيه  
عن جده قال: كان رسول الله ﷺ إذا أفصح الغلام من بنى عبد المطلب علمه هذه الآية سبع  
مرات .

وروى محمد بن سلمة عن عبد الحميد بن واصل قال: من قرأ آخر بنى إسرائيل كتب الله له  
من الأجر ملء السموات والأرض؛ لأن الله يقول فيمن زعم أن له ولداً ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ  
يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ أن دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿(مریم: ٩٠، ٩١) قال: فيكتب  
له من الأجر على قدر ذلك .



## سُورَةُ الْكَافِرَاتِ

مكية ، وهى سبعة آلاف وثلاثمائة وستون حرفاً<sup>(١)</sup> ،  
وألف وخمسمائة وسبع وسبعون كلمة ، ومائة وعشر آيات

### ❖ فى فضلها:

روى سمرة بن جندب عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : «من قرأ عشر آيات من سورة الكهف حفظاً لم تضرّه فتنة الدجال ، ومن قرأ السورة كلها دخل الجنة» .  
وروى إسماعيل بن رافع عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة أن رسول الله ﷺ قال : «ألا أدلكم على سورة شيعها سبعون ألف ملك حين نزلت ملاً فضلها ما بين السماء والأرض لتاليها مثل ذلك» ؟ . قالوا بلى يا رسول الله . قال : «سورة أصحاب الكهف من قرأها يوم الجمعة غفر له إلى الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام ولياليها مثل ذلك ، وأعطى نوراً يبلغ به السماء ووقى فتنة الدجال» .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾ قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّا كَثِيرٌ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَمِخْلَاقِ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِيَتَّبِعُوهُمُ أَنَّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾﴾

(١) قال القرطبي فى تفسيره : هى مكية فى قول جميع المفسرين وروى عن فرقة : أن أول السورة نزل فى المدينة إلى قوله : ﴿جرزاً﴾ . والأول أصح .

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ : الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب قيماً مستقيماً. قال ابن عباس : عدلاً. الفراء : قيماً على الكتب كلها ناسخاً لشرائعها. ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ : مختلفاً ﴿لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ أي لتنذركم بأسا شديداً ﴿مَنْ لَدُنْهُ وَيَبْشُرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَمْعَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ وهي الجنة.

﴿مُكْتَبِينَ﴾ : مقيمين ﴿فِيهِ أَبَدًا﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾ نصب على التمييز والقطع، تقديره: كبرت الكلمة كلمة، ﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ﴾ : ما يقولون ﴿إِلَّا كَذِبًا﴾ .

﴿فَلَعَلَّكَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ : قاتل نفسك ﴿عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ : القرآن ﴿أَسَفًا﴾ : حزناً وجزعاً و غضباً .

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ﴾ من كل شيء ﴿زِينَةً لَهَا﴾ ، قال الضحاك من الزاكية خاصة زينة لها ﴿لِيَتْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي أزهد فيها .  
﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا﴾ : مستويًا ﴿جُرُزًا﴾ : يابساً أملس لا تنبت شيئاً .



﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا لَهُمْ لُغْمًا أَيُّ الْحَزِينِ أَخْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿وَإِذِ اعْتزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يُعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْأَىٰ إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا﴾

﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ ، معناه : بل حسبت ، يعني : أظننت يا محمد ﴿أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ ؟ يعني : ليسوا أعجب آياتنا ؛ فَإِنَّ مَا خَلَقْتَ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ مِنَ الْعَجَائِبِ أَغْرَبَ مِنْهُمْ . والكهف هو الغار في الجبل . واختلفوا في الرقيم ، فقال فيه ما روى ابن جريج عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال : «إِنَّ ثَلَاثَةَ

نفر خرجوا يرتادون لأهلهم، بينما هم يمشون إذ أصابتهم السماء، فأووا إلى كهف فسقطت صخرة من الجبل فانطبقت على باب الكهف فانقفل عليهم، فقال قائل منهم: اذكروا أيكم عمل حسنة لعل الله برحمته يرحمنا.

فقال رجل منهم: قد عملت حسنة مرة، كان لى أجراء يعملون عملاً استأجرت كل رجل منهم بأجر معلوم، فجاءنى رجل ذات يوم وسط النهار فاستأجرته بشرط أصحابه، فعمل فى بقية نهاره كما عمل الرجل منهم فى نهاره كله، فرأيت علىّ فى الذّمّام ألاّ أنقصه ممّا استأجرت به أصحابه، لما جهد فى عمله، فقال رجل منهم: أتعطى هذا ما أعطيتنى ولا يعمل إلاّ نصف النهار؟ قلت: يا عبد الله لم أبخسك شيئاً من شرطك، وإنما هو مالى أحكم فيه ما شئت.

قال: فغضب وذهب وترك أجره، فوضعت حقه فى جانب من البيت ما شاء الله، ثم نزل بى بعد ذلك بقر فاشتريت به فصيلة من البقر، فبلغت ما شاء الله، فمرّ بى بعد حين شيخ ضعيف لا أعرفه، فقال لى: إن لى عندك حقاً. فذكره حتى عرفته، قلت: إياك أبغى وهذا حقك. فعرضتها عليه جميعاً فقال: يا عبد الله، لا تسخر بى إن لم تتصدّق علىّ فأعطينى حتى. قلت: والله لا أسخر، إنها لحقك ما لى فيه شىء، فدفعتها إليه. اللهم إن كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا. فانصدع الجبل حتى رأوا الضوء فأبصروا.

وقال الآخر: قد عملت حسنة مرّة، كان لى فضل: وأصاب الناس شدة، فجاءتنى امرأة تطلب منى معروفاً، فقلت: والله ما هو دون نفسك. فأبت علىّ، وذهبت ورجعت ثلاث مرات وقلت: لا والله ما هو دون نفسك. فأبت علىّ وذهبت، وذكرت لزوجها، فقال لها: أعطيه نفسك وأغيشى عيالك. فرجعت إلىّ ونشدتنى بالله، فأبيت عليها وقلت: والله ما هو دون نفسك. فلما رأت ذلك أسلمت إلىّ نفسها، فلما تكشفتها وهممت بها ارتعدت من تحتى، فقلت لها: ما شأنك؟ قالت: أخاف الله رب العالمين. فقلت لها: خفته فى الشدة ولم أخفه فى الرخاء! فتركتها وأعطيتها ما يحق علىّ بما تكشفتها. اللهم إن كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا. فانصدع حتى تعارفوا وتبين لهم.

وقال الآخر: قد عملت حسنة مرّة، كان لى أبوان شيخان كبيران، وكان لى غنم، فكنت أطعم أبوىّ وأسقيهما ثم أرجع إلى أهلى. قال: فأصابنى يوماً غيث حبسنى حتى أمسيت فأتيت أهلى فأخذت محلبى وحلبت غنمى وتركتها قائمة فمضيت إليهما، فوجدتهما ناما، فشقّ علىّ أن أوقظهما، وشقّ علىّ أن أترك غنمى فما برحت جالساً ومحلبى علىّ يدي حتى

أيقظهما الصبح فسقيتهما. اللهم إن فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا».

قال النعمان: لكأنى أسمع من رسول الله ﷺ قال: «قال الجبل طاق، ففرج الله عنهم وخرجوا».

وقال ابن عباس: الرقيم واد بين غطفان وأيلة، وهو الوادى الذى فيه أصحاب الكهف. وقال كعب هى قريتهم. وهو على هذا التأويل من رقمة الوادى وهو موضع الماء منه، تقول العرب: عليك بالرقمة، ودع الضفة. والضفتان: جانبا الوادى. وقال سعيد بن جبير: الرقيم لوح من حديد، وقيل: من رصاص، كتبوا فيه أسماء أصحاب الكهف وقصتهم، ثم وضعوه على باب الكهف. وهو على هذا التأويل بمعنى المرقوم، أى المكتوب. والرقم: الخط والعلامة، والرقم: الكتابة.

ثم ذكر قصتهم فقال: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾، أى رجعوا وصاروا.

قال السدى ووهب وغيرهم: أسماؤهم: مكشلمينا وهو كبيرهم ورئيسهم (والتكلم عنهم)<sup>(١)</sup>. وإيليا وهو أجملهم وأعبدهم وأنشطهم<sup>(٢)</sup>. ومكشيئا. ومرطوش. ونوانش. ولونوش. وكيدسطنوس. وكلبهم: قطمير<sup>(٣)</sup>.

ولما دخلوا الكهف قالوا: يا قيوم يا قيوم أيوم طاسوم. قيل: معناه: يا حى يا قيوم الهدى والرحمة.

واختلفوا فى مسيرهم إلى الكهف<sup>(٤)</sup>، فقال محمد بن إسحاق بن يسار: مرج أهل الإنجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت فيهم الملوك حتى عبدوا الأصنام وذبحوا للطواغيت، وفيهم بقايا على دين المسيح ابن مريم (عليه السلام)، متمسكين بعبادة الله عز وجل وتوحيده. وكان

(١) زيادة من تفسير القرطبي.

(٢) فى تفسير القرطبي: هو الذى مضى بالورق إلى المدينة عند بعثهم من رقدتهم.

(٣) فى تفسير القرطبي: قال مقاتل: كان الكلب لمكشلمينا وهو أسنهم وصاحب غنم.

قلت: وقد وردت أسماؤهم فى القرطبي على غير هذا النحو وإن كانت قريبة منه، والأهم من ذلك كله أن أسماءهم غير ذات جدوى فلا داعى للخوض فيها.

(٤) هذا وضع طبيعى صنعه من قبله ومن بعدهم ممن تركوا عقائد وملل آبائهم الباطلة وأقبلوا على عبادة الله الواحد القهار فمن المعروف أن أعداء الحق والهدى سيعادونهم ويطردونهم كما قال ورقة بن نوفل للنبي ﷺ ليتنى أكون معك إذ يخرجك قومك، قال: أو مخرجى هم؟! قال: نعم، ما جاء نبي بمثل ما جئت به إلا أودى وعودى من قومه، فالبحث فى سبب خروجهم لا قيمة له حيث هو تخمين أما خطه الرئيسى فهو مألوف أما الغريب أو الطريف والغريب مألوف هو ما حدث لهم بعد دخولهم الكهف وعند بعثهم ثم بعد اطلاع الملك عليهم وما آل إليه أمرهم، والله سبحانه صدر قصتهم بقوله: ﴿نحن نقص عليك نبأهم بالحق﴾ ومن أصدق من الله قيلا وإنما قال ذلك لشتات قول الناس فيهم وخوضهم فى أمرهم بالباطل فحسم الخلاف سبحانه.

تَمَنَّ فعل ذلك من ملوكهم ملك من الروم يُقال له دقيانوس كان قد عبد الأصنام وذبح للطواغيت وقتل من خالفه فى ذلك تَمَنَّ أقام على دين المسيح . وكان ينزل بقرى الروم فلا يترك فى قرية ينزلها أحداً إلاّ فتنه حتى يعبد الأصنام ، ويذبح للطواغيت ، حتى نزل مدينة أصحاب الكهف وهى أفسوس ، فلما نزلها كبر ذلك على أهل الإيمان فاستخفوا منه وهربوا فى كل وجه . وكان دقيانوس قد أمر حين قدمها أن يتتبع أهل الإيمان ، فيجمعوا له ، واتخذ شرطاً من الكفار من أهلها ، فجعلوا يتتبعون أهل الإيمان فى مساكنهم فيخرجونهم إلى دقيانوس فيقدمهم إلى الجامع الذى يذبح فيه للطواغيت ، فيخيرهم بين القتل وبين عبادة الأصنام والذبح للطواغيت ، فمنهم من يرغب فى الحياة ومنهم من يأبى أن يعبد غير الله فيُقتل .

فلما رأى ذلك أهل الشدة فى الإيمان بالله عز وجل ، جعلوا يسلمون أنفسهم للعذاب والقتل ، فيقتلون ويقطعون ثم يربط ما قطع من أجسامهم على سور المدينة من نواحيها كلّها وعلى كل باب من أبوابها ، حتى عظمت الفتنة على أهل الإيمان فمنهم من أقر فترك ومنهم من صلب على دينه فقتل .

فلما رأى الفتية ذلك حزناً شديداً ، فقاموا وصلّوا وصاموا واشتغلوا بالدعاء والتسبيح لله عز وجل ، وكانوا من أشرف الروم ، وكانوا ثمانية نفر ، فبكوا وتضرّعوا وجعلوا يقولون : ﴿ رَبَّنَا رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوكَ مِنْ دُونِنَا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴾ ، اكشف عن عبادك هذه الفتنة ، وارفع عنهم البلاء ، وأنعم على عبادك الذين آمنوا بك حتى يعلنوا عبادتك . فبينما هم على ذلك إذ أدركهم الشرط ، وكانوا قد دخلوا فى مصلى لهم فوجدوهم سجوداً على وجوههم يبيكون ويتضرّعون إلى الله عز وجل ويسألونه أن ينجيهم من دقيانوس وفتنه . فلما رآهم أولئك الكفرة قالوا لهم : ما خلفكم عن أمر الملك ؟ انطلقوا إليه . ثم خرجوا من عندهم فرفعوا أمرهم إلى دقيانوس ، فقالوا : نجمع الجميع وهؤلاء الفتية من أهل بيتك يسخرون منك ويعصون أمرك ؟ .

فلما سمع ذلك أتى بهم تفيض أعينهم من الدمع ، معقرة وجوههم فى التراب ، فقال لهم : ما منعكم أن تشهدوا لذبح الآلهة التى تعبد فى الأرض ، وأن تجعلوا أنفسكم كغيركم ؟ اختاروا إما أن تذبحوا لآلهتنا كما ذبح الناس وإما أن أقتلكم . فقال مكسلمينا - وكان أكبرهم - : إن لنا إلهاً ملاً السموات والأرض عظمته ، لن ندعو من دونه إلهاً أبداً ، ولن نقر بهذا الذى تدعوننا إليه أبداً ، ولكننا نعبد الله ربنا ، وله الحمد والتكبير والتسبيح من أنفسنا خالصاً ، إياه نعبد ، وإياه نسأل النجاة والخير فأما الطواغيت وعبادتها ، فلن نعبدتها أبداً ، فاصنع بنا ما بدا لك . ثم قال

أصحاب مكسملينا لدقيانوس مثل ما قال له ، فلما قالوا ذلك أمرهم فنزع عنهم لبوس كان عليهم من لبوس عظمائهم ، ثم قال : أما إذا فعلتم فإني سأؤخركم ، وسأفرغ لكم فأنجز لكم ما وعدتكم من العقوبة ، وما ينعني أن أعجل ذلك لكم إلا أنى أراكم شباباً ، حديثه أسنانكم ، ولا أحب أن أهلكم حتى أجعل لكم أجلاً تذكرون فيه ، وتراجعون عقولكم .

ثم أمر بحلية كانت عليهم من ذهب وفضة فنزعت منهم ، ثم أمر بهم حتى أخرجوا من عنده ، وانطلق دقيانوس إلى مدينة سوى مدينتهم التي كانوا بها قريباً منهم لبعض أموره ، فلما رأى الفتية أن دقيانوس قد خرج من مدينتهم بادروا قدومه ، وخافوا إذا قدم مدينتهم أن يذكرهم ، فاثمروا بينهم أن يأخذ كل رجل نفقة من بيت أبيه فيتصدقوا بها ويتزودوا بما بقى ، ثم ينطلقوا إلى كهف قريب من المدينة في جبل يقال له ينجلوس فيمكنون فيه ، ويعبدون الله عز وجل ، حتى إذا جاء دقيانوس أتوه فقاموا بين يديه فيصنع بهم ما شاء .

فلما قال ذلك بعضهم لبعض ، عمد كل فتى منهم إلى بيت أبيه وأخذ نفقة فتصدقوا بها ، وانطلقوا بما بقى معهم من نفقتهم ، واتبعهم كلب كان لهم ، حتى إذا أتوا ذلك الكهف الذي في ذلك الجبل تلبثوا فيه .

وقال كعب الأخبار : مروا بكلب فنبح عليهم فطرده ، فعاد ففعلوا ذلك مراراً ، فقال لهم الكلب : ما تريدون مني ؟ لا تخشون إجابتي . أنا أحب أحب الله ، فناموا حتى أحرسكم (١) .

وقال ابن عباس : هربوا ليلاً من دقيانوس بن جلانوس حيث دعاهم إلى عبادة الأصنام ، وكانوا سبعة فمروا براع معه كلب ، وكان على دينهم ، فخرجوا من البلد فأووا إلى الكهف ، وهو قريب من البلدة ، فلبثوا فيه ليس لهم عمل إلا الصلاة والتسبيح والتكبير والتحميد ابتغاء وجه الله تعالى ، فجعلوا نفقتهم إلى فتى منهم يُقال له تملیخا ، فكان على طعامهم بيتاع لهم أرزاقهم من المدينة سراً ، وكان من أجملهم وأجلدهم . وكان تملیخا يصنع ذلك ، فإذا دخل البلد يضع ثياباً كانت عليه حسناً ، ويأخذ ثياباً كثياب المساكين الذين يستطعمون فيها ، ثم يأخذ ورقة فينطلق إلى المدينة فيشترى طعاماً وشراباً ويسمّع ويتجسس لهم الخبر : هل ذكروا أصحابه بشيء ؟ ثم يرجع إلى أصحابه .

فلبثوا بذلك ما لبثوا ، ثم قدم دقيانوس الجبار إلى المدينة فأمر العظماء فذبحوا للطواغيت ، ففزع من ذلك أهل الإيمان ، وكان تملیخا بالمدينة يشترى لأصحابه طعامهم وشرابهم ، فرجع إلى أصحابه وهو يبكي ومعه طعام قليل ، فأخبرهم أن الجبار دقيانوس قد دخل المدينة ، وأنهم

(١) هذا قول بعيد لا دليل عليه فلا يلتفت إليه .



ذُكروا والتُّمسوا مع عظماء المدينة ليذبوا للطواغيت . فلما أخبرهم فرعوا ووقعوا سجوداً يدعون الله عز وجل ويتضرعون ويتعوذون به من الفتنة .

ثم إن تَمليخا قال لهم : ارفعوا رؤوسكم فاطعموا من رزق الله وتوكلوا على بارئكم . فرفعوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً وخوفاً على أنفسهم ، فطعموا منه وذلك مع غروب الشمس . ثم جلسوا يتحدثون ويتدارسون ويذكر بعضهم بعضاً ، فيبناهم على ذلك إذ ضرب الله على آذانهم فى الكهف وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف ، فأصابه ما أصابهم ، وهم مؤمنون موقنون ، ونفقتهم عند رؤوسهم . فلما كان من الغد تفقدهم دقيانوس والتمسهم فلم يجدهم ، فقال لبعضهم : لقد ساءنى هؤلاء الفتية الذين ذهبوا ، لقد كانوا ظنونى غضباً عليهم بجهلهم ما جهلوا من أمرى ، ما كنت لأحمل عليهم فى نفسى ولا لواحد منهم إن تابوا وعبدوا آلتهى ! فقال له عظماء المدينة : ما أنت بحقيق أن ترحم قوماً فجرة مردة عصاة مقيمين على ظلمهم ومعصيتهم ، وقد كنت أجلت لهم أجلاً ، فلو شاؤوا لرجعوا فى ذلك الأجل ، ولكنهم لم يتوبوا .

فلما قالوا له ذلك غضب غضباً شديداً ، ثم أرسل إلى آبائهم فسألهم عنهم ، فقال : أخبرونى عن أبنائكم المردة الذين عصونى . فقالوا له : أما نحن فلم نعصك ، فلم تقتلنا بقوم مردة قد ذهبوا بأموالنا وأهلكوها فى أسواق المدينة ثم انطلقوا فارتقوا إلى جبل يدعى ينجلوس ؟ فلما قالوا له ذلك خلّى سبيلهم ، وجعل لا يدرى ما يصنع بالفتية ، فألقى الله عز وجل فى نفسه أن يأمر بالكهف فيُسد عليهم ، أراد الله عز وجل أن يكرهم ويجعلهم آية لأمة تستخلف من بعدهم ، وأن يبين لهم أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور .

فأمر دقيانوس بالكهف أن يسد عليهم ، وقال : دعوهم كما هم فى الكهف يموتوا عطشاً وجوعاً ، وليكن كهفهم الذى اختاروا قبرا لهم . وهو يظن أنهم أيقاظ يعلمون ما يصنع بهم ، قد توفى الله أرواحهم وفاة النوم وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد ، بباب الكهف قد غشيه ما غشيه ، يتقلبون ذات اليمين وذات الشمال .

ثم إن رجلين مؤمنين كانا فى بيت الملك دقيانوس يكتمان إيمانهما ، اسم أحدهما بيدروس ، واسم الآخر روتاس ائتمرا أن يكتبا شأن الفتية وأنسابهم وأسماءهم وخبرهم فى لوح من رصاص يجعلانه فى تابوت من نحاس ، ثم يجعلان التابوت فى البنيان ، وقال : لعل الله يظهر على هؤلاء الفتية قوماً مؤمنين قبل يوم القيامة فيعلم من فتح عليهم خبرهم حين يقرأ هذا الكتاب . ففعلا ، ثم بنيا عليه ، فبقى دقيانوس ما بقى ، ثم مات وقومه وقرون بعده كثيرة ،

وخلفت الملوك بعد الملوك .

وقال عبيد بن عمير : كان أصحاب الكهف فتياً مطوقين مسورين ذوى ذوائب ، وكان معهم كلب صيدهم ، فخرجوا فى عيد لهم عظيم فى زى وموكب وأخرجوا معهم آلهتهم التى يعبدونها من دون الله ، وقد قذف الله فى قلوب الفتية الإيمان - وكان أحدهم وزير الملك - فآمنوا ، وأخفى كل واحد منهم الإيمان عن صاحبه فقالوا فى أنفسهم من غير أن يظهر بعضهم لبعض : نخرج من بين أظهر هؤلاء القوم لا يصيبنا عقاب بجرهم ، فخرج شاب منهم حتى انتهى إلى ظل شجرة فجلس فيه ، ثم خرج آخر فراه جالساً وحده ، فرجا أن يكون على مثل أمره من غير أن يظهر ذلك ، فجلس إليه ثم خرج الآخرون فجاؤوا فجلسوا إليهما ، فاجتمعوا وقال بعضهم لبعض : ما جمعكم ، وكل واحد يكتم إيمانه على صاحبه مخافة على نفسه ؟ ثم قالوا : ليخرج كل فتين منكم فيخلوا ثم ليفش كل واحد منكم إلى صاحبه .

فخرج فتیان منهم فتوافقا ثم تكلما فذكر كل واحد منهما أمره لصاحبه ، فأقبلا مستبشرين إلى أصحابهما فقالا : قد اتفقنا على أمر واحد . فإذا هم جميعاً على الإيمان ، وإذا كهف فى الجبل قريب منهم ، فقال بعضهم لبعض : ﴿ فَأَوْأُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ﴾ . فدخلوا معهم كلب صيد ، فناموا ﴿ تَلْكَ مِائَةِ سِنِينَ وَأَزْدَادُوا تَسْعًا ﴾ (الكهف: ٢٥) .

قال : وفقدهم قومهم ، وطلبوهم فعمى الله عليهم آثارهم وكهفهم ، فلما لم يقدموا كتب أحدهم فى لوح : فلان وفلان أبناء ملوكنا ، فقدناهم فى شهر كذا من سنة كذا فى مملكة فلان ابن فلان . ووضعوا اللوح فى خزانة الملك وقالوا : ليكون لهذا شأن . ومات ذلك الملك ، وجاء قرن بعد قرن .

وقال وهب بن منبه : جاء أحد حوارى عيسى ابن مريم (عليه السلام) إلى مدينة أصحاب الكهف ، فأراد أن يدخلها ، فقليل له : إن على بابها صنماً لا يدخلها أحد إلا سجد له . فكره أن يدخلها فأتى حماماً قريباً من تلك المدينة ، فكان فيه ، وكان يؤاجر نفسه من الحمامى ويعمل فيه .

ورأى صاحب الحمام فى حمامه البركة ، ودرّ عليه الرزق ، وجعل يقوم عليه ، وعلقه فتية من أهل المدينة ، فجعل يخبرهم خبير السماء وخبر الأرض وخبر الآخرة حتى آمنوا به وصدقوه ، وكانوا على مثل حاله فى حسن الهيئة . وكان شرطه على صاحب الحمام : إن الليل لى لا يحول بينى وبين الصلاة أحد ، وكان على ذلك حتى أتى ابن الملك بامرأة فدخل بها

الحمام، فعيره الحواري وقال له: أنت ابن الملك وتدخل مع هذه؟ فاستحيا، فذهب، فرجع مرة أخرى فقال له مثل ذلك، فسبه وانتهره ولم يلتفت حتى دخلا معاً فماتا جميعاً فى الحمام، فأتى الملك فقيل له: قتل صاحب الحمام ابنك. فالتمس فلم يُقدر عليه، فهرب، فقال: من كان يصحبه؟ فسَموا الفتية فالتمسوا فخرجوا من المدينة، فمروا بصاحب لهم فى زرع وهو على مثل إيمانهم فذكروا له أنهم التمسوا، فانطلق معهم ومعه كلب حتى آواهم الليل إلى الكهف فدخلوا وقالوا: نبيت هاهنا الليلة، ثم نصبح إن شاء الله فترون رأيكم. فضرب الله على آذانهم.

فخرج الملك فى أصحابه يتبعونهم حتى وجدوهم قد دخلوا الكهف، وكلما أراد الرجل منهم دخوله أَرعب، فلم يطق أحد دخوله، وقال قائل: أليس لو قدرت عليهم قتلتهم؟ قال: بلى. قال: فابن عليهم باب الكهف واتركهم فيه يموتوا عطشاً وجوعاً. ففعل.

قال وهب: تركهم بعدما سدّ عليهم باب الكهف زماناً بعد زمان، ثم إن راعياً أدركه المطر عند الكهف فقال: لو فتحت هذا الكهف فأدخلته غنمى من المطر! فلم يزل يعالجه حتى فتح، وردّ الله إليهم أرواحهم من الغد حين أصبحوا.

وقال محمد بن إسحاق: ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له تيدوسيس، فلما ملك بقى فى ملكه ثمانياً وثلاثين سنة فتحزب الناس فى ملكه، وكانوا أحزاباً؛ منهم من يؤمن بالله ويعلم أن الساعة حق، ومنهم من يكذب بها، فكبر ذلك على الملك الصالح، وبكى إلى الله عز وجل، وتضرّع إليه، وحزن حزناً شديداً. فلما رأى أهل الباطل يزيدون ويظهرون على أهل الحق ويقولون: لا حياة إلاّ الحياة الدنيا، وإنما تبعث الأرواح ولا تبعث الأجساد فأما الجسد فتأكله الأرض. نسوا ما فى الكتاب، فجعل تيدوسيس يرسل إلى من يظن فيه خيراً وأنه معه فى الحق، فجعلوا يكذبون بالساعة حتى كادوا يحولون الناس عن الحق وملة الحواريين.

فلما رأى ذلك الملك الصالح تيدوسيس دخل بيته وأغلقه عليه ولبس مسحاً وجعل تحته رماداً ثم جلس عليه فدأب ليله ونهاره زماناً يتضرّع إلى الله ويبكى مما يرى فيه الناس، ويقول: أى رب، قد ترى اختلاف هؤلاء الناس، فابعث إليهم من يبين لهم. ثم إن الرحمن الرحيم الذى يكره هلكة العباد أراد أن يظهر على الفتية أصحاب الكهف ويبين للناس شأنهم ويجعلهم آية له وحجة عليهم، وليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن يستجيب لعبده الصالح تيدوسيس ويتم نعمته عليه، ولا ينزع عنه ملكه ولا الإيمان الذى أعطاه، وأن يعبد الله ولا يشرك به شيئاً، وأن يجمع من كان ببلده من المؤمنين.

فألقى الله عز وجل في نفس رجل من أهل ذلك البلد الذى به الكهف - وكان اسم ذلك الرجل أولياس - أن يهدم ذلك البنيان الذى على فم الكهف ، فيبنى به حظيرة لغنمه ، فاستأجر عاملين فجعلوا ينزعان تلك الحجارة وبينان بها تلك الحظيرة حتى نزعا ما على فم الكهف ، وفتحا عليهم باب الكهف ، فحجبهم الله تعالى من الناس بالرعب . فيزعمون أن أشجع من يريد أن ينظر إليهم أن يدخل من باب الكهف لم يتقدم حتى يرى كلبهم دونهم إلى باب الكهف ، نائماً .

فلما نزعا الحجارة وفتحا باب الكهف أذن الله عز وجل بالقدرة والعظمة والسلطان محيى الموتى للفتية أن يجلسوا بين ظهرانى الكهف ، فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة أنفسهم ، فسلم بعضهم على بعض كأنما استيقظوا من ساعتهم التى كانوا يستيقظون بها إذا أصبحوا من ليلتهم التى يبيتون فيها . ثم قاموا إلى الصلاة فصلوا كالذى كانوا يفعلون ، لا يرى فى وجوههم ولا أبشارهم ولا ألوانهم شىء ينكرونه ، وإنما هم كهيتهم حين رقدوا ، وهم يرون أن ملكهم دقيانوس الجبار فى طلبهم .

فلما قضاوا صلاتهم قالوا لتخليخا صاحب نفقتهم : ايتنا يا أخانا ما الذى قال الناس فى شأننا عشية أمس عند هذا الجبار وهم يظنون أنهم قد رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون ، وقد خيل إليهم أنهم قد ناموا كأطول ما كانوا ينامون فى الليلة التى أصبحوا فيها ، حتى تساءلوا بينهم فقال بعضهم لبعض : ﴿ كَرَّ لَيْلَتُهُ قَالُوا لَيْلَتُنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَيْلَتُهُ ﴾ .

وكل ذلك فى أنفسهم يسير ، فقال لهم تخليخا : افتقدتم والتستمتم بالمدينة وهو يريد أن يؤتى بكم اليوم فتذبحوا للطواغيت أو يقتلكم ، فما شاء الله بعد ذلك فعل : فقال لهم مكسلمينا : يا إخوتاه ، اعلموا أنكم ملاقوا الله ، فلا تكفروا بعد إيمانكم إذا دعاكم غداً . ثم قالوا لتخليخا : انطلق إلى المدينة فتسمع ما يقال لنا بها اليوم وما الذى نذكر به عند دقيانوس ، وتلطف ولا تشعرن بنا أحداً ، وابتع لنا طعاماً فائتنا به ، فإنه قد نالنا الجوع ، وزدنا على الطعام الذى جئتنا به فإنه كان قليلاً فقد أصبحنا جوعاً . ففعل تخليخا كما كان يفعل ، ووضع ثيابه ، وأخذ الثياب التى كان يتنكر فيها ، فأخذ ورقاً من نفقتهم التى كانت معهم التى ضربت بطابع دقيانوس ، وكانت كخفاف الربيع . انطلق تخليخا خارجاً فلما مر بباب الكهف رأى حجارة منزوعة عن باب الكهف فعجب منها ، ثم مر فلم يبال بها ، حتى أتى باب المدينة مستخفياً يصد عن الطريق تخوفاً أن يراه أحد من أهلها فيعرفه فيذهب إلى دقيانوس ، ولا يشعر العبد الصالح أن دقيانوس وأهله قد هلكوا قبل ذلك بثلاثمائة سنة .

فلما رأى تملیخا باب المدينة رفع بصره فرأى فوق ظهر الباب علامة تكون لأهل الإيمان، فلما رآها عجب وجعل ينظر إليها مستخفياً، فنظر يميناً وشمالاً ثم ترك ذلك الباب فتحوّل إلى باب آخر من أبوابها فنظر فرأى مثل ذلك، فجعل يخيل إليه أن المدينة ليست بالتي كان يعرف ورأى ناساً كثيراً محدثين لم يكن رآهم قبل ذلك، فجعل يمشى ويعجب ويخيل إليه أنه حيران، ثم رجع إلى الباب التي أتى منها، فجعل يتعجب منه ومن نفسه ويقول: يا ليت شعري أمّا هذه عشية أمس فكان المسلمون يخفون هذه العلامة ويستخفون بها، فأما اليوم فإنها ظاهرة فلعلّي حالم ثم يرى أنه ليس بنائم، فأخذ كساءه فجعله على رأسه ثم دخل المدينة، فجعل يمشى بين ظهرانى سوقها فيسمع ناساً كثيراً يحلفون باسم عيسى ابن مريم، فزاده فرقاً فرأى أنه حيران، فقام مسنداً ظهره إلى جدار من جدر المدينة ويقول في نفسه: والله ما أدري ما هذا، أمّا عشية أمس فليس على الأرض إنسان يذكر عيسى ابن مريم إلا قتل، وأمّا الغداة فأسمعهم وكل إنسان يذكر أمر عيسى ولا يخاف.

ثم قال في نفسه: لعلّ هذه المدينة ليست بالمدينة التي أعرفها أسمع كلام أهلها ولا أعرف أحداً منهم والله ما أعلم مدينة قرب مدينتنا! فقام كالحيران لا يتوجّه وجهاً، ثم لقي فتى من أهل المدينة، فقال: ما اسم هذه المدينة يا فتى؟ قال: دفسوس. فقال في نفسه: لعل بي مساً أو أمراً أذهب عقلي، والله يحقّ لي أن أسرع بالخروج منها قبل أن أخزي أو يصيبني شر فأهلك.

هذا الذي حدّث به تملیخا أصحابه حين تبين له حالهم. ثم إنه أفاق فقال: والله لو عجّلت الخروج منها قبل أن يفتن بي لكان أكيس بي. فدنا من الذين يبيعون الطعام فأخرج الورق التي كانت معه فأعطاهم رجلاً منهم، فقال: يا عبد الله، بعني بهذا الورق طعاماً فأخذها الرجل فنظر إلى ضرب الورق ونقشها، فعجب منها ثم طرحها إلى رجل من أصحابه، فنظر إليها. ثم جعلوا يطارحونها من رجل إلى رجل ويعجبون منها، ثم جعلوا يتسارّون من أجله، ففرق فرقاً شديداً وجعل يرتعد ويظن أنهم فطنوا به وعرفوه، وأنهم إنما يريدون أن يذهبوا به إلى ملكهم دقيانوس، وجعل أناس آخرون يأتونه فيتعرّفونه، فقال لهم وهو شديد الفرق: أفصلوا عليّ، قد أخذتم ورقى فأمسكوا، وأمّا طعامكم فلا حاجة لي به. فقالوا: من أنت يا فتى؟ وما شأنك؟ والله لقد وجدت كنزاً من كنوز الأولين، وأنت تريد أن تخفيه عنا، انطلق معنا فأرناها وشاركنا فيه نخف عليك ما وجدت؛ فإنك إن لم تفعل نأت بك السلطان فنسلمك إليه فيقتلك.

فلما سمع قولهم عجب في نفسه، وقال: قد وقعت في كل شيء أحذر منه، ثم قالوا: يا

فتى، إنك والله ما تستطيع أن تكتم ما حدث، ولا تظن في نفسك أنك ستخفى علينا. فجعل تملیخا ما يدري ما يقول لهم وما يرجع إليهم، وفرق حتى ما يخبرهم شيئاً، فلما رأوه لا يتكلم أخذوا كساءه وطوقوه في عنقه، ثم جعلوا يقودونه في سكك المدينة مكيباً، حتى سمع به من فيها، فقيل: أخذ رجل عنده كنز، فاجتمع عليه أهل المدينة، صغيرهم وكبيرهم، فجعلوا ينظرون إليه ويقولون: والله ما هذا الفتى من أهل هذه المدينة، وما رأيناه فيها قط، وما نعرفه. فجعل تملیخا ما يدري ما يقول لهم مع ما يسمع منهم، فلما اجتمع عليه أهل المدينة فرق وسكت ولم يتكلم، ولو قال إنه من أهل المدينة لم يصدق، وكان مستيقناً أن أباه وإخوته بالمدينة، وأن حسبه في أهل المدينة من عظماء أهلها، وأنهم سيأتونه إذا سمعوا، وقد استيقن أنه عشية أمس يعرف كثيراً من أهلها وأنه لا يعرف اليوم من أهلها أحداً.

فبينا هو قائم كالحيران ينتظر متى يأتيه بعض أهله: أبوه أو بعض إخوته فيخلصه من أيديهم إذ اختطفوه، فانطلقوا به إلى رئيسي المدينة ومدبريها اللذين يدبران أمرها، وهما رجلان صالحان اسم أحدهما أرموس واسم الآخر أسطيوس. فلما انطلقوا به إليهما ظن تملیخا أنه يُنطلق به إلى دقيانوس الجبار ملكهم الذي هربوا منه، فجعل يلتفت يميناً وشمالاً، وجعل الناس يسخرون منه كما يسخرون من المجنون والحيران، فجعل تملیخا يبكي ثم رفع رأسه إلى السماء وإلى الله عز وجل، ثم قال: اللهم إله السماء والأرض أفرغ على اليوم صبراً وأولج معي روحاً منك تؤيدني به عند هذا الجبار. وجعل يبكي ويقول في نفسه: فرق بيني وبين إخوتي، يا ليتهم يعلمون ما لقيت وأين يذهب بي، ولو أنهم يعلمون فيأتون فنقوم جميعاً بين يدي هذا الجبار، فإننا كنا توائقنا معاً لنكونن لا نكفر بالله ولا نشرك به شيئاً ولا نعبد الطواغيت من دون الله (ف) فرق بيني وبينهم فلن يروني ولن أراهم أبداً، وقد كنا توائقنا على ألا نفرق في حياة ولا موت، يا ليت شعري ما هو فاعل بي؟ أقاتلي أم لا؟

هذا ما حدث به تملیخا أصحابه عن نفسه حتى انتهى به إلى الرجلين الصالحين: أرموس وأسطيوس، فلما رأى تملیخا أنه لم يذهب به إلى دقيانوس أفاق وسكن عنه البكاء، فأخذ أرموس وأسطيوس الورق، فنظرا إليه وعجبا منه ثم قال أحدهما: أين الكنز الذي وجدت يا فتى؟ هذا الورق يشهد عليك أنك وجدت كنزاً. فقال لهم تملیخا: ما وجدت كنزاً، ولكن هذا الورق ورق آبائي (...)(<sup>١</sup>) هذه المدينة (...)(<sup>١</sup>) ولكنني والله (...)(<sup>١</sup>) ما شأنني، وما أدرى ما أقول لكما. فقال أحدهما: فمن أنت؟ فقال له: أمّا ما أرى فكنت أرى أني من أهل القرية.

(١) موضع النقط بياض بالأصل بمسافات مختلفة.

قالوا له: فمن أبوك ومن يعرفك بها؟ فأنبأهم باسم أبيه فلم يجدوا أحداً يعرفه، ولا أباه، فقال له أحدهما: أنت رجل كذاب لا تخبرنا بالحق. ولم يدر ما يقول لهم غير أنه نكس بصره إلى الأرض، فقال بعض من حوله: هذا رجل مجنون. وقال بعضهم: ليس بمجنون، ولكن يحمق نفسه عمداً لينفلت منكم. فقال له أحدهما، ونظر إليه نظراً شديداً: أتظن أنا نرسلك ونصدقك بأن هذا مال أبيك وضرب هذا الورق ونقشها أكثر من ثلاثمائة سنة، وأنت غلام شاب تظن أنك تأفكنا وتسخر بنا، ونحن شرط كما ترى، وحولك سراة أهل المدينة وولاية أمرها، وخزائن هذه البلدة بأيدينا، وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار؟ إننى لأظننى سأمر بك فتعذب عذاباً شديداً ثم أوثقك حتى تعترف بهذا الكنز الذى وجدت.

فلما قال له ذلك، قال تلميذاً: أنبئونى عن شىء أسألكم عنه، فإن فعلتم صدقتم ما عندى. قالوا له: سل، ما نكتمك شيئاً. فقال: ما فعل الملك دقيانوس؟ قالوا له: ليس نعرف ملكاً يُسمى دقيانوس على وجه الأرض، ولم يكن إلاً ملكاً قد هلك منذ زمان ودهر طويل، وهلكت بعده قرون كثيرة. قال لهم تلميذاً: فوالله ما هو بمصدقى أحد من الناس بما أقول، لقد كنا فتية، وإن الملك أكرهنا على عبادة الأوثان والذبح للطواغيت فهربنا منه عشية أمس فنمنا، فلما انتهينا خرجت لأشترى لأصحابى طعاماً وأتجسس الأخبار فإذا أنا كما ترون، فانطلقوا معى إلى الكهف الذى فى جبل ينجلوس أركم أصحابى. فلما سمع أرموس ما يقول تلميذاً، قال: يا قوم لعل هذه آية من آيات الله عز وجل جعلها لكم على يدي هذا الفتى، فانطلقوا بنا معه يُرنا أصحابه كما قال.

فانطلق معهم أرموس وأسطيوس وانطلق معهما أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو أصحاب الكهف ينظرون إليهم.

ولما رأى الفتية أصحاب الكهف أن تلميذاً قد احتبس عليهم بطعامهم وشرابهم عن القدر الذى كان يأتى به، ظنوا أنه قد أخذ فذهب به إلى ملكهم دقيانوس الذى هربوا منه، فبينما هم يظنون ذلك ويتخوفون إذ سمعوا الأصوات وجلبة الخيل مصعدة نحوهم، وظنوا أنهم رسل دقيانوس الجبار وأنه بعث إليهم ليؤتى بهم، فقاموا حين سمعوا ذلك إلى الصلاة، وسلم بعضهم على بعض، وقالوا: انطلقوا بنا نأت أخانا تلميذاً، فإنه الآن بين يدي الجبار دقيانوس ينتظر متى نأتيه، فبينما هم يقولون ذلك، وهم جلوس بين ظهرانى الكهف، فلم يروا إلا أرموس وأصحابه وقوفاً على باب الكهف، وسبقهم تلميذاً فدخل عليهم وهو يبكى، فلما رأوه يبكى، بكوا معه وسألوه عن شأنه، فأخبرهم بخبره وقص عليهم النبأ كله فعرفوا عند

ذلك أنهم كانوا نياماً بأمر الله ذلك الزمان كله، وإنما أوقفوا ليكونوا آية للناس، وتصديقاً للبعث، وليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها.

ثم دخل على أثر تلميذا أرموس فرأى تابوتاً من نحاس مختوماً بخاتم من فضة فقام بباب الكهف، ثم دعا رجالاً من عظماء المدينة ففتح التابوت عندهم فوجدوا فيه لوحين من رصاص مكتوباً فيها: إن مكسلميना ومجسلمينا وتلميذا ومرطولس وكسوطونس وبيوسرس وتكريوس وبطينوس كانوا فتية هربوا من ملكهم دقيانوس الجبار مخافة أن يفتنهم عن دينهم، فدخلوا هذا الكهف، فلما أُخبر بمكانهم أمر بالكهف فسد عليهم بالحجارة، وإنا كتبنا شأنهم وخبرهم ليعلمه من بعدهم إن عثروا عليهم.

فلما رآوه عجبوا وحمدوا الله الذي أراهم آية البعث فيهم، ثم إنهم رفعوا أصواتهم بحمد الله وتسيحه، ثم دخلوا على فتية الكهف فوجدوهم جلوساً بين ظهرائه مشرقة وجوههم، لم تبل ثيابهم، فخر أرموس وأصحابه سجداً، وحمدوا الله الذي أراهم آية من آياته، ثم كلم بعضهم بعضاً وأبأهم الفتية عن الذي لقوا من ملكهم دقيانوس.

ثم إن أرموس وأصحابه بعثوا بريداً إلى ملكهم الصالح تيدوسييس أن عجل، لعلك تنظر إلى آية من آيات الله جعلها الله على ملكك، وجعلها آية للعالمين لتكون نوراً وضياءً وتصديقاً للبعث، فاعجل على فتية بعثهم الله تعالى، وقد كان توقّاهم منذ أكثر من ثلاثمائة سنة.

فلما أتى الملك الخبر قام من المسندة التي كان عليها ورجع إليه عقله، وذهب عنه همه، ورجع إلى الله عز وجل، فقال: أحمذك الله رب السموات والأرض، وأعبدك وأسبح لك تطوّلت على، ورحمتي برحمتك، فلم تطفئ النور الذي كنت جعلت لأبائي وللعبد الصالح قسطيپوس الملك.

فلما نبأ به أهل المدينة ركبوا وساروا حتى أتوا مدينة دقيانوس فتلقاهم أهل المدينة وساروا معه حتى سعدوا نحو الكهف وأتوه، فلما رأى الفتية تيدوسييس فرحوا به وخرّوا سجداً على وجوههم، وقام تيدوسييس قدامهم ثم اعتنقهم وبكى وهم جلوس بين يديه على الأرض يسبحون الله عز وجل ويحمدونه، ثم قال الفتية لتيدوسييس: نستودعك الله، ونقرأ عليك السلام، وحفظك الله وحفظ ملكك ونعيذك بالله من شر الجن والإنس.

فينا الملك قائم إذ رجعوا إلى مضاجعهم فناموا وتوقى الله أنفسهم، وقام الملك إليهم فجعل ثيابه عليهم وأمر أن يجعل لكل رجل منهم تابوتاً من ذهب، فلما أمسوا ونام أتوه في المنام فقالوا: إننا لم نخلق من ذهب ولا فضة، ولكننا خلقنا من تراب وإلى التراب نصير، فتركنا كما



كنا فى الكهف على التراب حتى يبعثنا الله عزّ وجلّ منه . فأمر الملك حينئذ بتابوت من ساج فجعلوا فيه وحجّبهم الله تعالى حين خرجوا من عندهم بالرعب ، فلم يقدر أحد على أن يدخل عليهم ، وأمر الملك فجعل على باب الكهف مسجداً<sup>(١)</sup> يُصلى فيه ، وجعل لهم عيداً عظيماً ، وأمر أن يؤتى كل سنة .

وقيل : إنهم لما أتوا إلى باب الكهف قال تمليخا : دعونى حتى أدخل على أصحابى فأبشّرهم ؛ فإنهم إن رأوكم معى أربعتموهم . فدخل فبشّرهم ، وقبض الله روحه وأرواحهم ، وعمى عليهم مكانهم ، فلم يهتدوا إليه . فهذا حديث أصحاب أهل الكهف .

ويقال : إن نبي الله محمداً ﷺ سأل ربّه أن يريه إيّاهم ، فقال : «إنك لن تراهم فى دار الدنيا ، ولكن ابعث إليهم أربعة من خيار أصحابك ليبلغوهم رسالتك ويدعوهم إلى الإيمان بك» . فقال رسول الله ﷺ لجبرئيل (عليه السلام) : «كيف أبعثهم؟» . قال : «ابسط كساءً لهم ، وأجلس على طرف من أطرافها أبا بكر ، وعلى الثانى عمر وعلى الثالث علياً ، وعلى الرابع أبا ذر ، ثم ادع الريح الرخاء المسخر لسليمان بن داود (عليهما السلام) فإن الله تعالى أمرها أن تطيعك» .

ف فعل النبي ﷺ ما أمره ، فحملتهم الريح حتى انطلقت بهم إلى باب الكهف ، فلما دنوا من الباب قلعوا منه حجراً ، فقام الكلبى حين أبصر الضوء فهزّ وحمل عليهم ، فلما رآهم حرك رأسه وبصّب بذنبه وأوماً برأسه أن ادخلوا ، فدخلوا الكهف وقالوا : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . فردّ الله إليهم أرواحهم ، فقاموا بأجمعهم وقالوا : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . فقالوا : إن نبي الله محمد بن عبد الله ﷺ يقرأ عليكم السلام . فقالوا : على محمد رسول الله السلام ما دامت السموات والأرض ، وعليكم بما بلغتم . ثم جلسوا بأجمعهم يتحدثون ، فأمنوا بمحمد ﷺ ، وقبلوا دين الإسلام ، وقالوا : أقرئوا محمداً منّا السلام . فأخذوا مضاجعهم وصاروا إلى رقدتهم إلى آخر الزمان عند خروج المهدي .

ويقال : إن المهدي سلّم عليهم ، فيحييهم الله عزّ وجلّ ، ثم يرجعون إلى رقدتهم ولا يقومون إلى يوم القيامة .

ثم جلس كل واحد منهم على مكانه ، وحملتهم الريح ، وهبط جبرئيل (عليه السلام) على النبي ﷺ وأخبره بما كان منهم ، فلما أتوا النبي ﷺ ، قال رسول الله ﷺ : «كيف وجدتموهم؟ وما الذى أجاابوا؟» . فقالوا : يا رسول الله ، دخلنا عليهم فسلمنا عليهم ، فقاموا بأجمعهم ،

(١) قبل هذه الكلمة فى المخطوط بياض وجاء الكلمة على هذا الرسم «كد» .

فردّوا السّلام، وبلّغناهم رسالتك فأجابوا وأنا بوا وشهدوا أنّك رسول الله حقّاً، وحمدوا الله عزّ وجلّ على ما أكرمهم بخروجك وتوجيه رسولك إليهم، وهم يقرئونك السلام. فقال رسول الله ﷺ: «اللهم لا تفرّق بيني وبين أصحابي وأختاني، واغفر لمن أحبّني وأحبّ أهل بيتي وخاصتي، وأحبّ أصحابي»<sup>(١)</sup>.

فذلك قوله عزّ وجلّ ﴿إِذْ أَوْىٰٓٔ﴾ أى صار وانضم ﴿الْفِتْيَةَ إِلَى الْكَهْفِ﴾، وهو غار فى جبل ينجلوس، واسم الكهف خيرم، ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ أى يسرّ لنا ما نلتمس من رضاك. وقال ابن عباس: ﴿رَشَدًا﴾ أى مخرجاً من الغار فى سلامة. وقيل: صواباً.

قوله: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ﴾ هذا من فصيحات القرآن التى أقرّت العرب بالقصور عن الإتيان بمثله، ومعناه: أمنّاهم وألقينا وسلّطنا عليهم النوم، كما يقال: ضرب الله فلاناً بالفالج، أى ابتلاه به وأرسله عليه. وقيل: معناه حجبناهم عن السمع، وسددنا نفوذ الصوت إلى مسامعهم، وهذا وصف الأموات والنيام. وقال قطرب: هو كقول العرب: ضرب الأمير على يد الرعية، إذا منعهم عن العبث والفساد، وضرب السيّد على يدي عبده المأذون فى التجارة، إذا منعه عن التصرف فيها. قال الأسود بن يعفر، وكان ضريباً.

ومن الحوادث لا أبال لك أننى ضربت على الأرض بالأسداد

﴿سِنِينَ عَدَدًا﴾ أى معدودة، وهو نعت للسنين، فالعدّ المصدر، والعدد الاسم المعدود،

كالنقص والنقض والخطب والخطب. وقال أبو عبيدة: هو نصب على المصدر.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا لَهُمْ﴾، يعنى من نومهم؛ ﴿لَتَعْلَمَنَّ أَى الْحَزِينِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾، وذلك حين تنازع

المسلمون الأوّلون أصحاب الملك، والمسلمون الآخرون الذين أسلموا حين أوى أصحاب الكهف فى قدر مدّة لبثهم فى الكهف، فقال المسلمون الأوّلون: مكثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنة وتسع سنين، وقال المسلمون الآخرون: بل مكثوا كذا وكذا. فقال الأوّلون: الله أعلم بما لبثوا، فذلك قوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا لَهُمْ﴾، لتعلموا ﴿أَى الْحَزِينِ﴾: الفريقين ﴿أَحْصَى﴾: أصوب

(١) هذه أخبار وأحاديث وأقاويل لا أساس لها من الصحة، ولا يقبلها عقل ولا تقرها فطر سليمة ويعترف بها شرع أنزله الله تعالى على نبي من أنبيائه.

ثم إن هذه القصة من قصص الأساطير ومن بنيان الخيال وقد أخذ مضمونها من أساطير ألف ليلة وليلة، وما شابهها من كتب الأساطير والخرافات.

فعليك أذى المسلم بالذب عن دين الله ما ليس فيه وما ليس منه حتى يصير نقياً فيقبل عليه من يريد أن يعرفه على حقيقته بلا شىء يشوش عليه أو يجعله يظن أن ذلك منه فينفر من الإسلام.

وأحفظ ﴿لَمَّا لَبِثُوا﴾ فى كهفهم نياماً، ﴿أَمَدًا﴾: غاية.

وقال مجاهد: عدداً. وفى نصبه وجهان: أحدهما على التفسير والثانى لوقوع ﴿لَمَّا لَبِثُوا﴾ عليه.

﴿تَحْنُ نَقُصُّ﴾، أى نقرأ وننزل ﴿عَلَيْكَ نَبَأُهُ﴾، أى خبر أصحاب الكهف ﴿بِالْحَقِّ إِنَّمِ قَتِيَّةٌ﴾: شبان وأحداث ﴿ءَأْمَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾، حكم الله لهم بالفتوة حين آمنوا بلا واسطة لذلك. وقال أهل اللسان: رأى الفتوة الإيمان. وقال الجنيد: الفتوة كف الأذى وبذل الندى، وترك الشكوى. وقيل: الفتوة شيان: اجتناب المحارم، واستعمال المكارم. وقيل: الفتى من لا يدعى قبل الفعل، ولا يزكى نفسه بعد الفعل. وقيل: ليس الفتى من يصبر على السياط، إنما الفتى من جاز على الصراط. وقيل: ليس الفتى من يصبر على السكين، إنما الفتى من يطعم المسكين.

﴿وَرَدَدْنَاهُمْ هُدًى﴾ إيماناً وبصيرة وإيقاناً.

﴿وَرَبَطْنَا﴾: وشددنا ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ بالصبر، وألهمناهم ذلك، وقويناهم بنور الإيمان حتى صبروا على هجران دار قومهم وفراق ما كانوا فيه من خفض العيش، وفرّوا بدينهم إلى الكهف، ﴿إِذْ قَامُوا﴾ بين يدي دقيانوس ﴿فَقَالُوا﴾ حين عاتبهم على تركهم عبادة الصنم: ﴿رَبَّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوهُ﴾: لن نعبد ﴿مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾، يعنى إن دعونا غير الله، لقد قلنا إذن شططاً. قال ابن عباس ومقاتل: جوراً. قال قتادة: كذباً. وأصل الشطط والإشطاط: مجاوزة القدر، والإفراط.

﴿هَتُولَاءِ قَوْمَنَا﴾، يعنى أهل بلدهم ﴿اتَّخَذُوا مِنْ دُونِي﴾، أى من دون الله ﴿ءِ إِلَهَةً﴾، يعنى الأصنام يعبدونها من دون الله ﴿لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ﴾ أى هلاً يأتون على عبادتهم ﴿بِطُلُوتِ بَيْنَ﴾: بحجة واضحة؛ ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾، فزعم أن له شريكاً وولداً؟

ثم قال بعضهم لبعض: ﴿وَإِذْ أَعْرَضْتُمْ عَنْهُمْ﴾، يعنى قومكم ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾، أى واعتزلتم أصنامهم التى يعبدونها من دون الله. وكذلك هو فى مصحف عبد الله: (وما يعبدون من دون الله).

﴿فَأَوْبَأْ إِلَى الْكَهْفِ﴾، أى صيروا إليه ﴿يَنْشُرُ﴾، أى يبسط لكم ويظهر ﴿لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهْتِى لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا﴾، أى رزقاً رغداً. والمرفق: ما يرتفق به الإنسان، وفيه لغتان: مرفق، ومرفق.



﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَبُوعًا وَكَذَٰلِكَ نَقُودُهُمْ لِيَتَّسِعَ لِمَا بَيْنَهُمْ قَالِ قَابِلٌ مِّنْهُمْ كَمَ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِكَيْهِ هَادِيًا إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدْنَا ﴿١٠٩﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْرَجْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُيُوتًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالُوا الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَيَّ أَمْرَهُمْ لَنَنخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴿١١٠﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَنَفِثْ فِيهِمْ مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿١١١﴾

﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ﴾ ، أى تتزاور، وقرأ أهل الكوفة بالتخفيف على حذف أحد الزاءين، وقرأ أهل الشام: (تزور) على وزن تحمر، وكلها بمعنى واحد، أى تميل وتعدل ﴿ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ ﴾ ، أى جانب اليمين، ﴿ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ﴾ ، قال ابن عباس: تدعهم. قال مقاتل بن حيان: تجاوزهم. وأصل القرض: القطع. ﴿ ذَاتَ الشَّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ﴾ ، أى متسع من الكهف، وجمعها فجوات وفجى. أخبرنا الله تعالى بحفظه إياهم فى مهجعهم، وعرفنا لطفه بهم فى مضجعهم واختياره لهم أصلح المواضع للرقاد فأعلمنا أنه بوأهم فى مغناة من الكهف مستقبلاً بنات نعش<sup>(١)</sup>، تميل عنهم الشمس طالعة وغاربة وجارية؛ لا تدخل عليهم فتؤذيهم بحرماً وتغير ألوانهم وتبلى ثيابهم، وإنهم فى متسع منه ينالهم فيه برد الريح ونسيمها وتنفى عنهم كربة الغار وغمومه، ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الذى ذكرت من أمر الفتية ﴿ مِّنْ ءَايَاتِ اللَّهِ ﴾ : من عجائب صنع الله ودلالات قدرته وحكمته. ﴿ مَّن يَهْدِ اللَّهُ ﴾ أى يهده الله ﴿ فَهُوَ

(١) فى تفسير القرطبي: فى أرض الروم.

الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُعِينًا ﴿مُرْشِدًا﴾ ؛ لِأَنَّ التَّوْفِيقَ وَالْحِذْلَانَ يَبْدُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .  
 ﴿وَتَحْسِبُهُمْ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿أَيْقَاطًا﴾ أَي مُتَّبِعِينَ ، لِأَنَّ أَعْيُنَهُمْ مَفْتُوحَةٌ <sup>(١)</sup> ، جَمَعَ يَقِظٌ وَيَقِظٌ مِثْلُ  
 قَوْلِكَ : رَجُلٌ نَجِدُ وَنَجِدُ لِلشَّجَاعِ ، وَجَمَعَهُ أَجْنَادٌ ، ﴿وَهُمْ رُؤُودٌ﴾ : نِيَامٌ ، جَمَعَ رَاقِدٌ مِثْلُ قَاعِدٍ  
 وَقَعُودٍ ، ﴿وَتَقْلِبُهُمْ﴾ ، وَقَرَأَ الْحَسَنُ (وَتَقْلِبُهُمْ) بِالتَّخْفِيفِ ، ﴿ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ مَرَّةً  
 لِلجَنبِ الْاَيْمَنِ وَمَرَّةً لِلجَنبِ الْاَيْسَرِ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : كَانُوا يَتَقْلِبُونَ فِي السَّنَةِ مَرَّةً إِلَى جَانِبِ مَنْ  
 جَانِبٍ ، لثَلَاثًا تَأْكُلُ الْأَرْضُ لِحُومَهُمْ . وَيُقَالُ : إِنَّ يَوْمَ عَاشُورَاءَ <sup>(٢)</sup> كَانَ يَوْمَ تَقْلِيبِهِمْ . وَقَالَ أَبُو  
 هُرَيْرَةَ : كَانَ لَهُمْ فِي كُلِّ سَنَةٍ تَقْلِيبَانِ <sup>(٣)</sup> . ﴿وَكَلْبُهُمْ﴾ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : كَانَ أُنْمَرٌ . وَقَالَ مِقَاتِلُ :  
 كَانَ أَصْفَرًا . وَقَالَ الْقُرْظِيُّ : شِدَّةُ صَفَرَتِهِ تَضْرِبُ إِلَى الْحُمْرَةِ . الْكَلْبِيُّ : لَوْنُهُ كَالْحَلَنْجِ . وَقِيلَ :  
 لَوْنُ الْحَجَرِ . وَقِيلَ : لَوْنُ الْحِجْزِ وَقِيلَ لَوْنُ السَّمَاءِ . وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) :  
 «كَانَ اسْمُهُ رِيَانًا» . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : قَطْمِيرٌ . وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ : نَتْوَى . وَقَالَ شُعَيْبُ الْجَبَائِي :  
 حَمْرَانٌ . وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ كَثِيرٍ : اسْمُ الْكَلْبِ قَطْمُورٌ . وَقَالَ السَّيِّدِيُّ : نُونٌ . وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ  
 سَلَامٍ : بُسِيطٌ . وَقَالَ كَعْبٌ : أَصْهَبٌ . وَقَالَ وَهْبٌ : اسْمُهُ ( . . . ) <sup>(٤)</sup> .

(وقال عمر بن دينار: إن) <sup>(٥)</sup> مما أخذ على الكلب ألا يضرب بأحد في ليله أو نهاره) <sup>(٥)</sup> سلام  
 على نوح، وإن مما أخذ على الكلب ألا يضرب من (حمل عليه) <sup>(٥)</sup> أن يقول: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَسِيطٌ  
 ذُرَاعِيَهُ بِالْوَصِيدِ﴾ .

وقرأ جعفر الصادق (وكالبهم) يعنى : صاحب الكلب .

(١) هذا تأويل بعيد، والمتبادر من الآية أنك إذا نظرت إليهم ظننت أنهم بين النائم واليقظان أو النائم الصاحي أو  
 المستيقظ من كثرة تقلبهم في مضاجعهم وكانهم يستعدون لاستقبال النوم لا في عمق النوم أو في النوم العميق  
 والله أعلم .

(٢) كم حمل هذا اليوم من الأوصاف وحمل من الأحداث والأخبار التي لا تصح وتنسب إليه، وهذا القول منها  
 هذان الله إلى الحق .

(٣) كون الله سبحانه وتعالى يصف بأنه يقلبهم فهذا إخبار علينا أن نقبله ونؤمن به لكن كوننا نعلمه فلا، لأن الله  
 سبحانه وتعالى لا يحتاج إلى أسباب لأنه مسببها فهو يفعل ما يشاء ويختار ولا يسأل عما يفعل، كدخول سيدنا  
 إبراهيم النار والخروج منها دون أن يمسه أذى، وكدخول سيدنا يونس في بطن الحوت وخروجه منها دون أن يمسه  
 أذى، وكإسراءه بمحمد ﷺ بغير وسائل، فلا يجوز وضع أفعال الله تعالى وأخباره تحت البحث والتعليل ولو لم  
 يكن كذا لكان كذا فهذا في حقه سبحانه لا يجوز، وكذا لا يعتدل بقول من ذكر عدد مرات التقليب فإله سبحانه  
 أخبرنا إخباراً مجملاً فلا داعي لتفصيله ولو كان في تفصيله شيء ينفعنا لعرفه لنا سبحانه وتعالى .

(٤) موضع النقط بياض بالخطوط، وانظر كيف خاضوا في لون الكلب واسمه واختلفوا في كليهما بما لا سلطان  
 عندهم به، وفي موضع النقط بالقرطبي: نقياً .

(٥) ما بين المعقوفين في المخطوط بياض، وأثبت ما بين المعقوفين من تفسير القرطبي وليس معنى الإثبات الصحة وإنما  
 هو إكمال لما سقط من المخطوط .

﴿بَسِطُ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾، قال مجاهد والضحاك: الوصيد: فناء الكهف، وهو رواية على ابن أبي طلحة عن ابن عباس. وقال سعيد بن جبير: الوصيد الصعيد، وهو التراب. وهذه رواية عطية العوفى عن ابن عباس. وقال السدى: الوصيد الباب، وهى رواية عكرمة عن ابن عباس، وأنشد:

بأرض فضاء لا يسدّ وصيدها      علىّ ومعروفى بها غير منكر

أى بابها. وقال عطاء: الوصيد: عتبة الباب. وقال القتيبي الوصيد: البناء، وأصله من قول العرب، أصدت الباب وأوصدته، أى أغلقته وأطبقتة. ﴿لَوْ أطلَّعَتْ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتُمْ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾؛ لما ألبسهم الله تعالى من الهيئة حتى لا يصل إليهم واصل، ولا تلمسهم يد لأمس حتى يبلغ الكتاب أجله، فيوقظهم الله من رقدتهم لإرادة الله عز وجل أن يجعلهم آية وعبرة لمن شاء من خلقه؛ ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ (الكهف: ٢١).

﴿وَلَمَلَّيْتُمْ مِنْهُمْ رُعبًا﴾: خوفًا، وقرأ أهل المدينة: (لملئت) بالتشديد. وقيل: إنما ذلك من وحشة المكان الذى هم فيه. وقال الكلبي: لأن أعينهم مفتحة - كالمستيقظ الذى يريد أن يتكلم - وهم نيام. وقيل: إن الله تعالى منعهم بالرعب لثلاً يراهم أحد. وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: غزونا مع معاوية غزوة المضيق نحو الروم فمررنا بالكهف الذى فيه أصحاب الكهف، فقال معاوية: لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم! قال ابن عباس: ليس ذلك لك، قد منع الله من هو خير منك، قال: ﴿لَوْ أطلَّعَتْ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتُمْ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلَّيْتُمْ مِنْهُمْ رُعبًا﴾. فقال معاوية: لا انتهى حتى أعلم علمهم. فبعث ناسًا فقال: اذهبوا فانظروا. ففعلوا، فلما دخلوا الكهف بعث الله عز وجل عليهم ريحًا فأخرجتهم فلم يستطيعوا الاطلاع عليهم من الرعب.

﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ﴾ أى كما أمانهم فى الكهف، ومنعنا من الوصول إليهم، وحفظنا أجسامهم من البلى على طول الزمان، وثيابهم من العفن على مرّ الأيام بقدرتنا، كذلك بعثناهم من النومة التى تشبه الموت ﴿لِيَسْأَلُوا بَيْنَهُمْ﴾: ليتحدثوا، ويسأل بعضهم بعضًا. ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ﴾ يعنى: رئيسهم مكسلمينا: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ فى نومكم؟ وذلك أنهم استنكروا من أنفسهم طول نومهم. ويقال: إنه راعهم ما فاتهم من الصلاة، فقالوا ذلك. ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا﴾؛ لأنهم دخلوا الكهف غدوة، فلما رأوا الشمس قالوا: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ توقيًا من الكذب، وكانت قد بقيت من الشمس بقية. ويقال كان بعد زوال الشمس. فلما نظروا إلى شعورهم وأظفارهم تيقنوا أن لبثهم أكثر من يوم أو بعض يوم، ﴿قَالُوا رَبَّنَا عَلَّمْنَا بَلَاغًا﴾. ويقال: إن رئيسهم لما سمع الاختلاف بينهم قال ذلك. ﴿فَأَبَعْتُمْ أَحَدَكُمْ﴾ يعنى: تمليحًا ﴿يُورِقُكُمْ هَذِهِ إِلَى

الْمَدِينَةِ ﴿١٤﴾، والورق: الفضة؛ مضروبة كانت أو غير مضروبة. والدليل عليه أن عرفجة بن أسعد أصيب أنفه يوم الكلاب فاتخذ أنفًا من ورق فأنث عليه، فأمره النبي ﷺ أن يتخذ أنفًا من ذهب. وفيه لغات: (بورقكم) وهى قراءة أبى عمرو وحمزة وخلف، و(ورقكم) - بسكون الراء وإدغام القاف - وهى قراءة أهل مكة، و(ورقكم) بفتح الواو وكسر الراء وهى قراءة أكثر القراء و(ورق) مثل كبُد وكَبِد وكَلَمَة وكَلِمَة.

(والمدينة): أفسوس، ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا﴾ قال ابن عباس وسعيد بن جبیر: أحلّ ذبيحة، لأن عامتهم كانوا مجوسًا، وفيهم قوم مؤمنون يخفون إيمانهم. قال الضحّاك: أطيّب. وقال مقاتل بن حيان: أجود. وقال يمان بن رباب: أرفص. قتادة: خير. قال عكرمة: أكثر. وأصل الزكاة الزيادة والنماء، قال الشاعر:

قبائلنا سبع وأتم ثلاثة      وللسبع أزكى من ثلاث وأطيّب

﴿فَلْيَأْتِكُمْ رِزْقٌ مِنْهُ﴾ أى قوت وطعام، ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾: وليترفق فى الشراء، وفى طريقه، وفى دخول المدينة، ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ من الناس، أى ولا يعلمن، أى إن ظهر عليه فلا يوقعن إخوانه فيما يقع فيه.

﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ فيعلموا بمكانكم ﴿يَرْجُوكُمْ﴾، قال ابن جريج: يشتموكم ويؤذوكم بالقول. ويقال: يقتلوكم. ويقال: كان من عادتهم القتل بالرجم وهو من أخبث القتل. وقيل: هو التوبيخ. ويضربوكم ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾: دينهم الكفر ﴿وَلَنْ تَقْلِقُوا إِذَا أَبَدًا﴾ إن عدتم إليهم.

﴿وَكَذَلِكَ أَتَتْكَ﴾، أى أطلعنا ﴿عَلَيْهِمْ﴾، يقال: عثرت على الشيء إذا أطلعت عليه، فأعثرت غيرى إذا أطلعته، ﴿لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ يعنى قوم تيدوسيس، ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ مِنْهُمْ أَمْرَهُمْ﴾، قال ابن عباس: تنازعوا فى البنيان والمسجد، قال المسلمون: نبى عليهم مسجداً، لأنهم على ديننا، وقال المشركون: نبى عليهم بنياناً؛ لأنهم من أهل ستتنا. وقال عكرمة: تنازعوا فى الأرواح والأجساد، فقال المسلمون: البعث للأرواح والأجساد، وقال بعضهم: البعث للأرواح دون الأجساد، فبعثهم الله من رقادهم وأراهم أن البعث للأرواح والأجساد. وقيل: تنازعوا فى قدر لبثهم ومكثهم. وقيل: تنازعوا فى عددهم، ﴿فَقَالُوا أَبْنَاءُ عَلَيْهِمْ بُنْيَانٌ رَبُّهُمْ أَعْمَرُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ﴾ يعنى تيدوسيس الملك وأصحابه: ﴿لَتُنَجِّدَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾، وقيل: الذين تغلبوا على أمرهم، وهم المؤمنون. وهذا يرجع إلى الأوّل.

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً﴾ وذلك أن السيد والعاقب وأصحابهما من نصارى أهل نجران كانوا عند النبي ﷺ فجرى ذكر أصحاب الكهف فقال السيد: كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم. وكان السيد يعقوبياً، وقال العاقب: كانوا خمسة سادسهم كلبهم. وكان نستورياً، وقال المسلمون: كانوا سبعة وثامنهم كلبهم، فحقق الله قول المسلمين وصدقهم بعدما حكى قول النصارى، فقال ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ أى قدفاً بالظن من غير يقين، كقول الشاعر:

❖ وأجعل منى الحق غيباً مرجماً ❖

﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةً وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾: وقال بعضهم: هذه الواو واو الثمانية، إن العرب يقولون: واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، ستة، سبعة، وثمانية، لأن العقد كان عندهم سبعة كما هو اليوم عندنا عشرة. ونظيره قوله تعالى: ﴿الَّتِي بَيْنَ يَدَيْهِ أَلْفٌ مِّنْ أَلْفِينَ وَتِسْعُونَ مِائَةً وَتِسْعُونَ أَلْفًا مِّنْ أَلْفٍ مِّنْ أَلْفِينَ وَتِسْعُونَ مِائَةً وَتِسْعُونَ أَلْفًا مِّنْ أَلْفٍ مِّنْ أَلْفِينَ﴾ (التوبة: ١١٢). وقوله فى صفة أهل الجنة ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ (الزمر: ٧٣). وقوله لأزواج النبي ﷺ: ﴿ثِيَابُكَ وَأَبْكَارًا﴾ (التحريم: ٥).

وقال بعضهم: هذه واو الحكم والتحقيق، فكأنه حكى اختلافهم فتم الكلام عند قوله: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةً﴾، ثم حكم أن ثامنهم كلبهم، والثامن لا يكون إلا بعد السبع، فهذا تحقيق قول المسلمين. ﴿قُلْ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾، قال قتادة: قليل من الناس. وقال عطاء: يعنى بالقليل: أهل الكتاب. يحيى بن روق عن أبيه عن الضحاك عن ابن عباس فى قوله: تعالى: ﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قال: أنا من أولئك القليل. وهم: مكسلمينا، وتمليخا، ومرطونس، وسارينوس، وأنوانس، وروانوانس، ومشططونوس، وهو الرأعى، والكلب واسمه قظمير كلب أنمر فوق القلطى ودون الكردي.

وقال محمد بن المسيب: القلطى: كلب صينى، وقال: ما بقى بنيسابور محدث إلا كتب عنى هذا الحديث إلا من لم يقدر له. قال: وكتبه أبو عمرو، والحيرى عنى. ﴿فَلَا تَمَارِ فِيهِمْ﴾، أى فى عدتهم وشأنهم ﴿إِلَّا مِرَاءَ ظَهْرٍ﴾ وهو ما قص عليه فى كتابه من خبرهم يقول: حسبك ما قصصت عليك فلا تمار فيهم، ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ من أهل الكتاب.





﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۗ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۗ وَاذْكُر رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ  
وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبٍ مِنْ هَٰذَا رَشْدًا ۗ﴾ ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين  
وَأَزْدَادُوا تِسْعًا ۗ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ۗ اللَّهُ غَيَّبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ۗ مَا لَهُمْ  
مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ۗ وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ ۗ لَا  
مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۗ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ۗ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ  
وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۗ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ  
عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ۗ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ۗ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ  
فَلْيُكْفُرْ ۗ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۗ وَإِنْ يَسْتَعِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي  
الْوُجُوهَ ۗ بئسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ۗ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ  
أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُجَلِّونَ فِيهَا  
مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ  
نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ۗ﴾

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۗ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۗ﴾، قال ابن عباس: يعنى إذا عازمت  
على أن تفعل شيئاً غداً، أو تحلف على شيء أن تقول: إني فاعل ذلك غداً إن شاء الله. وإن  
نسيت الاستثناء ثم ذكرته فقله ولو بعد سنة، وهذا تأديب من الله تعالى لنبية ﷺ حين سئل عن  
المسائل الثلاثة: أصحاب الكهف، والروح، وذى القرنين، فوعدهم أن يخبرهم ولم يستثن.  
عبد الله بن سعيد المقرئ عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يتم إيمان  
العبد حتى يستثنى في كل كلامه».

﴿وَاذْكُر رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾، قال ابن عباس ومجاهد وأبو العالية والحسن ( . . . ) (١) إذا  
نسيت الاستثناء ثم ذكرت ( . . . ) (١) وهذا في غير اليمين.  
وقال عكرمة: معناه: واذكر ربك إذا عصيت.

حدثنا عبد الصمد بن حسان بن وهيب قال: مكتوب في الإنجيل: ابن آدم، اذكرنى حين

(١) موضع النقط بياض في المخطوط قدر كل موضع كلمة.

تغضب أذكرك حين أغضب فلا أمحكك فيمن أمحك ، وإذا ظلمت فلا تتصر ؛ فإن نصرتي لك خير من نصرتك لنفسك . وقال الضحَّاك والسدى : هذا فى الصلاة ؛ لقول النبى ﷺ : « من نسى صلاة أو نام عنها فليصلها إذا ذكرها » .

وقال أهل الإشارة : معناه واذكر ربك إذا نسيت غيره ؛ لأن ذكر الله تعالى إنما يتحقق بعد نسيان غيره . يؤيده قول ذى النون المصرى : من ذكر الله ذكراً على الحقيقة نسى فى جنب ذكره كل شىء ، فإذا نسى فى جنب ذكره كل شىء حفظ الله له كل شىء ، وكان له عوضاً من كل شىء . وقيل : معناه : واذكر ربك إذا تركت ذكره ، والنسيان هو الترك . ﴿ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبٍ مِنْ هَذَا رَشْدًا ﴾ ، أى يثبتنى على طريق هو أقرب إليه ، فأرشد . وقيل : لعل الله أن يهدينى ويسدّنى لأقرب مما وعدتكم وأخبرتكم أنه يكون إن هو شاء . وقيل : إن الله تعالى أمره أن يذكره إذا نسى شيئاً ويسأله أن يذكره فيتذكر ، أو يهديه لما هو خير له من تذكر ما نسيه . ويقال : إن القوم لما سألوه عن قصة أصحاب الكهف على وجه العناد أمره الله تعالى أن يخبرهم أن الله سيؤتيه من الحجج والبيان على صحة نبوته وما دعاهم إليه من الحق ودلّهم على ما سألوه . ثم إن الله عزّ وجلّ فعل ذلك حيث آتاه من علم غيوب المرسلين خبرهم ما كان أوضح فى الحجة وأقرب إلى الرشد من خبر أصحاب الكهف . وقال بعضهم : هذا شىء أمر أن يقوله مع قوله : (إن شاء الله إذا ذكر الاستثناء بعدما نسيه ، فإذا نسى الإنسان فيؤتيه من ذلك . وكفارته أن يقول : ﴿ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبٍ مِنْ هَذَا رَشْدًا ﴾ .

﴿ وَلَبِثُوا ﴾ : يعنى : أصحاب الكهف ﴿ فِي كَهْفِهِمْ ﴾ ، قال بعضهم : هذا خبر عن أهل الكتاب أنهم قالوا ذلك ، وقالوا : لو كان خبراً من الله عزّ وجلّ عن قدر لبثهم فى الكهف لم يكن لقوله : ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ﴾ وجه مفهوم ، وقد أعلم خلقه قدر لبثهم فيه ، هذا قول قتادة . يدل عليه قراءة ابن مسعود : (وقالوا لبثوا فى كهفهم) . وقال مطر الوراق فى هذه الآية : هذا شىء قالته اليهود ، فردّه الله عليهم ، وقال : ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ ﴾ . وقال الآخرون : هذا إخبار الله عن قدر لبثهم فى الكهف ، وقالوا : معنى قوله : إن أهل الكتاب قالوا على عهد رسول الله ﷺ : إن للفتية من لدن دخلوا الكهف إلى يومنا هذا ثلاثمائة وتسع سنين فردّ الله عزّ وجلّ ذلك عليهم ، وقال : ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ﴾ بعد أن قبض أرواحهم إلى يومنا هذا لا يعلم ذلك غير الله وغير من أعلمه الله ذلك . وقال الكلبي : قالت نصارى نجران : أما الثلاثمائة فقد عرفناها ، وأما التسع فلا علم لنا بها فنزلت ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ﴾ .

﴿ تَلَّكَ مِائَةٌ سِنِينَ ﴾ : مضاف غير ممنون ، قرأها حمزة ، والكسائى والباقون بالتونين يعنى :

ولبثوا فى كهفهم سنين ثلاثمائة . وقال الضحاك ومقاتل : نزلت : ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ﴾ فقالوا : أيّاماً أو سنين؟ فنزلت ﴿سِنِينَ﴾ فلذلك قال : ﴿سِنِينَ﴾ ولم يقل : سنة ﴿وَأَزْدَادُوا تَسْعًا﴾ قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض أنجز به وأسع . يعنى : ما أبصر الله بكل موجود! وأسمعه بكل مسموع! ﴿مَا لَهُمْ﴾ ، أى لأهل السموات والأرض ﴿مِن دُونِهِ﴾ من دون الله ﴿مِن وَلِيٍّ﴾ : ناصر ، ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ : من الأصنام وغيرها .

﴿وَأَتْلُ﴾ : أى واقراً يا محمد ﴿مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ﴾ ، يعنى : القرآن ، واتبع ما فيه ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ ، قال الكلبي : لا مغير للقرآن . وقال محمد بن جرير : يعنى : لا مغير لم أوعده بكلماته أهل معاصيه والمخالفين لكتابه . ﴿وَلَنْ تَجِدَ﴾ أنت ﴿مِن دُونِهِ﴾ إن لم تتبع القرآن وخالفته ﴿مُتَّحِدًا﴾ ، قال ابن عباس : حرزاً . وقال الحسن : مدخلاً . وقيل : معدلاً . وقيل : موثلاً وقال مجاهد ملجأ ، وأصله من الميل ، ومنه لحد القبر .

﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ - الآية - قال المفسرون : نزلت فى عيينة بن حصين الفزارى ، وذلك أنه أتى النبى ﷺ قبل نزول هذه الآية ، وعنده بلال وصهيب وخباب وعمار وعامر بن فهيرة ومهجع وسلمان ، وعلى سليمان شملة قد عرق فيها ويده خوصة يشتقها ثم ينسجها ، فقال عيينة للنبي ﷺ : أما يؤذيك ریح هؤلاء؟ فوالله لقد آذانا ریحهم . وقال : نحن سادات مضر وأشرافها فإن أسلمنا أسلم الناس وإن أبينا أبى الناس ، وما يمنعنا من اتباعك إلا هؤلاء ، فنج هؤلاء حتى نتبعك ، واجعل لنا مجلساً ولهم مجلساً . فأنزل الله عز وجل : ﴿وَأَصْبِرْ﴾ : واحبس ﴿نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ : يعبدون ربهم ويوقرون ﴿رَبَّهُم بِالْعَدْوَةِ وَالْعَشَى﴾ ، أى طرفى النهار ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ ، يعنى : يريدون الله عز وجل لا يريدون عرضاً من الدنيا . والمراد منه : الحسنة وترك الرياء . قال قتادة : يعنى : صلاة الصبح والعصر ، وقال كعب الأحبار : والذى نفسى بيده إنهم لأهل الصلوات المكتوبة . قال قتادة : نزلت هذه الآية فى أصحاب الصفة ، وكانوا سبعمائة رجل فقراء لزموا مسجد رسول الله ﷺ لا يرجعون إلى تجارة ولا إلى زرع ولا ضرع ، يصلون صلاة وينتظرون أخرى . قال قتادة : فلما نزلت هذه الآية قال نبى الله ﷺ : «الحمد لله الذى جعل فى أمتى من أمرت أن أصبر معهم» .

﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ﴾ : لا تصرف ولا تجاوز عينك ﴿عَنَّهُمْ﴾ : إلى غيرهم ﴿تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ، يعنى مجالسة الرؤساء والأغنياء والأشرف .

ومعنى الآية : ولا تعد عينك عنهم - مريداً زينة الدنيا - حال خوضهم فى الاستغفار لأنه حكم على النبى ﷺ بإرادته الدنيا . ﴿وَلَا تُطْعَمَنَّ مِنْ أَعْفَانَا قَلْبُهُرَ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ أى تركنا قلبه وأنسيناه

ذكرنا. قال أبو العالية: يعنى: أمية بن خلف الجمحي. وقال غيره: يعنى عيينة بن حصين، ﴿وَأَتَعَ هَوْنَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا﴾، قال قتادة والضحاك ومجاهد: ضياعاً. وقال داود: ندماً. وقال حباب: هلاكاً. وقال ابن زيد: مخالفاً للحق. وقال مقاتل بن حيان: سرفاً. وقال الأخفش: مجاوزاً للحد. وقال الفراء: متروكاً. وقيل: باطلاً. وقال أبو زيد البلخي: قُدماً فى الشر. قال أبو عبيد: هو من قول العرب: فرس فرط إذا سبقت الخيل، وفرط القول متى أى سبق. وقيل: معناه ضييع أمره وعطل أيامه، قالوا: إن المؤمن من يستعمل الأوقات، ولا تستعمله الأوقات.

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾، الحق: رفع على الحكاية، وقيل: هو رفع على خبر ابتداء مضمرة معناه: وقل هو الحق من ربكم، يعنى: ما ذكر من القرآن والإيمان وشأن محمد ﷺ. وقيل: هو رفع على الابتداء وخبره فى قوله ﴿مِن رَّبِّكُمْ﴾ ومعنى الآية: وقل يا محمد لهؤلاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا: أيها الناس، من ربكم الحق، وإليه التوفيق والخذلان، وببده الضلالة والهدى، يهدى من يشاء فيؤمن، ويضل من يشاء فيكفر ليس إلى من ذلك شيء، ولست بطارد المؤمنين لكم، فإن شئتم فآمنوا، وإن شئتم فاكفروا؛ فإنكم إن كفرتم فقد أعد لكم ربكم على كفركم ناراً أحاط بكم سرادقها، وإن آمتتم وأطعتم فإن لكم ما وصف الله عز وجل لأهل طاعته.

وقوله: ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفِرْ﴾ ليس بترخيص وتخيير، إنما هو وعيد وتهديد، كقوله: ﴿أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ (فصلت: ٤٠). قال ابن عباس: من شاء الله له الإيمان آمن، ومن شاء له الكفر كفر، وهو قوله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ (الإنسان: ٣٠).

﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا﴾: أعددنا وهيناً، من العتاد، وهو العدة للظالمين: للكافرين ﴿نَارًا﴾، وفيه دليل على أن النار مخلوقة؛ لأنها لو لم تكن مخلوقة موجودة معدة لكان الخبر كذاباً، وتعالى الله عن ذلك.

وقوله: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾، روى أبو سعيد الخدرى عن النبى ﷺ أنه قال: «سرادق النار أربعة جدر كئف، كل واحد مسيرة أربعين سنة». وقال ابن عباس: هو حائط من نار، الكلبى: هو عَنق يخرج من النار فيحيط بالكفار (. . .)<sup>(١)</sup>. وقال القتيبي: السرادق الحجرة التى تكون حول الفسطاط. قال رؤبة:

يا حكم بن المنذر بن الجارود  
سرادق المجد عليك ممدود

(١) موضع النقط بياض فى الأصل.

وقال سلامة بن جندل :

هو المدخل النعمان بيتاً سماؤه صدور الفيول بعد بيت مسردق

وهو هاهنا دخان يحيط بالكفار يوم القيامة ، وهو الذى ذكره الله فى سورة المرسلات :

﴿ أَنْطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلِّ ذِي تَلَلٍ شُعْبٍ ﴾ (المرسلات : ٣٠) .

﴿ وَإِنْ يَسْتَيْشِرُوا ﴾ من شدة العطش ﴿ يَغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ ﴾ ، روى أبو مسلم عن أبى سعيد عن النبى ﷺ : ﴿ بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ ﴾ قال : « كعكر الزيت ، فإذا قرب إليه سقطت فروة وجهه فيه » . وقال ابن عباس : ماء غليظ مثل دردى الزيت . وقال الأعمش : هو عصارة الزيت . ومجاهد : القيح والدم . قال الضحّاك : المهل ماء أسود ، وإن جهنم سوداء ، ماؤها أسود ، وشجرها أسود ، وأهلها سود . وقال أبو عبيدة : كل ما أذيب من جواهر الأرض .

وروى روح بن عبادة ، عن سعيد ، عن قتادة قال : ذكر لنا أن ابن مسعود أهديت له سقاية من ذهب وفضة ، فأمر بأخدود فخذ فى الأرض ، ثم قذف فيه من جزل الحطب ، ثم قذف فيه تلك السقاية ، فلما أزيدت وانماعت ، قال لغلامه : ادع من بحضرتك من أهل الكوفة . فدعا رهطاً ، فلما دخلوا عليه قال : أترون هذا؟ قالوا : نعم . قال : ما رأينا فى الدنيا شيئاً بالمهل أدنى من هذا الذهب والفضة حين أزيد وانماع . وقال سعيد بن جبير : المهل الذى قد انتهى حره . وقال أبو عبيدة : سمعت المنتجع بن نيهان وذكر رجلاً ، فقال : هو أبغض إلى من الطليا والمهل ، فقلت له : ما المهل؟ قال : الملة التى تحدد من جوانب الرغيف من النار ، أحمر شديد الحمرة كأنها الرمانه ، وهى جمرة والطليا : الناقة المطلية بالقطران . ﴿ يَشْرَى الْوَجُوهَ ﴾ ، قال سعيد ابن جبير : إذا جاع أهل النار استغاثوا بشجرة الرقوم فىأكلون منها فاختلست جلودهم وجوههم ، فلو أن ماراً مرّ يعرفهم لعرف جلود وجوههم فيها ، ثم يصبّ عليهم العطش فيستغيثون فيغاثون بماء كالمهل ، وهو الذى قد انتهى حره ، فإذا أدنوه من أفواههم اشتوى من حره لحوم وجوههم التى قد سقطت عنها الجلود . ﴿ نَسِ الشَّرَابِ ﴾ هذا ، ﴿ وَسَاءَتْ ﴾ النار ﴿ مَرْتَفَقًا ﴾ ، قال ابن عباس : منزلاً . مجاهد : مجتمعاً . عطاء : مقرأ . وقيل : مهادأ . وقال القتيبي : مجلساً . وأصل : المرتفق المتكأ ، يقال منه : ارتفتقت ، إذا اتكأت على المرتفق . قال الشاعر :

قالت له وارتفتقت ألا فتى يسوق بالقوم غزالات الضحى

ويقال : ارتفق الرجل ، إذا بات على مرفقه لا يأتيه نوم . قال أبو ذؤيب الهذلى :

نام الخلى وبت الليل مرتفقاً كأن عيني فيها الصاب مذبوح

أى مقطوع من معتضده، والصاب: شجر إذا استؤصل خرج منه كهيئة اللبن، وربما ترتفع منه تربة أى فطرة، فيقع فى العين فكأنها شهاب نار، وربما أضعف البصر. ويجوز أن يكون قوله: ﴿مُرْتَقًا﴾ من الرفق والمنفعة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾. ليس قوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾ خبراً لقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بل هو كلام معترض، وخبر ﴿إِنَّ﴾ الأولى قوله: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾. ومثله فى الكلام كثير، قال الشاعر:

إِنَّ الخليفةَ إِنَّ اللهَ سربله      سربال ملك به ترجى الخواتيم

ومنهم من قال: فيه إضمار؛ فإن معناه: إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات فإننا لا نضيع أجره بل نجازيه.

ثم ذكر الجزاء فقال: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾، وهى الإقامة ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُجَلِّونَ﴾: يلبسون ﴿فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ﴾، وهو جمع الأسوار، قال سعيد بن جبیر: يُحَلَّى كل واحد منهم ثلاثة من الأساور، واحداً من فضة، وواحداً من ذهب، وواحداً من لؤلؤ، لو أبرز أحدهم إلى الدنيا سواراً منها لأضاء لأهل الدنيا إضاءة الشمس، وهن مرصعات باليواقيت<sup>(١)</sup>. ﴿مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ﴾، وهو ما رق من الديباج ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾، وهو ما غلظ منه. وقيل: هو فارسى معرب ﴿مُتَّكِعِينَ فِيهَا﴾: فى الجنان ﴿عَلَى الْأَرَابِكِ﴾، وهى السرر فى الحجال، واحدها: أريكة ﴿نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ﴾ يعنى: الجنان ﴿مُرْتَقًا﴾.



﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا﴾ ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكْلَهَا وَلَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلْفَاهُمَا نَهْرًا﴾ ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبَدَّ هَذِهِ أَبَدًا﴾ ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾ ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ ﴿

(١) هذا قول لا دليل عليه وتفسير بالرأى والجنة لا يعلم حقيقتها إلا الله وما هذا الوصف إلا وصف عقل محدود تصور ما أمكنه تصور من الزينة فلا يعتد بتصوره هذا.

وَأُولَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ تَرَنٍ أَنَا أَقَلُّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿١٠﴾  
 فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَآءِ فَيُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿١١﴾  
 أَوْ يُصْبِحُ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُوَ طَلَبًا ﴿١٢﴾ وَأَحِيطْ بِشَمْرِهِ فَاصْبَحْ يَقْلُبُ كَفَيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ  
 فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿١٣﴾ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ  
 مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿١٤﴾ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿١٥﴾

﴿١٠﴾ وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ ﴿١١﴾ الْآيَةُ ﴿رَجُلَيْنِ﴾ منصوب مفعول، على معنى: ﴿١٠﴾ وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا ﴿١١﴾ كمثال رجلين. نزلت في أخوين من أهل مكة من بنى مخزوم، أحدهما مؤمن وهو أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن عبد ياليل كان زوج أم سلمة قبل النبي ﷺ والآخر كافر، وهو الأسود بن عبد الأسد بن عبد ياليل. وقيل نزلت في النبي ﷺ وفي مشركى مكة. وهذا مثل لعيينة بن حصين وأصحابه، وفي سلمان وأصحابه شبههما برجلين من بنى إسرائيل أخوين: أحدهما مؤمن واسمه يهوذا في قول ابن عباس، وقال مقاتل: تملیخا، والآخر كافر، واسمه فطروس، قال وهب قطرف. وهما اللذان وصفهما الله في سورة (الصفات)، فذكر القصة. قال عطاء: كان رجلان شريكين، وكان لهما ثمانية آلاف دينار، وقيل: إنهما ورثاه عن أبيهما، وكانا أخوين فاقتهما، فعمد أحدهما فاشتري أرضًا بألف دينار، فقال صاحبه: اللهم إن كان فلان قد اشترى أرضًا بألف دينار، فإنى أشتري منك أرضًا فى الجنة بألف دينار، فتصدق بألف دينار.

ثم إن صاحبه بنى دارًا بألف دينار، فقال هذا: إن فلان بنى دارًا بألف دينار، وإنى اشترت منك دارًا فى الجنة بألف دينار، فتصدق بألف دينار. ثم تزوج بامرأة وأنفق عليها ألف دينار فقال: إن فلانًا تزوج امرأة بألف دينار، وإنى أخطب إليك من نساء الجنة بألف دينار، فتصدق بألف دينار. ثم اشترى خدمًا ومتاعًا بألف دينار، فقال: إن فلان اشترى خدمًا ومتاعًا بألف دينار، وإنى أشتري منك خدمًا ومتاعًا فى الجنة بألف دينار فتصدق بألف دينار.

ثم أصابته حاجة شديدة فقال: لو أتيت صاحبى هذا لعلّه ينالنى منه معروف. فجلس له على طريقه حتى مرّ به فى حشمه، فقام إليه، فنظر إليه الآخر فعرّفه فقال: فلان؟ قال: نعم، قال: ما شأنك؟ قال: أصابتنى حاجة بعدك فأتيتك لتصيننى بخير فقال: فما فعل مالك فقد اقتسما مالاً واحداً فأخذت شطره وأنا شطره؟ فقصّ عليه قصته، فقال: وإنك لمن المصدقين

بهذا، أى بأنتك تبعث وتجازى؟ اذهب فوالله لا أعطيك شيئاً.

فطرده، ففضى لهما أن توفيا، فنزل فيهما: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (الصفات: ٥٠) إلى قوله: ﴿فَأَطَّلَعَ فَرَاءَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ (الصفات: ٥٥)، ونزلت ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ: ﴿بِسْتَانِينَ﴾ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفْنُنُهُمَا: أَحَطْنَاهُمَا ﴿بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا﴾،  
يعنى: جعلنا حول الأعناب النخل ووسط الأعناب الزرع.

﴿كَلَّمْنَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ﴾: أعطت، يعنى: آتت كل واحدة من الجنتين، فلذلك لم يقل: آتتا ﴿أَكَلَهَا﴾: ثمرها تاماً ﴿وَلَمْ تَطَّلِمْنَاهُ شَيْئًا﴾. أى لم ينقص، ﴿وَفَجَّرْنَا خَلْقَهُمَا نَهْرًا﴾، يعنى: شققنا وأخرجنا وسطهما نهراً.

﴿وَكَانَ لَهُ﴾، يعنى: لفطروس ﴿ثَمْرٌ﴾ يعنى: المال الكثير المثمر من كل صنف، جمع ثمار. ومن قرأ: (ثمر) فهو جمع ثمرة. مجاهد: ذهب وفضة. ابن عباس: أنواع المال. قتادة: من كل المال. وقال ابن زيد: الثمر الأصل. ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ﴾ المؤمن ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾: يجاوبه ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفْرًا﴾، يعنى عشيرة ورهطاً. قال قتادة: خدماً وحشماً. وقال مقاتل: ولداً، تصديقه قوله تعالى ﴿إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقْلُ مِنْكَ مَالًا وَعِلْمًا﴾.

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾، يعنى: فطروس، أخذ بيد أخيه المسلم يطوف به ويريه إيّاها ويعجبه منها، ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ بكفره، فلما رأى ما فيها من الأنهار والأشجار والأزهار والثمار قال: ﴿مَا أَظُنُّ أَن تَبْدُدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ: القيامة ﴿قَائِمَةً﴾: آتية كائنة. ثم تمنى على الله أمنية أخرى مع شكّه وشركه فقال: ﴿وَلَيْنِ رُدِدْتُ﴾: صرفت ﴿إِلَىٰ رَبِّي﴾، فرجعت إليه فى المعاد ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا﴾، أى من الجنة التى دخلها. وقرأ أهل الحجاز والشام (منهما) على لفظ التثنية، يعنى الجنتين، وكذلك هو فى مصاحفهم. ﴿مُنْقَلَبًا﴾، أى منزلاً ومرجعاً. يقول: لم يعطنى هذه الجنة فى الدنيا إلا ولى عنده أفضل فى الآخرة.

﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ﴾ المسلم ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ أَكْفَرْتُ بِالَّذِي خَلَقْتُكُ يعنى خلق أباك وأصلك ﴿مِنْ تَرَابٍ تُرَابِ خَلْقِكَ﴾ مِنْ نُطْفَةٍ يعنى ماء الرجل والمرأة ﴿تُرْسُوكَ رَجُلًا﴾، أى عدلك بشراً سويّاً ذكراً. ﴿لِنَكُنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾، يقول: أما أنا فلا أكفر بربى، ولكننا هو الله ربى. قال الكسائى: فيه تقديم وتأخير مجازة: لكن الله هوربى. وقال الآخرون: أصله (لكن أنا) فحذفت الهمزة طلباً للخفة؛ لكثرة استعماله، وأدغمت إحدى النونين فى الأخرى، وحذفت ألف (أنا) فى الوصل. وقرأ ابن عامر ويعقوب: (لكنا)، بإتيان الألف بالوصل، كقول الشاعر:

حميداً قد تدرت السنما

أنا سيف العشيرة فاعرفونى



ولا خلاف فى إثباتها فى الوقف. ﴿وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ قُلْتَ مَا شَاءَ﴾، ﴿مَا﴾ فى موضع رفع، يعنى: هى ما شاء الله، ويجوز أن تكون فى موضع نصب بوقوع ﴿شَاءَ﴾ عليه. وقيل: جوابه مضمّر مجازه: ما شاء الله كان وما لا يشاء لا يكون. عن أنس بن مالك أن النبى ﷺ قال: «من رأى شيئاً فأعجبه فقال: ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ لم يضره».

ثم قال: ﴿إِن رَزَيْنَا أَقْلَ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾، ﴿أَنَا﴾ عماد ولذلك نصب. ﴿فَعَسَى﴾: فعلل ﴿رَبِّيَ أَن يُؤْتِيَنِي﴾ فى الآخرة ﴿خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا﴾: يبعث على جنتك ﴿حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ﴾، قال قتادة والضحاك: عذاباً. وقال ابن عباس: ناراً. وقال ابن زيد: قضاء من الله عز وجل يقضيه. قال الأخفش والقتيبى: مرام من السماء واحدها حسبانة، ﴿فَتَصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا﴾، قال قتادة: يعنى صعيداً أملس لا نبات عليه. وقال مجاهد: رملاً هائلاً وتراباً. قال ابن عباس: هو مثل الحزن. ﴿أَوْ يُصْبِحُ مَأْوَاهَا غُورًا﴾ أى غائراً منقطعاً ذاهباً فى الأرض لا تناله الأيدي ولا الرشا والدلاء. والغور مصدرٌ وُضع موضع الاسم، كما يقال: صوم وزور وعدل، ونساء نوح يستوى فيه الواحد والاثن والمذكر والمؤنث. قال عمرو بن كلثوم.

مقلدة أعتتها صفونا

تظل جياده نوحاً عليه

وقال آخر:

ضباع وجاوبى نوحاً قياما

هريقى من دموعها سجاما

﴿فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾ بعدما ذهب ونصب.

﴿وَأَحِيطَ بِشَمْرِهِ﴾ أى أحاط الهلاك بشمر جنّتيه، وهى جميع صنوف الثمار. وقال مجاهد: هى ذهب وفضة؛ وذلك أن الله أرسل عليها ناراً فأهلكها وغار مأوها، ﴿فَأَصْبَحَ﴾ صاحبها الكافر ﴿يُقَلِّبُ كَفْيَهُ﴾: يصفق يده على الأخرى، وتقليب كفيه ظهره لبطن؛ تأسفاً وتلهفاً ﴿عَلَى مَا أَنتَقَى فِيهَا﴾ يعنى: عليها كقوله: ﴿وَلَا صَلْبَيْكُمُ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ (طه: ٧١) أى عليها ﴿وَهى خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ ساقطة على سقوفها، خالية من غرسها وبناتها ﴿وَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لِمَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾. قال الله عز وجل: ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ﴾ أى جماعة ﴿يَبْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: يمنعونه من عذاب الله، ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾: ممتنعاً منتقماً.

﴿هُنَالِكَ﴾ يعنى: فى القيامة ﴿الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾، قرأ الأعمش وحمزة والكسائى (الولاية).

بكسر الواو- يعنى: السلطان والأمر. وقرأ الباقون بفتح الواو، من الموالة كقوله: ﴿اللَّهُ وَلِيٌّ

الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴿البقرة: ٢٥٧﴾، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ (محمد: ١١).

قال القتيبي: يريد: يتولون الله يومئذ، ويؤمنون به ويتبرؤون مما كانوا يعبدون. وقوله: ﴿الْحَقُّ﴾ رفعه أبو عمرو والكسائي على نعت الولاية، وتصديقه قراءة أبي: (هنالك الولاية الحق لله). وقرأ الآخرون بالكسر على صفة الله كقوله: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ﴾ (الأنعام: ٦٢)، وتصديقه قراءة عبد الله: (هنالك الولاية لله وهو الحق) فجعله من نعت الله. ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا﴾ لأوليائه وأهل طاعته ﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ لهم في الآخرة إذا صاروا إليه. والعقب: العاقبة، يقال: هذا عاقبة أمره كذا، وعقبه وعقبه أى آخرة قوله.



﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَزْلَنَهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿١﴾ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٢﴾ وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٣﴾ وَعَرَضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿٤﴾ وَوَضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٦﴾﴾

﴿وَأَضْرَبَ﴾ يا محمد ﴿لَهُمْ﴾: لهؤلاء المتكبرين المترفين الذين سألوا طرد الفقراء المؤمنين ﴿مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَزْلَنَهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾، بمعنى: المطر. قالت الحكماء: شبه الله تعالى الدنيا بالماء؛ لأن الماء لا يستقر في موضع وحال، كذلك الدنيا لا تبقى لأحد، ولأن الماء لا يستقيم على حالة واحدة وكذلك الدنيا، ولأن الماء يفنى كذلك الدنيا تفنى، ولأن الماء لا يقدر<sup>(١)</sup> أحد أن يدخله ولا يبتل، فكذلك الدنيا لا يسلم من آفاتنا وفتنتها أحد، ولأن الماء إذا كان بقدر كان

(١) في المخطوط: «يقدر». وقد سقطت الراء من آخره سهواً.

نافعاً مبقياً وإذا جاوز الحد المُقدّر كان ضاراً مهلكاً، وكذلك الدنيا الكفاف منها ينفع، وفضولها يضر<sup>(١)</sup>.

﴿فَأَخْتَلَطَ بِهِ﴾ : بالماء ﴿بَثَّ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ﴾ عن قريب ﴿هَمِيماً﴾ ، قال ابن عباس : يابساً . قال الضحّاك : كسيراً . قال الأخفش : متفتتاً ، وأصله الكسر . ﴿تَذْرُوهُ الرِّيحُ﴾ ، قال ابن عباس : تديره . قال ابن كيسان : تجيء به وتذهب . قال الأخفش : ترفعه . وقال أبو عبيدة : تُفرِّقه . القتيبي : تنسفه . وقرأ طلحة بن مصرف الآية فقال : ذرته الريح تذرّوه ذرواً ، وتذريه ذرياً وأذرتة إذراء إذا أطارت به ، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ ، قادراً .  
﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ﴾ التي يفخر بها عينة وأصحابه من الأشراف والأغنياء ﴿رَبِّهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ، وليست من زاد القبر ولا من عدد الآخرة ، ﴿وَالْبَقِيَّةُ الْآخِرَةُ﴾<sup>(٢)</sup> التي يعملها سلمان وأصحابه من الموالي والفقراء ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً﴾ أى خير ما يأمله الإنسان واختلفوا فى ﴿وَالْبَقِيَّةُ الْآخِرَةُ﴾ ما هى ؛ قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والضحّاك : هى قول العبد : (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) . يدل عليه ما روى مسلم بن إبراهيم عن أبى هلال عن قتادة أن النبى ﷺ أخذ غصناً فحركه حتى سقط ورقه ، وقال : «إن المسلم إذا قال : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، تحاتت عنه الذنوب . خذهن إليك أبا الدرداء قبل أن يحال بينك وبينهن ؛ فهنّ من كنوز الجنّة وصفايا الكلام ، وهنّ الباقيات الصالحات» .

(١) هذا التأمل وليس التفسير تأمل جميل وهيام فى بحور معانى الكلمات والتشبيه والتقاط درر العقل والفكر والخواطر الطيبة التى تدعو النفس إلى التريض فى حدائق الإيمان وترتع على ضفاف التقوى ، وتتسم رحيق الصلاح ، وتستمتع بنغمات الذكر الحكيم وتستريح فى بحوحة النعيم وتسمو إلى درجات الصديقين والمقربين فتراهم بعين البصيرة فتكون معهم فى حبور وسرور ، فتعود من تأملها وقد شحذت همتها مقبلة على آخرتها بشوق الوليدة إلى ولدها لا تبالى ما فى طريقها من متاعب أو مصاعب ، فكله يهون فى مقابل وصولها إلى هدفها ومرادها ، ألا وهى جنة ربها ، رزقنا الله وإياكم نعيمها .

(٢) كثيراً ما يترك الناسخ فى هذا المخطوط بعض آيات أو كلمات القرآن عن عمد ، وهو يترك سطوراً يستطيع القارئ للمخطوط أن يتبين أنه تركها عمداً واختصاراً للكتابة وخيانة فى النقل لا عن سهو ، وهو أيضاً يغير فى عبارات المؤلف أو فى تراكيبها تغييراً مخلصاً ، يفيد أيضاً أنه يقصد تشويه الكتاب وعدم استفادة القارئ منه ، فرمما كان هذا لشيء كان بين ناسخ هذا الجزء من المخطوط وبين صاحبه الذى أمره بنسخه كنوع من الانتقام ، وأظن أن ناسخ هذا الجزء من المخطوط لم يكن على دين أو فطرة سليمة حيث لا يهتم بقيم ولا يخشى آخرة ، وهو الآن بين يدي ربه سبحانه فاللهم إن كان ما جاء فى هذا المخطوط عن غير قصد منه فارحمه واعف عنه وأجزل عطائه ، وإن كان عن قصد وقد تاب منه فإنك أنت التواب الرحيم فتقبل منه توبته ، وإن كان مبغضاً للإسلام والمسلمين ولدينك الحنيف فشأنك به فإنه عبدك وقد أتاك بما قدم .

وقال عثمان (رضى الله عنه) وابن عمر وسعيد بن المسيب وعطاء بن أبي رباح: هي (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ولا حول، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم). يدل عليه (ما) روى القاسم بن عبد الله العمري، ومحمد بن عجلان عن عبد الجليل بن حميد عن خالد بن عمران أن النبي ﷺ خرج على قومه، فقال: «خذوا جنتكم». قالوا: يا رسول الله، من عدوّ حضر؟ قال: «بل من النار». قالوا: وما جنتنا من النار؟ قال: «الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم؛ فإنهن يأتين يوم القيامة مقدّمات مجنّبات ومعقّبات، وهنّ الباقيات الصالحات».

وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «استكثروا من الباقيات الصالحات». ف قيل: وما هنّ يا رسول الله؟ قال: «الملّة». قالوا: وما هي؟ قال: «التكبير، والتهليل، والتسييح، ولا حول ولا قوة إلا بالله».

وقال عبد الله بن عبد الرحمن مولى سالم بن عبد الله: أرسلني سالم إلى محمد بن كعب القرظي فقال: قل له: القنى عند زاوية القبر؛ فإن لى إليك حاجة. قال: فالتقيا، فسلم أحدهما على الآخر، ثم قال سالم: ما تعدّ الباقيات؟ فقال: لا إله إلا الله، والحمد لله، وسبحان الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله. فقال له سالم: متى جعلت: ولا حول ولا قوة إلا بالله؟ قال: مازلت أجعله فيها. قال فراجعه مرتين وثلاثاً فلم ينزع، فقال سالم: أجل. فأتيت أبا أيوب الأنصاري فحدث أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «عُرج بي إلى السماء فأريت إبراهيم (عليه السلام) فقال: يا جبرئيل، من هذا معك؟ فقال: محمد. فرحّب بي وسهّل، ثم قال: مر أمتك فليكثرُوا من غراس الجنّة، فإن تربتها طيبة، وإن أرضها واسعة. فقلت وما غراس الجنّة؟ قال: لا حول ولا قوة إلا بالله»<sup>(١)</sup>.

وقال سعيد بن جبير وعمرو بن شرحبيل ومسروق وإبراهيم: هي الصلوات الخمس، وهي ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ (هود: ١١٤).

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: هي الأعمال الصالحة: لا إله إلا الله، وأستغفر الله وصى الله على محمد، والصلاة والصوم والحج والصدقة والعق والجهاد والصلّة وجميع

(١) الخبر غير صحيح أما النبي ﷺ فقد عرج به إلى السماء حتى كان قاب قوسين أو أدنى، ورأى من آيات ربه الكبرى، وأوحى الله تعالى إليه في هذه الرحلة ما أوحى أما عن تفاصيل هذه الرحلة فليس فيها كثير خبر صحيح فمعظم ما روى فيها باطل ولا أساس له من الصحة فهو بين ضعيف وموضوع، وأما عما في هذا الخبر من التسييح، فالتسييح أمر خير أمر الله به بنى آدم وبين لهم أن من السموات والأرض وما بينهما يسبحون الله لا يفترون وليس هناك من ينكر ذلك، ولكن الكلام عن الخبر الوارد هنا فإنه غير صحيح.

الحسنات التي تبقى لأهلها في الجنة ما دامت السموات والأرض .

وروى عطية عن ابن عباس قال : هي الكلام الطيب . وقال عوف : سألت الحسن عن الباقيات الصالحات ، قال : النيات والهممات ؛ لأن بها تُقبل الأعمال وترفع . قال قتادة : هي كل ما أريد به وجه الله . والله أعلم .

﴿ وَيَوْمَ نُسِرُّ الْجِبَالَ ﴾ : نزيلها عن أماكنها . وقرأ ابن كثير وأبو عمرو : ( تُسِيرٌ ) - بالتاء وفتح الياء - ( الجبال ) رفعاً على المجهول ، ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً ﴾ ظاهرة كراى العين ليس عليها شجر ولا جبل ولا ثمر ولا شىء يسترها . وقال عطاء : ترى باطن الأرض ظاهراً قد برز الذين كانوا فى بطنها فصاروا على ظهرها ، ﴿ وَحَشَرْنَاهُمْ ﴾ : جمعناهم إلى الموقف للحساب ، ﴿ فَلَمَّا تَغَادَرَ ﴾ : ترك ونخلف ﴿ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا ﴾ : صفاً صفاً ؛ لأنهم صف واحد . وقيل قياماً ، يقال لهم - يعنى للكفار ، لفظه عام ومعناه خاص - : ﴿ لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ يعنى : أحياء . وقيل : عراة . وقيل : غرلاً . وقيل : فرادى <sup>(١)</sup> . ﴿ بَلْ زَعَمْتُمْ أَنَّنِي نَجْعَلُ لَكُمْ مَوَءِدًا ﴾ يعنى : القيامة .

قوله تعالى : ﴿ وَوَضَعَ الْكِتَابَ ﴾ <sup>(٢)</sup> يعنى كتب أعمال الخلق كتاب <sup>(٣)</sup> كل امرئ ، فأخذه بيمينه أو بشماله ، ﴿ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ ﴾ : خائفين ﴿ مِمَّا فِيهِ ﴾ من الأعمال السيئة ، ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ إذا رأوها : ﴿ يَتَوَلَّيْنَا مَا لَمْ نَدْرَأُ بِكُلِّ آيَةٍ وَلَا كَلِمَةٍ ﴾ من ذنوبنا <sup>(٤)</sup> ؟ قال ابن عباس : الصغيرة : التبسم ، والكبيرة : القهقهة . وقال سعيد بن جبیر : الصغيرة للتم والتخميش والقبل والمسيس ، والكبيرة : الزنا ، والمواقعة ، ﴿ إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾ ، قال ابن عباس : علمها . وقال السدى : كتبها وأثبتها . وقال مقاتل بن حيان : حفظها . وقيل : عدها . وقال إبراهيم ابن الأشعث : كان الفضيل بن عياض إذا قرأ هذه الآية قال : ضجوا والله من الصغار قبل الكبار . وضرب رسول الله ﷺ لصغائر الذنوب مثلاً فقال : « كمثل قوم انطلقوا يسرون

(١) فى المخطوط : فرداً . والتصويب من تفسير القرطبي ، وفيه : دليله : ﴿ لَقَدْ جِئْتُمُونَا فَرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ (الأنعام : ٩٤) .

وقال الزجاج : أى بعثناكم كما خلقناكم .

(٢) ترك هذه الكلمة من المخطوط ، وجاء بعدها بياض فى المخطوط . قدره كلمة .

(٣) فى المخطوط : « كتب » وهو تحريف .

(٤) فى تفسير القرطبي : قال الأسدى : الصغيرة : ما دون الشرك ، والكبيرة : الشرك .

قلت : وقد اختلفوا فى الصغيرة ما هى ؟ وهل تكفر بكثرتها أم لا ؟

واختلفوا أيضاً فى الكبيرة أى فى كم هى الكبائر ، وما هى ؟ وهل مرتكبها كافر أم مسلم ؟

كما اختلفوا فى المصر على الكبيرة أو الصغيرة . وما مصيره فى الآخرة ؟ .

حتى نزلوا بفلاة من الأرض فانطلق كل رجل منهم يحتطب، فجعل الرجل منهم يأتي بالعود ويجيء الآخر بعودين حتى جمعوا سواداً وأججوا. وإن الذنب الصغير يجتمع على صاحبه حتى يهلكه».

﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ مكتوباً مثبتاً في كتابهم ﴿وَلَا يَظْهَرُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ يعنى: لا ينقص ثواب أحد عمل خيراً. قال الضحاك: لا يأخذ أحداً بجرم لم يعمله ولا يورث ذنب أحد على غيره.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ يقول جلّ ذكره مذكراً لهؤلاء المتكبرين ما أورث الكبير إبليس، ويعلمهم أنه من العداوة والحسد لهم على مثل الذى كان لأبيهم: واذكر يا محمد إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم، ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾؛ اختلفوا فيه فقال ابن عباس: كان إبليس من حى من أحياء الملائكة يقال لهم الجن، خلّقوا من نار السموم، وخلق الملائكة من نور غير هذا الحى. وكان اسمه بالسريانية عزازيل وبالعربية الحارث، وكان من خزان الجنة، وكان رئيس ملائكة الدنيا، وكان له سلطان سماء الدنيا وسلطان الأرض، وكان من أشد الملائكة حلماً وأكثرهم علماً، وكان يسوس ما بين السماء والأرض فرأى بذلك لنفسه شرفاً وعظمة فذلك الذى دعاه إلى الكبر، فعصى فمسخه الله شيطاناً رجيماً ملعوناً. فإذا كانت خطيئة الرجل فى كبر فلا ترجه، وإن كانت خطيئته فى معصية فارجه، وكانت خطيئة آدم معصية، وخطيئة إبليس كبراً<sup>(١)</sup>.

وقال ابن عباس فى رواية أخرى. كان من الجن وإنما سُمى الجنان، لأنه كان خازناً عليها فنُسب إليها، كما يقال للرجل: مكى وكوفى ومدنى وبصرى<sup>(٢)</sup>.

روى يعقوب القمى عن جعفر عن سعيد بن جبير. فى قوله عزّ وجلّ: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ - قال: كان من الجنانيين الذين يعملون فى الجنة. وقال الحسن: ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين، وإنه لأصل الجن كما أن آدم أصل الإنس<sup>(٣)</sup>.

وقال شهر بن حوشب: كان إبليس من الجنّ الذين ظفر بهم الملائكة فأسره بعض الملائكة،

(١) هذه حكمة أو مقولة وافقت كثيراً من الصواب وقد رأيت وجريت فى حياتى هذه المقولة فوجدتها دائماً ما توفى فكل من كانت معصيته فى الكبر لم أوفى فى الوصول معه إلى صلاح، وأما من كانت فى غير ذلك فعالباً ما يتوب ويقلّع عنها.

(٢) هذا قول بعيد كل البعد عن الحقيقة حيث لا دليل عليه ولا يوافق العقل والفترة.

(٣) هذا هو القول الأرجح والله تعالى أعلم وإن كان هناك ما يرجح أن لا يكون صواباً لقوله: ﴿من الجن﴾.

فذهب به إلى السماء<sup>(١)</sup>.

وقال قتادة: جنّ عن طاعة الله تعالى، ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾، يعني: خرج عن طاعة ربه. تقول العرب: فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها، وفسقت الفأرة إذا خرجت من جحرها، ولذلك قيل لها: الفويسقة. وقيل: هي من الفسوق، وهي الاتساع، تقول العرب: فسق فلان في النفقة إذا اتسع فيها، وما أصاب مالا إلا فسقه، أي أهلكه وبذّره. والفاسق سمى فاسقا؛ لأنه اتسع في محارم الله عزّ وجلّ، وهونها على نفسه. ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ﴾، يعني يا بنى آدم ﴿وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾: أعداء. وقال الحسن: الإنس من آخرهم من ذرية آدم، والجن من آخرهم من ذرية إبليس. قال مجاهد: فمن ذرية إبليس لافيس وولهان وهو صاحب الطهارة والصلاة، والهفان ومرة وبه يكتنى إبليس وزيلنون وهو صاحب الأسواق يضع رايته بكل سوق من السماء والأرض، والدر وهو صاحب المصائب يأمر بضرب الوجه وشقّ الجيوب والدعاء بالويل والحرب، والأعور وهو صاحب أبواب الزنا، ومبسوط وهو صاحب الأخبار يأتي بها فيلقبها في أفواه الناس فلا يجدون لها أصلا، وداسم وهو الذي إذا دخل الرجل بيته فلم يسلم ولم يذكر اسم الله عزّ وجلّ، بصره من المقابح ما لم يرفع أو لم يحسن موضعه، فإذا أكل ولم يذكر اسم الله عليه أكل معه<sup>(٢)</sup>.

وقال الأعمش: ربما دخلت البيت، ولم أذكر اسم الله ولم أسلم فرأيت مطهره فقلت: ارفعوا، وخاصمتهم، ثم أذكر فأقول: داسم، داسم.

وروى مخلد عن الشعبي قال: إنى لقاعد يوماً إذ أقبل حمال ومعه دن حتى وضعه، ثم جاءني فقال: أنت الشعبي؟ قلت: نعم. فقال: أخبرني هل لإبليس زوجة؟ قلت: إن ذلك لعرس ما شهدته. قال: ثم ذكرت قول الله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي﴾، فعلمت أنه لا يكون ذرية إلا من زوجة، قلت: نعم. فأخذ دنه وانطلق، قال: فرأيت أنه مختارى<sup>(٣)</sup>.

قال ابن زيد: إبليس أبو الجن كما أن آدم (عليه السلام) أبو الإنس. قال الله تعالى

(١) هذا وما بعده أيضاً لا يصلح لهذا التأويل.

(٢) هذا قول لا يحتاج إلى عناء في رده وأظن أن مجاهداً برىء منه كل البراءة فما ذكر مع كل اسم غريب جداً وعجيب وأغرب ما في تلك الحكاية تسمية شيطان للأنبياء بالأبيض، وجعل للشيطان على الأنبياء سبيل كيف وليس له على المؤمنين سبيل فضلاً عن الأنبياء.

(٣) لا يستدل بهاتين الحكايتين على صحة القول الأول لأنهما يمكن أن يدسا على الأعمش والشعبي كما دست الرواية التي تحمل أسماء الشياطين ويريد أن مناز هذا اسم شيطان.

لإبليس: إني لا أخلق لآدم ذرية إلا ذرات لك مثلها، كلما ولد لآدم. قال قتادة: إنهم يتوالدون كما يتوالد بنو آدم، وما ولد لآدم ذرية إلا ولد له مثله، فليس من ولد آدم أحد إلا له شيطان قد قرن به.

﴿بَسَّ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾، أى بسس البديل لإبليس وذريته من الله. قال قتادة: بسس ما استبدلوا بعبادة ربهم: طاعة إبليس وذريته.



﴿ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴿ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿ وَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأُولِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَطْلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أَنْذَرُوا هُزُوعًا ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ بَيِّنَاتٍ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴿ وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْبِقًا ﴿ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ آهْلًا كَانَتْهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴿

﴿ مَا أَشْهَدْتُهُمْ ﴾: ما أحضرتهم، يعنى إبليس وذريته. وقيل: يعنى الكافرين أجمع. قال الكلبي: يعنى ملائكة السموات. وقرأ أبو جعفر: (ما أشهدناهم) بالنون والألف على التعظيم، ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ فاستعين بهم على خلقها، وأشاورهم وأوامرهم فيها، ﴿ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾: أنصاراً وأعواناً<sup>(١)</sup>.

(١) فلا يجوز هنا أن يقال بمفهوم المخالفة فهل اتخذ المهتدين عضداً فحاشا وكلاً وإنما المراد كيف اتخذ أعضاء وأنصاراً وأنا الله الذى تعجز كل القوى عن قوتى والقدر عن قدرتى حيث أنا خالق القوى والقدر فمراد الآية النفى القاطع عن مثل ذلك.



﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا﴾ قرأ حمزة بالنون. والباقون بالياء لقوله: ﴿شُرَكَائِي﴾ ولم يقل: شركاءنا. ﴿شُرَكَائِي الَّذِينَ رَعَّمْتُمْ﴾ أنهم شركائي، ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ يعني بين الأوثان وعبدتها. وقيل: بين أهل الهدى والضلالة ﴿مَوْبِقًا﴾، قال عبد الله بن عمر: هو واد عميق فى جهنم يفرق به يوم القيامة بين أهل لا إله إلا الله، وبين من سواهم. وقال ابن عباس: هو واد فى النار. وقال مجاهد: واد من حميم. وقال عكرمة: هو نهر فى النار يسيل ناراً، على حافته حيات مثل البغال الدهم، فإذا بادرت إليهم لتأخذهم استغاثوا بالاحتحام فى النار منها. وقال الحسن: عداوة. وقال الضحّاك وعطاء: مهلكاً. وقال أبو عبيد: موعداً، وأصله الهلاك، يقال: أوبقه يوبقه إيباقاً، أى أهلكه، ووبق يبق وبقاً، أى هلكته، ويقال: وبق يوبق ويبق ويأبق، وهو وابق ووبق، والمصدر: وبق، ووبوق.

﴿وَرَعَاءَ الْمُجْرِمُونَ﴾: المشركون ﴿النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُهَا﴾: داخلوها. وقال مجاهد: مقتحموها وقيل: نازلوها وواقعون فيها. وقرأ الأعمش: (ملاقوها)، يعنى مجتمعين فيها، والهاء الجمع ﴿وَأَنزَجِدُوا عَلَيْهَا مَصْرَفًا﴾.

وروى أبو سعيد الخدرى عن النبى ﷺ أنه قال: «إن الكافر ليرى جهنم فيظن أنه مواقعها من مسيرة أربعين سنة»<sup>(١)</sup>.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾: بينا ﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ ليتذكروا ويتعظوا ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾: خصومة فى الباطل، يعنى أبى بن خلف الجمحى، وقيل فى النضر بن الحارث، وقيل: إنه عام ليس بخاص.

[وقال الزجاج: أى الكافر أكثر شىء جدلاً]<sup>(٢)</sup>.

واحتجوا بما روى الحسن بن على بن أبى طالب عن أبيه قال: «إن رسول الله ﷺ طرقه هو وفاطمة بنت رسول الله ﷺ فقال: ألا تصلون؟ فقلت: يا رسول الله، إنما أنفسنا بيد الله تعالى، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا. فانصرف رسول الله ﷺ حين قلت ذلك له ولم يرجع شيئاً، فسمعتة وهو يضرب فخذه ويقول: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾».

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا﴾ يعنى من أن يؤمنوا، ﴿إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى﴾: القرآن والإسلام ومحمد ﷺ ﴿وَيَسْتَغْفِرُوا﴾: ومن أن يستغفروا ﴿رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْآوَّلِينَ﴾ يعنى سنتنا فى إهلاكهم ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾، قال ابن عباس: عياناً. قال الكلبي: هو السيف يوم بدر.

(١) حديث غير صحيح، وإن كان مضمون صدره صحيحاً أما عجزه فليس كذلك.

(٢) ما بين المعكوفين سقط من المخطوط، وأثبتته من تفسير القرطبي.

قال مجاهد: فجأة. ومن قرأ ﴿قَبْلًا﴾، بضمين، أراد به: أصناف العذاب.  
 ﴿وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَدِّدُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَلْبَابًا لِيُدْحِضُوا﴾: يبتلوا  
 ويزيلوا ﴿بِهِ الْحَقُّ﴾، قال السدي: ليفسدوا، وأصل الدحض: الزلق، يقال: دحضت رجله  
 أى زلقتة. وقال طرفة:

أبا منذر رمت الوفاء فهبته      وحدت كما حاد البعير عن الدحض

﴿وَاتَّخَذُوا عَائِيَّتِي وَمَا أَنْذَرُوا﴾، فيه إضمار يعنى: وما أنذروا وهو القرآن ﴿هُزُوا﴾: استهزاء.  
 ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾: لم يؤمن بها ﴿وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ﴾، أى  
 عملت يداه من الذنوب<sup>(١)</sup> ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾، يعنى القرآن ﴿وَفِي آذَانِهِمْ  
 وَقْرًا﴾: ثقلاً وصمماً ﴿وَإِنْ تَدْعُهُمْ﴾ يا محمد ﴿إِلَى الْهَدْيِ﴾ يعنى إلى الدين ﴿فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذَا  
 أَبَدُوا﴾: لن يرشدوا ولن يقبلوه<sup>(٢)</sup>.

﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾ من الذنوب ﴿لَعَجَلَ لَهُمُ الْعَذَابَ﴾ فى الدنيا ﴿بَلْ  
 لَهُمْ مَوْعِدٌ﴾ وهو يوم الحساب ﴿أَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلاً﴾: محيصاً ولا ملجأ<sup>(٣)</sup>، قال الأعشى:  
 وقد أخالس رب البيت غفلته      وقد يحاذر منى ثم ما يثل  
 أى لا ينجو.

﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾: كفروا، ﴿وَجَعَلْنَا لِمَن لَّكِهِمْ مَوْعِدًا﴾: أجلاً.



(١) زاد القرطبي فى تفسيره: ترك كفره ومعاصيه، فلم يتب منها، فالنسيان هنا بمعنى الترك.  
 وقيل المعنى: نسى ما قدم لنفسه، وحصل من العذاب.  
 والمعنى متقارب.

(٢) جاء الكلمة فى المخطوط: «يقتلوا» وهو تحريف.

(٣) زاد القرطبي فى التفسير: قاله ابن عباس، وابن زيد، حكاة الجوهري فى الصحاح. وقد أَلَّ يَثُلُ وَالْأُ وَوَعُولًا  
 على فُعل، أى لجأ.

وَوَاعَلَ مِنْهُ عَلَى فاعل أى طلب النجاة.

وقال مجاهد: محرراً.

وقال قتادة: وكياً.

وقال أبو عبيدة: منجى.

وقيل: مَحِيصًا.

والمعنى واحد، والعرب تقول: لا وألت نفسه أى لا نجت.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتْنَهُ لَا أBRُحَ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿١﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٢﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِقَتْنَهُ ءَاتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿٣﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْتِينَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٤﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ ءَأْتَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٥﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاتِيَنَّهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَهُ مِنَ اللَّذَاتِ عَلِيمًا ﴿٦﴾ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَبِعَكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴿٧﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٨﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٩﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿١٠﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أَحَدَّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿١١﴾ فَاَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿١٢﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿١٣﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿١٤﴾ فَاَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿١٥﴾ ﴿١٦﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿١٧﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَلِّحْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿١٨﴾ فَاَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبْوَأَ أَنْ يُضَيَّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَتَّقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿١٩﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٢٠﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٢١﴾ وَأَمَّا الْعُلَمَاءُ فَكَانَ أَبُوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٢٢﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٢٣﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُمْ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٢٤﴾﴾

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتْنَهُ﴾ الآية . قال ابن عباس : لما ظهر موسى (عليه السلام) وقومه على مصر

أنزل قومه مصر، فلما استقرت بهم الدار أنزل الله عز وجل: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيْمِ اللَّهِ﴾ (إبراهيم: ٥) فخطب قومه وذكر بما آتاهم الله عز وجل من الخير والنعمة؛ إذ نجاهم من آل فرعون وأهلك عدوهم واستخلفهم في الأرض، فقال: «وكلم الله نبيكم تكليماً، واصطفاني لنفسه، وألقى عليّ محبة منه، وآتاكم من كل ما سألتموه، ونبيكم أفضل أهل الأرض، وأنتم تقرأون التوراة». فلم يترك نعمة أنعمها الله عز وجل عليهم إلا ذكرها وعرفها إياهم، فقال له رجل من بنى إسرائيل: قد عرفنا الذي تقول، فهل على وجه الأرض أحد أعلم منك يا نبي الله؟ قال: «لا»، فعتب الله عز وجل عليه حين لم يرد العلم إليه، فبعث إليه جبرئيل، فقال: «يا موسى وما يدريك أين أضع علمي<sup>(١)</sup>؟ بل إن لي عبداً بجمع البحرين أعلم منك». فسأل موسى ربه أن يريه إياه، فأوحى الله عز وجل إليه أن: «ات البحر فإنك تجد على شط البحر حوتاً، فخذ فادفعه إلى فتاك، ثم الزم شط البحر إذا نسيت الحوت وهلك منك فثم تجد العبد الصالح»<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن عباس في رواية أخرى: سأل موسى ربه فقال: «رب أي عبادك أحب إليك؟». قال: «الذي يذكرني فلا ينساني». قال: «فأي عبادك أقضي؟». قال: «الذي يقضى بالحق ولا يتبع الهوى». قال: «ربي فأى عبادك أعلم؟». قال: «الذي يبغى علم الناس إلى علمه عسى أن يصيب كلمة تدلّه على هدى أو ترده عن ردى». قال: «إن كان في عبادك أحد هو أعلم

(١) كذا في المخطوط، وكذا هو في تفسير القرطبي وزاد محققه بين معقوفين: أين أضع علمي وقال: إنه جاء بها من بعض التفاسير.

(٢) وللاستاذ سيد قطب رحمه الله قول في ظلاله حول هذه القصة أنقله هنا بدلاً من أن أقول أنا قولي فيهما حيث يقول رحمه الله تعالى رحمة واسعة وجعل قتله شهادة آمين يا رب العالمين:

هذه الحلقة من سيرة موسى عليه السلام لا تذكر في القرآن كله إلا في هذا الموضع.

والقرآن لا يحدد المكان الذي وقعت فيه إلا بأنه مجمع البحرين، ولا يحدد التاريخ الذي وقعت فيه من حياة موسى، هل كان ذلك وهو في مصر قبل خروجه ببني إسرائيل أم بعد خروجه بهم منها؟

ومتى بعد الخروج؟ قبل أن يذهب بهم إلى الأرض المقدسة أم بعدما ذهب بهم إليها، فوقفوا حياها لا يدخلون لأن فيها قومًا جبارين؟ أم بعد ذهابهم في التيه مفرقين مبددين؟

وكذلك لا يذكر القرآن شيئاً عن العبد الصالح الذي لقيه موسى من هو؟ وما اسمه؟ هل هو نبي أو رسول؟ أم عالم؟ أم ولي؟

وهناك روايات كثيرة عن ابن عباس وعن غيره في هذه القصة، ونحن نقف عند نصوص القصة في القرآن لنعيش في ظلال القرآن.

ونعتقد أن لعرضها في القرآن على النحو الذي عرضت به دون زيادة، ودون تحديد للمكان والزمان والأسماء حكمة خاصة، فنقف نحن عند النص القرآني.

قلت: هذا هو التعبد والتحرر من هوى النفس والوقوف عندما أوقف فلا يتجاوز لينجو ويفلح.

مَنى فادللتنى عليه». فقال له: «نعم، فى عبادى من هو أعلم منك»، قال: «من هو؟». قال: «الخضر». قال: «وأين أطلبه؟». قال: «على الساحل عند الصخرة». وجعل الحوت له آية، وقال: «إذا حى هذا الحوت، وعاش، فإن صاحبك هناك».

وكانا قد تزودا سمكًا مالحًا فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ بن عمران ﴿لَقَدْ أَنبَأْتُكُمْ﴾ صاحبه يوشع بن نون بن إفرائيم بن يوسف. وقيل: فتاه أخو يوشع، كان معه فى سفره. وقيل: فتاه عبده ومملوكه: ﴿لَا أَبْرَحُ﴾: لا أزال أمشى ﴿حَتَّىٰ أَتْلُغَ الْبَحْرَيْنِ﴾ حيث يلتقيان<sup>(١)</sup>، قال قتادة: بحر فارس والروم مما يلى المشرق. وقال محمد بن كعب: طنجة. وقال أبى بن كعب: أفريقية، وقيل: حيث يلتقيان النيل والبحر المالح<sup>(٢)</sup>، ﴿أَوْ أَمْضَىٰ حُقْبًا﴾ وجمعه أحقاب: دهرًا أو زمانًا. وقال عبد الله بن عمر: والحقب ثمانون سنة. وقال مجاهد: سبعون سنة<sup>(٣)</sup>. وقيل: البحران هما موسى والخضر، كانا بحرين فى العلم<sup>(٤)</sup>.

فحملا خبزًا وسمكة مالحة وسارا حتى انتهايا إلى الصخرة التى عند مجمع البحرين ليلاً، وعندها عين تسمى ماء الحياة، لا يصيب ذلك الماء شيئًا إلا حيا<sup>(٥)</sup>، فلما أصاب السمكة روح الماء وبرده اضطربت فى المكنل وعاشت ودخلت البحر، فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا﴾ يعنى: موسى وفتاه ﴿مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا﴾ يعنى: بين البحرين ﴿نَسِيًا حَوْتَهُمَا﴾: تركا حوتهما، وإنما كان الحوت مع يوشع، وهو الذى نسيه فصرف النسيان إليهما، والمراد به: أحدهما كما قال: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ (الرحمن: ٢٢) وإنما يخرج من المالح دون العذب. وإنما جاز ذلك؛ لأنهما كانا جميعاً تزوداً لسفرهما، فجاز إضافته إليهما، كما يقال: خرج القوم إلى موضع

(١) قلت: وكان كلنا القصتين ليس هناك دليل على صحتهما لكن هذه القصة أليق بنبى الله من القصة الأولى.

(٢) هذه أقوال متضاربة ومتباعدة وما أذهب إليه وإن كان هذا لا يهم هو ما ذهب إليه الأستاذ سيد قطب فى ظلاله حيث يقول: والأرجح والله أعلم: أنه مجمع البحرين: بحر الروم وبحر القلزم، أى البحر الأبيض، والبحر الأحمر، ومجمعهما، مكان التقائهما فى منطقة البحيرات المرة وبحيرة التمساح.

أو أنه مجمع خليجى العقبة والسويس فى البحر الأحمر.

قلت: وهذا القول الأخير هو الذى أذهب إليه منذ قرأت السورة منذ الصغر.

ويضيف الأستاذ سيد قطب فيذكر ما يؤيد رأيه.

(٣) قلت: المراد هنا من الحقب هو العزم والتصميم من نبى الله تعالى موسى على أن يسعى بجهد واجتهاد فى الوصول إلى ذلك العبد الصالح العالم ليتعلم منه العلم وإن أمضى من الوقت والزمن ما أمضى وهو من المبالغة فى القول كأن تقول: سألت عنك مائة مرة ولم تسأل إلا مرات قليلة جداً مبالغة فى القول.

(٤) هذا من شطحات بعض المفسرين ومبالغاتهم.

(٥) وهذا أيضا كسابقه إذ لا بد عنهم أن يكون لكل شىء سبب مادى، فلقد كان لسيدنا موسى آيات عجيبة فلماذا لا يكون هذا منها؟.

كذا، وحملوا معهم من الزاد كذا، وإنما حملة أحدهم، لكنه لما كان ذلك من أمرهم ورأيهم أضيف إليهم. ﴿فَاتَّخَذَ﴾ الحوت ﴿سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾، أى مسلکًا ومذهبًا يسرب ويذهب فيه.

واختلفوا فى كيفية ذلك؛ فروى أبى بن كعب عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنجاب الماء عن مسلك الحوت فصارت كوة لم تلتئم، فدخل موسى الكوة على أثر الحوت فإذا هو بالخضر (عليه السلام)»<sup>(١)</sup>.

وقال ابن عباس: رأى أثر جناحه فى الطين حين وقع فى الماء، وجعل الحوت لا يمى شيئاً إلا يبس حتى صار صخرة. وروى ابن عباس عن أبى بن كعب عن رسول الله ﷺ قال: «لما انتهيا إلى الصخرة وضعا رأسيهما فناما واضطرب الحوت فى المكتل، فخرج منه فسقط فى البحر فاتخذ سبيله فى البحر سرى، أمسك الله عز وجل عن الحوت جرية الماء، فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ موسى (عليه السلام) نسى فتاه أن يخبره بالحوت وانطلقا بقية يومهما وليتهما. حتى إذا كان من الغد ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ﴾ موسى ﴿لَقِنْتُهُمُ عَذَابَنَا﴾».

وقال قتادة: رد الله عز وجل إلى الحوت روحه فسرب من البحر حتى أفضى إلى البحر، ثم سلك فجعل لا يسلك منه طريقاً إلا صار ماء جامداً طريقاً بيساً. وقال الكلبي: توضع يوشع بن نون من عين الحياة فانتضح على الحوت المالح فى المكتل من ذلك الماء فعاش، ثم وثب فى ذلك الماء، فجعل يضرب بذنبه الماء، ولا يضرب بذنبه شيئاً من الماء وهو ذاهب إلا يبس. ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾، يعنى ذلك الموضع ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿لَقِنْتُهُمُ عَذَابَنَا﴾: أعطنا عذابنا: طعامنا وزادنا، وذلك أن يوشع بن نون حين رأى ذلك من الحوت قام ليدرك موسى ليخبره بأمر الحوت، فنسى أن يخبره فمكثا يومهما ذلك حتى صليا الظهر من الغد، ولم ينصب موسى فى سفره ذلك إلا يومئذ حين جاوز الموضع الذى أمر به، فقال لفتاه حين ملّ وتعب<sup>(٢)</sup>: ﴿عَذَابَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾، أى شدة وتعباً، وذلك أنه ألقى على موسى الجوع بعدما جاوز الصخرة،

(١) خبر لا يصح، وهو مخالف لصريح النص القرآنى.

(٢) هناك مسألة ولقنة طيبة فى تفسير القرطبي أخذها من هذه الآية يقول فيها:

فيه مسألة واحدة وهى اتخاذ الزاد فى الأسفار، وهو رد على الصوفية الجهلة الأغمار، الذين يقتحمون المهامه والفقار زعماً منهم أن ذلك هو التوكل على الله الواحد القهار.

هذا موسى نبي الله وكليمه من أهل الأرض قد اتخذ الزاد مع معرفته بربه، وتوكله على رب العباد.

وفى صحيح البخارى: إن ناساً من أهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون، ويقولون: نحن المتوكلون، فإذا قدموا سألو الناس، فأنزل الله تعالى: ﴿وتزودوا﴾، وقد مضى هذا فى البقرة.

ليتذكر الحوت، ويرجع إلى موضع مطلبه، فقال له فتاه وتذكر: ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْتَيْنَاكَ﴾: رجعنا ﴿إِلَى الصَّخْرَةِ﴾، قال مقاتل: هي الصخرة التي دون نهر الزيت ﴿فَأَنبِئْ نَسِيتَ الْحُوتَ﴾؟ أى تركته وفقدته.

وقيل: فيه إضمار معناه: نسيت أن أذكر أمر الحوت، ثم قال: ﴿وَمَا أَنسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾، يعنى: أنسانيه ألا أذكره. وقيل: فيه تقديم وتأخير مجازه: وما أنسانيه أن أذكره إلا الشيطان<sup>(١)</sup>، ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾، يجوز أن يكون هذا من قول يوشع، يقول: اتخذ الحوت سبيله فى البحر عجبًا. وقيل: إن يوشع يقول: (إن الحوت طفر إلى البحر فاتخذ فيه مسلكًا، فعجبت من ذلك عجبًا. ويجوز أن يكون هذا من قول موسى، قال له يوشع: ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ﴾، فأجابه موسى: ﴿عَجَبًا﴾ كأنه قال: أعجب عجبًا.

وقال ابن زيد: أى شئ أعجب من حوت، كان دهرًا من الدهور يؤكل منه ثم صار حيًا حتى حشر فى البحر. قال: وكان شق حوت. وقال ابن عباس: اتخذ موسى سبيل الحوت فى البحر عجبًا. قال وهب: ظهر فى الماء من أثر جرى الحوت شق وأخدود شبه نهر من حيث دخلت إلى حيث انتهت. فرجع موسى حتى انتهى إلى مجمع البحرين، فإذا هو بالخضر (عليه السلام)، فذلك قوله: ﴿قَالَ﴾ موسى لفتاه: ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ﴾ أى نطلب<sup>(٢)</sup>، يعنى الخضر ﴿فَأَرْتَدَّا﴾: فرجعا ﴿عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾: يقصان الأثر: يتبعانه.

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا﴾ يعنى الخضر واسمه بلييا بن ملكان بن يقطن، والخضر لقب له، سمى بذلك، لما أخبرنا عبد الله بن حامد عن مكى بن عبدان أخبرنا أبو الأزهر عن عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما سُمى الخضر خضرًا؛ لأنه جلس على فروة بيضاء فاهتزت تحته خضراء».

قال عبد الرزاق: فروة بيضاء يعنى: حشيشة يابسة، وفروة: قطعة من الأرض فيها نبات. وقال مجاهد: إنما سُمى الخضر؛ لأنه إذا صُلِّيَ أخضرًا ما حوله. وروى عبد الله بن المبارك عن ابن جريج عن عثمان بن أبى سلمان قال: رأى موسى الخضر (عليه السلام) على طنفسة خضراء على وجه الماء، فسلم عليه. وقال ابن عباس عن أبى بن كعب عن النبى ﷺ قال: «انتهى موسى إلى الخضر (عليه السلام) وهو نائم عليه ثوب مسجى، فسلم عليه؛ فاستوى

(١) فى بعض التفاسير ومنها تفسير القرطبي أن هذا القول من فتى موسى عليه السلام بمثابة الاعتذار حيث لم يكلف من الأمر إلا حراسة الحوت فأهمل ذكره لموسى عليه السلام فاعتذر عن ذلك بما فعل الشيطان به.

(٢) وذلك أن إحياء الحوت هو علامة وجود الخضر أو العبد الصالح على ما أخبر الله موسى وجعل ذلك له علامة.

جالساً قال: وعليك يا نبي بنى إسرائيل. قال موسى: وما أدراك بي؟ ومن أخبرك أنى نبي بنى إسرائيل؟ قال الذى أدراك بي وذلك على».

وقال سعيد بن جبير: وصل إليه وهو يصلى، فلما سلم عليه قال: وأنى بأرضنا السلام؟! ثم جلسا يتحدثان فجاءت خطافة وحملت بمنقارها من الماء، قال الخضر: يا موسى خطر ببالك أنك أعلم أهل الأرض، ما علمك وما علم الأولين والآخرين فى جنب الله إلا أقل من الماء الذى حملته الخطافة، فذلك قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ قَالَ لَهُ: <sup>(١)</sup>: للعالم ﴿مُوسَى هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾: صواباً؟ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا؛ لأنى أعمل بباطن علم علمنيه ربى عز وجل <sup>(٢)</sup>، ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ يَا مُوسَىٰ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَيْرًا﴾، يعنى على ما لم تعلم؟ وقال ابن عباس: وذلك أنه كان رجلاً يعمل على الغيب.

﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾. قال: ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ﴾ مما تنكر ﴿حَتَّىٰ أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾: حتى أبتدئ لك بذكره، وأبين لك شأنه. ﴿فَانطَلَقَا﴾ سيران يطلبان سفينة يركبانهما ﴿حَتَّىٰ إِذَا﴾ أصابها ﴿رَكِيبًا فِي السَّفِينَةِ﴾، فقال أهل السفينة: هؤلاء لصوص، فأمر وهما بالخروج منها، فقال صاحب السفينة: ما هم بلصوص ولكنى أرى وجوه الأنبياء. وقال أبى بن كعب عن رسول الله ﷺ: «فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، فمرت بهم سفينة فكلموهم أن يحملوهم، فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول فلما دخلوا إلى البحر أخذ الخضر فأسأ فخرق لوحاً من السفينة حتى دخلها الماء فحشاها موسى ثوبه وقال له: ﴿أَخْرِقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾. وقرأ أهل الكوفة (ليغرق) بالياء المفتوحة (أهلها)

(١) فى تفسير القرطبي: العبد هو الخضر عليه السلام وبمقتضى الأحاديث الثابتة.

وخالف من أمر لا يعتد بقوله: فقال: ليس صاحب موسى بالخضر بل هو عالم آخر.

وحكى أيضاً هذا القول عن القشيري قال:

وقال قوم هو عبد صالح.

والصحيح أنه كان الخضر، بذلك ورد الخبر عن النبي ﷺ والخضر نبي عند الجمهور.

وقيل: هو عبد صالح غير نبي، والآية تشهد بنبوءته لأن بواطن أفعاله لا تكون إلا بوحى وأيضاً فإن الإنسان لا

يتعلم ولا يتبع إلا من فوقه، وليس يجوز أن يكون فوق النبي من ليس بنبي.

وقيل: كان ملكاً أمر الله موسى أن يأخذ عنه مما حمله من علم الباطن.

والأول الصحيح، والله أعلم.

(٢) قال القرطبي فى قوله: ﴿وعلمناه من لدنا علماً﴾: أى علم الغيب.

قال ابن عطية: كان علم الخضر علم معرفة ببواطن قد أوحيت إليه لا تعطى ظواهر الأحكام أفعاله بحسبها.

وكان علم موسى علم الأحكام والفتيا بظواهر أقوال الناس وأفعالهم.



برفع اللام على أن الفعل لهم، وهى قراءة ابن مسعود، ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ أى منكراً<sup>(١)</sup>.  
قال القتيبي: عجباً. والإمر فى كلام العرب الداهية، قال الراجز:

(١) قال بعض المفسرين: إن طبيعة سيدنا موسى اندفاعية انفعالية فلا يجوز أن يقال أو أن يوصف نبي من أنبياء الله تعالى بهذا الوصف وإن كان ظاهر أمره هذا ولكن يتلطف فى وصفهم، وإن من ملاحظتى أنى وجدت أن الله تعالى قد أرسل رسله من جميع طبائع عباده الصالحين فمن الصالحين من هو شديد فى الحق شدة واضحة تجعل بعض الناظرين إليه يظن به الجفاء، ومنهم هو هين لين حتى يظن الناظر إليه أنه ضعيف الإيمان أو أنه لا يعطى دينه حقه كاملاً فى حين أن الاثنين يقومان ويؤديان حق الله كاملاً غير منقوص فى نفس المسألة ولكنها طبائع وجبلات طبع وجبل الله تعالى عليها البشر ولو أخذنا بظاهر طبائع البشر نجد أن الله سبحانه قد أرسل أنبياءه من سائر تلك الطبائع الظاهرة فمثلاً:

الرقعة: هى فى غالبيتهم ظاهرة طاغية.

الدعاء والتودد والترقق: فمنهم: أواه، ومنهم أبواب أى الداعى بصوت منخفض والداعى بصوت مرتفع.

والشدة: ظاهرة فى سيدنا موسى عليه السلام.

والغضب: ظاهر فى سيدنا يونس.

والكرم: ظاهر فى سيدنا إبراهيم.

والشجاعة: ظاهرة فى سيدنا طالوت.

الحزن: ظاهر فى سيدنا يعقوب.

الاحتيال: ظاهر فى سيدنا يوسف.

التدبير: ظاهر فى سيدنا نوح.

وهكذا لو سرنا لوجدنا أن الله سبحانه أرسلهم بنفس طبائع العباد الظاهرة كى لا يحتج محتج بأن الطبع أو الجبلة التى جعلت هذا كافراً وهذا مؤمناً.

وكذلك أرسلهم من نفس مهن الناس وصنائعهم فمثلاً من الأنبياء:

الملك: سيدنا داود وسليمان.

التجار: سيدنا نوح.

الملاح: سيدنا نوح أيضاً.

الفلاح: سيدنا آدم.

الراعى: كلهم.

الطبيب: سيدنا عيسى.

القاضى: سيدنا سليمان.

الوزير: سيدنا يوسف.

التاجر: سيدنا محمد.

الطيار: سيدنا سليمان أيضاً.

القائد: سيدنا طالوت.

السائح: الخضر، وذو القرنين.

المترجم: سيدنا سليمان.

البريد: سيدنا سليمان.

الحداد: سيدنا داود.

قد لقي الأقران مني نُكراً داهية دهياء إذا إمرأ

وأصله: كل شيء شديد كثير، يقال: أمر القوم، إذا كثروا واشتد أمرهم.

قال العالم ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ قَالَ ﴿مُوسَى: ﴿لَا تَوَاخِذْ بِمَا نَسِيتُ﴾ (أخبرنا أبو عبد الله بن حامد الوراق عن حامد بن محمد قال: قال أبو سعد بن موسى المروزي ببغداد، وأخبرنا محمد بن أبي ناجية الإسكندراني عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن) عكرمة عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال: «كانت الأولى من أمر النسيان، والثانية القدر، ولو صبر موسى لقص الله علينا أكثر مما قص».

وقال أبي بن كعب: أما إنه لم ينس، ولكنه من معاريض الكلام. وقال ابن عباس: معناه بما تركت من عهدك، ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي﴾: تعجلني: وقيل: لا تغشني ﴿مِنْ أَمْرِي غُشْرًا﴾، يقول: لا تضيق عليّ أمرى وصحبتى معك.

﴿فَأَنْطَلَقًا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا﴾، قال: سعيد بن جبير: وجد الخضر غلاماً يلعبون، وأخذ غلاماً ظريفاً وضىء الوجه، فأضجعه ثم ذبحه بالسكين. وقال ابن عباس: كان لم يبلغ الحلم. وقال الضحّاك: كان غلاماً يعمل بالفساد، وتأذى منه أبواه: وكان اسمه خش بوذ. وقال شعيب الحياتي: اسمه حيشور، وقال وهب بن منبه كان اسم أبيه ملاس، واسم أمه رُحْمَى. وقال الكلبي كان فتى يقطع الطريق، ويأخذ المتاع ويلجأ إلى أبويه ويحلفان دونه، فأخذه الخضر فصرعه ثم نزع من جسده رأسه. وقال قوم: رفسه برجله فقتله. وقال آخرون: ضرب رأسه بالجدار فقتله<sup>(١)</sup>.

أخبرنا عبد الله بن حامد عن أحمد بن عبد الله عن محمد بن عبد الله بن سليمان عن يحيى ابن قيس عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «الغلام الذي قتله الخضر طبع كافراً فلماً قتله قال له موسى: ﴿أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾؟<sup>(٢)</sup>». أي طاهرة. وقيل: مسلمة. قال الكسائي: الزاكية والزكية لغتان مثل القاسية

= الكيمياء: سيدنا داود أيضاً.

وهكذا لو تتبعنا طبائع البشر العاديين ومهتهم لوجدنا أن الأنبياء جاءوا من نفس تلك الطبائع ونفس تلك المهنة حتى لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴿وكذلك من جميع ألوان البشر وألستهم ولهجاتهم فلا يجب وصف الأنبياء بوصف لا يليق وصفاً مباشراً ولكن يختار خير ألفاظ هذا الوصف.

(١) قتله كيفما قتله فلماذا هذا التكلف والتصوير المقيت للقتل، فانظر إلى أسلوب القرآن الذي لا يقزز النفس بالصور الشبعة بل يذكرها بلفظ عام يجعلها تمر مروراً عابراً حيث إن المراد من وراء تلك الحادثة أمر خير.

(٢) في المخطوط (زاكية) وأثبت ما في مصحف حفص المطبوع المتداول والشرح قائم على ما كان مرسوماً بالمخطوط.

والقسية. قال أبو عمرو: الزاكية: التي لم تذنّب قط، والزاكية: التي أذنبت ثم تابت. ﴿بَغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أى من غير أن قتلت نفسك أو جب عليها القود، ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكَرًا﴾: منكرًا؟ وقال قتادة وابن كيسان: النكر: أشد وأعظم من اللامر.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتِكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا أَي هَذِهِ الْمَرَّةُ ﴿فَلَا تَصْحَبِنِي﴾: فارقتى؛ ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ فى فراقى<sup>(١)</sup>.

عن أبى بن كعب قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذكر أحدًا فدعا له بدأ بنفسه، فقال ذات يوم: «رحمة الله علينا وعلى أخى موسى، لو لبث مع صاحبه لأبصر العجب العجاب، ولكنه قال: ﴿إِنْ سَأَلْتِكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تَصْحَبِنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾».

﴿فَأَنطَلَقَا حَتَّى إِذَا آتَيْتَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ قال ابن عباس: يعنى أنطاكية. وقال ابن سيرين: الأيلة، وهى أبعد أرض الله من السماء ﴿أَسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبْرَأَ أَنْ يَضِيفُوهَا﴾، أى ينزلوهما منزلة الأضياف؛ وذلك أنهما استطعماهم فلم يطعموهما، واستضافاهم فلم يضيفوهما. (أخبرنا عبد الله بن حامد عن أحمد بن عبد الله عن محمد بن عبد الله بن سلمان عن يحيى بن قيس عن أبى إسحاق عن) سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبى بن كعب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ﴿فَأَبْرَأَ أَنْ يَضِيفُوهَا﴾ قال: «كانوا أهل قرية لثامًا».

وقال قتادة فى هذه الآية: شر القرى التى لا تُضيف الضيف، ولا تعرف لابن السبيل حقّه. ﴿فَوَجَدَا فِيهَا﴾، أى فى القرية ﴿جِدَارًا﴾، قال وهب: كان جداراً طوله فى السماء مائة ذراع، ﴿يُرِيدُ أَنْ يَبْتَغِضَ فَأَقَامَهُ﴾ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ هذا من مجاز الكلام، لأن الجدار لا إرادة له، وإنما معناه: قرب ودنا من ذلك، كقول الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ أَلَمَسْنَاوُتُ يَنْفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ (مریم: ٩٠). قال ذو الرمة:

❖ قد كاد أو (قد) هم بالبيود ❖

(١) يحضرنى فى هذا الموقف، وموقف سيدنا موسى فى لقائه مع الخضر حيث تلتطف معه فى أول لقائه بالأسلوب القرآنى الذى ذكره حيث تظهر رقة سيدنا موسى فى هذين الموقفين ظهوراً واضحاً حيث تلتطف عند الاحتياج وأنزل العالم منزلته وتلتطف عندما أعذر منه ووجد أنه بالواقع العملى لا يستطيع الصبر على ما يرى من علوم ذلك الرجل وأفعاله حيث يأتيه فى كل موقف بتصرف غريب غامض لا يمكن أن يعقله العقل العادى. وإنى لأرجع ذلك اللطف والأدب الذى يلاقى به موسى عليه السلام الخضر فى هذين الموقفين إلى أمرين: الأمر الأول: وهو الأساس الذى جبل عليه من النبوة التى ترتقى بالنفس البشرية إلى أقصى وأرفع درجات الأدب والرقى فى التعامل وتعطى الأتمودج المثالى للتعامل الإنسانى، فهو صناعة الله تعالى على عينه. الأمر الثانى: هو النشأة التى نشأها موسى عليه السلام فهو مع كونه نبياً فهو أيضاً تربية قصور فقد تربي فى قصر فرعون أى تربي فى أعلى طبقة من طبقات المجتمع المدنى من الرقى فى التعامل.

وقال بعضهم: إنما رجع إلى صاحبه، لأن هذه الحالة إذا كانت من ربه فهو إرادته، كقول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ﴾ (الأعراف: ١٥٤) وإنما يسكت صاحبه. وقال: ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ (محمد: ٢١) وإنما يعزم أهله. قال الحارثي:

يريد الرمح صدر أبي براء      ويرغب عن دماء بنى عقيل

وقال عقيل:

إن دهرًا يلف شمل سليمي      لزمان يهّم بالإحسان

﴿أَنْ يَنْقُضَ﴾، أي يسقط وينهدم، ومنه انقضاض الكواكب، وهو سقوطها وزوالها عن أماكنها. وقرأ يحيى بن عمر: (يريد أن ينقض) أي ينقلع وينصدع، يقال: انقضت السن: انصدعت من أصلها. وقال بعض الكوفيين: الانقياض: الشق طولاً، يقال: انقاض الحائط والسن وطىء البئر، إذا انشقت طولاً. ﴿فَأَقَامَهُ﴾: سواه. قال ابن عباس: هدمه ثم قعد بينيه. وقال سعيد بن جبير: مسح الجدار ودفعه بيده، فاستقام. قال موسى: ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ﴾، وقرأ أبو عمرو: (لتخذت) وهما لعتان مثل قولك: (أتبع) و(تبع)، و(أتقى) و(تقى)، قال الشاعر:

وقد تخذت رحلى إلى جنب غرزها      نسيقاً كأفحوص القطاة المطرق

وأنشد لزجاج في قوله: (لتخذت) قول أبي شمام الصبابي:

تخذوا الحديد من الحديد معاولاً      سكانها الأرواح والأجساد

﴿عَلَيْهِ﴾، أي على إصلاحه وإقامته ﴿أَجْرًا﴾، أي جُعلاً وأجرة. وقيل: قرى وضيافة. فقال الخضر (عليه السلام): ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾<sup>(١)</sup> قرأ لاحق بن حميد: (فراق)

(١) أسقط الناسخ كلمتي: (قال هذا) من المخطوط، وبالنسبة فإن لفظة هذا هي آخر النصف الأول من القرآن في عدد الكلمات وكلمة فراق هي أول كلمة في النصف الثاني من كلمات القرآن.

وقال قوم كلمة فراق هي آخر النصف الأول، وكلمة بيني هي أول أو بداية النصف الثاني من القرآن الكريم فسيحان الله أن جعل كلمة (هذا فراق) وكأنه إشارة إلى النصف كما جعل اسم السورة هو الكهف وكأنها أقصى العمق هي التي تحمل هذا الاسم وكأنها للدلالة أيضاً، وكأنه كما كان فراق بين موسى والخضر كان فراق بين جزئي المصحف.

(٢) وللأستاذ سيد قطب في تفسيره الظلال في هذا الموقف من قصة سيدنا موسى والخضر كلام طيب حيث يقول عند قوله تعالى: ﴿لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾.

كانت هي الفاصلة، فلم يعد لموسى من عذر ولم يعد للصحبة بينه وبين الرجل مجال: ﴿قال هذا فراق بيني وبينك سأبتئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً﴾.

وإلى هنا كان موسى - ونحن الذين نتابع سياق القرآن - أمام مفاجآت لا نعلم لها سرّاً، وموقفنا منها كموقف موسى عليه السلام بل نحن لا نعرف من هو هذا الذي يتصرف تلك التصرفات العجيبة، فلم ينبئنا القرآن باسمه =

بالتنوين ، ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ ﴿١﴾ أَمَا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ ﴿٢﴾ قال كعب : كانت لعشرة إخوة : خمسة منهم زمني ، وخمسة منهم يعملون في البحر . وفي قوله : (مساكين) دليل على أن المسكين وإن كان ملكَ شيئاً فلا يزول عنه اسم المسكنة إذا كانت به حاجة إلى ما هو زيادة على ملكه ، ويجوز له أخذ الزكاة .

وأخبرنا أبو بكر عبد الرحمن بن علي الحمشادي ، عن أحمد بن الحسين بن علي الرازي قال : أبو الحسن أحمد بن زكريا المقدسي عن إبراهيم بن عبد الله الصنعاني عن إبراهيم بن الحكم عن أبيه عن عكرمة قال : قلت لابن عباس : قوله : ﴿أَمَا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾ ، كانوا مساكين والسفينة تساوي ألف دينار؟ قال : إن المسافر مسكين ولو كان معه ألف دينار (١) . ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ﴾ (٢) أي أمامهم وقدامهم كقوله تعالى : ﴿مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ﴾ (إبراهيم : ١٦) و﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ﴾ (المؤمنون : ١٠٠) أي أمامهم . قال الشاعر :

أيرجو بنو مزوان سمعي وطاعتي وقومي تميم والفلاة وراثيا

وقيل : ﴿وَرَاءَهُمْ﴾ : خلفهم ، وكان رجوعهم في طريقهم عليه ، ولم يكونوا يعلمون بخبره فأعلم الله الخضر (عليه السلام) بخبره . ﴿مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ ، أي كل سفينة صالحة ، فاكتفى بدلالة الكلام عليه ، يدل عليه ما روى سفيان عن عمرو بن دينار عن ابن عباس أنه يقرأ (وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً) . فخرقها وعييبها ، لئلا يتعرض لها ذلك الملك ، واسمه جلندي وكان كافراً . قال محمد بن إسحاق : وكان اسمه منواه بن جلندي

= تكملة للجو الغامض الذي يحيط بنا وما قيمة اسمه ، إنما يراد به أن يمثل الحكمة الإلهية العليا التي لا ترضى النتائج القريبة على المقدمات المنظورة بل تهدف إلى أغراض بعيدة لا تراها العين المحدودة ، فعدم ذكر اسمه يتفق مع الشخصية المعنوية التي يمثلها ، وإن القوى الغيبية لتتحكم في القصة منذ نشأتها ، فها هو ذا موسى يريد أن يلقي هذا الرجل الموعود فيمضي في طريقه ، ولكن فتاه ينسى غداءهما عند الصخرة وكأنما نسيه ليعودا ، فيجد هذا الرجل هناك وكان لقاؤه يفوتهما لو سارا في وجهتهما ولو لم تردهما الأقدار إلى الصخرة كرة أخرى كل الجو غامض ، كذلك اسم الرجل الغامض المجهول في سياق القرآن ، ثم يأخذ السر في التجلي ، ﴿أَمَا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ . . .﴾ .

(١) في تفسير القرطبي تفسير على وجه آخر قراءة أخرى فقال :

قرأت فرقة : لِمَسَاكِينٍ ، بتشديد السين واختلف في ذلك :

فقيل : هم ملاحو السفينة ، وذلك أن المساك هو الذي يمسك رجل السفينة وكل الخدمة تصلح لإمساكه فسمى الجميع مساكين .

وقالت فرقة : أراد بالمساكين ، دبغة المسوك وهي الجلود واحداها مسك .

والأظهر قراءة : مساكين بالتخفيف جمع مسكين ، وأن معناها السفينة لقوم ضعفاء ينبغي أن يشفق عليهم ، والله أعلم .

(٢) لم يذكر الناسخ الآية في المخطوط وذكر الشرح من أول هنا أي من أول : وقيل : ﴿وراءهم﴾ .

الأردنى . وقال شعيب الجبائى اسمه هدد بن بدد .

﴿وَأَمَّا الْعُلَمَاءُ فَكَانَ آبَاؤُهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِيئًا﴾ ، أى فعلمنا . وفى مصحف أبى : (فخاف ربك) أى علم ، ونظائره كثيرة . وقال قطرب : معناه فكرهنا ، كما تقول : فرقت بين الرجلين خشية أن يقتتلا ، وليست فيك خشية ولكن كراهة أن يقتتلا . ﴿أَنْ يَرَهُمَا﴾ ، أى يهلكهما . وقيل : يغشاهما . وقال الكلبي : يكلفهما ﴿طُفَيْنًا وَكُفْرًا﴾ ، قال سعيد بن جبير : خشينا أن يحملهما حبه على أن يدخلهما معه فى دينه<sup>(١)</sup> .

﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِمَّا زَكَّوْهُ﴾ : صلاحًا وإسلامًا ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ هو من الرحم والقرباة . وقيل : هو من الرحمة ، يقال : رحم ورحم للرحمة ، مثل هلك وهلك ، وعمر وعمر ، قال العجاج :

❖ ولم تعوجَّ رحمٌ من تعوجِّجاً ❖

قال ابن عباس : ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ يعنى : وأوصل للرحم وأبرّ بالديه . قال قتادة : أقرب خيراً ، وقال ابن جريج : يعنى أرحم به منهما بالمقتول . وقال الفراء : وأقرب أن يرحما له . قال الكلبي : أبدلهما الله جارية ، فتزوجها نبي من الأنبياء ، فولدت له نبياً فهدى الله عز وجل على يديه أمة من الأمم . وأخبرنا عبد الله بن حامد عن حامد بن أحمد قال : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يحيى بن الحارث القاضى عن عبد الوهاب بن فليح عن ميمون بن عبد الله القداح عن جعفر بن محمد عن أبيه فى هذه الآية قال : «أبدلهما جارية فولدت سبعين نبياً» .

وقال ابن جريج : أبدلهما بغلام مسلم وكان المقتول كافراً وكذلك هو فى حرف أبى : (فأما الغلام فكان كافراً ، وكان أبواه مؤمنين) . وقال قتادة : قد فرح به أبواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل ، ولو بقى كان فيه هلاكهما ، فليرض امرؤ بقضاء الله ؛ فإن قضاء الله للمؤمن فيما

(١) يقول الأستاذ سيد قطب فى تعليقه على هذه الآية :

فهذا الغلام الذى لا يبدو فى حاضره ومظهره أنه يستحق القتل قد كفر ستر الغيب عن حقيقته للعبد الصالح ، فإذا هو فى طبيعته كافر طاغ تكمن فى نفسه بذور الكفر والطغيان وتزيد على الزمن بروزاً وتحققاً ، فلو عاش لأرهق والديه المؤمنين بكفره وطغيانه . . . ولو كان الأمر موكلاً إلى العلم البشرى الظاهر لما كان له إلا الظاهر من أمر الغلام ، ولما كان له عليه من سلطان وهو لم يرتكب بعد ما يستحق عليه القتل شرعاً . وليس لغير الله ولن يطلع من عباده على شىء من غيبه أن يحكم على الطبيعة المغيبة على فرد من الناس ، ولا أن يرتب على هذا العلم حكماً غير حكم الظاهر الذى تأخذ به الشريعة .

ولكنه أمر الله القائم على علمه بالغيب البعيد .

قلت : ولا يلتفت لهوس جهلاء الصوفية الذين يزعمون أن شيوخهم يعرفون بواطن الأمور ويدعون أن عندهم علم الحقيقة ، أما أهل العلم الشرعى فعندهم علم الظاهر فقط ، وهم لهم علم الباطن متعللين بأن الخضر أوتى =

يكره خير له من قضائه فيما يجب<sup>(١)</sup>.

﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِلْعِلْمَيْنِ يُتَمِّمِينَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ واسمهما أصرم وصريم ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزًا لَهُمَا﴾  
لو سقط الجدار لتلف الكنز<sup>(٢)</sup>، واختلفوا في ذلك الكنز ما هو، فقال بعضهم: صحف فيها علم مدفونة تحته، وهو قول سعيد بن جبيرة. وقال ابن عباس: ما كان الكنز إلا علمًا، وقال الحسن وجعفر بن محمد: «كان لوحًا من ذهب مكتوبًا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم. عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن، وعجبت لمن يوقن بالرزق كيف يتعب، وعجبت لمن يوقن بالموت كيف يفرح، وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل، وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها. لا إله إلا الله، محمد رسول الله»<sup>(٣)</sup>.

وقد روى عن النبي ﷺ هذا القول مرفوعًا في بعض الروايات أنه كان مكتوبًا في ذلك اللوح تحت ما ذكر هذه الآيات: «يا أيها المهتم همًا لا تهمة، إنك إن تدركك الحمى تمم (. . .) علوت شاهقًا من العلم كيف تويقك وقد جفّ القلم؟!».

وقال عكرمة كان ذلك الكنز مالا. أخبرنا أبو بكر الحمشادي: حدثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن قيدوس الطرائقي عن عثمان بن سعيد عن صفوان بن صالح الثقفي عن الوليد بن مسلم عن يزيد بن يوسف الصنعاني عن يزيد بن أبي يزيد عن مكحول عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ في قوله: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزًا لَهُمَا﴾، قال: «كان ذهبًا وفضة».

﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾، واسمه كاشح، وكان من الأتقياء؟. ذكر أنهما حفظا بصلاح أبيهما ولم يذكر منهما صلاح، وكان بينهما وبين الأب الذي حفظ به سبعة آباء<sup>(٤)</sup>، وكان سيّاحًا.

= علمًا لدنياً وأن موسى عليه السلام أوتى علمًا شرعيًا مفضلين علم الباطن الذي أعطاه الله للخضر على العلم الظاهر الذي أعطاه الله تعالى لموسى عليه السلام، ولو سلمنا بقولهم لفسدت الأرض ولاضطربت الحياة بزعم كل إنسان أنه إنما تصرف على وحى أوحى إليه به بأن هذا الأمر هكذا هدانا الله وإياهم لما فيه الخير آمين.

(١) يريد أن قضاء الله فيما هو ظاهره مكروه وغير محبب لنفس المؤمن إنما هو خير من قضائه بما هو محبب ومفرح بالنسبة للمؤمن والآية في ذلك واضحة وصریحة: ﴿وَعَسَى أَنْ تَحْبُوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

(٢) يظن كثير من الناس أن الكنز على العموم حرام وليس هذا صوابًا على إطلاقه إنما الكنز هو المال المدخر الذي لا يتغنى به وجه الله ولا يخرج منه حقه من زكاة وصدقة ونحو هذا أما ما عدا ذلك فلا بأس به بدليل هذه الآية التي نحن بصددنا وحفظ الله تعالى للكنز حيث قصد صاحبه به طاعته ويدل قوله سبحانه: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ أى مالا فسمى المال الذي يتركه المتوفى خيرًا.

(٣) القول بأن الكنز علم لا يجوز لأنه لا يجوز دفن العلم، والقول بأنه لوح مكتوب فيه هذه العبارات لا يصح لأنه كان قبل بعث محمد ﷺ.

(٤) ليس على ذلك دليل فأيًا ما كان الأب الذي وضع الكنز هو الأول أو السابع فلا يغير ذلك من الأمر شيئًا.

وأخبرنا عبد الله بن حامد بن محمد عن بشر بن موسى عن الحميدى عن سفيان عن محمد بن سوقة عن محمد بن المنكدر قال: إن الله عز وجل ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده، وعشيرته التي هو فيها، والدويرات حوله، فما يزالون في حفظ الله وستره.

وعن سعيد بن المسيّب أنه كان إذا رأى ابنه قال: أى بنى لأزيدن صلاتى من أجلك، رجاء أن أحفظ فيك. ويتلو هذه الآية. (وأخبرنا عبد الله بن حامد عن الحسين بن محمد بن الحسين البلخى عن أحمد بن الليث بن الخليل عن عمر بن محمد قال: حدثنى محمد بن الهيثم بن عبد الله الضبيعى عن) العباس بن محمد بن عبد الرحمن: حدثنى أبى عن يحيى بن إسماعيل ابن مسلمة بن كهيل قال: كانت لى أخت أسن منى فاختلطت وذهب عقلها، وتوحشت، وكانت فى غرفة فى أقصى سطوحها، فمكثت بذلك بضع عشرة سنة، وكانت مع ذهاب عقلها تحرص على الصلاة والطهور. فبينما أنا نائم ذات ليلة إذ باب بيتى يُدق فى نصف الليل، فقلت: من هذا؟ قالت: بحّة. قلت: أختى قالت: أختك. فقلت: لبيك. وقمت ففتحت الباب، فدخلت ولا عهد لها بالبيت منذ أكثر من عشر سنين، فقلت لها: يا أخته خيراً؟ قالت: خير، أتيت الليلة فى منامى، فقيل: السلام عليك يا بحّة، فقلت: وعليك السلام، فقيل: إن الله قد حفظ أباك إسماعيل بن سلمة بن كهيل بسلمة جدك، وحفظك بأبيك إسماعيل، فإن شئت دعوت الله لك فأذهب ما بك، وإن شئت صبرت ولك الجنة، فإن أبا بكر وعمر قد تشفعا لك إلى الله عز وجل بحب أبيك وجدك إياهما. فقلت: إن كان لا بدّ من اختيار أحدهما، فالصبر على ما أنا فيه والجنة، فإن الله عز وجل لواسع لخلقه لا يتعاضمه شىء، إن يشأ يجمعهما لى فعل. قالت: فقيل لى: قد جمعهما الله عز وجل لك ورضى عن أبيك وجدك بحبهما أبا بكر وعمر، قومى فانزلى. قال: فأذهب الله ما بها<sup>(١)</sup>.

﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ يا موسى ﴿أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾، أى يدركا شدتهما وقوتهما. وقيل: ثمانى عشرة سنة<sup>(٢)</sup>، ﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا﴾ المكنوز تحت الجدار.

(١) هذه حكاية من حكايات الصوفية التي فى كل الأحوال يبنى على أسماء صحيحة وأعلام مشهورة حتى تصير محبوبكة على السذج والبسطاء من الناس ويتداولونها فيما بينهم جازمين بحدوثها. نعم إن الله على كل شىء قدير وأن الله لا يسأل عما يفعل لكن هذا الدين جعل الله تعالى له منبعين لا يصلح الأخذ عن غيرهما ولا يقبل عمل أو اعتقاد جاء عن غير هذين الطريقين وهما معلومان ألا وهما الكتاب والسنة الصحيحة.

(٢) قال ابن كثير فى تفسير هذه: ههنا أسند الإرادة إلى الله تعالى لأن بلوغهما الحُلم لا يقدر عليه إلا الله وقال فى الغلام: ﴿فَأَرَادَ أَنْ يبدلها ربهما خير منه زكاة﴾. وقال فى السفينة: ﴿فَأَرَدَتْ أَنْ أعيبها﴾ فالله أعلم.



﴿وَمَا نَعْلَمُهُ عَنْ أَمْرِي﴾<sup>(١)</sup> برأى ومن تلقاء نفسى ، بل فعلت عن أمر الله عز وجل<sup>(٢)</sup> .  
 ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ و(اسطاع) و(استطاع) بمعنى واحد .



﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿١﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ  
 وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٢﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي  
 عَيْنِ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَنْدَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْ تُعَذَّبَ وَإِنَّمَا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٤﴾  
 قَالَ أَمَا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نَكْرًا ﴿٥﴾ وَأَمَا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ  
 صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٦﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ  
 الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا ﴿٨﴾ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ  
 خُبْرًا ﴿٩﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿١٠﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ  
 قَوْلًا ﴿١١﴾ قَالُوا يَنْدَا الْقُرْنَيْنِ إِن يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا

(١) قال القرطبي فى تفسيره فى الكلام على هذه الآية :

كيف أضاف الخضر قصة استخراج كنز الغلامين لله تعالى ، وقال فى قصة خرق السفينة : ﴿فأردت أن أعيها﴾  
 فأضاف العيب إلى نفسه ؟ قيل : إنما أسند الإرادة فى الجدار إلى الله تعالى لأنها فى أمر مستأنف فى زمن طويل  
 غيب من الغيوب فحسن إفراد هذا الموضوع بذكر الله تعالى . وإن كان الخضر قد أراد ذلك فالذى أعلمه الله تعالى  
 أن يريده .

وقيل : لما كان ذلك خيراً كله أضافه إلى الله تعالى ، وأضاف عيب السفينة إلى نفسه رعاية للأدب لأنها لفظه عيب  
 فتأدب بأن لم يسند الإرادة فيها إلا إلى نفسه ، كما تأدب إبراهيم عليه السلام فى قوله : ﴿وإذا مرضت فهو  
 يشفينى﴾ ، فأسند الفعل قبل وبعد إلى الله ، وأسند إلى نفسه المرض ، إذ هو معنى نقص ومصيبة فلا يضاف إليه  
 سبحانه وتعالى من الألفاظ إلا ما يستحسن منها دون ما يستقبح ، وهذا كما قال تعالى : ﴿بيدك الخير﴾ واقتصر  
 عليه ، فلم ينسب الشر إليه ، وإن كان بيده الخير والشر ، والضر والنفع إذ هو على كل شىء قدير ، وهو بكل شىء  
 خبير ، ولا اعتراض بما حكاه عليه السلام عن ربه عز وجل بأنه يقول يوم القيامة : يا ابن آدم مرضت فلم  
 تعدنى . . . الخير . فإن ذلك تنزل فى الخطاب وتلطف فى العتاب مقتضاه التعريف بفضل ذى الجلال وبمقادير  
 ثواب هذه الأعمال . . . والله تعالى أن يطلق على نفسه ما يشاء ولا نطلق نحن إلا ما أذن لنا فيه من الأوصاف  
 الجميلة والأفعال الشريفة ، جل وتعالى عن النقائص والآفات علواً كبيراً .

وقال فى الغلام : ﴿فأردنا﴾ فكأنه أضاف القتل إلى نفسه ، والتبديل إلى الله تعالى .

والأشد كمال الخلق والعقل .

(٢) وإلى هنا يسدل الستار عن تلك المشاهد الثلاثة أو الدروس الثلاثة التى شاهدها موسى عليه السلام من العبد  
 الصالح بعد أن كان قد بلغ منه العجب مبلغاً ، وعُلم ما لم يعلم .

عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۗ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۗ ءآتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءآتُونِي أَفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ۗ فَمَا اسْطَعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا ۗ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ۗ ﴿١٠﴾

﴿وَسَأَلُونَكَ عَن ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنه ذِكْرًا﴾ ، اختلفوا في نبوته فقال بعضهم : كان نبياً . وقال الآخرون : كان ملكاً عادلاً صالحاً . روى وكيع عن العلاء بن عبد الكريم قال : سمعت مجاهدًا يقول : ملك الأرض أربعة : مؤمنان ، وكافران . فأما المؤمنان فسلیمان وذو القرنين ، وأما الكافران فنمرود وبختنصر . وسيملكها من هذه الأمة خامس وهو المهدي (١) .

واختلفوا في سبب تسميته بذى القرنين ، فقال بعضهم : سُمي بذلك ، لأنه ملك الروم وفارس . وقيل : لأنه كان في رأسه شبه القرنين . وقيل : لأنه رأى في منامه كأنه أخذ بقرنى الشمس فكان تأويل رؤياه أنه طاف الشرق والغرب . وقيل : لأنه دعا قومه إلى التوحيد فضربوه على قرنيه الأيمن ثم دعاهم إلى التوحيد فضربوه على قرنيه الأيسر . وقيل : لأنه كان له ذؤابتان حسناوان ، والذؤابة تسمى قرناً . وقيل : لأنه كريم الطرفين من أهل بيت شرف من قبل أبيه وأمه وقيل : لأنه انقرض في وقته قرنان من الناس ، وهو حى . وقيل : لأنه إذا كان حارب قاتل بيده وركابه جميعاً . وقيل : لأنه أعطى علم الظاهر والباطن . وقيل : لأنه دخل النور والظلمة (٢) .

(١) اختلف العلماء قديماً وحديثاً في أمر المهدي فالمسلم به لدى الجميع أن بداية ظهور مسألة المهدي تبدأ من بعد الفتنة التي كانت بين سيدنا على وسيدنا معاوية ثم تأخذ الأحاديث منذ تلك الفترة اتجاهات سياسية ويحتاج الحديث عن مثل هذا الأمر بحثاً مطولاً بين من قالوا : لا مهدي إلا عيسى ، ومن قالوا بظهور المهدي أيام عيسى عليه السلام واسمه يوافق اسم النبي ﷺ وحلقه وخلقه كذلك وبين من ينكر ذلك تماماً ويعتبر المهدي أسطورة اختلفها الشيعة من أولها إلى آخرها وألف هؤلاء في ظهور المهدي الكتب الكثيرة ، وألف الآخرون الكتب الكثيرة أيضاً في أن المهدي خرافة .

وكذلك أنكر قوم نزول عيسى عليه السلام مرة أخرى معتمدين على أن الله إنما أرسل محمداً ﷺ خاتم الرسل وقد أتم به الدين فما الداعي لنزول عيسى عليه السلام إذ لن يأتي بدين جديد ، وأن وفاة عيسى عليه السلام في القرآن وفاة الناس ورفعه إنما هو رفع درجة ومكانة لا رفع مكان وإتما قد أدى رسالته على الوجه الأكمل والمطلوب منه كما أدى محمد ﷺ رسالته ، وأقام الله الحجة برسله على الناس وتركوا بعدهم الكتب التي جاء القرآن مصدقاً لها ، ومهيماً عليها لما أصابها من التحريف مما يفيد بعدم الحاجة إلى عيسى عليه السلام ولا ظهور مهدي . والله أعلم .

(٢) قال الأستاذ سيد قطب في ظلاله في إجمالى بداية قصة ذى القرنين بعد أن أعرض عن ذكر أسباب النزول المروية =

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾ أوطأنا له فى الأرض فملكها وهديناه طرقها، ﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه الخلق. وقيل: من كل شىء يستعين به الملوك على فتح المدن ومحاربة الأعداء ﴿سَيِّئًا﴾ علمًا يتسبب به إليه. وقال الحسن: بلاغًا إلى حيث أراد. وقيل: قربنا إليه أقطار الأرض، كما سخرنا الريح لسليمان (عليه السلام).

﴿فَاتَّبَعْ﴾: سلك وسار. وقرأ أهل الكوفة: (فاتبع)، (ثم اتبع) بقطع الألف وجزم الثانى: لحق، ﴿سَيِّئًا﴾: قال ابن عباس: منزلاً، وقال مجاهد: طريقاً بين المشرق والمغرب، نظير قوله تعالى: ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ (غافر: ٣٦، ٣٧) يعنى الطرق.

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ قرأ العبادة: عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو وعبد الله بن الزبير، والحسن، وأبو جعفر، وابن عامر وأيوب، وأهل الكوفة: (حامية) بالألف، أى حارة. ويدل عليه ما روى إبراهيم التيمى عن أبيه عن أبى ذر قال: كنت ردف النبى ﷺ فقال: «يا أبا ذر أين تغرب هذه؟». قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنها تغرب فى عين حامية».

وقال عبد الله بن عمرو: نظر رسول الله ﷺ إلى الشمس حين غابت فقال: «فى نار الله الحامية، فى نار الله الحامية فلولا ما يزعمها من أمر الله عز وجل لأحرقت ما على الأرض». وقرأ الباقون: ﴿حَمِئَةٍ﴾ مهموزة بغير ألف، يعنى: ذات حمأة، وهى الطينة السوداء، ويجمع بين القراءتين كانت حارة وذات حمأة<sup>(١)</sup>. يدل عليه ما روى سعد بن أوس عن مصرع

= فى ذلك، فقال عن قوله: ﴿ويسألونك عن ذى القرنين﴾: ومن هذا النص نعلم أنه كان هناك سؤال عن ذى القرنين لا ندرى على وجه التحقيق من سأله، والمعرفة به لا تزيد شيئاً فى دلالة القصة فلنواجه النص بلا زيادة. إن النص لا يذكر شيئاً عن ذى القرنين، ولا عن زمانه أو مكانه، وهذه هى السمة المطردة فى قصص القرآن، فالتسجيل التاريخى ليس هو المقصود، وإنما المقصود هو العبرة المستفادة من القصة، والعبرة تتحقق بدون حاجة إلى تحديد الزمان والمكان فى أغلب الأحيان.

والتاريخ المدون يعرف ملكاً اسمه الإسكندر ذو القرنين، ومن المقطوع به أنه ليس ذا القرنين المذكور فى القرآن، فالإسكندر الإغريقى كان وثنيًا، وهذا الذى يتحدث عنه القرآن مؤمن موحد بالله معتقد بالبعث والآخرة.

(١) فى تفسير القرطبى قول جيد جداً فى هذه الآية وهو الموافق للعقل والعلم المدنى الملموس أو المشاهد المعروف المتيقن منه وهو قول القفال حيث يقول القرطبى: وقال القفال: قال بعض العلماء: ليس المراد أنه انتهى إلى الشمس مغرباً ومشرقاً حتى وصل إلى جرمها ومسها لأنها تدور مع السماء حول الأرض من غير أن تلتصق بالأرض، وهى أعظم من أن تدخل فى عين من عيون الأرض، بل هى أكبر من الأرض أضعافاً مضاعفة، بل المراد أنه انتهى إلى آخر القارة من جهة المغرب ومن جهة المشرق، فوجدها فى رأى العين: ﴿تغرب فى عين حمئة﴾ كما نشاهدها فى الأرض المساء كأنها تدخل فى الأرض، ولهذا قال: ﴿وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً﴾ ولم يرد أنها تطلع عليهم بأن تماسهم وتلاصقهم، بل أراد أنهم أول من تطلع عليهم. وبهذا المعنى يقول الأستاذ سيد قطب فى ظلاله: ومغرب الشمس هو المكان الذى يرى الرائي أن الشمس تغرب =

ابن يحيى عن ابن عباس قال: أقرأنيها أباي بن كعب كما أقرأه رسول الله ﷺ: ﴿تَغْرُبُ فِي عَيْنِ حَمِيَّةٍ﴾ وقال كعب: أجدها في التوراة: (في عين سوداء)، فوافق ابن عباس. قال أبو أسامة عن عمرو بن ميمون قال: سمعت أبا حاضر أو ابن حاضر - رجل من الأزديين - يقول: سمعت ابن عباس يقول: إني لجالس عند معاوية إذ قرأ هذه الآية: (وجدتها تغرب في عين حامية) فقلت: ما نقرؤها إلا ﴿حَمِيَّةً﴾. فقال معاوية لعبد الله بن عمر: وكيف تقرؤها؟ قال: كما قرأتها يا أمير المؤمنين. قال ابن عباس: فقلت: في بيتي نزل القرآن. فأرسل معاوية إلى كعب، فجاءه فقال: أين تجد الشمس تغرب في التوراة يا كعب؟ قال: أما العربية فأنتم أعلم بها، وأما الشمس فإني أجدها في التوراة تغرب في ماء وطين. قال: فقلت لابن عباس: لو كنت عندكما لأنشدت كلاماً تزداد به نصرة في قولك: ﴿حَمِيَّةً﴾. قال ابن عباس: فإذا ما هو؟ فقلت: قول تبع:

قد كان ذو القرنين قبلي مسلماً	ملكاً تدين له الملوك وتسجد
بلغ المشارق والمغارب يبتغي	أسباب أمر من حلیم يرشد <sup>(١)</sup>
فرأى مغار <sup>(٢)</sup> الشمس عند غروبها	في عين ذي خُلب وثأط حرمَد

قال: فقال ابن عباس: ما الخلب؟ قلت: الطين بكلامهم. قال: فما الثأط؟ قلت: الحمأة. قال: وما الحرمد؟ قلت: الأسود. قال: فدعا رجلاً أو غلاماً، فقال: اكتب ما يقول هذا. وقال أبو العالية: بلغني أن الشمس في عين، تقذفها العين إلى المشرق<sup>(٣)</sup>.

= عنده وراء الأفق، وهو يختلف بالنسبة للمواضع، فبعض المواضع يرى الرائي فيها أن الشمس تغرب خلف جبل، وفي بعض المواضع يرى أنها تغرب في الماء كما في المحيطات الواسعة والبحار، وفي بعض المواضع يرى أنها تغرب في الرمال إذا كان في صحراء مكشوفة على مد البصر. والظاهر من النص أن ذا القرنين غرب حتى وصل إلى نقطة على شاطئ المحيط الأطلسي، وكان يسمى بحر الظلمات، ويظن أن اليابسة تنتهي عنده فرأى الشمس تغرب فيه. والأرجح أنه كان عند مصب أحد الأنهار حيث تكثر الأعشاب ويتجمع حولها طين لزج هو الحمأ وتوجد البرك وكأنها عيون الماء.

فرأى الشمس تغرب هناك و﴿وجدتها تغرب في عين حمئة﴾. ولكن يتعذر علينا تحديد المكان لأن النص لا يحدده وليس لنا مصدر آخر - أي غير القرآن الكريم - موثوق به نعتمد عليه في تحديده.

وكل قول غير هذا ليس مأموناً لأنه لا يستند إلى مصدر صحيح.

(١) في القرطبي: مرشد.

(٢) في القرطبي: مغيب.

(٣) طبعاً هذا قول لا يحتاج إلى تدليل على عدم صحته عقلاً ولا نقلاً ويقول به تلميذ في المراحل الأولى من التعليم.

﴿وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا﴾ ، يعنى ناسًا ﴿فَلَمَّا يَسُدَّ الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ نَعْدِبَ﴾ : إما أن تقتلهم إن لم يدخلوا فى الإسلام<sup>(١)</sup> ﴿وَأَمَّا أَنْ تَنخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ ، أى تعفو وتصفح . وقيل : تأسرهم فتعلمهم وتبصرهم الرشاد .

﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ ، أى كفر ﴿فَسَوْفَ نَعْدِبُكَ﴾ : نقتله ﴿ثُمَّ رَدُّ إِلَىٰ رَبِّي﴾ فى الآخرة ﴿فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا﴾ : منكرًا . ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ ، قرأ أهل الكوفة ﴿جَزَاءً﴾ نصبًا منونًا على معنى : فله الحسنى جزاء نصب على المصدر ، وقرأ الباقون بالرفع على الإضافة . ولها وجهان : أحدهما أن يكون المراد بالحسنى : الأعمال الصالحة ، والوجه الثانى أن يكون معنى الحسنى : الجنة ، فأضيف الجزاء إليهما كما قال : ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ (يوسف : ١٠٩) والدار هى الآخرة : ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ (البينة : ٥)<sup>(٢)</sup> .

﴿وَسَتَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُتْرَا﴾ أى نلين له القول ، ونهون له الأمر . وقال مجاهد : ﴿يُتْرَا﴾ أى معروفاً .

﴿ثُمَّ اتَّبَعَ سِبْيَا﴾ ، أى سلك طريقًا ومنازل ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطَّلَعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّنْ ذُوْنهَا سِتْرًا﴾ ، قال قتادة : لم يكن بينهم وبين الشمس ستر ؛ وذلك أنهم كانوا فى مكان لا يستقر عليهم بناء ، وأنهم كانوا فى شرب لهم ، حتى إذا زالت الشمس عنهم ، خرجوا إلى معاشهم وحروثهم . وقال الحسن : كانت أرضهم أرضًا لا تحتل البناء ، وكانوا إذا طلعت عليهم الشمس تهوؤوا فى الماء ، فإذا ارتفعت عليهم خرجوا فتراعوا كما تراعى البهائم . وقال ابن جريج : جاءهم جيش مرة فقال لهم أهلها : لا تطلع عليكم الشمس وأنتم بها ، فقالوا : ما نبرح حتى تطلع الشمس . وقالوا : ما هذه العظام ؟ قالوا : هذه جيف جيش طلعت عليهم

(١) قال الأستاذ سيد قطب فى الظلال عند قوله : ﴿فلنا يا ذا القرنين﴾ كيف قال الله هذا القول لذي القرنين ؟ أكان ذلك وحياً إليه ، أم حكاية حال إذ سلطه الله على القوم ، وترك له التصرف فى أمرهم ، فكأنما قيل له : دونك وإياهم ، فإما أن تعذب ، وإما أن تنخذ فيهم حسناً ، كلا القولين ممكن ، ولا مانع من فهم النص على هذا الوجه أو ذلك . المهم أن ذا القرنين أعلن دستوره فى معاملة البلاد المفتوحة التى دان له أهلها وسلطه الله عليها : ﴿قال أما من ظلم﴾ الآية .

(٢) ثم يضيف صاحب الظلال فيقول : وهذا هو دستور الحكم الصالح ، فالمؤمن الصالح ينبغي أن يجد الكرامة والتيسير والجزاء الحسن عند الحاكم .

والمعتدى الظالم يجب أن يلقى العذاب والإيذاء وحين يجد المحسن فى الجماعة جزاء إحسانه جزاء حسناً ومكاناً كريماً وعتناً وتيسيراً ، ويجد المعتدى جزاء إفساده عقوبة وإهانة وجفوة عندئذ يجد الناس ما يحفزهم إلى الصلاح والإنتاج ، أما حين يضطرب ميزان الحكم فإذا المعتدون المفسدون مقربون إلى الحاكم مقدمون فى الدولة ، وإذا العاملون الصالحون منبوذون أو محاربون ، فعندئذ تتحول السلطة فى يد الحاكم سوط عذاب وأداة إفساد ، ويصير نظام الجماعة إلى الفوضى والفساد .

الشمس ها هنا فماتوا . قال : فذهبوا هاربين فى الأرض . قال قتادة : ويقال : إنهم الزنج . وقال الكلبي : هم تاريس وتاويل ومنسك عراة حفاة عماءة عن الحق ، قال : وحدثنا عمرو بن مالك ابن أمية قال : وجدت رجلاً بسمرقند يحدث الناس وهم مجتمعون حوله ، فسألت بعض من سمع حديثه فأخبرنى أنه حدثهم عن القوم الذين تطلع عليهم الشمس قال : خرجت حتى جاوزت الصين ثم سألت عنهم فقيل لى : إن بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة . فاستأجرت رجلاً فسرت بقية عشيتى وليلتى حتى صبحتهم ، فإذا أحدهم يفرش أذنه ويلبس الأخرى قال : وكان صاحبى يحسن لسانهم فسألهم وقال : جئنا ننظر كيف تطلع الشمس . قال : فينا نحن كذلك إذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشى على فوقعت فأفقت ، وهم يمسخوننى بالدهن ، فلما طلعت الشمس على الماء إذهى على الماء كهيئة الزيت وإذ طرف السماء كهيئة الفسطاط ، فلما ارتفعت أدخلونى سربالهم أنا وصاحبى ، فلما ارتفع النهار خرجوا إلى البحر فجعلوا يصطادون السمك فيطرحونه فى الشمس فينضج .

قوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ ﴾ أى كذلك علمناهم <sup>(١)</sup> ، واختلفوا فيه ، فقال بعضهم : يعنى كما بلغ مغرب الشمس فكذلك بلغ مطلعها . وقيل : أتبع سبباً كما أتبع سبباً . وقيل : كما وجد القبيل عند مغرب الشمس وحكم فيهم ، كذلك وجد عند مطلع الشمس فحكم فيهم بحكم أولئك . وقيل : إن الله عز وجل لما قص عليه خبره قال : ﴿ كَذَلِكَ ﴾ أى كذلك أمرهم والخبر عنهم كما قصصنا عليك <sup>(٢)</sup> ، ثم استأنف وقال : ﴿ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ ﴾ ، يعنى عنده ومعه من الملك والجيش والآلات ﴿ خَيْرًا ﴾ : علماً .

﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ ﴿ بفتح السين ، ابن كثير وأبو عمرو وعاصم . الباقون بالضم . قال الكسائى : هما لغتان ، وهما جبلان سدّ ذو القرنين ما بينهما حاجزاً بين يأجوج ومأجوج ومن وراءهم .

قال عكرمة : ما كان صنعة بنى آدم فهو سدّ . بفتح السين . وما كان من صنع الله عز وجل فهو السد ، بالضم .

(١) هذه الحكاية لا يمكن أن يصدقها عاقل بل هى من الإسرائيليات التى احتشدت بها كتب التفسير التى لا يكاد يخلو منها كتاب واحد .

(٢) هنا يقول الأستاذ سيد قطب فى الظلال : وتقف هنا وقفة قصيرة أمام ظاهرة التناسق الفنى فى العرض . فإن المشهد الذى يعرضه السياق هو مشهد مكشوف فى الطبيعة : الشمس ساطعة لا يسترها عن القوم ساتر ، وكذلك ضمير ذى القرنين ونوابه كلها مكشوفة لعلم الله ، وكذلك يتناسق المشهد فى الطبيعة وفى ضمير ذى القرنين على طريقة التنسيق القرآنية الدقيقة .

قال ابن عباس : السدان أرمينية وأذربيجان<sup>(١)</sup> .

﴿ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴾ قرأ الأعمش ويحيى بن وثاب وحمزة والكسائي (يفقهون) بضم الياء ، وكسر القاف على معنى (يفهمون) غيرهم ، وقرأ الباقون : ﴿ يَفْقَهُونَ ﴾ بفتح الياء والقاف ، أى ويعلمون ويفقهون قولاً .

﴿ قَالُوا لَيْدًا الْقَرْنَيْنِ ﴾ قيل : كلمه عنهم قوم آخرون مترجمة ، وبيان ذلك فى قراءة ابن مسعود : ( لا يكادون يفقهون قولاً ، قال الذين من دونهم يا ذا القرنين ) . وقيل : معناه : لا يكادون يفقهون خيراً من شر ، ولا ضلالاً من هدى ، ﴿ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ﴾ قرأهما عاصم وعيسى بن عمر<sup>(٢)</sup> والأعرج مهموزين ، الباقون بغير همزة . وهما لغتان . قالوا : وأصله من

(١) يقول الأستاذ سيد قطب فى الظلال ، عن موضع السد :

ونحن لا نستطيع أن نجزم بشئ عن المكان الذى بلغ إليه ذو القرنين بين السدين ولا ما هما هذان السدان ؟ كل ما يؤخذ من النص أنه وصل إلى منطقة بين حاجزين طبيعيين أو بين سدين صناعيين تفصلهما فجوة أو عمر فوجد هنالك قوماً متخلفين : ﴿ لا يكادون يفقهون قولاً ﴾ وعندما وجدوه فاتحاً قوياً وتوسموا فيه القدرة والصلاح عرضوا عليه أن يقيم سداً فى وجه يأجوج ومأجوج الذين يهاجمونهم من وراء الحاجزين ، ويعيرون عليهم من ذلك المرفيعيئون فى أرضهم فساداً ، ولا يقدرّون هم على دفعهم وصدّهم ، وذلك فى مقابل خراج من المال يجمعونه له من بينهم وتبعاً للمنهج الصالح الذى أعلنه ذلك الحاكم الصالح من مقاومة الفساد فى الأرض فقد رد عليهم عرضهم الذى عرضوه من المال وتطوع بإقامة السد ، ورأى أن أيسر طريقة لإقامته هى ردم الممر بين الحاجزين الطبيعيين ، فطلب إلى أولئك القوم المتخلفين أن يعينوه بقوتهم المادية والعضلية : ﴿ فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً أتونى زبر الحديد ﴾ .

فجمعوا له قطع الحديد وكومها فى الفتحة بين الحاجزين فأصبحا كأنهما صدفان تغلفان ذلك الكوم بينهما .

﴿ حتى إذا ساوى بين الصدفين ﴾ وأصبح الركام فى مساواة القمتين ﴿ قال انفخوا ﴾ على النار لتسخين الحديد ﴿ حتى إذا جعله ناراً ﴾ كله لشدة توهجه واحمراره ﴿ قال أتونى أفرغ عليه قطراً ﴾ أى نحاساً مذاباً يتخلل الحديد ، ويختلط به فيزيده صلابة .

وقد استخدمت هذه الطريقة حديثاً فى تقوية الحديد فوجد أن إضافة نسبة من النحاس إليه تضاعف مقاومته وصلابته ، وكان هذا الذى هدى الله إليه ذا القرنين سجله فى كتابه الخالد سبباً للعلم البشرى الحديث بقرون لا يعلم عددها إلا الله .

بذلك التحم الحاجزان ، وأغلق الطريق على يأجوج ومأجوج : ﴿ فما استطاعوا أن يظهروه ﴾ يتسوروه ﴿ وما استطاعوا له نقباً ﴾ فينفذوا منه ، وتعذر عليهم أن يهاجموا أولئك القوم الضعاف المتخلفين فأمّنا واطمأننا ونظر ذو القرنين إلى العمل الضخم الذى قام به فلم يأخذ البطر والغرور ، ولم تسكره نشوة القوة والعلم ، ولكنه ذكر الله فشكره ورد إليه العمل الصالح الذى وفقه إليه وتبرأ من قوته إلى قوة الله وقوض إليه الأمر ، وأعلن ما يؤمن به من أن الجبال والحواجز والسدود ستدك قبل يوم القيامة ، فتعود الأرض سطحاً أجرد مستوياً .

(٢) هذا خطأ غير مقصود أو مقصود والمعروف أنه عيسى بن عمر القارئ ، وكتب الناسخ عيسى ابن مريم . فالله أعلم بحال هذا الناسخ أهو جاهل أم متجاهل ؟! وسبق أن ذكرت من أمره فى الإهمال فى النسخ قبل ذلك ما يغنى عن الإعادة ههنا .

(أجيج النار)، وهو ضوءها وشررها، شَبَّهوا به في كثرتهم وشدتهم. قال وهب بن منبه ومقاتل بن سليمان: هم من ولد يافت بن نوح، وقال الضحَّاك: هم جيل من الترك. وقال كعب: هم نادرة من ولد آدم من غير حواء، وذلك أن آدم (عليه السلام) قال ذات يوم فاحتلم، وامتزجت نطفته في التراب، فلما انتبه أسف على ذلك الماء الذي خرج منه، فخلق الله تعالى من ذلك الماء يأجوج ومأجوج، وهم متصلون بنا من جهة الأب دون الأم<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾، قال سعيد بن عبد العزيز: فسادهم في الأرض أنهم كانوا يأكلون الناس. قال الكلبي: كانوا يخرجون إلى أرضهم أيام الربيع فلا يدعون فيها شيئاً أخضر إلا أكلوه، ولا شيئاً يابساً إلا احتملوه فأدخلوه أرضهم، وقد لقوا منهم أذى شديداً وقتلاً. وقيل: معناه: أنهم سيفسدون في الأرض عند خروجهم.

روى الأعمش عن شقيق عن عبد الله قال: سألت النبي ﷺ عن يأجوج ومأجوج، فقال: «يأجوج أمة ومأجوج أمة، كل أمة أربعمئة ألف أمة، لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح» قيل: يا رسول الله صفهم لنا قال: «هم ثلاثة أصناف: صنف منهم أمثال الأرز» قيل: يا رسول الله، وما الأرز؟ قال: «شجرة بالشام طول الشجر عشرون ومائة ذراع في السماء، وصنف منهم عرضه وطوله سواء عشرون ومائة ذراع، وصنف منهم يفرش أذنه ويلتحف بالأخرى، لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير إلا أكلوه ومن مات منهم أكلوه. مقدمهم بالشام وساقتهم بخراسان، ويشربون أنهار المشرق وبحيرة الطبرية»<sup>(٢)</sup>.

قال وهب بن منبه: كان ذو القرنين رجلاً من الروم، ابن عجوز من عجائزهم ليس لها ولد غيره، وكان اسمه الإسكندر، فلما بلغ وكان عبداً صالحاً، قال الله تعالى: «يا ذا القرنين إني باعثك إلى أمم الأرض، وهي أمم مختلفة ألسنتهم، وهم جميع أهل الأرض، ومنهم أمتان بينهما عرض الأرض كله وأمم وسط الأرض منهم الجن والإنس ويأجوج ومأجوج. وأما اللتان بينهما طول الأرض، فأمة عند مغرب الشمس يقال لها ناسك، وأما الأخرى فعند

(١) بالله عليكم هل يقول بهذا عاقل أو يقبله صاحب دين سليم، ولا أدري كيف ساغ للثعلبي وللقرطبي وغيرهما من

المفسرين نقل هذا الكلام في كتبهم وهم يعلمون أن الناس ستداول هذه الكتب من بعدهم ليتعلموا منها الدين؟! (٢)

خبر غير صحيح وأغلب أحاديث الفتن والملاحم وأحاديث آخر الزمان لا يكاد يصح منها حديث فأغلبها بين ضعيف شديد الضعف أو موضوع، والخبر الذي يأتي بعد هذا هو أشد منه نكارة بل هو خبر لا يقوم على أى أساس من علم أو دين بل هو فرط خيال تخيله وضعة الأساطير والإسرائيليات في كتب أهل الإسلام بقصد إفساد عقائد الناس وشغلهم عن هدف هذا الدين ومقصوده الذي جاء ليحرر العباد لربهم ويحررهم من عبادة بعضهم بعضاً وإقامة العدل في الأرض.



مطلعها يقال لها منسك ، وأمّا اللتان بينهما عرض الأرض فأمة في قطر الأرض الأيمن يُقال لها : هاويل ، والأخرى في قطر الأرض الأيسر يُقال لها : تاويل . فلما قال الله تعالى له ذلك ، قال ذو القرنين . «يا إلهي إنك قد ندبتني لأمر عظيم لا يقدر قدره إلا أنت ، فأخبرني عن هذه الأمم التي بعثتني إليها بأى قوة أكابرههم؟ وبأى جمع وبأى حيلة أكابرههم؟ وبأى صبر أو أسيههم؟ وبأى لسان أناطقهم؟ وكيف لى بأن أفقه لغاتهم؟ وبأى سمع أسمع أقوالهم؟ وبأى بصر أنقدهم؟ وبأى حجة أخاصمهم؟ وبأى عقل أعقل عنهم؟ وبأى حكمة أدبر أمرهم؟ وبأى قسط أعدل بينهم؟ وبأى حلم أصابرههم؟ وبأى معرفة أفصل بينهم؟ وبأى علم أتقن أمورهم؟ وبأى يد أسطو عليهم؟ وبأى رجل أطوهم؟ وبأى طاقة أحصيههم؟ وبأى جند أقاتلهم؟ وبأى رفق أتألفهم؟ وليس عندي يا إلهي شيء مما ذكرت يقوم بهم ولا يقوى عليهم ولا يطيقهم ، وأنت الرؤوف الرحيم لا تكلف نفساً إلاّ وسعها ، ولا تحملها إلاّ طاقتها ، ولا تشقيها بل أنت ترحمها» . قال الله تعالى : «إني سأطوئك ما حملتكَ : أشرح لك صدرك فتسمع كل شيء ، وأشرح لك فهمك فتفهم كل شيء ، وأبسط لك لسانك فتتطق بكل شيء ، وأفتح لك سمعك فتعى كل شيء ، وأمدّ لك بصرك فتتقد كل شيء ، وأحصى لك فلا يفوتك شيء ، وأشدّ لك عضدك فلا يهولك شيء ، وأشدّ لك ركنك فلا يغلبك شيء ، وأشدّ لك قلبك فلا يفزعك شيء ، وأحفظ عليك فلا يعزب عنك شيء ، وأبسط لك من بين يديك فتسطو فوق كل شيء ، وأشدّ لك وطأتك فتهدّ كل شيء ، وألبسك الهيبة فلا يروعك شيء ، وأسخرّ لك النور والظلمة فأجعلهما جنداً من جنودك يهديك النور من أمامك وتحوطك الظلمة من ورائك» .

فلما قيل له ذلك انطلق يؤمُّ الأمم التي عند مغرب الشمس فلما بلغهم وجد جمعاً وعدداً لا يحصيههم إلاّ الله عزّ وجلّ ، وقوة وبأساً لا يطيقهم إلاّ الله ، والسنة مختلفة ، وأهواء متشعبة ، فلما رأى ذلك كابرههم بالظلمة ، فضرب حولهم ثلاثة عساكر منها فأحاط بهم في كلّ مكان حتّى جمعتهم في مكان واحد ثم أخذ عليهم بالنور فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ وعبادته فمنهم من آمن ومنهم من صدّ عنه ، فعمد إلى الذين تولّوا عنه فأدخل عليهم الظلمة فدخلت في أفواههم وآذانهم وأنوفهم وأجوافهم ، ودخلت في بيوتهم ودورهم ، وغشيهم من فوقهم ومن تحتهم ومن كلّ جانب فماجوا فيه وتحيروا ، فلما أشفقوا أن يهلكوا فيها عجّوا إليه بصوت واحد ، فكشفها عنهم ، وأخذهم عنوة ، فدخلوا في دعوته<sup>(١)</sup> ، فجند من أهل المغرب أمّا

(١) ثم تستمر بعد ذلك الحكاية المختلفة عن يأجوج ومأجوج وذى القرنين ، إلا أن الأستاذ سيد قطب يرحمه الله يقول =

عظيمة، فجعلهم جنداً واحداً. ثم انطلق بهم يقودهم والظلمة تسوقهم وتحرسهم من خلفهم، والنور أمامهم يقودهم ويدلّه، وهو يسير في ناحية الأرض اليمنى وهو يريد الأمة التى فى قطر الأرض الأيمن التى يُقال لها هاويل، وسخر الله عزّ وجلّ له يده وقلبه وعقله ورأيه ونظره فلا يخطئ إذا عمل عملاً.

فانطلق يقود تلك الأمم وهى تتبعه، فإذا انتهى إلى بحر أو مخاضة بنى سفناً من ألواح صغار أمثال البغال، فنظّمها فى ساعة ثمّ حمل فيها جميع من معه من تلك الأمم والجنود، فإذا قطع الأنهار والبحار فتقها، ثمّ دفع إلى كل رجل منهم لوحاً فلا يتقله حملة، فلم يزل ذلك دأبه حتّى انتهى إلى هاويل فعمل فيه كفعله فى ناسك. فلما خرج منها مضى على وجهه فى ناحية الأرض اليمنى حتّى انتهى إلى منسك عند مطلع الشمس فعمل فيها وجنّد منها جنوداً كفعله فى الأمتين اللتين قبلها.

ثمّ كرّ مقبلاً حتّى أخذ ناحية الأرض اليسرى وهو يريد تاويل - وهى الأمة التى بحيال هاويل، وهما متقابلتان بينهما عرض الأرض كلّه - فلما بلغها عمل فيها وجنّد منها كعمله فيما قبلها.

فلما فرغ منها عطف منها إلى الأمم التى فى وسط الأرض من الجن والإنس ويأجوج

---

= عن يأجوج ومأجوج قول أراه عين الصواب إذ يقول فى الظلال: من يأجوج ومأجوج؟ وأين هم الآن؟ وماذا كان من أمرهم؟ وماذا سيكون؟ كل هذه أسئلة تصعب الإجابة عليها على وجه التحقيق، فنحن لا نعرف عنهم إلا ما ورد فى القرآن وفى بعض الأثر الصحيح. والقرآن يذكر فى هذا الموضوع ما حكاه من قول ذى القرنين: ﴿فإذا جاء وعد ربى جعله دكاء وكان وعد ربى حقاً﴾.

وهذا النص لا يحدد زماناً، ووعد الله بمعنى وعده بذلك السد، ربما يكون قد جاء منذ أن هجم التتار وأساحوا فى الأرض، ودمروا الممالك تدميراً. وفى موضع آخر من سورة الأنبياء: ﴿حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون. واقترب الوعد الحق﴾.

وهذا النص أيضاً لا يحدد زماناً معينا لخروج يأجوج ومأجوج، فاقترب الوعد الحق، بمعنى اقتراب الساعة قد وقع منذ زمن الرسول ﷺ فجاء فى القرآن: ﴿اقتربت الساعة وانشق القصر﴾ والزمان فى الحساب الإلهى غيره فى حساب البشر، فقد تمر بين اقتراب الساعة ووقوعها ملايين السنين أو القرون يراها البشر مديدة طويلة، وهى عند الله ومضة قصيرة.

وإذن فمن الجائز أن يكون السد قد فتح فى الفترة ما بين: ﴿اقتربت الساعة﴾ ويومنا هذا، وتكون غارات المغول والتتار التى اجتاحت الشرق هى انسياح يأجوج ومأجوج قلت: هكذا يجب على المسلم الحق أن يكون عبداً طيعاً انقيادياً لأمر الله فما كان واضحاً صريحاً مباشراً فى فهمه أخذه وما كان غير ذلك رد علمه إلى الله ولم يترك لنفسه أن تقوده إلى مزلق الردى بالقول على الله بما لا علم له به.

ومأجوج، فلما كان في بعض الطريق مما يلي منقطع الترك نحو المشرق قالت له أمة صالحة من الإنس: يا ذا القرنين إن بين هذين الجبلين خلقاً من خلق الله تعالى ليس فيهم مشابه الإنس، وفيهم أشباه البهائم يأكلون العشب ويفترسون الدواب والوحش كما يفترسها السباع، ويأكلون فسدة الأرض كلها من الحيات والبهائم والعقارب وكل ذي روح مما خلق الله، فليس لله تعالى خلق ينمى غمهم في العالم الواحد ولا يزدادون كزيادتهم. فإن أتت مدة على ما ترى من زيادتهم وغمائمهم فلا شك أنهم سيملؤون الأرض ويجلون أهلها منها ويظهرون عليها فيفسدون فيها. وليست تمر بنا سنة منذ جاورناهم إلا ونحن نتوقعهم أن يطلع علينا أولهم من بين هذين الجبلين، ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾: أعدوا لى الصخور والحديد والنحاس حتى أرتاد بلادهم، وأعلم علمهم، وأقيس ما بين جليلهم.

ثم انطلق يؤمهم حتى دفع إليهم وتوسط بلادهم فوجدهم على مقدار واحد، ذكرهم وأثامهم، يبلغ طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربع متاً. قال على بن أبى طالب: «منهم من طوله شبر ومنهم من هو مفرط في الطول، لهم مخالب في (موضع) الأظفار من بين أيدينا وأنياب وأضراس كأضراس السباع وأنيابها يسمع لها حركة إذا أكلوا كحركة الجرة من الإبل وكقضم البغل المسن أو الفرس القوى، ولهم هلب من الشعر في أجسادهم ما يواريههم وما يتقون به من الحر والبرد إذا أصابهم. ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان أحدهما وبرة والأخرى زغبة يلتحف إحداها ويفترش الأخرى، ويصيف في إحداها ويشتو في الأخرى وليس منهم ذكر ولا أنثى إلا وقد عرف أجله الذى يموت فيه، ومنقطع عمره وذلك أنه لا يموت ميت من ذكورهم حتى يخرج من صلبه ألف ولد، ولا تموت أنثى حتى يخرج من رحمها ألف ولد. فإذا كان ذلك أيقن الموت. . وهم يرزقون السينان أيام الربيع كما يستمطر الغيث لحينه فيقذفون منه كل سنة واحداً فيأكلونه عامهم كله إلى مثلها من القابل فيعمهم على كثرتهم، وهم يتداعون تداعى الحمام، ويعوون عواء الذئاب، ويتسافدون تسافد البهائم حيث التقوا».

فلما عاين منهم ذلك ذو القرنين انصرف إلى ما بين الصدفين فقاس ما بينهما، وهو في منقطع أرض الترك مما يلي مشرق الشمس فوجد بعد ما بينهما مائة فرسخ، فلما أنشأ في عمله حفر له الأساس حتى بلغ الماء، ثم جعل عرضه خمسين فرسخاً. وجعل حشوه الصخر، وطينه النحاس يذاب ثم يصب عليه فصار كأنه عرق من جبل تحت الأرض ثم علاه وشرقه بزبر الحديد والنحاس المذاب وجعل خلاله عرقاً من نحاس أصفر، فصار كأنه برد محبب من

صفرة النحاس وحمرة في سواد الحديد .

فلما فرغ منه وأحكمه انطلق عامداً إلى جماعة الإنس، فبينما هو يسير إذا دفع إلى أمة سالحة يهدون بالحق وبه يعدلون، فوجد أمة مقسطة مقتصدة يقيمون بالسوية، ويحكمون بالعدل ويتراحمون، حالتهم واحدة وكلمتهم واحدة، وأخلاقهم مشتبهة وطريقتهم مستقيمة، وقلوبهم متألفة، وسيرتهم مستوية، وقبورهم بأبواب بيوتهم، وليس على بيوتهم أبواب، وليس عليهم أمراء، وليس بينهم قضاة، ولا بينهم أغنياء ولا ملوك ولا أشراف، ولا يختلفون ولا يتفاضلون، ولا يتنازعون، ولا يستبّون، ولا يقتلون، ولا يضحكون، ولا يحدون ولا تصيبهم الآفات التي تصيب الناس، وهم أطول الناس أعماراً، وليس فيهم مسكين ولا فقير، ولا فظ ولا غليظ . فلما رأى ذلك من أمرهم عجب .

وقال : «أخبروني أيها القوم خبركم، فإنني قد أحصيت الأرض كلها؛ برّها وبحرها، وشرقها وغربها، فلم أرَ أحداً مثلكم، فخبروني خبركم» . قالوا: نعم، فسلنا عما تريد .

قال : «خبروني ما بال قبوركم على أبواب بيوتكم؟» . قالوا: عمداً فعلنا ذلك، لثلاث نسي الموت، ولا يخرج ذكره من قلوبنا .

قال : «فما بال بيوتكم ليس عليها أبواب؟» . قالوا: ليس فينا متهم، وليس فينا إلا أمين مؤتمن .

قال : «فما بالكم ليس عليكم أمير؟» . قالوا: لا حاجة لنا إلى ذلك .

قال : «فما بالكم ليس فيكم حكّام؟» . قالوا: لا نختصم .

قال : «فما بالكم ليس فيكم أغنياء؟» . قالوا: لا نتكاثر .

قال : «فما بالكم ليس فيكم ملوك؟» . قالوا: لا نفتخر .

قال : «فما بالكم لا تتنازعون ولا تختلفون؟» . قالوا: من ألفة قلوبنا وصلاح ذات بيننا .

قال : «فما بالكم لا تقتتلون؟» . قالوا: من أجل أننا شُبنا أنفسنا بالأحلام .

قال : «فما بال كلمتكم واحدة، وطريقتكم مستقيمة؟» . قالوا: من قبل أننا لا نتكاثر، ولا

نتخادع، ولا يغتال بعضنا بعضاً .

قال : «فأخبروني من أين تشابهت قلوبكم، واعتدلت سيرتكم؟» . قالوا: صحت صدورنا

فُنزع بذلك الغل والحسد من قلوبنا .

قال : «فما بالكم ليس فيكم مسكين ولا فقير؟» . قالوا: من أجل أننا نقسم بالسوية .

قال : «فما بالكم ليس فيكم فظ ولا غليظ؟» . قالوا: من قبل الذل والتواضع .

قال: «فما جعلكم أطول الناس أعماراً؟». قالوا: من قبل أنا نتعاطى الحق، ونحكم بالعدل.

قال: «فما بالكم لا تضحكون؟». قالوا: لا نغفل عن الاستغفار.

قال: «فما بالكم لا تحزنون ولا تحردون؟». قالوا: من قبل أنا ووطننا أنفسنا للبلاء مذكنا، وأحببناه وحرصنا عليه.

قال: «فما بالكم لا يصيبكم الآفات كما يصيب الناس؟». قالوا: لأننا لا نتوكل على غير الله، ولا نعمل الأنواء والنجوم.

قال: «وهكذا وجدتم آباءكم يفعلون؟». قالوا: نعم: وجدنا آباءنا يرحمون مساكينهم، ويواسون فقراءهم، ويعفون عمّن ظلمهم، ويحسنون إلى من أساء إليهم، ويحلمون عمّن جهل عليهم، ويصلون أرحامهم، ويؤدون أماناتهم، ويحفظون وقت صلاتهم، ويوفون بعهدهم، ويصدقون في مواعيدهم، فأصلح الله عزّ وجلّ بذلك أمرهم، وحفظهم ما كانوا أحياء. وكان حقاً على الله أن يخلفهم في ذريتهم.

فقال لهم ذو القرنين: والله لو كنت مقيماً لأقمت فيكم وبينكم، ولكن لم أؤمر بذلك<sup>(١)</sup>.

وروى قتادة عن أبي رافع عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إن يأجوج ومأجوج يحفرونه كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فتحفرونه غداً. فيعيده الله عزّ وجلّ كأشدّ ما كان. حتى إذا بلغت مدتهم حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه إن شاء الله غداً، فيعود إليه وهو كهيئته حين تركوه، فيحفرونه فيخرجون على الناس فيتبعون المياه، ويتحصن الناس في حصونهم، فيرمون بسهامهم إلى السماء فيرجع فيها كهيئة الدم، فيقولون: قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء. فيبعث الله عزّ وجلّ نغماً عليهم في ألقائهم فيقتلونهم». قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسى بيده إنّ دواب الأرض لتسمن وتسكر سكرًا من لحومهم».

وروى محمود بن قتادة عن أبي سعيد الخدري أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

(١) واضح أنها المدينة الفاضلة التي يتكلم عنها الفلاسفة والتي هي غير موجودة في الدنيا منذ خلقها الله تعالى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها لأنها هذه سنة الحياة والناس الذين خلقهم الله ويعلم أن: «منهم شقى وسعيد» وجعل آخرتهم «فريق في الجنة وفريق في السعير» فقد ترك الكاتب هنا لنفسه العنان تهيم في سماء الفضيلة فتنشئ المدينة التي يريد ويتمنى أن تكون. ولم يجدها في أرض الواقع، فراح يجعلها في دنيا خياله ليسترخ من عناء الواقع المرير لبعض اللحظات.

«يفتح يأجوج ومأجوج فيخرجون كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَهُرْمِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ (الأنبياء: ٩٦) فيغشون الأرض وينحاز المسلمون عنهم إلى حصونهم ومدائنهم حتى إن أولهم يبرون بالنهر من أنهار الأرض» قال أبو الهيثم: الدجلة «فيشربون حتى يصير يابسة، فيمر به الذين من بعدهم فيقولون: لقد كان بهذا المكان ماء مرة، حتى إذا ظهروا على أهل الأرض قالوا: هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم، وبقي أهل السماء».

قال عليه السلام: «فيهزأ أحدهم حربته ثم يقذفها إلى السماء فترجع إليه مختضبة دمًا للفتنة. فيينا هم كذلك إذ يبعث الله عزّ وجلّ عليهم دوداً كنغف الجراد فيموتون موت الجراد، فيصبح المسلمون لا يسمعون لهم حساً، فيقولون: هل من رجل يشتري لنا نفسه فينظر ما فعل هؤلاء القوم؟ فينزل رجل منهم قد أيقن أنه مقتول، فيجدهم موتى بعضهم على بعض فينادى أصحابه: أبشروا، فقد كفاكم الله عزّ وجلّ عدوكم. فيخرج المسلمون فيرسلون مواشيهم فيهم فما يكون لها رعى غير لحومهم وتكثر عليه كأحسن ما تكثر على شيء من النبات أصابته قط».

قال وهب: إنهم كانوا يأتون البحر فيشربون ماءها، ويأكلون دوابها، ثم يأكلون الخشب والشجر ومن ظفروا به من الناس، ولا يقدر أن يأتوا مكة ولا المدينة ولا بيت المقدس. في قوله تعالى: ﴿فَبَلَّغْ لَكَ خَرْجًا﴾ قرأ أهل الكوفة: (خراجاً) بالألف. الباقر بن غير ألف، وهما لغتان، بمعنى واحد. وقال أبو عمرو بن العلاء: الخرج: ما تبرعت به، والخراج: ما لزمك أداؤه. ﴿عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾: حاجزاً فلا يصلون إلينا؟ ﴿قَالَ﴾ لهم ذو القرنين: ﴿مَا مَكَّنِّي﴾ على الإدغام. وقرأ أهل مكة: (ما مكنتي) بنونين بالإظهار ﴿فِي رِئِي﴾ وقوائى عليه ﴿خَيْرٌ﴾، ولكن ﴿أَعْيُنِي قُوَّةٌ أَجْعَلُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾: حاجزاً كالحائط والسد. قالوا: وما تلك القوة؟ قال: «فعلت وصنعت يحسنون البناء والعمل والآلة»<sup>(١)</sup> قالوا: وما تلك

(١) للقرطبي على ذلك تعليق مفيد حيث يقول في تفسيره:

في هذه الآية دليل على أن الملك فرض عليه أن يقوم بحماية الخلق في حفظ بيضتهم وسد فرجهم وإصلاح ثغورهم من أموالهم التي تفيء عليهم وحقوقهم التي جمعها خزائنهم تحت يده ونظره حتى لو أكلتها الحقوق، وأنفذتها المؤمن لكان عليهم جبر ذلك من أموالهم وعليه حسن النظر لهم، وذلك بثلاثة شروط:

الأول: أن لا يستأثر عليهم بشيء.

والثاني: أن يبدأ بأهل الحاجة فيعينهم.

والثالث: أن يستوفى العطاء بينهم على قدر منازلهم.

فإذا فئت بعد هذا وبقيت صفراً فأطلعت الحوادث أمراً بذلوا أنفسهم قبل أموالهم فإن لم يغن ذلك فأموالهم تؤخذ منهم على تقدير، وتصرف بتدبير.

الآلة؟ قال: ﴿أَتُونِي زُرَّ الْحَدِيدِ﴾ يعنى: أعطونى قطع الحديد، واحدتها زبرة، فأتوه بها، فبناه ﴿حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدْقَيْنِ﴾، وروى مسلم بن خالد عن سعيد بن أبى صالح قال: بلغنا أنه وضع الحطب بين الجبلين، ثم نسج عليه الحديد، ثم نسج الحطب على الحديد، فلم يزل يجعل الحطب على الحديد والحديد على الحطب ﴿حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدْقَيْنِ﴾، وهما الجبلان - بضم الصاد والبدال، وفتحهما - وأمر بالنار فأرسلت فيه، ثم ﴿قَالَ أَنفُخُوا﴾، ثم جعل يفرغ القطر عليه، فذلك قوله تعالى: ﴿أَتُونِي أَوْرُغٌ﴾: أصب ﴿عَلَيْهِ قِطْرًا﴾، وهو النحاس المذاب. قال: فجعلت النار تأكل الحطب ويصب النحاس مكان الحطب حتى لزم الحديد النحاس.

﴿فَمَا اسْطَمْعُوا أَن يَظْهَرُوهُ﴾ ويعلوه من فوقه، ﴿وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ تَنْقِبًا﴾ من أسفله. قال قتادة ذكر لنا أن رجلاً قال: يا نبي الله قد رأيت سد يأجوج ومأجوج. قال: «انعته لى». قال: كالبرد المحبَّب؛ طريقة سوداء وطريقة حمراء. قال: «قد رأيته».

﴿قَالَ﴾ ذو القرنين لما فرغ من بنائه يعنى هذا السد: ﴿هَذَا السَّدُ رَحْمَةٌ﴾: نعمة من ربي؛ فلذلك لم يقل: هذه. ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ رَبي جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾ ملتزقة مستوية بالأرض من قولهم: ناقة دكاء أى مستوية الظهر لا سنام لها. ومن قرأ: (دكًا) بلا مد فمعناه: مدكوك يومئذ، ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبي حَقًّا﴾ بخروجهم لا شك فيه ولا ريب<sup>(١)</sup>.



= فهذا ذو القرنين لما عرضوا عليه المال فى أن يكف عنهم ما يحذرونه من عادية يأجوج ومأجوج قال: لست أحتاج إليه وإنما أحتاج إليكم: ﴿فَاعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ أى اخدموا أنفسكم معى، فإن الأموال عندى والرجال عندكم ورأى أن الأموال لا تغنى عنهم فإنه إن أخذها أجرة نقص ذلك مما يحتاج إليه فيعود بالأجر عليهم. فكان التطوع بخدمة الأبدان أولى. وضابط الأمر أنه لا يحل مال أحد إلا للضرورة تعرض، ويؤخذ هذا المال جهراً لا سراً، وينفق بالعدل لا بالاستئثار، أو برأى الجماعة لا بالاستبداد فى الأمر.

(١) يقول الأستاذ سيد قطب تعليقاً على نهاية قصة ذى القرنين فى الظلال: وبذلك تنتهى هذ الحلقة من سيرة ذى القرنين النموذج الطيب للحاكم الصالح يمكنه الله فى الأرض ويسر له الأسباب، فيجتاح الأرض شرقاً وغرباً، ولكنه لا يتجبر ولا يتكبر، ولا يطفى ولا يتبطر، ولا يتخذ من الفتوح وسيلة للغنم المادى، واستغلال الأفراد والجماعات والأوطان، ولا يعامل البلاد المفتوحة معاملة الرقيق ولا يسخر أهلها فى أغراضه، وأطماعه، وإنما ينشر العدل فى كل مكان يحل به ويساعد المتخلفين، ويدراً عنهم العدوان دون مقابل ويستخدم القوة التى يسرها الله له فى التعمير والإصلاح ودفع العدوان وإحقاق الحق ثم يرجع كل خير يحققه الله على يديه إلى رحمة الله وفضل الله ولا ينسى وهو فى إبان سطوته قدرة الله وجبروته وأنه راجع إلى الله.

﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴿ ذَلِكَ جَزَاءُ هُمُ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوعًا ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَفْدَكَلِمَتِ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿

﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ ﴾ ، يعنى الخلق ﴿ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ ﴾ : يدخل ﴿ فِي بَعْضٍ ﴾ ويختلط إنسهم بجهنم حيارى ، ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴾ فى صعيد واحد ، ﴿ وَعَرَضْنَا ﴾ : وأبرزنا ﴿ جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ ﴾ ، يعنى يوم القيامة ﴿ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴾ .  
ثم وصفهم فقال : ﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ ﴾ : غشاوة وغفلة ﴿ عَن ذِكْرِي ﴾ ، يعنى : الإيمان والقرآن ﴿ وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴾ ، أى لا يطيقون أن يسمعوا كتاب الله عز وجل ويتدبروه ويؤمنوا به لغلبة الشقاء عليهم<sup>(١)</sup> . وقيل : لعداوتهم النبى ﷺ .

(١) يقول الأستاذ سيد قطب فى الظلال : هو مشهد يرسم حركة الجموع البشرية من كل لون وجنس وأرض ومن كل جيل وزمان وعصر ، مبعوثين منشرين يختلطون ويضطربون بغير نظام وفى غير انتباه تتدافع جموعهم تدافع الموج وتختلط اختلاط الموج ، ثم إذا نفخة التجمع والنظام : ﴿ ونفخ فى الصور فجمعناهم جمعاً ﴾ فإذا هم فى الصف فى نظام ، ثم إذ الكافرون الذين أعرضوا عن ذكر الله حتى لكان على عيونهم غطاء ولكن فى أسماعهم صمماً إذ بهؤلاء تعرض عليهم جهنم فلا يعرضون عنها كما كانوا يعرضون عن ذكر الله فما يستطيعون اليوم إعراضاً ، لقد نزع الغطاء عن عيونهم نزاعاً فأروا عاقبة الإعراض والعمى جزاءً وفاقاً .

والتعبير ينسج بين الإعراض والعرض متقابلين فى المشهد متقابلين فى الحركة على طريقة التناسق الفنى فى القرآن ، ويعقب على هذا التقابل بالتهكم اللاذع والسخرية المريرة : ﴿ أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء . إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلاً ﴾ .



﴿أَفْحَسِبْ﴾: أفظن. وقرأ عكرمة ومجاهد وعلى: (أفحسب)، أى كفاهم ذلك ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي﴾، يعنى عيسى والملائكة ﴿مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ؟﴾ كلاب لهم أعداء ويتبرؤون منهم. قال ابن عباس: يعنى: الشياطين، تولوهم وأطاعوهم من دون الله. وقال مقاتل: يعنى: الأصنام، سمّاهم عباداً كما قال فى موضع آخر: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادًا أَمْثَلُكُمْ﴾ (الأعراف: ١٩٤).

﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ يعنى الذين أتعبوا أنفسهم فى عمل يبتغون به ربحاً، فنالوا به هلاكاً وعطباً، ولم يدركوا ما طلبوا، كالمشترى سلعة يرجو بها فضلاً وربحاً، فخاب رجاءه وخسر بيعه. واختلفوا فى الذين عُتوا بذلك فقال على بن أبى طالب: «هم الرهبان الذين حبسوا أنفسهم فى الصوامع».

وقال سعد بن أبى وقاص وابن عباس: هم اليهود والنصارى، نظيره: ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً﴾ (الغاشية: ٣-٤). وروى سفيان عن سلمة بن كهيل عن أبى الطفيل قال: سأل عبد الله بن الكواً علياً عن قوله: ﴿هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾، قال: «أنتم يا أهل حروراء». ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾، أى يظنون أنهم بفعلهم مطيعون محسنون ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَاقِبَتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ﴾: بطلت وذهبت واضمحلت<sup>(١)</sup> ﴿أَعْمَلُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنَانًا﴾، قال أبو سعيد الخدرى: يأتى أناس بأعمال يوم القيامة هى فى العظم عندهم كجبال تهامة، فإذا وزنوها لم تزن شيئاً، فذلك قوله: ﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنَانًا﴾.

وروى الأعرج عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة فلا تزن جناح بعوضة، اقرؤوا: ﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنَانًا﴾».

وروى المغيرة بن مسلم عن سعيد بن عمرو بن عثمان قال: سمعت عثمان بن عفان (رضى الله عنه) يقول: الربا سبعون باباً أهونهن مثل نكاح الرجل أمه. قال: وأرى الربا عرض أخيك المسلم تشتمه. قال: ويؤتى يوم القيامة بالعظيم الطويل الأكل والشروب الذى يشرب الظرف فى المجلس فيوزن فلا يعدل جناح بعوضة، خاب ذلك وخسر، ثم تلا هذه الآية: ﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنَانًا﴾.

﴿ذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن كَفَرَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي هُزُوًا﴾، يعنى سخرية.

(١) يقول الأستاذ سيد قطب فى الظلال: أصل الحبوط هو انتفاخ بطن الدابة حين تتغذى بنوع سام من الكلال، ثم تلقى حتفها، وهو أنسب لوصف الأعمال أنها تتنفخ وأصحابها يظنونها سالحة ناجحة رابحة، ثم تنتهى إلى البوار.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ اختلّفوا فى الفردوس، فقال رسول الله ﷺ: «الجنة مائة درجة، ما بين كلّ درجتين كما بين السماء والأرض. أعلاها الفردوس، ومنها تفجر أنهار الجنة، وفوقها عرش الرحمن فسלוه الفردوس».

وروى عمران الجوينى عن أبى بكر بن عبد الله بن قيس عن أبىه عن النبى ﷺ قال: «جنت الفردوس أربع: جنتان من ذهب أبنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة أبنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه».

وقال شهر: خلق الله جنة الفردوس بيده فهو يفتحها فى كل يوم خميس فيقول: ازدادى حسناً وطيباً لأولياى. وقال قتادة: الفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها وأرفعها. وقال أبو أمامة: الفردوس سرّة الجنة. وقال كعب: ليس فى الجنان جنة أعلى من جنة الفردوس وفيها الأمور بالمعروف والناهون عن المنكر. وقال مجاهد: هو البستان بالرومية. وقال كعب: هو البستان فيه الأعناب. وقال الضحاك: هى الجنة الملتفة الأشجار. وقيل: هى الروضة المستحسنة. وقيل: هى الأودية التى تنبت ضروراً من النبات، وجمعها فراديس: وقال أمية:

كانت منازلهم إذ ذاك ظاهرة فيها الفراديس والقومان والبصل

﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَتَّعُونَ عَنْهَا حَوْلًا﴾ أى يطلبون عنها تحولاً إلى غيرها، وهو مصدر مثل الصعر والعوج. قال مخلص بن الحسين: سمعت بعض أصحاب أنس قال: يقول أولهم دخولاً: إنما أدخلنى الله أولهم؛ لأنه ليس أحد أفضل منى. ويقول آخرهم دخولاً: إنما أخرنى الله، لأنه ليس أحد أعطاه مثل الذى أعطانى.

﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي﴾ الآية، قال ابن عباس: قالت اليهود: يا محمد تزعم أنا قد أوتينا الحكمة، وفى كتابك: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (البقرة: ٢٦٩) ثم يقول: ﴿وَمَا أُوْتِيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء: ٨٥) فكيف يكون هذا؟ فأنزل الله تعالى ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَتَفِدَّ الْبَحْرُ﴾ أى ماؤه ﴿قَبْلَ أَنْ تَفِدَّ كَلِمَتِ رَبِّي﴾ حكمه وعجائبه. وقرأ أهل الكوفة (قبل أن ينفد) بالياء؛ لتقدم الفعل، ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مِدادًا﴾: عوناً وزيادة. وفى مصحف أبى (ولو جئنا بمثله مِداداً) ونظيرها قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ﴾ (لقمان: ٢٧) الآية.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ قال ابن عباس<sup>(١)</sup>: نزلت فى جندب بن زهير العامرى، وذلك أنه

(١) قال الأستاذ صاحب الظلال فى هذه الآية فى ظل هذا المشهد الذى يتضاءل فيه علم الإنسان ينطلق الإيقاع الثالث والأخير فى السورة، فيرسم أعلى أفق للبشرية - وهو أفق الرسالة الكاملة الشاملة - فإذا هو قريب محدود =

قال للنبي ﷺ إني أعلم الله، فإذا أطلع عليه سرنى. فقال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا الطيب ولا يقبل ما شورك فيه»، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال أنس: قال رجل: يا نبي الله، إني أحب الجهاد في سبيل الله، وأحب أن يرى مكانى، فأنزل الله: ﴿قُلْ يَا مُحَمَّد: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾: خلق آدمى مثلكم. قال ابن عباس: علم الله رسوله التواضع لثلاثه على خلقه، ﴿يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَا إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ لا شريك له ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾: المصير إليه. وقيل: معناه يأمل رؤية ربه، فالرجاء يتضمن معنيين: الخوف والأمل، قال الشاعر:

فلا كل ما ترجو من الخير كائن ولا كل ما ترجو من الشر واقع

فجمع المعنيين في بيت واحد.

﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾: خالصاً ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾، أى ولا يراء. قال شهر بن حوشب: جاء رجل إلى عبادة<sup>(١)</sup> بن الصامت، فقال: أرايت رجلاً يصلى بيتى وجه الله عز وجل ويحب أن يحمد عليه، ويصوم بيتى وجه الله عز وجل ويحب أن يحمد، ويتصدق بيتى وجه الله ويحب أن يحمد عليه، ويحج بيتى وجه الله ويحب أن يحمد عليه؟ فقال عبادة: ليس له شيء، إن الله عز وجل يقول: «أنا خير شريك، فمن كان له معى شريك فهو له كله ولا حاجة لى منه».

وروى العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا الشرك الأصغر». قالوا: وما الشرك الأصغر؟ قال: «الرياء يوم يجازى الله الناس بأعمالهم». وروى سفيان عن سلمة قال: سمعت جندباً قال: قال رسول الله ﷺ: «من سمع الله به، ومن يراء الله به».

وروى العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «اتقوا الشرك الأصغر». قالوا: وما الشرك الأصغر؟ قال: «الرياء يوم يجازى الله الناس بأعمالهم».

وقال رسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآية: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الخفى، وإياكم

= بالقياس إلى الأفق الأعلى الذى تتفاصر دونه الأبصار، وتنحسر دونه الأنظار: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم﴾ الآية. إنه أفق الألوهية الأسمى فأين هنا آفاق النبوة، وهى على كل حال آفاق بشرية؟ ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى...﴾ بشر يتلقى من ذلك الأفق الأسمى، بشر يستمد من ذلك المعين الذى لا يتضب، بشر لا يتجاوز الهدى الذى يتلقاه من مولاه، بشر يتعلم فيعلم، فمن كان يتطلع إلى القرب من ذلك الجوار الأسنى فليتنفع بما يتعلم من الرسول الذى يتلقى، وليأخذ بالوسيلة التى لا وسيلة سواها.

(١) فى المخطوط: عمارة. وهو تحريف وهو صحابى معروف مشهور.

وشرك السرائر فإن الشرك أخفى فى أمتى من ديبب النمل على الصفا فى الليلة الظلماء . ومن صلى يرائى فقد أشرك ، ومن صام يرائى فقد أشرك ، ومن تصدق يرائى فقد أشرك» .  
قال : فشق ذلك على القوم ، فقال رسول الله : «أولا أدلكم على ما يذهب عنكم صغير الشرك وكبيره؟» . قالوا : بلى يا رسول الله . قال : قولوا : «اللهم إنى أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم ، وأستغفرك لما لا أعلم» .

وقال عمرو بن قيس الكندى : سمعت معاوية بن أبى سفيان على المنبر تلا هذه الآية ، ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ الآية ، فقال : إنها آخراية نزلت من القرآن . وروى سعيد بن المسيب عن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : «أوحى إلى أن من قرأ ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ الآية ، رفع له نور ما بين عدن أبين إلى مكة حشوه الملائكة» .

وروى سهل بن معاذ عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : «من قرأ أول سورة الكهف وأخرها كانت له نوراً من قرنه إلى قدمه ، ومن قرأها كلها كانت له نوراً من السماء إلى الأرض»<sup>(١)</sup> .



(١) سبق الكلام كثيراً على أن معظم الأحاديث الواردة فى فضائل سورة القرآن ليست بصحيحة وهذه الأحاديث منها .

## سُورَةُ مَرْيَمَ

مكيّة كلّها، وهى ثمان وتسعون آية، تسع وتسعون حجازى،  
وسبعمائة واثنان وستون كلمة، وثلاثة آلاف وثمانمائة حرف وحرفان

أخبرنا أبو الحسين على بن محمد بن الحسن المقرئ غير مرّة، قال أبو بكر أحمد بن إبراهيم  
وأبو الشيخ عبد الله بن محمد قالوا: قال أبو إسحاق إبراهيم بن شريك، عن أحمد بن يونس  
اليربوعى، عن سلام بن سليم المدائنى، عن عمرو بن كثير، عن يزيد بن أسلم، عن أبيه، عن  
أبى أمامة عن أبى بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة مريم أعطى من الأجر  
حسناً بعدد من صدّق بزكريّا وكذب به، ويحيى ومريم وعيسى وموسى وهارون وإبراهيم  
وإسحاق ويعقوب وإسماعيل عشر حسنات وبعدد من دعا لله ولداً، وبعدد من لم يدع له  
ولداً».

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿كَهَيْصَ ۝ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِياً ۝ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيّاً ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّى  
وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّى وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَاؤِكَ رَبِّ شَقِيّاً ۝ وَإِنِّى خِفْتُ الْمَوَالِىَ  
مِنْ وَرَآئِى وَكَانَتِ امْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِّى مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً ۝ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ عَالِ يَعْقُوبَ  
وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً ۝ يَذْكُرْ بِنَا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيّاً ۝  
قَالَ رَبِّ أَنِّى يَكُونُ لِّى غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيّاً ۝ قَالَ  
كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْتَنكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكْ شَيْئاً ۝ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّى آيَةً  
قَالَ ءَايَتُكَ أَلا تَكَلِّمُ النَّاسَ لَيْلٍ سُوِيّاً ۝ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى  
إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً ۝ يَدَّيْحَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً ۝  
وَخَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيّاً ۝ وَرَبًّا بَوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيّاً ۝ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ  
وَلَدَا ۝﴾

﴿وَلِدٍ وَيَوْمَ مَوْتٍ وَيَوْمَ يُعْتَبَرُ حَيًّا﴾

قوله عزّ وجلّ: ﴿كَهَيْعَصَ﴾ قرأ أبو عمرو بكسر الهاء وفتح الياء، ضدّه شامى وحمزة وخلف، بكسرهما، والكسائي، بفتحهما، ابن كثير وعاصم ويعقوب، واختلفوا فى معناها. فقال ابن عباس: هو اسم من أسماء الله عزّ وجلّ، وقيل: إنّه اسم الله الأعظم<sup>(١)</sup>، وقال قتادة: هو اسم من أسماء القرآن، وقيل: هو اسم السورة، وقال علىّ بن أبى طالب وابن عباس: هو قسم أقسم الله تعالى به، وقال الكلبي: هو ثناء أثنى الله عزّ وجلّ به على نفسه. أخبرنا عبد الله بن حامد عن حامد بن محمد، قال أبو عبد الله محمد بن زياد القوقسى، قال أبو عمّار عن جرير، عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله عزّ وجلّ: ﴿كَهَيْعَصَ﴾ قال: الكاف من كريم، والهاء من هاد، والياء من رحيم والعين من عليم وعظيم، والصاد من صادق، وقال الكلبي أيضاً: معناه: كاف لخلقه، هاد لعباده، يده فوق أيديهم، عالم بيريته، صادق فى وعده<sup>(٢)</sup> ﴿ذِكْرُ﴾: رُفِعَ بِـ ﴿كَهَيْعَصَ﴾ وإن شئت قلت: هذا ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَّرِيًّا﴾، وفيه تقديم وتأخير، معناه ذكر ربك عبده زكريا برحمته وزكريا فى موضع نصب.

وقرأ بعضهم عبده زكريّا بالرفع على أنّ الفعل له ﴿إِذْ نَادَى﴾ دعا ﴿رَبَّهُ﴾ فى محرابه حيث يقرب القربان ﴿نِدَاءً حَفِيًّا﴾ دعا سراً من قومه فى جوف الليل، مخلصاً فيه لم يطلع عليه أحد إلا الله عزّ وجلّ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ﴾ ضعف ﴿الْعَظْمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾: شمطاً، يقول: شخت وضعفت، ومن الموت قربت ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ يقول: يا رب عودتني الإجابة فيما كنت تجيبني إذا دعوتك ولا تخيبي.

قوله: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَأْيِ﴾ قرأ عثمان ويحيى بن يعمر، (خفت) بفتح الخاء والفاء وكسر التاء مشدداً الموالى بسكون الياء بمعنى ذهب الموالى وقلّت، الباقون: (خفت) بكسر الخاء وضم التاء من الخوف، الموالى نصباً، خاف أن يرثه غير الولد، وقيل: خاف

(١) موضوع اسم الله الأعظم وما هو، وكذا موضوع الأبدال وأمثالها هذه من الموضوعات التى لا أساس لها من الصحة ومن الموضوعات الدخيلة جملة وتفصيلاً على الإسلام وقد صرح القرآن بأن أى اسم من أسماء الله تعالى دعوته به أجاب فقال: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ وقال: ﴿أَيُّ مَا تَدْعُوهُ فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ فلا حجر ولا قصر على اسم فكل أسمائه سواء لا فضل لاسم على اسم كما صرح بذلك القرآن الكريم، ولا فرق بين ما اشتهر على الألسن منها وما لم يشتهر فكل له سبحانه وبكل أو بأى يجيب المضطر إذا دعاه.

(٢) كل ما سبق من قول فى ذلك ليس عليه دليل وإنما هى حروف افتتح الله بها السورة شأنها شأن غيرها من أوائل السور.

عليهم تبديل دين الله عز وجل وتغيير أحكامه وأن لا يحسنوا الخلافة له على أمته، فسأل ربه ولداً صالحاً يأمنه على أمته، والموالى بنو العم وقيل: الأولى والولى والمولى فى كلام العرب واحد، وقال مجاهد: العصبه، وقال أبو صالح: الكلاله، وقال الكلبي: الورثة من ورائى من بعد موتى ﴿وَكَانَتْ أَمْرَاتِي عَاقِرًا﴾: لا تلد ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾: أعطنى من عندك ﴿وَلِيًّا﴾: ابناً ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ﴾: وقرأ يحيى بن يعمر ويحيى بن وثاب والأعمش وأبو عمرو والكسائى بالجزم فيهما على جواب الدعاء، وقرأ الباقر بالرفع على الحال والصفة، أى ولياً وارثاً، وقرأ ابن عباس ويحيى بن يعمر: يرثنى، وأرث ﴿مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ النبوة، يعنى يرث النبوة والعلم، وقال الحسن: معناه يرثنى مالى ويرث من آل يعقوب النبوة والحبورة، وقال الكلبي: هو يعقوب بن ماثان أخو زكريا وليس يعقوب أباً يوسف ﴿وَأَجْعَلُهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾: أى صالحاً برأ تقياً مرضياً، وقال أبو صالح: معناه: اجعله نبياً كما جعلت أباه نبياً.

أخبرنا عبد الله بن حامد الأصفهاني وشعيب بن محمد البيهقي قالوا: أخبرنا مكى بن عبدان عن أحمد بن الأزهر عن روح بن عبادة عن سعيد عن قتادة عن بشر بن نهيك أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأ هذه الآية ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾: يقول عند ذلك: «رحم الله زكريا، ما كان عليه من ورثة».

قوله: ﴿يَذَرِكِرْبًا إِنَّا نَبِّشْرُكَ﴾ فيه إضمار واختصار، يعنى فاستجاب دعاءه فقال: ﴿يَذَرِكِرْبًا إِنَّا نَبِّشْرُكَ بِغُلْمٍ﴾ ولد ذكر ﴿أَسْمُهُ رِيحِي لَمْ تَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ قال قتادة والكلبي: لم يسم أحد قبله يحيى، وهو رواية عكرمة عن ابن عباس، وقال سعيد بن جبير وعطاء: لم نجعل له شبيهاً، ومثله دليله قوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ (مريم: ٦٥) أى مثلاً وعدلاً، وهى رواية مجاهد عن ابن عباس، وتأويل هذا القول أنه لم يكن له مثل لأنه لم يهَمَّ بمعصيته قط وقيل: لم يكن له مثل فى أمر النساء لأنه كان سيداً وحصوراً وقال على بن أبى طالب عن ابن عباس: لم تلد العواقر مثله ولداً، وقيل: إن الله تعالى اشترط القبل لأنه جل ذكره أراد أن يخلق بعده من هو أفضل منه وهو محمد عليه السلام، وقيل: إن الله تعالى لم يرد بهذا القول جميع الفضائل كلها ليحيى، وقيل: إنما أراد فى بعضها لأن الخليل والكليم عليهما السلام كانا قبله وكانا أفضل منه<sup>(١)</sup>.

(١) كل الأنبياء والرسل أفضل قد فضل الله بعضهم على بعض بما علم وبما خصّ وبما ميز وأصل الفضائل خصائص المهمة والمكلف بها كل نبي أو رسول وطبيعة قومه، فليس من الصواب أن تقول نحن فلان أفضل من فلان وفلان أفضل منهما فكل رسول الله وأنبيأؤه لا نفرق ولا نفضل بين أحد منهم وإنما يكون ذلك عند ربهم سبحانه فلا داعى للدخول فيه بين البشر حيث لا فائدة ولا منفعة من وراء ذلك تعود علينا.

﴿قَالَ رَبِّ أَلَيْسَ لِيُغْلِبَنِي اللَّهُ مَا لَمْ يَغْلِبْكَ اللَّهُ فِي الْحَيَاةِ﴾ : أى وامرأتى عاقر كقوله : ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَهَادِ صَيْبًا﴾ (مریم: ٢٩) أى من هو فى المهد صبى ﴿وَقَدْ بَلَغْتَ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ أى يبساً، قال قتادة : نحول العظم يقال : ملك عات إذا كان قاسى القلب غير لين ، وقال أبو عبيدة : هو كل مبالغ فى شر أو كفر فقد عتا وعسا، وقرأ أبى وابن عباس عسيًا، وقرأ يحيى بن وثاب وحمزة والكسائى عتياً بكسر العين ومثله جثياً وصلياً وبكياً والباقون بالضم فيهما وهما لغتان .  
 ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْئٍ وَقَدْ خَلَقْتَنكَ مِنْ قَبْلُ﴾ : من قبل يحيى ، ﴿وَلَمْ تَكْ شَيْئًا﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً : على حمل امرأتى ﴿قَالَ آيَتُكَ إِلَّا نُكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ : أى صحيحاً سليماً من غير ما بأس ولا خرس ، وكان الناس من وراء المحراب ينتظرونه أن يفتح لهم الباب فيدخلون ويصلون إذ خرج عليهم زكرياً متغيراً لونه فأنكروه فقالوا له : ما لك يا زكرياً؟ فأوحى أى أومئ إليهم ، ويقال : كتب فى الأرض أن سبحوا وصلوا لله عز وجل بكرة وعشيًا والسبحة الصلاة .

قوله : ﴿يَيْحَيُّ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ بجد ﴿وَأَتَيْنَهُ الْحُكْمَ﴾ يعنى الفهم ﴿صَيْبًا﴾ : يعنى فى حال صباه ، وقال معمر : جاء صبيان إلى يحيى بن زكرياً فقالوا : اخرج بنا نلعب ، فقال : ما للعب خلقت ، فأنزل الله عز وجل ﴿وَأَتَيْنَهُ الْحُكْمَ صَيْبًا﴾ ، ﴿وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا﴾ : رحمة من عندنا ، قال الخطيب لعمر بن الخطاب :

تحنن على هداك المليك      فإن لكل مقام مقالا

أى ترحم ، ومنه قوله : حنانيك مثل سعديك ، قال طرفة :

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا      حنانيك بعض الشر أهون من بعض

وأصله من حنين الناقة .

أخبرنا عبد الله بن حامد عن أحمد بن عبد الله عن محمد بن عبد الله بن سليمان عن عثمان عن حريز بن عبد الحميد عن أبى خالد عن عكرمة عن ابن عباس قال : ما أدرى ما حناناً إلا أن يكون يعطف رحمة الله عز وجل على عباده .

وأخبرنا عبد الله بن حامد عن حامد بن محمد عن بشر بن موسى عن هوذة عن عوف بلغنى فى قوله الله عز وجل : ﴿وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا﴾ قال : الحنان : المحبة ﴿وَرَكُودَةً﴾ قال ابن عباس يعنى بالزكاة طاعة الله عز وجل والإخلاص .

وقال الضحاك : هى الفعل الزاكي الصالح ، وقال الكلبي : يعنى صدقة تصدق والده بها



على أبويه<sup>(١)</sup>، وقيل: بركة ونماء وزيادة. وقيل: جعلناه طاهراً من الذنوب.

﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾: مسلماً مخلصاً مطيعاً.

أخبرنا سعيد بن محمد وعبد الله بن حامد قالا: أخبرنا علي بن عبدان، حدثنا أبو الأزهر، حدثنا ابن القطيعي قال: سمعت الحسن قال: إن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسى بيده ما من الناس عبد إلا قد همَّ بخطيئة أو عملها غير يحيى بن زكريا».

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾: باراً بهما لا يعصيهما ﴿وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا﴾: قال: متكبراً.

قال الحلبي: الجبار الذى يضرب ويقتل على الغضب.

﴿عَصِيًّا﴾: شديد العصيان لربه.

﴿وَسَلَّمَ عَلَيْهِ﴾: قال الحلبي: سلام له متاً حين ولد وحين يموت وحين يبعث حياً.

أخبرنا أبو محمد الأصفهاني وأبو صالح النيسابوري قالا: أنبأنا أبو حاتم التميمي، حدثنا أبو الأزهر السليطي، حدثنا رؤبة، حدثنا سعيد عن قتادة عن الحسن أن يحيى وعيسى عليهما السلام التقيا فقال له عيسى: استغفر لى فأنت خير منى، وقال يحيى: استغفر لى، أنت خير منى، فقال له عيسى: أنت خير منى، سلّمتُ على نفسى وسلّم الله عليك.



﴿وَأذْكَرُنِي الْكِتَابِ مَرِيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ وَهَرِيءَ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقُ عَلَيْكِ رُطْبًا جَنِيًّا ﴿فَكُلِي﴾

(١) هذا قول خاطئ فالله تعالى يَمُنُّ على عباده لا يتصدق عليهم، فالمتصدق يرجو الأجر والجزاء من المتصدق عليه أو من خلفه، وحاشا لله أن يرجو ثواباً أو جزاءً أو يخشى عقاباً، ولكنه سبحانه يَمُنُّ وَيُنْعِمُ ويتفضل وينح وهب عباده ما يشاء من الخير رحمة منه سبحانه وجل شأنه.

وَأَشْرَبِي وَقَرِي عَيْنًا فَمَا تَرِينَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِمَهُ  
 الْيَوْمَ إِنْشِيًا ﴿١٠٠﴾ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ۗ قَالُوا يَمْرَيْمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿١٠١﴾ يَكْأَخْتِ  
 هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءَ وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ بَغِيًّا ﴿١٠٢﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ  
 كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿١٠٣﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿١٠٤﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا  
 أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿١٠٥﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَاتِي وَوَدَّعَلْنِي جَبَّارًا  
 شَقِيًّا ﴿١٠٦﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٠٧﴾ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ  
 الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿١٠٨﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وُلْدٍ سُبْحَانَهُ ۗ إِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ  
 كُنْ فَيَكُونُ ﴿١٠٩﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۗ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿١١٠﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ  
 بَيْنِهِمْ قَوْلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١١١﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونا لَكِنِ الظَّالِمُونَ  
 الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١٢﴾ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١١٣﴾  
 إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿١١٤﴾

﴿وَأَذْكُرِي الْكِتَابَ﴾: القرآن ﴿مَرْيَمَ﴾ وهي ابنة عمران بن ماثان ﴿إِذْ أَنْتَبَذْتُ﴾.

قال قتادة: انفردت. الكلبي: تنحت وأصله من النبذة بفتح النون وضمها وهي الناحية،  
 يعني أنها اعتزلت وجلست ناحية ﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾: يعني مشرقة، وهي مكان في الدار مما يلي  
 المشرق، جلست فيها لأنها كانت في الشتاء.

قال الحسن: أتخذت النصراني المشرق قبلة لأن مريم انتبذت ﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ فَأَنْتَبَذْتُ:  
 فضربت ﴿مِنْ دُونِهِمْ جَبَابًا﴾: قال ابن عباس: سترًا، قال مقاتل: جعلت الجبل بينها وبين  
 قومها، قال عكرمة: إن مريم كانت تكون في المسجد ما دامت طاهرة، فإذا حاضت تحولت إلى  
 بيت خالتها حتى إذا طهرت عادت إلى المسجد، فبينما هي تغتسل من الحيض إذ عرض لها  
 جبرئيل في صورة شاب أمرد وضىء الوجه جعد الشعر سوى الخلق<sup>(١)</sup>.

فذلك قوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾: يعني جبرئيل (عليه السلام) وقيل: روح عيسى ابن

(١) نعوذ بالله من هذا القول وأمثاله ومن تأويل القرآن على غير وجهه أو التغالى أو التفريط فيه ونعوذ بالله أن نقول  
 فيمن اصطفى الله من رسول أو نبي أو صالح ما لا يجوز في حقه.

مريم إضافة إليه على التخصيص والتفضيل ﴿فَمَثَلٌ﴾: فتصور ﴿لَهَا بَشَرًا﴾ آدمياً ﴿سَوِيًّا﴾ لم ينقص منه شيء وإنما أرسله في صورة البشر لتثبت مريم عليها السلام وتقدر على استماع كلامه، ولو نزله على صورته التي هو عليها لفزعت ونفرت عنه ولم تقدر على استماع كلامه، فلما رأته مريم ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾: مؤمناً مطيعاً.

قال علي بن أبي طالب: علمت أن التقى ذو نهية، وقيل: كان تقى رجلاً من أعدل الناس في ذلك الزمان فقالت: إن كنت في الصلاح مثل التقى فإنى أعوذ بالرحمن منك، كيف يكون رجل أجنبي وامرأة أجنبية في حجاب واحد؟ قال لها جبرئيل: ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ﴾ أى يقول لأهب لك، وقرأ أبو عمرو ليهب بالياء ولداً ﴿غُلَامًا زَكِيًّا﴾: صالحاً تقياً ﴿قَالَتْ﴾: مريم ﴿أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾: ولم يقربنى روح ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ فاجرة وإنما حُذفت الهاء منه لأنه مصروف عن وجهه.

قال جبرئيل: ﴿كَذَلِكَ﴾: كما قلت يا مريم ولكن قال ربك وقيل هكذا ﴿قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىٰ هَيْبٍ﴾ خلق ولد من غير أب ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً﴾: علامة هذه ﴿لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾ لمن تبعه على دينه.

﴿وَكَانَ﴾: ذلك ﴿أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾: معدوداً مسطوراً في اللوح المحفوظ. ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾: وذلك أن جبرئيل (عليه السلام) رفع درعها فنفخ فى جيبه فحملت حين لبسته، وقيل: نفخ جبرئيل من بعيد نفخاً فوصل الريح إليها فحملت<sup>(١)</sup>، فلما حملت ﴿فَأَنْبَدَتْ﴾: خرجت وانفردت ﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾: بعيداً من أهلها من وراء الجبل، ويقال أقصى الدار.

قال الكلبي: قيل لابن عم لها يقال له يوسف: إن مريم حملت من الزنا لأن يقتلها الملك وكانت قد سميت له<sup>(٢)</sup> فأتاها فاحتملها، فهرب بها، فلما كان ببعض الطريق أراد يوسف ابن عمها قتلها فأتاه جبرئيل عليه السلام فقال له: إنه من روح القدس فلا تقتلها، فتركها، ولم يقتلها فكان معها. واختلفوا فى مدة حملها ووقت وضعها، فقال بعضهم: كان مقدار حملها تسعة أشهر كحمل سائر النساء، ومنهم من قال: ثمانية أشهر وكان ذلك آية أخرى لأنه لم

(١) وهذه التأويلات فى حديثها مع الروح لا يصح منه شيء، أما ما تؤمن به هو أن الروح تمثل لها على ما وصف الله، ودار بينهما الحديث على ما ذكر الله، ومن ادعى غير ذلك فيأت بأثارة من علم على صدق قوله، أو من أين عثر على ذلك العلم. اللهم إلا ما كتب بنو إسرائيل فى كتب النصارى من مثل هذه الصفات الشديدة التى لا ترعى حرمة لمسلم أو مسلمة أو نبى من أنبياء الله تعالى.

(٢) أى تكلموا فى أن يزوجهما له قبل ذلك الحال.

يعش مولود وضع لثمانية أشهر غير عيسى، وقيل: ستة أشهر، وقيل: ثلاث ساعات، وقيل: ساعة واحدة.

قال ابن عباس: ما هو إلا أن حملت فوضعت ولم يكن بين الحمل والانتباز إلا ساعة؛ لأن الله تعالى لم يذكر بينهما فصلا.

وقال مقاتل بن سليمان: حملته مريم في ساعة وصور في ساعة ووضعت في ساعة حين زالت الشمس من يومها، وهى بنت عشر سنين وقد كانت حاضت حيضتين قبل أن تحمل بعيسى<sup>(١)</sup>.

﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ﴾: ألبأها وجاء بها المخاض، وفى قراءة عبد الله آواها المخاض يعنى الحمل، وقيل: الطلق.

﴿إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾: وكانت نخلة يابسة فى الصحراء فى شدة الشتاء ولم يكن لها سعف. وروى هلال بن خباب عن أبى عبيد الله قال: كان جذعاً يابساً قد جىء به لىنى به بيت يقال له بيت لحم.

﴿قَالَتْ يَأْخُذْتَنِي مِنْ قَبْلِ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا﴾: قرأ يحيى بن وثاب والأعمش وحمزة: نسيًّا بفتح النون، والباقون بالكسر، وهما لغتان مثل: الوتر والوتر والحجر والحجر والجسر والجسر، وهو الشىء المنسى.

قال ابن عباس: يعنى شيئاً متروكاً، وقال قتادة: شيئاً لا يذكر ولا يعرف، وقال عكرمة والضحاك ومجاهد: حىضة ملقاة.

قال الربيع: هو السقط وقال مقاتل: يعنى كالشىء الهالك. قال عطاء بن أبى مسلم: يعنى لم أخلق، وقال الفراء: هو ما تلقىه المرأة من خرق اعتلالها، وقال أبو عبيد: هو ما نسى وأغفل من شىء حقير. قال الكميت:

أجعلنا جسراً لكلب قضاة  
ولست بنسى فى معد ولا دخل

أخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا حاجب بن محمد قال: حدثنا محمد بن حماد قال: حدثنا أبو معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت: لوددت أنى إذا متُّ كنت نسيًّا منسيًّا.

﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا﴾: قرأ الحسن وأبو جعفر وشيبة ونافع وابن وثاب والأعمش وحمزة (١) إن قُبِلَ أى قول قُبِلَ هذا فلا يقبل هذا حيث إن ابنة العشر سنين لا يظهر عليها كل هذا الصلاح الذى شهد لها به والورع والتقوى.

والكسائي: ﴿مِنْ تَحْتِهَا﴾ بكسر الميم وهو جبرئيل (عليه السلام) ناداها من سفح الجبل، وقرأ الباقون من تحتها بفتح الميم وهو عيسى لما خرج من بطنها ناداها: ﴿أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ قال الحسن: يعنى عيسى كان والله عبداً سرّياً أى ربيعاً، وقال سائر المفسرين: هو النهر الصغير، وقيل معنى قوله سبحانه: ﴿تَحْتَكِ﴾ أن الله تعالى جعل النهر تحت أمرها إن أمرته أن يجرى جرى وإن أمرته بالإمساك أمسك، كقوله عزّ وجلّ فيما أخبر عن فرعون: ﴿وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾ (الزخرف: ٥١) أى من تحت أمرى<sup>(١)</sup>، قال ابن عباس: فضرب جبرئيل، ويقال عيسى برجله الأرض فظهرت عين ماء عذب وجرى وحييت النخلة بعد يسها فأورقت وأثمرت وأرطبت، وقيل لمريم ﴿وَهَزَى إِلَيْكِ﴾: أى حرّكى ﴿بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾: يقول العرب: هزه وهزّه كما يقال: خذ الخطام وخذ بالخطام، وتعلّق بزيد وتعلّق زيدا، وخذ رأسه وخذ برأسه، وامدد الحبل، وامدد بالحبل، والجذع: الغصن، والجذع: النخلة نفسها.

﴿تَسْقِطُ﴾: قرأ البراء بن عازب ويعقوب وأبو حاتم وحماد ونصير: يساقط بالياء، وقرأ حفص تساقط بضم التاء وتخفيف السين وكسر القاف، وقرأ الأعمش وحمزة وأبو عبيد: تساقط بفتح التاء والقاف وتشديد السين، فمن أنث رده إلى النخلة ومن ذكره رده إلى الجذع والتشديد على الإدغام، والتخفيف على الحذف.

﴿رُطْبًا جَنِيًّا﴾: غصناً رطباً ساعة جنى.

وقال الربيع بن خيثم: ما للنساء عندي خير من الرطب ولا للمريض من العسل.

وقال عمرو بن ميمون: ما أدرى للمرأة إذا عسر عليها ولدها خير من الرطب لقول الله سبحانه: ﴿وَهَزَى إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا﴾.

وقالت عائشة رضی الله عنها: إن من السنة أن يمضغ التمر ويدلك به فم المولود، وكذلك كان رسول الله ﷺ يمضغ التمر ويحنك به أولاد الصحابة.

﴿فَكُلِي﴾: يا مريم من الرطب ﴿وَأَشْرِي﴾: من النهر ﴿وَوَقَرِي عَيْنًا﴾: وطيبى نفساً ﴿فَأِمَّا تَرِينِ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾: أى صمتاً ولذلك كان بقراءة ابن مسعود وأنس والصوم فى اللغة هو الإمساك عن الطعام والكلام، وفى الآية اختصار ﴿فَأِمَّا تَرِينِ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾: فسألك عن ولدك أو لأمك عليه ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾: يقال: إن الله أمرها أن تقول هذا إشارة ويقال: أمرها أن تقوله نطقاً ثم تمسك عن الكلام بعد هذا.

(١) هذا تأويل بعيد وما فائدة أن يجرى النهر أو يقف عن إذنها وما يعود عليها من ذلك، وما قيمته لامرأة فى حالة مخاض لا يهمها إلا الخلاص مما هى فيه من عناء الوضع وآلامه.

﴿فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ أَنْسِيًّا﴾ : يقال: كانت تكلم الملائكة ولا تكلم الإنس<sup>(١)</sup>.

﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾ : قال الكلبي: احتمل يوسف النجار مريم وابنها عيسى (عليه السلام) إلى غار فأدخلهما فيه أربعين يوماً حتى تعالت من نفاسها ثم جاء بها ﴿فَأَتَتْ﴾ : مريم ﴿بِهِ﴾ : بعيسى تحمله بعد أربعين يوماً، فكلمها عيسى في الطريق فقال: يا أماه أبشري فإني عبد الله ومسيحه، فلماً دخلت على أهلها ومعها الصبي بكوا وحزنوا، وكانوا أهل بيت صالحين.

﴿قَالُوا يَمْرُؤُا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ : فظيعاً منكراً عظيماً، قال أبو عبيدة: كل من عجب أو عمل فهو فرى، قال النبي ﷺ في عمر رضى الله عنه: «فلم أر عبقرياً يفري فريه» أى يعمل عمله، قال الراجز:

قد أطعمتني دقلاً حولياً      مسوساً مدوداً حجرياً

قد كنت تفرين به الفرياً

أى كنت تكثرين فيه القول وتعظمينه.

﴿يَتَأَخَتَ هَارُونَ﴾ : قال النبي ﷺ: «إنما عنوا هارون النبي أخا موسى لأنها كانت من نسله».

وقال قتادة وغيره: كان هارون رجلاً صالحاً من أتقياء بنى إسرائيل وليس بهارون أخى موسى، ذكر لنا أنه تبع جنازته يوم مات أربعون ألفاً كلهم يسمى هارون من بنى إسرائيل<sup>(٢)</sup>، وقال المغيرة بن شعبة: قال لى أهل نجران قوله: ﴿يَتَأَخَتَ هَارُونَ﴾ : وقد كان بين موسى وعيسى من السنين ما قد كان، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بالأنبياء والصالحين من قبلهم، وقال الكلبي: كان هارون أخا مريم من أبيها ليس من أمها وكان أمثل رجل فى بنى إسرائيل، وقيل: إن هارون كان من أفسق بنى إسرائيل وأظهرهم فساداً فشبّهوها به، وعلى هذا القول الأخت ها هنا بمعنى الشبه لا بمعنى النسبة، والعرب تسمى شبه الشيء أخته وأختاه، قال الله سبحانه: ﴿وَمَا نُزِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ (الزخرف: ٤٨) أى شبّهها.

(١) هذا تأويل بعيد، وإنما المراد هو الامتناع عن كلام الناس وليس له مفهوم مخالف بأنها تكلم غير الناس أو غير البشر.

(٢) هذا قول غاية فى المبالغة.

﴿ مَا كَانَ أَبُوكَ ﴾: عمران ﴿ أَمْرًا سَوًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ ﴾: حنة ﴿ بَغِيًّا ﴾: زانية فمن أين لك هذا الولد؟ ﴿ فَأَشَارَتْ ﴾: مريم إلى عيسى أن كلموه ف ﴿ قَالُوا كَيْفَ نَكَلِمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ أى من هو فى المهد وهو حجرها، وقيل: هو المهد بعينه وقد كان حشواً للكلام ولا معنى له كقوله: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ (آل عمران: ١١٠) أى أنتم خير أمة وكقوله: ﴿ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾ (الإسراء: ٩٣) أى هل أنا، وكقول الناس إن كنت صديقى فصلنى، قال زهير:

أجرت عليه حرّة أرحبيّة      وقد كان لون الليل مثل الأرنج  
وقال الفرزدق:

فكيف إذا رأيت ديار قومى      وجيران لنا كانوا كرام

أى وجيران لنا كرام، قال وهب: فأتاها زكريا عند مناظرتها اليهود فقال لعيسى: انطق بحجتك إن كنت أمرت بها، فقال عند ذلك وهو ابن أربعين يوماً. وقال مقاتل: هو يوم ولد<sup>(١)</sup>.

﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ﴾: فأقر على نفسه بالعبودية لله تعالى أول ما تكلم تكذيباً للنصارى وإلزاماً للحجة عليهم.

قال عمرو بن ميمون: إن مريم لما أتت قومها بعيسى أخذوا لها الحجارة ليرموها فلما تكلم عيسى تركوها، قالوا: ثم لم يتكلم عيسى بعد هذا حتى كان بمنزلة غيره من الصبيان.

روى عن النبي ﷺ أنه قال: خمسة تكلموا قبل إبان الكلام: شاهد يوسف، وولد ماشطة بنت فرعون، وعيسى، وصاحب جريج، وولد المرأة التى أحرقت فى الأخدود.

فأمّا شاهد يوسف فقد مرّ ذكره، وأمّا ولد الماشطة، فأخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا محمد بن خالد بن الحسن قال: حدّثنا داود بن سليمان قال: حدّثنا عبد بن حميد قال: حدّثنا الحسن بن موسى قال: حدّثنا حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ لما أسرى به مرّت به رائحة طيبة فقال: يا جبرئيل ما هذه الرائحة؟ قال: ماشطة بنت فرعون كانت تمشطها فوق المشط من يدها، فقالت: بسم الله، فقالت ابنته: أبى؟ فقالت: لا بل ربّى وربّك وربّ أبىك.

فقالت: أخبر بذلك أبى قالت: نعم، فأخبرته فدعا بها فقال: من ربّك؟ قالت: ربّى وربّك فى السماء، فأمر فرعون ببقرة من نحاس فأحميت فدعا بها وبولدها فقالت: إن لى إليك حاجة قال: ما هى؟ قالت: تجمع عظامى وعظام ولدى فتدفنها جميعاً فقال: ذلك لك

(١) هذا هو الصواب حسب سياق القصة فى القرآن، ولا اعتبار لغير ذلك.

علينا من الحق، فأمر بأولادها فألقى واحداً واحداً حتى إذا كان آخر ولدها وكان صبيّاً مرضعاً فقال: اصبري يا أمّاه فإنّنا على الحق، قال: ثم ألقيت مع ولدها.

وأما صاحب جريج فأخبرنا عبد الله بن حامد الأصبهاني قال: أخبرنا محمد بن الحسين الزعفراني قال: حدّثنا أحمد بن الخليل قال: حدّثنا يونس بن محمد المؤدب، قال: حدّثنا الليث بن سعد عن جعفر بن ربيعة عن عبد الرحمن بن هرمز عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، وأخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا محمد بن خالد بن الحسن قال: حدّثنا راشد بن سليمان قال: حدّثنا عبد بن حميد قال: حدّثنا هاشم بن القاسم قال: حدّثنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال عن أبي رافع عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «أن رجلاً يقال له جريج كان راهباً يتعبّد في صومعته فأنته أمّه لتسلّم عليه فنادته: يا جريج اطلع إلى أنظر إليك، فوافقته يصلى فقال: أمّي وصلاتي لربي، أوثر صلاتي لربي على أمّي، فانصرفت ثم جاءت الثانية فنادته: يا جريج كلّمني فوافقته يصلى فاختر صلاته، ثم جاءت الثالثة فاختر صلاته فقالت: إنّه أبى أن يكلمني، اللهم لا تمته حتى تنظر في وجهه زواني المدينة، قال: ولو دعت عليه أن يفتن لفتن». قال: وكان راعي ضأن يأوى إلى ديره، فخرجت امرأة من القرية فوقع عليها فحملت فولدت غلاماً فقيل لها: ممّن هذا؟ فقالت: من صاحب الصومعة، فأتوه وهدّموا صومعته وانطلقوا به إلى ملكهم، فلما مرّ على حوانيت الزواني خرجن، فتبسم وعرف أنّه دعاء أمّه، فقالوا: لم يضحك حين مرّ على الزواني؟! فلما أدخل على ملكهم قال جريج: أين الصبي الذي ولدت؟ فأنتى به فقال له جريج: من أبوك؟ قال: أبى فلان الراعى، فأبرأ الله سبحانه جريجاً وأعظمه الناس، وقالوا: بنى لك ديرك بالذهب والفضة قال: لا ولكن أعيدوه كما كان، ثمّ علاه».

وأما ولد صاحبة الأخدود فسنذكرها في موضعها إن شاء الله.

﴿آتَلَنِي الْكَتَبَ﴾: يعنى يؤتيني الكتاب لفظه ماض ومعناه مستقبل، وقيل: إنه أخبر عمّا كتب له في اللوح المحفوظ كما سئل النبي ﷺ: متى كُنت نبياً؟ قال: «كُنت نبياً وآدم بين الروح والجسد».

وقيل: معناه علمني وألهمني التوراة في بطن أمي<sup>(١)</sup>.

﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾: معلماً للخير ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾: وقيل: مباركاً على من اتّبع

(١) هذه مبالغة في التفسير، حيث لا تكليف له حتى يبلغ الحلم ويكتمل عقله ويوحى إليه، وهذه الأمور من البديهيات.



دينى وأمرى ﴿وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۖ وَبِرًّا﴾ : أى وجعلنى برًّا ﴿يَوْمَ الَّذِي وَاوَّعَانِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ .

أخبرنا شعيب بن محمد البيهقى وعبد الله بن حامد قالوا : أخبرنا مكى بن عبدان ، قال : حدثنا أحمد بن الأزهر قال : حدثنا روح بن عبادة قال : حدثنا سعيد عن قتادة قال : ذكر لنا أن امرأة رأت عيسى ابن مريم يُحيى الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص فى آيات أذن الله له فيهن فقالت : طوبى للبطن الذى حملك والثدى الذى أرضعت به ، فقال ابن مريم يجيئها : طوبى لمن تلا كتاب الله واتبع ما فيه ولم يكن جباراً شقيماً ، وكان يقول : سلونى فإن قلبى لئن وإنى صغير فى نفسى ، مما أعطاه الله سبحانه من التواضع .

﴿وَأَلْسَلْنَا عَلَى يَوْمٍ وُلِدْتُ وَيَوْمٍ أَمُوتُ وَيَوْمٍ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ : يعنى هو قول الحق ، وقيل : رفع على التكرير يعنى ذلك عيسى ابن مريم وذلك قول الحق ، وقيل : هو نعت لعيسى يعنى ذلك عيسى ابن مريم كلمة الله ، والحق هو الله سبحانه .

وقرأ عاصم وابن عامر ويعقوب قول بالنصب يعنى قول الحق : ﴿الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ يشكون ويقولون غير الحق ، فقالت اليهود : ساحر كذاب ، وقالت النصارى : ابن الله وثالث ثلاثة ، ثم كذبهم فقال : ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وُلْدٍ﴾ أى ما كان من صفته اتخاذاً الولد ، وقيل : اللام منقولة يعنى ما كان الله ليتخذ من ولد ﴿سُبْحٰنَهُ﴾ : نزه نفسه ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ : كان فى علمه ﴿فَأَنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ وَإِنَّ اللَّهَ : يعنى وقضى أن الله ، وقرأ أهل الكوفة إن الله بالكسر على الاستئناف ﴿رَبِّي وَرَبِّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا﴾ : الذى ذكرت ﴿صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ فَأَخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ : يعنى النصارى ، وإنما سموا أحزاباً لأنهم تجزءوا ثلاث فرق فى أمر عيسى : النسطورية<sup>(١)</sup> والملكانية<sup>(٢)</sup> والماريقوبية<sup>(٣)</sup> .

﴿قَوْلِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ : يعنى يوم القيامة ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ : يعنى ما أسمعهم وأبصرهم ، على التعجب ، وذلك أنهم سمعوا يوم القيامة حين لم ينفعهم السمع ، وأبصروا حين لم ينفعهم البصر .

قال الكلبي : لا أحد يوم القيامة أسمع منهم ولا أبصر حين يقول الله سبحانه وتعالى لعيسى : ﴿ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ (المائدة: ١١٦) الآية .

(١) هم الذين قالوا عن سيدنا عيسى : هو ابن الله .

(٢) هم الذين قالوا عنه : ثالث ثلاثة .

(٣) هم الذين قالوا عنه : هو الله . لعنهم الله جميعاً بما قالوا .

﴿يَوْمَ يَأْتُونََنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ: أي فرغ من الحساب وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وذهب الموت ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾: من الدنيا.

أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان قال: أخبرنا مكى بن عبدان قال: حدثنا عبد الله بن هاشم قال: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَبِشٌ أَمْلَحُ فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيُشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيَذْبَحُ ثُمَّ ينادى المنادى: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خَلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خَلُودٌ فَلَا مَوْتَ، فَيَزِدَادُ أَهْلَ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ وَيَزِدَادُ أَهْلَ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ وأشار بيده في الدنيا.

وقال مقاتل: لولا ما قضى الله سبحانه وتعالى من تخليد أهل النار وتعميرهم فيها لماتوا حسرة حين رأوا ذلك.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾: أي نمتهم ويبقى الرب عز وجل فيرثهم.

﴿وَالَّذِينَ يَرِجُونَ﴾: فنجزهم بأعمالهم.



﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿يَتَّابِتْ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿يَتَّابِتْ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿يَتَّابِتْ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُسَكَّ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ عِبَادِ اللَّهِ يَتَّبِعُونَ إِبْرَاهِيمَ لَنْ لَمْ نَنْهَ لِأَرْجَمَنَّكَ وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا ﴿قَالَ سَلِمْتُ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿وَأَعْتَزِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿فَلَمَّا أَعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿وَنَنْدِيئُهُ مِنْ جَانِبِ

الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿١٧٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿١٨٠﴾ وَأَذْكُرُ فِي  
الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿١٨١﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ  
وَالزُّكُوتِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿١٨٢﴾

﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا﴾ : مؤمنًا موفقًا صدوقًا ﴿نَبِيًّا﴾ : رسولاً رفيحاً  
﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ : أزر وهو يعبد الأوثان ﴿يَتَّابِتْ لِرَبِّعْبُدْ مَا لَا يَسْمَعُ﴾ : صوتاً ﴿وَلَا يَبْصُرُ﴾ : شيئاً  
﴿وَلَا يُغْنِي عَنْكَ﴾ لا ينفعك ولا يكفيك ﴿شَيْئًا﴾ : يعنى الأصنام ﴿يَتَّابِتْ لِيْ قَدْ جَاءَنِي مِنَ  
الْعِلْمِ﴾ : والبيان بعد الموت وأن من غيره عذبه ﴿مَا لَرَبِّيَ أَتَى فَاتَّبَعَنِي﴾ : على ديني ﴿أَهْدِكَ صِرَاطًا  
سَوِيًّا﴾ : مستويًا .

﴿يَتَّابِتْ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾ : لا تطعه، لم تصل له ولم تصم وإن من أطاع شيئاً فقد عبده  
﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ : عاصياً عاتياً، وكان بمعنى الحال أى هو، وقيل بمعنى :  
صار .

﴿يَتَّابِتْ لِيْ أَخَافُ﴾ : أعلم<sup>(١)</sup> ﴿أَنْ يَسَّكَ﴾ : يصيبك ﴿عَذَابٍ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ : لقوله : ﴿إِلَّا  
أَنْ يَخَافَا﴾ (البقرة: ٢٢٩)، وقوله : ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يَفِيمَا﴾ (البقرة: ٢٢٩)، وقيل : معناه إني أخاف أن  
ينزل عليك عذاباً فى الدنيا ﴿فَتَكُونُ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ : قريناً فى النار، فقال له أبوه مجيباً له  
﴿أَرَأَيْبُ أَنْتَ عَنِ الْهَيْبَةِ يَتَابِرَ هَيْبَةً﴾ : تارك عبادتهم وزاهد فيهم ﴿لَنْ لَرَبِّهِ تَنْهَى﴾ : لئن لم تسكت  
وترجع عن مقاتلتك ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ : قال الضحاک ومقاتل والكلبي : لأشتمنك، وقال ابن  
عباس : لأضربنك، وقيل لأظهرن أمرك ﴿وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا﴾ : قال الحسن وقتادة وعطاء : سالماً،  
وقال ابن عباس : واعتزلنى سالم العرض لا يصيبنك منى معرة، وقال الكلبي : اتركنى  
واجتنبنى طويلاً فلا تكلمنى، وقال سعيد بن جبیر : دهرأ، وقال مجاهد وعكرمة : حيناً،  
وأصل الحرف المكث، ومنه يقال : تمليت حيناً، والمألوان الليل والنهار .

﴿قَالَ﴾ : إبراهيم ﴿سَلَّمْ عَلَيْكَ﴾ : أى سلمت منى لا أصيبك بمكروه ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ  
كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ : قال ابن عباس ومقاتل : لطيفاً رحيماً، وقيل : بارأ، وقال مجاهد : عوداً  
الإجابة، وقال الكلبي : عالماً يستجيب لى إذا دعوته .

﴿وَأَعْتَزَلَكَ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ : يعنى وأعتزل ما تعبدون من دون الله، قال مقاتل :  
كان اعتزاله إياهم أنه فارقهم من كوثرى فهاجر منها إلى الأرض المقدسة .

(١) الأصبوب أن يقول المفسر : أحذر أو أتخوف أو أشفق عليك من أن يصيبك عذاب الله .

﴿وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾: يعنى عسى أن يجيبني ولا يخيبني، وقيل: معناه عسى أن لا أشقى بدعائه وعبادته كما تشقون أنتم عبادة الأصنام.

﴿فَلَمَّا آخَرَتْهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ﴾: ما يدعون ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾: يعنى الأصنام فذهب مهاجراً ﴿وَهَبْنَا لَهُمْ﴾: بعد الهجرة ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾: يعنى إبراهيم وإسحاق ويعقوب ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا﴾: نعمتنا، قال الكلبي: المال والولد، وقيل: النبوة والكتاب، بيانه قوله: ﴿أَهْرَ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ (الزخرف: ٣٢).

﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾: يعنى ثناءً حسناً رفيعاً فى كل أهل الأديان، وكل أهل دين يتولونهم ويشنون عليهم.

﴿وَأَذْكُرْفِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا﴾: يعنى غير مرء، قال مقاتل: مسلماً موحداً، وقرأ أهل الكوفة: ﴿مُخْلَصًا﴾ بفتح اللام يعنى أخلصناه واخترناه ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ وَتَلَدَيْنَهُ: دعوانه وكلّمناه ليلة الجمعة ﴿مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾: يعنى يمين موسى، والطور: جبل بين مصر ومدين ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾: يعنى رفعناه من سماء إلى سماء ومن حجاب إلى حجاب حتى لم يكن بينه وبينه إلا حجاب واحد.

وأخبرنا عبد الله بن حامد الوزان قال: أخبرنا مكّي بن عبدان قال: حدّثنا أبو الأزهر قال: حدّثنا أسباط عن عطاء بن السائب عن مسرة ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾: قال: قرّبه حتى سمع صريف القلم، والنجى: المناجى كالجلس والنديم.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾: وذلك حين سأل موسى ربه عزّ وجلّ فقال: ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِنْ أَهْلِ هَارُونَ أَخِي﴾ (طه: ٢٩، ٣٠) حين قال: ﴿فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ﴾ (الشعراء: ١٣) فأجاب الله دعاءه.

﴿وَأَذْكُرْفِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ﴾: يعنى ابن إبراهيم ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾: كان إذا وعد أنجز، وذلك أنه وعد رجلاً أن يقيم مكانه حتى يرجع إليه فأقام إسماعيل مكانه ثلاثة أيام للميعاد حتى يرجع إليه الرجل، قاله مقاتل، وقال الكلبي: انتظره حتى حال الحول عليه<sup>(١)</sup>. ﴿وَكَانَ رَسُولًا﴾: إلى قومه ﴿نَبِيًّا﴾: مخبراً عن الله سبحانه.

(١) كلاً القولين فيه مبالغة، وليس نبى الله بهذه السذاجة ولا هذا التفريط ولا هذا الإفراط حيث إن وراءه من الالتزامات الشرعية الكثير والكثير خلال الساعة الواحدة فضلاً عن اليوم ثم الحول، فارحموا عقول البسطاء من المسلمين يرحمكم الله، وهذا الوصف من الله تعالى لنبىه إسماعيل كوصف سيدنا محمد ﷺ أنه بالمؤمنين رؤوف رحيم فكل نبى رؤوف رحيم، وكذلك كل نبى صادق الوعد، وكوصفهم للنبى أيضاً بأنه الصادق الأمين، فكل نبى صادق وأمين، وقد تغلب صفة فى حال فيقتضى بها الوصف، والله أعلم.

﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ﴾ : يعنى قومه وكذلك هو فى حرف ابن مسعود ﴿بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ : صالحًا زاكيًا .



﴿وَأذْكَرْفِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِيقًا نَبِيًّا﴾ وَرَفَعْنَهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿١٨١﴾  
 أَوْلَيْكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ  
 إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْتَنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا  
 ﴿١٨٢﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا  
 إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿١٨٣﴾  
 جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴿١٨٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا  
 لُعْنًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١٨٥﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ  
 تَقِيًّا ﴿١٨٦﴾ وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ  
 نَسِيًّا ﴿١٨٧﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿١٨٨﴾  
 وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَاتَ لَسَوْفَ أُخْرَجَ حَيًّا ﴿١٨٩﴾ أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْتُهُ مِنْ  
 قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿١٩٠﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿١٩١﴾ ثُمَّ  
 لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَهْمًا أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ﴿١٩٢﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا  
 صِلِيًّا ﴿١٩٣﴾

﴿وَأذْكَرْفِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ﴾ : وهو جدّ أبى نوح ، فسَمَى إِدْرِيسَ لكثرة درسه الكتب ،  
 واسمه أخنوخ وكان خياطًا ، وهو أول من كتب بالقلم وأول من خاط الثياب ولبس الخيط  
 وأول من تكلم فى علم النجوم والحساب ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِيقًا نَبِيًّا﴾ وَرَفَعْنَهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿١٨١﴾ : يعنى  
 الجنة .

وقال الضحاك : رفع إلى السماء السادسة ، وقيل : الرابعة .

أخبرنا عبد الله بن حامد الأصبهاني وشعيب بن محمد البيهقي قالا : أخبرنا مكى بن عبدان  
 التميمي قال : حدثنا أحمد بن الأزهر قال : حدثنا روح قال : حدثنا سعيد عن قتادة فى قوله :

﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ قال: حدثنا أنس بن مالك بن صعصعة أن النبي ﷺ لما عرج به إلى السماء قال: «أتيت على إدريس في السماء: الرابعة».

وكان سبب رفعه على ما قاله ابن عباس وكعب وغيرهما أنه سار ذات يوم في حاجة فأصابه وهج الشمس فقال: يا رب أنا مشيت يوماً فكيف بمن يحملها خمسمائة عام في يوم واحد؟ اللهم خفف عنه من ثقلها واحمل عنه حرّها، فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرّها ما لا يعرف، فقال: يا رب خلقتني لحمل الشمس فما الذي قضيت فيه؟ قال: أما إن عبدى إدريس سألتني أن أخفف عنك حملها وحرّها فأجبتّه، فقال: يا رب اجمع بينى وبينه واجعل بينى وبينه خلّة، فأذن له حتى أتى إدريس وكان يسأله إدريس فكان ممّا سأله أن قال له: أخبرت أنك أكرم الملائكة وأمكنهم عند ملك الموت فاشفع لى إليه ليؤخر أجلى فأزاد شكراً وعبادة، فقال الملك: لا يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها قال: قد علمت ذلك ولكنه أطيب لنفسى، فقال: نعم أنا مكلمه لك فما كان يستطيع أن يفعل لأحد من بنى آدم فهو فاعله لك، ثم حمّله ملك الشمس على جناحه فرفعه إلى السماء ووضعته عند مطلع الشمس، ثم أتى ملك الموت فقال: حاجة لى إليك، فقال: أفعل كلّ شىء أستطيعه قال: صديق لى من بنى آدم تشفع بى إليك لتؤخر أجله قال: ليس ذلك لى ولكن إن أحببت أعلمته أجله متى يموت فيقدم فى نفسه، قال: نعم، فنظر فى ديوانه وأخبر باسمه فقال: إنك كلّمتمنى فى إنسان ما أراه يموت أبداً، قال: وكيف؟ قال: لا أجده يموت إلا عند مطلع الشمس، قال: إتنى أتيتك وتركته هناك، قال: انطلق فما أراك تجده إلا وقد مات، فوالله ما بقى من أجل إدريس شىء، فرجع الملك فوجده ميتاً<sup>(١)</sup>.

وقال وهب: كان يرفع لإدريس كلّ يوم من العبادة مثل ما يرفع لجميع أهل الأرض فى زمانه، فعجبت منه الملائكة واشتاق إليه ملك الموت فاستأذن ربّه فى زيارته فأذن له فاتاه فى صورة بنى آدم، وكان إدريس صائماً يصوم الدهر، فلما كان وقت إفطاره دعاه إلى طعامه فأبى أن يأكل معه ففعل ذلك ثلاث ليال فأنكره إدريس فقال له الليلة الثالثة: إنى أريد أن أعلم من أنت، قال: أنا ملك الموت استأذنت ربى أن أصحبك فأذن لى، قال: فلى إليك حاجة، قال: وما هى؟ قال: تقبض روحى، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه أن اقبض روحه، فقبض روحه

(١) انظر بالله عليك أليس مثل هذه الحكاية تصلح أن تدخل فى أدب الرحلات للأطفال، غفر الله لمن ذب عن هذا الدين ما ليس منه وجرده لمن يرجو وجه ربه، وحفظ للأنبيا قدسيّتهم ومكانتهم التى وضعهم الله فيها بغير إفراط ولا تفريط.

وردها الله عليه بعد ساعة .

قال له ملك الموت : ما الفائدة فى سؤالك قبض الروح؟ قال : لأذوق كرب الموت وغمته فأكون له أشد استعداداً، ثم قال إدرىس له : لى إليك حاجة أخرى ، قال : وما هى؟ قال : ترفعى إلى السماء لأنظر إليها وإلى الجنة وإلى النار، فأذن الله له فى رفعه إلى السموات ، فلما قرب من النار قال : حاجة قال : وما تريد؟ قال : تسأل مالكا حتى يفتح لى بابها فأردها ، ففعل ثم قال : فكما أريتنى النار فأرئى الجنة ، فذهب به إلى الجنة فاستفتح ففتحت أبوابها فأدخله الجنة ، ثم قال له ملك الموت : اخرج لتعود إلى مقرك فتعلق بشجرة وقال : لا أخرج منها ، فبعث الله ملكا حكما بينهما ينظر فى قولهما فقال له الملك : ما لك لا تخرج؟ قال : لأن الله تعالى قال : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ (آل عمران: ١٨٥) وقد ذقته ، وقال : ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ (مريم: ٧١) وقد وردتها ، وقال : ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ (الحجر: ٤٨) فلست أخرج ، فأوحى الله سبحانه إلى ملك الموت : دخل الجنة وبأمرى يخرج ، فهو حى هناك فذلك قوله : ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ (١).

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ : فى السفينة ﴿وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا إِلَى الْإِسْلَامِ﴾ وأجبتنا على الأنام ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ﴾ يعنى القرآن ﴿خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ جمع بك تقديره من الفعل فعول مثل ساجد وسجود وراكع وركوع وقاعد وقعود، جمع على لفظ المصدر، نزلت فى مؤمنى أهل الكتاب ، عبد الله بن سلام وأصحابه .

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَدْهِمْ﴾ يعنى من بعد النبيين المذكورين ﴿خَلَفٌ﴾ وهم قوم سوء ، والخلف بالفتح الصالح ، والخلف بالجزم الطالح ، والخلف بسكون اللام الردىء من كل شىء ، وهم فى هذه الآية اليهود ومن لحق بهم . وقال مجاهد وقتادة : فى هذه الأمة .

﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾ : أى تركوا الصلوات المفروضة ، قال ابن مسعود وإبراهيم والقاسم بن مخيمرة : أخروها عن مواقيتها وصلّوها بغير وقتها .

وقال قرّة بن خالد : استبطأ الضحاك مرّة امتراءً فى صلاة العصر حتى كادت الشمس تغرب فقرأ هذه الآية : ﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾ ثم قال : والله لئن أدعها أحبّ إلىّ من أن أضيّعها ، وقرأ الحسن : أضاعوا الصلوات . ﴿وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾ قال مقاتل : استحلووا نكاح الأخت من الأب ،

(١) انظر كيف وصفوا أنبياء الله بالكر ، والملائكة بالجهل ، والله بالعجز وخلف الوعد ، عافانا الله مما وقعوا فيه ورزقنا حسن الختام بالموت على دين الله الإسلام .

وقال الكلبي: يعني اللذات وشرب الخمر وغيره، قال مجاهد: هذا عند اقتراب الساعة وذهاب صالحى أمة محمد ﷺ، ينزو بعضهم على بعض فى السكك والأزقة زناة.

وروى أبو سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ فى هذه الآية قال: يكون خلف من بعد ستين سنة ﴿أَصَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾ الآية.

وقال على بن أبى طالب: «هذا إذا بنى المشيد وركب المنظور ولبس المشهور»، وقال وهب: فخلف من بعدهم خلف شرابون للقهوات، لعابون بالكعبات، ركابون للشهوات، متبعون للذات، تاركون للجُمعات، مضيعون للصلوات، وقال كعب: يظهر فى آخر الزمان أقوام بأيديهم سياط كأذنان البقر يضربون الناس، ثم قرأ: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَدِيرِهِمْ خَلْفٌ أَصَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾.

﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾: قال عبد الله بن مسعود: الغى نار فى جهنم، وقال ابن عباس: الغى واد فى جهنم وإن أودية جهنم لتستعيد من حرها، أعد ذلك الوادى للزانى المصر عليه، ولشارب الخمر المدمن عليها، ولأكل الربا الذى لا ينزع عنه، ولأهل العقوق، ولشاهد الزور، ولا امرأة أدخلت على زوجها ولدًا. وقال عطاء: الغى واد فى جهنم يسيل قيحًا ودمًا. وقال وهب: الغى نهر فى النار بعيد قعره، خبيث طعمه، وقال كعب: هو واد فى جهنم أبعدا قعرًا وأشدّها حرًا، فيه بئر تسمى البهيم كلما خبت جهنم فتح الله تلك البئر فسعر بها جهنم، وقال الضحاك: خسرانًا وقيل: عذابًا، وقيل: ألمًا، وقيل: كفرًا.

﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ جَنَّتِ عَدْنِ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ: ولم يروها ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا﴾: يعنى آتيا، قال الأعشى:

❖ وساعت معصيا إليها وشاتها ❖

أى عاصيا.

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾: فى الجنة ﴿أَنفُوا﴾: باطلاً وفحشاً وفضولاً من الكلام، قال مقاتل: يمينا كاذبة ﴿إِلَّا سَلَامًا﴾: استثناء من غير جنسه يعنى بل يسمعون فيها سلاماً أى قولاً يسلمون منه، وقال المفسرون: يعنى تسليم بعضهم على بعض تسليم الملائكة عليهم ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾: يعنى على مقدار طرفى النهار.

أخبرنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن جعفر بقراءة تى عليه قال: حدثنا أبو الحسن على بن محمد بن سخته قال: حدثنا موسى بن هارون قال: حدثنا بشر بن معاذ الضيرير قال: حدثنا عامد بن سباق عن يحيى بن أبى كثير قال: كانت العرب فى زماننا من وجد غداء مع عشاء



فذلك هو الناعم، فأنزل الله سبحانه: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ قدر ما بين غدائهم وعشائهم.

أخبرنا محمد بن أحمد بن جعفر قال: حدثنا علي بن محمد بن سختهويه قال: حدثنا موسى بن هارون قال: حدثنا داود بن رشيد قال: حدثنا الوليد بن مسلم قال: سألت زهير بن محمد عن قول الله سبحانه: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ قال: ليس فى الجنة ليل، هم فى نور أبداً وإنما يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحجب، ومقدار النهار برفع الحجب.

﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا﴾: وقرأ يعقوب: نورث بالتشديد، والاختيار التخفيف؛ لقوله ثُمَّ أَوْرَثْنَا ﴿مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ وَمَا نَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴿الآية.

أخبرنا عبد الله بن حامد وشعيب بن محمد قالا: أخبرنا مكى بن عبدان قال: حدثنا أبو الأزهر قال: حدثنا روح بن عبادة، قال: حدثنا عمر بن ذر عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: يا جبرئيل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟ فأنزل الله سبحانه ﴿وَمَا نَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾.

وقال مجاهد: أبطأت الرسل على رسول الله ﷺ ثم أتاه جبرئيل فقال: ما حبسك؟ فقال: وكيف نأتيكم وأنتم لا تقصون أظفاركم ولا تأخذون شواربكم ولا تستاكون؟ فأنزل الله سبحانه ﴿وَمَا نَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ الآية.

وقال عكرمة والضحاك ومقاتل وقتادة والكلبي: احتبس جبرئيل عن النبي ﷺ حين سأله قومه عن قصة أصحاب الكهف وذى القرنين والروح فلم يدر ما يجيبهم، ورجا أن يأتيه جبرئيل بجواب ما سأله فأبطأ عليه قال عكرمة: أربعين يوماً. وقال مجاهد: اثنتى عشرة ليلة وقيل: خمس عشرة. فشق ذلك على رسول الله ﷺ مشقة شديدة، وقال المشركون: ودعه ربه وقلاه، فلما أنزل جبرئيل قال له رسول الله ﷺ: «أبطأت على حتى ساء ظننى واشتقت إليك»، فقال له جبرئيل: إني كنت أشوق إليك ولكنى عيبت مأمور إذا بعثت نزلت وإذا حبست احتبست، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا نَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ وأنزل: ﴿وَالصَّحَىٰ وَالْيَلِيلُ إِذَا سَجَىٰ ۗ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ (الضحى: ١-٣).

وقيل: هذا إخبار عن أهل الجنة، أنهم يقولون عند دخولها: ما تنزل هذه الجنان إلا بأمر الله ﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ قال مقاتل: له ما بين أيدينا من أمر الآخرة ﴿وَمَا خَلَفْنَا﴾ من أمر الدنيا ﴿وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾: يعنى بين النفتين، وبينهما أربعون سنة، وقيل: كان له ابتداء خلقنا وله كان منتهى آجالنا، وله كان مدة حياتنا.

ويقال: ﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ من الثواب والعقاب وأمور الآخرة ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾: ما مضى من أعمالنا في الدنيا ﴿وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ أى ما يكون منا إلى يوم القيامة. ويقال: ﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ قيل أن يخلقنا ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾: بعد أن يميتنا ﴿وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾: ما هو فيه من الحياة، ويقال: ﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ إلى الأرض إذا أردنا النزول إليها ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾: أى السماء إذا نزلنا منها ﴿وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ يعنى السماء والأرض، يريد أن كل ذلك لله سبحانه فلا تقدر على فعل إلا بأمره.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾: أى ناسياً إذا شاء أن يرسل إليك أرسل. ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ أى واصبر على عبادته ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ قال ابن عباس: مثلاً، وقال سعيد بن جبير: عدلاً، وقال الكلبي: هل تعلم أحداً يسمى الله غيره.

﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ﴾: يعنى أبى بن خلف الجمحى ﴿أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ﴾: من القبر ﴿حَيًّا﴾: استهزاءً وتكديباً منه بالبعث.

قال الله سبحانه ﴿أَوْ لَا يَذْكُرُ﴾: أى يتذكر ويتفكر، والأصل يتذكر، وقرأ ابن عامر ونافع وعاصم ويعقوب بالتحفيف، والاختيار التشديد لقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (الرعد: ١٩) وأخواتها، يدل عليه قراءة أبى (يتذكر الإنسان) يعنى أبى بن خلف الجمحى ﴿أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَرَأَيْكَ شَيْئًا﴾: ثم أقسم بنفسه فقال: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ لنجمعهم فى المعاد يعنى المشركين المنكرين للبعث ﴿وَالشَّيْطِينَ﴾ مع الشياطين يعنى قرناءهم الذين أضلّوهم يُقرن كل كافر مع شيطان فى سلسلة ﴿ثُمَّ لَنُخْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾: يعنى فى جهنم ﴿جِيئًا﴾: قال ابن عباس: جماعات جماعات، وقال مقاتل: جميعاً وهو على هذا القول جمع جثوة، وقال الحسن والضحاك: جاثية على الركب وهو على هذا التأويل جمع جاث. قال الكميت:

هم تركوا سراتهم جثياً<sup>(١)</sup> وهم دون السراة مغربلينا

﴿ثُمَّ لَنُنزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ﴾: لنخرجن من كل أمة وأهل دين ﴿أَبْهَمُّ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾ عتواً قال ابن عباس: يعنى جرأة.

وقال مجاهد: فجوراً وكذباً.

قال مقاتل: علواً، وقيل: غلواً فى الكفر، وقيل: كفراً.

وقال الكلبي: قائدهم رأسهم فى الشر.

أخبرنا عبد الله بن حامد قال: حدثنا محمد بن يعقوب قال: حدثنا الحسن بن على قال: حدثنا أبو أسامة عن سفيان عن على بن الأرقم عن أبى الأحوص قال: نبدأ بالأكابر فالأكابر

(١) تمة البيت فى القرطبي: وهم دون السراة مقرئينا

﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾<sup>(١)</sup>: أى أحق بدخول النار، يقال: صلى يصلى صلياً مثل لقي يلقى لقياً وصلى يصلى صلياً مثل مضى يمضى مضياً.



﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿١٥﴾ وَإِذَا تَنَادَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِءْيَا ﴿١٧﴾ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ﴿١٨﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَيْقِيَّتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ﴿١٩﴾ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِءَايَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٢٠﴾ أَطَاعَ الْغَيْبَ أَمْ آتَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٢١﴾ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٢٢﴾ وَرَبُّهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٢٣﴾ وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٢٤﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٢٥﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكٰفِرِينَ تُوْزَعُهُمْ أَزًّا ﴿٢٦﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعِدُّ لَهُمْ عَذَابًا ﴿٢٧﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴿٢٨﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِدًّا ﴿٢٩﴾ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنْ آتَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٣٠﴾ ﴿

﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾: قيل: فى الآية إضمار مجازه: والله إن منكم يعنى ما منكم من أحد إلا واردها يعنى النار، واختلف الناس فى معنى الورد حسب اختلافهم فى الوعيد، فأما الوعيد فإنهم قالوا: إن من دخلها لم يخرج منها، وقالت المرجئة: لا يدخلها مؤمن، واتفقوا على أن الورد هو الحضور والمرور، فأما أهل السنة فإنهم قالوا: يجوز أن يعاقب الله سبحانه العصاة من المؤمنين بالنار ثم يخرجهم منها، وقالوا: معنى الورد: الدخول، واحتجوا بقول الله سبحانه حكاية عن فرعون: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدُهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ

(١) فى المخطوط: (صلياً) وهى قراءة نافع، ورسمت فى مصحف حفص المطبوع والمتداول فلا حظ ذلك لأن على ما كان رسم فى المخطوط يدور الشرح.

﴿الْمُورُودُ﴾ (هود: ٩٨)، وقال في الأصنام وعبدها ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ لَوْ كَانَ هَتُؤَآءَ إِلَهَةٍ مَا وَّرَدُوهَا﴾ (الأنبياء: ٩٨-٩٩)، فلو لم يكن الورد في هذه الآيات بمعنى الدخول لوجب أن يدخل الأصنام وعبدها وفرعون وقومه الجنة لأن من مرَّ على النار فلا بد له من الجنة لأنه ليس بعد الدنيا دار إلا الجنة أو النار، والذي يدل على أن الورد هو الدخول قوله في سياق الآية ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾: والنجاة لا تكون إلا ما دخلت فيه وأنت ملقى فيه، قال الله سبحانه: ﴿وَنُنَجِّنُهُ مِنَ الْعَمَلِ الَّذِي كَذَّبَ بِتِلْكَ الْآيَاتِ﴾ (الأنبياء: ٨٨)، واللغة تشهد لهذا، تقول العرب: ورد كتاب فلان، ووردت بلد كذا، لا يريدون جزت عليها وإنما يريدون دخلتها، ودليلنا أيضاً من السنة:

أخبرنا أبو محمد عبد الله بن حامد الفقيه قال: حدثنا أحمد بن عبد الله المزني قال: حدثنا محمد بن نصر بن منصور الصائغ الشيخ الصالح قال: حدثنا سليمان بن حرب قال: حدثنا أبو صالح غالب بن سليمان عن كثير بن زياد البرساني عن أبي سمية قال: اختلفنا في الورد هاهنا بالبصرة فقال قوم: لا يدخلها مؤمن، وقال آخرون: يدخلونها جميعاً، فلقيت جابر بن عبد الله فسألته فأهوى بإصبعيه إلى أذنيه وقال: صممتا إن لم أكن سمعت النبي ﷺ يقول: «الورد: الدخول، لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمن برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم، حتى إن للنار - أو جهنم - ضجيجاً لمن تردهم» ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا﴾.

وأخبرنا شعيب بن محمد وعبد الله بن حامد قالوا: أخبرنا مكي بن عبدان قال: حدثنا أحمد بن الأزهر قال: حدثنا روح بن عبدان قال: حدثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار أن نافع ابن الأزرق ما رأى ابن عباس يقول: الورد الدخول ويقول نافع ليس الورد الدخول فتلا ابن عباس ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ (الأنبياء: ٩٨) أدخل هؤلاء أم لا؟ ﴿فَأُورِدُهُمُ النَّارَ وَبَسَّ الْوَرْدُ الْمُورُودُ﴾ (هود: ٩٨) أدخل هؤلاء أم لا؟ والله أنا وأنت فسردها، وأنا أرجو أن يخرجني الله وما أرى الله مخرجك منها بتكذيبك.

وبإسناده عن ابن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ما من مسلم يموت له ثلاث من الولد إلا لم يلج النار إلا تحلة القسم ثم قرأ ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾.

وبإسناده عن روح قال: حدثنا شعبة قال: أخبرني إسماعيل السدي عن مرة الهمداني عن ابن مسعود في قوله: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ قال: يردونها ثم يصدرون عنها بأعمالهم.

وبه عن روح عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال: الصراط على جهنم مثل حد السيف، تمر الطائفة الأولى كالبرق، والثانية كالريح، والثالثة كأجود الخيل، والرابعة كأجود البهائم، ثم يمرون والملائكة يقولون: اللهم سلم سلم.

أخبرنا عبد الله بن حامد بن محمد الأصبهاني قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الهروي قال: حدثنا الحسين بن إدريس قال: حدثنا سويد بن نصر بن عبد الله بن المبارك عن سفيان بن عيينة عن رجل عن الحسن قال: قال رجل لأخيه: أي أخ هل أتاك أنك وارد النار؟ قال: نعم، قال: فهل أتاك أنك خارج منها؟ قال: لا، قال: ففيم الضحك إذن؟ قال: فما رؤى ضاحكاً حتى مات.

وبإسناده عن عبد الله بن المبارك عن مالك بن معول عن أبي إسحاق عن أبي مسيرة أنه أوى إلى فراشه فقال: يا ليت أُمى لم تلدني، فقالت امرأته: يا أبا مسيرة، إن الله سبحانه قد أحسن إليك، هداك إلى الإسلام فقال: أجل، ولكن الله قد بين لنا أننا وارد النار ولم يبين لنا أننا صادرون منها، وأنشد في معناه:

لقد أتانا ورود النار ضاحية      حقاً يقيناً ولما يأتنا الصّدْرُ

فإن قيل: فخبّرنا عن الأنبياء هل يدخلون النار؟ يقال لهم: لا تطلق هذه اللفظة بالتخصيص فيهم بل نقول: إن الخلق جميعاً يردونها.

فإن احتجوا بقول: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ (القصص: ٢٣) يقال لهم: إن موسى لم يمر على تلك البئر، وإنما استقى لابنتي شعيب وروى الأغنام وأقام، وهو معنى الدخول، والعرب تعبر عن الحى وأماكنهم بذكر الماء، فتقول: ماء بنى فلان.

فإن قيل: فكيف يجوز أن يدخلها من قد أخبر الله سبحانه أنه لا يسمع حسيستها ولا يدخلها؟ قيل: إن الله سبحانه أخبر عن وقت كونهم فى الجنة أنهم لا يسمعون حسيستها فيجوز أن يكونوا قد سمعوا ذلك قبل دخولهم الجنة لأن الله سبحانه لم يقل: لم يسمعوا حسيستها ويجوز أن لا يسمعوا حسيستها عند دخولهم إياها إذ الله عز وجل قادر على أن يجعلها عليهم برداً وسلاماً.

وكذلك تأويل قوله لا يدخلون النار أى لا يخلدون فيها، أو لا يتألمون ويتأذون بها، يدل عليه ما أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان قال: أخبرنا مكى بن عبدان قال: حدثنا أبو الأزهر قال: حدثنا مؤمل بن إسماعيل عن أبي هلال عن قتادة عن أنس فى قول الله سبحانه: ﴿إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ﴾ (آل عمران: ١٩٢) فقال: إنك من تخلد فى النار فقد أخزيتته.

والدليل على أن الخلق جميعاً يدخلون النار ثم ينجى الله المؤمنين بعضهم سالمين غير آلمين وبعضهم معذبين معاقبين ثم يدخلهم جميعاً الجنة برحمته ، ما أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان قال : أخبرنا حاجب بن محمد قال : حدثنا محمد بن حامد الأبيوردى قال : حدثنا أبو سعيد عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن أم مبشر عن حفصة قالت : قال رسول الله ﷺ : إني أرجو أن لا يدخل النار إن شاء الله أحد يشهد بداراً والحديبية قالت : قلت : يا رسول الله أليس قد قال الله سبحانه : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾ ؟ قال : أفلم تسمعيه يقول : ﴿ ثُمَّ نَجَّيَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ .

وأخبرنا عبد الله بن حامد قال : أخبرنا أحمد بن محمد بن شاذان قال : أخبرنا جبغوية بن محمد قال : أخبرنا صالح بن محمد بن عبد العزيز بن المسيب عن الربيع بن بدر عن أبي مسعود عن العباس عن كعب أنه قال في هذه الآية : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ قال : ترفع جهنم يوم القيامة كأنها متن إهالة وتستوى أقدام الخلائق عليها ، فينادى مناد أن خذى أصحابك ودعى أصحابي ، فتخسف بهم وهي أعرف بهم من الوالدة بولدها ، ويمر أولياء الله عز وجل بندى ثيابهم ، وقال خالد بن معدان : يقول أهل الجنة : ألم يعدنا ربنا أن نرد النار؟ فيقال : بلى ولكنكم مررتم بها وهي خامدة .

وروى خالد بن بن أبي الدريك عن يعلى بن منبه أن النبي ﷺ قال : « تقول النار للمؤمن يوم القيامة جزياً مؤمن فقد أطفأ نورك لهي » .

وأخبرنا عبد الله بن حامد قال : حدثنا محمد بن يعقوب قال : حدثنا أحمد بن عبد الحميد الحارثي قال : حدثنا عبد الرحمن بن أبي حماد عن يحيى بن يمان عن عثمان الأسود عن مجاهد في قوله : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ قال : من حُمَّ من المسلمين فقد وردها .

وأخبرنا عبد الله بن حامد قال : أخبرنا مكى بن عبدان قال : حدثنا عبد الله بن هاشم قال : حدثنا يحيى بن سعيد القطان قال : حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال : « يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ، ثم يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ، ثم يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة » .

﴿ ثُمَّ نَجَّيَ الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ : يعنى اتقوا الشرك وهم المؤمنون ، وفى مصحف عبد الله : ثم ننجى بفتح الشاء يعنى هناك ﴿ وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ ﴾ : أى الكافرين ﴿ فِيهَا ﴾ : فى النار ﴿ جِثِيًّا ﴾ : جميعاً ، وقيل : على الرُّكْب .

أخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا محمد بن خالد بن الحسن قال: حدثنا داود بن سليمان قال: حدثنا عبد بن حميد قال: حدثنا سعيد بن عامر عن حشيش أبي محرز قال: سمعت أبا عمران الجوني يقول: هبك تنجو بعد كم تنجو؟

﴿وَإِذَا تَنَالَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا يَنبَغِ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: يعنى النضر بن الحارث ومن دونه من قريش ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: يعنى فقراء أصحاب رسول الله ﷺ وكانت فيهم قشافة وفى عيشهم خشونة وفى ثيابهم رثاثة، وكان المشركون يرجلون شعورهم ويدهنون رؤوسهم ويلبسون خير ثيابهم فقالوا للمؤمنين: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ منزلاً ومسكناً، وقرأ أهل مكة مقاماً بالضم أى إقامة ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾: يعنى مجلساً، ومثله النادى، ومنه دار الندوة لأن المشركين كانوا يجلسون فيها ويتشاورون فى أمورهم، قال الله تعالى مجيباً لهم: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا﴾ أى متاعاً، وقال ابن عباس: هيئة وقال مقاتل: ثياباً، ﴿وَرِيًّا﴾: أى منظراً، وقرأ أبى: وزياً بالزى وهو الهيئة.

﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَيَسْتَدِدُّ لَهَا الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾: أى فليدعه فى طغيانه ويمهله فى كفره ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾: من العذاب ﴿إِنَّمَا الْعَذَابُ﴾: فى الدنيا ﴿وَإِنَّمَا السَّاعَةُ﴾: يعنى القيامة ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾: أهم أم المؤمنون.

﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾: أى إيماناً و يقيناً يعنى المؤمنون، يقال: ويزيد الله الذين اهتدوا بالمنسوخ هدى بالناسخ<sup>(١)</sup> ﴿وَالْبَقِيَّةُ الصَّلِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾: عاقبة ومرجعاً ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا﴾.

أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان قال: أخبرنا مكى بن عبدان قال: حدثنا عبد الله بن هاشم قال: حدثنا أبو معاوية قال: حدثنا الأعمش عن مسلم عن مسروق عن خباب بن الأرت قال: كان لى دين على العاص فأنتيه أتقاضاه فقال: لا والله حتى تكفر بمحمد قلت: لا والله لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث، قال: فإننى إذا متّ ثم بعثت جئتنى، وسيكون لى ثم مال وولد فأعطيك، فأنزل الله سبحانه هذه الآية.

وقال الكلبي ومقاتل: كان خباب بن الأرت قيناً وكان يعمل للعاص بن وائل السهمى وكان العاص يؤخر حقه الشىء بعد الشىء إلى الموسم، فكان حسن الطلب فصاغ له بعض

(١) هذا تأويل غريب لا علاقة له بما جاء به صريح الآية فى ظاهرها وباطنها وهى لا تحتاج وهى نظير قوله تعالى: ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم﴾. ولا أدرى ما أدخل الناسخ والمنسوخ هنا هداً الله وإياكم إلى فهم كتابه.

الحلى فأتاه يتقاضاه الأجر فقال العاص: ما عندى اليوم ما أقضيك، فقال له الحباب: لست مفارقك حتى تقضى، فقال له العاص: يا حباب ما لك؟ ما كنت هكذا وإنك كنت حسن الطلب والمخالطة، فقال حباب: ذلك [يوم] <sup>(١)</sup> كنت على دينك فأما اليوم فأنا على الإسلام مفارق لدينك فلا، قال: أفلستم تزعمون أن فى الجنة ذهباً وفضة وحريراً؟ قال الحباب: بلى، قال: فأخرنى حتى أقضيك فى الجنة - استهزاء - فوالله لئن كان ما تقول حقاً فإنى لأفضل فيها نصيباً منك، فأنزل الله سبحانه ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا﴾ يعنى العاص ﴿وَقَالَ لَا تُؤْتِينَا﴾ لأعطين ﴿مَالًا وَوَلَدًا﴾ أطلع الغيب قال ابن عباس: أنظر فى اللوح المحفوظ؟ وقال مجاهد: أعلم علم الغيب حتى يعلم أفى الجنة هو أم لا؟ ﴿أَمْ آتَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ يعنى أم قال: لا إله إلا الله، وقال قتادة: يعنى عملاً صالحاً قدمه، وقال الكلبي: عهد إليه أنه يدخله الجنة. ﴿كَلَّا﴾ رد عليه يعنى لم يفعل ذلك ﴿سَنَكْتُبُ﴾ سنحفظ عليه ﴿مَا يَقُولُ﴾ يعنى المال والولد. ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ فى الآخرة ليس معه شىء.

﴿وَاتَّخَذُوا﴾: يعنى مشركى قريش ﴿مِن دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً﴾ يعنى الأصنام ﴿لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادِهِمْ﴾: فى الآخرة ويتبرءون منهم ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ صِدًّا﴾: أعداء وقيل: أعواناً. ﴿الرَّزَّازَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيْطَانَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾: يعنى سلطناهم عليهم وذلك حين قال لإبليس ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾ (الإسراء: ٦٤) الآية.

﴿تَوَزَّهُمْ آزًا﴾: قال ابن عباس: تزعجهم إزعاجاً من الطاعة إلى المعصية. وقال الضحاک: يأمرهم بالمعاصى أمراً، وقال سعيد بن جبیر: تغريهم إغراءً وقال مجاهد: تشليهم إشلاءً، وقال الأخفش: توهجهم، وقال المؤرج: تحركهم، وقال أبو عبيد: تغويهم وتهيجهم، وقال القتيبي: تخرجهم إلى المعاصى، وأصله الحركة والغليان ومنه الخبر عن النبى ﷺ: «ولجوفه أزيز كأزيز المرجل».

﴿فَلَا تَعْبَلْ عَلَيْهِمْ﴾: بالعذاب ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ قال الكلبي: يعنى الليالى والأيام والشهور والسنين، وقيل: الأنفاس، يقال: إن المأمون كان يقرأ سورة مريم وعنده الفقهاء فلما انتهى إلى هذه الآية التفت إلى محمد بن السماك مشيراً عليه بأن يعظه فقال: إذا كانت الأنفاس بالعدد، ولم يكن لها مدد، فما أسرع ما تنفذ.

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ﴾: يعنى الموحدین ﴿إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًّا﴾: أى جماعات وهو جمع وافد مثل راكب وركب وصاحب وصحب.

(١) زيادة يتطلبها سياق الكلام وجعلتها بين معقوفين.



أخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا عبد الله بن محمد قال: حدثنا محمد بن يحيى قال: حدثنا وهب بن جرير عن شعبة عن إسماعيل بن أبي خالد عن رجل عن أبي هريرة ﴿يَوْمَ نَخْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ قال: علي الإبل، وقال ابن عباس: ركبنا يؤتون بنوق عليها رحال الذهب، وأزمتها الزبرجد فيحملون عليها، وقال علي بن أبي طالب: «ما يحشرون والله على أرجلهم ولكن على نوق رحالها ذهب، ونجائب سرجها يواقيت، وإن هموا بها سارت، وإن هموا بها طارت».

أخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا أحمد بن شاذان عن صعوبة بن محمد، حدثنا صالح بن محمد عن إبراهيم بن علي عن صالح بن صدقة أن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية ﴿يَوْمَ نَخْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ قال: قلت: يا رسول الله إنى رأيت وفود الملوك فلم أر وفداً إلا ركبنا فما وفد الله؟ قال رسول الله ﷺ: «يا علي إذا كان المنصرف من بين يدي الله تلقّت الملائكة المؤمنين بنوق بيض رحالها وأزمتها الذهب، على كل مركب حلة لا تساويها الدنيا، فيلبس كل مؤمن حلته ثم يستون على مراكبهم فتھوى بهم النوق حتى تنتهى بهم إلى الجنة تلقّاهم الملائكة ﴿سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (الزمر: ٧٣).

وقال الربيع: ﴿يَوْمَ نَخْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ قال: يقدون إلى ربهم فيكرمون ويعطون ويحيون ويشفعون ﴿وَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ﴾: يعنى الكافرين ﴿إِلَى جَهَنَّمَ وَرِذًا﴾ قال المفسرون: ع طاشى، مشاة على أرجلهم قد تقطعت أعناقهم من العطش، والورد جماعة يردون الماء، اسم على لفظ المصدر ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنْ آتَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ يعنى: لا إله إلا الله، ومن فى موضع النصب على الاستثناء.

قال ابن عباس: يعنى لا يشفع إلا من شهد أن لا إله إلا الله تبرا من الحول والقوة ولا يرجو إلا الله عز وجل.

وقال بعضهم: معناه إلا لمن اتخذ، نظيره ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ (الأنبياء: ٢٨) قال مقاتل: ﴿إِلَّا مَنْ آتَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ يعنى اعتقد بالتوحيد.

وقال قتادة: عمل بطاعة الله، وروى أبو وائل عن عبد الله بن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لأصحابه ذات يوم: «أيعجز أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهداً؟ قالوا: كيف ذلك؟ قال: يقول كل صباح ومساء: اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة إنى أعهد إليك فى هذه الحياة الدنيا أنى أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأن محمداً عبدك ورسولك، وأنتك إن تكلنى إلى نفسى تقربنى من الشرّ

وتباعدني من الخير، وأنى لا أثق إلا برحمتك فاجعل لى عندك عهداً توفينيهِ يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد، فإذا قال ذلك طبع الله عليه بطابع ووضع تحت العرش فإذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين الذين لهم عند الرحمن عهد فيدخلون الجنة».



﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۗ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۗ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَّقَطْنَ مِنْهُ ۗ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۗ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۗ وَمَا يُبْنِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۗ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۗ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۗ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ۗ إِنْ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ۗ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ۗ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ۗ﴾

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾: يعنى اليهود والنصارى، ومن زعموا أن الملائكة بنات الله، وقرأ حمزة والكسائي ولداً بضم الواو وجزم اللام وهى أربعة مواضع هاهنا، وحرف فى سورة الزخرف، وحرف فى سورة نوح، والباقون بالفتح، وهما لغتان مثل العرب والعرب والعجم والعجم.

قال الشاعر:

فليت فلاناً كان فى بطن أمه      وليت فلاناً كان ولد حمار

مخففاً وقيس بجعل الولد بالضم جمعاً والولد بالفتح واحداً.

﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾: قال ابن عباس: منكرًا، وقال قتادة ومجاهد: عظيمًا، وقال الضحاك: فظيماً وقال مقاتل: معناه لقد قلت قولاً عظيماً، نظيره قوله: ﴿أَفَأَصْفَكَكُمْ بِكُمْ بِالْبَيْنِ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنْتَابًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ (الإسراء: ٤٠) والإد فى كلام العرب أعظم الدواهي، قال رؤبة:

❖ نطح شىء أد رؤوس الأداد ❖

وفيه ثلاث لغات: إد بالكسر وهى قراءة العامة، وأد بالفتح وهى قراءة السلمى، وآد مثل ماد وهى لغة بعض العرب: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ﴾ قرأ نافع والكسائي بالياء لتقديم الفعل، وقرأ الباقون بالتاء لتأنيث السموات ﴿يَتَّقَطْنَ مِنْهُ﴾ يتشققن منه وقرأ أبو عمرو ينفطرن بالنون من

الانفطار وهو اختيار أبي عبد الله لقوله عز وجل: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ (الانفطار: ١)، وقوله: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ (المزمل: ١٨) الباقون بالتاء من التفطر ﴿وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا﴾ قال ابن عباس: وقرأ مقاتل: وقطعاً وقال عطاء: هدماً، أبو عبيد: سقوطاً ﴿أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ يعني لأن دعوا، ومن قرأ جعلوا وقالوا للرحمن ولداً، قال ابن عباس وأبي بن كعب: فرزعت السموات والأرض والجبال وجميع الخلائق إلا الثقلين وكادت أن تزول وغضبت الملائكة واستعرت جهنم وقالوا لله عز وجل ولد، ثم نفى سبحانه عن نفسه الولد فقال: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ يعني أنه لا يفعل ذلك ولا يحتاج إليه ولا يوصف به ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ لا ولداً ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ أنفسهم وأيامهم فلا يخفى عليه شيء ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ﴾ جائيه ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾: وحيداً فريداً بعمله ليس معه شيء من الدنيا.

وأخبرنا عبد الله بن حامد، حدثنا محمد بن جعفر بن يزيد، حدثنا أحمد بن عبيد المؤدب، حدثنا عبد الرزاق، وحدثنا عبد الله، نبأ محمد بن الحسن، نبأ أحمد بن يوسف السلمى، نبأ عبد الرزاق، حدثنا معمر عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال: قال الله عز وجل: «كذبني عدي وشتمني ولم يكن له ذلك، أما تكذبه إياي فأني أقول: لن يعيدنا كما بدأنا، وأما شتمه إياي فأني أقول: اتخذ الله ولداً وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد».

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾: أي حباً يحبهم ويحبهم إلى عباده المؤمنين من أهل السموات والأرضين.

أخبرنا عبد الخالق بن علي بن عبد الخالق أبو القاسم العاصي أنبأ أبو علي محمد بن أحمد ابن حمزة عن الحسن الصوفى ببغداد، قال أبو جعفر الحسن بن علي الفارسي، عن إسحاق بن بشر الكوفي، عن خالد بن يزيد الزيات، عن أبي إسحاق السبيعي، عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب: يا علي قل: «اللهم اجعل لي عندك عهداً واجعل لي في صدور المؤمنين مودة»، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الآية.

وأخبرنا عبد الله بن حامد، أنبأ عبدوس بن الحسين، نبأ أبو حاتم بن أبي أويس، حدثني مالك بن أنس عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: إذا أحب الله العبد قال لجبرئيل: يا جبرئيل قد أحببت فلاناً فأحبه، فيحبه جبرئيل ثم ينادي في أهل السماء: إن الله عز وجل قد أحب فلاناً فأحبه، فيحبه أهل السماء ثم يضع له المحبة في

الأرض وإذا أبغض العبد، قال مالك: لا أحسبه إلا قال في البغض مثل ذلك.

وأخبرنا عبد الله بن حامد عن محمد بن يعقوب عن يحيى بن أبي طالب عن عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة في قوله: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ قال: إى والله ودّ فى قلوب أهل الإيمان، وإن هرم بن حيان يقول: ما أقبل عبد بقلبه إلى الله عزّ وجلّ إلا أقبل الله عزّ وجلّ بقلوب أهل الإيمان إليه حتى يورثه مودّتهم ورحمتهم.

﴿فَأَنَّمَا يُرِيدُ﴾ سهلناه يعنى القرآن ﴿بِلِسَانِكَ﴾: يا محمد ﴿لِنُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ﴾: يعنى المؤمنين ﴿وَتُؤَدِّرُ بِهِ قَوْمًا لَدًّا﴾ قال ابن عباس: شداداً فى الخصومة. وقال الضحاك: جدلاً بالباطل، وقال مقاتل: خصماً، وقال الحسن: صمّاً، وقال الربيع: صمّ آذان القلوب وهو جمع ألدّ يقال: رجل ألدّ إذا كان من عادته مخاصمة الناس.

وقال مجاهد: الألدّ الظالم الذى لا يستقيم، وقال أبو عبيد: الألدّ الذى لا يقبل الحق ويدعى الباطل، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ (البقرة: ٢٠٤).

أخبرنا عبد الله بن حامد، أنبأ أحمد بن محمد بن الحسين بن السوقي، نبأ أبو الأزهر نبأ أبو أسامة عن ابن جريج عن ابن أبى مليكة عن عائشة رضى الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أبغض الرجال إلى الله تعالى الألدّ الخصم.

ثمّ خوف أهل مكة فقال: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ﴾ هل ترى، وقيل: تجد ﴿مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ وهو الصوت الخفى، قال ذو الرمة:

وقد توجّس ركزاً من سناكبها

قال أبو عبيدة: الركز: الصوت والحركة الذى لا يفهمه ركز الكتبية، وأنشد بيت لبيد:

وتوجّست ركز الأيس فراعها

عن ظهر غيب والأيس سقامها



## سُورَةُ طه

وهي خمسة آلاف ومائتان واثنان وأربعون حرفاً،  
وثلاثمائة وإحدى وأربعون كلمة، ومائة وخمس وثلاثون آية

أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد العدل، أخبرنا عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الرازي، قال أبو جعفر محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي وخشنام بن بشر ابن العنبر قالوا: قال إبراهيم بن المنذر الحرامي عن إبراهيم بن المهاجر قال: حدثني عمر بن حفص بن ذكوان عن مولى الحرقة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله عز وجل قرأ طه وياسين قبل أن يخلق آدم بألفى عام، فلما سمعت الملائكة القرآن قالوا: طوبى لأمة تقول عليها هذا، طوبى لألسن تتكلم بهذا، وطوبى لأجواف تحمل هذا<sup>(١)</sup>.

وأخبرنا أبو عمرو الفراتي قال أبو نصر منصور بن عبد الله السرخسي عن محمد بن الفضل عن إبراهيم بن يوسف عن المسيّب عن زياد عن النبي ﷺ قال: «لا يقرأ أهل الجنة من القرآن إلا يس وطه»<sup>(١)</sup>.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طه﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿١﴾ إِلَّا تَذَكُّرَةً لِّمَن يَخْشَى ﴿٢﴾ تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿٣﴾ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٤﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٥﴾ وَإِن تَجَهَّرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٦﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٧﴾

قوله عز وجل ﴿طه﴾: قرأ أبو عمرو بفتح الطاء وكسر الهاء، وقرأ أهل المدينة والشام بين الكسر والفتح فيهما، وقرأ الأعمش وحمزة والكسائي بكسر الهاء والطاء، وقرأ عاصم وابن كثير بالتفخيم فيهما وكلها لغات صحيحة.

(١) كلا الخبرين غير صحيح.

أخبرنا عبد الله بن حامد عن محمد بن عمر بن حميد الأزدي عن محمد بن الجهم السمرى، عن يحيى بن زياد الفراء عن عيسى بن الربيع عن زر بن حبیش قال: قرأ رجل على عبد الله بن مسعود ﴿طه﴾ فقال له عبد الله: (طه) فقال له الرجل: يا أبا عبد الرحمن أليس أمر أن يطأ بقدميه [الأرض] <sup>(١)</sup>؟ فقال عبد الله: (طه)، هكذا قرأنى رسول الله ﷺ.

واختلفوا فى تفسيره، فروى عبد الله بن أبى طلحة عن ابن عباس قال: هو قسم أقسم الله به وهو اسم من أسماء الله، وقال سعيد بن جبیر عن ابن عباس: هو كقولك: افعل، وقال مجاهد والحسن وعطاء والضحاك: معناه يا رجل، وقال عكرمة: هو كقولك: يا رجل بلسان الحبشة يعنى محمداً ﷺ، وقال قتادة: هو يا رجل بالسريانية، وقال سعيد بن جبیر: يا رجل بالنبطية. وروى السدى عن أبى مالك وعكرمة: طه، قالوا: يا فلان، وقال الكلبي: هو بلغة عك: يا رجل، قال شاعرهم:

إن السفاهة طه فى خلائكم  
لا قدس الله أرواح الملاعين

وقال آخر:

هتفت بطه فى القتال فلم يجب  
فخفت لعمرك أن يكون موائلا

مقاتل بن حيان معناه: طئ الأرض بقدميك، يريد فى التهجد، وقال محمد بن كعب القرظى: أقسم الله تعالى بطوله وهدايته، وموضع السير <sup>(٢)</sup> قوله: ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾.

وقال جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنه: طه: طهارة أهل بيت محمد ﷺ ثم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (الأحزاب: ٣٣) وقيل: الطاء شجرة طوبى، والهاء هاوية. والعرب تعبر ببعض الشئ عن كلّه فكانه أقسم بالجنة والنار.

وقال سعيد بن جبیر: الطاء افتتاح اسمه طاهر وطيب، والهاء افتتاح اسمه هادى. وقيل: الطاء يا طامع الشفاعة للأمة، والهاء يا هادى الخلق إلى الملة.

وقيل: الطاء من الطهارة، والهاء: من الهداية، وكأنه تعالى يقول لنبى ﷺ: يا طاهراً من

(١) زيادة من تفسير القرطبي.

(٢) وقد أطالت كثير من كتب التفسير فى تفسير هذه الكلمة أو تلك الحروف على وجوه شتى فذهبوا فيها مذاهب بعيدة، ومما قيل فيها: إنها حروف من الحروف التى افتتحت بها السور. كغيرها من الحروف التى لا يعلم سرها إلا الله سبحانه وتعالى، والتى لم يستطع أحد حتى الآن الجزم بحقيقتها. ومنهم من قال أيضاً: هو اسم من أسماء النبى ﷺ. وأنا أذهب إلى أنهما حرفان من حروف مفاتيح السور والله تعالى أعلم.

الذنوب، ويا هادياً إلى علام الغيوب، وقيل: الطاء: طول الغزاة، والهاء: هيبهم فى قلوب الكفار، قال الله تعالى: ﴿سُنِّلِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ (آل عمران: ١٥١). وقال: وقذف فى قلوبهم الرعب، وقيل: الطاء: طرب أهل الجنة، والهاء: هوان أهل النار فى النار، وقيل: الطاء تسعة فى حساب الجمل والهاء خمسة، أربعة عشر ومعناها يا أيها البدر ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾: قال مجاهد: كان رسول الله ﷺ وأصحابه يربطون الحبال فى صدورهم فى الصلاة بالليل [من طول القيام]<sup>(١)</sup> ثم نسخ ذلك بالفرض، وأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال الكلبي: لما نزل على رسول الله الوحي بمكة اجتهد فى العبادة واشتدت عبادته فجعل يصلى الليل كله، فكان<sup>(٢)</sup> بعد نزول هذه الآية ينام ويصلى.

أخبرنا عبد الله بن حامد بن محمد الهروى عن بشر بن موسى الحميدى عن سفيان بن زياد ابن علاقة قال: سمعت المغيرة بن شعبة يقول: قام رسول الله ﷺ حتى تورمت قدماه، وقيل له: يا رسول الله، أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال ﷺ: «أفلا أكون عبداً شكوراً».

وقال مقاتل: قال أبو جهل بن هشام والنضر بن الحارث للنبي ﷺ: إنك لتسعى بترك ديننا - وذلك لما رأوا من طول عبادته وشدة اجتهاده - فإننا نراه أنه ليس لله وأنك مبعوث إلينا، فقال رسول الله ﷺ: بل بعثت رحمة للعالمين، قالوا: بل أنت شقى، فأنزل الله تعالى: ﴿طه ﴿١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ وأصل لكن أنزلناه عظة لمن يخشى.

قال الحسين بن الفضل: فيه تقديم وتأخير مجازه: ما أنزلنا عليك القرآن إلا تذكرة لمن يخشى ولئلا تشقى، تنزيلاً بدل من قوله تذكرة.

وقرأ أبو الشامي: تنزيل بالرفع يعنى هذا: ﴿تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾ يعنى العالية الرفيعة وهو جمع العليا كصغرى وصغر وكبرى كبر ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ له وما فى السَّمَوَاتِ وَمَا فى الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾: يعنى التراب الذى تحت الأرضين وهو التراب الندى، تقول العرب: شبر ندى وسهر ندى وسهر مرعى.

قال ابن عباس: الأرض على ظهر النون والنون على بحر وإن طرفى النون رأسه وذنبه يلتقيان تحت العرش على صخرة خضراء، وخضرة السماء منها وهى الصخرة التى ذكرها الله تعالى فى القرآن فى قصة لقمان ﴿فَتَكُنْ فى صَخْرَةٍ﴾ (لقمان: ١٦) الصخرة على قرن ثور، والثور

(١) زيادة من تفسير القرطبي.

(٢) تكرر هذا اللفظ فى المخطوط، فحذفت التكرار.

على الثرى ﴿وَمَا تَحْتِ الثَّرَى﴾ : لا يعلمه إلا الله عز وجلّ، وذلك الثور فاتح فاه إذا جعل الله عز وجلّ البحار بحرًا سالت في جوف ذلك الثور، فإذا وقعت في جوفه بيست<sup>(١)</sup> .  
 ﴿وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ﴾ : تُعلن ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ .

أخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا حامد أخبرنا بشر بن موسى عن عبد الله بن صالح العجلي، حدثنا أبو الأحوص عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس في قوله: ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ قال: ﴿وَأَخْفَى﴾ حديث نفسك نفسك.

وأخبرني عبد الله بن حامد عن أبي الطاهر محمد بن الحسن، حدثنا إبراهيم بن أبي طالب عن محمد بن النعمان بن مسيل، حدثنا يحيى بن أبي روق عن أبيه عن الضحاك عن ابن عباس قال: السرّ ما أسررت في نفسك، وأخفى أخفى من السرّ، ما ستحدثت به نفسك، ما لا تعلم أنك تحدثت به نفسك.

وروى عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قال: السرّ ما تُسرّ في نفسك، وأخفى من السرّ ما لم يكن وهو كائن، قال: وأنت تعلم ما تسرّ اليوم ولا تعلم ما تسرّ غدًا، والله عز وجلّ يعلم ما أسررت اليوم وما تسرّ غدًا.

وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: السرّ ما أسرّ ابن آدم في نفسه، وأخفى ما خفى عن ابن آدم مما هو فاعله قبل أن يعلمه، فالله يعلم ذلك كله، فعلمه فيما مضى من ذلك وما بقى علم واحد، وجميع الخلائق عنده في ذلك كنفس واحدة.

وقال مجاهد: السر العمل الذي يسرون من الناس، وأخفى الوسوسة، وقال زيد بن أسلم: معناه إسرار العباد، وأخفى سرّه فلا يعلم.

وقال الحسن: السرّ ما أسرّ الرجل إلى غيره، وأخفى من ذلك ما أسره في نفسه.  
 ثم وحد نفسه فقال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَى﴾ .



﴿وَهَلْ أَتَىكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ ١٠٠ إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ٱلْعَالِيَاءِ ٱتَّيَّمْتُهَا مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ١٠١ فَلَمَّا أَتَتْهَا نَادَىٰ يُعْمَسِي ١٠٢ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ١٠٣

(١) نسبت كثير من مثل هذه الخزعبلات إلى سيدنا عبد الله بن عباس وهو منها براء حيث عرف عنه أنه ترجمان القرآن وأن السامع إذا سمع أن القول منسوب إلى ابن عباس فكثيراً ما يسلم به ولا يقلب فيه، وهذا القول المذكور هنا وأضرابه مما نسبته أعداء الإسلام إلى ابن عباس ليشوهوا به الفكر الإسلامى ويجهلوا أهله، وأصبح لدى طلاب المراحل الأولى عن تكوين الأرض وأسباب الزلازل والحمد لله أولاً وآخراً.



إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٠٠﴾ وَأَنَا آخَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿١٠١﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٠٢﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسَعَى ﴿١٠٣﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوْلَهُ فتردئ ﴿١٠٤﴾ وَمَا تَلَكَ يَمِينُكَ يَمْسُو سِي ﴿١٠٥﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّوْا عَلَيْهَا وَاهْبُثْ بِهَا عَلَىٰ غَنِيٍّ وَلِي فِيهَا مَعَارِبُ أُخْرَى ﴿١٠٦﴾ قَالَ أَلْقَاهَا يَمْسُو سِي ﴿١٠٧﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حِيَّةٌ تَسَعَى ﴿١٠٨﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴿١٠٩﴾ وَأَضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ءَايَةٌ أُخْرَى ﴿١١٠﴾ لِرَبِّكَ مِنَ ءَايَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿١١١﴾

﴿وَهَلْ أُنْتَكُ﴾: يا محمد ﴿حَدِيثُ مُوسَى﴾: قال أهل المعانى: هو استفهام إثبات مجازه: أليس قد أتاك؟. وقال بعضهم: معناه: وقد أتاك، وقال: لم يكن قد أتاه ثم أخبره.

﴿إِذْ رَأَىٰ نَارًا﴾ ليلة الجمعة، وقال وهب بن منبه: استأذن موسى شعبياً فى الرجوع إلى والدته فأذن له فخرج بأهله، فولد له ابن فى الطريق فى ليلة شاتية مثلجة وقد حاد عن الطريق، ففدح موسى النار فلم تور المقدحة، فبينما هو فى مزاولة ذلك أبصر ناراً من بعيد عن يسار الطريق ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ﴾: لامراته ﴿أَمْكُثُوا﴾: أقيموا مكانكم ﴿إِنِّي ءَأَسْتُ﴾: أبصرت ﴿نَارًا أَعْلَىٰ ءَايَاتِكُمْ مِنْهَا يُقَبَسُ﴾: يعنى شعله من النار، والقبس: ما اقتبس من خشب أو قصب أو غير ذلك ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَىٰ النَّارِ هُدًى﴾: يعنى من يدلنى على الطريق ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا﴾: رأى شجرة خضراء من أسفلها إلى أعلاها كأنها نار بيضاء تتقد، وسمع تسييح الملائكة، ورأى نوراً عظيماً فخاف وتعجب، فألقيت عليه السكينة ثم ﴿نُودِيَ يَمْسُو سِي﴾ ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ وإنما كرر الكناية لتوكيد الدلالة وإزالة الشبهة وتحقيق المعرفة، ونظيره قوله للرسول عليه السلام: ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْبَشِيرُ﴾ (الحجر: ٨٩).

﴿فَأَخْلَعُ نَعْلَيْكَ﴾: وكان السبب فى أمره بخلع نعليه ما أخبرنا عبد الله بن حامد، قال: أخبرنا أحمد بن يحيى العبيدى قال: حدثنا أحمد بن نجدة قال: حدثنا الحماني قال: حدثنا عيسى بن يونس عن حميد بن عبد الله عن عبد الله بن الحارث العنيسى عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ فى قوله: ﴿فَأَخْلَعُ نَعْلَيْكَ﴾ قال: كانتا من جلد حمار ميت، وفى بعض الأخبار: غير مدبوغ، وقال الحسن: ما بال خلع النعلين فى الصلاة وصلّى رسول الله ﷺ فى نعليه؟

وإنما أمر موسى عليه السلام أن يخلع نعليه لأنهما كانتا من جلد حمار، وقال أبو الأحوص: أتى عبد الله أبا موسى في داره فأقيمت الصلاة فقال لعبد الله تقدم، فقال له عبد الله: تقدم أنت في دارك فتقدم فنزع نعليه، فقال له عبد الله: أبالواد المقدس أنت؟.

وقال عكرمة ومجاهد: إنما قال له: اخلع نعليك كي تمس راحة قدميك الأرض الطيبة وينالك بركتها لأنها قدّست مرتين.

وقال بعضهم: أمر بذلك لأن الحفوة من أمارات التواضع، وكذلك فعل السلف حين طافوا بالبيت.

قال سعيد بن جبير: قيل له: طأ الأرض حافياً، كيما يدخل كعبه من بركة الوادي.

وقال أهل الإشارة: معناه: فرغ قلبك من شغل الأهل والولد.

قالوا: وكذلك هو في التعبير من رأى عليه نعلين تزوّج.

فخلعهما موسى وألقاهما من وراء الوادي: ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾ المطهر ﴿طَوَى﴾: اسم

الوادي، وقال الضحّاك: مستدير عميق مثل الطوى في استدارته، وقيل: أراد به أنك تطوى

الوادي، وقيل: هو الليل، يقال: أتيتك طوى من الليل، وقيل طويت عليه البركة طياً، وقرأ

عكرمة: طوى بكسر الطاء وهما لغتان، وقرأ أهل الكوفة والشام: طوى بالتونين وإلا جرّاً

لتذكيره وتحقيقه، الباكون من غير تنوين، قال: لأنه معدول عن طاو أو مطوى، فلما كان

معدولاً عن وجهه كان مصروفاً عن إعرابه مثل عمر وزفر وقتم.

﴿وَأَنَا أَخْتَرْتُكَ﴾: اصطفتيك، وقرأ حمزة: وإنا اخترناك بلفظ الجمع على التعظيم ﴿فَأَسْتَمِعْ

لِمَا يُوحَى﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ ولا تعبد غيري ﴿وَأَقْرِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾.

قال مجاهد: أقم الصلاة لتذكرني فيها، وقال مقاتل: إذا تركت الصلاة ثم ذكرت فاقمها،

يدلّ عليه ما أخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا محمد بن يعقوب قال: حدّثنا إبراهيم بن

مرزوق قال: حدّثنا سعيد بن عامر عن سعيد عن قتادة عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «من

نسى صلاة أو نام عنها فليصلها إذا ذكرها، إن الله سبحانه يقول: ﴿وَأَقْرِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾.

وقيل: هو مردود على الوحي يعني فاستمع لما يوحى واستمع لذكرى.

﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا﴾: فأكاد صلة، كقول الشاعر:

سريع إلى الهيجاء شاك سلاحه  
فما أن يكاد قرن يتنفس

يعنى: فما يتنفس من خوفه، والفائدة في الإخفاء التخويق والتهويل، قال ابن عباس

وأكثر المفسرين: معناه أكاد أخفيها من نفسى، وكذلك هو فى مصحف أبى، وفى مصحف

عبد الله: أكاد أخفيها من نفسي فكيف يعلمها مخلوق؟ .

وفى بعض القراءات فكيف أظهرها لكم؟ قال قطرب: فإن قيل: كيف يخفى الله من نفسه وهو خلق الإخفاء؟ قلنا: إن الله سبحانه كلم العرب بكلامهم الذى يعرفونه، ألا ترى أن الرجل يعذل أخاه فيقول له: أذعت سرى، فيقول مجيباً له معتذراً إليه: والله لقد كتمت سرى نفسي فكيف أذعته؟! معناه عندهم: أخفيته الإخفاء كله، وقال الشاعر:

أيام تُعجبني هند وأخبرها ما أكتم النفس من حاجى وإسرارى

فكيف يخبرها ما يكتم عن نفسه؟ فمجاز الآية على هذا.

وقرأ الحسن وسعيد بن جبير: أخفيها بفتح الألف أى أظهرها وأبرزها يقال: خفيت الشىء إذا أظهرته، وأخفيته إذا سترته، قال امرؤ القيس:

خفاهنّ من إنفاقهنّ كأنما خفاهنّ ودق من سحاب مركب

أى أخرجهن.

﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾: أى تعمل من خير وشر ﴿فَلَا يَصُدُّكَ﴾: يصرفتك ﴿عَنْهَا﴾:

يعنى عن الإيمان بالساعة ﴿مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾: مراده ﴿فَقَرَّ دَعْوَاهُ﴾: فتهلك.

﴿وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ يٰمُوسَىٰ﴾ قال هى عصاى: وكانت لها شعبتان وفى أسفلها سنان واسمها

نبعة فى قول مقاتل<sup>(١)</sup> ﴿أَتَوَكَّرُ﴾: أعتمد ﴿عَلَيْهَا﴾: إذا مشيت وإذا أعييت وعند الوثبة

والظفرة. ﴿وَأَهْشُ﴾: وأخطب ﴿بِهَا﴾: الشجر ليتناثر ورقها فتأكل غنمى، وقرأ عكرمة:

«وأهس» بالسين يعنى وأزجر بها الغنم، وذلك أن العرب تقول: هس هس، وقال النضر بن

شميل: سألت الخليل عن قراءة عكرمة فقال: العرب تعاقب بين الشين والسين فى كثير من

الكلام، كقولهم: شمّت العاطس وسمّته، وشن عليه الدرع وسن، والروشم والروسم

للختم.

﴿وَلِي فِيهَا مِثَابٌ﴾: حوائج ومنافع، واحدتها مأربة ومأربه بفتح الراء وضمها ﴿أُخْرَى﴾:

ولم يقل أخر لرؤوس الآى.

قال ابن عباس: كان موسى عليه السلام يحمل عليها زاده وسقاه، فجعلت تماشيه

وتحدّته، وكان يضرب بها الأرض فيخرج ما يأكل يومه، ويركزها فيخرج الماء فإذا رفعها ذهب

(١) هذا قول لا دليل عليه ولا إثارة من علم بل هو قول عار عن الحجج الشرعية فلا يلتفت إليه وقد قيل فى تلك

العصا أقوايل كثيرة لا يعتد بها أيضاً، وإنما هى عصا كآى عصا فى الدنيا كانت وقبل سيدنا موسى وبعده ولا دليل

على تسميتها أيضاً.

الماء، كان يردّ بها غنمه، وتقيه الهوام بإذن الله، وإذا ظهر له عدو حاربت وناضلت عنه، وإذا أراد الإسقاء من البئر أذلاها فطالت على طول البئر وصارت شعبتها كاللدلو حتى يستقى، وكان يظهر على شعبتها كالشمعتين بالليل تضئ له ويهتدى بها، وإذا اشتهى ثمرة من الثمار ركزها في الأرض فتغصنت غصن تلك الشجر وأورقت ورقها وأثمرت ثمرها، فهذه المآرب.

﴿قَالَ﴾ الله سبحانه: ﴿أَلْقَاهَا يَلْمُوسَىٰ ۖ فَأَلْقَنَاهَا﴾ من يده ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾: تمشى مسرعة على بطنها.

قال ابن عباس: صارت حية صفراء لها عرف كعرف الفرس، وجعلت تتورم حتى صارت ثعبانًا، وهو أكبر ما يكون من الحيات، فلذلك قال في موضع ﴿كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ (القصص: ٣١) وهو أصغر الحيات، وفي موضع ثعبان وهو أعظمها، فالجان عبارة عن ابتداء حالها، والثعبان إخبار عن انتهاء حالها، وقيل: أراد أنها في عظم الثعبان وسرعة الجان، فأما الحية فإنها تجمع الصغر والكبر والذكر والأنثى.

قال فرقد السبخي: كان ما بين جنبيها أربعين ذراعًا فلما ظهر في موسى من الخوف ونفار الطبع لما رأى من الأعجوبة ﴿قَالَ﴾: الله تعالى له ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَتُعِيدُهَا سِيرَتَهَا﴾: أى إلى سيرتها وهيئتها ﴿الْأُولَى﴾: نردّها عصًا كما كانت ﴿وَأَضْمَمُ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾: يعنى إبطك.

وقال الكلبى: أسفل من الإبط، وقال مجاهد: تحت عضدك، وقال مقاتل: يعنى مع جناحك وهو عضده ﴿تَخْرُجُ بَيضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ﴾ برص ولا داء ﴿ءَايَةٌ أُخْرَى﴾: سوى العصا، فأخرج يده من مدرعة له مضرّبة بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس يغشى البصر ﴿لَنُرِيكَ مِنْ ءَايَاتِنَا أَكْبَرَى﴾: وكان من حقه الكبر وإنما قال: الكبرى وفاقًا لرءوس الآى، وقيل: فيه إضممار معناه ﴿لَنُرِيكَ مِنْ ءَايَاتِنَا﴾: الآية الكبرى دليله قول ابن عباس: كانت يد موسى أكبر آياته.



﴿أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ وَأَحْلَلْ عَقْدَةَ مِنِّ لِسَانِي ﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿هَلْرُونَ أَخِي﴾ أَشَدُّ بِهِمْ أَرْزَىٰ ﴿وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي﴾ كَىٰ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿قَالَ﴾ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَلْمُوسَىٰ ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ

أَمِمْكَ مَا يُوحَىٰ ﴿١٠﴾ أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْدِفِيهِ فِي الْأَيْمِ فَلْيَلْقِهِ الْأَيْمُ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوِّي  
وَعَدُوُّ لَهُ ۗ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿١١﴾ إِذْ تَسْتَنِي أَخْتِكَ فَقَقُولُ هَلْ  
أَدْلُكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۗ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمَمِكَ كِي تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۗ وَقَتَلْتَ نَفْسًا  
فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۗ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمْؤُوسِي ﴿١٢﴾  
وَأَصْطَنَعْنَاكَ لِنَفْسِي ﴿١٣﴾ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿١٤﴾ أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ  
إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٥﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا  
أَوْ أَنْ يَطَّغَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ ۗ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿١٨﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ  
مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ ۗ قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ مِّنْ رَبِّكَ ۗ وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿١٩﴾ إِنَّا  
قَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمْؤُوسِي ﴿٢١﴾ قَالَ رَبُّنَا  
الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ۗ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٢٢﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٢٣﴾ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي  
كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَىٰ ﴿٢٤﴾

﴿أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ : عصى وعلا وتكبر وكفر، فادعه إلى عبادتي، واعلم بأنني قد ربطت على قلبه، قال: فكيف تأمرني أن آتية وقد ربطت على قلبه؟ فأتاه ملك من خزان الريح فقال: انطلق، فإننا اثنا عشر من خزان الريح منذ خلقنا الله سبحانه نحن في هذا فما علمناه، فامض لأمر الله<sup>(١)</sup>، فقال: موسى عند ذلك ﴿رَبِّ أَسْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ : وسع ولبن قلبي بالإيمان والنبوة ﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ : وسهل علي ما أمرتني به من تبليغ الرسالة إلى فرعون ﴿وَأَحْلَلْ﴾ وابتسط وافتح ﴿عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي﴾ .

قال ابن عباس: كانت في لسانه رثة، وذلك أنه كان في حجر فرعون ذات يوم فلطمه لطمه وأخذ بلحيته فقال فرعون لآسية امرأته: إن هذا عدوي، فقالت آسية: على رسلك إنّه صبي ولا يفرق بين الأشياء ولا يميز، ثم جاءت بطستين فجعلت في أحدهما الجمر وفي الأخرى الجوهر ووضعتهما بين يدي موسى، فأخذ جبرئيل بيد موسى فوضعها على النار حتى رفع

(١) تكررت عبارة: نحن في هذا فما علمناه، فامض لأمر الله سبحانه. فحذفت التكرار من المتن، وأثبتته بهذه الإشارة في الهامش.

جمرة ووضعها على لسانه فتلك الرثة<sup>(١)</sup> ﴿يَقْفَهُوا قَوْلِي﴾: كى يفهموا كلامى ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيْرًا﴾: معينا وظهيراً ﴿مِنْ أَهْلِ﴾: ثم بين من هو فقال: ﴿هَرُونَ أَخِي﴾ أشد به أزرى: ﴿قَوْ به ظهري﴾ وأشركه فى أمرى: يعنى النبوة وتبليغ الرسالة ﴿كَيْ نَسْبَحَكَ كَثِيْرًا﴾: نصلى لك ﴿وَنَذْكُرَكَ كَثِيْرًا﴾ إنك كنت بنا بصيراً.

وقرأ الحسن وابن أبى إسحاق وابن عامر: «أشد به أزرى» بفتح الألف «وأشركه» بضم الألف على الجزاء والجواب حكاية عن موسى أتى أفعل ذلك، قال الله سبحانه: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى﴾: قد أعطيت مرادك وسؤالك يا موسى.

﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾: قبل هذا وهى ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أَمْنِكَ﴾: وحى إلهام مثل وحى النحل ﴿مَا يُوحَىٰ﴾ أن أقذيه: أن اجعليه ﴿فِي التَّابُوتِ﴾.

قال مقاتل: والمؤمن الذى صنع التابوت من آل فرعون اسمه خربيل<sup>(٢)</sup>، وقيل: إنه كان من بردى<sup>(٣)</sup> ﴿فَأَقْذِيْهِ فِي الْيَمِّ﴾: يعنى نهر النيل ﴿فَلْيَلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾: يعنى شاطئ النهر، لفظه أمر ومعناه خبر مجازه: حتى يلقىه اليم بالساحل ﴿يَأْخُذُهُ عَدُوِّي وَعَدُوُّ لَهٗ﴾: يعنى فرعون، فاتخذت تابوتاً وجعلت فيه قطناً محلوجاً، ووضعت فيه موسى، وقيرت رأسه وخصاصه - يعنى شقوقه - ثم ألقته فى النيل، وكان يشرع منه نهر كبير فى دار فرعون، فبينما هو جالس على رأس البركة مع امرأته أسية إذا بتابوت يجىء به الماء، فلما رأى ذلك أمر الغلمان والجوارى بإخراجه فأخرجوه وفتحوا رأسه فإذا صبى من أصبح الناس وجهاً، فلما رآه فرعون أحبه بحيث لم يتمالك، فذلك قوله سبحانه: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ قال ابن عباس: أحبه [الله]<sup>(٤)</sup> وحببه إلى خلقه، قال عطية العوفى: جعل عليه مسحة من جمال لا يكاد يصبر عنه

(١) هذه الحكاية وأمثالها عن سيدنا موسى عليه السلام ليس عليها دليل صحيح أما عن قوله: ﴿واحلل عقدة من لساني يقفها قولى﴾ إنما أراد ما أصاب لهجته أو لكنته من لهجة ولكنة أهل مدين من طول المعاشرة ثم عوده المفاجئ إلى فرعون فقد تكون هناك بعض الكلمات التى قد تجرى على لسانه لا يعرفها فرعون لعدم درايته بلكنة ولهجة أهل مدين المعرفة التامة فاستعان بأخيه فى ذلك حرصاً على أن تكون رسالة تامة البلاغ والله تعالى أعلى وأعلم حيث إن الأنبياء معروف عنهم الكمال الجسمى والعقلى فلا يليق ولا يجوز فى حق سيدنا موسى اللثغ أو ما شابهه مما يشين اللسان، وكذا ما نسبوه إليه من كونه أدر فكل هذا لا يجوز فى حق نبي من أنبياء الله تعالى رزقنا الله وإياكم حسن الاعتقاد وحسن الختام.

(٢) فى القرطبي: حزقيل.

(٣) القول فى اسم صانع التابوت، وفى نوع ما صنع منه التابوت نوع من التنطع المقيت الذى نهى الإسلام عن ارتكابه أو الدخول فيه حيث لا فائدة تعود على العابد المسلم من ذلك إذ العبرة فى حفظ الله لموسى من فرعون بأثفه وأغرب الأسباب.

(٤) لفظ الجلالة أضفته هنا تقلا عن تفسير القرطبي.

مَنْ رَأَاهُ، قَالَ قَتَادَةَ: مَلَا حَةٌ كَانَ فِي عَيْنِي مُوسَى، مَا رَأَاهُ أَحَدٌ إِلَّا عَشَقَهُ.

﴿وَلَتُصْنَعَنَّ عَلَى عَيْنِي﴾: أَي وَلتربِّي وتغذِّي بِمِرْأَى وَمَنْظَرِ مَتْنِي ﴿إِذْ تَمْشِيْ أَخْتِكَ﴾: وَاسْمُهَا مَرْيَمُ مَتَعْرِفَةٌ خَيْرُهُ ﴿تَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُرُهُ﴾: يَرْضَعُهُ وَيَضُمَّهُ إِلَيْهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ لَا يَقْبَلُ ثَدْيَ امْرَأَةٍ، فَلَمَّا قَالَتْ لَهُ أُخْتُهُ ذَلِكَ قَالُوا: نَعَمْ، فَجَاءَتْ بِالْأَمِّ فَقَبِلَ ثَدْيَهَا فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَرَجَعْنَاكَ﴾: فَرَدَدْنَاكَ ﴿إِلَىٰ أُمِّكَ﴾. وَفِي مَصْحَفِ أَبِي: (فَرَدَدْنَاكَ إِلَىٰ أُمَّكَ)، ﴿كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾: بِلِقَائِكَ وَبِقَائِكَ ﴿وَلَا تَحْزَنْ وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَتَلَ قَبْطِيًّا كَافِرًا.

قَالَ كَعْبُ الْأَحْبَارِ: كَانَ إِذَا ذَاكَ ابْنُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً ﴿فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمْرِ﴾: أَي مِنْ غَمِّ الْقَتْلِ وَكَرْبَتِهِ ﴿وَقَتَلْنَاكَ قَتُونًا﴾: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: اخْتَبَرْنَاكَ اخْتِبَارًا. وَقَالَ الضَّحَّاكُ وَقَتَادَةُ وَمِقَاتِلُ، ابْتَلَيْنَاكَ ابْتِلَاءً. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: أَخْلَصْنَاكَ إِخْلَاصًا ﴿فَلَبَّيْتَ سِنِينَ﴾: يَعْنِي عَشْرَ سِنِينَ ﴿فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾: وَهِيَ بَلَدَةٌ شَعِيبَ عَلَى ثَلَاثِ مَرَا حِلٍ مِنْ مِصْرَ، قَالَ وَهْبٌ: لَبَّثَ عِنْدَ شَعِيبَ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً، عَشْرَ سِنِينَ مِنْهَا مَهْرُ امْرَأَتِهِ صَفِيرَا بِنْتُ شَعِيبَ وَثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً أَقَامَ عِنْدَهُ حَتَّى وُلِدَ لَهُ (١).

﴿ثُمَّ جِئْتَنَا عَلَىٰ قَدَرٍ يَمْوَسِي﴾. قَالَ مِقَاتِلُ: عَلَى مَوْعِدٍ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: ثُمَّ جِئْتُ عَلَى الْقَدْرِ الَّذِي قَدَّرْتَ أَنْكَ تَجِيءُ.

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ كَيْسَانَ: عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَهُوَ الْقَدْرُ الَّذِي يُوحَى فِيهِ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ، قَالَ الْكَلْبِيُّ: وَافَقَ الْكَلَامُ عِنْدَ الشَّجَرَةِ. ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾: اخْتَرْتُكَ وَاصْطَفَيْتُكَ وَاخْتَصَمْتُكَ بِالرَّسَالَةِ أَوِ النَّبُوَّةِ ﴿أَذْهَبَ أَتَّ وَأُخْرِكَ بِأَيْتِي﴾: الْيَدُ وَالْعَصَا ﴿وَلَا تَنِيَّا﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَا تَضْعُفَا، وَقَالَ السُّدِّيُّ: لَا تَفْتَرَا، وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: لَا تَقْصُرَا.

وَرَوَى عَلَى بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: لَا تَبْطِنَا، وَفِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ: وَلَا تَهْنَا. ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا﴾: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَا تَعْتَفَا فِي قَوْلِكُمَا وَلَا تَغْلَظَا، وَقَالَ السُّدِّيُّ وَعُكْرَمَةُ: كُنِّيَاهُ قَوْلَا لَهُ: يَا أَبَا الْعَبَّاسِ، وَقِيلَ: يَا أَبَا الْوَلِيدِ. وَقَالَ مِقَاتِلُ: يَعْنِي بِالْقَوْلِ اللَّيْنُ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَرْكَبِي وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشِي. وَقَالَ أَهْلُ الْمَعَانِي: مَعْنَاهُ الطُّفَا لَهُ فِي قَوْلِكُمَا فَإِنَّهُ رَبَّاكَ وَأَحْسَنُ تَرْبِيَّتِكَ وَهُوَ عَلَيْكَ حَقُّ الْأَبُوَّةِ فَلَا تَجْبَهُ بِمَكْرِهِ فِي أَوَّلِ قَدُومِكَ عَلَيْهِ، يُقَالُ: وَعَدَهُ عَلَىٰ قَبُولِ الْإِيمَانِ شَبَابًا لَا يَهْرَمُ وَمَلَكًا لَا يُنْزَعُ عَنْهُ إِلَّا بِالْمَوْتِ، وَيَبْقَى عَلَيْهِ لَذَّةُ الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ وَالْمَنْكَحِ إِلَىٰ حَيْثُ مَوْتُهُ.

(١) هَذَا قَوْلٌ لَا يَقُومُ عَلَى دَلِيلٍ صَحِيحٍ وَلَا شَاهِدٍ لَهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا سَنَةٍ، فَلَا يَعْتَدُ بِهِ.

وقال المفسرون: وكان هارون يومئذ بمصر فأمر الله عز وجل أن يأتى هو وهارون، وأوحى إلى هارون وهو بمصر أن يتلقى موسى فتلقاه إلى مرحلة وأخبره بما أوحى إليه فقال له موسى: إن الله سبحانه أمرنى أن أتى فرعون فسألت ربى عز وجل أن يجعلك معى. وقوله: ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ أى يسلم.

فإن قيل: كيف قال: لعله يتذكر أو يخشى وعلمه سابق فى فرعون أنه لا يتذكر ولا يخشى؟

قال الحسين بن الفضل: هو مصروف إلى غير فرعون، ومجازه: لكى يتذكر متذكر أو يخشى خاش إذا رأى برى وإلطافى بمن خلقته ورزقته، وصححت جسمه وأنعمت عليه ثم ادعى الربوبية دونى.

وقال أبو بكر محمد بن عمر الوراق: لعلها هنا من الله واجب، ولقد تذكر فرعون حيث لم تنفعه الذكرى والخشية، وذلك قوله حين أجمه الغرق فى البحر: ﴿ءَأَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (يونس: ٩٠).

سمعت أبا القاسم الحسن بن محمد بن حبيب يقول: سمعت أبى يقول سمعت على بن محمد الوراق يقول: سمعت يحيى بن معاذ الرازى يقول - وقرأ هذه الآية - هذا رفئك بمن يقول: أنا الإله، فكيف رفئك بمن يقول: أنت الإله؟

قال أبو القاسم الحسين فبنيت عليه ألفاظاً اقتديت به فيها فقلت: هذا رفئك بمن ينافيك فكيف رفئك بمن يضافيك؟ هذا رفئك بمن يعاديك فكيف رفئك بمن يواليك؟ هذا رفئك بمن يسبك فكيف رفئك بمن يحبك؟ هذا رفئك بمن يقول لك نداءً فكيف رفئك بمن يقول فرداً؟ هذا رفئك بمن ضل فكيف رفئك بمن ذل هذا رفئك بمن اقرت فكيف رفئك بمن اعترف؟ هذا رفئك بمن أصر فكيف رفئك بمن أقر؟ هذا رفئك بمن استكبر فكيف رفئك بمن استغفر؟

﴿قَالَ﴾: يعنى موسى وهارون ﴿رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا﴾. قال ابن عباس: يعجل بالقتل والعقوبة، وقال الضحَّاك: تجاوز الحد، وقيل: يغلبنا ﴿أَوْ أَنْ يَطَّوَّقَى﴾: يتكبر ويستعصى علينا.

﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا﴾: بالدفع عنكما ﴿أَسْمِعُ﴾: قولكما وقوله ﴿وَأَرَى﴾: فعله وفعلكما ﴿فَأَتَيْنَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ﴾: أى ولا تتعبهم فى العمل، وكانت بنو إسرائيل عند آل فرعون فى عذاب شديد يقتل أبناءهم ويستخدم نساءهم ويكلفهم من العمل واللبن والطين وبناء المدائن ما لا يقدرون عليه.



قال موسى: ﴿وَدَّ جَنَّاتُكَ بِبَيْتِي مِّن رَّبِّكَ﴾ قال فرعون: وما هي؟ قال: فأدخل يده في جيب قميصه ثم أخرجها فإذا هي بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس، غلبت نور الشمس، فعجب منها ولم يره العصا إلا بعد ذلك يوم الزينة.

﴿وَأَسَلْنَاهُ عَلَىٰ مَن تَبِعَ الْهُدَىٰ﴾: يعنى من أسلم ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ﴾: أنبياء الله ﴿وَتَوَلَّى﴾: أعرض عن الإيمان، ورأيت فى بعض التفاسير أن هذه أرجى آية للموحدين فى القرآن.

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَمُوسَىٰ﴾: يعنى يا موسى وهارون فذكر موسى دون هارون لرؤوس الآي. ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ﴾ قال الحسين وقتادة: أعطى كل شيء صلاحه وهده لما يصلحه.

وقال مجاهد: لم يجعل الإنسان فى خلق البهائم، ولا خلق البهائم فى خلق الإنسان، ولكن خلق كل شيء فقدّره تقديراً.

وقال عطية: أعطى كل شيء خلقه يعنى صورته.

وقال الضحاك: أعطى كل شيء خلقه، يعنى اليد للبطش والرجل للمشى واللسان للنطق والعين للبصر والأذن للسمع.

وأخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا عبد الرحمن بن محمد الزهرى قال: حدثنا أحمد ابن سعيد قال: حدثنا سعيد بن سليمان عن إسماعيل بن زكريا عن إسماعيل بن أبى صالح، أعطى كل شيء خلقه ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾: قال: هداه لمعيشته.

وقال ابن عباس وسعيد بن جبیر: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ﴾ يعنى شكله، للإنسان الزوجة وللبعير الناقة وللفرس الرمكة وللحمار الأتان ثم هدى أى عرف وعلم وألهم كيف يأتى الذكر الأنثى فى النكاح. وقرأ نصير خلقه بفتح اللام على الفعل.

﴿قَالَ﴾: فرعون ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ﴾: وإنما قال هذا فرعون لموسى حين قال موسى: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْرَابِ﴾ مِثْلَ دَابِّ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ﴾ (غافر: ٣٠)،

(٣١)، فقال فرعون حينئذ له: فما بال القرون الأولى التى ذكرت؟ فقال موسى: ﴿عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ﴾ يعنى اللوح المحفوظ، وإنما رد موسى علم ذلك إلى الله سبحانه لأنه لم يعلم ذلك،

وإنما نزلت التوراة عليه بعد هلاك فرعون وقومه ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي﴾: أى لا يخطئ ﴿وَلَا يَنسَى﴾: فيتذكر، وقال مجاهد: هما شيء واحد.



﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ﴿١٠﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١١﴾ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا عَائِسَةَ الْفُلَيْيَّةِ الْكَلْبَاءِ فِي قَوْمٍ لَا يَحْكُمُونَ إِلَّا بِالْحَافِظِ الْكَلْبِيِّ وَكَانَ صِدْقًا فَذَكَرْنَا لَهُمْ مَا كَفَرُوا بِهَذَا قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿١٣﴾ فَجَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ الْغَائِبَةُ فَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ يَعْتَدُونَ لِيَوْمِهِمْ أَنْ يَحْكُمُوا فِيهِمْ فَلَأُولَئِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعَذَّبُوا لَأُولَئِكَ هُمُ الْعَالَمُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ﴿١٠﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١١﴾ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا عَائِسَةَ الْفُلَيْيَّةِ الْكَلْبَاءِ فِي قَوْمٍ لَا يَحْكُمُونَ إِلَّا بِالْحَافِظِ الْكَلْبِيِّ وَكَانَ صِدْقًا فَذَكَرْنَا لَهُمْ مَا كَفَرُوا بِهَذَا قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿١٣﴾ فَجَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ الْغَائِبَةُ فَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ يَعْتَدُونَ لِيَوْمِهِمْ أَنْ يَحْكُمُوا فِيهِمْ فَلَأُولَئِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعَذَّبُوا لَأُولَئِكَ هُمُ الْعَالَمُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ : قرأه أهل الكوفة بغير ألف أى فرشًا، وقرأ الباقون مهادًا

أى فراشاً واختاره أبو عبيد وأبو حاتم لقوله: ﴿الرَّجْعِلِ الْأَرْضِ مِهْدًا﴾ (النبا: ٦) ولم يختلفوا فيه أنه بالألف.

﴿وَسَلِّكَ لَكُمُ فِيهَا سُبُلًا﴾: أى أدخل وبين وطرق لكم فيه طرقاً. ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا﴾: أصنافاً ﴿مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾: مختلف الألوان والطعوم والمنافع من بين أبيض وأحمر وأخضر وأصفر، وهب كل صنف زوجاً، منها للدواب ومنها للناس ثم قال: ﴿كُلُوا وَارْعَوْا﴾ أى ارتعوا ﴿أَنْعَمَكُمُ﴾ يقول العرب: رعيت الغنم فرعت لازم ومتعداً.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾: الذى ذكرت ﴿لِأُولَى النَّحْيِ﴾: أى لذوى العقول، واحدها نُهيمة، سُميت بذلك لأنها تنهى صاحبها عن القبائح والفضائح وارتكاب المحظورات والمحرمات. وقال الضحَّاك: ﴿لِأُولَى النَّحْيِ﴾ يعنى الذين ينتهون عما حُرِّم عليهم.

وقال قتادة: لذوى الورع، وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس: لذوى التقى.

﴿مِنْهَا﴾: أى من الأرض ﴿خَلَقْنَكُمْ﴾: يعنى أباكم آدم. وقال عطاء الخراسانى: إن الملك ينطلق فيأخذ من تراب المكان الذى يدفن فيه فيذرهُ على التطفة، فيخلق من التراب، ومن النطقة فذلك قوله سبحانه: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾.

﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾: أى عند الموت والدفن، وقال على: «إن المؤمن إذا قبض الملك روحه انتهى به إلى السماء، وقال: ياربِّ عبدك فلان قبضنا نفسه فيقول: ارجعوا فإنى وعدته: منها خلقناكم وفيها نعيدكم فإنه يسمع خفق نعالهم إذا ولّوا مدبرين».

﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾: مرّة أخرى بعد الموت عند البعث.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾: يعنى فرعون ﴿إِنَّا إِنَّا كُلَّهَا﴾: يعنى اليد والعصا والآيات التسع ﴿فَكَذَّبَ﴾: بها وزعم أنها سحر ﴿وَأَبَى﴾: أن يُسلم ﴿قَالَ﴾: فرعون ﴿أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا﴾: يعنى مصر ﴿بِسِحْرِكَ يَلْمُوسَى﴾ ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾: فاضرب بيننا وبينك أجلاً وميقاتاً ﴿لَا نُخْلِفُهُ﴾: لا نجاوزهُ ﴿وَلَنْ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى﴾: مستويًا. قرأ الحسن وعاصم والأعمش وحمزة سُوًى بضم السين، الباقون: بكسر وهما لغتان مثل عدى وعدى، وطوى وطوى.

قال قتادة ومقاتل: مكاناً عدلاً بيننا وبينك، وقال ابن عباس: صفًا، وقال الكلبي: يعنى سوى هذا المكان، وقال أبو عبيد والقيسى: وسطاً بين الفريقين، وقال موسى بن جابر الحنفى:

وإن أبانا كان حلّ ببلدة  
سوى بين قيس عيلان والفزر

الفزر: سعد بن زيد مناة.

﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾ قال ابن عباس وسعيد بن جبير: يعنى يوم عاشوراء. وقال مقاتل والكلبي: يوم عيد لهم فى كل سنة يتزينون ويجتمعون فيه. وروى جعفر عن سعيد قال: يوم سوق لهم، وقيل: هو يوم النيروز. وقرأ الحسن وهبيرة عن حفص يوم الزينة بنصب الميم أى فى يوم، وقرأ الباقون بالرفع على الابتداء والخبر.

﴿وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾: وقت الضحوة، يجتمعون نهاراً جهاراً ليكون أبلغ فى الحجة وأبعد من الريبة. ﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾: حيله وسحرته ﴿ثُمَّ أَتَى﴾: الميعاد. قال ابن عباس: كانوا اثنين وسبعين ساحراً مع كل واحد منهم جبل وعصا، وقيل: كانوا أربعمائة.

﴿قَالَ لَهُمُ مُوسَى﴾: للسحرة ﴿وَتِلْكَ لَآ تَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا يُصْحِتْكُمْ﴾ قرأ أهل الكوفة: فُيُصْحِتْكُمْ بضم الياء وكسر الحاء، وقرأ الباقون بفتح الياء والحاء، وهما لغتان: سحت وأسحت.

قال مقاتل والكلبي: فيهلككم، وقال قتادة: فيستأصلكم، وقال أبو صالح: يذبحكم. قال الفرزدق:

وعضّ زمان يا بن مروان لم يدع

﴿فَتَنَزَعُوا أَمْرَهُمُ بَيْنَهُمْ وَأَسْرَوْا النَّجْوَى﴾: أى المناجاة تكون اسماً ومصدرًا. ﴿قَالُوا إِنْ هَذَا

لَسَحْرَانِ﴾ قرأ عبد الله: وأسروا النجوى إن هذان ساحران بفتح الألف وجزم نونه ساحران بغير لام، وقرأ ابن كثير وحفص إن بكسر الألف وجزم النون هذان بالألف على معنى ما هذان إلا ساحران، نظيره: قوله: ﴿وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (الشعراء: ١٨٦) قال الشاعر:

ثكلتك أمك إن قتلت مسلماً

حلّت عليك عقوبة الرّحمن

يعنى ما قتلت إلا مسلماً، يدل على صحة هذه القراءة قراءة أبى بن كعب: إن ذان إلا ساحران، وقرأ عيسى بن عمر الثقفى وأبو عمرو بن العلاء: إن هذين لساحران بالياء على الأصل، قال أبو عمرو: وإنى لأستحى من الله أن أقرأ إن هذان، وقرأ الباقون: إن بالشديد هذان بالألف واختلفوا فيه، فقال قوم بما أخبرنا أبو بكر بن عبدوس وعبد الله بن حامد قالا: حدّثنا أبو العباس الأصم قال: حدّثنا محمد بن الجهم السمرى قال: حدّثنا الفرّاء قال: حدّثنى أبو معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها سئلت عن قوله سبحانه فى النساء: ﴿لَكِنَّ الرَّاْسِيخُونَ﴾ (النساء: ١٦٢)، ﴿وَالْمَقِيمِينَ﴾ (النساء: ١٦٢)، وعن قوله فى المائدة ﴿إِنَّ الَّذِينَ

ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ ﴿المائدة: ٦٩﴾، وعن قوله: ﴿إِنَّ هَذَا نِسْرَانٌ﴾ (طه: ٦٣) فقالت: يا بن أخى هذا خطأ من الكاتب.

وقال عثمان بن عفان: إن فى المصحف لحنًا وستقيمه العرب بألسنتهم.

وقال أبان: قرئت هذه الآية عند عثمان فقال: لحن وخطأ، فقليل له: ألم تغيره فقال: دَعُوهُ فَإِنَّهُ لَا يُحِلُّ حَرَامًا وَلَا يَحْرِمُ حَلَالًا، وقال آخرون: هذه لغة الحارث بن كعب وخنعم وزبيد وكنانة يجعلون الاسمين فى رفعهما ونصبهما وخفضهما بالألف.

قال الفراء: أنشدنى رجل من بنى الأسد وما رأيت أفصح منه:

وأطرق إطراق الشجاع ولو ترى      مساعًا لنا به الشجاع لصمما

ويقولون: كسرت يدها، وركبت علاه، بمعنى يديه وعليه. وقال الشاعر:

تزود منّا بين أذناه ضربة      دعته إلى هابى التراب عقيم

أراد بين أذنيه. وقال آخر:

أى قلوص راكب نراها      طاروا علاهنّ فطر علاها

أى عليهن وعليها. وقال آخر:

إنّ أباهما وأبا أباهما      قد بلغا فى المجد غايتها

وروى أن أعرابياً سأل ابن الزبير شيئاً فحرّمه فقال: لعن الله ناقة حملتنى إليك، فقال ابن

الزبير: إن وصاحبها، ويعنى نعم. وقال الشاعر:

بكرت علىّ عواذلى يلحيني وألومهنّ

ويقلن شيب قد علاك وقد كبرت فقلت إنّه

أى نعم، وقال الفراء: وفيه وجه آخر: وهو أن يقول: وجدت الألف دعامة من هذا على

حالتها لا تزول فى كل حال، كما قالت العرب: الذى ثمّ زادوا نوناً يدلّ على الجمع فقالوا:

الذين فى رفعهم ونصبهم وخفضهم وكنانة تقول: اللذون.

﴿يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكَ مِنْ أَرْضِكُمْ﴾: مصر ﴿بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى﴾ حدث الشعبي

عن علىّ قال: يصرفا وجوه الناس إليهما وهى بالسريانية.

وقال ابن عباس: يعنى بسراة قومكم وأشرافكم.

وقال مقاتل والكلبى: يعنى الأمثل فالأمثل من ذوى الرأى والعقول.

وقال عكرمة: يعنى يذهب أخياركم.

وقال قتادة: طريقتم المثلّى يومئذ، بنو إسرائيل كانوا أكثر القوم عدداً يومئذ وأموالاً،

فقال عدو الله : إنما يريدان أن يذهبا به لأنفسهما .

وقال الكسائي : بطريقتكم يعنى بستتكم وهديكم وسمتكم ، والمثلى نعت للطريقة ، فقولك امرأة كبرى ، تقول العرب : فلان على الطريقة المثلى يعنى على الهدى المستقيم . قال الشاعر :

فكم متفرقين منوا بجهل      حدى بهم إلى زيغ فراغوا  
وزيغ بهم عن المثلى فتاهوا      وأورطهم مع الوصل الرداغُ  
فزلت فيه أقدام فصارت      إلى نار غلا منها الدماغ  
والمثلى تأنيث الأمثل .

﴿ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ﴾ : قرأ أبو عمرو فأجمعوا بوصل الألف وفتح الميم ، من الجمع يعنى لا تدعوا شيئاً من كيدكم إلا جتتم به ، وتصديقه قوله : فجمع كيده ، وقرأ الباقون : فأجمعوا بقطع الألف وكسر الميم وله وجهان : أحدهما : بمعنى الجمع ، يقول العرب : أجمعت الشيء وجمعته بمعنى واحد . قال أبو ذؤيب :

فكأنه بالجزع جزع يتابع      وأولاه ذى العرجاء تهب مجمع  
والثانى : بمعنى العزم والإحكام ، يقول : أجمعت الأمر وأزمعته ، وأجمعت على الأمر وأزمعت عليه إذا عزمته عليه . قال الشاعر :

ياليت شعرى والمنى لا تنفع      هل أغدون يوماً وأمرى مجمع

أى محكم ، وقد عزم عليه كيدكم ومكركم وسحركم وعلمكم .

﴿ تَدُ اثْتُوا صَفًّا ﴾ قال مقاتل والكلبي : جميعاً ، وقيل : صفوفًا ، وقال أبو عبيدة : يعنى المصلّى والمجتمع ، وحكى عن بعض العرب الفصحاء : ما استطعت أن أتى الصفّ أمس ، يعنى المصلّى .

﴿ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى ﴾ : يعنى فاز من غلب .

﴿ قَالُوا ﴾ : يعنى السحرة ﴿ يَنْمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ ﴾ : عصاك من يدك ﴿ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ﴾ : عصاه ﴿ قَالَ ﴾ : موسى ﴿ بَلِ الْفَوْأُ فَإِذَا جِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ ﴾ : وهو جمع العصا ﴿ يُخْتَلِ إِلَيْهِ ﴾ قرأ ابن عامر بالناء ، رده إلى الجبال والعصى ، وقرأ الباقون : بالياء رده إلى الكيد أو السحر ، ومعناه شبه إليه ﴿ مِنْ سِحْرِهِمْ ﴾ حتى ظن ﴿ أَنَّهَا تَسْعَى ﴾ : أى تمشى ، وذلك أنهم كانوا لطحوا جبالهم وعصيتهم بالزئبق ، فلما أصابها حر الشمس ارتهشت واهترت ، فظن موسى أنها

تقصده (١) ﴿فَأَوْجَسَ﴾: أى أحسَّ ووجد، وقيل: أضمِر ﴿فِي نَفْسِهِ خِيْفَةً مُوسَى﴾: قال مقاتل: إنّما خاف موسى إذا صنع القوم مثل صنيعه أن يشكّوا فيه فلا يتبعوه ويشك فيهم من تابعه.

﴿قُلْنَا﴾: لموسى ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾: الغالب ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾: يعنى العصا ﴿تَلْقَفْ﴾: تلتقم وتلتهم ﴿مَا صَنَعُوا إِنَّا صَنَعُوا﴾: يعنى إن الذى صنعوا ﴿كَيْدُ سَاحِرٍ﴾ (٢): قرأ أهل الكوفة بكسر السين من غير ألف، وقرأ الباقون: ساحر بالألف على فاعل، واختاره أبو عبيد، قال: لأن إضافة الكيد إلى الرجل أولى من إضافته إلى السحر وإن كان ذلك لا يمتنع فى العربية.

﴿وَلَا يَفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾: من الأرض، وقيل: معناه حيث احتال.

﴿فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سُجْدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ قال ءامتنه لمرء: يعنى به كقوله: ﴿فَتَأْمَنَ لَهْرُ لُوطُ﴾ (العنكبوت: ٢٦)، ﴿قَبِلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ﴾ لرئيسكم ومعلمكم ﴿الَّذِى عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ﴾: يعنى الرجل اليسرى واليد اليمنى ﴿وَلَأَصْلَبَنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾: يعنى جذوع النخل، قال سويد بن أبى كاهل:

وهم صلوا العبدى فى جذع نخلة  
فلا عطست شيان إلا بأجدعا

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا﴾: أنا أو رب موسى ﴿وَأَتَى﴾ قَالُوا: يعنى السحرة ﴿لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ النَّيْنَتِ﴾: قال مقاتل: يعنى اليد والعصا.

وأخبرنا البيهقى والأصفهانى قالا: أخبرنا مكى بن عبدان قال: حدثنا أبو الأزهر، قال: حدثنا روح قال: حدثنا هشام بن أبى عبد الله عن القاسم بن أبى برزة قال: جمع فرعون سبعين ألف ساحر، فألقوا سبعين ألف جبل وسبعين ألف عصا حتى جعل موسى يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى، فأوحى الله سبحانه أن ألق عصاك، فألقى عصاه فإذا هى ثعبان مبين فاغر فاه، فابتلع جبالهم وعصيهم وألقى السحرة عند ذلك سجداً فما رفعوا رؤوسهم حتى رأوا الجنة والنار ورأوا ثواب أهلها، عند ذلك قالوا: ﴿لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ النَّيْنَتِ﴾ يعنى الجنة

(١) هذا قول ليس عليه دليل من كونهم دهنوا جبالهم وعصيهم بالزئبق بل أعطوا من السحر ما جعلهم يسحرون عيون الناس حتى يروا أن الجبال والعصى تسعى كالحيات، وقد كانوا على علم تام بالسحر والسحر علم من العلوم ولكنه علم فاسد أو مفسد، ولعلمهم هذا الذى أتوه وأتقنوه آمنوا بأن ما جاء به موسى ليس سحراً وإنما هو حقيقة لا مراء فيها ولا جدال ولا يقدر عليها إلا خالق الأكوان فلهدا كان رد فعلهم هو الإيمان الكامل واليقين القاطع بأن للكون إلهاً أرسل موسى وأخاه وتحملوا فى إرضائه كل ما لقوا صابرين: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾.

(٢) فى المخطوط: (سحر) ورسمت فى مصحف حفص المطبوع والمتداول، فلاحظ شرح المؤلف مع اعتبار ما غيرت من المتن.

والنار وما رأوا من ثوابهم ودرجاتهم .

قال : وكانت امرأة فرعون تسأل : من غلب؟ فيقال : غلب موسى ، فتقول : آمنت برب موسى وهارون ، فأرسل إليها فرعون فقال : انظروا أعظم صخرة تجدونها فأتوها فإن هي رجعت عن قولها فهي امرأته ، وإن هي مضت على قولها فألقوا عليها الصخرة ، فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء فأريت بيتها في الجنة فمضت على قولها وانتزعت روحها ، وألقيت على جسد لا روح فيه<sup>(١)</sup> .

﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾: يعني وعلى الذي خلقنا، وقيل : هو قسم ﴿فَأَقْضِي مَا أَنتَ قَاضٍ﴾: فاحكم ما أنت حاكم ، واصنع ما أنت صانع من القطع والصلب ﴿إِنَّا نَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ يقول : إنما تملكنا في الدنيا ليس لك علينا سلطان إلا في الدنيا ﴿إِنَّا أَمْنَا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾ قال مقاتل : كانت السحرة اثنين وسبعين ساحراً ، اثنان منهم من القبط وهما رأسا القوم ، وسبعون منهم من بنى إسرائيل ، وكان فرعون أكره أولئك السبعين الذي هم من بنى إسرائيل على تعلّم السحر .

وقال عبد العزيز بن أبان : إن السحرة قالوا لفرعون : أرنا موسى إذا نام ، فأراهم موسى نائماً وعصاه تحرسه فقالوا لفرعون : إن هذا ليس بسحر ، إن الساحر إذا نام بطل سحره ، فأبى عليهم إلا أن تعملوا فذلك قوله : ﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾ .

﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ منك لأنك فان هالك ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ﴾ : في الآخرة ﴿مُجْرِمًا﴾ : مشركاً يعني بات على الشرك ﴿فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ : فيستريح ﴿وَلَا يَحْيَى﴾ : حياة تنفعه .

﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا﴾ : مات على الإيمان ﴿قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ : الرفيعة في الجنة ﴿جَنَّتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ : أى صلح ، وقيل : تطهر من الكفر والمعاصي . وقال الكلبي : يعنى أعطى زكاة نفسه وقال : لا إله إلا الله .



﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾ فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ

(١) هذه حكاية لا دليل على صحتها من كتاب أو سنة صحيحة وإنما الإيمان يكون بما ورد في كتاب الله تعالى كما وصف لنا الحادث ولا ننظر إلى ما وراء ذلك .



قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ﴿١٠﴾ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَجْجَيْنَاكَ مِنْ عَدُوِّكَ وَوَعَدْنَاكَ جَانِبَ الطُّورِ  
الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ ﴿١١﴾ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ  
عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ وَءَامِنٌ وَعَمِلَ  
صَالِحَاتٍ أُنْتَدَىٰ ﴿١٣﴾ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يٰمُوسَىٰ ﴿١٤﴾ قَالَ هُمْ أَوْلَاءٌ عَلَيَّ أَثْرَىٰ  
وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿١٥﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿١٦﴾ فَرَجَعَ  
مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضَبَيْنَ أَسْفًا قَالَ يٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي بِكُمْ رَبٌّ لِّمَنْ يَخْلُقُكُمْ وَلَوْلَا أَنِّي كُنْتُ  
أَمْرًا دُونَ ذَلِكَ لَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴿١٧﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ  
بِمَلَكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿١٨﴾ فَأَخْرَجَ  
لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَأَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَقَسَىٰ ﴿١٩﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُ  
إِلَهُمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٢٠﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ  
وَإِنَّ رَبَّكُمْ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٢١﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَسَكِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا  
مُوسَىٰ ﴿٢٢﴾ قَالَ يٰبَهْرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٢٣﴾ أَأَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٢٤﴾ قَالَ يَبْنَومُ  
لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٢٥﴾  
قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يٰسَمِرِيُّ ﴿٢٦﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ  
فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٢٧﴾ قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ  
لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ تَخْلَفَنَّهُ وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لِنَنْفِثَنَّ فِي السَّمَاءِ  
سُفًّا ﴿٢٨﴾

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾: أى سر بهم أول الليل من أرض مصر.

﴿فَأَضْرَبَ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا﴾: يابسًا ليس فيه ماء ولا طين ﴿لَا تَخْلِفْ دَرَكًا﴾: من  
فرعون خلفك ﴿وَلَا تَخْشَى﴾: غرقًا من البحر أمامك، وقرأ حمزة: لا تخف بالجزم على  
النهى، الباقون: بالألف على النهى، واختاره أبو عبيد لقوله: ولا تخشى رفعًا ودليل قراءة  
حمزة قوله: «يولوكم الأدبار ثم لا تنصرون» فاستأنف، قال الفراء: ولو نوى حمزة بقوله:

ولا تخشى الجزم لكان صواباً. وقال الشاعر:

هجوت زماناً ثم ملت معتدراً  
من سب زمان لم يهجو ولم يدع  
وقال آخر:

ألم يأتيك والأبناء تنمى بما لاقت لبون بنى زياد

﴿فَاتَّبَعَهُمْ﴾ : فلحقهم ﴿فِرْعَوْنَ بِجُنُودِهِ فَعَشِيَهُمْ﴾ : أصابهم ﴿مَنْ أَلِيمَ مَا عَشِيَهُمْ﴾ وَأَصْلُ فِرْعَوْنَ قَوْمُهُ وَمَا هَدَىٰ : أى وما هداهم إلى مرادهم، وهذا جواب قول فرعون: ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد، فكذب الله تعالى فقال: بل أضلهم وما هداهم.

قال وهب: استعار بنو إسرائيل حلياً كثيراً من القبط ثم خرج بهم موسى من أول الليل، وكانوا سبعين ألفاً فأخبر فرعون بذلك فركب فى ستمائة ألف من القبط يقص أثر موسى، فلما قربوا قالوا: يا موسى أين غمضى؟ البحر أمامنا وفرعون خلفنا، فضرب موسى بعصاه البحر فانفلق فصار فيه اثنا عشر طريقاً يابسة، لكل سبط طريق، وصار بين كل طريقين كالطود العظيم من الماء، وكانوا يمرّون فيه وكلهم بنو أعمام فلا يرى هذا السبط ذاك ولا ذاك هذا، فاستوحشوا وخافوا فأوحى الله سبحانه إلى أطواد الماء أن تشبكي، فصارت شبكات يرى بعضهم بعضاً ويسمع بعضهم كلام بعض.

فلما أتى فرعون الساحل وجد موسى وبنى إسرائيل قد عبروا فقال للقبط: قد سحر البحر فمرّ، فقالوا له: إن كنت رباً فادخل البحر كما دخل، فجاء جبرئيل على رمكة وديق، وكان فرعون على حصان، وهو الذكر من الأفراس، فأقحم جبرئيل الرمكة فى الماء، فلم يتمالك حصان فرعون واقتحم البحر على أثرها ودخل القبط عن آخرهم، فلما تلججوا أوحى الله سبحانه إلى البحر أن غرقهم، فعلاهم الماء وغرقهم.

قال كعب: فعرف السامرى فرس جبرئيل، فحمل من أثره تراباً وألقاه فى العجل حين اتّخذة<sup>(١)</sup>.

﴿يَلْبَسِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْتَنَّاكَ مِنْ عَدُوِّكَ﴾ : فرعون ﴿وَوَاعَدْنَاكَ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ : وقد مرّ ذكره ﴿وَوَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الَّعْنَ وَالسَّلْوَٰنَ﴾ ﴿كُلُّوْا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ : هذه قراءة العامة بالنون والألف على التعظيم، وقرأ يحيى بن وثاب والأعمش وحمزة والكسائى: أنجيتكم ووعدتكم ورزقتكم من غير ألف على التوحيد والتفريد ﴿كُلُّوْا مِنْ طَيِّبَاتِ حَلَالِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ .

(١) هذه الحكاية ليس عليها دليل سواء قول وهب أو قول كعب فلا نعرف من قصة هلاك فرعون غير ما قص الله علينا فى كتابه الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ﴾ : قال ابن عباس : ولا تظلموا ، وقال مقاتل : ولا تعصوا ، وقال الكلبي : ولا تكفروا النعمة ، وقيل : ولا تحرموا الحلال ، وقيل : ولا تنفقوا في معصيتي ، وقيل : ولا تدخروا ، وقيل : ولا تتقوا بنعمي على معاصي .

﴿فِيحِلَّ﴾ : يجب ﴿عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ﴾ : يجب ﴿عَلَيْهِ غَضَبِي﴾ : وقرأ يحيى بن وثاب والأعمش والكسائي : فيحل ومن يحل بضم الحاء واللام أى ينزل .

﴿فَقَدْ هَوَى﴾ : هلك وتردى فى النار ﴿وَأِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ﴾ : من دينه ﴿وَأَمِنْ﴾ : بربه ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ : فيما بينه وبين الله ﴿ثُمَّ أَهْتَدَى﴾ .

قال قتادة وسفيان الثوري : يعنى لزم الإسلام حتى مات عليه .

وقال زيد بن أسلم : تعلم العلم ليتهدى كيف يعمل .

وقال الشعبي ومقاتل والكلبي : علم أن لذلك ثواباً .

وقال فضيل الناجي وسهل التستري : أقام على السنة والجماعة .

وقال الضحاك : يعنى استقام .

﴿وَمَا أَعْجَلَكَ﴾ : يعنى وما حملك على العجلة ﴿عَنْ قَوْمِكَ﴾ : يعنى عن السبعين الذين اختارهم موسى حين ذهبوا معه إلى الطور ليأخذ التوراة من ربه فلما سار عجل موسى شوقاً إلى ربه وخلف السبعين وأمرهم أن يتبعوه إلى الجبل ، فقال الله سبحانه له : وما أعجلك عن قومك ﴿يَلْمُوسَى﴾ : فقال مجيباً لربه ﴿هُمُ أَوْلَاءُ﴾ : يعنى ﴿عَلَىٰ أَثَرِي﴾ : هؤلاء يجيئون ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ : لتزداد رضاً ﴿قَالَ﴾ الله سبحانه ﴿فَأِنَّا قَدْ فتنَّا﴾ : ابتلينا ﴿قَوْمَكَ﴾ : الذين خلفتهم مع هارون وكانوا ستمائة ألف فافتنوا بالعجل غير اثني عشر ألفاً ﴿مِنْ بَعْدِكَ﴾ : من بعد انطلاقك إلى الجبل ﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ : يعنى دعاهم وصرفهم إلى عبادة العجل وحملهم عليها .

﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾ : حزناً جزعاً ﴿قَالَ يَنْتَظِرُونَ لِمَا بَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ وَمَعَا حَسَنًا﴾ : صدقاً أنه يعطيكم التوراة ﴿أَفُطِّلَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ﴾ : مدة مفارقتي إياكم ﴿أَوْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ﴾ : يجب ﴿عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾ : وذلك أن الله سبحانه كان قد وقت لموسى ثلاثين ليلة ثم أتمها بعشر ، فلما مضت الثلاثون قال عدو الله السامري .

قال سعيد بن جبير : كان السامري من أهل كرمان فقال لهم : إنما أصابكم هذا عقوبة لكم بالحلّى التى معكم ، وكانت حلياً استعاروها من القبط ، فهلموا بها واجمعوها حتى يجىء موسى فيقضى فيه ، فجمعت ودفعت إليه فصاغ منها عجلاً فى ثلاثة أيام ثم قذف فيه القبضة

التي أخذها من أثر فرس جبرئيل، فقال قوم موسى له: ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا﴾ قرأ أهل المدينة وعاصم: بملكنا بفتح الميم، وقرأ حمزة والكسائي وخلف بضم الميم، الباقون: بكسرهما، ومعناها بسلطاننا وطاقتنا وقدرتنا.

قال مقاتل: يعنى ونحن نملك أمرنا، وقيل: باختيارنا.

﴿وَلَكِنَّا حَمَلْنَا﴾: قرأ أهل الحجاز والشام وحفص: حَمَلْنَا بضم الحاء وتشديد الميم، الباقون: حملنا بفتح الحاء والميم ﴿أَوْزَارًا﴾: أثقالاً وأحمالاً ﴿مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ﴾: من حلى قوم فرعون ﴿فَقَدَفْنَاهَا﴾: فجمعناها ودفعتها إلى السامري، فألقاها في النار لترجع أنت فتري فيه رأيك ﴿فَكَذَّبَكَ أَخَى السَّامِرِيِّ﴾: ما معه من الحلى معنا كما ألقينا ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا﴾: لا روح فيه، صاغ لهم عجلاً من ذهب مرصع بالجوهر ﴿لَهُ خُورٌ﴾: صوت، وذلك أنه خار خورة واحدة ثم لم يعد.

قال ابن عباس: أتى هارون على السامري وهو يصنع العجل فقال: ما تصنع؟ قال: أصنع ما ينفع ولا يضر، فقال: اللهم أعطه ما سألك على ما فى يقينه فلماً قال: اللهم إني أسألك أن يخور؛ فخار فسجد، وإتما خار لدعوة هارون ﴿فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى قَسْبَى﴾: أى ضلّ وأخطأ الطريق، وقيل: معناه فتركه هاهنا وخرج يطلبه.

قال الله سبحانه: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ﴾ يعنى أنه لا يرجع ﴿إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾: أى لا يكلمهم العجل ولا يجيبهم، وقيل: يعنى لا يعود إلى الخوار والصوت ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ ولقد قال لهم هَدْرُونَ مِنْ قَبْلُ﴾: يعنى من قبل رجوع موسى ﴿يَقُومُوا إِنَّا قُنُومٌ بِهِ﴾: ابتليتكم بالعجل ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَ الرَّحْمَنُ فَأَتَّبِعُونِي﴾: على دينى ﴿وَاطِيعُوا أَمْرِي﴾: فلا تعبدوه ﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَافِيَيْنَ﴾: لن نزال على عبادته مقيمين ﴿حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾ فاعتزلهم هارون فى اثنى عشر ألفاً الذين لم يعبدوا العجل، فلماً رجع موسى وسمع الصياح والجلبة، وكانوا يرقصون حول العجل، قال السبعون الذين معه: هذا صوت الفتنة، فلماً رأى هارون أخذ شعره بيمينه وحيته بشماله وقال له: ﴿قَالَ يَهْلِكُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾ أخطئوا وأشركوا ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾: يعنى أن تتبع أمرى ووصيتى ولا صلة، وقيل: معناه: ما منعك من اللحوق بى وإخبارى بضلالتهم فتكون مفارقتك إياهم تقريباً وزجراً لهم عما أتوه؟ وقيل: معناه: هلاً قاتلتهم إذ علمت أنى لو كنت فيما بينهم لقاتلتهم على كفرهم.

﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾: فقال هارون ﴿يَبْنُومُ﴾: قال الكلبي وغيره: كان أخاه لأبيه وأمه ولكنه أراد بقوله: يا ابن أم أن يرققه ويستعطفه عليه فيتركه، وقيل: كان أخاه لأمه دون أبيه، وقيل:

لأن كون الولد من الأمّ على التحقيق والأب من جهة الحكم ﴿لَا تَأْخُذُ يَلْحَيِّي وَلَا بِرَأْسِي﴾: يعنى ذؤابتى وشعر رأسى إذ هما عضوان مصونان يقصدان بالإكرام والإعظام من بين سائر الأعضاء ﴿إِنِّي خَشِيتُ﴾: لو أنكرت عليهم لصاروا حزبين يقتل بعضهم بعضاً فتقول: ﴿فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ وأوقعت الفرقة فيما بينهم ﴿وَأَمْرٌ رَبِّ قَوْلِي﴾: ولم تحفظ وصيتى حين قلت لك اخلفنى فى قومى وأصلح.

قال قتادة فى هذه الآية: فذكر الصالحون الفرقة قبلكم، ثم أقبل موسى على السامرى فقال له: ﴿فَمَا خَطْبُكَ﴾ أمرك وشأنك، وما الذى حملك على ما صنعت ﴿يَسْمِرِي﴾. قال قتادة: كان السامرى عظيماً من عظماء بنى إسرائيل من قبيلة يقال لها سامرة، ولكن عدو الله نافق بعدما قطع البحر مع بنى إسرائيل، فلما مرت بنو إسرائيل بالعمالقة وهم يعكفون على أصنام لهم فقالوا: يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة فاغتمها السامرى، فاتخذ العجل فقال السامرى مجيباً لموسى: ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ رأيت ما لم يروا وعرفت ما لم يعرفوا وفتنت ما لم يفتنوا، وقرأ يحيى بن وثاب والأعمش وحمزة والكسائى تبصروا بالتاء على الخطاب، الباقون بالياء على الخبر ﴿فَقَبِضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾: يعنى فأخذت تراباً من أثر فرس جبرئيل، وقرأ الحسن فقبضت قبضة بالصاد فيهما، والفرق بينهما أن القبض بجمع الكف والقبض بأطراف الأصابع ﴿فَتَبَدَّتْهَا﴾: فطرحتها فى العجل ﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ﴾: زينت ﴿لِي نَفْسِي﴾ قال له موسى ﴿فَأَذْهَبَ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ﴾ ما دمت حياً ﴿أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾: لا تخالط أحداً ولا يخالطك أحد، وأمر موسى بنى إسرائيل أن لا يخالطوه ولا يقربوه.

قال قتادة: إن بقاياهم اليوم يقولون ذلك: لا مساس، ويقال بأن موسى هم بقتل السامرى فقال الله: لا تقتله فإنه سخي، وفى بعض الكتب: إنه إن أمسّ واحد من غيرهم أحداً منهم حمّ كلاهما فى الوقت.

﴿وَإِنَّ لَكَ﴾: يا سامرى ﴿مَوْعِدًا﴾: لعذابك ﴿لَنْ تُخْلَفَهُ﴾: قرأ الحسن وقاتدة وأبو نهيك وأبو عمرو بكسر اللام بمعنى لن تغيب عنه بل توافيه، وقرأ الباقون بفتح اللام بمعنى لن يخلفكه الله.

﴿وَأَنْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ﴾: بزعمك وإلى معبودك ﴿الَّذِي ظَلَّتْ عَلَيْهِ﴾: دمت عليه ﴿عَاكِفًا﴾: مقيماً تعبدته. يقول العرب: ظلتُ أفعل كذا بمعنى ظلمت، ومست بمعنى مسست، وأحسنت بمعنى أحسست. قال الشاعر:

خلا أن العتاق من المطايا أحسن به فهن إليه شوش

أى أحسن .

﴿لنحرقته﴾ : قرأه العامة بضم النون وتشديد الراء بمعنى لنحرقه بالنار .

قرأ الحسن بضم النون وتخفيف الراء من الإحراق بالنار ، وتصديقه قول ابن عباس : فحرقه بالنار ثم ذراه في اليم .

وقرأ أبو جعفر وابن محيصن وأشهب العقيلي لنحرقه بفتح النون وضم الراء خفيفة بمعنى لنبردته بالمبارد ، يقال : حرقه يحرقه ويحرقه إذا برده ، ومنه قيل للمبرد المحرق ، ودليل هذه القراءة قول السدي : أخذ موسى العجل فذبحه ثم حرقه بالمبرد ثم ذراه في اليم ، وفي حرف ابن مسعود : لنذبحنه ثم لنحرقنه ﴿ثُمَّ لَنَسْفِنَهُ﴾ : لنذرينه ﴿فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ : يقال نسف الطعام بالمنسف إذا ذراه فطير عنه قشوره وترابه .



﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ كَذَلِكَ تَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا﴾ خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْنَا إِلَّا عِشْرًا ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْنَا إِلَّا يَوْمًا﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفِيعَةُ إِلَّا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ ﴿وَعَنَتِ الْأُجُودُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿

﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ : لا العجل ﴿وَسِعَ﴾ : ملأ ﴿كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ : فعلمه ولم

يضق عليه، يقال: فلان يسع لهذا الأمر إذا أطاقه وقوى عليه ﴿كَذَلِكَ هُضِّعَ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾: من الأمور ﴿وَقَدْ آتَيْنَكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾: يعنى القرآن ﴿مَنْ أَعْرَضَ﴾: أدير ﴿عَنْهُ﴾: فلم يؤمن به ولم يعمل بما فيه ﴿فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا﴾: إثماً عظيماً وحملًا ثقيلاً ﴿خَالِدِينَ فِيهِ﴾: لا يكفره شيء.

﴿وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ: قرأه العامة بياء مضمومة على غير تسمية الفاعل، وقرأ أبو عمرو بنون مفتوحة لقوله: ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ﴾ المشركين ﴿يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾: والعرب تتشام بزرقه العيون. قال الشاعر يهجور رجلاً:

لقد زرقت عيناك يا بن مكعب

كما كل ضبى من اللؤم أزرق

وقيل: أراد عُمياً ﴿يَخْلَفْتُونَ﴾: يتسارون فيما ﴿بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ﴾: ما مكثتم فى الدنيا، وقيل: فى القبور ﴿إِلَّا عَشْرًا﴾: أى عشر ليال.

قال الله سبحانه ﴿وَنَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾: أى أوفاهم عقلاً وأصوبهم رأياً ﴿إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾: قصر ذلك فى أعينهم فى جنب ما يستقبلهم من أهوال يوم القيامة.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا﴾: يقلعها من أماكنها ويطحرها فى البحار حتى تستوى. فإن قيل: ما العلة الجالبة للفاء التى فى قوله فقل خلافاً لأخواتها فى القرآن؟

فالجواب أن تلك أسئلة تقدمت سألوها عنها رسول الله فجاء الجواب عقيب السؤال، وهذا سؤال لم يسألوه بعد وقد علم الله سبحانه أنهم سألوه عنه فأجاب قبل السؤال، ومجازها: وإن سألوكم عن الجبال فقل: ﴿يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾: أرضاً ملساء لا نبات فيها.

﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾.

قال ابن عباس: العوج: الأودة، والأمت الروابى والنشوز.

مجاهد: العوج: الانخفاض، والأمت: الارتفاع.

ابن زيد: الأمت: التفاوت والتعادى. ويقول العرب: ملأت القرية ماءً لا أمت فيه أى لا استرخاء.

يمان: الأمت: الشقوق فى الأرض.

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾: الذى يدعوهم إلى موقف القيامة وهو إسرافيل ﴿لَا عِوَجَ لَهُ﴾: أى

لدعائه، وقال أكثر العلماء: هو من المقلوب أى لا حرج لهم عن دعائه، لا يزيغون عنه، بل يتبعونه سراعاً.

﴿وَحَشَعَتِ﴾ : وسكنت ﴿الْأَصْوَاتِ لِلرَّحْمَنِ﴾ : فوصف الأصوات بالخشوع والمعنى لأهلها  
﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ : يعنى وطء الأقدام ونقلها إلى المحشر، وأصله الصوت الخفى، يقال:  
همس فلان بحديثه إذا أسرّه وأخفاه، قال الراجز:

وهنّ يمشين بنا هميساً  
إن تصدق الطير نك لميساً

يعنى بالهمس صوت أخفاف الإبل .

وقال مجاهد: هو تخافت الكلام وخفض الصوت .

﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفِيعَةُ إِلَّا مَنْ أَدْنَىٰ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ : فى الشفاعة ﴿وَرَضَىٰ لَهُ قَوْلًا﴾ : أى ورضى  
قوله .

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ : الكناية مردودة إلى الدين يتبعون الداعى .

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ : لا يدركونه ولا يعلمون ما هو صانع بهم .

﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ : أى ذلت وخضعت واستسلمت، ومنه قيل للأسير عان،

وقال أمية بن أبى الصلت:

مليك على عرش السماء مهيمن  
لعزته تعنو الوجوه وتسجد

وقال طلق بن حبيب: هو السجود .

﴿وَقَدْ خَابَ﴾ : خسر ﴿مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ : شركاً .

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ﴾ : قرأ ابن كثير على النهى جواباً لقوله:

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ : والباقون: فلا يخاف على الخبر . ﴿ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ .

قال ابن عباس: لا يخاف أن يزداد عليه فى سيئاته ولا ينقص من حسناته .

الحسن وأبو العالية: لا ينقص من ثواب حسناته شيئاً ولا يحمل عليه ذنب مسيء .

الضحاك: لا يؤخذ بذنب لم يعمله ولا يبطل حسنة عملها، وأصل الهضم: النقص

والكسر يقال: هضمت لك من حقل أى حططت، وهضم الطعام، وامرأة هضيم الكشح أى

ضامرة البطن .

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا﴾ : بينا ﴿فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ﴾ : القرآن

﴿ذِكْرًا﴾ : عظة وعبرة . وقال قتادة: جداً وورعاً .

﴿فَعَلَىٰ آلِهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ : قرأ يعقوب بفتح النون

والياءين، وقرأ الآخرون: بضم الياء الأولى والأخرى وسكون الوسطى .

قال مجاهد وقتادة: لا تقرئه أصحابك ولا تُمله عليهم حتى يتبين لك معانيه، نهى عن



تلاوة الآية التي تنزل عليه وإملائه على أصحابه قبل بيان معناها، وهذه رواية العوفى عن ابن عباس .

وقال فى سائر الروايات : كان النبى ﷺ إذا نزل جبرئيل بالوحى يقرأه مع جبرئيل ، ولا يفرغ جبرئيل مما يريد من التلاوة حتى يتكلم النبى ﷺ بأوله حرصاً منه على ما كان ينزل عليه وشفقة على القرآن مخافة الانفلات والنسيان ، فنهاه الله سبحانه عن ذلك وقال : ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ ﴾ أى بقراءة القرآن ﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴾ : من قبل أن يفرغ جبرئيل من تلاوته عليك .  
﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ : بالقرآن أى فهماً ، وقيل : حفظاً ونظيرها قوله : ﴿ لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾ (القيامة: ١٦) الآية .



﴿ وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ نَسِيٍّ وَلَمْ نُجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴿ فقلنا يَكَادِمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿ إِنَّ لَكَ أَلًا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿ وَأَنْتَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴿ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَكَادِمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبُلَى ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لُهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَمَا يَا تَأْتِيكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ﴿ وَكَذَلِكَ نُجزي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمَا أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى ﴿ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا

مَتَعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرَزَقْنَاكَ خَيْرًا وَأَبْقَى ﴿١٠﴾ وَأَمْرًا أَهْلَكَ  
بِالصَّلَاةِ وَأَصْطَبِرَ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَزُوقُكَ وَالْعَنْقَبَةُ لِلتَّقْوَى ﴿١١﴾ وَقَالُوا أَوْلَا يَا تِينَا  
بِعَايَةِ مَنْ رَبِّهِ أَوْلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٢﴾ وَلَوْ أَنَا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ  
لَقَالُوا رَبَّنَا أَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى ﴿١٣﴾ قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ  
فَتَرَبِّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى ﴿١٤﴾ ﴿

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلِ﴾ : الآية يقول الله سبحانه : وإن يضيّع هؤلاء الذين نصرّف لهم  
في القرآن الوعيد عهدي ويخالفوا أمرى ويتركوا طاعتي فقد فعل ذلك أبوهم آدم (عليه  
السلام) حيث عهدنا إليه أمرناه وأوصينا إليه ﴿فَنَسِيَ﴾ : فترك الأمر والعهد، نظيره قوله : ﴿سَأُوا  
اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ (التوبة: ٦٧) أى تركوا أمر الله فتركهم الله فى النار . هذا قول أكثر المفسرين .

وقال ابن زيد : نسى ما عهد الله إليه فى ذلك ، ولو كان له عزم ما أطاع عدوّه إبليس الذى  
حسده وأبى أن يسجد له ، وعصى الله الذى كرمه وشرّفه ، وعلى هذا القول يحتمل أن يكون  
آدم فى ذلك القول بالنسيان مأخوذ ، وإن كان هو اليوم عتاً مرفوعاً .

﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ : قال ابن عباس : حفظاً لما أمر به ، قتادة ومقاتل : صبراً ، ابن زيد :  
محافظة على أمر الله وتمسكاً به ، الضحّاك ، صريمة أمر ، عطية : رأياً ، وقيل : جزماً ، ابن  
كيسان : إصراراً وإضماراً على العود إلى الذنب ثانياً ، وأصل العزم النية واعتقاد القلب على  
الشيء .

قال أبو أمامة : لو أنّ أحلام بنى آدم جمعت منذ يوم خلق الله سبحانه آدم إلى يوم تقوم  
الساعة ، ووضعت فى كفة ميزان ، ووضع حلم آدم فى الكفة الأخرى لرجح حلمه  
بأحلامهم ، وقد قال الله تعالى : ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ .

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾ : أن يسجد له ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا  
عَدُوٌّ لَّكَ وَالزَّوْجُكَ﴾ : حواء ﴿فَلَا يَخْرُجُ جَنَّكُمَا مِنْ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ (١) : فتتعب ويكون عيشك من كد  
يمينك ، بعرق جبينك .

قال سعيد بن جبير : أهبط إلى آدم ثور أحمر وكان يحرث عليه ويمسح العرق عن جبينه فهو  
شقاؤه الذى قال الله سبحانه ، وكان حقّه أن يقول : فيشقى ولكن غلب المذكّر رجوعاً به إلى

(١) سقطت هذه الكلمة سهواً من الناسخ .

آدم لأنّ تبعه أكثر، وقيل: لأجل رؤوس الآي.

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا﴾: أى فى الجنة ﴿تَعْرَىٰ﴾ وَأَنَّكَ ﴿قرأ نافع بكسر الألف على الاستئناف، ومثله روى أبو بكر عن عاصم، وقرأ الباقون بالفتح نسقاً على قوله: ﴿أَلَّا تَجُوعَ﴾، ﴿لَا تَطْمَؤُنَّ﴾ لا تعطش ﴿فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾: تبرز للشمس فيؤذيك حرّها. قال عمر بن أبى ربيعة:

رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت  
فيضحى وأما بالعشى فيحصر  
أخبرنا أبو بكر بن عبدوس المزكى قال: أخبرنا أبو الحسن المحفوظى قال: حدثنا عبد الله بن هاشم قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن خصيف عن عكرمة: ﴿وَلَا تَضْحَىٰ﴾: ولا تصيبك الشمس.

﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّبِعُكَ هَلْ (١) أَذُكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾: يعنى على شجرة إن أكلت منها بقيت خالداً مخلداً ﴿وَمُلْكٌ لَا يَبْلَىٰ﴾: لا يبيد ولا يفتنى.

﴿فَأَكَلَا﴾: يعنى آدم وحواء ﴿مِنْهَا﴾: أى من شجرة المحنة ﴿فَبَدَّتْ لَهَا سَوَاءٌ تَهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾: أى تعدى إلى ما لم يكن له فعله.  
وقال أكثر المفسرين: فغوى: أى أخطأ وضلّ ولم ينل مراده ممّا أكل.

﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ﴾: اختاره واصطفاه ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾: هداه إلى التوبة ووقفه بها.  
﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَأَمَّا يَا تَيْبَتُكُم مِّنِي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ﴾ يعنى الكتاب والرسول ﴿فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾.

أخبرنا أبو عمرو وأحمد بن حمدون بقراءتى عليه قال: أخبرنا محمد بن إسحاق قال: حدثنا سعيد بن عيسى، قال: حدثنا فارس بن عمر (ح) (٢) وحدثنا صالح بن محمد: قال: حدثنا يحيى بن الضريس عن سفيان عن رجل عن الشعبي عن ابن عباس فى قوله سبحانه: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ قال: أجاز الله تعالى تابع القرآن من أن يضلّ فى الدنيا ويشقى فى الآخرة.

وأخبرنى محمد بن القاسم قال: حدثنا محمد بن يزيد قال: حدثنا الحسن بن سفيان قال: حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة (ح) (٢) وأخبرنى ابن المقرئ قال: حدثنا محمد بن أحمد بن سنان قال: حدثنا الحسن بن سفيان قال: حدثنا ابن أبى شيبة قال: حدثنا أبو خالد الأحمر عن عمرو

(١) فى المخطوط: «على» وهو سهو من الناسخ.

(٢) زيادة حديثية يتطلبها سياق الإسناد.

بن قيس عن عكرمة عن ابن عباس قال: ضمن الله لمن قرأ القرآن لا يضلّ في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ثم قرأ ﴿فَمَنْ آتَبَعْهُ هَذَا فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ .

وبإسناده عن أبي بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا ابن فضيل عن عطاء بن السائب عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال: من قرأ القرآن واتبع ما فيه هداه الله من الضلالة ووقاه يوم القيامة سوء الحساب، وذلك بأن الله يقول: ﴿فَمَنْ آتَبَعْهُ هَذَا فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ .

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾ : يعنى عن القرآن فلم يؤمن به ولم يتبعه ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ : ضيقاً يقال: منزل ضنك، يستوى فيه الذكر والأثني والواحد والاثنان والجمع، قال عترة:

❖ وإذا هم نزلوا بطنك فانزل ❖

واختلف المفسرون فى المعيشة الضنك، فأخبرنى أبو عثمان سعيد بن محمد بن محمد بن الحيرى قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد المفيد قال: حدثنا أبو خليفة الفضل بن الحباب قال: حدثنا أبو الوليد الطيالسى قال: حدثنا حماد بن سلمة عن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: فى قوله سبحانه ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ : قال: «عذاب القبر» .

وقال ابن عباس: الشقاء، مجاهد: الضيق، الحسن وابن زيد: الزقوم والغسلين والضريع، قتادة: يعنى فى النار، عكرمة: الحرام، قيس بن أبى حازم: الرزق فى المعصية، الضحاك: الكسب الحثيث، عطية عن ابن عباس يقول [الله] (١): كل مال أعطيته من عبادى قلّ أو كثر لا يتقنينى فيه فلا خير فيه وهو الضنك فى المعيشة، وإن قومًا ضلّالاً أعرضوا عن الحق وكانوا أولى سعة من الدنيا أكثرين فكانت معيشته ضنكًا، وذلك أنهم كانوا يرون أن الله ليس بمخلف لهم معائشهم من سوء ظنهم بالله والتكذيب به، فإذا كان العبد يكذب بالله ويسىء الظن به اشتدت عليه معيشته فذلك الضنك أبو سعيد الخدرى: يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ويسلّط عليه فى قبره تسعة وتسعون تينًا، لكلّ تين سبعة رؤوس تنهشه وتخدش لحمه حتى يبعث، ولو أن تينًا منها ينفخ فى الأرض لم تنبت زرعاً (٢)، مقاتل: معيشة سوء لأنها فى معاصى الله. سعيد بن جبير: سلبه القناعة حتى لا يشبع.

﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ : قال ابن عباس: أعمى البصر، مجاهد: أعمى عن الحجّة.

(١) لفظ الجلالة سقط رسمه من المخطوط .

(٢) هذا قول غير صحيح وليس عليه دليل من قرآن ولا من سنة صحيحة، وهذا من علوم الغيب فلا يقبل فيه إلا ما جاء عن الله سبحانه فى كتابه أو بلغنا رسوله فى سنته الصحيحة .

﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾: بعيني، وقال مجاهد: عالماً بحجتي .  
 ﴿قَالَ كَذَلِكَ﴾: يقول كما ﴿أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَهَا﴾: فتركها وأعرضت عنها ﴿وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ  
 تُنْسَى﴾: تُترك في النار وكذلك أي وكما جزينا من أعرض ﴿وَكَذَلِكَ نُجْزِي مَنْ أَسْرَفَ﴾: أشرك  
 ﴿وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ﴾: مما يعذبهم به في الدنيا والقبر. ﴿وَأَبْقَى﴾: وأدوم  
 وأثبت .

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾: يتيين لهم ﴿كَدَّ أَعْيُنُنَا وَقَبَلُهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَشُؤْنَ فِي مَسْكِتِهِمْ﴾: ومنازلهم إذا  
 سافروا وانجروا .

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾: نظم الآية، ولولا كلمة  
 سبقت من ربك في تأخير العذاب عنهم وأجل مسمى وهو القيامة<sup>(١)</sup> ﴿لَكَانَ لِرِأَمًا﴾: لكان  
 العذاب لازماً لهم في الدنيا كما لزم القرون الماضية الكافرة .

﴿فَأَصْبَرَ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾: نسختها آية القتال<sup>(٢)</sup> ﴿وَسَبَّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: وصلِّ بأمر ربك، وقيل:  
 بثناء ربك ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾: يعني صلاة الصبح ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾: يعني صلاة العصر ﴿وَمِنْ  
 آتَائِي اللَّيْلِ﴾: صلاة العشاء الآخرة ﴿فَسَبَّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾: صلاة الظهر والمغرب، وإنما قال:  
 أطراف لهاتين الصلاتين؛ لأن صلاة الظهر في آخر الطرف الأول من النهار، وفي أول الطرف  
 الآخر من النهار فهي في طرفين منه والطرف الثالث غروب الشمس، وعند ذلك يصلِّي  
 المغرب، فلذلك قال: أطراف، ونصب عطفًا على قوله: قبل طلوع الشمس .

﴿لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾: بالشفاعة والثواب، قرأه العامة: بفتح التاء، ودليله قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ  
 يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ (الضحى: ٥) وقرأ الكسائي وعاصم برواية أبي بكر بضم التاء .  
 ﴿وَلَا تَدْنُ عَيْنُكَ﴾ الآية .

قال أبو رافع: أرسلني رسول الله ﷺ إلى يهودى يستسلفه فأبى أن يعطيه إلا برهن، فحزن  
 رسول الله ﷺ فأنزل الله سبحانه: ﴿وَلَا تَدْنُ عَيْنُكَ﴾: ولا تنظر ﴿إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾:  
 أي أعطيناهم أصنافاً من نعيم الدنيا ﴿زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: أي زينتها وبهجتها قرأه العامة بجزم  
 الهاء في قوله: ﴿مَا مَتَّعْنَا بِهِ﴾ .

(١) حدث ارتباك في سياق المخطوط ههنا حيث جاء النص على النحو التالي:

ولولا كلمة سبقت من ربك في تأخير العذاب عنهم: ﴿وأجل مسمى﴾ وهو القيامة ﴿لكان لازماً﴾ لكان العذاب  
 لازماً لهم في الدنيا كما لزم القرون الماضية الكافرة ﴿فأصبر . . .﴾ فرتبت على النسق السابق .

(٢) سبق الكلام مراراً وتكراراً وسيأتى كذلك في الخبر عن أمر الناسخ والنسوخ في القرآن الكريم واعتراض بعض  
 العلماء عليه وقولهم بأن كل آية لها حكمها في حالها وظروفها .

﴿وَرَزَقْنَا رَبَّكَ خَيْرًا وَأَتَقَى﴾ وَأَمْرُ أَهْلِكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْطَبِرَ عَلَيْهَا لَا نَسْتَلُكَ رِزْقًا﴾ : وَإِنَّمَا نَكَلَّفُكَ عَمَلًا  
﴿نَحْنُ نَزَرْنَا لَكَ وَالْعَلَقِيَّةَ لِلتَّقْوَى﴾ : الْجَمِيلَةَ الْمَحْمُودَةَ ﴿لِلتَّقْوَى﴾ أَيْ لِأَهْلِ التَّقْوَى .

قال هشام بن عروة : كان عروة إذا رأى ما عند السلاطين دخل داره وقال : ﴿وَلَا تَدَنَّ عَيْنِكَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿وَالْعَلَقِيَّةَ لِلتَّقْوَى﴾ ثُمَّ ينادى : الصلاة الصلاة يرحمكم الله .  
وقال مالك بن دينار : كان بكر بن عبد الله المزني إذا أصاب أهله خصاصة يقول : قوموا فصلوا ، ثم يقول : بهذا أمر الله ورسوله ، ويتلو هذه الآية .

﴿وَقَالُوا﴾ : يعنى هؤلاء المشركين ﴿لَوْلَا يَأْتِينَا﴾ : محمد ﴿بِنَبِيٍّ مِّن رَّبِّهِ﴾ : كما أتى بها الأنبياء من قبله .

قال الله سبحانه : ﴿أُولَئِكَ تَأْتِيهِمْ﴾ : بالتاء ، قرأه أهل المدينة والبصرة وبعض قرآء الكوفة لتأنيث اليينة ، وقرأ الآخرون بالياء لتقديم الفعل ولأن اليينة هى البيان فردّه إلى المعنى ﴿يَبْتِئُهُ مَا فِي الصُّحُفِ﴾ : الكتب ﴿الأولى﴾ : أى بيان ما فيها يعنى القرآن أقوى دلالة وأوضح آية .

وقال بعض أهل المعانى : يعنى ألم يأتهم بيان ما فى الكتب الأولى التوراة والإنجيل وغيرهما من أنباء الأمم التى أهلكتناهم لما سألوا الآيات ، فأتتهم فكفروا بها ، كيف عجلنا لهم العذاب والهلاك بكفرهم بها فما تؤمنهم إن أتتهم الآية أن يكون حالهم حال أولئك .

﴿وَلَوْلَا أَنَا أَهْلَكْنَا لَمَنَعْنَاكَ مِنَ الْإِسْلَامِ﴾ : أى من قبل نزول القرآن ومجىء محمد ﷺ .  
﴿لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا﴾ : هلا ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ : يدعوننا ﴿فَنُنَبِّئُكَ مِن قَبْلِ أَنْ نَدُلَّ وَنُخْرِجَ﴾ : بالعذاب ﴿قُل﴾ : يا محمد لهم ﴿كُلُّ مَن تَرَى﴾ : منتظر دوائر الزمان وما يكون من الحدثان ولن يكون الفلاح والنصر . ﴿فَتَرَبَّصُوا فَمَا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ : إذا جاء أمر الله تعالى وقامت القيامة ﴿مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ﴾ : المستقيم ﴿وَمَنْ أَهْتَدَى﴾ : من الضلالة نحن أم أنتم؟ .



## سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ

وهي أربعة آلاف وثمانمائة وتسعون حرفاً،  
وألف ومائة وثمان وستون كلمة، ومائة واثنتا عشرة آية

أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن الحسن الجرجاني المقرئ قال: حدثنا أبو علي بن حبش الدينوري المقرئ قال: حدثنا أبو العباس محمد بن موسى الدقاق الرازي قال: حدثنا عبد الله ابن روح المدائني قال: (ح) (١) وحدثنا ظفران قال: حدثنا ابن أبي داود قال: حدثنا محمد بن عاصم قال: حدثنا شبابة بن سوار الفزاري قال: حدثنا مخلد بن عبد الواحد عن علي بن عطاء بن أبي ميمونة عن زر بن حبيش عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ حاسبه الله حساباً يسيراً وصادفه وسلّم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن» (٢).

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأُ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ﴾ مَا آمَنْتَ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرِيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَأَ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ

(١) زيادة تصنيفية حديثة يتطلها سياق الإسناد.

(٢) إسناده ضعيف، وسبق أن ذكرت مراراً وتكراراً أن معظم الأحاديث الواردة في الفضائل سواء كانت في فضائل القرآن أو الصحابة أو البلدان أو الأماكن أو الأوقات هي في غالبها ضعيفة أو موضوعة فليتنبه لذلك عند قراءتها، والله الموفق والهادي للصواب بإذنه.

وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٥٠﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾

﴿أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ﴾ : قيل: اللام بمعنى (من) أى اقترب من الناس ﴿حِسَابُهُمْ﴾ : محاسبة الله إياهم على أعمالهم ﴿وَهُمْ﴾ : واو الحال ﴿فِي غَفْلَةٍ﴾ : عنه ﴿مُعْرِضُونَ﴾ : عن التفكير فيه والتأهب له ، نزلت في منكرى البعث .

﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ﴾ : يعنى ما يحدث الله تعالى من تنزيل شىء من القرآن يذكرهم ويعظهم به ﴿إِلَّا أَسْمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ : لا يعتبرون ولا يتعظون .

قال مقاتل : يحدث الله الأمر بعد الأمر ، وقال الحسن بن الفضل : الذكر هاهنا محمد رسول الله ﷺ ، يدل عليه قوله فى سياق الآية : ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ﴾ ولو أراد الذكر بالقرآن لقال : هل هذا إلا أساطير الأولين ، ودليل هذا التأويل أيضاً قوله : ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ وما هو إلا ذكر للعالمين ﴿(القلم: ٥١ ، ٥٢)﴾ : يعنى محمداً ﷺ .

﴿لَا هِيَّةَ﴾ : ساهية ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ : معرضة عن ذكر الله ، من قول العرب : لهيت عن الشىء إذا تركته ، ولاهية نعت تقدم الاسم من حق النعت أن يتبع الاسم فى جميع الإعراب ، فإذا تقدم النعت الاسم فله حالتان : فصل ووصل ، فحاله فى الفصل النصب كقوله سبحانه : ﴿خَشَعْنَا أَبْصَارَهُمْ﴾ (القمر: ٧) و﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا﴾ (الإنسان: ١٤) ﴿لَا هِيَّةَ قُلُوبُهُمْ﴾ . قال الشاعر :

لعزة موحشاً طلل يلوح كأنه خلل

أراد : طلل موحش ، وحاله فى الوصل حال ما قبله من الإعراب كقوله تعالى : ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ (النساء: ٧٥) قال ذو الرمة :

قد أعسف النازح المجهود معسفة فى ظل أخضر يدعو هامه اليوم  
أراد معسفة مجهول وإنما نصب لانتصاب النازح .

وقال النابغة :

من وحش وجرة موشى أكارعه طاوى المصير كسيف الصيقل الفرد  
أراد أن أكارعه موشية .

﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ : كان حقّه وأسرّ لأنه فعل تقدم الاسم فاختلف النحاة فى وجهه ، فقال الفراء : الذين ظلموا فى محلّ الخفض على أنه تابع للناس فى قوله : ﴿أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ .

وقال الكسائى : فيه تقديم وتأخير أراد والذين ظلموا أسروا النجوى .



وقال قطرب: وهذا سائغ في كلام العرب وحكى عن بعضهم أنه قال: سمعت بعض العرب يقول: أكلوني البراغيث قال الله سبحانه: ﴿ثُمَّ عَمَوْا وَصَمَوْا كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ (المائدة: ٧١). وقال الشاعر:

بك نال النصال دون المساعى      اهتدين النبال للأغراض

ويحتمل أن يكون محل الذين رفعاً على الابتداء، ويكون معناه وأسروا النجوى، ثم قال هم الذين ظلموا.

﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ﴾: أنه سحر ﴿قَالَ رَبِّي﴾: قرأ أكثر أهل الكوفة (قال) على الخبر عن محمد ﷺ، وقرأ الباقون «قل» على الأمر له ﴿يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ﴾: لأقوالهم «العليم»: بأفعالهم ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَمُ﴾: أى أباطيلها وأهاويلها ﴿بَلْ أَفْتَرْتَهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾: يعنى أن المشركين اقتسموا القول فيه: فقال بعضهم: أضغاث أحلام، وقال بعضهم: بل افتراه، وقال بعضهم: بل محمد شاعر، وهذا الذى جاءكم به شعر، لأن بل تأتى لتدارك شىء ونفى آخر.

﴿فَلْيَأْتِنَا بَيِّنَاتٍ﴾: إن كان صادقاً ﴿كَمَا أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ﴾: من الرسل بالآيات.

قال الله سبحانه مجيباً لهم ﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِن قَرْيَةٍ﴾: أهل قرية أتتها الآيات فأهلكناهم ﴿أَهْلَكَ كَنَانَهَا أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾: إن جاءتهم آية..

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ﴾: وهذا جواب لقولهم ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾: أى التوراة والإنجيل يعنى علماء أهل الكتاب ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: وقال ابن زيد: أراد بالذكر القرآن يعنى فاسألوا المؤمنين العالمين من أهل القرآن، قال جابر الجعفى: لما نزلت هذه الآية قال على: نحن أهل الذكر.

﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ﴾: يعنى الرسل الأولين ﴿جَسَدًا﴾: قال الفراء: لم يقل أجساداً لأنه اسم الجنس ﴿لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾: يقول: لم نجعلهم ملائكة، بل جعلناهم بشراً محتاجين إلى الطعام، وهذا جواب لقولهم: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾ (الفرقان: ٧) ﴿وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾: فى الدنيا ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ﴾: الذى وعدناهم هلاك أعدائهم ومخالفهم وإنجائهم ومتابعيهم ﴿فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾: المشركين.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾: قال مجاهد: حديثكم، وقيل: شرفكم.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.



﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ ﴿فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسْنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ ﴿لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكَنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ﴾ ﴿قَالُوا يَتَوَلَّاتْنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خِلْمِيَّينَ﴾ ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ﴾ ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا لَا نَتَّخِذَنَّهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ آلُوتٌ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ ﴿أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مَنِ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ﴾ ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلُ اللَّهِ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِي وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَ اللَّهِ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُشْعَبُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَادْتَنِي وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ ﴿

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ : أى أهلكتنا، والقصم: الكسر يقال: قصمت ظهر فلان،

وانقصمت سنة إذا انكسرت.

﴿وَأَنْشَأْنَا﴾ : وأحدثنا ﴿بَعْدَهَا﴾ : بعد إهلاك أهلها ﴿قَوْمًا آخَرِينَ﴾ ﴿فَلَمَّا أَحْسَوْا﴾ : رأوا ﴿بِأَسْنَا﴾ : عذابنا ﴿إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ : يسرعون هاربين، يقال منه: ركض فلان فرسه إذا كده بالرجل، وأصله التحريك.

﴿لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾ : نُعَمِّتُمْ فِيهِ ﴿وَمَسْكَنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ﴾ : عن نبيكم، مجاهد: لعلكم تفقهون بالمسألة، قتادة: لعلكم تسألون من دنياكم شيئاً استهزاءً بهم، نزلت هذه الآيات فى أهل حصورا وهى قرية باليمن، وكان أهلها العرب فبعث الله إليهم نبياً يدعوهم إلى الله سبحانه فكذبوه وقتلوه، فسلب الله عليهم بخت نصر حتى قتلهم وسباهم

ونكّل بهم، فلما استحرّ فيهم القتل ندموا وهربوا وانهزموا، فقالت الملائكة لهم على طريق الاستهزاء ﴿لَا تَرْكُضُوا وَأَرْجُوعُوا إِلَىٰ مَا أَتَيْتُمْ فِيهِ﴾: إلى مساكنكم وأموالكم، فأتبعهم بخت نصر وأخذتهم السيوف، ونادى مناد من جوّ السماء: يا لثارات الأنبياء، فلما رأوا ذلك أقرّوا بالذنوب حين لم ينفعهم فقالوا: ﴿قَالُوا يَنْوَلِّتُنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ﴾ قولهم وهجّيرهم ﴿حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا﴾: بالسيوف كما يحصد الزرع ﴿خَلْمِدِينَ﴾: ميتين. ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَلْعِينِ﴾: عبثًا وباطلاً ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا﴾: قال قتادة: اللهو بلغة أهل اليمن المرأة.

وقال عقبه بن أبى جسر: شهدت الحسن بمكة وجاءه طاوس وعطاء ومجاهد فسألوه عن هذه الآية، فقال الحسن: اللهو: المرأة. وقال ابن عباس: الولد. ﴿لَا تَتَّخِذْنَهُ مِنَّا لَدُنَّا﴾: من عندنا وما اتّخذت نساءً وولداً من أهل الأرض، نزلت فى الذين قالوا اتّخذ الله ولداً.

﴿إِن كُنَّا فَعَلِينَ﴾ ﴿بَلْ تَقْذِفُ﴾: نأتى ونرمى وننزل ﴿بِالْحَقِّ﴾: بالإيمان ﴿عَلَىٰ الْبَاطِلِ﴾: الكفر ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾: فيهلكه، وأصل الدمغ شجّ الرأس حتى يبلغ الدماغ ﴿فَإِذَا هُوَ رَاهِقٌ﴾: ذاهب وهالك.

﴿وَأَلَكُمُ الْوَيْلُ﴾: يا معشر الكفار ﴿مِمَّا تَصِفُونَ﴾: لله بما لا يليق به من الصاحبة والولد. وقال مجاهد: مما تكذبون، ونظيره قوله: ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾ (الأنعام: ١٣٩) أى تكذيبهم ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: عبداً وملكاً ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ﴾: يعنى الملائكة ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾.

قال ابن عباس: لا يستكفون، مجاهد: لا يجسرون، قتادة ومقاتل والسدى: لا يعيون، الوالى عن ابن عباس: لا يرجعون، ابن زيد: لا يملّون. ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾: لا يضعفون ولا يسأمون، قد ألهموا التسيح كما تلهمون النفس.

﴿أَوْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ﴾: يعنى الأصنام ﴿هُمُ يُشْرِكُونَ﴾: يحيون الأموات ويخلقون الخلق.

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا﴾: أى فى السماء والأرض ﴿إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ﴾: غير الله ﴿لَقَسَدَاتَا﴾: وهلك من فيهما.

﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يُفْعَلُ﴾: لأنه الرب ﴿وَهُمُ يُسْأَلُونَ﴾:

عما لا يعلمون لأنهم عبيده .

﴿أَمْ آتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ : على ذلك ، ثم قال مستأنفاً ﴿هَذَا﴾ : يعني القرآن ﴿ذَكَرْ﴾ : خبر ﴿مَنْ مَعِيَ﴾ : بيان الحدود والأحكام والثواب والعقاب ﴿وَذَكَرْ مَنْ قَبْلِي﴾ : من الأمم السالفة وما فعل الله بهم في الدنيا وما هو فاعل بهم في الآخرة ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ : عن القرآن .

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ﴾ : قرأ أكثر أهل الكوفة بالنون وكسر الحاء على التعظيم لقوله : ﴿أَرْسَلْنَا﴾ وقرأ الباقون بالياء وفتح الحاء على الفعل المجهول .  
 ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ : نزلت في خزاعة حيث قالوا : الملائكة بنات الله ﴿سَبَّحْتَهُ بِلَيلٍ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ : يعني الملائكة ﴿لَا يَسْتَوُونَ﴾ : لا يتقدمونه ﴿بِالْقَوْلِ﴾ : ولا يتكلمون إلا بما يأمرهم به .  
 ﴿وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ .

قال ابن عباس : هم أهل شهادة أن لا إله إلا الله ، وقال مجاهد : لمن رضى الله عنه ، ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ : خائفون ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ﴾ : قال قتادة : عنى بهذه الآية إبليس لعنه الله حيث ادعى الشركة ، ودعا إلى عبادة نفسه وأمر بطاعته ، قال : لأنه لم يقل أحد من الملائكة إنى إله من دون الله .

﴿فَذَلِكَ نُجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نُجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ : الواضعين الإلهية والعبادة في غير موضعها .



﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْضُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَئِنَّ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةٌ وَإِنَّا لَتَرْجِعُونَ ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوعًا هَذَا الَّذِي يَذْكُرُ الْهَتَّكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا

تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونُ عَنْ وُجُوهِهِ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢١﴾ قُلْ مَن يَكْلُوكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمُ عَن ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٢﴾ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٢٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمُ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٦﴾ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٢٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٩﴾ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٣٠﴾

﴿أَوْ لَمَرَ﴾: قرأه العامة بالواو، وقرأ ابن كثير ألم وكذلك هو في مصاحفهم. «ير» يعلم  
 ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ (١).

قال ابن عباس والضحاك وعطاء وقتادة: يعني كانتا شيئاً واحداً ملتزقتين ففصل الله سبحانه بينهما بالهواء.

قال كعب: خلق الله سبحانه السموات والأرضين بعضها على بعض ثم خلق ريحاً

(١) ثبت علمياً لدى علماء الأرض والفلك بما لا يدع مجالاً للشك أو الطعن وأصبح يقيناً لدى كل عالم أن السماء والأرض كانتا شيئاً واحداً وقتاً ثم حدث انفصال بينهما على تفاصيل يعرفونها وقد تختلف نظرياتهم أو أقوالهم في كيفية الفصل أو الفتق بينهما بما هو موافق أو مخالف لما كان بما يعلمه الله سبحانه وتعالى فلا مجال للشك في كونهما كانتا شيئاً واحداً لدى كل ذي لب أو علم.

أما عن تأويل القدامى من أهل التفسير فإنهم يفسرون على التقريب والتخيل والاحتمالات اللغوية وما شابه ذلك فمن وافق منهم شيئاً فهو توفيق من الله سبحانه ومن خالف فهو معذور لعدم تمكنه من الوسائل العلمية التي مكنتنا الله سبحانه وتعالى منها في عصورنا نحن من أجهزة ومعدات ومعامل ووسائل اختبارية ومراسد فلكية وما إلى ذلك من التفاصيل التي يعلمها أهل هذا الشأن من العلماء.

توسّطتها ففتحتها بها .

وقال مجاهد وأبو صالح والسدي : كانت السموات مرتقة طبقة واحدة ، ففتقتها فجعلها سبع سموات ، وكذلك الأرضون كانت مرتقة طبقاتاً واحداً ففتقتها فجعلها سبع أرضين .  
عكرمة وعطية وابن زيد : كانت السماء رتقاً لا تمطر ، والأرض رتقاً لا تنبت ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات ، نظيره قوله سبحانه : ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ۗ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ۗ ﴾ (الطارق: ١١ ، ١٢) وأصل الرتق السدّ ومنه قيل للمرأة التي فرجها ملتحم رتقاً ، وأصل الفتق الفتح ، وإنما وحّد الرتق وهو من نعت السموات والأرض لأنه مصدر وضع موضع الاسم مثل الزور والصوم والفطر والعدل ونحوها .

﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ ﴾ : يعنى أن كل شىء حىّ فإنه خلق من الماء ، نظيره قوله سبحانه ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ ۖ ﴾ .

﴿ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ۗ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا ۖ ﴾ : أى فى الرواسى ﴿ فَنَجَاجًا ۖ ﴾ : طرقاً ومسالك واحدها فج ثم ، فسّر فقال : ﴿ سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۗ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا ۗ ﴾ من أن تسقط دليله قوله سبحانه ﴿ وَيُنَسِّكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بَإِذْنِهِ ۗ ﴾ (الحج: ٦٥) وقيل : محفوظاً من الشياطين ، دليله قوله سبحانه : ﴿ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ۗ ﴾ (الحجر: ١٧) .

﴿ وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ۗ ﴾ : فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها يعنى الكفار .

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۗ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۗ ﴾ : يجرون ويسرون ، والفلك مدار النجوم الذى يضمها ، ومنه فلكة المغزل .

قال مجاهد : كهيئة حديدة الرّحا ، الضحّاك : فلكها : مجراها وسرعة سيرها .

وقال آخرون : الفلك موج مكفوف تجرى الشمس والقمر والنجوم فيه (١) .

وقال بعضهم : الفلك السماء الذى فيه ذلك الكوكب ، وكلّ كوكب يجرى فى السماء الذى قدر فيه وهو بمعنى قول قتادة .

﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِإِنْسَانٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ ۗ ﴾ : دوام البقاء فى الدنيا ﴿ أَفَلَا يَنْتَفِعُونَ بِمَا لَمْ يَحْزَنُوا ۗ ﴾ : أى أفهم

الخالدون؟ كقول الشاعر :

رفونى وقالوا يا خويلد لا ترع  
فقلت وأنكرت الوجوه هم هم

أى أهم؟ نزلت هذه الآية حين قالوا : نترىصّ بمحمد ريب النون .

(١) هذا قول مرجوح بل مستبعد ، وقد أفاض أهل علوم السماء فى زماننا فى تأويل أو تفسير تلك الآيات العلمية بما هو معلوم لديهم من الحقائق العلمية فراجع بحوثهم وكتبهم فى هذا .

﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ : منفوسة ﴿ذَاقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ﴾ : نختبركم ﴿بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ قِتَّةً﴾ : ابتلاء لننظر كيف شكركم فيما تحبون ، وكيف صبركم فيما تكرهون .  
 ﴿وَالْيَنَّا تُرْجَعُونَ﴾ وَإِذْ أَرَأَيْتَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ ﴿: ما يتخذونك ﴿الْأَهْزُؤًا﴾ : سخرياً ويقول بعضهم لبعض ﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾ : بسوء ويعيها ، قال عترة :  
 لا تذكرى فرسى وما أطعمته فيكون جلدك مثل جلد الأجرى  
 أى لا تعيى مهري .

﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ﴾ : معنى آدم ، قرأ العامة : بضم الحاء وكسر اللام على غير تسمية الفاعل ، وقرأ حميد والأعرج بفتح الحاء واللام يعنى خلق الله الإنسان ﴿مِنْ عَجَلٍ﴾ : اختلفوا فيه فقال بعضهم : يعنى أن بنيتة وخلقته من العجلة وعليها طبع ، نظيره قوله : ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ (الإسراء : ١١) .

وقال سعيد بن جبير والسدى : لما دخل الروح فى عينى آدم نظر إلى ثمار الجنة ، فلما دخل فى جوفه انتهى الطعام فوثب قبل أن تبلغ الروح رجليه عجلان إلى ثمار الجنة ، فذلك حين يقول ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ (١) .

وقال آخرون : معناه خلق الإنسان من تعجيل فى خلق الله إياه ، وقالوا : خلقه فى آخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس فأسرع فى خلقه قبل مغيبها (٢) .

قال مجاهد : خلق الله آدم بعد كل شىء آخر النهار من يوم خلق الخلق ، فلما أحيا الروح رأسه ولم يبلغ أسفله قال : يارب استعجل بخلقى قبل غروب الشمس .

وقال بعضهم : هذا من المقلوب مجازة : خلق العجل من الإنسان كقول العرب : «عرضت الناقة على الحوض» يريدون : عرضت الحوض على الناقة وكقولهم : إذا طلعت الشمس الشعري ، واستوى العود على الحربا أى استوى الحرب على العود . وقال ابن مقبل :

حسرت كفى عن السربال آخذه فرداً يجرّ على أيدي المقدينا  
 يريد حسرت السربال عن كفى ، ونحوها كثير .

(١) هذا تأويل لا دليل عليه وما عرى من الدليل لا يوجب الإلزام . ولا يفيد العلم اليقيني وإنما اجتهاد مجتهد .

(٢) هذا قول ليس عليه دليل كذلك ، ثم إن هذا أشد فساداً من غيره أو الذى قبله حيث إن الخبر يفيد بأن الله سبحانه وتعالى وحاشاه كان يغالب أو يسارع الوقت حتى لا يفوته قبل خلق آدم عليه السلام ، وحاشا وكلا أن يكون هذا قد كان .

ولكن المقطوع به هو أن الله عز وجل خلق آدم فى الجنة ثم أخرج منها أو أنزله منها وليس فى الجنة شمس ولا زهير ، ولا قمر ولا كوكب .

وقال أبو عبيد: وكثير من أهل المعاني يقولون: العجل الطين بلغة حمير، وأنشدوا:  
النبع تثبت بين الصخر ضاحية<sup>(١)</sup> والنخل يثبت بين الماء والعجل

أى الطين.

﴿سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾: بالعذاب وسؤال الآيات ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾: الذى تعدنا من العذاب، وقيل: القيامة، وتقديره الموعد ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. قال الله سبحانه ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُونُونَ﴾: يمينون ﴿عَنْ وَجْهِهِ النَّارُ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ﴾: السياط<sup>(٢)</sup> ﴿وَلَا هُمْ يُبْصِرُونَ﴾: وفى الآية اختصار يعنى لما أقاموا على كفرهم ولم يتوبوا.

﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ﴾: يعنى الساعة ﴿بِعْتَةٍ﴾: فجأة ﴿فَتَبْتَهُمْ﴾: قال ابن عباس: تفجأهم، وقال الفراء: تحيرهم. ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون ﴿قُلْ مَنْ يَكْفُرْ﴾: يحفظكم ويحرسكم ﴿بِالْبَيْتِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾: إذا أنزل بكم عذابه، ومعنى الآية: من أمر الرحمن وعذابه.

ثم قال سبحانه: ﴿بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ﴾ كتاب ربهم ﴿مُعْرِضُونَ﴾ أمر لهم: الميم صلة فيه وفى أمثاله ﴿ءَالِهَةٌ تَتَّبِعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ﴾: فكيف ينصرون عابديهم. ﴿وَلَا هُمْ مَتَانًا يُصْحَبُونَ﴾: قال ابن عباس: يمينون، عطية عنه: يُجارون، يقول العرب: أنا لك جار وصاحب من فلان أى مجير عنه.

مجاهد: ينصرون ويحفظون، قتادة: لا يصحبون من الله بخير.

﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ﴾: الكفار ﴿وَوَآبَاءَهُمْ﴾: فى الدنيا ﴿حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾: يعنى ما نقص من أطراف المشركين ونزيد فى أطراف المؤمنين<sup>(٣)</sup>. ﴿أَفَهُمْ الْعَالِيُونَ﴾: أم نحن ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾: بالقرآن ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ﴾ قرأ أبو عبد الرحمن السلمى بضم الياء وفتح الميم، الضم رفع بمعنى أنه لا يفعل بهم ذلك على مذهب ما لم يبين فاعله.

(١) صدر البيت فى هامش تفسير القرطبي:

❖ والنبع فى الصخرة الصماء منبته ❖

(٢) هذا تأويل لا يستقيم وهو بعيد عن ظاهر الآية حيث المراد: لا يكونون النار عن وجوههم وظهورهم، وهذا هو المعنى المتبادر إلى الذهن وهو المقصود من السياق حيث لم يحدد نوع العذاب فى النار فى هذه الآية فهو عام لا يعلمه إلا الله ويفيد ظاهرها أن العذاب محيط بهم من جميع الجهات. والله أعلم.

(٣) لعلماء الجغرافيا والجيولوجيا فى تفسير هذه الآية أقوال علمية مفيدة يمكن الرجوع إليها فى كتبهم.



وقرأ ابن عامر: «تسمع» بقاء مضمومة وكسر الميم والصمّ نصباً، جعل الخطاب للنبي عليه السلام وقرأ الآخرون: «يسمع» بياء مفتوحة وفتح الميم والصمّ رفع على أن الفعل لهم ﴿إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾: يخوفون ويحذرون.

﴿وَلَيْنَ مَسْتَهْمٍ﴾: أصابتهم ﴿نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾: قال ابن عباس: طرف، مقاتل وقتادة: عقوبة، ابن كيسان: قليل، ابن جريج: نصيب، من قولهم: نفخ فلان لفلان إذا أعطاه قسماً وحظاً منه، بعضهم: ضربة، من قول العرب: نفحت الدابة برجلها إذا ضربت بها. قال الشاعر:

وعمرة من سروات النساء تنفح بالمسك أردانها

﴿يَتُولُونَ يَتَوَلَّاتَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ: العذاب وإنما وحد القسط وهو جمع الموازين لأنه في مذهب عدل ورضى.

قال مجاهد: هذا مثل، وإنما أراد بالميزان العدل.

﴿فَلَا تَنْظُرْ نَفْسٌ شَيْئاً﴾: لا ينقص من حسناته ولا يزداد على سيئاته.

يروى أن داود (عليه السلام) سأل ربه أن يريه الميزان فأراه، فلما رآه غشى عليه ثم أفاق، فقال: يا إلهي من الذي يقدر أن يملأ كفته حسنات؟ فقال: يا داود إنني إذا رضيت عن عبدى ملأتها بتمرة<sup>(١)</sup>.

فإن قيل: كيف وجه الجمع بين هذه الآية وبين قوله سبحانه: ﴿فَلَا تَقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾ (الكهف: ١٠٥)؟ فالجواب: إن المعنى فيه: لا تقومها ولا تستقيم على الحق، من ناقصه سائله لأنها باطلة.

﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾: رفع أهل المدينة المثلقال بمعنى: وإن وقع، وحينئذ لا خبر له ونصبها الباقون على معنى: وإن كان ذلك الشيء مثقال، ومثله في سورة لقمان ﴿أَتَيْنَا بِهَا﴾: أحضرناها، وقرأ مجاهد: آتينا بالمدأى جازينا بها.

﴿وَكُنْفَىٰ بَنَىٰ حَكْسِيْنَ﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ: يعنى الكتاب الذى يفرق بين الحق والباطل وهو التوراة.

وقال ابن زيد: النصر على الأعداء، دليله قوله: ﴿وَمَا أُنزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ (الأنفال: ٤١) يعنى يوم بدر، وهذا القول أشبه بظاهر الآية لدخول الواو فى الضياء والذكر للمتقين، وعلى هذا التأويل تكون الواو مقحمة زائدة كقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَزِينَهُ

(١) هذا خبر لا إسناد له ومنتنه لا يقبل فلا يعتد به ولا يعول عليه.

الْكَوَاكِبِ ﴿٧﴾ وَحِفْظًا ﴿الصافات: ٦، ٧﴾.

ويروى أن عكرمة كان يقول فى هذه الآية: معناها: ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان ضياءً، ويقول: انقلوا هذه الواو إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ (غافر: ٧).

﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾: أى يخافونه ولم يروه ﴿وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ وهذا ذكر مبارك: ﴿يَعْنَى الْقُرْآنَ﴾ ﴿أَنْزَلْنَاهُ أَنْتَهُ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾: جاحدون.



﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلٍ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾ فَجَعَلَهُمْ جَذًا إِذَا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ رِبِّيُّهُ ﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَكُّوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿ثُمَّ نَكَّسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿قُلْنَا يَبْنَؤُكُمْ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ﴾: توفيقه. القرطبي: صلاحه، ﴿مِنْ قَبْلٍ﴾: أى من قبل موسى

وهارون.

قال المفسرون: يعنى هديناه صغيراً كما قال ليحيى ﴿وَأَتَيْنَهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ (مريم: ١٢).

﴿وَكُنَّا بِهِ عَسَلِينَ﴾: بأنه أهل الهداية والنبوة.

﴿إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ﴾: والصور يعنى الأصنام ﴿الَّتِي أَنْتَرُهَا عَاكِفُونَ﴾:

على عبادتها مقيمون.

﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَسِدِينَ﴾: فافتدينا بهم.

﴿قَالَ﴾: إبراهيم ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾: بعبادتكم إياها.

﴿قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ﴾: يعنون أجداد أنت فيما تقول أم لآعب؟

﴿قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ﴾: خلقهن ﴿وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾

﴿وَتَأَلَّه لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾: لأمكرن بها ﴿بَعْدَ أَنْ تُولَؤُا مُدْبِرِينَ﴾.

قال مجاهد وقتادة: إنما قال إبراهيم هذا فى سر من قومه ولا يسمع ذلك إلا رجل واحد

منهم، وهو الذى أفشاه عليه وقال: ﴿سَمِعْنَا فَنِي يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾.

قال السدسى: كان لهم فى كل سنة مجمع وعيد، فكانوا إذا رجعوا من عيدهم دخلوا على

الأصنام فسجدوا لها، ثم عادوا إلى منازلهم، فلما كان ذلك العيد قال أبو إبراهيم له: يا

إبراهيم لو خرجت معنا إلى عيدنا أعجبك ديننا، فخرج معهم إبراهيم فلما كان ببعض الطريق

ألقى نفسه وقال: إني سقيم يقول: أشتكى رجلى، فتواطؤوا رجله وهو صريع، فلما مضوا

نادى فى آخرهم وقد بقى ضعف الناس ﴿وَتَأَلَّه لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولَؤُا مُدْبِرِينَ﴾:

فسمعوها منه، ثم رجع إبراهيم إلى الآلهة فإذا هن فى بهو عظيم مستقبل باب البهو صنم

عظيم إلى جنبه أصغر منه بعضها إلى جنب بعض، كل صنم يليه أصغر منه إلى باب البهو،

وإذا هم قد جعلوا طعاماً فوضعه بين يدى الأصنام، قالوا: إذا كان حين نرجع رجعنا وقد

بركت الآلهة فى طعامنا فأكلنا، فلما نظر إليهم إبراهيم وإلى ما بين أيديهم من الطعام قال لهم

على طريق الاستهزاء: ألا تأكلون؟ فلما لم يجبه أحد قال: ما لكم لا تنطقون؟ ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ

ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ (الصافات: ٩٣)، وجعل يكسرهن بفأس فى يده حتى إذا لم يبق إلا الصنم الأكبر

علق الفأس فى عنقه ثم خرج، فذلك قوله سبحانه ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا﴾.

قرأ يحيى بن وثاب والأعمش والكسائى بكسر الجيم أى كسراً وقطعاً جمع جديذ وهو

الهشيم، مثل خفيف وخفاف وكريم وكرام، وقرأ الباقون: بضمه أى الحطام والدقاق ﴿إِلَّا

كَبِيرًا لَهُمْ﴾: أى عظيماً للآلهة فإنه لم يكسره ووضع الفأس على عنقه ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾:

فيتذكرون ويعلمون ضعفها وعجزها، وقيل: لعلهم إليه يرجعون فيسألونه، فلما جاء القوم

من عيدهم إلى بيت آلهتهم ورأوا أصنامهم ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾  
 قَالُوا: يعنى الذين سمعوا إبراهيم يقول: تالله لأكيدن أصنامكم ﴿سَمِعْنَا قَتَى يَذْكُرُهُمْ﴾ :  
 يعيبهم ويسبهم ويستهزئ بهم ﴿يُقَالُ لَهُ إِبرَاهِيمُ﴾ : هو الذى صنع هذا، فبلغ ذلك عمرو الجبار  
 وأشرف قومه فقالوا: ﴿فَاتُوا بِهِ عَلَى عَيْنِ النَّاسِ﴾ يراد بأعين الناس ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ : عليه أنه هو  
 الذى فعل ذلك، وكرهوا أن يأخذوه بغير بيته، قاله قتادة والسدى .

وقال الضحاك والسدى: لعلهم يشهدون ما يصنع به ويعاقبه، أى، يحضرون، فلما أتوا به  
 ﴿قَالُوا آتَتْ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبرَاهِيمُ﴾ قَالَ: إبراهيم ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ : غضب من  
 أن تعبدوا معه هذه الصغار وهو أكبر منها فكسره، قاله ابن إسحاق وإنما أراد إبراهيم بذلك  
 إقامة الحجة عليهم، فذلك قوله سبحانه: ﴿فَسَلُّوهُمْ إِنْ كَانُوا يَتَّقُونَ﴾ حتى يخبروكم بمن فعل  
 هذا بهم .

وروى عن الكسائى أنه كان يقف عند قوله: بل فعله ويقول: معناه فعله من فعله، ثم  
 يتدنى: كبيرهم هذا .

وقال القتيبي: جعل إبراهيم النطق شرطاً للفعل فقال: ﴿فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَلُّوهُمْ إِنْ كَانُوا  
 يَتَّقُونَ﴾ والمعنى إن قدروا على الفعل، فأراهم عجزهم عن النطق والفعل، وفى ضمنه أنا  
 فعلت ذلك، والذى تظاهرت به الأخبار فى هذه الآية، قول ابن إسحاق يدلّ عليه قول النبى  
 ﷺ: لم يكذب إلا ثلاث كذبات كلها فى الله عزّ وجلّ قوله: ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾ (الصافات: ٨٩)  
 وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾ وقوله لسارة: هى أختى، وغير مستحيل أن يكون الله سبحانه أذن  
 لرسوله وخليله فى ذلك ليقرع قومه ويوبخهم ويحتجّ عليهم ويعرفهم موضع خطئهم كما أذن  
 ليوسف حين أمر مناديه فقال لأخوته: ﴿أَيُّهَا الْعَيْرُ إِنَّكُمْ لَسُرِقُونَ﴾ (يوسف: ٧٠) ولم يكونوا  
 سرقوا شيئاً .

﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ﴾ : يقول: فتفكروا بقلوبهم ورجعوا إلى عقولهم ﴿فَقَالُوا﴾ : ما نراه إلا  
 كما قال: ﴿إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الظَّالِمُونَ﴾ هذا الرجل فى سؤالكم إياه، وهذه آلهتكم التى فعل بها ما  
 فعل حاضرة فسلوها، وقيل: إنكم أنتم الظالمون بعبادتكم الأوثان الصغار مع هذا الكبير .  
 ﴿ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ﴾ : متحيرين مشبورين وعلموا أنها لا تنطق ولا تبطش، قالوا: ﴿لَقَدْ  
 عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَتَّبِعُونَ﴾ فلما اتجهت الحجة لإبراهيم عليهم ﴿قَالَ﴾ : لهم ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ  
 اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون ﴿: فلما لزمتمهم  
 الحجة وعجزوا عن الجواب ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ .

قال ابن عمر: إن الذي أشار عليهم بتحريق إبراهيم رجل من الأكراد، قال شعيب الجبائي: اسمه هيزن فحسب الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة<sup>(١)</sup>، قالوا: فلما جمع نمرود قومه لإحراق إبراهيم حسوه في بيت وبنوا بنياناً كالحظيرة فذلك قوله: ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ (الصافات ٩٧) ثم جمعوا له صلاب الحطب من أصناف الخشب حتى إن كانت المرأة لتمرض فتقول لئن عافاني الله لأجمعن حطباً لإبراهيم، وكانت المرأة تنذر في بعض مما تطلب مما تحب أن تدرك لئن أصابه لتحتظبن في نار إبراهيم التي يحرق بها احتساباً في دينها.

قال ابن إسحاق: كانوا يجمعون الحطب شهراً، قالوا: حتى إذا أكثروا وجمعوا منه ما أرادوا أشعلوا في كل ناحية من الحطب، فاشتعلت النار واشتدّت حتى إن كان الطير لتمرّ بها فتحرق من شدة وهجها، ثم عمدوا إلى إبراهيم فرفعوه على رأس البنيان وقيّدوه، ثم اتخذوا منجنيقاً ووضعوه فيه مقيداً مغلولاً، فصاحت السموات والأرض ومن فيهما من الملائكة وجميع الخلق إلا الثقلين صيحة واحدة: أي ربنا، إبراهيم ليس في أرضك أحد يعبدك غيره يُحرق فيك فائذن لنا في نصرته، فقال الله سبحانه وتعالى لهم: إن استغاث بشيء منكم أو دعاه فلينصره، فقد أذنت له في ذلك، وإن لم يدع غيري فأنا أعلم به، وأنا وليه فخلوا بيني وبينه فلما أرادوا إلقاءه في النار أتاه خازن المياه فقال: إن أردت أخمدت النار فإن خزائن الأمطار بيدي، وأتاه خازن الرياح فقال: إن شئت طيّرت النار في الهواء، فقال إبراهيم: لا حاجة لي إليكم، ثم رفع رأسه إلى السماء فقال: اللهم أنت الواحد في السماء وأنا الواحد في الأرض، ليس في الأرض أحد يعبدك غيري، حسبى الله ونعم الوكيل<sup>(٢)</sup>.

وروى المعتمر عن أبي بن كعب عن أرقم أن إبراهيم قال حين أوثقوه ليلقوه في النار: لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين، لك الحمد ولك الملك، لا شريك لك، قال: ثم رموه في المنجنيق إلى النار من مضرب شاسع فاستقبله جبرئيل فقال: يا إبراهيم ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا، قال جبرئيل: فاسأل ربك؟ فقال إبراهيم: حسبى من سؤالي علمه بحالي، فقال الله سبحانه ﴿يِنَّا رَكُوعًا رَدًّا وَسَلَامًا عَلَيَّ إِبرَاهِيمَ﴾ قال السدي: كان جبرئيل هو الذي ناداها. قال ابن عباس: لو لم يتبع بردها سلاماً لمات إبراهيم من بردها، فلم تبق يومئذ نار في الأرض إلا طفئت ظنت أنها هي تُعنى.

(١) هذا خبر غير صحيح.

(٢) ما حدث من تفاصيل إحراق سيدنا إبراهيم لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى أما الحدث فنؤمن به كما جاء في القرآن الكريم ولا نزيد على ذلك فليس سوى ما أخبرنا الله خبر ولا فائدة في تفاصيل حججه الله عنا.

قال السدّي: فأخذت الملائكة بضبعي إبراهيم فأقعده على الأرض، فإذا عين ماء عذب وورد أحمر ونرجس.

قال كعب: ما أحرقت النار من إبراهيم إلا وثاقه، قالوا: وكان إبراهيم في ذلك الموضع سبعة أيام.

قال المنهال بن عمر: قال إبراهيم خليل الله: ما كنت أيّاماً قطّ أنعم منّي من الأيام التي كنت فيها في النار.

قال ابن يسار: وبعث الله جلّ اسمه ملك الظلّ في صورة إبراهيم فقعده فيها إلى جنب إبراهيم وهو يؤنسه، قالوا: وبعث الله بقميص من حرير الجنة وأتاه جبرئيل (عليه السلام) فقال: يا إبراهيم إنّ ربك يقول: أما علمت أنّ النار لا تضرّ أحبّائي، ثمّ نظر نمرود من صرح له وأشرف على إبراهيم وما شكّ في موته، فرأى إبراهيم جالساً في روضة ورأى الملك قاعداً إلى جنبه وما حوله نار تحرق ما جمعوا له من الحطب فناده نمرود: يا إبراهيم، كبير إلهك الذي بلغت قدرته أن حال بينك وبين ما أرى لم يضرّك، يا إبراهيم هل تستطيع أن تخرج منها؟

قال: نعم، قال: هل تخشى إن أقمت فيها تضرّك؟ قال: لا، قال: فقم فاخرج منها، فقام إبراهيم يمشي فيها حتى خرج منها، فلما خرج إليه قال له: يا إبراهيم، من الرجل الذي رأيت معك مثل صورتك قاعداً إلى جنبك؟ قال: ذلك ملك الظلّ أرسله إليّ ربّي ليؤنسني فيها، فقال نمرود: يا إبراهيم إنّني مقرب إلى إلهك قرباناً لما رأيت من قدرته وعزّته فيما صنع بك حين أبيت إلاّ عبادته وتوحيده، إنّني ذابح له أربعة آلاف بقرة، فقال له إبراهيم: إذا لا يقبل الله منك ما كنت على دينك هذا حتى تفارقه إلى ديني، فقال: يا إبراهيم لا أستطيع ترك ملكي ولكن سوف أذبحها له، فذبحها له نمرود، ثمّ كف عن إبراهيم ومنعه الله سبحانه منه.

قال أبو هريرة: إنّ أحسن شيء قاله إبراهيم لما رفع عنه الطبق وهو في النار يرشح جبينه فقال نمرود عند ذلك: نعم الرب ربك يا إبراهيم.

قال كعب وقتادة والزهرى: ما انتفع أحد من أهل الأرض يومئذ بنار ولا أحرقت النار شيئاً يومئذ إلاّ وثاق إبراهيم ولم تأت يومئذ دابة إلاّ أطفأت عنه النار إلاّ الوزغ، فلذلك أمر النبي ﷺ بقتله وسماه فوسقاً.

قال شعيب الجبائي: ألقى إبراهيم (عليه السلام) في النار وهو ابن ست عشرة سنة، وذبح إسحاق<sup>(١)</sup> وهو ابن سبع سنين، وولده سارة وهي بنت تسعين سنة، وكان مذبحه من بيت

(١) معلوم أنّ الذبيح هو إسماعيل وهو الأكبر ومن قال بأن الذبيح إسحاق فقد خالف القرآن الكريم.

إيليا على ميلين، ولما علمت سارة بما أراد إسحاق بطنت يومئذ وماتت اليوم الثالث.

وقال الله سبحانه ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٢٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا ﴿٢١﴾ مِنْ غَمْرُودٍ وَقَوْمِهِ مِنْ أَرْضِ الْعِرَاقِ ﴿٢٢﴾ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَدَرَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ : يعنى الشام.

قال أبى بن كعب سمّاها مباركة لأنه ما من ماء عذب إلا وينبع أصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس.

وقال قتادة: كان يقال: الشام أعقاب دار الهجرة، وما نقص من الأرض زيد فى الشام، وما نقص عن الشام زيد فى فلسطين، وكان يقال: هى أرض المحشر والمنشر، وبها مجمع الناس، وبها ينزل عيسى ابن مريم، وبها يهلك الله الدجال.

وحدث أبو قلابة أن رسول الله ﷺ قال: رأيت فيما يرى النائم كأن الملائكة حملت عمود الكتاب فوضعت بالشام، فأولته أن الفتن إذا وقعت فإن الإيمان بالشام.

وذكر لنا أن عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) قال لكعب: ألا تتحول إلى المدينة فإنها مهاجر رسول الله ﷺ وموضع قبره؟ فقال له كعب: يا أمير المؤمنين إنى أجد فى كتاب الله المنزل أن الشام كنز الله من أرضه وبها كنزه من عباده.

وقال محمد بن إسحاق بن يسار: استجاب لإبراهيم رجال من قومه حين رأوا ما صنع الله سبحانه به من جعل النار عليه برداً وسلاماً على خوف من غمroud وملئهم، فأمن له لوط وكان ابن أخيه، وهو لوط بن هاران بن تارخ، وهاران هو أخ إبراهيم، وكان لهما أخ ثالث يقال له باحور بن تارخ، فهاران أبو لوط، وناحورا أبو تبويل، وتبويل أبو لايان، ورتقا بنت تبويل امرأة إسحاق بن إبراهيم أم يعقوب، وليا وزاحيل زوجتا يعقوب ابنتا لايان، وآمنت به أيضاً سارة وهى بنت عمه، وهى سارة بنت هاران الأكبر عم إبراهيم عليه السلام.

وقال السدى: كانت سارة بنت ملك حرّان وذلك أن إبراهيم ولوطاً انطلقا قبل الشام فلقي إبراهيم سارة وهى ابنة ملك حرّان وقد طعنت على قومها فى دينهم، فتزوجها إبراهيم على أن يغيّرهما<sup>(١)</sup>.

قال ابن إسحاق: خرج إبراهيم من كوثى من أرض العراق مهاجراً إلى ربه، وخرج معه لوط وسارة كما قال الله سبحانه: ﴿فَقَامَنَّ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾ (العنكبوت: ٢٦) فخرج يلتمس الفرار بدينه والأمان على عبادة الله حتى نزل حرّان فمكث بها ما شاء الله أن يمكث، ثم خرج منها مهاجراً حتى قدم مصر، ثم خرج من مصر إلى الشام ونزل السبع من أرض فلسطين

(١) فى تفسير ابن كثير: على أن يقرّ بها.

وهى برية الشام، ونزل لوط بالمؤتفكة وهى من السبع على مسيرة يوم وليلة وأقرب من ذلك، فبعثه الله سبحانه نبياً فذلك قوله: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ يعنى الشام، وبركتها أن منها بعث أكثر الأنبياء وهى أرض خصبة كثيرة الأشجار والأنهار والثمار يطيب فيها عيش الفقير والغنى.

وروى العوفى عن ابن عباس فى قوله: ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ قال: يعنى مكة ونزول إسماعيل، ألا ترى أنه يقول: ﴿إِنْ أَوْلَّ بَيْتٍ وَضَعِ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِكَ مَبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٩٦) والقول الأول أصوب.

﴿رَوْهَبًا لَهُ إِسْحَاقُ وَيَعْقُوبُ نَافِلَةً﴾: أى عطاء عن مجاهد، الحسن والضحك فضلاً، قال ابن عباس وأبى بن كعب وابن زيد وقتادة: سأل واحداً فقال: رب هب لى من الصالحين فأعطاه الله إسحاق ولدًا، وزاده يعقوب ولد الولد فهو النافلة. قال مجاهد وعطاء: معنى النافلة العطية وهما جميعاً من عطاء الله سبحانه أعطاهما إياه.

﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾: يعنى إبراهيم وإسحاق ويعقوب (عليه السلام).



﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدٌ﴾ ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَاتِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَلسْتَيْنَ﴾ ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿وَنوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخُكِّمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَمَّةُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ ﴿وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَنْ يُعْوِضُونَ لَهُمْ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً﴾: يقتدى بهم فى الخير ﴿يَهْدُونَ﴾: يدعون الناس إلى ديننا.



﴿يَأْمُرُنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ﴾ : وإقامة ﴿الصَّلَاةِ وَإِتْيَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدٌ﴾  
 ﴿وَلُوطًا﴾ : أى وآتينا لوطاً، وقيل واذكر لوطاً ﴿ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾ : أى الفصل بين الخصوم بالحق  
 ﴿وَعَلَّمَا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَ﴾ : يعنى سدوم كان أهلها يأتون الذكران فى  
 أدبارهم ويتضارطون فى أنديتهم مع أشياء أخرى كانوا يعملونها من المنكرات .

﴿إِنَّمْ كَانُوا قَوْمٌ سَوَاءٌ فَلْسِقِينَ﴾ : وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى﴾ : دعا  
 ﴿مِن قَبْلِ﴾ : أى من قبل إبراهيم ولوط ﴿فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ فَجَنَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ : أتباعه ﴿مِنَ الْكُرْبِ  
 الْعَظِيمِ﴾ : الطوفان، والكرب أشد الغم .  
 ﴿وَنَصْرَنَاهُ﴾ : منعناه ﴿مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ : أن يصلوا إليه بسوء، وقال أبو عبيد:  
 أى على القوم .

﴿إِنَّمْ كَانُوا قَوْمٌ سَوَاءٌ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ : وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ ﴿: قال مرة  
 وقتادة: كان الحرث زرعاً، وقال ابن مسعود وشريح: كان كرماً قد نبتت عناقيد ﴿إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ  
 غَنَمُ الْقَوْمِ﴾ : أى رعته ليلاً فأفسدته، والنفس بالليل، والهمل بالنهار، وهما الرعى بلا راع  
 ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ : لا يخفى علينا منه شيء، ولا يغيب عنا علمه .  
 ﴿فَقَهَّمْنَاهَا﴾ : أى علمناها وألهمناها يعنى القضية ﴿سُلَيْمَانَ﴾ : دون داود .  
 ﴿وَكُلًّا﴾ : يعنى داود وسليمان ﴿ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ .

قال ابن عباس وقتادة والزهرى ومرة: وذلك أن رجلين دخلا على داود أحدهما صاحب  
 حرث والآخر صاحب غنم، فقال صاحب الزرع: هذا انفلتت غنمه ليلاً فوقعت فى حرثى،  
 فلم تبق منه شيئاً، فقال له داود: اذهب فإن الغنم لك، فأعطاه رقاب الغنم بالحرث، فخرجا  
 فمرآ على سليمان فقال: كيف قضى بينكما، فأخبراه فقال سليمان: لو وليت أمرهم لقضيت  
 بغيره، فأخبر بذلك داود فدعاه فقال: كيف تقضى بينهما؟ قال: ادفع الغنم إلى صاحب  
 الحرث فيكون له نسلها ورسلها وحرثها وعوارضها ومنافعها ويذر أصحاب الغنم لأهل  
 الحرث مثل حرثهم، فإذا كان العام المقبل وصار الحرث كهبيته يوم أكل دفع إلى أهله وأخذ  
 صاحب الغنم غنمه .

وقال ابن مسعود وشريح ومقاتل: إن راعياً نزل ذات ليلة بجنب كرم، فدخلت الأغنام  
 الكرم وهو لا يشعر فأكلت القضبان وأفسدت الكرم، فصار صاحب الكرم من الغد إلى داود،  
 فقضى بالأغنام لصاحب الكرم لأنه لم يكن بين ثمن الكرم وثمر الأغنام تفاوت، فمرؤا  
 بسليمان وهو ابن إحدى عشرة سنة فقال: ما قضى الملك فى أمركم؟ فقصوا عليه القصة فقال

سليمان: غير هذا أرفق بالفريقين، فعادوا إلى داود فأخبروه بذلك فدعا سليمان وقال له: بحق النبوة والأبوة إلا أخبرتني بالذي هو أرفق بالفريقين، فقال سليمان: تسلّم الأغنام إلى صاحب الكرم حتى يرتفق برسلها ونسلها وصوفها ومنافعها، ويعمل الراعى فى إصلاح الكرم إلى أن يعود كهيتته، ثم يرد الأغنام إلى صاحبها فقال: القضاء ما قضيت. وحكم بذلك. قال الحسن: كان الحكم بما قضى به سليمان، ولم يعنف الله داود فى حكمه وهذا يدل على أن كل مجتهد مصيب.

وروى الزهرى عن حرام بن محيصة قال: دخلت ناقة للبراء بن عازب حائطاً لبعض الأنصار فأفسدته، فرفع ذلك إلى رسول الله ﷺ فقرأ هذه الآية، ثم قضى على البراء بما أفسدته الناقة وقال: «على أصحاب الماشية حفظ الماشية بالليل، وعلى أصحاب الحوائط حفظ حيطانهم وزروعهم بالنهار».

﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾: أى وسخّرنا الجبال والطير يسبحن مع داود إذا سبح.

قال وهب: كان داود يمرّ بالجبال مسبحاً وهى تجاوبه وكذلك الطير. قتادة: «يسبحن» أى يصلين معه إذا صلى.

﴿وَكُنَّا فَعَلِينَ﴾: ذلك ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ﴾: اللبوس عند العرب: السلاح كله درعاً كان أو جوشناً أو سيفاً أو رمحاً، يدلّ عليه قول الهذلى يصف رُمحاً:

ومعى لبوس للبيس كأنه روق بجبهة ذى نعاج مُجفل يريد باللبوس الرمح، وإنما عنى الله سبحانه فى هذا الموضع الدرع وهو بمعنى اللبوس كالحلوب والركوب.

قال قتادة: أول من صنع الدروع داود (عليه السلام) وإنما كانت صفائح، فهو أول من سردها وحلقها.

﴿لَتُحْصِنَكُمْ﴾: لتحرزكم وتمنعكم ﴿مِنَ بَأْسِكُمْ﴾: حربكم، واختلف القراء فيه، فقرأ شيبة وعاصم برواية أبى بكر، ويعقوب برواية رويس، لنحصنكم بالنون، لقوله: «وعلمناه» وقرأ أبو جعفر وابن عامر وحفص وروح، بالتاء يعنى... (١).

﴿وَأَسْلَمْنَا﴾: أى وسخّرنا لسليمان ﴿الريح﴾: وهو هواء محرّك وهو جسم لطيف يمتنع بلطفه من القبض عليه ويظهر الحسن بحركته، والريح تذكر وتؤنث.

(١) موضع النقط بياض بالمخطوط قدره ثلاث كلمات.

﴿عَاصِفَةً﴾: شديد الهبوب ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾: يعنى الشام وذلك أنها كانت تجرى لسليمان وأصحابه إلى حيث شاء سليمان ثم تعود به إلى منزله بالشام.

قال وهب بن منبه: كان سليمان إذا خرج إلى مجلسه عكفت عليه الطير وقام له الإنس والجن حتى يجلس على سريره وكان امرءاً غزاً قلّ ما يقعد عن الغزو، ولا يسمع فى ناحية من الأرض بملك إلا أتاه حتى يذله، وكان فيما يزعمون إذا أراد الغزو أمر بمعسكره فضرب له بخشب، ثم نصب له على الخشب، ثم حمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب كلّها حتى إذا حمل معه ما يريد أمر العاصف من الريح فدخلت تحت ذلك الخشب، فاحتملته حتى إذا استقلت أمر الرخاء فمدته شهراً فى روحته وشهراً فى غدوته إلى حيث أراد.

قال: فذكر لى منزل بناحية دجلة مكتوب فيه كتاب بعض صحابة سليمان إماماً من الجن وإماماً من الإنس: نحن نزلناه وما بنينا ومبنيًا وجدناه، غزونا من إصطخر فقلناه، ونحن رائحون منه إن شاء الله فآتون الشام.

قال الله سبحانه: ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾ وَمِنَ الشَّيْطَانِ ﴿يعنى وسخرنا لسليمان أيضاً من الشياطين ﴿مَنْ يَعُوضُونَ لَهُ﴾: أى يدخلون تحت الماء فيخرجون له الجواهر من البحر ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ﴾: يعنى دون الغوص ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾: حتى لا يخرجوا من أمره.



﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ وَآتَى مَسْنَى الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ فَاَسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَعَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرْنَا لِلْعَالَمِينَ ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿فَاَسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُصْحَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿فَاَسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَاهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِعِينَ ﴿وَالَّتِي أَحْصَيْتَ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ

إِنَّا رَاجِعُونَ ﴿١٧٠﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴿١٧١﴾

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ الآية.

قال وهب بن منبه: كان أيوب رجلاً من الروم، وهو أيوب بن أموص بن رازح بن روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم، وكانت أمه من ولد لوط بن هاران، وكان الله تعالى قد اصطفاه ونبأه وبسط عليه الدنيا، وكانت له البثينة من أرض الشام كلها سهلها وجبلها بما فيها، وكان له من أصناف المال كله من الإبل والبقر والخيل والحمير ما لا يكون لرجل أفضل منه في العدة والكثرة، وكان له بها خمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد، لكل عبد امرأة وولد ومال، ويحمل له كل فدان أتان، لكل أتان ولد من اثنين وثلاثة وأربعة وخمسة وفوق ذلك، وكان الله سبحانه أعطاه أهلاً وولداً من رجال ونساء، وكان برّاً تقيّاً رحيماً بالمساكين، يكفل الأرمال والأيتام ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل، وكان شاكراً لأنعم الله سبحانه، مؤدياً لحق الله تعالى، قد امتنع من عدو الله إبليس أن يصيب منه ما يصيب من أهل الغنى من العزة والغفلة والسهو والتشاغل عن أمر الله بما هو فيه من الدنيا، وكان معه ثلاثة قد آمنوا به وصدقوه وعرفوا فضله: رجل من أهل اليمن يقال له اليفن، ورجلان من أهل بلاده يقال لأحدهما بلدد وللآخر صافر، وكانوا كهولاً.

قال وهب: إن جبرئيل (عليه السلام) بين يدي الله سبحانه مقاماً ليس لأحد من الملائكة في القرية والفضيلة، وإن جبرئيل هو الذي يتلقى الكلام، فإذا ذكر الله عبداً بخير تلقاه جبرئيل ثم تلقاه ميكائيل وحوله الملائكة المقربون حاقين من حول العرش، فإذا شاع ذلك في الملائكة المقربين صارت الصلاة على ذلك العبد من أهل السموات، فإذا صلّت عليه ملائكة السموات هبطت عليه بالصلاة إلى ملائكة الأرض، وكان إبليس لعنه الله لا يحجب عن شيء من السموات، وكان يقف فيهنّ حيثما أراد، ومن هنالك وصل إلى آدم حين أخرجه من الجنة، فلم يزل على ذلك يصعد في السموات حتى رفع الله سبحانه عيسى ابن مريم فحجب من أربع، وكان يصعد في ثلاث، فلما بعث الله تعالى محمداً ﷺ حجب من الثلاث الباقية، فهو وجنوده محجوبون من جميع السموات إلى يوم القيامة ﴿إِلَّا مَنْ أَسْرَقَ أَسْمَعَ فَأَتْبَعَهُ رِشَابٌ مُبِينٌ﴾ (الحجر: ١٨).

قال: فسمع إبليس تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب وذلك حين ذكره الله سبحانه وأثنى

عليه، فأدركه البغي والحسد وصعد سريعاً حتى وقف من السماء موقفاً كان يقفه فقال: يا إلهي نظرت في أمر عبدك أيوب فوجدته أنعمت عليه فشكرك، وعافيته فحمدك، ثم لم يجربه بشدة ولا بلاء وأنا لك زعيم، لئن ضربته بالبلاء ليكفرنَّ لك ولينسينَّك، فقال الله سبحانه وتعالى له: انطلق فقد سلطتك على ماله، فانقض عدو الله حتى وقع إلى الأرض ثم جمع عفاريت الشياطين وعظماهم وقال لهم: ماذا عندكم من القوة والمعرفة؟ فإني قد سلطتُ على مال أيوب، وهي المصيبة الفادحة والفتنة التي لا يصبر عليها الرجال.

قال عفريت من الشياطين: أُعطيْتُ من القوة ما إذا شئت تحولت إعصاراً من النار وأحرقت كل شيء أتى عليه، قال له إبليس: فائت الإبل ورعاها فانطلق يوم الإبل وذلك حين وضعت رؤوسها ويثبت في مراعيها، فلم يشعر الناس حتى ثار من تحت الأرض إعصار من نار ينفخ منها أرواح السموم، لا يدنو منها أحد إلا احترق، فلم يزل يحرقها ورعاها حتى أتى على آخرها، فلما فرغ تمثل إبليس على قعود منها يراعها ثم انطلق يوم أيوب حتى وجده قائماً يصلّي فقال: يا أيوب، قال: لبيك، قال: هل تدري ما الذي صنع ربك الذي اخترته وعبدته بإبلك ورعاها؟ قال أيوب: إنها ماله وأعارنيه وهو أولى به إذا شاء نزع، وقد يمّا وطنت مالي ونفسي على الفناء.

قال إبليس: فإن ربك أرسل عليها ناراً من السماء فاحترقت ورعاؤها كلها، فتركت الناس مبهوتين وقفاً عليها يتعجبون منها، منهم من يقول: ما كان أيوب يعبد شيئاً وما كان إلا في غرور، ومنهم من قال: لو كان إله أيوب يقدر على أن يصنع شيئاً لمنع وليه، ومنهم من يقول: بل هو الذي فعل ما فعل ليشمت به عدوه ويفجع به صديقه.

قال أيوب: الحمد لله حين أعطاني وحين نزع مني، عرياناً خرجت من بطن أمي، وعرياناً أعود في التراب، وعرياناً أحشر إلى الله سبحانه، ليس ينبغي لك أن تفرح حين أعارك وتجزع حين قبض عاريتي، الله أولى بك وبما أعطاك، ولو علم الله فيك أيها العبد خيراً لتقبل روحك مع تلك الأرواح فأجر لي فيك وصرت شهيداً، ولكنه علم منك شراً فأخرك، وخلصك من البلاء كما يخلص الزوان من القمح الخالص.

فرجع إبليس لعنه الله إلى أصحابه خاسئاً ذليلاً فقال: ماذا عندكم من القوة فإني لم أكلم قلبه، قال عفريت من عظماهم: عندي من القوة ما إذا شئت صحت صوتاً لا يسمعه ذو روح إلا خرجت مهجة نفسه، قال له إبليس: فائت الغنم ورعاها فانطلق يأتي الغنم ورعاها حتى إذا توسطها صاح صوتاً جثمت أمواتاً من عند آخرها، ومات رعاؤها، ثم خرج إبليس متمثلاً

بقهرمان الرعاء حتى إذا جاء أيوب وهو قائم يصلى، فقال له القول الأول وردّ عليه أيوب الردّ الأول.

ثم إن إبليس رجع إلى أصحابه فقال لهم: ماذا عندكم من القوة فإني لم أكلم قلب أيوب، فقال عفريت من عظمائهم: عندي من القوة ما إذا شئت تحوّلت ريحاً عاصفاً تنسف كل شيء تأتي عليه حتى لا أبقى شيئاً، قال له إبليس: فانت الفدادين والحرث، فانطلق يؤمهم وذلك حين قرنوا الفدادين وأنسووا في الحرث، وأولادها رتوع، فلم يشعروا حتى هبّت ريح عاصف فنسفت كل شيء من ذلك حتى كأنه لم يكن، ثم خرج إبليس متمثلاً بقهرمان الحرث حتى جاء أيوب وهو قائم يصلى فقال له مثل قوله الأول وردّ عليه أيوب مثل رده الأول، فجعل إبليس يصيب ماله مالاّ مالاّ حتى مرّ على آخره، كلّمّا انتهى إليه هلاك مال من أمواله حمد الله وأحسن عليه الثناء ورضى بالقضاء ووطن نفسه للصبر على البلاء حتى لم يبق له مال.

فلما رأى إبليس أنه قد أفنى ماله ولم ينجح منه بشيء صعد سريعاً حتى وقف الموقف الذى كان يقفه فقال: إلهي إن أيوب يرى أنك ما متعته بنفسه وولده فأنت معطيه المال، فهل أنت مسلطى على ولده فإنها الفتنة المضلّة والمصيبة التى لا تقوم لها قلوب الرجال ولا يقوى عليها صبرهم.

قال الله سبحانه: انطلق فقد سلطتك على ولده، فانقضّ عدو الله حتى جاء بنى أيوب وهم فى قصرهم فلم يزل يزلزل بهم حتى تداعى من قواعده، ثم جعل يناطح جدره بعضها ببعض ويرميهم بالخشب والجندل حتى إذا مثل بهم كلّ مثله رفع بهم القصر وقلبه فصاروا منكسين، وانطلق إلى أيوب متمثلاً بالمعلم الذى كان يعلمهم الحكمة وهو جريح مشدوخ الوجه يسيل دمه ودماغه، فأخبره بذلك وقال: يا أيوب لو رأيت بنيك كيف عذبوا وكيف قلبوا فكانوا منكسين على رؤوسهم، تسيل دماؤهم ودماغهم من أنوفهم وأشفارهم وأجوافهم، ولو رأيت كيف شقت بطونهم فتناثرت أمعاؤهم لقطع قلبك، فلم يزل يقول هذا ونحوه ويرققه حتى رقّ أيوب فبكى وقبض قبضة من التراب فوضعها على رأسه، فاغتم إبليس ذلك فصعد سريعاً بالذى كان من جزع أيوب مسروراً به، ثم لم يلبث أيوب أن فاء وأبصر، فاستغفر وصعد قرناؤه من الملائكة بتوبته، فبدروا إبليس إلى الله سبحانه وهو أعلم، فوقف إبليس خازياً ذليلاً فقال: يا إلهي إنّما هوّن على أيوب خطر المال والولد أنه يرى أنك ما متعته بنفسه فأنت تعيد له المال والولد، فهل أنت مسلطى على جسده، لئن ابتليتني فى جسده ليُنسيك وليكفرن بك وليجحدنك نعمتك.

فقال الله سبحانه: انطلق فقد سلطتُك على جسده، ولكن ليس لك سلطان على لسانه ولا على قلبه ولا على عقله، وكان الله تعالى هو أعلم به، لم يسلمه عليه إلا رحمة ليعظم له الثواب ويجعله عبرة للصابرين وذكرى للعابدين فى كلِّ بلاء نزل بهم ليتأسوا به فى الصبر ورجاء الثواب.

وانقض عدو الله إبليس سريعا فوجد أيوب ساجداً فعجلَّ قبل أن يرفع رأسه فأتاه من قبل الأرض فى موضع وجهه فنخخ فى منخره نفخة اشتعل منها جسده فذهل وخرج به من قرنه إلى قدمه تأليل مثل أليات الغنم وقعت فيه حكة لا يملكها، فحك بأظفاره حتى سقطت كلها، ثم حكها بالمسوح الحشنة حتى قطعها، ثم حكها بالفخار والحجارة الحشنة فلم يزل يحكها حتى نفل لحمه وتقطع وتغير وأنتن.

فأخرجه أهل القرية فجعلوه على كناسه وجعلوا له عريشا ورفضه خلق الله كلهم غير امرأته، وهى رحمة بنت إفرائيم بن يوسف بن يعقوب، وكانت تختلف إليه بما يصلحه ويلزمه، فلما رأى الثلاثة من أصحابه وهم: أليفر ويلدد وصافر ما ابتلاه الله سبحانه ورفضوه من غير أن يتركوا دينه، فلما طال به البلاء انطلقوا إليه وهو فى بلائه فبكتوه ولاموه وقالوا له: تب إلى الله سبحانه من الذنب الذى عوقبت به، قال: وحضر معهم فتى حديث السن وكان قد آمن به وصدقته فقال لهم: إنكم تكلمتم أيها الكهول وكنتم أحق بالكلام لأسنانكم، ولكن قد تركتم من القول أحسن من الذى قلتهم ومن رأى أصوب من الذى رأيتم، ومن الأمر أجمل من الذى أتيتم، وقد كان لا يؤت عليكم من الحق والذمام أفضل من الذى وصفتم، فهل تدرون أيها الكهول حق من انتقصتم وحرمة من انتهكتهم، ومن الرجل الذى عبتم واتهمتم؟ ألم تعلموا أن أيوب نبي الله وخيرته وصفوته من أهل الأرض يومكم هذا، ثم لم تعلموا أولم يطلعكم الله على أنه قد سخط شيئا من أمره منذ أتاه ما أتاه إلى يومكم هذا، ولا على أنه نزع منه شيئا من الكرامة التى أكرمه بها، ولا أن أيوب غير الحق فى طول ما صحبتموه إلى يومكم هذا، وإن كان البلاء هو الذى أزرى به عندكم ووضع فى أنفسكم، فقد علمتم أن الله سبحانه يتلى النبیین والصديقين والشهداء والصالحين، ثم ليس بلاؤه لأولئك بدليل على سخطه عليهم، ولا هوانه لهم، ولكنها كرامة وخيرة لهم، ولو كان أيوب ليس من الله تعالى بهذه المنزلة إلا أنه أخٌ اجتبيتموه على وجه الصحبة لكان لا يجمل بالحليم أن يعذل أخاه عند البلاء ولا يعيرّه بالمصيبة ولا يعيبه بما لا يعلم، وهو مكروب حزين، ولكنه يرحمه ويبكى معه ويستغفر له ويحزن بحزنه ويدله على مرشد أمره، وليس بحكيم ولا رشيد من جهل هذا،

فإن الله أيها الكهول وقد كان في عظمة الله وجلاله وذكر الموت ما يقطع ألسنتكم ويكسر قلوبكم .

ألم تعلموا أن الله عبداً أسكتتهم خشية من غير عى ولا بُكم ، وأنهم لهم الفصحاء البلغاء النبلاء والأولياء العالمون بالله وبأيامه ، ولكنهم إذا ذكروا عظمة الله انقطعت ألسنتهم واقشعرت جلودهم ، وانكسرت قلوبهم ، وطاشت عقولهم إعظاماً لله وإعزازاً وإجلالاً ، فإذا استفاقوا من ذلك استَبَقُوا إلى الله بالأعمال الزاكية ، يعدون أنفسهم مع الظالمين والخطائين ، وإنهم لأنزاه براء ، ، يعدون أنفسهم مع المقصرين المفرطين ، وإنهم لأكياس أقوياء ، ولكنهم لا يستكثرون لله الكثير ولا يرضون لله بالقليل ، ولا يدلون عليه بالأعمال فهم مروعون مفزعون خاشعون مستكينون .

فقال أيوب : إن الله سبحانه يزرع الحكمة بالرحمة في قلب الصغير والكبير فمتى ثبتت في القلب يظهرها الله على اللسان ، وليست تكون الحكمة من قبل السن والشيبة ولا طول التجربة ، ولئن جعل الله تعالى العبد حكيماً في الصبا لم يسقط منزلته عند الحكماء وهم يرون من الله سبحانه عليه نور الكرامة .

ثم أقبل أيوب على الثلاثة فقال : أتيتموني غضاباً رهبتم قبل أن تسترهبوا ، وبكيتم من قبل أن تضربوا ، كيف بي لو قلت لكم تصدقوا عني بأموالكم ! لعل الله يخلصني ، أو قربوا عني قرباناً لعل الله يتقبله ويرضى عني ، وإنكم قد أعجبتكم أنفسكم وظننتم أنكم عوقبتم بإحسانكم فهالك بغيتم وتعززتم ولو نظرتم فيما بينكم وبين ربكم ثم صدقتم لوجدتم لكم عيوباً سترها الله بالعافية التي ألبسكم ، وقد كنت فيما خلا والرجال يوقرونني وأنا مسموع كلامي ، معروف حقّي ، منصف من خصمي ، فأصبحت اليوم وليس لي رأى ولا كلام معكم ، فإنكم كنتم على أشد من مصيبي .

ثم أعرض عنهم وأقبل على ربه مستعيناً به متضرعاً إليه فقال : رب لا شيء خلقتني ؟ ليتني إذ كرهتني لم تخلقني ، يا ليتني كنت حيضة ألقنتي أمي ، أو يا ليتني عرفت الذنب الذي أذنبتُ والعمل الذي عملتُ فصرفت وجهك الكريم عني ، لو كنت أمّتي فألحقتني بأبائي فالموت كان أجمل لي ، ألم أكن للغريب داراً وللمسكين قراراً ولليتيم ولياً وللأرملة قيماً ؟

إلهي أنا عبد ذليل ، إن أحسنتُ فالمن لك ، وإن أسأت فيدك عقوبتي ، جعلتني للبلاء غرضاً وللفتنة نصباً ، وقد وقع على بلاء لو سلطته على جبل ضَعُف عن حمله ، فكيف يحمله ضعفي ، إلهي تقطعت أصابعي فإني لأرفع الأكلة من الطعام بيدي جميعاً فما تبلغان فمي إلا



على الجهد منى، تساقطت لهواتى ولحم رأسى، فما بين أذنى من سداد حتى إن إحداهما ترى من الأخرى، وإن دماغى يسيل من فمى، تساقط شعر عيني فكأنا حرق بالنار وجهى، وحدقتاى هما متدلّيتان على خدى، ورم لسانى حتى ملأ فمى، فما أدخل منه طعاماً إلا غصتى، ورمت شفتاى حتى غطت العليا أنفى والسفلى ذقنى، تقطعت أمعائى فى بطنى فإنى لأدخله الطعام فيخرج كما دخل ما أحسه ولا ينفعى، ذهب قوة رجلى فكأنهما قربتا ماء لا أطيق حملهما، ذهب المال فصرت أسأل بكفى فيطعمنى من كنت أعوله اللقمة الواحدة، فيمنها على ويعيرنى، هلك أولادى ولو بقى أحد منهم أعانى على بلائى ونفعى، قد ملئى أهلى وعقنى أرحامى وتنكرت معارفى ورغب عنى صديقى وقطعتى أصحابى وجُحدت حقوقى ونسيت صنایعى، أصرخ فلا يصرخونى وأعتذر فلا يعذرونى، ودعوت غلامى فلم يجبنى وتضرعت لأمتى فلم ترحنى وأنحل جسمى ولو أن ربى نزع الهيبة التى فى صدرى وأطلق لسانى حتى أتكلّم بملء فمى، ثم كان ينبغى للعبد أن يحاجّ عن نفسه، لرجوت أن يعافينى عند ذلك مما بى ولكنه ألقانى وتعالى عنى فهو يرانى ولا أراه، ويسمعنى ولا أسمع، لا نظر إلى فرحنى ولا دنا منى ولا أدنانى، فأتكلم ببراءتى وأخاصم عن نفسى.

فلما قال ذلك أيوب وأصحابه أظله غمام حتى ظن أصحابه أنه عذاب، ثم نودى منه: يا أيوب إن الله يقول: ها أنا دنوت منك ولم أزل منك قريباً، فقم فأدل بعذرک وتكلم ببراءتك وخاصم عن نفسك واشدد إزارك وقم مقام جبار فإنى لا ينبغى لى أن يخاصمنى إلا جبار مثلى ولا ينبغى أن يخاصمنى إلا من يجعل الزمار فى فم الأسد والسخال فى فم العقاء واللجام فى فم التنين، ويكتال مكيالاً من النور ويزن مثقالاً من الريح ويصر صرة من الشمس ويردّ أمس، لقد مننتك نفسك أمراً ما يبلغ بمثل قوتك ولو كنت إذ مننتك ذلك ودعتك إليه، تذكّرت أى مرام رامت بك.

أردت أن تخاصمنى بفيك أم أن تحاجنى بخطابك أم أردت ان تكابرنى بضعفك؟ أين أنت منى يوم خلقت الأرض فوضعتها على أساسها؟ هل علمت بأى مقدار قدرتها أم كنت معى تمد بأطرافها، أم تعلم ما بعد زواياها أم على أى شىء وضعت أكنافها؟ أبطاعتك حمل الماء الأرض، أم بحكمتك كانت الأرض للماء غطاء؟ أين كنت منى يوم رفعت السماء سقفاً فى الهواء لا بعلائق سبيت ولا يحملها دعم من تحتها؟ هل يبلغ من حكمتك أن تجرى نورها أو تسير نجومها أو يختلف بأمرک ليها ونهارها؟

أين أنت منى يوم سخرت البحار ونبعت الأنهار؟ أقدرتك حبست أمواج البحار على

حدودها أم قدرتك فتحت الأرحام حين بلغت مدتها؟ أين أنت متى يوم صببت الماء على التراب ونصبت شوامخ الجبال؟ هل لك من ذراع يطبق حملها أم هل تدرى كم من مثقال فيها، أم أين الماء الذي أنزلت من السماء؟ هل تدرى أم تلده أو أب يولده؟ أحكمتك أحصت القطر وقسمت الأرزاق، أم قدرتك تثير السحاب وتغشيه الماء؟ هل تدرى ما أصوات الرعود أم من أى شىء لهب البرق؟ وهل رأيت عمق البحر، أم هل تدرى ما بعد الهواء، أم هل خزنت أرواح الأموات، أم هل تدرى أين خزانة الثلج، أو أين خزائن البرد، أم أين جبال البرد، أم هل تدرى أين خزانة الليل بالنهار، وأين خزانة النهار بالليل، وأين طريق النور، وبأى لغة تتكلم الأشجار، وأين خزانة الريح؟ وكيف تحبسه الأغلاق؟

ومن جعل العقول فى الرّجال؟ ومن شق الأسماع؟ ومن ذلت الملائكة للملكة وقهر الجبارين بجبروته وقسم أرزاق الدواب بحكمته؟ من قسم للأسد رزقها وعرف الطير معاشها وعطفها على أفراخها؟ من أعتق الوحش من الخدمة وجعل مساكنها البرية، لا تستأنس بالأصوات ولا تهاب المسلطين، أم حكمتك عطفت أمهاتها عليها حتى أخرجت لها الطعام من بطونها وآثرتها بالعيش على نفوسها، أم من حكمتك تبصر العقاب الصيد البصر البعيد وأصبح فى أماكن القتلى؟.

أين أنت متى يوم خلقت بهموت مكانه فى مقطع التراب والوثبان يحملان الجبال والقرى والعمران، أذانهما كأنها شجر الصنوبر الطوال، ورءوسهما كأنها كوم الجبال، وعروق أفخاذها كأنها عمد النحاس، أنت ملأت جلودهما لحمًا أم أنت ملأت رءوسهما دماغًا؟ هل لك فى خلقهما من شرك أم لك بالقوة التى غلبتها يدان؟ هل تبلغ من قوتك أن تضع يدك على رؤوسهما أو تقعد لهما على طريق فتحبسهما أو تصدّهما من قوتهما؟ أين أنت يوم خلقت للتين رزقه فى البحر ومسكنه فى السحاب؟ عيناه توقدان ناراً منخراه يثوران دخاناً، أذناه مثل قوس السحاب، يثور منهما لهب كأنه إعصار العجاج، جوفه يحترق ونفسه تلتهب وزبده جمر كأمثال الصخور، وكان صريف أسنانه أصوات الصواعق، وكانّ نظر عينيه لهب البرق، وتمرّبه الجيوش وهو متكئ لا يفزعه شىء، ليس فيه مفصل الحديد، عنده مثل الطين، والنحاس، عنده مثل الخيوط لا يفرع من الشّباب ولا يحسّ وقع الصخور على جسده، ويسير فى الهواء كأنه عصفور، ويهلك كلّ شىء يمرّ به، هل أنت آخذه بأجولتك أو واضع اللجام فى شذقه؟ هل تحصى عمره أم هل تعرف تقوّت رزقه أم هل تدرى ماذا خرب من الأرض؟ وماذا يخرب فيما بقى من عمره؟ أتطبق غضبه حين يغضب أم تأمره فيطيعك؟

تبارك الله وتعالى .

فقال أيوب : قصرت عن هذا الأمر الذى يعرض علىّ ليت الأرض انشقت فذهبت فيها ولم أتكلّم بشيء يسخط ربّى ، اجتمع علىّ البلاء إلهى فجعلتنى مثل العدو ، وقد كنت تكرمنى وتعرف نصحى ، وقد علمت أنّ كلّ الذى ذكرت صنع يديك وتديبير حكمتك وأعظم من هذا ، ما شئت علمت ، لا يعجزك شىء ولا تخفى عليك خافية ولا تغيب عنك غائبة ، من هذا الذى يظن أن يسرّ عنك سرّاً وأنت تعلم ما يخطر على القلوب ؟ وقد علمت منك فى بلائى هذا ما لم أكن أعلم ، وخفت حين بلوت أمرك أكثر مما كنت أخاف ، إنّما كنت أسمع بسطوتك سمعاً فأما الآن فهو نظر العين ، إنّما تكلمت حين تكلمت لتعذرنى ، وسكت حين سكت لترحمنى ، كلمة زلت فلن أعود ، قد وضعت يدي على فمى وعضضت على لسانى وألصقت بالتراب خدّى ودسست فيه وجهى لصغارى ، وسكت كما أسكتتنى خطيئتى ، فاغفر لى ما قلت فلن أعود لشىء تكرهه منى .

فقال الله سبحانه : يا أيوب فقد نفذ فيك علمى وسبقت رحمتى غضبى إذ خطئت فقد غفرت لك ، ورددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم ليكون لمن خلفك آية ، ويكون عبرة لأهل البلاء وعزاءً للصابرين فاركض برجلك هذا مغتسل بارداً وشراب ، فيه شفاؤك ، وقرب عن صحابتك قرباناً واستغفر لهم فإنهم قد عصونى فيك .

فركض برجله فانفجرت له عين فدخل فيها ، فاغتسل فأذهب الله عنه كلما كان به من البلاء ، ثمّ خرج فجلس وأقبلت امرأته فقامت تلتمسه فى مضجعه فلم تجده فقامت كالواله مترددة متحيرة ثم قالت : يا عبد الله هل لك علم بالرجل المبتلى الذى كان ههنا؟ وهل تعرفينه إذا رأيت؟ قالت : نعم وما لى لا أعرفه؟ فتبسم وقال : أنا هو فعرفته بمضحكه فاعتنقته<sup>(١)</sup> .

(١) تركت التعليق على هذه القصة التى ليس فيها شىء من الصحة والتى تخللها ما لا يجوز فى حق الله عزّ وجلّ ، ولا فى حق رسله وأنبيائه الكرام إلى هذا الموضع حيث يرى القارئ الكريم ما لا يصدقه وما لا تقره النفس ولا العقائد والفطر السليمة حيث قد شاع عن سيدنا أيوب من الأساطير ما شاع وذاع على ألسن الجهلة ومروجى الكذب والإسرائيليات وما لا يصح فى شرع الله ونسبته إلى أنبياء الله تعالى وسيدنا أيوب قد ناله كذلك من هذه الأقاويل القدر الكثير وجعلوا من بلاء الله تعالى له مجالاً لعمل خيالاتهم وإثارة عواطف عوام الناس والحقيقة أن سيدنا أيوب ما ابتلاه ربه بما يقزز منه الناس فى جسمه بل مرض مرضاً طبيعياً غير منفر ولا معد وإنما كان يرى منه ويعرف أنه يعانى معاناة لا يتحملها أشداء الرجال أو البشر ثم هو صابر محتسب ليصير مريضاً للمثل فى الاحتساب والرضى بما قدر الله له أو عليه مع حفظ كرامته وهيبته ووقاره ومكانته بين قومه وتمنى من يراه أن يرزق ما رزقه من الصبر والرضى والثبات للمحنة وعدم الضجر أو الشكوى فحاشا لله أن يعرض كرامة نبيه للجرح بأن يعرض زوجه للسؤال أو للعمل أو ما يחדش حياءها أو كرامتها وما وقع البلاء إلا على أيوب عليه السلام وثبت =

قال ابن عباس: فوالذي نفس عبد الله بيده ما فارقت من عناقه حتى مرّ بهما كلّ مال لهما وولد، فذلك قوله: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ ﴿أَنِّي مَسْنَى الضَّرِّ﴾ .  
واختلف العلماء في وقت نداءه، والسبب الذي قال لأجله: أنّي مسنى الضرّ وفي مدة بلائه.

فحدّثنا الإمام أبو الحسن عليّ بن سهل الماسرخسى إملاء يوم الجمعة سنة أربع وثمانين وثلاثمائة قال: أخبرنا أبو طالب عمر بن الربيع بن سليمان الخشّاب بمصر قال: حدّثنا يحيى بن أيوب العلاف قال: حدّثنا سعيد بن أبي مريم قال: حدّثنا نافع بن يزيد عن عقيل عن شهاب عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ «إن أيوب نبيّ الله لبث به بلاؤه ثمانى عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد إلّا رجلين من إخوانه كانا يغدوان إليه ويروحان، فقال أحدهما لصاحبه ذات يوم: والله لقد أذنب أيوب ذنباً ما أذنبه أحد من العالمين، فقال له صاحبه: وما ذاك؟ قال: منذ ثمانى عشرة سنة لم يرحمه الله فيكشف ما به، فلما راحا إلى أيوب لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك، فقال أيوب: ما أدري ما يقولان غير أنّ الله سبحانه يعلم أنى كنت أمرّ بالرجلين يتنازعان فيذكران الله سبحانه وتعالى، فأرجع إلى بيتي فأكفّر عنهما كراهية أن يذكروا الله إلّا في حق» .

قال: فكان يخرج بحاجته فإذا قضى حاجته أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ، فلما كان ذات يوم أبطأ عليها، وأوحى إلى أيوب في مكانه ﴿أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ (ص: ٤٢) فاستبطأته فتلقته تنظر، وأقبل عليها وقد أذهب الله ما به من البلاء وهو أحسن ما كان، فلما رآته قالت: هل رأيت نبيّ الله هذا المبتلى؟ قال: إنى أنا هو، وكان له أندران: أندر للقمح وأندر للشعير، فبعث الله سبحانه صحابتين، فلما كانت إحداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض، وأفرغت الأخرى في أندر الشعير الورق حتى فاض .  
وقال الحسن: مكث أيوب مطروحاً على كناسة في مزبلة لبنى إسرائيل سبع سنين وأشهرًا تختلف فيه الدواب .

وقال وهب: لم يكن بأيوب أكلة إنّما كان يخرج منه مثل ثدى النساء ثم يتفقأ .

= له وزكاه ربه بقوله: ﴿إنا وجدناه صابراً نعم العبد﴾ وما سوى ذلك من أقوال أو أخبار على قارئها أن يضرب بها عرض الحائط ولا يلتفت إليها وليعتقد بالله وأتبيائه كل الخير والكمال والوقار والصون من الشيطان لقوله تعالى: ﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنّما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون﴾ وما ورد في هذه القصة وما شابهها وما سيأتى بعدها يخالف تلك الآية وصرح القرآن .

قال الحسن: ولم يبق له مال ولا ولد ولا صديق ولا أحد يقربه غير رحمة صبرت معه، تصدق وتأتيه وتحمد الله إذا حمد، وأيوب على ذلك لا يفتر من ذكر الله سبحانه والثناء عليه والصبر على ما ابتلاه، فصرخ عدو الله إبليس صرخة جمع فيها جنوده من أقطار الأرض جزعاً من صبر أيوب فلماً اجتمعوا إليه قالوا: ما جزعك؟ قال: أعياني هذا العبد الذي سألت ربي أن يسلمني على ماله وولده فلم أدع له مالاً، وولداً فلم يزدد بذلك إلا صبراً وثناءً على الله سبحانه، ثم سلطت على جسده فتركته قرحة ملقاة على كنانة بنى إسرائيل، لا تقربه إلا امرأته، فقد افتضحت بربي فاستعنت بكم لتعينوني عليه، قالوا له: أين مكرك؟ أين عمالك الذي أهلكت به ما مضى؟

قال: بطل ذلك كله في أيوب فأشيروا على، قالوا: نشير عليك، أرأيت آدم حين أخرجه من الجنة؟ قال: من قبل امرأته، قالوا: فشأنك بأيوب من قبل امرأته فإنه لا يستطيع أن يعصيها وليس أحد يقربه غيرها، قال: أصبتم، فانطلق حتى أتى امرأته وهي تصدق، فتمثل لها في صورة رجل، فقال: أين بعلك يا أمة الله؟ قالت: هو ذاك يحك قروحه، وتردد الدواب في جسده، فلماً سمعها طمع أن يكون كلمة جزع، فوسوس إليها فذكرها ما كانت فيه من النعيم والمال، وذكرها جمال أيوب وشبابه، وما هو فيه من الضر، وأن ذلك لا ينقطع عنهم أبداً.

قال الحسن: فصرخت، فلماً صرخت علم أن قد جزعت، فأناها بسخلة فقال: ليذبح هذا لى أيوب ويبرأ.

قال: فجاءت تصرخ: يا أيوب حتى متى يعذبك ربك؟ ألا يرحمك؟ أين المال؟ أين الماشية؟ أين الولد؟ أين الصديق؟ إن لونك الحسن قد تغير وصار مثل الرماد، أين جسمك الحسن الذي قد بلى وتردد فيه الدواب؟ اذبح هذه السخلة واسترح.

قال أيوب: أتاك عدو الله فنفخ فيك وأجبتة؟! وويلك أرأيت ما تبكين عليه مما تذكرين مما كنا فيه من المال والولد والصحة، من أعطانيه؟ قالت: الله، قال: فكم متعنا به؟ قالت: ثمانين سنة، قال: فمنذ كم ابتلانا الله بهذا البلاء؟ قال: منذ سبع سنين وأشهر. قال: وويلك والله ما عدلت ولا أنصفت ربك، ألا صبرت يكون في هذا البلاء الذى ابتلانا ربنا به ثمانين سنة، كما كنا فى الرخاء ثمانين سنة والله لئن شفانى الله لأجلدتك مائة جلدة، أمرتنى أن أذبح لغير الله طعامك وشرابك الذى أتيت به؟ على حرام أن أذوق شيئاً مما تأتيني به بعد إذ قلت لى هذا، فاغربى عنى فلا أراك فطردها فذهبت فلماً نظر أيوب إلى امرأته قد طردها، وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خرساجداً وقال: رب مسنى الضر ثم رد ذلك إلى ربى فقال: ﴿وَأَنْتَ

أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠١﴾ فقيل له: ارفع رأسك فقد استجبت لك، اركض برجلك، فركض برجله فنبعت عين فاغتسل منها فلم يبق عليه من دابة شىء ظاهر إلا سقط، فأذهب الله كل ألم وكل سقم، وعاد إليه شبابه وجماله أحسن ما كان وأفضل ما كان، ثم ضرب رجله فنبعت عين أخرى فشرب منها، فلم يبق فى جوفه داء إلا أخرج، فقام صحيحاً وكسى حلة.

قال: فجعل يلتفت فلا يرى شيئاً مما كان له من أهل ومال إلا وقد أضعفه الله له حتى والله ذكر لنا أن الماء الذى اغتسل منه تطاير على صدره جراداً من ذهب، قال: فجعل يضمه بيده فأوحى إليه: يا أيوب ألم أغنك؟ قال: بلى ولكنها بركتك فمن يشبع منها، قال: فخرج حتى جلس على مكان مشرف، ثم إن امرأته قالت: أرايت إن كان طردنى، إلى من أكله؟ أدعه يموت جوعاً وتأكله السباع لأرجعن إليه، فرجعت إليه فلا كناسة ترى ولا تلك الحال التى كانت، وإذا الأمور قد تغيرت فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي، وذلك بعين أيوب.

قال: وهابت صاحب الحلة أن تأتيه فتسأله عنه، فأرسل إليها أيوب فدعاها فقال: ما تريد يا أمة الله؟ فبكت وقالت: أردت ذلك المبتلى الذى كان منبوءاً على الكناسة لا أدرى أضع أم ما فعل؟

فقال لها أيوب: ما كان منك؟ فبكت وقالت: أردت بعلى فهل رأيت؟ قال: وهل تعرفينه إذا رأيت؟ قالت: وهل يخفى على أحد رآه؟ ثم جعلت تنظر إليه وهى تهابه، ثم قالت: أما إنّه كان أشبه خلق الله بك إذ كان صحيحاً، قال: فإني أنا أيوب الذى أمرتنى أن أذبح لإبليس، وإني أطعت الله؟ وعصيت الشيطان ودعوت الله سبحانه وتعالى فردّ على ما ترين.

وقال كعب: كان أيوب فى بلائه سبع سنين.

وقال وهب: لبث أيوب فى ذلك البلاء ثلاث سنين لم يزد يوماً واحداً، فلما غلب أيوب إبليس ولم يستطع منه شيئاً اعترض امرأته فى هيئة ليس كههيئة بنى آدم فى العظم والجسم والجمال، على مركب ليس من مراكب الناس، له عظم وبهاء وجمال، فقال لها: أنت صاحبة أيوب هذا الرجل المبتلى؟ قالت: نعم قال: هل تعرفيننى؟ قالت: لا، قال: فأنا إله الأرض، وأنا الذى صنعت بصاحبك ما صنعت وذلك أنه عبد إله السماء، وتركنى فأغضبنى، ولو سجد لى سجدة واحدة رددت عليه وعليك كل ما كان لكما من مال وولد فإنه عندى، ثم أراها إياهم فيما ترى ببطن الوادى الذى لقيها فيه.

قال وهب: وقد سمعت أنه إنما قال: لو أن صاحبك أكل طعاماً ولم يسمّ عليه لعوفى مما به

من البلاء، والله أعلم، وأراد إبليس لعنه الله أن يأتيه من قبلها.

ورأيت في بعض الكتب أن إبليس قال لرحمة: وإن شئت فاسجدي لى سجدة واحدة حتى أردّ عليك المال والأولاد وأعافى زوجك، فرجعت إلى أيوب فأخبرته بما قال لها وما أراها، قال: قد أتاك عدو الله ليفتنك عن دينك، ثم أقسم إن عافاه الله ليضربنّها مائة جلدة.

وقال عند ذلك: مسنى الضر من طمع إبليس فى سجود حرمتى له، ودعائه إيّاها وإيّاى إلى الكفر، قالوا: ثمّ الله سبحانه رحم رحمة امرأة أيوب بصبرها معه على البلاء، وخفف عنها، وأراد أن يرى يمين أيوب فأمره أن يأخذ جماعة من الشجر فيضربها بها ضربة واحدة كما قال الله سبحانه ﴿وَخُذْ يَدَ يَدِكَ ضِعْفًا فَأَضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ﴾ (ص: ٤٤) الآية.

وقال وهب وغيره: كانت امرأة أيوب تكسب له وتعمل للناس وتجيئه بقوته، فلما طال عليهما البلاء وسئمهها الناس فلم يستعملها التمسّت له يوماً من الأيام ما تطعمه، فما وجدت شيئاً فجزّت قرناً من رأسها فباعته برغيف فأتته به فقال لها: أين قرنك فأخبرته بذلك فحيئنذ قال مسنى الضر.

وقال قوم: إنّما قال: مسنى الضر حين قصدت الدود إلى قلبه ولسانه فخشى أن يبقى عن الذكر والفكر.

وقال عبد الله بن عبيد بن عمير: كان لأيوب أخوان فأتياه فقاما من بعيد لا يقدران أن يدنوا منه من ريحه، فقال أحدهما لصاحبه: لو كان الله علم فى أيوب خيراً ما ابتلاه بما نرى، قال: فلم يسمع أيوب شيئاً كان عليه أشدّ من هذه الكلمة، وما جزع من شيء أصابه جزعه من تلك الكلمة، فعند ذلك قال: مسنى الضر، ثم قال: اللهم إن كنت تعلم أنّى لم أبت ليلة شعبان وأنا أعلم مكان جائع فصدّقنى فصدّق، وهما يسمعان ثمّ قال: اللهم إن كنت تعلم أنّى لم أتخذ قميصين قطّ وأنا أعلم مكان عار فصدّق وهما يسمعان فخرّ ساجداً.

وقيل معناه: مسنى الضر من شماتة الأعداء، يدلّ عليه ما روى أنّه قيل له بعدما عوفى: ما كان أشدّ عليك فى بلائك؟ قال: شماتة الأعداء.

وقيل: إنّما قال ذلك حين وقعت دودة من فخذة فرفعها وردّها إلى موضعها وقال: كلى فقد جعلنى الله طعامك، فعصته عصّة زاد ألمها على جميع ما قاسى من عضّ الديدان.

وسمعت أبا عبد الله بن محمد بن جعفر الأبيوردى يقول: سمعت أبا عبد الله محمد بن عبّاد البغدادى يقول: سئل أبو القاسم جنيد عن هذه الآية فقال: عرفه فاقه السؤال ليمنّ عليه بكرم النوال.

وسمعت أستاذنا أبا القاسم بن حبيب يقول حضرت مجلساً غاصاً بالفقهاء والأدباء فى دار سلطان فسألت عن هذه الآية - بعد إجماعهم على أن قول أيوب ﴿مَسْنَى الضَّرِّ﴾ شكاية وقد قال الله سبحانه : ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾ (ص: ٤٤) فقلت : ليس هذا شكاية وإنما هو دعاء ، بيانه قوله سبحانه : ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ والإجابة تعقب الدعاء لا الاشتكاء ، فاستحسنوه وارتضوه .

﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُ مَعَهُ﴾ : واختلفوا فى كيفية ذلك فقال قوم : إنما أتى الله سبحانه أيوب فى الدنيا مثل أهله الذين هلكوا ، فأما الذين هلكوا فإنهم لم يردوا عليه ، وإنما وعد الله أيوب أن يؤتیه إياهم فى الآخرة .

وروى عبد الله بن إدريس عن ليث قال : أرسل مجاهد رجلاً يقال له قاسم إلى عكرمة يسأله عن هذه الآية فقال : قيل له : إن أهلك لك فى الآخرة ، فإن شئت عجلناهم لك فى الدنيا ، وإن شئت كانوا لك فى الآخرة ، وأتيناك مثلهم فى الدنيا؟ فقال : يكونون لى فى الآخرة ، وأوتى مثلهم فى الدنيا .

قال : فرجع إلى مجاهد فقال : أصاب ، ويكون معنى الآية على هذا التأويل وأتيناه أهله فى الآخرة ، ومثلهم معهم فى الدنيا ، وأراد بالأهل الأولاد .  
قال وهب : كان له سبع بنات وثلاثة بنين .

وقال ابن يسار : كان له سبع بنين وسبع بنات ، وقال آخرون : بل ردّهم الله سبحانه بأعيانهم وأعطاهم مثلهم معهم ، وهذا قول ابن مسعود وابن عباس وقتادة وكعب قال : أحياهم الله وأوتى مثلهم ، وهذا القول أشبه بظاهر الآية .  
وقال الحسن : آناه الله المثل من نسل ماله والذى ردّ عليه وأهله ، فأما الأهل والمال فإنه ردّهما عليه بأعيانهما .

﴿رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾ : عظة لهم ﴿وَاسْمَعِيلَ﴾ : يعنى ابن إبراهيم ﴿وَأَدْرِيْسَ﴾ : وهو أخنوخ ﴿وَذَا الْكِفْلِ كُلُّ مِّنَ الضَّالِّينَ﴾ : على أمر الله ، واختلفوا فى ذى الكفل ، فأخبرنى ابن فنجويه بقراءتى عليه فى دارى قال : حدّثنا عمر بن الخطاب قال : حدّثنا عبد الله الرازى عن سعد مولى طلحة عن ابن عمر قال : سمعت حديثاً للنبي ﷺ لو لم أسمعها إلا مرة أو مرتين لم أحدث به ، سمعته منه أكثر من سبع مرات ، قال ﷺ : «كان فى بنى إسرائيل رجل يقال له ذو الكفل لا ينزع عن ذنب عمله ، فاتبع امرأة فأعطاهما ستين ديناراً على أن تعطيه نفسها ، فلما قعد منها مقعد الرجل من المرأة أرعدت وبكت فقال : ما يبكيك؟ قالت : من هذا العمل ، ما عملته قط ، قال : أكرهتك؟ قالت : لا ، ولكن حملتنى عليه الحاجة ، قال :



أذهبى فهو لك، ثم قال: والله لا أعصى الله أبداً، فمات من ليلته فقيل مات ذو الكفل، فوجدوا على باب داره مكتوباً: إن الله قد غفر لذي الكفل»<sup>(١)</sup>.

وروى الأعمش عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث أن نبياً من الأنبياء قال: من يكفل لى أن يصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب؟ فقام شاب فقال: أنا، فقال: اجلس، ثم عاد فقال: من يكفل لى أن يقوم الليل ويصوم النهار ولا يغضب؟ فقام ذلك الشاب فقال: أنا، فقال: اجلس، ثم عاد فقام الشاب فقال: أنا فقال: تقوم الليل وتصوم النهار ولا تغضب؟ قال: نعم.

فمات ذلك النبي فجلس ذلك الشاب مكانه يقضى بين الناس فكان لا يغضب، فجاءه الشيطان فى صورة إنسان ليغضبه وهو صائم يريد أن يقيى، فضرب الباب ضرباً شديداً فقال: من هذا؟ فقال: رجل له حاجة، فأرسل معه رجلاً فرجع فقال: لا أرضى بهذا الرجل، فأرسل معه رجلاً فرجع فقال: لا أرضى بهذا الرجل، فأرسل معه آخر، فقال: لا أرضى بهذا، فخرج إليه فأخذ بيده فانطلق معه حتى إذا كان فى السوق خلأه وذهب، فسمى ذا الكفل»<sup>(٢)</sup>.

(١) فى إسناده سعد مولى طلحة ولم يرو إلا هذا الحديث. فهو مجهول ولم يتكلم عنه رجال الجرح والتعديل وإن كان ذكره ابن حبان فى الثقات إلا أن ابن حبان فى توثيقه شىء، ومتن الخبر لا يصلح لأنه ذكر فى مصاف الأنبياء والرسل وما فى الخبر لا يتفق وهذه الكوكبة من هداة البشر الذين بهم يقتدون ويهتدون وقد طهروا واصطفوا من بين الخلق أجمعين ولا يجوز فى حقهم إلا كل كمال عقائدى وأخلاقى وبدنى وما فى هذا الخبر إلا خبر عن رجل من عوام الناس قد أتى ذنباً من الذنوب الكبار ثم أمسك عنه خشية من الله سبحانه فتقبل الله منه توبته وهذا فعل عامة البشر وليس من أخلاق الأنبياء وصفتهم فى شىء وقد عصموا من مثل هذا وليس بعد قول الله قول حيث ذكره بين الأنبياء فذكر قبله إدريس عليه السلام ولا يشك فى نبوته ورسالته، وذكر بعده ذا النون عليه السلام ولا يشك فى نبوته ورسالته مما يؤكد نبوة ذى الكفل عليه السلام مما يجعل الخبر لا أساس له من الصحة ولا يجوز أن يلحق بمن اصطفى الله من عباده واختارهم ليكونوا منارات للهدى وعلامات على طريق الصلاح والفلاح والنجاح والنجاة.

فلا تقبل أذى المسلم من الأخبار ما خط كل بنان وعليك بما جاء عن المنان صاحب البيان الذى أنزل القرآن لتكون من أهل الجنان والروح والريحان.

(٢) وهذا خبر موقوف ولا يصح الوقوف والإرسال فى مثل هذه الأخبار، وما فى متن الخبر لا يقبل حيث إن ذا الكفل كان نبياً من قبل الله تعالى، والنبوة لا تورث إلا فى حالات محددة ذكرها الله تعالى وقد قبلها ممن طلبها فى قوله تعالى: ﴿يرثى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضياً﴾ وقد قبل الله تعالى دعاء ذلك النبى، واختيار موسى عليه السلام لأخيه هارون وقد قبل الله تعالى دعاء سيدنا موسى وجعل معه أخاه هارون نبياً وإبراهيم ولوط عليهما السلام وما إلى ذلك من الحالات المحددة فى القرآن الكريم التى تسمى بأحداث الأعيان فلا يجوز أن تنصرف إلى غيرهم بحال ما لم يكن على ذلك الانصراف دليل قاطع من كتاب أو سنة صحيحة صحة التواتر خصوصاً ما مسّ أنبياء الله تعالى أو العقيدة أو صلب التشريع من حلال وحرام.

وقال مجاهد: لما كبر اليسع (عليه السلام) قال: لو أتى استخلفتُ رجلاً على الناس يعمل عليهم في حياتي حتى أنظر كيف يعمل، قال: فجمع الناس فقال: من يتقبل لى بثلاث أستخلفه: يصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب، فقام رجل تزدرية العين فقال: أنا فردّه ذلك اليوم، وقال مثلها اليوم الآخر فسكت الناس، وقام ذلك الرجل فقال: أنا فاستخلفه - قال: فجعل إبليس يقول للشياطين: عليكم بفلان فأعياهم فقال: دعوني وإياه فأثاء في صورة شيخ فقير حين أخذ مضجعه للقائلة - وكان لا ينام بالليل والنهار إلا تلك النوم - فدقّ الباب فقال: من هذا؟ قال: شيخ فقير كبير مظلوم، فقام ففتح الباب فجعل يقص عليه فقال: إن بيني وبين قومي خصومة وإنهم ظلموني وفعلوا، وفعلوا فجعل يطولّ عليه حتى حضر الرواح وذهبت القائلة، قال: إذا رحّت فأنتى أخذ لك بحقّك، فانطلق وراح، فكان في مجلسه فجعل ينظر هل يرى الشيخ، فلم يره فقام يتبعه، فلما كان الغد جعل يقضى بين الناس وينتظره فلا يراه، فلما رجع إلى القائلة فأخذ مضجعه أياه فدقّ الباب فقال: من هذا؟ قال: الشيخ المظلوم، ففتح له فقال: ألم أقل إذا قعدت فأنتى قال: إنهم أخبّ قوم، إذا عرفوا أنك قاعد قالوا: نعطيك حقّك، وإذا قمت جحدوني، قال: فانطلق فإذا رحّت فأنتى، ففاته القائلة فراح فجعل ينظر ولا يراه وشقّ عليه النعاس، فقال لبعض أهله: لا تدعنّ أحداً يقرب هذا الباب حتى أنام فأنتى قد شقّ علىّ النوم.

فلما كان تلك الساعة جاء فلم يأذن له الرجل فلما أعياه نظر فرأى كوة في البيت فتسورّ منها فإذا هو في البيت، وإذا هو يدق الباب من داخل فاستيقظ الرجل فقال: يا فلان ألم أمرك؟ فقال: أمّا من قبلى فلم تُؤتَ والله، فانظر من أين أتيت؟ فقام إلى الباب فهو مغلق كما أغلقه وإذا الرجل معه في البيت فقال له: أتنام والخصوم ببابك؟ فعرفه فقال: أعدوّ الله؟ قال: نعم أعييتنى في كلّ شيء ففعلت ما ترى لأغضبك فعصمك الله منى، فسمّى ذا الكفل لأنه تكفّل بأمر فوفى به<sup>(١)</sup>.

وقال أبو موسى الأشعري: إنّ ذا الكفل لم يكن نبياً ولكن كان عبداً صالحاً تكفّل بعمل رجل صالح عند موته وكان يصلى لله سبحانه وتعالى كل يوم مائة صلاة، فأحسن الله عزّ وجل عليه الشاء.

وقيل: كان رجلاً تكفّل بشأن رجل وقع في بلاء فأنجاه الله على يديه.

وقيل: ذو الكفل إلياس، وقيل: هو زكريّا، والله أعلم.

(١) وهذا أيضاً موقوف كسابقه فحاله كحاله.

﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿وَذَا النُّونِ﴾ : واذكر صاحب النون وهو يونس بن متى ﴿إِذْ ذَهَبَ مُغَضِّبًا﴾ : اختلفوا فى معنى الآية ووجهها فقال الضحّاك : ذهب مغاضباً لقومه، وهى رواية العوفى وغيره عن ابن عباس قال : كان يونس وقومه يسكنون فلسطين، فغزاهم ملك فسبى منهم تسعة أسباط ونصف سبط وبقى سبطان ونصف، فأوحى الله تعالى إلى أشعياء النبى أن سر إلى حزقيا الملك وقل له حتى [يختار] <sup>(١)</sup> نبياً قوياً أميناً فإنى ألقى فى قلوب أولئك حتى يرسلوا معه بنى إسرائيل، فقال له الملك : فمن ترى؟ وكان فى مملكته خمسة من الأنبياء، فقال : يونس، فإنه قوى أمين، فدعا الملك يونس وأمره أن يخرج، فقال يونس : هل أمرك الله بإخراجه؟ قال : لا، قال : فهل سمّانى لك؟ قال : لا، قال فهنا غيرى أنبياء أقوياء أمناء، فألحوا عليه فخرج مغاضباً للنبي وللملك وقومه، فأتى بحر الروم فإذا سفينة مشحونة فركبها فلما تلججت السفينة تكفأت حتى كادوا أن يغرقوا فقال الملاحون، ها هنا رجل عاص أو عبد آبق، ومن رسنا أن نقترع فى مثل هذا فمن وقعت عليه القرعة ألقيناه فى البحر، ولئن يغرق واحد خير من أن تغرق السفينة بما فيها، فاقترعوا ثلاث مرات فوَقعت القرعة كلّها على يونس.

فقام يونس فقال : أنا الرجل العاصى والعبد الآبق، وألقى نفسه فى الماء فجاء حوت فابتلعه، ثم جاء حوت أكبر منه فابتلع هذا الحوت، وأوحى الله إلى الحوت : لا تؤذ منه شعرة فإنى جعلت بطنك سجنه، ولم أجعله طعاماً لك.

وقال الآخرون : بل ذهب عن قومه مغاضباً لربه إذ كشف عنهم العذاب بعدما وعدهموه، وذلك أنه كره أن يكون بين قوم قد جرّبوا عليه الخلف فيما وعدهم، واستحيا منهم، ولم يعلم السبب الذى به دفع عنهم العذاب والهلاك، فخرج مغاضباً وقال : والله لا أرجع إليهم كذاباً أبداً، وإنى وعدتهم العذاب فى يوم فلم يأت.

وفى بعض الأخبار : إن قومه كان من عادتهم أن يقتلوا من جرّبوا عليه الكذب، فلما لم يأتهم العذاب للميعاد الذى وعدهم خشى أن يقتلوه، فغضب وقال : كيف أرجع إلى قومي وقد أخلفتهم الوعد؟ ولم يعلم سبب صرف العذاب عنهم، وكيفية القصة، وذلك أنه كان خرج من بين أظهرهم، وقد ذكرت القصة بالشرح فى سورة يونس.

قال القتيبي : المغاضبة مفاعلة، وأكثر المفاعلة من اثنين كالمناظرة والمخاصمة والمجادلة وربّما تكون من واحد كقوله : سافرت وعاقبت الرجل وطارقت النعل وشاركت الأمر ونحوها،

(١) ما بين المعرفين زيادة من تفسير القرطبي والسياق يقتضيها وليس معنى ذلك أن الخبر صحيح.

وهى هاهنا من هذا الباب، فمعنى قوله: مغاضباً أى غضبان أنفاً، والعرب تسمى الغضب أنفاً، والأنف غضباً لقرب أحدهما من الآخر، وكان يونس وعده قومه أن يأتهم العذاب لأجله فلما فات الأجل ولم يتعذبوا غضب وأنف أن يعود إليهم فيكذبوه، فمضى كالنادِّ الآبق إلى السفينة، وكان من طول ما عاين وقاسى من بلاء قومه يشتهى أن ينزل الله بهم بأسه .

وقال الحسن: إنّما غاضب ربّه من أجل أنه أمر بالمصير إلى قومه لينذرهم بأسه ويدعوهم إليه، فسأل ربّه أن يُنظره ليتأهب للشخص إلىهم، فقيل له: إنّ الأمر أسرع من ذلك ولم يُنظر حتى سأل أن ينظر إلى أن يأخذ نعلًا يلبسها، فقيل له نحو القول الأول، وكان رجلاً فى خلقه ضيق<sup>(١)</sup>، فقال: أعجلنى ربى أن آخذ نعلًا؟ فذهب مغاضباً .

وقال وهب بن منبه اليماني: إنّ يونس بن متى كان عبداً صالحاً، وكان فى خلقه ضيق، فلما حملت عليه أثقال النبوة تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل، ففقدتها من يده وخرج هارباً منها، فلذلك أخرج الله سبحانه من أولى العزم، فقال لنبىّه محمد ﷺ: ﴿فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ (الأحقاف: ٣٥) وقال: ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ (القلم: ٤٨) أى لا تلق أمرى كما ألقاه<sup>(٢)</sup>.

﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾: أن لن نقضى عليه العقوبة، قاله مجاهد وقتادة والضحاك والكلبى، وهى رواية العوفى عن ابن عباس، تقول العرب: قدر الله الشىء بقدره تقديرًا وقدره يقدره قدرًا، ومنه قوله: ﴿مَنْحَنُ قَدْرَنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ﴾ (الواقعة: ٦٠) وقوله: ﴿وَالَّذِى قَدَّرَ فَهَدَى﴾ (الأعلى: ٣) قى قراءة من خففهما، ودليل هذا التأويل قراءة عمر بن عبد العزيز والزهرى ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ بضم النون وتشديد الدال من التقدير، وقرأ عبيد بن عمير

(١) هذه عبارة لا تليق أن تلصق بنبى أو أن تقال فى حقه وربما كانت سبق قلم أو سهواً عفا الله عنا وعن قائلها .

(٢) نعوذ بالله من اعتقاد مثل هذا الاعتقاد أو أن تقول مثل هذا القول فى نبى الله يونس عليه السلام أو فى أحد ممن اصطفى الله واختار، فالله يقول: ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾ وما قرّب نبى الله يونس من الله عزّ وجلّ إلا إلى الله عزّ وجلّ وما ذمه ربه وما قلاه، وإنما علمه كما علم غيره من الأنبياء كموسى عليه السلام إذ دله على الخضر، ووصى نبىّه محمداً ﷺ باتباع الرسل من قبله وخصه باتباع ملة إبراهيم عليه السلام وقرنه معه فى التشهد فى الصلوات الخمس إلا أن لكل قوم طبيعة وكذلك اقتضى الحال أن تكون لكل نبى طبيعة تسمى مع خصائص قومه، فالخذر الخذر من ترك العنان للنفس لتقول أو تتخيل فى أنبياء الله غير الكمال المطلق، فالأنبياء كسائر البشر لا يعلمون فيعلمون غير أن الناس يعلم بعضهم بعضاً أما الأنبياء فتعلمهم الملائكة بالوحى من الله عزّ وجلّ فربما تصرف النبى منهم تصرف احتاج فيه إلى سرعة التصحيح من قبل السماء فكان ذلك درساً له ولمن بعده من الأنبياء يتعلمون منه ما ينبغي وما لا ينبغي أما فى مسائل الهروب من تكاليف الله أو الاعتقاد فيه ما لا يجب فنعوذ بالله من مثل هذا القول أو الاعتقاد .

وقتادة: فظن أن لن يُقدَّر عليه بالتشديد على المجهول، وقرأ يعقوب يُقدَّر بالتخفيف على المجهول. وقال الشاعر في القدر بمعنى التقدير:

فليست عشيات الحمى برواجع  
ولاعائد ذلك الزمان الذى مضى  
لنا أبداً ما أروق السلم النضر  
تباركت ما تقدر نفع ولك الشكر

وقال عطاء وكثير من العلماء: معناه فظن أن لن نضيق عليه الحبس من قوله سبحانه: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ (الرعد: ٢٦) أى يضيق.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ (الطلاق: ٧)، وقال ابن زيد: هو استفهام معناه: أظن أن لن نقدر عليه؟.

وروى عوف عن الحسن أنه قال: معناه: فظن أنه يعجز ربّه فلا يقدر عليه<sup>(١)</sup>. قال: وبلغنى أن يونس لما أذنب انطلق مغاضباً لربه واستزله الشيطان حتى ظن أن لن يقدر عليه.

قال: وكان له سلف وعبادة فأبى الله أن يدعه للشيطان فخذفه فى بطن الحوت، فمكث فى بطن الحوت أربعين من بين يوم وليلة، وقيل: سبعة أيام، وقيل: ثلاث، وأمسك الله نفسه فلم يقتله هناك، فتاب إلى ربه فى بطن الحوت وراجع نفسه فقال: ﴿أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فاستخرجه الله من بطن الحوت برحمته.

قال عوف: وبلغنى أنه قال: وبنيت لك مسجداً فى مكان لم بينه أحد قبلى، والتأويلات المتقدمة أولى بالأنبياء وأبعد من الخطأ<sup>(٢)</sup>.

﴿فَتَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾ أى ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت، قاله أكثر المفسرين، وقال سالم بن أبى الجعد: ظلمة جوف الحوت، ثم ظلمة جوف الحوت الآخر الذى ابتلعه فى ظلمة البحر.

﴿أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾: قال محمد بن قيس: قال يونس: ﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾: حين عصيتك، وما صنعت من شىء فلم أعبد غيرك.

وروى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «لما أراد الله سبحانه حبس يونس فى بطن الحوت

(١) هذا تأويل غير موفق، وكذا ما بعده أيضاً.

(٢) هذا قول جيد يفيد أن الثعلبى وإن كان تفسيره قد حشد بهذا الكم من الأحاديث الضعيفة والموضوعة إنما كان العيب على إيراده لها وإن كان عدم التنبيه عليها بالمرّة مما يجعل القارئ غير المتعمق قد يقع فى شراكها فيصدقها أما الثعلبى نفسه فقد كان على علم غزير وعقيدة صحيحة لا شائبة فيها ومثل هذا القول يؤكد ما أقوله عنه من أن العيب ليس فى المؤلف وإنما فى المؤلف حيث أورد فيه كمّاً كبيراً مما لا يصح دون التنويه عليه.

أوحى الله إلى الحوت أن خذه ولا تخدش له لحماً ولا تكسر له عظماً، فأخذه ثم هوى به إلى مسكنه في البحر، فلما انتهى به إلى أسفل البحر سمع يونس حساً فقال في نفسه: ما هذا؟ فأوحى الله سبحانه إليه وهو في بطن الحوت: إن هذا تسييح دواب البحر، قال: فسيح وهو في بطن الحوت، فسمعت الملائكة تسيحه فقالوا: يا ربنا إننا لنسمع صوتاً ضعيفاً بأرض غريبة! قال: ذاك عبدي يونس عصاني، فحبسته في بطن الحوت، قالوا: العبد الصالح الذي كان يصعد إليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح؟ قال: نعم، فشفعوا له عند ذلك فأمر الحوت فقفذه في الساحل كما قال الله سبحانه: ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ (الصافات: ١٤٥).

وروى أبو هلال محمد بن سليمان عن شهر بن حوشب عن ابن عباس قال: أتى جبرئيل يونس (عليه السلام) فقال له: انطلق إلى السفينة، فركبها فاحتبست السفينة فساهموا فسهم، فجاء الحوت يبصبص بذنبه فنودي الحوت: إننا لم نجعل يونس لك رزقاً، إننا جعلناك له حرزاً ومسجداً، فالتقمه الحوت فانطلق به من ذلك المكان حتى مرّ به على الإبلّة، ثم مرّ به على دجلة ثم انطلق حتى ألقاه في نينوى، فكان ابن عباس يقول: إنما كانت رسالة يونس بعدما نبذ الحوت، ودليل هذا القول أن الله تعالى ذكر قصة يونس في سورة الصافات ثم عقبها بقوله ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ (الصافات: ١٤٧).

وقال الآخرون: بل كانت قصة الحوت بعد دعائه قومه وتبليغهم رسالة ربّه كما قد بينّا ذكره.

﴿فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُشَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾: من كربهم إذا استغاثوا بنا ودعونا. وروى علي بن زيد عن زيد عن سعيد بن المسيّب قال: سمعت سعد بن مالك يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اسم الله الذي إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى دعوة يونس ابن متى» قال: فقلت: يا رسول الله هي ليونس خاصة أم لجماعة المسلمين؟ قال: هي ليونس خاصة وللمؤمنين عامة إذا دعوا بها، ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾ إلى قوله ﴿وَكَذَلِكَ نُشَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾ وهو شرط الله لمن دعاه بها.

واختلفت القراءة في قوله «ننج» فقرأه العامة بنونين الثانية منهما ساكنة من الإنجاء على معنى نحن ننجي، فإن قيل: لم كتبت في المصاحف بنون واحدة<sup>(١)</sup>؟ قيل: لأنّ النون الثانية لما سكنت وكان الساكن غير ظاهر على اللسان حذفت، كما فعلوا ذلك بإلّا فحذفوا النون منها لجعلها كاشفة إذا كانت مدغمة في اللام، وقرأ ابن عامر وعاصم برواية ابن بكر ﴿نُشَجِّي

(١) في غير مصحف حفص المطبوع والمتداول.

المؤمنين﴾ بنون واحدة وتشديد الجيم وتسكين الياء، واختلف النحاة في هذه القراءة فمنهم من صوبها وقال: فيه إضمار معناه: نجى المؤمنين كما يقال: ضرب زيداً بمعنى ضرب الضرب زيداً. قال الشاعر:

ولو ولدت فقيرة جرو كلب      لسببٌ بذلك الجرو الكلابا  
أراد لسببه بذلك الجرو ولسبب الكلابا.

قالو: وإنما سكن الياء فى نَجَّى كما سَكَّنوها فى بقر فقالوا بقره ونحوها وإنما اتبع أهل هذه القراءة المصحف لأنها مكتوبة بنون واحدة. وقال القتيبي: من قرأ بنون واحدة والتشديد فإنه أراد ننجى من التنجية إلا أنه أَدغم وحذف نوناً على طلب الخفة.

وقال النحويون: هو ردىء لبعده مخرج النون من الجيم، ومن جوز هذه القراءة أبو عبيد، وأما أبو حاتم السجستاني فإنه لحنها ونسب قارئها إلى الجهل وقال: هذا لحن لا يجوز فى اللغة، ولا يحتج بمثل ذلك البيت على كتاب الله سبحانه وتعالى إلا أن يقول: وكذلك نُجى المؤمنين، ولو قرئ كذلك لكان صواباً، والله أعلم.

﴿وَزَكْرِيَّا إِذْ نَادَى﴾: دعا ﴿رَبَّهُ﴾: فقال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾: وحيداً لا ولد لى ولا عقب وارزقنى وارثاً، ثم رد الأمر إلى الله سبحانه فقال: ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ فاستجبتنا لله ووهبنا له، ﴿يَحْيَى﴾: ولداً ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ رَوْحَهُ﴾: بأن جعلناها ولوداً بعدما كانت عقيماً، قاله أكثر المفسرين، وقال بعضهم: كانت سيئة الخلق فأصلحها له بأن رزقها حسن الخلق<sup>(١)</sup>.

﴿إِنَّهُمْ﴾: يعنى الأنبياء الذين سماهم فى هذه السورة.

﴿كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾: خوفاً وطمعاً رغباً فى رحمة الله ورهباً من عذاب الله، وقرأ الأعمش، رُغْباً ورُهْباً بضم الراء وجرم الغين والهاء وهما لغتان مثل السقم والسقم والثكل والثكل والنحل والنحل والعدم والعدم. ﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾: خاضعين متواضعين.

﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ﴾: حفظت ومنعت ﴿فَرَجَهَا﴾: مما حرم الله سبحانه وهى مريم بنت عمران ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾: أى أمرنا جبرئيل حتى نفخ فى جيب درعها<sup>(٢)</sup> وأحدثنا بذلك النفخ المسيح فى بطنها، وأضاف الروح إليه على معنى الملك والتشريف لمريم وعيسى بتخصيصها

(١) التأويل الأول هو الأصوب والأليق بزوجات الأنبياء.

(٢) هذا قول لا يليق وليس عليه دليل صحيح من كتاب ولا سنة.

بالإضافة إليه .

﴿وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ : أى دلالة على كمال قدرتنا وحكمتنا، حمل امرأة بلا محاسنة ذكر، وكون ولد من غير أب، وإنما قال «آية» ولم يقل آيتين لأن معنى الكلام وجعلنا شأنهما وأمرهما آية للعالمين .

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ﴾ : ملتكم «أمة واحدة» : ملّة واحدة وهى الإسلام فأبطل ما سوى الإسلام من الأديان، وأصل الأمة الجماعة التى هى على مقصد واحد فجعلت بالشرعية أمة واحدة لاجتماع أهلها بها على مقصد واحد، ونصب أمة على القطع، وقرأ ابن إسحاق أمة بالرفع على التكرير .

﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ : أى اختلفوا فى الدين صاروا فيه فرقاً وأحزاباً، ثم قال : ﴿كُلُّ الْيَتِيمَ رَاجِعُونَ﴾ : فنجزهم بأعمالهم .

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيدِهِ﴾ : لا نبطل عمله ولا نبحده بل يُشكر ويثاب عليه ﴿وَأَنَا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ : لعمله حافظون .



﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿ وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيَوْنِلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿ لَوْ كَانَ هَتُولَاءِ إِلَهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْهَا وَإِنَّا كُنَّا فَعَالِينَ ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَالَمِينَ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَا إِلَهُكُمْ إِلَهًا



وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرَىٰ أَقْرَبُ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوَعَّدُونَ ﴿١٠١﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَإِنْ أَدْرَىٰ لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٠٣﴾ قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٠٤﴾

﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ : قرأ أهل الكوفة: وحرّم بكسر الحاء وجزم الراء من غير ألف، وقرأ الآخرون: وحرام، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم، وهما لغتان مثل حل وحلال.

قال ابن عباس: معنى الآية «وحرامٌ على قرية» أى أهل قرية ﴿أَهْلًا كُنْتُمْ﴾ : أى يرجعون بعد الهلاك وعلى هذا التأويل يكون لا صلة مثل قول العجاج:

❖ فى سر لا حورى سرى وما شعر ❖

أى فى سر حور.

وقال آخرون: الحرام بمعنى الواجب كقول الخنساء:

وإنّ حراماً لا أرى الدهر باكياً  
على شجوه إلاّ بكيت على عمرو

وعلى هذا التأويل يكون لا ثابتاً.

وقال جابر الجعفى: سألت أبا جعفر عن الرجعة فقرأ هذه الآية.

﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ﴾ : قرأه العامة بالتخفيف، وقرأ أبو جعفر وابن عامر ويعقوب بالتشديد

على الكسرة.

﴿يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ : ومعنى الآية فرّج السد عن يأجوج ومأجوج، وقد ذكرنا قصتهما

بالشرح.

وروى منصور بن المعتمر عن ربيع بن خراش عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ: أول الآيات الدجال، ونزول عيسى، ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس إلى المحشر ثقيل معهم إذا قالوا، والدخان والدابة، ثم يأجوج ومأجوج.

قال حذيفة: قلت: يا رسول الله ما يأجوج ومأجوج؟ قال: «أمم، كل أمة أربعمئة ألف أمة، لا يموت الرجل منهم حتى يرى ألف عين تطرف بين يديه من صلبه، وهم ولد آدم (عليه السلام) فيسيرون إلى خراب الدنيا، ويكون مقدمتهم بالشام وساقهم بالعراق، فيمرون بأنهار الدنيا فيشربون الفرات ودجلة وبحر الطبرية حتى يأتوا بيت المقدس فيقولوا: قد قتلنا أهل الدنيا، فقاتلوا من فى السماء فيرمون بالنشّاب إلى السماء، فيرجع نسابهم مخضبة بالدم فيقولون: قد قتلنا من فى السماء.

وعيسى والمسلمون بجبل طور سينين فيوحى الله سبحانه إلى عيسى أن أحرز عبادى بالطور وما يلى ، ثم إن عيسى يرفع يديه إلى السماء ، ويؤمن المسلمون ، فيبعث الله سبحانه عليهم دابة يقال لها النغف تدخل فى مناخرهم فيصبحون موتى من حاق الشام إلى حاق المشرق حتى تنتن الأرض من جيفهم ويأمر الله سبحانه السماء فتمطر كأفواه القرب فتغسل الأرض من جيفهم وتنتهم ، فعند ذلك طلوع الشمس من مغربها .

﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ﴾ : أى نشز وتلّ ﴿يَنْسِلُونَ﴾ : يخرجون مشاة مسرعين كنسلان الذئب .

واختلف العلماء فى هذه الكناية فقال قوم : عنى بهم يأجوج ومأجوج ، واستدلّوا بحديث أبى سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ قال : يفتح يأجوج ومأجوج فيخرجون على الناس كما قال الله سبحانه ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ : فيغشون الأرض .

وروى عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ فيما يذكر عن عيسى قال : «قال عيسى : عهد إلى ربى أن الدجال خارج وأنه مهبطى إليه ، فذكر أن معه قصبين فإذا رآنى أهلكه الله ، قال : فيذوب كما يذوب الرصاص حتى أن الشجر والحجر ليقول : يا مسلم هذا كافر فاقتله ، فيهلكهم الله عز وجل ويرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم ، فيستقبلهم يأجوج ومأجوج من كل حدب ينسلون ، لا يأتون على شىء إلا أهلكوه ولا يمرون على ماء إلا شربوه» .

وقال آخرون : أراد جميع الخلق ، يعنى أنهم يخرجون من قبورهم ومواضعهم فيحشرون إلى موقف القيامة ، تدل عليه قراءة مجاهد : وهم من كل جدث بالجيم والثاء يعنى القبر اعتباراً بقوله سبحانه : ﴿فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ (يس : ٥١) .

﴿وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقِّ﴾ : يعنى القيامة ، قال الفراء وجماعة من العلماء : الواو فى قوله «واقترب» مقحم ومجاز الآية : حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج اقترب الوعد الحق ، نظيرها قوله ﴿فَلَمَّا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا لِلجَبِينِ﴾ وَنَدَيْتَهُ ﴿ (الصفات : ١٠٣ ، ١٠٤) أى ناديناه : قال امرؤ القيس :

فلما أجزنا ساحة الحى وانتحى  
بياطن خبت ذى قفاف عقتل

يريد انتحى ، ودليل هذا التأويل حديث حذيفة قال : لو أن رجلاً اقتنى فلواً بعد خروج يأجوج ومأجوج لم يركبه حتى تقوم الساعة .

وقال الزجاج : البصريون لا يجيزون طرح الواو ويجعلون جواب حتى إذا فتحت فى قوله : «يا ويلنا» وتكون مجازاً الآية : ﴿حَتَّى إِذَا فَتَحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقِّ فَإِذَا هِيَ شَخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيَتَوَيَّلْنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا﴾ .

﴿فَإِذَا هِيَ شَخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ : فى قوله : ﴿هِيَ﴾ : ثلاثة أوجه :

أحدها: أن تكون هى كناية عن الأبصار ويكون الأبصار الظاهرة بيانا عنها كقول الشاعر:  
 لعمر أيها لا تقول ظعيتى ألا فرّ عنى مالك بن أبى كعب  
 فكنى عن الطعينة فى أبيها ثم أظهرها فيكون تأويل الكلام: فإذا الأبصار شاخصة أبصار  
 الذين كفروا.

والثانى: أن تكون هى عمادا كقوله: «فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ»، وكقول الشاعر:

❖ فهل هو مرفوع بماها هنا رأس ❖

والثالث: أن يكون تمام الكلام عند قوله: «هِيَ» على معنى هى بارزة واقفة يعنى: من  
 قربها كأنها آتية حاضرة، ثم ابتداء ﴿شَخِصَةً أَبْصَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: على تقديم الخبر على الابتداء  
 مجازها: أبصار الذين كفروا من هول قيام الساعة، وهم يقولون: «يَتَوَلَّيْنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ  
 هَذَا» أى من هذا اليوم ﴿بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾: بمعصيتنا ربنا ووضعنا العبادة فى غير موضعها.  
 ﴿إِنكُمْ﴾: أيها المشركون ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾: يعنى الأصنام ﴿حَصَبٌ جَهَنَّمَ﴾:  
 قراءة العامة بالصاد أى وقودها عن ابن عباس.

وقال مجاهد وقتادة وعكرمة: حطبها، وذكر أن الحصب فى لغة أهل اليمن الحطب.

الضحّاك: يعنى يرخون بهم فى النار كما يرمى بالحصباء، وأصل الحصب الرمى يقال  
 حصبت الرجل إذا رميته، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ (القمر: ٣٤) يعنى  
 ريحا ترميهم بالحجارة وقرأ ابن عباس: حَصَبٌ بِالضَّادِ، وهو كل ما هيجت وأوقدت به النار،  
 ومنه قيل للدقاق النار: حَصَبٌ، وقرأ على وعائشة وابن حميد: حطب بالطاء نظيرها قوله  
 سبحانه «وقودها الناس والحجارة».

﴿أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾: أى فيها داخلون ﴿لَوْ كَانَ هَتُولَاءِ﴾: الأصنام ﴿إِلَهَةٌ﴾: على الحقيقة ﴿مَّا  
 وَرَدُوهَا﴾: يعنى ما دخل عابدها النار، بل منعتهما ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: يعنى العابد  
 والمعبود.

﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾: قال ابن مسعود فى هذه الآية: إذا بقى فى النار من يخلد  
 فيها جُعِلُوا فى توابيت من نار، ثم جُعِلَ التوابيت فى توابيت أخرى، ثم جعلت التوابيت فى  
 أخرى فيها مسامير من نار، فلا يسمعون شيئا ولا يرى أحد منهم أن فى النار أحدا يُعَذَّبُ  
 غيره.

ثم استثنى فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ عِلْمُهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ أَنَّ لَهُمْ سَاعَةً مِّنْ نَّارٍ يَلْعَبُونَ﴾ قال قوم من العلماء: إنّها هنا بمعنى  
 إلا وليس فى القرآن سواه، والسبق تقدّم الشيء على غيره.

﴿لَهُمْ مِّنَّا الْحُسْنَى﴾ : السعادة والعدة الجميلة بالجنة ﴿أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ : والإبعاد: تطويل المسافة. واختلفوا في هؤلاء من هم؟ فقال أكثر المفسرين: عنى بذلك كل من عبد من دون الله وهو طائع ولعبادة من يعبده كاره، وذلك أن رسول الله ﷺ دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً فجلس إليهم فعرض له النضر بن الحارث فكلمة رسول الله ﷺ حتى أفحمه، ثم تلا عليه وعليهم ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ : الآيات الثلاث، ثم قال فأقبل عبد الله بن الزبعرى بن قيس بن عدى السهمي فرأهم يتهامسون قال: فيم خوضكم؟ فأخبره الوليد بن المغيرة بما قال لهم رسول الله ﷺ، فقال عبد الله: أما والله لو وجدته لخصمته، فدعوا رسول الله ﷺ فقال له ابن الزبعرى: أنت قلت: إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم؟ قال: نعم، قال: قد خصمته ورب الكعبة، أليست اليهود تعبد عزيراً والنصارى تعبد المسيح وبنو مليح يعبدون الملائكة؟.

فقال رسول الله ﷺ: «نعم، بل هم يعبدون الشياطين، هي التي أمرتهم بذلك، فأنزل الله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى﴾ الآية يعنى عزيراً وعيسى والملائكة». قال الحسن بن الفضل: إنما أراد بقوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ الأوثان دون غيرها لأنه لو أراد الملائكة والناس لقال: «ومن تعبدون»، قلت: ولأن المخاطبين بهذه الآية مشركو مكة وهم كانوا يعبدون الأصنام.

وقال بعضهم: هذه الآية عامّة في كل من سبقت له من الله السعادة.

قال محمد بن حاطب: سمعت علياً كرم الله وجهه يخطب، فقرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ﴾ فقال: عثمان (رضى الله عنه) منهم.

وقال الجنيد في هذه الآية: سبقت لهم من الله العناية في البداية، فظهرت الولاية في النهاية.

أخبرني أبو عبد الله محمد بن عبد الله قال: حدثنا أبو الحسين محمد بن عثمان النيصبي قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين السبيعي بحلب، قال: أخبرنا أحمد بن الحسين بن عبد الجبار الصوفي قال: حدثنا عبيد الله القواريري قال: حدثنا محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني قال: حدثنا ليث عن ابن عمّ النعمان بن بشير - وكان من سمار عليّ - قال: تلا عليّ ليلة هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ قال: أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف منهم ثم أقيمت الصلاة فقام عليّ يجرّ رداءه وهو يقول: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ يعنى صوتها إذا نزلوا منازلهم من الجنة ﴿وَهُمْ فِي مَا

أَشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَلْدُونَ ﴿٧٠﴾ والشهوة طلب النفس اللذّة، نظيرها قوله: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ (الزخرف: ٧١).

﴿لَا يَخْزِيهِمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ﴾: وقرأ أبو جعفر بضم الياء وكسر الزاي، والباقون: بفتح الياء وضم الزاي، واختلفوا في الفرع الأكبر، فقال ابن عباس: النفخة الآخرة، دليله قوله سبحانه ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ (النمل: ٨٧).

وقال الحسن: حين يؤمر بالعبد إلى النار.

سعيد بن جبير والضحاك: إذا أطبقت على أهل النار.

ابن جريج: حين يذبح الموت على صورة كبش أملح على الأعراف والفريقان ينظران فينادى: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت.

ذو النون المصري: هو القطيعة والهجران والفراق.

﴿وَتَتَلَقَّوْنَهُمْ﴾: تستقبلهم ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾: على أبواب الجنة يهنئونهم ويقولون لهم ﴿هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ﴿يَوْمَ تَطْوِي السَّمَاءُ﴾: قرأ أبو جعفر تطوى السماء بضم التاء والهمزة على المجهول، وقرأ الباقون بالنون السماء نصب ﴿كُتِبَ السِّجْلُ لِلْكَتِّبِ﴾: قرأ أهل الكوفة على الجمع، غيرهم: للكتاب على الواحد واختلفوا في السجل، فقال ابن عمر والسدي: السجل: ملك يكتب أعمال العباد فإذا صعد بالاستغفار قال الله سبحانه: اكتبها نوراً.

وقال ابن عباس ومجاهد: هو الصحيفة، واللام في قوله للكتب بمعنى على تأويلها كطى الصحيفة على مكتوبها.

وروى أبو الجوزاء وعكرمة عن ابن عباس أن السجل اسم كاتب لرسول الله، وهذا قول غير قوى لأن كتاب رسول الله كانوا معروفين وقد ذكرتهم في كتاب «الربيع»، والسجل اسم مشتق من المساجلة وهي المكاتبة، وأصلها من السجل وهو الدلو، يقال: سجلت الرجل إذا نزعت دلواً ونزعت دلواً ثم استعيرت فسميت المكاتبة والمراجعة مساجلة، قال الشاعر:

من يساجلني يساجل ماجداً      يملاً الدلو إلى عقد الكرب

ثم بنى هذا الاسم على فعل مثل طمر وقلز. والطي في هذه الآية يحتمل معنيين:

أحدهما: الدرج الذي هو ضد النشر قال الله سبحانه: ﴿وَالسَّمَوَاتِ مَطْوِيَّاتٍ بِيَمِينِهِ﴾

(الزمر: ٦٧).

والثاني: الإخفاء والتعمية والمحو والطمس لأن الله سبحانه يحو رسومها ويكدر نجومها،

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴿٢﴾﴾ (التكوير: ١، ٢) تقول العرب: اطوع عن فلان هذا الحديث أى استره وأخفه.

ثم ابتداء واستأنف الكلام فقال عز من قائل: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ قال أكثر العلماء: كما بدأناهم فى بطون أمهاتهم حفاة غرلا كذلك نعيدهم يوم القيامة، نظيرها قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ (الأنعام: ٩٤) وقوله: ﴿وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ (الكهف: ٤٨).

ودليل هذا التأويل ما روى ليث عن مجاهد عن عائشة رضى الله عنها قالت: دخل على رسول الله ﷺ وعندى عجوز من بنى عامر فقال: من هذه العجوز يا عائشة؟ فقلت: إحدى خالاتى، فقالت: ادع الله أن يدخلنى الجنة فقال: إن الجنة لا يدخلها العجز، فأخذ العجوز ما أخذها.

فقال (عليه السلام): «إن الله ينشئهن خلقاً غير خلقهن، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَهُنَّ إِنْشَاءً﴾ (الواقعة: ٣٥) الآية ثم قال: يُحْشِرُونَ يوم القيامة عراة حفاة غلفاً، فأول من يكسى إبراهيم صلوات الله عليه».

فقالت عائشة رضى الله عنها وعن أبيها: واسواتاه فلا تحتشم الناس بعضهم بعضاً؟ قال: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمٌ مَيِّدٌ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ (عبس: ٣٧)، ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ كيوم ولدته أمه.

وقال ابن عباس: يقول: نهلك كل شيء كما كان أول مرة، وقيل: كما بدأناه من الماء نعيده من التراب.

﴿وَعَدَا عَلَيْنَا﴾: نصب على المصدر يعنى وعدناه وعداً علينا ﴿إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾: يعنى الإعادة والبعث.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾: قرأ الأعمش وحمزة: الزبور بضم الزاى، وغيرهما يقرؤون بالنصب وهو بمعنى المزمور كالحلوب والركوب، يقال: زبرت الكتاب وذبرتته إذا كتبتة، واختلفوا فى معنى الزبور فى هذه الآية، فقال سعيد بن جبير ومجاهد وابن زيد: عنى بالزبور الكتب المنزلة وبالذكر أم الكتاب الذى عنده.

وقال ابن عباس والضحاك: الذكر التوراة والزبور الكتب المنزلة من بعد التوراة.

وقال الشعبى: الزبور كتاب داود والذكر التوراة.

وقال بعضهم: الزبور زبور داود والذكر القرآن، وبعد بمعنى قبل كقوله: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمُ

مَلِكٌ ﴿ (الكهف: ٧٩) أى أمامهم، وقوله: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ (النازعات: ٣٠) أى قبل ذلك.

﴿أَنَّ الْأَرْضَ﴾: يعنى أرض الجنة ﴿يَرْتُهَا عِبَادِي الصَّالِحُونَ﴾: يعنى أمة محمد (عليه السلام) قاله مجاهد وأبو العالية، ودليل هذا التأويل قوله: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ وَأَوْزَنَا الْأَرْضَ﴾ (الزمر: ٧٤).

وقال ابن عباس: أراد أن الأرض فى الدنيا تصير للمؤمنين، وهذا حكم من الله سبحانه بإظهار الدين وإعزاز المسلمين وقهر الكافرين.

قال وهب: قرأت فى عدة من كتب الله أن الله عز وجل قال: إئتى لأورث الأرض عبادى الصالحين من أمة محمد ﷺ.

﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا﴾: وصولاً إلى البغية، من أتبع القرآن وعمل به وصل إلى ما يرجو من الثواب، فالقرآن زاد الجنة كبلاغ المسافر.

﴿لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾: أى مؤمنين يعبدون الله سبحانه وتعالى.

وقال ابن عباس: عالين، وقال كعب الأحبار: هم أمة محمد أهل الصلوات الخمس وشهر رمضان، سمّاهم الله سبحانه وتعالى عابدين.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾: يا محمد ﴿إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾: قال ابن زيد: يعنى المؤمنين خاصة،

وقال ابن عباس: هو عام فمن آمن بالله واليوم الآخر كتب له رحمة فى الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن عوفى مما أصاب الأمم من المسخ والحسف والقذف.

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَأَدْتُمُّكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾:

يعنى أعلمتكم على بيان إنا وإياكم حرب لا صلح بيننا، وإئتى مخالف لدينكم، وقيل: معناه على سواء من الإنذار لم أظهر بعضكم على شىء كتمته عن غيره، وقيل: لتستووا فى الإيمان به، وهذا من فصيحيات القرآن.

﴿وَإِنْ أَدْرِي﴾: وما أعلم ﴿أَقْرَبُ أَم بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ﴾: يعنى القيامة، نسخها قوله: ﴿وَأَقْتَرَبَ

الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ (١).

﴿إِنَّهُ رِيحٌ يَّعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ: أى لعل تأخير العذاب عنكم،

كناية عن غير مذكور ﴿فِتْنَةٌ﴾: اختبار ﴿لَكُمْ﴾: ليرى كيف صنيعكم وهو أعلم ﴿وَمَتَّعُ إِلَىٰ

(١) سبق الكلام وسيأتى عن مسألة النسخ والمنسوخ واختلاف القول فيه بين قائل به وناق له.

حِينَ: إلى أجل يقضى الله فيه ما شاء.

أخبرنا أبو بكر الجوزقي قال: أخبرنا أبو العباس الدعولي قال: أخبرنا أبو بكر بن أبي خيثمة قال: حدثنا محمد بن أبي غالب قال: أخبرنا هشام قال: أخبرنا مجالد قال: حدثني السبعي قال: لما سلم الحسن بن عليّ معاوية الأمر، قال له معاوية: قم فاخطب واعتذر إلى الناس، فقام الحسن فخطب، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إِنَّ أَكْبَسَ الْكَيْسَ التَّقَى، وَإِنَّ أَحْمَقَ الْحُمُقَ الْفُجُورَ، وَإِنَّ هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي اخْتَلَفَ فِيهِ أَنَا وَمَعَاوِيَةُ إِمَّا حَقٌّ أَمْرِي كَانَ أَحَقَّ بِهِ، وَإِمَّا حَقٌّ كَانَ لِي فَتَرَكْتَهُ التَّمَّاسَ الصَّلَاحَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَإِنْ أَدْرَى لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَّعٌ إِلَى حِينٍ﴾.

﴿قُلْ رَبِّ أَحْكَمْ بِالْحَقِّ﴾: افعل بيني وبين من كذبنى بالحق، والله لا يحكم إلا بالحق، وفيه وجهان من التأويل:

قال أهل التفسير: الحق ها هنا بمعنى العذاب كأنه استعجل العذاب لقومه فعذبوا يوم بدر وليله، نظيره قوله: ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ (الأعراف: ٨٩).

وقال قتادة: كان رسول الله (عليه السلام) إذا شهد قتالا قال: ربّ احكم بالحق. وقال أهل المعاني: معناه: رب احكم بحكمك الحق، فحذف الحكم وأقيم الحق مقامه، واختلف القراء في هذه الآية فقرأ حفص ﴿قُلْ رَبِّ﴾: بالألف على الخبر، الباقون: (قال) على الأمر، وقرأ أبو جعفر: رب احكم برفع الباء على النداء والمفرد، وقرأ الضحاك ويعقوب: ربى احكم بإثبات الياء على وجه الخبر بأن الله سبحانه أحكم بالحق من كل حاكم وهذه قراءة غير مرضية لمخالفة المصحف، والقراء الباقون: ﴿رَبِّ أَحْكَمْ﴾ على الدعاء ﴿وَرَبَّنَا أَرْحَمُنُ الْمُسْتَغَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾.





## سورة الحج

مكية غير ست آيات نزلت بالمدينة وهي قوله: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ﴾  
إلى قوله: ﴿الْحَمِيدِ﴾<sup>(١)</sup>، وهي خمسة آلاف وخمسة وتسعون حرفاً  
وألف ومائتان وإحدى وسبعون كلمة وثمان وسبعون آية

أخبرنا أبو الحسن الجرجاني غير مرة قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي  
وأبو الشيخ عبد الله بن محمد الأصبهاني قالوا: حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن شريك قال:  
حدثنا أحمد بن يونس اليربوعي قال: حدثنا سلام بن سليم المدائني قال: حدثنا هارون بن  
كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من  
قرأ سورة الحج أعطى من الأجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى  
وفيما بقي»<sup>(٢)</sup>.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلَّ  
مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ

(١) قال القرطبي في تفسيره في هذا الموضوع:

هي مكية سوى ثلاث آيات: قوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ﴾ إلى تمام ثلاث آيات، قاله ابن عباس ومجاهد.  
وعن ابن عباس أيضاً: أنهن أربع آيات إلى قوله: ﴿عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾.

وقال الضحاك، وابن عباس أيضاً: هي مدنية. وقاله قتادة إلا أربع آيات: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا  
نبي﴾ إلى: ﴿عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ فهن مكيات.  
وعد النقاش ما نزل بالمدينة عشر آيات.

وقال الجمهور: السورة مختلطة منها مكى ومنها مدنى.

وهذا هو الأصح لأن الآيات تقتضى ذلك، لأن: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ مكى، و﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ مدنى.

قال الغزنوى: وهي من أعاجيب السور، نزلت ليلاً ونهاراً، وسفراً وحضراً، مكياً ومدنياً، سلماً وحرماً، ناسخاً  
ومنسوخاً، محكماً ومتشابهاً، مختلف العدد.

(١) فى إسناده سلام بن سليمان المدائني ولا يتابع على حديثه، وقال بعضهم: منكر الحديث.

بُسْكَرَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿١٠﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿١١﴾ كَتَبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَآنَهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَاقَةِ ثَمَرٍ مِّن مَّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّبَيِّنَاتٍ لَّكُمْ وَتُقْرَفُ الْأَرْحَامُ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يَتُوفَىٰ وَمِنكُم مَّن يَرُدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمَرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مَن بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَبْتَت مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿١٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴿١٥﴾

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾: الزلزلة والزلال: شدة الحركة على الحال الهائلة، من قوله: زلت قدمه إذا زالت عن الجهة بسرعة، ثم ضوعف.

﴿يَوْمَ تَرُوهَا﴾: يعنى الساعة ﴿تَذْهَلُ﴾: أى تشغل، عن ابن عباس، وقال الضحاك: تسلو<sup>(١)</sup>، ابن حيان: تنسى، يقال: ذهلت عن كذا أى تركته واشتغلت بغيره أذهل ذهولاً، وأذهلنى الشيء إذ هالاً. قال الشاعر:

❖ صحا قلبه يا عزُّ أو كاد يذهل ❖

﴿كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾: يعنى ذات ولد رضيع، والمرضع المرأة التى لها صبى ترضعه لغيرها، هذا قول أهل الكوفة، وقال أهل البصرة: يقال: امرأة مرضع إذا أريد به الصفة مثل مقرب ومشرق وحامل وحائض، فإذا أرادوا الفعل أدخلوا الهاء فقليل: مرضعة، التى ترضع وكدها.

﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا﴾: أى تسقط ولدها من هول ذلك اليوم.

﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ﴾.

قال الحسن: معناه: وترى الناس سكارى من الخوف، ما هم بسكارى من الشراب.

وقال أهل المعانى: مجازه: وترى الناس كأنهم سكارى. تدل عليه قراءة أبى زرعة بن عمرو بن جرير: وتُرى الناس بضم التاء أى تظن.

وقرأ أهل الكوفة إلا عاصماً: سكرى وما هم سكرى بغير ألف فيهما، وهما لغتان لجمع

(١) هذا قول بعيد جداً.

السكران مثل كسلى وكسالى ﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ .

روى عمران بن حصين وأبو سعيد الخدرى وغيرهما: إن هاتين الآيتين نزلتا ليلاً فى غزوة بنى المصطلق وهم حى من خزاعة والناس يسيرون، فنادى رسول الله ﷺ فحثوا المطى حتى كانوا حول رسول الله ﷺ فقرأهما عليهم فلم ير أكثر باكياً من تلك الليلة، فلما أصبحوا لم يحطوا السرج عن الدواب ولم يضربوا الخيام ولم يطبخوا قدراً والناس من بين باك أو حابس<sup>(١)</sup> حزين متفكر، فقال لهم رسول الله ﷺ: «أبشروا وسددوا وقاربوا، فإن معكم خليقتين ما كانتا فى قوم إلا أكثرتهن يأجوج ومأجوج» .

ثم قال: «إنى لأرجو أن تكونوا ربيع أهل الجنة، فكبروا وحمدوا الله»، ثم قال: «إنى لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة، فكبروا وحمدوا الله»، ثم قال: «إنى لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة فكبروا وحمدوا الله»، ثم قال: «إنى لأرجو أن تكونوا ثلثى أهل الجنة، وإن أهل الجنة مائة وعشرون صفًا، ثمانون منها أمتى وما المسلمون فى الكفار إلا كالشامة فى جنب البعير أو كالرقمة فى ذراع الدابة، بل كالشعرة السوداء فى الثور الأبيض، أو كالشعرة البيضاء فى الثور الأسود، ثم قال: ويدخل من أمتى سبعون ألفًا الجنة بغير حساب، فقال عمر: سبعون ألفًا؟ فقال: نعم ومع كل واحد سبعون ألفًا»، فقام عكاشة بن محصن فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم، قال: أنت منهم، فقام رجل من الأنصار فقال: ادع الله أن يجعلنى منهم، فقال رسول الله ﷺ: سبقك بها عكاشة» .

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ : نزلت فى النضر بن الحارث، كان كثير الجدال فكان يقول: الملائكة بنات الله، والقرآن أساطير الأولين، ويزعم أن الله غير قادر على إحياء من قد بلى وعاد ترابًا .

قال الله سبحانه ﴿وَتَبِعُ﴾ فى قوله ذلك وجداله فى الله بغير علم ﴿كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ كَتَبَ عَلَيْهِ : قضى عليه، على الشيطان ﴿أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ﴾ : اتبعه ﴿فَأَنَّهُ رَكِيزٌ﴾ : يعنى الشيطان ﴿يُضِلُّهُ﴾ : يعنى يضل من تولاها ﴿وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ : وتأويل الآية : قضى على الشيطان أنه يضل أتباعه ويدعوهم إلى النار .

ثم ألزم الحجّة منكرى البعث فقال عزّ من قائل ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ﴾ : يعنى أباكم آدم الذى هو أصل النسل ووالد البشر ﴿مِن تَرَابٍ ثَرَّةٍ﴾ : ذرئته ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾ : وهو المنى وأصلها الماء القليل وجمعها نطاف ﴿ثُمَّ مِّن عِلْقَةٍ﴾ : وهى الدم العبيط الجامد

(١) أى حابس دموعه أن تنزل .

وجمعها علق ﴿ثُمَّ مِنْ مُضَغَةٍ﴾: وهى لحمة قليلة قدر ما تمضغ ﴿مُخَلَّقَةٍ وَعَبْرٍ مُخَلَّقَةٍ﴾ .  
قال ابن عباس وقتادة: تامّة الخلق وغير تامّة .

وقال مجاهد: مصوّرة وغير مصوّرة يعنى السقط .

قال عبد الله بن مسعود: إذا وقعت النطفة فى الرحم بعث الله عزّ وجلّ ملكاً فقال: يا ربّ مخلّقة أو غير مخلّقة؟ فإن قال: غير مخلّقة مجتّها الأرحام دماً وإن قال: مخلّقة قال: يا ربّ فما صفة هذه النطفة؟ أذكر أم أنثى؟ ما رزقها؟ ما أجلها؟ أشقى أم سعيد؟ فيقال له: انطلق إلى أم الكتاب فاستنسخ منه صفة هذه النطفة، فينطلق الملك فينسخها فلا تزال معه حتى يأتى على آخر صفتها .

﴿الْبَيْنِ لَكُةٌ﴾: كمال قدرتنا وحكمتنا فى تصرّفنا أطوار خلقكم .

﴿وَقَرُّ﴾: روى عن عاصم بفتح الراء على النسق، غيره: بالرفع على معنى ونحن نقرُّ ﴿فى الأرحام ما نشاء﴾: فلا تمجّه ولا تسقطه ﴿إلى أجل مسمى﴾: وقت خروجها من الرحم تامّ الخلق والمدة ﴿ثُمَّ نَحْرُكُمْ﴾: من بطون أمهاتكم ﴿طفلاً﴾: صغاراً ولم يقل أطفالاً لأنّ العرب تسمى الجمع باسم الواحد .

قال الشاعر:

❖ إنّ العواذل ليس لى بأمير ❖

ولم يقل أمراء .

وقال ابن جريج: تشبيهاً باسم المصدر مثل: عدل وزور، وقيل: تشبيهاً بالخصم والضيف .

﴿ثُمَّ لَتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ﴾: كمال عقولكم ونهاية قواكم .

﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى﴾: قبل بلوغ الأشدّ ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ﴾: يعمر حتى ﴿يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ﴾: وهو الهرم والحرف ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً﴾ .

ثمّ بيّن دلالة أخرى للبعث فقال تعالى: ﴿وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً﴾ يابسة دارسة الأثر من الزرع والنبات كهمود النار .

﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ﴾: المطر ﴿أَهْتَرَّتْ﴾: تحرّكت بالنبات ﴿وَرَبَّتْ﴾: أى زادت وأضعفت النبات بمجىء الغيث، وقرأ أبو جعفر: ربأت بالهمز، ومثله فى حم السجدة أى ارتفعت وعلت وانتفخت، من قول العرب: ربأ الرجل إذا صعد مكاناً مشرفاً، ومنه قيل للطليعة ربئة .

﴿وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِجٍ﴾: صنف حسن ﴿ذَلِكَ﴾: الذى ذكرت لتعلموا ﴿بِأَنَّ اللهَ هُوَ

الْحَقُّ ﴿: والحق هو الكائن الثابت ﴿وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿.



﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نَفْعَ لَهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿يَدْعُوا لَمَن ضَرَّهُمْ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنْزَلْنَاهُ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿الرَّتْرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمٰوٰتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى﴾: بيان وبرهان ﴿وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾: نزلت في النضر بن الحارث ﴿ثَانِي عَطْفِهِ﴾: نصب على الحال.

قال ابن عباس: مستكبراً في نفسه، تقول العرب: جاء فلان ثانياً عطفه أي متجبراً لتكبره وتجبّره، والعطف: الجانب.

الضحّاك: شامخاً بأنفه، مجاهد وقتادة: لا وياً عنقه، عطية وابن زيد: معرضاً عما يدعى

إليه من الكبر.

ابن جريج: أى يعرض عن الحق نظيرها قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا تَنَالَىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا وَوَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾ (لقمان: ٧) الآية، وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأُ رُءُوسَهُمْ﴾ (المنافقون: ٥) الآية.

﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهٗ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾: عذاب وهوان وهو القتل بيد<sup>(١)</sup>.  
 ﴿وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾: فيقال له يومئذ ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ﴾: وهذا وأضرابه مبالغة فى إضافة الجرم إليه.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾: فيعذبهم بغير ذنب وهو سبحانه على أى وجه تصرف فى عبده فإنه غير ظالم، بل الظالم: المتعدى المتحكم فى غير ملكه.  
 ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾: الآية.

نزلت فى أعراب كانوا يقدمون على رسول الله ﷺ المدينة مهاجرين من باديتهم فكان أحدهم إذا قدم المدينة، فإن صحب بها جسمه ونتجت فرسه مهرأ حسناً وولدت امرأته غلاماً وكثر ماله وماشيته رضى به واطمأن إليه وقال: ما أصبت مذ دخلت فى دينى هذا إلا خيراً، وإن أصابه وجع المدينة وولدت امرأته جارية وأجهضت رماكه وذهب ماله وتأخرت عنه الصدقة، أتاه الشيطان فقال: والله ما أصبت مذ كنت على دينك هذا إلا شراً، فينقلب عن دينه، وذلك الفتنة، فأنزل الله سبحانه ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾: أى طرف واحد وجانب فى الدين لا يدخل فيها على الثبات والتمكين، والحرف: منتهى الجسم، وقال مجاهد: على شك.

وقال بعض أهل المعانى: يريد على ضعف فى العبادة كضعف القائم على حرف مضطرباً فيه.

وقال بعضهم: أراد على لون واحد فى الأحوال كلها يتبع مراده، ولو عبدوا الله فى الشكر على السراء والصبر على الضراء لما عبدوا الله على حرف.

وقال الحسن: هو المنافق يعبده بلسانه دون قلبه.  
 ﴿وَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ﴾: صحة فى جسمه وسعة فى معيشته ﴿أَطْمَأَنَّ بِهِ﴾: أى رضى واطمأن إليه وأقام عليه.

﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾: بلاء فى جسمه وضيق فى معاشه وتعدّر المشتهى من حاله ﴿أَتَقَلَّبَ عَلَىٰ﴾

(١) لو علم سبب نزول الآية علماً يقينياً لم يكن لازم أن يكون تأويل المؤول صحيحاً فالعبرة دائماً بعموم اللفظ وليس قاصراً على حدث معين وهى عامة فيما بعد هذا الحدث أو الخبر، والله أعلم.

وَجْهِهِ ﴿١﴾ : ارتدّ فرجع إلى وجهه الذى كان عليه من الكفر ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾ : وقرأ حميد الأعرج ويعقوب : خاسر الدنيا بالألف على مثال فاعل ، والآخرة خفضاً ، على الحال .

﴿ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ : الضرر الظاهر ﴿يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْصُرُهُمْ﴾ : إن عصاه ﴿وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ﴾ : إن أطاعه بعد إسلامه راجعاً إلى كفره ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ : ذهب عن الحق ذهاباً بعيداً .

﴿يَدْعُوا لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ : اختلف النحاة فى وجه هذه اللام فقال بعضهم : هى صلة مجازها : يدعو من ضره أقرب من نفعه ، وهكذا قرأها ابن مسعود ، وزعم الفراء والزجاج أن اللام معناها التأخير تقديرها : يدعو الله لمن ضره أقرب من نفعه .

وقال بعضهم : هذا على التأكيد معناه : يدعو لمن ضره أقرب من نفعه يدعو ثم حذف يدعو الأخيرة اجتزاء بالأولى ، ولو قلت : تضرب لمن خيره أكثر من شره تضرب ، ثم يحذف الأخير جاز .

وحكى عن العرب سماعاً : أعطيتك لما غيره خير منه ، وعنده لما غيره خير منه .

وقيل : (يدعو لمن ضره) من قوله : ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ وموضع ﴿ذَلِكَ﴾ : نصب به (يدعو) كأنه قال : الذى هو الضلال البعيد يدعو ، ثم استأنف فقال : لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ ، وتكون من فى محل الرفع بالابتداء وخبره ﴿لِبَيْتِ الْمَوْلَىٰ وَلِبَيْتِ الْعَشِيرِ﴾ .

وقيل : يدعو بمعنى يقول ، والخبر محذوف تقديره : لمن ضره أقرب من نفعه إلهه لبئس المولى الناصر ، ولبئس العشير المعاشر ، والصاحب والخليط يعنى الوثن .

﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴿٢﴾ : اختلفوا فى المعنى بالهاء التى فى قوله ينصره ، فقال أكثر المفسرين : عنى به نبيّه ﷺ ، قال قتادة : يقول : من كان يظن أن لن ينصر الله نبيّه ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ﴾ : بحبل ﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾ : إلى سقف البيت فليختنق به حتى يموت ﴿ثُمَّ لِيَقْطَعْ﴾ : الحبل بعد الاختناق به <sup>(١)</sup> ﴿فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ﴾ : صنيعه وحيلته ﴿مَا يَمِيطُ﴾ : هذا قول أكثر أهل التأويل ، وإنما معنى الآية : فليصور هذا الأمر فى نفسه وليس يختنق لأنه إذا اختلفت ومات [ومن] <sup>(٢)</sup> مات لا يمكنه القطع والنظر .

(١) هذا تأويل فاسد لا يقبله عقل ولا حس سليم .

(٢) زيادة يتطلبها السياق .

قال الحسين بن الفضل: هذا كما تقول في الكلام للحاسد أو المعاند: إن لم ترض هذا فاختنق.

وقال ابن زيد: السماء في هذه الآية هي السماء المعروفة بعينها، وقال: معنى الكلام: من كان يظن أن لن ينصر الله نبيّه ويكايده في دينه وأمره ليقطعه عنه، فليقطع ذلك من أصله من حيث يأتيه فإن أصله في السماء، فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع عن النبي ﷺ الوحي الذي يأتيه من الله، فإنه لا يكايده حتى يقطع أصله عنه، فلينظر هل يقدر على إذهاب غيظه بهذا العمل.

وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم من أسد وغطفان تباطؤوا عن الإسلام وقالوا: نخاف أن لا يُنصرَ محمد فيقطع الذي بيننا وبين حلفائنا من اليهود فلا يميرونا ولا يؤوننا، فقال الله لهم: من استعجل من الله نصر محمد فليختنق، فلينظر استعجاله بذلك في نفسه هل هو مذهب غيظه، فكذلك استعجاله من الله نصر محمد غير مقدم نصره قبل حينه.

وقال مجاهد: الهاء في ينصره راجعة إلى من، ومعنى الكلام: من كان يظن أن لن يرزقه الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى سماء البيت فليختنق، فلينظر هل يذهبن فعله ذلك ما يغيظ وهو خنقه أن لا يرزق، والنصر على هذا القول: الرزق، كقول العرب: من ينصرني نصره الله أي من يعطني أعطاه الله.

قال أبو عبيد: تقول العرب: «أرض منصور» أي مطورة كأن الله سبحانه أعطاه المطر. وقال الفقعي:

وإنك لا تعطى امرأً فوق حقّه      ولا تملك الشقّ الذي الغيث ناصر

وفي قوله ﴿مَا يَعِظُ﴾ لأهل العربية قولان:

أحدهما: أنها بمعنى الذي مجازه هل يذهبن كيده الذي يغيظه فحذف الهاء ليكون أخفّ.

والثاني: أنها مصدر، مجازه: هل يذهبن كيده غيظه.

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ يَتْلُونَ وَإِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ

وَالنَّصْرَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا: يعني عبدة الأوثان، وقال قتادة: الأديان خمسة: أربعة

للسيطان وواحد للرحمن. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ﴾: يحكم ﴿بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾

قال النحاة: ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ خبر لقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ﴾ كما تقول: إن زيدا إن الخير عنده لكثير، كقول

الشاعر:

إن الخليفة إن الله سربله      سربال ملك به ترجى الخواتيم



﴿أَلَمْ تَرَ﴾: بقلبك وعقلك ﴿أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ﴾.

قال مجاهد: سجودها: تحوّل ظلّالها، وقال أبو العالية: ما فى السماء نجم ولا شمس ولا قمر إلا يقع لله ساجداً حين يغيب، ثم لا ينصرف حتى يؤذن له ف يأخذ ذات اليمين حين يرجع إلى مطلعته.

وقال أهل الحقائق: سجود الجماد وما لا يعقل ما فيها من ذلّة الخضوع والتسخير وآثار الصنعة والتصوير الذى يدعو العاقلين إلى السجود لله سبحانه، كما قال الشاعر:

وفى كلّ شيء له آية      تدل على أنّه واحد

﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾: بكفره وهو مع ذلك يسجد لله ظلّه، قال مجاهد: وقيل: يسجد لله أى يخضع له ويقرّ له بما يقتضيه عقله ويضطره إليه، وإن كفر بغير ذلك من الأمور.

قالوا: وفى قوله: ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ واو العطف.

وقال بعضهم: هو واو الاستئناف، معناه: وكثير حق عليه العذاب بكفره وإبائه السجود. حكى لى أبو القاسم بن حبيب عن أبى بكر بن عياش أنّه قال: فى الآية إضمار مجازها: وسجد كثير من الناس، وأبى كثير حق عليه العذاب.

﴿وَمَنْ يُّنِ الْهُ﴾: أى يهنه الله ﴿فَمَا لَهُ مِنْ مَّكْرٍ﴾: قرأه العامة بكسر الراء، وقرأ إبراهيم بن أبى عيلة: فما له من مكرم بفتح الراء أى إكرام كقوله سبحانه ﴿أَدْخَلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ (الإسراء: ٨٠) ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُّبَارَكاً﴾ (المؤمنون: ٢٩) أى إدخالاً وإنزالاً. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾.



﴿ هَذَا خِصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ وَلَهُمْ مَقْلَعٌ مِّن حديد ﴿١٠﴾ كَمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١١﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُجَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿١٢﴾ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطٍ

الْحَمِيدِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِن عَذَابِ الْعِيمِ ﴿١١﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿١٣﴾

﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ : أى فى دينه وأمره ، والخصم اسم شبيه بوصف المصدر فلذلك قال : اختصموا ، نظيرها ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ (ص : ٢١) .

واختلف المفسرون فى هذين الخصمين من هما؟ فروى قيس بن عباد أن أبا ذر الغفارى كان يقسم بالله سبحانه أنزلت هذه الآية فى ستة نفر من قريش تبادروا يوم بدر : حمزة بن عبد المطلب وعلى بن أبى طالب وعتبة وشيبة ابنى ربيعة والوليد بن عتبة وعبيدة بن الحارث ، قال : وقال على : إننى لأول من يجثو للخصومة يوم القيامة بين يدى الله سبحانه وتعالى ، وإلى هذا القول ذهب هلال بن نساف وعطاء بن يسار . وقال ابن عباس : هم أهل الكتاب قالوا للمؤمنين : نحن أولى بالله وأقدم منكم كتاباً ونبينا قبل نبيكم ، وقال المؤمنون : نحن أحق بالله ، آمناً بمحمد ﷺ وآمناً بنبينا وبما أنزل الله سبحانه من كتاب ، فأنتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تركتموه وكفرتم به حسداً ، وكان ذلك خصومتهم فى ربهم .

وقال مجاهد وعطاء بن أبى رباح وعاصم بن أبى النجود والكلبي : هم المؤمنون والكافرون كلهم من أى ملة كانوا .

وقال عكرمة : هما الجنة والنار اختصمتا فقالت النار : خلقنى الله سبحانه وتعالى لعقوبته ، وقالت الجنة : خلقنى الله عز وجل لرحمته ، فقد قص الله سبحانه عليك من خبرهما ما تسمع ، ودليل هذا التأويل ما أخبرنا أبو سعيد بن حمدون رحمه الله بقراءة تى عليه قال : أخبرنا أبو حامد بن الشرقى قال : حدثنا محمد بن يحيى الذهلى وعبد الرحمن بن بشر العبدى وأحمد ابن يوسف السلمى قالوا : حدثنا عبد الرزاق بن همام الحميرى قال : أخبرنا معمر بن راشد عن همام بن منبه قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة عن محمد رسول الله ﷺ فقال : «تخاصمت الجنة والنار فقالت النار : أوثرت بالمتكبرين المتجبرين ، وقالت الجنة : لا يدخلنى إلا ضعفاء الناس وسقاطهم ، فقال الله سبحانه للجنة : إنما أنت رحمتى أرحم بك من أشياء من عبادى ، وقال للنار : إنما أنت عذابي أعذب بك من أشياء من عبادى ، ولكل واحد منكما ملؤها ، فأما النار

فإنهم يُلقون فيها وتقول: هل من مزيد؟ فلا تمتلئ حتى يضع الله سبحانه رجله فتقول: قط قط ، فهنالك تمتلئ وينزوى بعضها إلى بعض ، ولا يظلم من خلقه أحداً ، وأما الجنة فإن الله ينشئ لها خلقاً .

ثم بين مال الخصمين ، وحال أهل الدارين فقال سبحانه وتعالى : ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ ﴾ .

قال سعيد بن جبیر : ثياب من نحاس من نار ، وليس من الآنية شيء إذا حمى أشد حراً منه .

﴿ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴾ : الماء الحار .

روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الجمجمة حتى يخلص إلى جنبه فيسلت ما في جوفه حتى يبلغ قدميه ، وهو الصهر ثم يعاد كما كان » ﴿ يُصْهَرُ ﴾ : يذاب ، يقال : صهرت الألية والشحم بالنار أذبتها ، أصهرها صهراً ، قال الشاعر :

تروى لقيّ ألقى في صفصف      تصهره الشمس ولا ينصهر<sup>(١)</sup>

ومعنى الآية : يذاب بالحميم الذي يصب من فوق رؤوسهم ما في بطونهم من الشحوم والأحشاء وتنشوى جلودهم منه فتساقط .

﴿ وَ لَهُمْ مَقْلَعٌ ﴾ : سياط ﴿ مِنْ حَدِيدٍ ﴾ : واحدتها مقمعة ، سميت بذلك لأنها يُقمع بها المضروب أى يذلل .

﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا ﴾ : ردوا إليها .

روى الأعمش عن أبي ظبيان قال : ذكر أنهم يحاولون الخروج من النار حين تجيش جهنم فتلقى من فيها إلى أعلى أبوابها فيريدون الخروج منها فيعذبهم الخزان فيها ويعيدونهم إليها بالمقامع ويقولون لهم ﴿ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ : أى المحرق مثل الأليم والوجيع ، والذوق حاسة يحصل منها إدراك الطعم ، وهو هنا توسع ، والمراد به إدراكهم الآلام .

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُجَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ ﴾ : وهى جمع سوار ﴿ وَلَوْلُؤُا ﴾<sup>(٢)</sup> .

(١) جاء بهامش القرطبي تعريف بمفردات هذا البيت نصها : تروى : تسوق إليه الماء ، أى تصير له كالراية .

واللقى - بالفتح - : الشيء الملقى لهوانه .

والصفصف : المستوى من الأرض .

(٢) فى المخطوط : (ولؤلؤ) وأثبت ما فى مصحف حفص المطبوع والمتداول ، فلاحظ التعبير الذى أحدثته حتى يتضح لك الشرح والتفسير والفرق بين القراءات .

قرأ عاصم وأهل المدينة هاهنا وفي سورة الملائكة: ولؤلؤاً بالنصب على معنى ويحلون لؤلؤاً، واستدلوا بأنها مكتوبة في جميع المصاحف بالألف هاهنا.

وقرأ الباقون بالحذف عطفًا على الذهب، ثم اختلفوا في وجه إثبات الألف فيه، فقال أبو عمرو: أثبت الألف فيه كما أثبت في قالوا وكانوا، وقال الكسائي: أثبتوها فيه للهمزة لأن الهمزة حرف من الحروف، وأمّا يعقوب فإنه قرأها هنا بالنصب وفي سورة فاطر بالحذف رجوعاً إلى المصحف؛ لأنه كتب في جميع المصاحف هاهنا بالألف وهناك بغير ألف.

﴿وَلِيَأْسُوهَ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ ﴿: وهو شهادة أن لا إله إلا الله، وقال ابن زيد: لا إله إلا الله والله أكبر والحمد لله، نظيرها قوله سبحانه: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ (فاطر: ١٠) ﴿وَهُدُوا إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ﴾ إلى دين الله.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ﴾: فعطف بالمستقبل على الماضي لأن الصد بعمى دوام الصفة لهم، ومعنى الآية: وهم يصدون ومن شأنهم الصد، نظيرها قوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ (الرعد: ٢٨) وقيل: لفظه مستقبل، ومعناه الماضي، أي: وصدوا ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ﴾: يعني عن المسجد ﴿الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ﴾: خلقناه<sup>(١)</sup> وبنينا<sup>(٢)</sup> ﴿لِلنَّاسِ﴾: كلهم لم نخص منهم بعضاً دون بعض ﴿سِوَاءَ الْعَكْفِ﴾: المقيم ﴿فِيهِ وَالْبَادِ﴾<sup>(٣)</sup>: الطارئ المتاب إليه من غيره.

وقرأ عاصم برواية حفص ويعقوب برواية روح: ﴿سِوَاءَ﴾ بالنصب بإيقاع الجعل عليه لأن الجعل يتعدى إلى مفعولين.

وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء وما بعده خبره: وتام الكلام عند قوله ﴿لِلنَّاسِ﴾. واختلف العلماء في معنى الآية: فقال قوم: سواء العاكف فيه والباد في تعظيم حرمة وقضاء النسك به وحق الله الواجب عليهما فيه، وإليه ذهب مجاهد.

وقال آخرون: هما سواء في النزول به فليس أحدهما بأحق يكون فيه من الآخر، وحرّموا بهذه الآية كراء دور مكة وكرهوا إجارتها في أيام الموسم.

قال عبد الله بن عمر: سواء أكلت محرماً أو كراء دار مكة.

(١) الأولى أن يقول المفسر: وضعناه لقوله سبحانه: ﴿إن أول بيت وضع للناس﴾ فاليست موضوع بنص قول الله عز وجل.

(٢) والمعلوم لدى الجميع أن إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل هما اللذان رفعاه وبنياه بنص القرآن وتصريحه بذلك.

(٣) في المخطوط البادي وأثبت ما في مصحف حفص المطبوع المتداول فيلاحظ.

وقال عبد الرَّحْمَن بن سابط: كان الحجاج إذا قدموا مكة لم يكن أحد من أهل مكة بأحقّ بمنزله منهم فكان الرجل إذا وجد سعة نزل، ففشا فيهم السرقة، وكل إنسان يسرق من ناحيته فاصطنع رجل باباً فأرسل إليه عمر: اتخذت باباً من حجاج بيت الله؟ فقال: لا، إنَّما جعلته ليحترز متاعهم وهو قوله ﴿سَوَاءَ الْعَكْبِفِ فِيهِ وَالْبَادِ﴾.

قال: البادي فيه كالمقيم ليس أحد أحقّ بمنزله من أحد إلا أن يكون سبق إلى منزل، وإلى هذا القول ذهب ابن عباس وابن جبير وابن زيد وبياذان قالوا: هما سواء في البيوت والمنازل، والقول الأول أقرب إلى الصواب.

أخبرنا الحسين بن محمد بن الحسن بقراءة عليه قال: حدَّثنا صفوان بن الحسين قال: حدَّثنا أبو محمد بن أبي حاتم قال: سمعت أبا إسماعيل الترمذي بمكة سنة ستين ومائتين قال: سمعت إسحاق بن راهويه يقول: جالست الشافعي بمكة فتذاكرنا في كراء بيوت مكة، وكان يرخِّص فيه، وكنت لا أرخص فيه، فذكر الشافعي حديثاً وسكت، وأخذت أنا في الباب، أسرد فلماً فرغت منه قلت لصاحب لي من أهل مرو بالفارسية: مرد كما لاني هست قرية بمر، فعلم أني راطنت صاحبي بشيء هجنته فيه، فقال لي: أتناظر؟ قلت: وللمناظرة جئت، فقال: قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ (آل عمران: ١٩٥) نسب الديار إلى مالكيها أو غير مالكيها؟.

وقال النبي ﷺ يوم فتح مكة: «من أغلق بابه فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن وهل ترك عقيل لنا من رباع؟» نسب الدار إلى أربابها أو غير أربابها وقال لي: اشترى عمر بن الخطاب رضى الله عنه دار السجن من مالك أو غير مالك؟ فلما علمت أن الحجة لزمتمنى قمت.

﴿وَمَنْ يُدْفِئْ فِيهِ﴾: أى فى المسجد الحرام ﴿بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾: يعنى إلحاداً بظلم وهو الميل إلى الظلم، والباء فيه زائدة كقوله: تنبت بالدهن أى تنبت الدهن.

قال الفراء: وسمعت أعرابياً من ربيعة وسألته عن شيء فقال: أرجو بذلك يريد أرجو ذلك. وقال الشاعر:

بواد يمان ينبت الشن صدره وأسفله بالمرخ والشهبان<sup>(١)</sup>

(١) جاء بهامش تفسير القرطبي تفسير بعض كلمات البيت على النحو التالى:

الشن: شجر طيب الريح مر الطعم يدبغ به.

والمرخ: شجر كثير الثمار.

والشهبان: نبت شائك له ورد لطيف أحمر.

أى المرخ . وقال الأعشى :

ضمنت برزق عيالنا أرماحنا      بين المراحل والصريح الأجود

بمعنى ضمننت رزق عيالنا أرماحنا وقال آخر :

ألم يأتيك والأنباء تنمى      بما لاقت لبون بنى زياد

واختلفوا فى معنى الآية ، فقال مجاهد وقتادة ﴿ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ ﴾ هو الشرك أن يعبد فيه غير الله سبحانه وتعالى .

وقال آخرون : هو استحلال الحرام وركوب الآثام فيه .

قال ابن مسعود : ما من رجل يهمل بسيئة فيكتب عليه ، ولو أن رجلاً بعدن أو يبلى آخر يهمل أن يقتل رجلاً بمكة ، أو يهمل فيها بسيئة ولم يعملها إلا أذاه الله العذاب الأليم .

وقال ابن عباس : هو أن تقتل فيه ما لا يقتلك ، أو تظلم من لا يظلمك ، وهذا القول معنى

قول الضحاک وابن زيد .

أخبرنا أحمد بن أبى قال : أخبرنا المغيرة بن عمرو قال : حدثنا المفضل بن محمد قال :

حدثنا محمد بن يوسف قال : حدثنا أبو قرّة قال : ذكر سفیان عن ليث عن مجاهد أنه قال : تُضاعف السيئات بمكة كما تضاعف الحسنات .

ابن جريج : هو استحلال الحرام متعمداً ، عن حبيب بن أبى ثابت : احتكار الطعام بمكة ، بعضهم : هو كل شىء كان منهيّاً عنه من القول والفعل حتى قول القائل : لا والله ، وبلى والله .

وروى شعبة عن منصور عن مجاهد عن عبد الله بن عمر : أنه كان له فسطاطان أحدهما فى الحلّ والآخر فى الحرم ، فإن أراد أن يعاتب أهله عاتبهم فى الآخر ، فسئل عن ذلك فقال : كنا نحدث أن من الإلحاد فيه أن يقول الرجل : كلاً والله وبلى والله .

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا ﴾ : وطأنا . قال ابن عباس : جعلنا ، الحسن : أنزلنا ، مقاتل بن سليمان : دللناه عليه ، ابن حبان : هيأنا ، نظيره ﴿ تَبَوَّأُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران : ١٢١) ﴿ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ (الأعراف : ٧٤) وقوله : ﴿ لَتَبَوَّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا ﴾ (العنكبوت : ٥٨) .

﴿ لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ ﴾ : والمكان جوهر يمكن أن يثبت عليه غيره ، كما أن الزمان عرض يمكن أن يحدث فيه غيره ، وأراد بالبيت الكعبة .

﴿ أَنْ لَا تَشْرِكْ ﴾ : يعنى أمرناه وعهدنا إليه أن لا تشرك ﴿ فِي شَيْءٍ وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ ﴾ : يعنى المصلين ﴿ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ .

﴿ وَأَذِّنْ ﴾ : يعنى وعهدنا إلى إبراهيم أيضاً أن أذن أى أعلم ونادى ﴿ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ﴾ .

فقال إبراهيم: يا رب وما يبلغ صوتي؟ فقال: عليك الأذان وعلى البلاغ، فقال إبراهيم على المقام وقيل: على جبل أبى قبيس ونادى: يا أيها الناس ألا إن ربكم قد بنى بيتاً فحجّوه، فأسمع الله ذلك من فى أصلاب الرجال وأرحام النساء، وما بين المشرق والمغرب والبر والبحر ممن سبق فى علم الله سبحانه أن يحجّ إلى يوم القيامة، فأجابه: لبيك اللهم لبيك.

وقال ابن عباس: عنى بالناس فى هذه الآية أهل القبلة وزعم الحسن أن قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ كلام مستأنف، وأن المأمور بهذا التأذين محمد رسول الله ﷺ، أمر أن يفعل ذلك فى حجة الوداع.

﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾: مشاة على أرجلهم جمع راجل مثل قائم وقيام وصائم وصيام.  
 ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾: أى وركبانا، والضمائر البعير المهزول، وإنما جمع ﴿يَأْتِينَ﴾: لمكان كل، أراد النوق ﴿مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾: طريق بعيد.

سمعت أبا الحسن محمد بن القاسم الفقيه يقول: سمعت أبا القاسم بشر بن محمد بن ياسين القاضى يقول: رأيت فى الطواف كهلاً قد أجهده العبادته واصفرّ لونه ويده عصا وهو يطوف معتمداً عليها، فتقدّمت إليه وجعلت أسأله فقال لى: من أين أنت؟ قلت: من خراسان قال: فى أى ناحية تكون خراسان؟ - كأنه جهلها؟ قلت: ناحية من نواحي المشرق، فقال: فى كم تقطعون هذا الطريق؟ قلت فى شهرين وثلاثة أشهر، قال: أفلا تحجّون كل عام فأنتم من جيران هذا البيت؟ فقلت له: وكم بينكم وبين هذا البيت؟ فقال: مسيرة خمس سنين، خرجت من بلدى ولم يكن فى رأسى ولحيتى شيب، فقلت: هذا والله الجهد البين والطاعة الجميلة والمحبة الصادقة، فضحك فى وجهى وأنشأ يقول:

زُرْ مَنْ هُوَ بِكَ الدَّارُ      وَحَالَ مِنْ دُونِهِ حَجَبٌ وَأَسْتَارُ  
 لَا يَمْنَعُكَ بَعْدُ مِنْ زِيَارَتِهِ      إِنَّ الْمَحَبَّ لَمَنْ يَهْوَاهُ زَوَارُ



﴿لِيَشْهَدُوا مَنَفَعَهُمْ وَيَذْكُرُوا أَنَّمَا أَلَمَهُمْ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةٍ  
 الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَشَهُمْ وَلِيُوفُوا نُدُورَهُمْ وَلِيَطُوفُوا  
 بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأَحَلَّتْ لَكُمْ  
 الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿حُنْفَاءَ لِلَّهِ

غَيْرِ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿١٠٠﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْطِ شَعْبِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿١٠١﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَىٰ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿١٠٢﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقْنَاهُمْ مِنْ بَهِيمَةٍ الْأَنْعَمِ ﴿١٠٣﴾ فَالْحُكْمُ لِلَّهِ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلَمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿١٠٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ ﴿١٠٥﴾ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿١٠٦﴾ وَالْبَدَنَ جَعَلْنَا لَكُمْ مِنْ شَعْبِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَأَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجِبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٠٧﴾ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٨﴾

﴿لِيَشْهَدُوا﴾ : ليحضروا ﴿مَنْفَعٍ لَهُمْ﴾ : يعنى التجارة عن سعيد بن جبير، وهى رواية ابن رزين عن ابن عباس قال : هى الأسواق .

مجاهد : التجارة وما يرضى الله سبحانه من أمر الدنيا والآخرة .

سعيد بن المسيب وعطية العوفى ومحمد بن على الباقر : العفو والمغفرة .

﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ : يعنى ذى الحجة فى قول أكثر المفسرين، والمعدودات أيام التشريق، وإنما قيل لها معدودات لأنها قليلة، وقيل للعشر : معلومات للحرص على علمها بحسابها من أجل أن وقت الحج فى آخرها .

وقال مقاتل : المعلومات أيام التشريق .

محمد بن كعب : المعدودات والمعلومات واحدة .

﴿عَلَىٰ مَا رَزَقْنَاهُمْ مِنْ بَهِيمَةٍ الْأَنْعَمِ﴾ : يعنى الهدايا والضحايا من الإبل والبقر والغنم .

﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ : أمر بإباحة وليس بواجب . قال المفسرون : وإنما قال ذلك لأن أهل الجاهلية كانوا ينحرون ويذبحون ولا يأكلون من لحوم هداياهم شيئاً .

﴿وَأَطِعُوا الْبَآئِسَ﴾ : يعنى الزمن ﴿الْفَقِيرَ﴾ : الذى لا شىء له ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا﴾ : واختلف القراء

فى هذه اللامات فكسرها بعضهم فرقاً بين ثم والواو والفاء لأن ثم مفضول من الكلام، والواو والفاء كأنهما من نفس الكلمة، وجزمها الآخرون لأنها كلها لامات الأمر ﴿تَقْتَهُمْ﴾ : والتفت :



مناسك الحج كلّها عن ابن عمر وابن عباس .

وقال القرظى ومجاهد: هو مناسك الحج وأخذ الشارب ونشف الإبط وحلق العانة وقصّ الأظفار .

عكرمة: التفث: الشعر والظفر .

الوالبي عن ابن عباس: هو وضع الإحرام من حلق الرأس وقصّ الأظفار ولبس الثياب ونحوها . وأصل التفث فى اللغة الوسخ، تقول العرب للرجل تستقذره: ما أتفثك أى ما أوسخك! وأقذرك! قال أمية بن الصلت:

ساخين أباطهم لم يقذفوا تفتا وينزعوا عنهم قملاً وصئبانا

﴿وَأَيُّوْفُوا نُدُوْرَهُمْ﴾ قال مجاهد: نذر الحج والهدى وما ينذر الإنسان من شىء يكون فى

الحج .

﴿وَأَلِطَوْفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾: أراد الطواف الواجب وهو طواف الإفاضة والزيارة الذى يطاف بعد التعريف إمّا يوم النحر وإمّا بعده . واختلف العلماء فى معنى العتيق، فقال ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وقتادة: سمى عتيقاً لأنّ الله سبحانه أعتقه من الجابرة أن يصلوا إلى تخريبه، فلم يظهر عليه جبار قطّ، ولم يسلط عليه إلاّ من يعظّمه ويحترمه .

قال سعيد بن جبير: أقبل تبع يريد هذا البيت حتى إذا كان بقديد أصابه الفالج فدعا الأخبار فقالوا: إنّ لهذا البيت رباً ما قصده فاصد بسوء إلاّ حجه عنه بمكروه فإن كنت تريد النجاة ممّا عرض لك فلا تتعرض له بسوء .

قال: فأهدى إلى البيت كسوة وأنطاعاً فألبست، وكان أول ما ألبست، ونحر عنده ألف ناقة وعفا عن أهله وبرّهم ووصلهم، فسميت المطابخ لمطبخة القوم، وكانت خيله جياداً فسميت جياد لحيل تبع، وسميت قعيقعان لقعقعة السلاح حين أقبل من المدينة .

وقال سفيان بن عيينة: سمى بذلك لأنه لم يملك قط، وهى رواية عبيد عن مجاهد قال: إنّما سمى البيت العتيق لأنّه ليس لأحد فيه شىء .

ابن زيد: لأنه قديم وهو أول بيت وضع للناس، يقال: سيف عتيق ودينار عتيق أى قديم، وقيل: لأنه كريم على الله سبحانه، يقول العرب: فرس عتيق .

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ﴾: فيجتنب معاصيه ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لِلَّهِ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ .

قل ابن زيد: الحرمات: المشعر الحرام والبيت الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام، وقيل: هى المناسك .

﴿وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامَ﴾ : أن تأكلوها إذا ذكيتموها ﴿إِلَّا مَا يَتَلَى عَلَيْكُمْ﴾ : فى القرآن وهو قوله : ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ وَالْدَّامُ﴾ (المائدة: ٣) الآية، وقوله : ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا أُرِيدُ ذَكَرَ أَسْرَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ (الأنعام: ١٢١) وقيل : وأحلت لكم الأنعام فى حال إحراركم إلا ما يتلى عليكم من الصيد فإنه حرام فى حال الإحرام.

﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ : يعنى عبادتها لأن الأوثان كلها رجس .  
 ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ : يعنى الكذب والبهتان .

قال أمين بن حريم : قام النبى ﷺ خطيباً فقال : «يا أيها الناس عدلت شهادة الزور الشرك بالله، ثم قرأ هذه الآية» .

وقال بعضهم : هو قول المشركين فى تلبيتهم : لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك، تملكه وما ملك .

﴿حُفَاءَ﴾ : مستقيمين<sup>(١)</sup> مخلصين ﷻ : وقيل : حجاجاً غير مشركين به ﴿عِزِّ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾<sup>٤</sup> وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ﴾ : أى سقط إلى الأرض ﴿فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ﴾ : والخطف والاختطاف تناول الشىء بسُرعة، وقرأ أهل المدينة فتخطفه بفتح الحاء وتشديد الطاء أى تتخطفه فأدغم، وتصديق قراءة العامة قوله تعالى : ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ﴾ (الصفات: ١٠) .  
 ﴿أَوْ تَهْوَى﴾ : تميل وتذهب ﴿بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ : بعيد .

قال أهل المعانى : إنما شبه حال المشرك بحال الهاوى فى أنه لا يملك لنفسه نفعا ولا دفع ضرر يوم القيامة .

وقال الحسن : شبه أعمال الكفار بهذه الحال فى أنها تذهب وتبطل، فلا يقدرُونَ على شىء منها .

﴿ذَالِكَ﴾ : الذى ذكرت من اجتناب الرجس والزور وتعظيم شعائر الله ﴿مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ : هذا معنى الآية ونظمها . وشعائر الله : الهدى والبُدن، وأصلها من الإشعار وهو إعلامها لتعرف أنها هدى فسميت به، وتعظيمها استعظامها واستحسانها واستسمانها .

﴿لَكُمْ فِيهَا﴾ : أى فى الهدايا ﴿مَنْفَعُ﴾ : قيل : أن يسميها صاحبها بدنة أو هدياً ويشعرها

(١) قال القرطبي فى تفسيره لهذه الكلمة :

معناه : مستقيمين أو مسلمين مائلين إلى الحق . ولفظة ﴿حُفَاءَ﴾ من الأضداد تقع على الاستقامة وتقع على الميل . وحفاء نصب على الحال .

وقيل : ﴿حُفَاءَ﴾ حجاجاً، وهذا تخصيص لا حجة معه .

ويقلدها في رسلها وأصوافها وأوبارها وركوب ظهورها .

﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: وهو أن يسميها هدياً ويوجبها، فإذا فعل ذلك لم يكن له من منافعها شيء، هذا قول مجاهد وعطاء والضحاك وقتادة، ورواية مقسم عن ابن عباس، وقيل: معناه: لكم في هذه الهدايا منافع بعد إنجابها وتسميتها هدياً بأن تركبوها إذا احتجتم إليها وتشربوا ألبانها إن اضطررتم إليها، ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يعني إلى أن تُنحر، وهذا قول عطاء بن أبي رباح .

وقال بعضهم: أراد بالشعائر المناسك ومشاهد مكة، ومعنى الآية: لكم فيها منافع بالتجارة والأسواق إلى أجل مسمى وهو الخروج من مكة، وهذه رواية أبي ذر عن ابن عباس .

وقال بعضهم: لكم فيها منافع بالأجر والثواب في قضاء المناسك وإقامة شعائر الحج إلى أجل مسمى وهو انقضاء أيام الحج .

﴿ثُمَّ مَحَلُّهَا إِلَىٰ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾: أي منحرها عند البيت العتيق يعني أرض الحرم كلها، نظيرها قوله سبحانه ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ (التوبة: ٢٨): أي الحرم كله، وقال الذين قالوا: عنى بالشعائر المناسك، معنى الآية: ثم محل الناس من إحرامهم إلى البيت العتيق أن يطوفوا به طواف الزيارة يوم النحر بعد قضاء المناسك .

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾: جماعة مؤمنة سلفت قبلكم ﴿جَعَلْنَا مَنَسَكًا﴾: اختلف القراء فيه فقرأ أهل الكوفة إلا عاصماً بكسر السين في الحرفين على معنى الاسم مثل المجلس والمطلع أي مذبحاً موضع قربان، وقرأ الآخرون بفتح السين فيهما على المصدر مثل المدخل والمخرج أي إهراق الدماء وذبح القرابين .

﴿لِيذْكُرُوا أَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾: عند ذبحها ونحرها، وإنما خص بهيمة الأنعام لأن من البهائم ما ليس من الأنعام كالخيل والبغال والحمير، وإنما قيل بهائم لأنها لا تتكلم .

﴿قَالِ الْهُكْمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَاهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾: قال ابن عباس وقتادة: المتواضعين، مجاهد: المطمئنين إلى الله سبحانه، الأخفش: الخاشعين، ابن جرير: الخاضعين، عمرو بن أوس: هم الذين لا يظلمون، وإذا ظلموا لم ينتصروا .

﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ وَالْبَدَنُ: أي الإبل العظام الضخام الأجسام، وتخفف وتثقل واحدها بدنة مثل تمره وتمر وخشبة وخشب وبادن مثل فاره وفره، والبدن هو الضخم من كل شيء ومنه قيل لامرئ

القيس بن النعمان صاحب الخورنق والسدير: البدن لضخمه، وقد بدّن الرجل بدناً وبدانة إذا ضخم، فأما إذا أشفى واسترخى قيل: بدّن تديناً.

وقال عطاء والسدي: البدن: الإبل والبقر.

﴿جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾: أى إعلام دينه إذا أشعر ﴿لِكُرْفِيهَا خَيْرٌ﴾: النفع فى الدنيا، والأجر فى العقبى ﴿فَأَذْكُرُوا لِمَنِ اللَّهُ عَلَيْهَا﴾: عند نحرها، قال ابن عباس: هو أن تقول: الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر، اللهم منك ولك.

﴿صَوَافٌ﴾: أى قياماً على ثلاث قوائم قد صفت رجلها وإحدى يديها ويدها اليسرى معقولة فينحرها كذلك.

روى يعلى بن عطاء عن يحيى بن سالم قال: رأيت ابن عمر وهو ينحر بدنته فقال: صواف كما قال الله سبحانه، فنحرها وهى قائمة معقولة إحدى يديها.

وقال مجاهد: الصواف إذا عقلت رجلها اليسرى وقامت على ثلاث وتنحر كذلك.

وقرأ ابن مسعود: صوافن وهى المعقلة تعقل يداً واحدة، وكانت على ثلاث وتنحر، وهو مثل صواف.

وقرأ أبى: صوافى وهكذا أيضاً مجاهد وزيد بن أسلم بالياء أى صافية خالصة لله سبحانه لا شريك له فيها كما كان المشركون يفعلون.

﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾: أى سقطت بعد النحر فوقعت جنوبها على الأرض.

وقال ابن زيد: فإذا ماتت، وأصل الوجوب الوقوع، يقال: وجبت الشمس إذا سقطت للمغيب، ووجب الفعل إذا وقع ما يلزم به فعله.

﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾: أمر إباحة ورخصة مثل قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ (المائدة: ٢) وقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ (الجمعة: ١٠).

﴿وَأَطَعُوا الْقَانِعَ وَالْمَعْتَرَّ﴾: اختلفوا فى معناها، فروى العوفى عن ابن عباس وليث عن مجاهد أن القانع الذى يقنع بما أعطى، ويرضى بما عنده ولا يسأل، والمعتر: الذى يمرّبك ويتعرض لك ولا يسأل.

عكرمة وابن تميم وقتادة: القانع: المتعفف الجالس فى بيته، والمعتر: السائل الذى يعتريك ويسألك، وهى رواية الوالى عن ابن عباس.

حصيف عن مجاهد، القانع: أهل مكة وجارك وإن كان غنياً، والمعتر الذى يعتريك

ويأتيك فيسألك، وعلى هذه التأويلات يكون القانع من القناعة وهى الرضا والتعفف وترك السؤال.

سعيد بن جبير والكلبى: القانع: الذى يسألك، والمعتز: الذى يتعرض لك ويريك نفسه ولا يسألك، وعلى هذا القول يكون القانع من القنوع وهو السؤال. قال الشماخ:  
لمال المرء يصلحه فيغنى      مفاقره أعف من القنوع

وقال ليبيد:

وأعطانى المولى على حين فقره      إذا قال أبصر خلتى وقنوعى

وقال زيد بن أسلم: القانع: المسكين الذى يطوف ويسأل، والمعتز: الصديق الزائر الذى يعتر بالبدن.

ابن أبى نجيح عن مجاهد: القانع: الطامع، والمعتز: من يعتر بالبدن من غنى أو فقير.  
ابن زيد: القانع: المسكين، والمعتز الذى يعتر القوم للحمهم وليس بمسكين ولا يكون له ذبيحة، يجىء إلى القوم لأجل لحمهم.

وقرأ الحسن: والمعتزى وهو مثل المعتز، يقال: عراه واعتراه إذا أتاه طالباً معروفه.  
﴿كَذَلِكَ سَخَّرْنَا لَكُمُ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَائُهَا﴾: وذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا نحرروا البدن لطحوا حيطان الكعبة بدمائها فأنزل الله سبحانه ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ﴾: أى لن يصل إلى الله ﴿لُحُومَهَا وَلَا دِمَائُهَا﴾.  
﴿وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾: أى النية والإخلاص وما أريد به وجه الله عز وجل، وقرأ يعقوب تنال وتنال بالتاء، غيره: بالياء.

﴿كَذَلِكَ﴾: هكذا، ﴿سَخَّرَهَا﴾: يعنى البدن، ﴿لَكُمُ لَتَكْتَبِرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾: لإعلام دينه ومناسك حجه وهو أن يقول: الله أكبر على ما هدانا والحمد لله على ما أبلانا وأولانا.  
﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾.



﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ أذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدَمَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ

وَمَسْجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ  
 إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ  
 عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿١١﴾ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿١٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ  
 وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ  
 نَكِيرٍ ﴿١٤﴾ فَكَايِنَ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَمَبَىٰ حَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبَنِي مُعْتَدِلَةٍ وَقَصْرِ  
 مَشِيدٍ ﴿١٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا  
 تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿١٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ  
 اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿١٧﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ﴾ (١): مكي وبصرى: يدفع، غيرهم: يدافع، ومعناه: إن الله يدفع غائلة

المشركين.

﴿عَنْ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ﴾: فى أمانة الله، ﴿كُنُورٍ﴾: لنعمته.

﴿أُذِنَ﴾: قرأ أهل المدينة والبصرة وعاصم أذن بضم الألف، وقرأ الباقر بفتح أى أذن الله  
 ﴿لِلَّذِينَ يَفْتَتِلُونَ﴾: قرأ أهل المدينة والشام بفتح التاء يعنون المؤمنين الذين يقابلهم المشركون،  
 وقرأ الباقر بكسر التاء يعنى أن الذين أذن لهم بالجهاد يقاتلون المشركين ﴿بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ  
 نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾.

قال المفسرون: كان مشركو أهل مكة يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ فلا يزالون يجيئون من  
 بين مضروب ومشجوج، فيشكونهم إلى رسول الله فيقول لهم: اصبروا فإنى لم أؤمر بالقتال  
 حتى هاجر رسول الله ﷺ من مكة، فأنزل الله سبحانه هذه الآية وهى أول آية أذن الله فيها  
 بالقتال.

وقال ابن عباس: لما أخرج النبى ﷺ من مكة قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم، إننا لله وإننا إليه  
 راجعون، لنهلكن، فأنزل الله سبحانه ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يَفْتَتِلُونَ﴾ الآية، قال أبو بكر: فعرفت أنه  
 سيكون قتال.

(١) فى المخطوط: يدفع، وغيرت إلى ما هو مثبت بمصحف حفص المطبوع وتركت الشعبي يذكر الشرح والخلاف بين  
 القراءتين فلاحظ ما غيرته.

وقال مجاهد: نزلت هذه الآية في قوم بأعيانهم خرجوا مهاجرين من مكة إلى المدينة فكانوا يمنعون من الهجرة، فأذن الله تعالى لهم في قتال الكفار الذين يمنعونهم من الهجرة.

﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾: بدل من الذين الأولى، ثم قال: ﴿إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ﴾

يعنى لم يخرجوا من ديارهم إلا لقولهم ربنا الله وحده، فيكون أن في موضع الخفض رداً على الباء في قوله: ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ ويجوز أن يكون في موضع نصب على وجه الاستثناء.

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمَ بِبَعْضٍ﴾: بالجهاد وإقامة الحدود وكف الظلم ﴿لَهَدَمَتْ﴾: قرأ الحجازيون بتخفيف الدال، والباقون بالتشديد على الكسر أى تخربت ﴿صَوَامِعُ﴾: قال مجاهد والضحاك: يعنى صوامع الرهبان، قتادة: صوامع الصابئين.

﴿وَبِيعٌ﴾: النصارى، ابن أبى نجیح عن مجاهد: كنائس اليهود، وبه قال ابن زيد.

﴿وَصَلَوَاتٌ﴾: قال ابن عباس وقتادة والضحاك: يعنى كنائس اليهود ويسمونها صلواتاً. أبو العالية: هى مساجد الصابئين.

ابن أبى نجیح عن مجاهد: هى مساجد لأهل الكتاب ولأهل الإسلام بالطريق، وعلى هذه الأقاويل تكون الصلوات أهل الإسلام تنقطع إذا دخل عليهم العدو، انقطعت العبادة وهُدمت المساجد كما صنع بختنصر.

﴿وَمَسْجِدٌ يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمَاءَ اللَّهِ كَثِيرًا﴾: يعنى مساجد المسلمين، وقيل: تأويلها: لهدمت صوامع وبيع فى أيام شريعة عيسى، وصلوات فى أيام شريعة موسى، ومساجد فى أيام شريعة محمد صلى الله عليهم أجمعين.

وقال الحسن: يدفع عن هدم مصليات أهل الذمّة بالمؤمنين، فإن قيل: لم قدم مصليات الكافرين على مساجد المسلمين؟ قلنا: لأنها أقدم، لقربها من الهدم، وقرب المساجد من الذكر كما أخر السابق فى قوله ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ (فاطر: ٣٢)؛ لقربه من الخيرات.

﴿وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾: أى ينصر دينه ونبية.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ الذين إن مكنتهم فى الأرض أقاموا الصلوة وأءنوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر: قال قتادة: هم أصحاب محمد، عكرمة: أهل الصلوات الخمس، الحسن وأبو العالية: هذه الأمة.

﴿وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾: آخر أمور الخلق ومصيرهم إليه.

﴿وَإِنْ يَكْذِبُوكَ﴾: يا محمد ﴿فَقَدْ كَذَبْتَ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ: أمهلتهم ﴿ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ﴾: عاقبتهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ

نكير ﴿إنكارى بالعذاب والهلاك، يعزى نبيه ﷺ ويخوف مخالفه.

﴿فكأن﴾ : وكم ﴿مِنْ قَرِيَّةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ : يعنى وأهلها ظالمون، فنسب الظلم إليها لقرب الجوار.

﴿فَبِحَىٰ خَاوِيَةٍ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ : ساقطة على سقوفها ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّةٍ﴾ : متروكة مخلاة عن أهلها ﴿وَقَصْرِ مَشِيدٍ﴾ : قال قتادة والضحاك ومقاتل : رفيع طويل، ومنه قول عدى :  
شاده مرمراً وجلله كلساً  
فللطير فى ذراه وكور

أى رفعه.

وقال سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وعكرمة : مجصص، من الشيد وهو الجصص، قال الراجز :

[ لا تحسبنى وإن كنت امرأ غمرًا ]<sup>(١)</sup> كحبة الماء بين الطي والشيد  
وقال امرؤ القيس :

وتيماء لم يترك بها جذع نخلة  
أى مبنياً بالشيد والجندل.

وروى أبو روق عن الضحاك أن هذه البئر كانت بحضرموت فى بلدة يقال لها حاصورا وذلك أن أربعة آلاف نفر ممن آمن بصالح ونجوا من العذاب أتوا حضرموت ومعهم صالح، فلما حضروه مات صالح، فسمى حضرموت لأن صالحاً لما حضره مات، فبنوا حاصورا وقد دوا على هذه البئر وأمروا عليهم رجلاً يقال له بلهنس بن جلاس بن سويد، وجعلوا وزيره سنحاريب بن سودة، فأقاموا دهرًا وتناسلوا حتى نموا وكثروا، ثم أنهم عبدوا الأصنام فكفروا فأرسل الله إليهم نبياً يقال له حنظلة بن صفوان كان حمالاً فيهم فقتلوه فى السوق، فأهلكهم الله وعطلت بئرهم وخربت قصورهم.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ : يعنى كفار مكة فينظروا إلى مصارع المكذبين من الأمم الخالية. ﴿فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ : يعلمون بها ﴿أَوْ أَعْيُنٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ : فيتفكروا ويعتبروا. ﴿فَأَنبَأَهَا لَا تَعْنَى الْأَبْصَارِ وَلَكِن تَعْنَى الْقُلُوبِ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ : تأكيد، كقوله سبحانه ﴿وَلَا طَّيِّبِرْ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ (الأنعام: ٣٨) وقوله تعالى : ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ (آل عمران: ١٦٧).

قال ابن عباس ومقاتل : لما نزل ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ (الإسراء: ٧٢) جاء ابن أم مكتوم النبي ﷺ باكياً فقال : يا رسول الله أنا فى الدنيا أعمى أفأكون فى الآخرة

(١) ما بين المعقوفين زيادة من تفسير القرطبي.



أعمى؟ فأنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية .

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ : نزلت فى النضر بن الحارث .

﴿وَلَنْ يَخْلَفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ : فأنجز ذلك يوم بدر .

﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ : بالياء مكى كوفى غير عاصم ، غيرهم : بالتاء .

وقال ابن عباس : هى من الأيام التى خلق الله سبحانه فيها السموات والأرض .

مجاهد وعكرمة : من أيام الآخرة .

ابن زيد : فى قوله : ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ قال : هذه أيام الآخرة . وفى

قوله : ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (المعارج : ٤) قال : هو يوم القيامة .

وقال أهل المعانى : معنى الآية : وإن يوماً عند ربك من أيام العذاب الذى استعجلوه فى

الثقل والاستطالة والشدة كألف سنة مما تعدون فكيف تستعجلونه؟ وهذا كما يقال : أيام

الهموم طوال وأيام السرور قصار .



﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ﴾ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا

أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾

وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن

رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُخَكِّمُ

اللَّهُ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ

وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ

فِيَوْمَنَآءَ بِهِ فَخُتِبَ لَهُم مَّا قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿وَلَا يَرَأُ

الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ

لِللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا

وَكَذَّبُوا بِءَايَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قَتِلُوا أَوْ مَاتُوا

لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١٠﴾ لِيَدْخُلْتَهُمْ مُدْخَلَ بَرَئِينَ بَدَلًا لِمُخْرَجِهِمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ غَفُورٌ ﴿١١﴾

﴿وَكَايْنٍ مِنْ قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى النَّصِيرِ﴾ قُلْ يَنبَأُهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١٢﴾ قَالُوا لَيْسَ بِهَذَا إِلَّا مِثْلُ مَا عَمِلُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿١٣﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا : أى عملوا فى إبطال آياتنا ﴿مُعْجِزِينَ﴾ : أى مغالين مشاقين قال ابن عباس ، الأخصش : متأنفين ، قتادة : ظنوا أنهم يعجزون الله فلا يقدر عليهم ولن يعجزوه .

وقرأ ابن كثير وأبو عمر : معجزين بالتشديد أى مثبطين الناس عن الإيمان ، ومثله فى سورة سبأ .

﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى .

قال ابن عباس ومحمد بن كعب القرظى وغيرهما من المفسرين : لما رأى رسول الله ﷺ تولى قومه عنه وشق عليه ما رأى من مباحدهم عما جاءهم به من الله سبحانه تمنى فى نفسه أن يأتيه من الله تعالى ما يقارب بينه وبين قومه ، وذلك لحرصه على إيمانهم ، فجلس ذات يوم فى ناد من أندية قريش كثير أهله ، فأحب يومئذ ألا يأتيه من الله تعالى شئ فينفروا عنه ، وتمنى ذلك فأنزل الله سبحانه سورة ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ (النجم : ١) فقرأها رسول الله ﷺ حتى بلغ ﴿أَفَرَأَيْتُمْ اللَّاتَ وَالْعُزَّى﴾ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَى﴾ (النجم : ١٩ ، ٢٠) ألقى الشيطان على لسانه لما كان يحدث به نفسه ويتمناه : تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترجى .

فلما سمعت قريش ذلك فرحوا ، ومضى رسول الله ﷺ فى قراءته سورة كلها وسجد فى آخر السورة فسجد المسلمون بسجوده ، وسجد جميع من فى المسجد من المشركين ، فلم يبق فى المسجد مؤمن ولا كافر إلا سجد إلا الوليد بن المغيرة وأبو أحيحة سعيد بن العاص فإنهما أخذتا حفنة من البطحاء ورفعاها إلى جبهتهما وسجدا عليها لأنهما كانا شيخين كبيرين فلم يستطيعا السجود ، وتفرقت قريش وقد سرهم ما سمعوا وقالوا : قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر ، وقالوا : قد عرفنا أن الله يحيى ويميت ويخلق ويرزق ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده ، فإذا جعل لها محمد نصيباً فنحن معه ، فلما أمسى رسول الله ﷺ أتاه جبرئيل (عليه السلام) فقال : يا محمد ماذا صنعت؟! لقد تلوت على الناس ما لم أتك به عن الله ، وقلت ما لم يقل لك ، فحزن رسول الله ﷺ عند ذلك حزناً شديداً وخاف من الله خوفاً كبيراً فأنزل الله

سبحانه هذه الآية .

وسمع بذلك من كان بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله ﷺ وبلغهم سجود قريش ، وقيل : قد أسلمت قريش وأهل مكة فرجع أكثرهم إلى عشائرتهم وقالوا : هم أحب إلينا فوجدوا القوم قد ارتكسوا حين نسخ الله ما ألقى الشيطان ، فلما نزلت هذه الآية قالت قريش : ندم محمد على ما ذكر من منزلة آلهتنا عند الله ، فغير ذلك وجاء بغيره ، وكان ذاك الحرفان اللذان ألقى الشيطان على لسان رسول الله ﷺ قد وقعا في فم كل مشرك فإزدادوا شراً إلى ما كانوا عليه وشدة على من أسلم<sup>(١)</sup> .

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ﴾ : وهو الذى يأتيه جبرئيل بالوحي عياناً وشفاهماً ﴿وَلَا نَبِيَّ﴾ : وهو الذى تكون نبوته إلهاماً أو مناماً ﴿إِلَّا إِذَا تَمَنَّى﴾ : أى أحب شيئاً واشتهاه وحدث به نفسه ما لم يؤمر به .

﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ : أى مراده ووجد إليه سبيلاً ، وقال أكثر المفسرين : يعنى بقوله : ﴿تَمَنَّى﴾ أى تلا وقرأ كتاب الله سبحانه ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ : أى قراءته ، وتلاوته<sup>(٢)</sup> ، نظيره قوله سبحانه : ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي﴾ (البقرة : ٧٨) يعنى قراءة يقرأ عليهم .

وقال الشاعر فى عثمان رضى الله عنه حين قتل :

تمنى كتاب الله أوّل ليلة وأخره لاقى حمّام المقادر

وسمعت أبا القاسم الحبيب يقول : سمعت أبا الحسن على بن مهدي الطبرى يقول : ليس هذا التمنى من القرآن والوحي فى شىء وإنما هو أنّ النبى ﷺ كان إذا صفرت يده من المال ورأى ما بأصحابه من سوء الحال تمنى الدنيا بقلبه وسوسة من الشيطان .

وقال الحسن : أراد بالغرانيق<sup>(٣)</sup> العلى الملائكة يعنى أنّ الشفاعة ترجى منهم لا من الأصنام ،

(١) هذا خبر لا يصح ، وقد شاع هذا الخبر فى كثير من كتب التفسير والسير على الرغم من عدم اعتراف أهل الأحاديث بصحته ، ثم إن غنى كل نبى هو هداية أمته وامتثالهم طاعة ربهم غير أنّ الشياطين يجتالون الناس عن طريق الحق ، والله قد عصم الأنبياء من نزغات الشياطين وعصمهم من وساوسهم وحفظ شرعه عن كل نبى حتى قبضه إليه فبدل الناس وغيروا .

(٢) هذا تأويل لا يصح وراجع التعليق السابق لما فيه من ذكرى لعصمة الله للأنبياء وحفظهم وحفظ شرائعهم من الشياطين .

(٣) قال ابن منظور فى لسان العرب فى مادة غرنتق فى الحديث تلك الغرانيق العلى : هى الأصنام ، وهى فى الأصل الذكور من طير الماء .

وقال ابن الأبارى : الغرانيق الذكور من الطير ، واحدها غرنوق وغرنيق سُمى به لبياضه . وقيل : هو الكركى ، وكانوا يزعمون أنّ الأصنام تقرّبهم من الله عزّ وجلّ وتشفع لهم إليه فشبهت بالطيور التى تعلق وترتفع فى السماء قال ويجوز أن تكون الغرانيق فى الحديث جمع الغرائق وهو الحسن .

وهذا قول ليس بالقوى ولا بالمرضى لقوله: ﴿فَيَنْسُخُ اللَّهُ مَا يَلْقَى الشَّيْطَانُ﴾ أى يبطله ويذهب به ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ﴾: فيثبتها ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

فإن قيل: فما وجه جواز الغلط فى التلاوة على النبى ﷺ؟ فعنه جوابان: أحدهما: أنه على سبيل السهو والنسيان وسبق اللسان فلا يلبث أن ينهه الله سبحانه ويعصمه.

والثانى: أن ذلك إنما قاله الشيطان على لسان رسول الله ﷺ فى أثناء قراءته وأوهم أنه من القرآن وأن رسول الله ﷺ هو الذى يتلوه<sup>(١)</sup>، قال الله سبحانه ﴿لِيَجْعَلَ مَا يَلْقَى الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: فيشكون فى ذلك.

﴿وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾: قال تلين لأمر الله ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ﴾: الكافرين ﴿لَنفَى شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ و﴿لَيَعْلَمَ الَّذِينَ أَوْتُوا العِلْمَ﴾: من المؤمنين ﴿أَنَّهُ﴾: يعنى أن الذى أحكم الله سبحانه من آيات القرآن ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ قِيُومًا بِهٖ فَتُخَبِتُ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وَلَا يَزَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ﴾: أى مما ألقى الشيطان على لسان رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>.

ابن جريج: من القرآن، غيره: من الدين وهو الصراط المستقيم. ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾: قال عكرمة والضحاك: عذاب يوم لا ليلة له وهو يوم القيامة.

وقال آخرون: هو يوم بدر وهو الصواب لأن الساعة هى القيامة، ولا وجه لأن يقال: حتى تأتيمهم القيامة وإنما سمى يوم بدر عقيماً لأنهم لم ينظروا فيه إلى الليل، بل قتلوا قبل المساء قاله ابن جريج، غيره: لأنه لم يكن فيه رافة ولا رحمة، وقيل: لأنه لا مثل له فى عظم أمره لقتال الملائكة فيه.

﴿الْمَلَكُ يَوْمَئِذٍ﴾: يعنى يوم القيامة ﴿لِلَّهِ﴾: وحده من غير منازع، ولا مدع، والملك هو اتساع المقدور لمن له تدبير الأمور، والله سبحانه وتعالى هو الذى يملك الأمور كلها، وكل ملك سواه فهو مملك بحكمه وإذنه.

(١) كلا القولين لا يصح وتأويل لا يقبل لما سبق أن أشرت فى أول الخبر، وحيث إن الخبر غير صحيح فكيف يدافع عن شيء لم يكن ويستدل على بعض تفاصيل وتعليقها وتوجيهها وتقليبها على وجوه وهى لم تكن فى الأصل ولا يقبلها العقل، أما أن يقول قائل كيف لم تكن أصلاً وقد عاد على أثرها مهاجرو الحبشة فقد يكون لعودة بعضهم أسباب أخرى غير تلك القصة ومن ضمن هذه الأسباب ما يعرف اليوم بحرب الإشاعات.

(٢) لا وألف لا لم يلق الشيطان على لسان رسول الله ﷺ شيئاً ونص القرآن: ﴿فى أمنيته﴾ ولم يقل على لسانه، والفارق كبير وواضح. هداانا الله وإياكم إلى الصواب.

﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾: ثم بين حكمه فقال عزَّ من قائل: ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٦٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦٧﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿١٦٨﴾ أَى فارقوا أوطانهم وعشائرهم فى طاعة الله سبحانه وطلب رضاه ﴿ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا﴾: وهم كذلك ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾: فى الجنة ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾: وقيل: هو قوله سبحانه: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران: ١٦٩).

روى ابن وهب عن عبد الرحمن بن الحجاج بن سلامان بن عامر قال: كان فضالة بن دوس أميراً على الأرباع، فخرج بجنازتى رجلين: أحدهما قتيل والآخر متوقى، فرأى ميل الناس مع جنازة القتيل إلى حفرة فقال: أراكم أيها الناس تملون مع القتيل وتفضلونه على أخيه المتوقى! فوالذى نفسى بيده ما أبالى من أى حفرتها بعثت، اقرؤوا قول الله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾. ﴿لَيَدْخُلْنَهُمْ مُدْخَلًا رِضْوَانُهُ﴾، وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٦٧﴾ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيُصْرَفَهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ﴾: نزلت فى قوم من المشركين لقوا قوماً من المسلمين لليلتين بقيتا من الحرم، فكره المسلمون قتال المشركين وسألوهم أن يكفوا عن القتال من أجل الأشهر الحرم فأبى المشركون وقتلوهم فذلك بغيتهم عليه، وثبت المسلمون لهم فنصروا عليهم، فأنزل الله سبحانه هذه الآيات، والعقاب الأول بمعنى الجزاء.



﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١٦٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿١٦٩﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٧٠﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٧١﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُسَبِّحُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴿١٧٢﴾ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿١٧٤﴾ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُسْتَقِيمٌ ﴿١٧٥﴾ وَإِنْ جَدَلُواكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٧٦﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ

الْقِيَمَةَ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٠﴾ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿١٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا يَتَّبِعْتِ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ ذَلِكُمْ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبَسَّ الْمَصِيرُ ﴿١٣﴾

﴿ذَلِكَ﴾ يعني هذا الذي أنصر المظلوم بأتى القادر على ما أشاء، فمن قدرته أنه ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ: بالياء بصرى كوفى غير أبى بكر، الباقون: بالتاء ﴿مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ﴾: فلا شىء أعلى منه ولأنه تعالى عن الأشياء والأشكال ﴿الْكَبِيرُ﴾: العظيم الذى كل شىء دونه فلا شىء أعظم منه.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾: بالنبات، رفع فتصبح لأن ظاهر الآية استفهام ومعناه الخبر، مجازها: اعلم يا محمد أن الله ينزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة، وإن شئت قلت: قد رأيت أن الله أنزل من السماء ماء، كقول الشاعر:

ألم تسأل الربيع القديم<sup>(١)</sup> فينطق وهل تخبرنك اليوم بياء سملق

معناه: قد سألته فنطق.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُو الْعَنَى الْحَمِيدُ ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُسَبِّحُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ: يعنى لكيلا تسقط على الأرض ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٥﴾ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ: ولم تكونوا شيئاً ثُمَّ يُمِيتُكُمْ: عند انقضاء آجالكم وفناء أعماركم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾: للشواب والعقاب ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾: لبحود لما ظهر من الآيات والدلالات.

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾: مألفاً يألفونه وموضعاً يعتادونه لعبادة الله، وأصل المنسك فى كلام العرب الموضع المعتاد لعمل خير أو شر يقال: إن لفلان منسكاً أى مكاناً يغشاه ويألفه للعبادة ومنه مناسك الحج لتردد الناس إلى الأماكن التى تعمل فيها أعمال الحج والعمرة. وقال

(١) فى القرطبي البيت خطاب للمذكر، وقال الأستاذ محققه إنه بيت لجميل بن عبد الله صاحب بئنة، وجاءت هذه الكلمة فيه: القواء والمعنى متقارب حيث إن المراد بالقديم الخراب والقواء: الخالى أو القفر.

والأرض السملق: هى الأرض الجرداء التى لا نبت فيها وهى مستوية لا ارتفاع فيها ولا انخفاض.

ابن عباس: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾ أى عيداً. وقال مجاهد وقتادة: موضع قربان يذبحون فيه، غيرهم: أراد جميع العبادات.

﴿فَلَا يُنْزِعْ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ﴾: أى فى أمر الذبح، نزلت فى بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان ويزيد ابن الحنيس قالوا لأصحاب رسول الله (عليه السلام): «ما لكم تأكلون ما تقتلون بأيديكم ولا تأكلون ما قتله الله؟».

﴿وَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾: دين ربك ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾ وإن جندلوك فقل الله أعلم بما تعملون ﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾: فتعرفون حينئذ الحق من المبطل والاختلاف ذهب كل واحد من الخصمين إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر، وهذا أدب حسن علم الله سبحانه فيمن جادل على سبيل التعنت والمرء كفعل السفهاء أن لا يجادل ولا يناظر، ويدفع بهذا القول الذى علمه الله سبحانه لنبىه (عليه السلام).

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ﴾: كلفه ﴿فِي كِتَابٍ﴾: يعنى اللوح المحفوظ ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾: يعنى علمه تعالى بجميع ذلك ﴿عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ويعبدون من دون الله ما أمر ينزل به سلطاناً وما ليس لهم به علم وما للظالمين: الكافرين ﴿مِنْ نَّصِيرٍ﴾: يمنعهم من عذاب الله. ﴿وَإِذَا تَنَادَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا نَيِّنْتَ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ﴾: بين ذلك فى وجوههم بالكرهه والعبوس.

﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ﴾: يقعون ويبطشون ﴿بِالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾: وأصل السطو: القهر. ﴿قُلْ﴾: يا محمد لهم ﴿أَفَأُنْبِتُكُمْ بَشَرًا مِّنْ ذِكْمِكُمْ﴾: أى بشر لكم وأكره إليكم من هذا القرآن الذى تسمعون ﴿النَّارِ﴾: أى هى النار ﴿وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبَشَّ الْمَصِيرَ﴾.



﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْأَلْتَهُمُ الذُّبَابُ شَيْعًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ ما قدرُوا الله حق قدره ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ الله يصطنى من الملكة رسلاً ومن الناس إن الله سميع بصير ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وإلى الله ترجع الأمور﴾ يأتياها الذين آمنوا أركعوا وأسجدوا وعبدوا ربكم وأفعلوا الخير لعلكم تفلحون ﴿وجاهدوا فى الله حق جهاده هو أجبتكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبىكم إبراهيم هو سمنكم

الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٦١﴾

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضَرْبٍ مِثْلٌ﴾ : معنى ضرب: جعل، كقولهم: ضرب السلطان البعث على الناس، وضرب الجزية على أهل الذمة أى جعل ذلك عليهم، ومنه قوله: ﴿وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةَ وَالْمَسْكَنَةَ﴾ (البقرة: ٦١) والمثل حالة ثابتة تشبه بالأولى فى الذكر الذى صار كالعلم، وأصله الشبه، ومعنى الآية: جعل لى المشركون الأصنام شركائى فعبدها معى .

﴿فَأَسْتَمِعُوا لَهُمْ﴾ : حالها وصفتها التى بيّنت وشبّتها بها، ثم بيّن ذلك فقال عزّ من قائل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ : قراءة العامة بالتاء، وروى زيد عن يعقوب يدعون بالياء ﴿أَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ : فى صغره وقتله لأنّها لا تقدر على ذلك ﴿وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ : لخلقه، والذباب واحد وجمعها القليل أذنبه والكثير ذبان، مثل غراب وأغربة وغربان ﴿وَإِنْ يَسْأَلُهُمْ﴾ : يعنى الأصنام، أخبر عنها بفعل ما يعقل، وقد مضت هذه المسألة، يقول: وإن يسلبهم ﴿الذُّبَابَ شَيْئًا﴾ : مما عليهم ﴿لَا﴾ : يقدرون أن ﴿يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ﴾ .

قال ابن عباس: الطالب الذباب والمطلوب الصنم، وذلك أن الكفار كانوا يلطّخون أصنامهم بالعسل كل سنة ثم يغلقون عليها أبواب البيوت فيدخل الذبان فى الكوى (١) فيأكل ذلك العسل وينقيها منه فإذا رأوا ذلك قالوا: أكلت آلهتنا العسل .

الضحّاك: يعنى العابد والمعبود .

ابن زيد وابن كيسان: كانوا يحلّون الأصنام باليواقيت واللآلئ وأنواع الجواهر ويطيّبونها بألوان الطيب، فربما يسقط واحد منها أو يأخذها طائر أو ذباب فلا تقدر الآلهة على استردادها، فالطالب على هذا التأويل الصنم والمطلوب الذباب والطائر .

﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ : أى ما عظّموا الله حقّ تعظيمه، ولا عرفوه حقّ معرفته ولا وصفوه حق صفته إذ أشركوا به ما لا يمتنع من الذباب ولا ينتصف به .

﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ : الله يَضْطَئِي : يختار ﴿مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾ : كجبرئيل وميكائيل وغيرهما ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ : أيضاً رسلاً مثل إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وغيرهم من الأنبياء صلوات الله عليهم، يقال: نزلت هذه الآية لما قال المشركون ﴿أءَلْقَى الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ تِنِينًا﴾ (القمر: ٢٥) فأخبر أن الاختيار إليه، يختار من يشاء من خلقه .

(١) أى الشبايك أو النوافذ .



﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لقولهم ﴿بَصِيرٌ﴾ : بمن يختاره لرسالته .

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ : يعنى ما كان بين أيدي ملائكته ورسله قبل أن يخلقهم .

﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ : ويعلم ما هو كائن بعد فنائهم .

وقال الحسن : ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ ما عملوه ، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما هم عاملون مما لم يعملوه بعد .

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ .

أخبرنا أحمد بن محمد بن يوسف قال : أخبرنا مكى بن عبدان قال : حدثنا محمد بن يحيى قال : وفيما قرأت على عبد الله بن نافع ، وحدثني مطرف بن عبد الله عن مالك عن نافع أن رجلاً من أهل مصر أخبر عبد الله بن عمر أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قرأ سورة الحج فسجد فيها سجدتين ثم قال : إن هذه السورة فضلت بسجدتين .

وبإسناده عن مالك عن عبد الله بن دينار أنه قال : رأيت عبد الله بن عمر سجد في الحج سجدتين .

وأخبرنا أبو بكر الجوزقى قال : أخبرنا أبو العباس الدعولى قال : حدثنا ابن أبي خيثمة قال : حدثنا أبو سلمة الخزاعى منصور بن سلمة قال : حدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن صفوان بن مهران أن أبا موسى قرأ على منبر البصرة سورة الحج ، فنزل فسجد فيها سجدتين .

وحدثنا أبو محمد المخلدى قال : أخبرنا عبد الله بن محمد بن مسلم قال : حدثنا محمد بن مسلم بن دارة قال : حدثنا محمد بن موسى بن أعين قال : قرأت على أبى عن عمرو بن الحارث عن ابن لهيعة أن شريح بن عاها حدثه عن عقبة بن عامر قال : قلت : يا رسول الله فى سورة الحج سجدتان؟ قال : نعم إن لم تسجدهما فلا تقرأهما .

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ : يعنى وجاهدوا فى سبيل الله أعداء الله حق جهاده ، وهو استفراغ الطاقة فيه ، قاله ابن عباس ، وعنه أيضاً : لا تخافوا فى الله لومة لائم وذلك حق الجهاد .

وقال الضحاك ومقاتل : يعنى اعملوا لله بالحقّ حقّ عمله ، واعبدوه حقّ عبادته .

عبد الله بن المبارك : هو مجاهدة النفس والهوى وذلك حقّ الجهاد ، وهو الجهاد الأكبر على ما روى فى الخبر أن رسول الله ﷺ قال حين رجع من بعض غزواته : «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» .

﴿هُوَ أَحَبُّكُمْ﴾ : اختاركم لدينه ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الَّذِينَ مِنْ حَرَجٍ﴾ : ضيق فلا يتلى المؤمن بشيء من الذنوب إلا جعل له منه مخرجاً بعضها بالتوبة وبعضها بالقصاص وبعضها برد

المظالم وبعضها بأنواع الكفارات، فليس في دين الإسلام ما لا يجد العبد سبيلاً إلى الخلاص من العقاب فيه، ولا ذنب يذنبه المؤمن إلا وله منه في دين الإسلام مخرج، وهذا معنى رواية علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه حين سأله عبد الملك بن مروان عن هذه الآية فقال: جعل الله الكفارات مخرجاً من ذلك، سمعت ابن عباس يقول ذلك.

وقال بعضهم: معناه وما جعل عليكم في الدين من ضيق في أوقات فروضكم مثل هلال شهر رمضان والفطر والأضحى ووقت الحج إذا التبست عليكم وشك الناس فيها، ولكنه وسع ذلك عليكم حتى تتيقنوا محلها ﴿مَلَّةٌ﴾: أبيكم أى كملّة ﴿أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾: نصب بنزع حرف الصفة، عن الفراء، غيره: نصب على الإغراء أى الزموا واتبعوا ملّة أبيكم إبراهيم، وإنما أمركم باتباع ملّة إبراهيم لأنها داخله فى ملّة محمد ﷺ.

وأما وجه قوله سبحانه: ﴿مَلَّةٌ أَبِيكُمْ﴾ وليس جميعهم يرجع إلى ولادة إبراهيم فإن معناه: إن حرمة إبراهيم على المسلمين كحرمة الوالد، كما قال سبحانه: ﴿وَأَزْوَاجَهُ وَأُمَّهُتُمُ﴾ (الأحزاب: ٦) وقال النبي ﷺ: «إنما أنا لكم مثل الوالد»، وهذا معنى قول الحسن البصرى (رحمه الله).

﴿هُوَ﴾: يعنى الله سبحانه وتعالى ﴿سَمَّكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ﴾: يعنى من قبل نزول القرآن فى الكتب المتقدمة ﴿وَفِي هَذَا﴾: الكتاب هذا قول أكثر المفسرين.

وقال ابن زيد: هو راجع إلى إبراهيم (عليه السلام) يعنى أن إبراهيم سمّاكم المسلمين من قبل أى من قبل هذا الوقت فى أيام إبراهيم ﴿وَفِي هَذَا﴾: الوقت، قال: وهو قول إبراهيم ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ (البقرة: ١٢٨) والقول الأول أولى بالصواب. ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾: أن قد بلغكم ﴿وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾: أن رسلهم قد بلغتهم ﴿فَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ﴾: وثقوا بالله وتوكلوا عليه.

وقال الحسن: تمسكوا بدين الله الذى لطف به لعباده.

﴿هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾: وليكم وناصركم ومتولى أمركم ﴿فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾.



## سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ

مكية وهي أربعة آلاف وثمانمائة وحرمان  
وألف وثلاثمائة وأربعون كلمة ومائة وثمانى عشرة آية

أخبرنا أبو الحسين الخبازى قال حدثنا ابن حبش قال حدثنا أبو العباس محمد بن موسى الدقاق الرازى قال حدثنا عبد الله بن نوح المدائنى قال : (ح) (١) وحدثنا طفران قال : حدثنا ابن أبى داود قال حدثنا محمد بن عاصم قالوا : حدثنا نسابه بن سوار الفزارى قال حدثنا مخلد بن عبد الواحد عن على بن أبى زيد عن عطاء بن أبى ميمونة عن زر بن حبيش عن أبى بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ سورة المؤمنون بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت » (٢).

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِقُرُوبِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (قد) حرف تأكيد . وقال المحققون معنى ﴿قَدْ﴾ تقريب الماضى من الحال ، فدلَّ على أن فلاحهم قد حصل ، وهم عليه فى الحال ، وهذا أبلغ فى الصفة من تجريد ذكر

(١) زيادة حديثية يتطلبها سياق الإسناد .

(٢) على بن زيد بن جدعان ضعيف الحديث وسبق أن بينت أن معظم الأحاديث الواردة فى هذا الكتاب ضعيفة خصوصا ما تعلق منها بالأحاديث الواردة أوائل السور والتى هى فى فضائل السور فقد وضعها قوم كان قصدهم انصراف الناس إلى القرآن لما أن رأوهم قد انشغلوا بجمع الحديث وحفظه وتلويته ثم اعترفوا بذلك ، فيما بعد أن كان قد نقلها عنهم الرواة .

الفلاح . والفلاح : النجاح والبقاء .

أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن المفسر بقراءته علىّ في سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة قال أخبرنا أبو عمرو المعتز بن محمد بن الفضل القاضي قال حدثنا أحمد بن الحسين الفريابي قال حدثنا عبد الرحمن بن حبيب البغدادي عن إسحاق بن نجيح الملقب عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « لما خلق الله سبحانه جنة عدن ، خلق فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ثم قال لها : تكلمي ، قالت : قد أفلح المؤمنون - ثلاثاً - ثم قالت : أنا حرام على كل بخيل ومرء . »

وقرأ طلحة بن مصرف : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ على الجهول ، أي قد أبقوا في الثواب .

﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ : اختلف المفسرون في معنى الخشوع ؛ فقال ابن عباس : مخبتون أذلاء . الحسن وقتادة : خائفون .

مقاتل : متواضعون على الخشوع في القلب ، وأن تلين للمرء المسلم كنفك ولا تلتفت .

مجاهد : هو غض البصر ، وخفض الجناح ، وكان الرجل من العلماء إذا قام إلى الصلاة هاب الرحمن أن يمد بصره إلى شيء أو أن يحدث نفسه بشيء من شأن الدنيا .

عمرو بن دينار : ليس الخشوع الركوع والسجود ، ولكنه السكون ، وحسن الهيئة في الصلاة .

ابن سيرين وغيره : هو أن لا ترفع بصرك عن موضع سجودك .

قالوا : وكان النبي ﷺ وأصحابه يرفعون أبصارهم في الصلاة إلى السماء ، وينظرون يمينا ويساراً حتى نزلت هذه الآية ، فجعلوا بذلك وجوههم حيث يسجدون ، وما رُئي بعد ذلك أحد منهم ينظر إلا إلى الأرض .

قال ربيع : هو أن لا يلتفت يمينا ولا شمالاً .

أخبرنا أبو عمر الفراتي قال أخبرنا أبو موسى قال حدثنا السراج قال حدثنا محمد بن الصباح قال أخبرنا إسحاق بن سليمان قال حدثنا إبراهيم الخوزي عن عطاء بن أبي رباح قال سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله ﷺ : « إن العبد إذا قام إلى الصلاة فإنه بين عيني الرحمن عز وجل فإذا التفت قال له الرب : إلى من تلتفت إلى من هو خير لك مني ، ابن آدم أقبل إليّ فأنا خير لك ممن تلتفت إليه . »

قال عطاء : هو أن لا تعبت بشيء من جسديك في الصلاة .

وأبصر النبي ﷺ رجلاً يعبث بلحيته فى الصلاة، فقال: «لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه».

وأخبرنا محمد بن أحمد بن عقيل القطان قال: أخبرنا حاجب بن أحمد بن ترحم بن سفيان قال حدثنا أبو عبد الرحمن بن نبيت المروزى عبدان قال حدثنا عبد الله بن المبارك عن معمر أنه سمع الزهرى يحدث عن أبى الأحوص عن أبى ذر قال قال رسول الله ﷺ: «إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الرحمة تواجهه فلا يحركن الحصى».

وقال: نظر الحسن إلى رجل يعبث بالحصى ويقول: اللهم زوجنى من الحور العين. فقال: بئس الخاطب أنت تخطب وأنت تعبث.

خليد بن دعلج عن قتادة: هو وضع اليمين على الشمال فى الصلاة.

وقال بعضهم: هو جمع الهمة لها والإعراض عما سواها. أبو بكر الواسطى: هو الصلاة لله سبحانه على الخلوص من غير عوض.

سمعت ابن الإمام يقول: سمعت ابن مقسم يقول سمعت أبا الفضل جعفر بن أحمد الصندلى يقول سمعت ابن أبى الورد يقول: يحتاج المصلى إلى أربع خلال حتى يكون خاشعاً: إعظام المقام، وإخلاص المقال، واليقين: التمام، وجمع الهمة.

«وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ»: قال الحسن: عن المعاصى. ابن عباس: الحلف الكاذب. مقاتل: الشتم والأذى. وقال غيرهم: ما لا يحمل من القول، والفعل. وقيل: اللغو: الفعل الذى لا فائدة فيه.

«وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ»: الواجبة «فَلْيَعْلَمُونَ»: مؤدود، وهى فصيحة، وقد جاءت فى كلام العرب، قال أمية بن أبى الصلت:

المطعمون الطعام فى السنة الأزمة والفاعلون للزكوات

«وَالَّذِينَ هُمْ لِرُؤُوسِهِمْ حَافِظُونَ»: إلا على أزواجهم: أى من أزواجهم، على بمعنى: من «أَوْ مَا»: فى محل الخفص يعنى: أو من ما «مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ»: على إتيان نسائهم وإمائهم.

«فَمَنْ آتَنَى وَرَاءَ ذَاكَ»: أى التمس وطلب سوى زوجته وملك يمينه «فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ»: من الحلال إلى الحرام، فمن زنى فهو عاد.

«وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ»: التى ائتمنوا عليها «وَعَهْدِهِمْ»: وعقودهم التى عاقدوا الناس عليها «رَاعُونَ»: حافظون وافون.

وقرأ ابن كثير: لأمانتهم، على الواحد لقوله: ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾. وقرأ الباقون بالجمع لقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾: يداومون على فعلها، ويراعون أوقاتها، فأمر بالمحافظة عليها كما أمر بالخشوع فيها، لذلك كرر ذكر الصلاة. ﴿أُولَٰئِكَ﴾: أهل هذه الصفة.

﴿هُمُ الْوَارِثُونَ﴾: يوم القيامة منازل أهل النار<sup>(١)</sup> من الجنة.

وروى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «ما منكم من أحد إلا وله منزلان<sup>(٢)</sup> منزل في الجنة ومنزل في النار، فإن مات فدخل النار ورث أهل الجنة منزله، فذلك قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾».

وقال مجاهد: لكل واحد منزلان: منزل في الجنة ومنزل في النار، فأما المؤمن فيبني منزله الذي في الجنة ويهدم منزله الذي هو في النار، وأما الكافر فيهدم منزله الذي هو في الجنة ويبني منزله الذي هو في النار.

وقال بعضهم: معنى الورثة: هو أن يؤول أمرهم إلى الجنة وينالونها كما يؤول أمر الميراث إلى الوارث.

﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: أى البستان ذا الكرم. قال مجاهد: هو بالرومية. عكرمة: هى الجنة بلسان الحبش. السدى: هى البساتين عليها الحيطان بلسان الروم. وفى الحديث أن حارثة بن سراقة قتل يوم بدر فقالت أمه: يا رسول الله، إن كان ابني من أهل الجنة لم أبك عليه، وإن كان من أهل النار بالغت فى البكاء، فقال: «يا أم حارثة إنها جنان وإن ابنك قد أصاب الفردوس الأعلى من الجنة».

أخبرنى أبو الحسن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد الطبرانى بها قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن يونس بن إبراهيم بن النضر المقرئ قال حدثنا العباس بن الفضل المقرئ قال حدثنا أبو زرعة عبيد الله بن عبد الكريم قال حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكر الحزومى قال حدثنى عبد الله ابن لهيعة الحضرمى قال حدثنا عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير فى قوله سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾: يعنى قد سعد المصدقون بتوحيد الله سبحانه ثم نعتهم ووصف أعمالهم فقال عز من قائل: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾: يعنى متواضعين لا يعرف من على يمينه ولا من عن

(١) فى المخطوطة: الجنة، وهو سهو من الناسخ والتصويب من القرطبى، وما يلى ذلك من الكلام يؤكد.

(٢) فى المخطوط: منزلاً. وهو سهو لسقوط النون من آخره.

يساره، ولا يلتفت من الخشوع لله. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾: يعنى الباطل والكذب. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾: يعنى الأموال، كقوله سبحانه فى الأعلى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ (الأعلى: ١٤): يعنى من ماله. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِغُرُوبِهِمْ حَافِظُونَ﴾: يعنى عن الفواحش، ثم قال: ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾: يعنى ولائدهم: ﴿فَأَيْمَانُكُمْ مَلُومِينَ﴾: لا يلامون على جماع أزواجهم وولائدهم. ﴿فَمَنْ أَتَّبَعَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ﴾: فمن طلب الفواحش بعد الأزواج والولائد ما لم يحل ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ يعنى المعتدين فى دينهم. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ﴾: يعنى ما ائتمنوا عليه فيما بينهم وبين الناس، ﴿وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾: يعنى حافظين يؤدون الأمانة ويوفون بالعهود. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾: يعنى يحافظون عليها فى مواقيتها. ثم أخبر بثوابهم فقال: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ ثم بيّن ما يرثون فقال: ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾: يعنى الجنة بلسان الرومية ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: لا يموتون فيها.

أخبرنا محمد بن عقيل القطان قال أخبرنا حاجب بن أحمد بن سفيان قال حدثنا محمد بن حماد الأبيوردي قال حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنى يونس بن سليم قال أملى على يونس صاحب أيلة عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عبد الرحمن بن عبد القارى قال سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول: كان إذا نزل على رسول الله ﷺ الوحى يسمع عند وجهه كدوى النحل، فمكثنا ساعة فاستقبل ورفع يديه فقال: «اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا». ثم قال: «لقد أنزل علينا عشر آيات من أقامهن دخل الجنة». ثم قرأ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ عشر آيات.



﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ﴿ثم﴾ خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أثناناه خلقاء آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ﴿ثم﴾ إنكم بعد ذلك لميتون ﴿ثم﴾ إنكم يوم القيمة تبعثون ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكننه فى الأرض وإنا على ذهاب به لقدرون ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَاكِهٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا

تَأْكُلُونَ ﴿١٠﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٍ لِلَّذِينَ ﴿١١﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي  
 الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نَسْتَكْمِلُكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٢﴾ وَعَلَيْهَا  
 وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ  
 إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ  
 أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولَى ﴿١٥﴾ إِنَّ هُوَ  
 إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جَنَّةٌ مَثَرَبِصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿١٧﴾  
 ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾: يعنى ابن آدم.

﴿مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾: أى من صفوة ماء آدم الذى هو من الطين ومنيه، والعرب تسمى  
 نطفة الشىء وولده سليله وسلالته، لأنهما مسلولان منه، قال الشاعر:  
 حملت به غضب الأديم غضنفرأ  
 سلاله فرج كان غير حصين  
 وقال آخر:

وهل كنت إلا مهرة عربية سليله أفراس تجللها بغل

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾: حريز مكين لاستقرارها فيه إلى بلوغ أمدها وهو الرحم.  
 ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا﴾: قرأ ابن عامر: عظماً، على  
 الواحد فى الحرفين. ومثله روى أبو بكر عن عاصم، لقوله: ﴿لَحْمًا﴾. وقرأ الآخرون بالجمع  
 لأن الإنسان ذو عظام كثيرة.

﴿فَكَسَوْنَا﴾: فألبسنا ﴿الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾: اختلف المفسرون فيه، فقال ابن  
 عباس ومجاهد والشعبي وعكرمة وأبو العالية، والضحاك، وابن زيد: نفخ الروح فيه.  
 قتادة: نبات الأسنان والشعر.

وقال ابن عمر: استواء الشباب، وهى رواية ابن أبى نجيح، وابن جريج عن مجاهد.  
 وروى العوفى عن ابن عباس: أن ذلك تصريح أحواله بعد الولادة، يقول خرج من بطن  
 أمه بعدما خلق فكان من بدو خلقه الآخر أن استهل، ثم كان من خلقه أن دل على ثدى أمه،  
 ثم كان من خلقه أن علم كيف ييسط رجله إلى أن قعد إلى أن حبا إلى أن قام على رجله إلى  
 أن مشى إلى أن فطم، فعلم كيف يشرب ويأكل من الطعام إلى أن بلغ الحلم إلى أن بلغ أن  
 يتقلب فى البلاد. وقيل: الذكورة والأنوثة. وقيل: إعطاء العقل والفهم.



﴿فَبَارِكْ اللَّهُ﴾: أى استحق التعظيم والثناء بأنه لم يزل ولا يزال، وأصله من البروك وهو الثبوت.

﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾: أى المصورين والمقدرين. مجاهد: يصنعون ويصنع الله، والله خير الصانعين.

وقال ابن جريج: إنما جمع الخالقين لأن عيسى كان يخلق فأخبر جل ثناؤه أنه يخلق أحسن مما كان يخلق.

وروى أبو الخليل عن أبي قتادة قال: لما نزلت هذه الآية إلى آخرها قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: فبارك الله أحسن الخالقين، فنزلت: ﴿فَبَارِكْ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (١).

قال ابن عباس: كان ابن أبى سرح يكتب لرسول الله ﷺ فأملى عليه هذه الآية، فلما بلغ قوله: ﴿خَلْقًا آخَرَ﴾ خطر بباله ﴿فَبَارِكْ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ فلما أملاها كذلك رسول الله ﷺ قال عبد الله: إن كان محمد نبياً يوحى إليه فأنا نبي يوحى إلى، فلحق بمكة كافراً.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾: قرأ أشهب العقيلي: مايتون، بالألف، والميت، والمائت الذى لم تفارقه الروح بعد وهو سيموت، والميت بالتخفيف الذى فارقه الروح فلذلك لم يخفف ها هنا كقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (الزمر: ٣٠) ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق: وإنما قيل طرائق لأن بعضهن فوق بعض، فكل سماء منهن طريقة، والعرب تسمى كل شىء فوق شىء طريقة. وقيل: لأنها طرائق الملائكة.

﴿وَمَا كُنَّا مِنَ الْخَلْقِ غَنِيْلِينَ﴾: يعنى عن خلق السماء، قال بعض العلماء وقال أكثر المفسرين: يعنى عمن خلقنا من الخلق كلهم ما كنا غافلين عنهم بل كنا لهم حافظين من أن تسقط عليهم فتهلكهم.

وقال أهل المعانى: معنى الآية أن من جاز عليه الغفلة عن العباد جاز عليه الغفلة عن الطرائق التى فوقهم فتسقط فالله عز وجل يمك السماوات أن تقع على الأرض إلا بإذنه ﴿وَيُسَبِّحُ السَّمَاءُ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ (الحج: ٦٥)، ولولا إمساكه لها لم تقف طرفة عين. قال الحسن: ﴿وَمَا كُنَّا مِنَ الْخَلْقِ غَنِيْلِينَ﴾ أن ينزل عليهم ما يجيئهم من المطر.

(١) القول فى سبب نزول هذه الآية كالقول فى سورة النور عند آية الاستئذان فراجع فى السورة القادمة، وما عمر رضى الله عنه إلا أحد كبار صحابة رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين وليس شرطاً أن يكون لكل آية مناسبة أو سبب نزول، وإنما الله ينزل القرآن على نبيه ﷺ بقدر يعلمه ولسبب يعلمه، وأما إضافة مثل هذه الأقوال إلى سيدنا عمر أو إلى غيره من الصحابة إنما هو نوع من الانتصار للمذاهب معينة وفرق وطوائف فلاحظ ذلك عند قراءتك لفضائل الصحابة فهم كلهم خيرة برة غير أنه لا يجب إنزالهم فوق منازلهم التى أنزلهم الله إياها.

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَهُ فِي الْأَرْضِ﴾: ثم أخرجنا منها ينابيع، فماء الأرض هو من السماء.

﴿وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾: حتى تهلکوا عطشاً، وتهلك مواشيكم، وتخرب أراضيكم ﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ﴾: بالماء ﴿جَنَّاتٍ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا﴾: يعنى فى الجنات ﴿فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾: شتاءً وصيفاً، وإنما خص النخيل والأعناب بالذكر لأنهما كانا معظم ثمار الحجاز وما والاها فكانت النخيل لأهل المدينة، والأعناب لأهل الطائف، فذكر للقوم ما يعرفون من نعمه.

﴿وَشَجَرَةٍ﴾: يعنى وأنشأنا لكم أيضاً شجرة ﴿تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ﴾: وهى الزيتون: واختلف القراء فى سيناء. فكسر سينه أبو عمرو، وأهل الحجاز، وفتحها الباقون. واختلف العلماء فى معناه: فقال مجاهد: معناه البركة، يعنى أنه جبل مبارك. وهى رواية عطية عن ابن عباس، وقتادة، والحسن. وقال الضحاك: طور سيناء بالنبطية الجبل الحسن.

قال ابن زيد: هو الجبل الذى نودى منه موسى عليه السلام، وهو بين مصر، وأيلة. وقال معمر وغيره: جبل ذو شجر. وقال بعضهم: هو بالسريانية الملتفة الأشجار. وقيل: هو كل جبل ذى أشجار مثمرة. وقيل: هو متعال من السنا وهو الارتفاع.

وقال مقاتل: خص الطور بالزيتون لأن أول الزيتون نبت بها. ويقال: إن الزيتون أول شجرة نبتت فى الدنيا بعد الطوفان.

﴿تَأْتِي بِالدَّهْنِ﴾: وأكثر القراء على فتح التاء الأولى من قوله: ﴿تَأْتِي﴾، وضم بائه. وقرأ ابن كثير، وابن عمرو بضم التاء، وكسر الباء، ولها وجهان:

أحدهما: أن الباء فيه زائدة، كما يقال: أخذت ثوبه، وأخذت بثوبه، وكقول الراجز:

نحن بنو جعدة أصحاب الفلج      نضرب بالسيف ونرجو بالفرج

أى ونرجو الفرج.

والوجه الآخر: أنهما لغتان بمعنى واحد، نبت وأنبت، وقال زهير:

رأيت ذوى الحاجات حول بيوتهم      قطيئاً لهم حتى إذا أنبت البقل

أى نبت ﴿وَصَبَّغَ لِلْأَكْلِينَ﴾: أى إدام يصطبغ به.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾: وهى الدلالة الموصلة إلى اليقين المؤدى به إلى العلم وهى من

العبور كأنه طريق يعبر إليه ويتوصل به إلى المراد.

﴿سُنِّقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ﴿٢٦﴾ : قال ابن عباس يسمى بذلك لكثرة ما نوح على نفسه . واختلف في سبب نوحه : فقال بعضهم : لدعوته على قومه بالهلاك حيث قال نوح : ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ أَعْلَمُ الْغُيُوبَ﴾ . وقال آخرون : لأنه مرّ بكلب مجذوم ، فقال : احسأ يا قبيح ، فأوحى الله إليه : أعبتى أم عبت الكلب؟  
﴿فَقَالَ يَوْمَ يَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ . فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ ﴿٢٧﴾ : يتشرف ﴿عَلَيْكُمْ﴾ : فيكون أفضل منكم ، فيصير متبوعاً وأنتم له تبعاً .

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ : الذى يدعوننا إليه نوح ﴿فِي آبَائِنَا الْأُولَىٰ﴾ ﴿٢٨﴾ : ما هو ﴿إِلَّا رَجُلٌ بِهٖ جِنَّةٌ﴾ : جنون ، نظيرها قوله سبحانه : ﴿مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾ (الأعراف: ١٨٤) . ويقال للجن أيضاً : جِنَّةٌ . قال الله سبحانه : ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِجَابًا﴾ (الصفات: ١٥٨) ، وقال : ﴿مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ (الناس: ٦) . يتفق الاسم والمصدر .  
﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ : فانتظروا ﴿بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ : يعنى إلى وقت ما . وقيل : إلى حين الموت . فقال : لما تمادوا فى غيهم وأصروا على كفرهم ﴿رَبِّ أَنْصُرْنِي﴾ : أعنى بإهلاكهم ﴿بِمَا كَذَّبُوا﴾ : يعنى بتكذيبهم إياى .



﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ . فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّيْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٣٠﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ؕ آخِرِينَ ﴿٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنَ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيقَاعِ الْآخِرَةِ وَاتْرَفْتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ ﴿٣٥﴾ أَعِدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْلًا مَا أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ ﴿٣٦﴾

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورَ فَاسْلُكْ فِيهَا﴾: فأدخل فيها،

يقال: سلكته فى كذا وأسلكته فيه، قال الشاعر:

وكنت لزار خصمك لم أعد  
وقد سلكوك فى يوم عصيب

وقال الهذلى:

حتى إذا أسلكوهم فى قتادة  
شلاً كما تطرد الحمالة السردا

﴿مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطَبِينَ فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِلَيْهِمْ مَعْرُوفُونَ﴾: قال الحسن: لم يحمل نوح فى السفينة إلا من تلد وتبيض، فأما ما يتولد من الطين، وحشرات الأرض، والبق، والبعوض، فلم يحمل منها شيئاً.

﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ﴾: اعتدلت فى السفينة ركباً فيها عالياً فوقها ﴿أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكَ قُتِلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّيْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكاً﴾: قرأه العامة بضم الميم على المصدر، أى إنزالاً مباركاً. وقرأ عاصم برواية أبى بكر بفتح الميم، وكسر الزاى، أى موضعاً.

﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ<sup>(١)</sup>﴾: وقد كنا. وقيل: وما كنا إلا مبتلين مختبرين إياهم بتذكيرنا ووعظنا لننظر ما هم عاملون قبل نزول العذاب بهم.

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: أى أهلكناهم وأحدثنا من بعدهم ﴿قَرْنًا آخِرِينَ﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾: قال المفسرون يعنى هوداً وقومه ﴿أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيقَاءِ الْآخِرَةِ وَأُتِرْفَنَّهُمْ﴾: نعمناهم ووسعنا عليهم، والترفة: النعمة ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا﴾: الرسول ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِثْلَكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ﴾ أَيْدِكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا﴾: قد ذهب اللحم ﴿أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ﴾: من قبوركم أحياء، وأعاد ﴿أَنْكُمْ﴾ لما طال الكلام ﴿وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ﴾.



﴿هِيَآتَ هِيَآتَ لِمَا تُوْعَدُونَ﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُوِ بِمُؤْمِنِينَ﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَدِيمِينَ﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً

(١) سقطت هذه الكلمة من الناسخ سهواً.

فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴿١١﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ ﴿١٢﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا تَرَاتُجًا ﴿١٣﴾ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذِبُهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٤﴾

﴿هِيَ هِيَ هِيَ هِيَ لِمَا تُوْعَدُونَ﴾: قال ابن عباس: هي كلمة بعد، يقول: ما توعدون. واختلف القراءة فيه فقرأ أبو جعفر بكسر التاء فيهما. وقرأ نصر بن عاصم بالضم. وقرأ ابن حيوة الشامي: بالضم والتنوين. وقرأ الآخرون بالنصب من غير تنوين. وكلها لغات صحيحة، فمن نصب جعلها مثل أين وكيف. وقيل: لأنهما أداتان فصارتا مثل خمسة عشر، وبعليك، ونحوهما.

وقال الفراء: نصبهما كنصب قولهم: ثمت، وريت. ومن رفعه جعله مثل: منذ وقط وحيث. ومن كسره جعله مثل: أمس، وهؤلاء، قال الشاعر:

تذكرت أياماً مضين من الصبا      وهيها هيها إليك رجوعها

وقال آخر:

لقد باعدت أم الحمارس دارها      وهيها من أم الحمارس من هيها

واختلفوا في الوقف عليها: فكان الكسائي يقف عليها بالهاء، والفراء بالتاء. وإنما أدخلت اللام مع هيها في الاسم لأنها أداة غير مشتقة من فعل، فأدخلوا معها في الاسم اللام كما أدخلوها مع هلم لك.

﴿إِنْ هِيَ﴾: يعنون الدنيا ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾: يموت الآباء ويحيى الأبناء ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ ﴿إِنْ هُوَ﴾: يعنون الرسول ﴿إِلَّا رَجُلٌ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كُذِّبْتُ﴾ ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ﴾: عن قليل، وما صلة ﴿لِيُصِيبَنَّ نَدِيمِينَ﴾: على كفرهم ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ﴾: يعنى صيحة العذاب ﴿بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُلَامًا﴾: وهو ما يحمله السيل ﴿فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ﴾: والقرن أهل العصر سموا بذلك لمقارنة بعضهم ببعض.

﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ﴾: ومن صلة.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا تَرَاتُجًا﴾: مترادفين يتبع بعضهم بعضاً. وقرأ أبو جعفر، وابن كثير وأبو عمرو: تترى بالتنوين على توهم أن الياء أصلية كما قيل معزى بالياء، ومعزى، وبهمى وبهماً، فأجريت أحياناً، وترك إجراؤها أحياناً، فمن نون وقف عليها بالألف، ومن لم ينون

وقف عليها بالياء . ويقال إنها ليست بياء ولكن ألف مماله . وقراءه العامة بغير تنوين مثل : غضبى وسكرى ، وهو اسم جمع مثل شتى ، وأصله وترى من المواتره والتواتر ، فجعلت الواو تاءً مثل التقوى ، والتكلان ، ونحوهما .

﴿كُلُّ مَا جَاءَ أُمَّةٌ رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا﴾ : بالهلاك ، أى أهلكنا بعضهم فى أثر بعض .  
 ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ : أى مثلاً يتحدث بهم فى الناس . وهى جمع أحداثه ، ويجوز أن يكون جمع حديث قال الأخفش : إنما يقال هذا فى الشر ، فأما فى الخير فلا يقال جعلتهم أحاديث وأحداثه وإنما يقال : صار فلان حديثاً .  
 ﴿فَبَعْدَ الْقَوْمِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ : نظيرها : ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مَرْجِقٍ﴾ (سبا : ١٩) .



﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠١﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عٰلِينَ ﴿١٠٢﴾ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ بِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عٰبِدُونَ ﴿١٠٣﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٠٥﴾ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ ءَايَةً وَءَاوَيْنَهُمَا إِلَىٰ رِبْوَةٍ ذٰتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿١٠٦﴾ يٰٓأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبٰتِ وَءَعْمَلُوا صٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿١٠٧﴾ وَإِن هٰذِهِ ءُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَءَحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقَوْنَ ﴿١٠٨﴾ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿١٠٩﴾ فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١١٠﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنٍ ﴿١١١﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرٰتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١١٢﴾ إِنَّا لَذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿١١٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِءَايٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١١٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿١١٥﴾﴾

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠١﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا﴾ : تعظموا عن الإيمان ﴿وَكَانُوا قَوْمًا عٰلِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ : متكبرين قاهرين غيرهم بالظلم . نظيرها : ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلٰى فِى الْأَرْضِ﴾ (القصص : ٤) .

﴿فَقَالُوا﴾ : يعنى فرعون وقومه ﴿أَنُؤْمِنُ بِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ : فنتبعهما ﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عٰبِدُونَ﴾ : مطيعون متذللون والعرب تسمى كل من دان للملك عابداً له ، ومن ذلك قبيل لأهل الحيرة : العباد ، لأنهم كانوا أهل طاعة للملك العجم .

﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾: بالفرق ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾: التوراة ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾: لكى يهتدى بها قومه فيعملوا بما فيها ﴿وَجَعَلْنَا آيَاتِنَا آيَاتٍ مُّبِينَةً وَأُمَّهُ مَرْيَمُ وَأُمَّهُ عَائِشَةُ﴾: دلالة على قدرتنا، وكان حقه أن يقول: آيتين كما قال الله سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا آيَاتِنَا آيَاتٍ مُّبِينَةً﴾ (الإسراء: ١٢). واختلف النحاة فى وجهها: فقال بعضهم: معناه، وجعلنا كل واحد منهما آية، كما قال سبحانه: ﴿كَلِمَاتُ الْبَيِّنَاتِ آتَتْ أَكْثَمًا﴾ (الكهف: ٣٣) أى أتت كل واحدة أكلها، وقال: ﴿إِنَّا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ﴾ (المائدة: ٩٠): ولم يقل أرجاس. وقال بعضهم: معناه جعلنا شأنهما واحداً بأن عيسى ولد من غير أب، وأمه وكذت من غير ميسس ذكر ﴿وَأَوْتَيْنَهُمَا إِلَى رُبُوعَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾.

أخبرنا أبو صالح منصور بن أحمد المشطى قال: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله الرازى قال أخبرنا سليمان بن على قال أخبرنا هشام بن عمار قال حدثنا عبد المجيد عن يحيى بن سعيد الأنصارى عن سعيد بن المسيب عن عبد الله بن سلام فى قول الله سبحانه: ﴿وَأَوْتَيْنَهُمَا إِلَى رُبُوعَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ قال: دمشق. وقال أبو هريرة: هى الرملة وقال قتادة، وكعب: بيت المقدس. قال كعب: وهى أقرب الأرض إلى السماء بشمانية عشر ميلاً<sup>(١)</sup>. وقال ابن زيد: مصر. وقال الضحاك: غوطة دمشق. وقال أبو العالية: إيليا، وهى الأرض المقدسة ويعنى بالقرار: الأرض المستوية، والساحة الواسعة، والمعين: الماء الظاهر لعين الناظر، وهو مفعول من عانه يعينه إذا أدركه بالبصر ورآه. ويجوز أن يكون فعلاً من معن يعن فهو معين من الماعون.

﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾: يعنى من الحالات، يعنى وقلنا لعيسى عليه السلام كلوا من الطيبات، وهذا كما يقال فى الكلام للرجل الواحد أيها القوم كفوا عنا إذاكم، ونظائرها فى القرآن كثيرة. قال عمرو بن شرحبيل: كان يأكل من غزل أمه. وقال الحسن، ومجاهد: المراد به محمد رسول الله ﷺ.

﴿وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ وَإِنَّ هَذِهِ: قرأ أهل الكوفة بكسر الألف على الابتداء. وقرأ ابن عامر بفتح الألف وتخفيف النون جعل ﴿إِنَّ﴾ صلة مجازة: وهذه أمتكم. وقرأ الباقر بفتح الألف وتشديد النون على معنى هذه. ويجوز أن يكون نصباً بإضمار فعل،

(١) هذا التفسير غير حقيقى وإنما كان يعتمد صاحبه على التقدير الجزافى أما الآن فقد صارت لذلك آلات وأجهزة دقيقة تحدد ما هى أعلى نقطة فى الأرض وكم ارتفاعها عن سطح البحر وما شابه ذلك ولا علاقة له بالتفسير فى هذا الموضوع لهذه الآية.

أى علموا أن هذه ﴿أَمْتَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ : أى ملتكم ملة واحدة، وهى دين الإسلام .  
 ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبْرًا ﴿ قرأه العامة بضم الباء يعنى كتباً جمع زبور بمعنى  
 دان كل فريق منهم بكتاب غير الكتاب الذى دان به الآخر، قاله مجاهد، و قتادة . وقيل معناه :  
 فنفروا دينهم بينهم كتباً أحدثوها يحتجون فيها لمذاهبهم، وقاله قتادة، وابن زيد، وقرأ أهل  
 الشام بفتح الباء قطعاً و فرقاً كقطع الحديد، قال الله سبحانه : ﴿ءَاتُونِي زُرًّا الْحَدِيدِ﴾ (الكهف: ٩٦) .  
 ﴿كُلِّ حِزْبٍ﴾ : جماعة ﴿بِمَالِهِمْ﴾ : عندهم من الدين ﴿فَرِحُونَ﴾ : معجبون مسرورون  
 ﴿فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَاتِهِمْ﴾ : قال ابن عباس : كفرهم وضلالتهم . وقال ابن زيد : عما هم . وقال  
 الربيع : غفلتهم ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ : إلى وقت مجيء آجالهم .  
 ﴿أَيْحَسِبُونَ أَنبَا نُدْهُمْ بِهِ﴾ : نعطيهم ونزيدهم ﴿مِن مَّالٍ وَبَيْنٍ﴾ : فى الدنيا ﴿نَسَارِعُ﴾ : نسابق  
 ﴿لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ : ومجاز الآية أيحسبون ذلك مسارعة لهم فى الخيرات . وقرأ عبد الرحمن  
 ابن أبى بكر (يسارع) على ما لم يسم فاعله . والصواب قراءة العامة لقوله سبحانه : ﴿نُدْهُمْ﴾ .  
 ﴿بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ : أن ذلك استدراج لهم، ثم بين المسارعين إلى الخيرات فقال عز من قائل :  
 ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشِيَةِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا  
 يُشْرِكُونَ ﴾ .



﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي  
 الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿ وَلَا تَكْفُفْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا  
 يُظْلَمُونَ ﴿ بَل قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴿  
 حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْعَرُونَ ﴿ لَا تَجْعَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا  
 تُنصَرُونَ ﴿ قَدْ كَانَتْ ءَايَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكصُونَ ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ  
 سَمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ ءَابَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا  
 رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَل جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ  
 كَارِهُونَ ﴿ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَل أَتَيْنَاهُمْ  
 بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِمْ مُّعْرِضُونَ ﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَّاجَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ



الرَّازِقِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ  
الصِّرَاطِ لَنَسَكَبُونَ ﴿٢٥﴾ ﴿

﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا﴾: يعطون ما أعطوا من الزكوات والصدقات. هذه قراءة أهل  
الأمصار وبه رسوم مصاحفهم.

أخبرنا عبد الخالق بن علي قال أخبرنا إسماعيل بن نجية قال حدثنا محمد بن عمار بن عطية  
قال: حدثنا أحمد بن يزيد الحلواني قال: حدثنا خلاد عن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن  
حماد عن أبيه عن عائشة رضی الله عنها: أن النبي ﷺ كان يقرأ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا﴾ من  
المجىء.

وأخبرنا الحاكم أبو منصور حمد بن أحمد البورجاني قال: حدثنا علي بن أحمد بن موسى  
الفارسي، قال: حدثنا محمد بن الفضيل قال: حدثنا أبو أسامة قال: حدثني مالك بن مغول  
قال: سمعت عبد الرحمن بن سعيد الهمداني ذكر أن عائشة رضی الله عنها قالت: يا رسول  
الله ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ أهو الذي يزني، ويشرب الخمر،  
ويسرق؟ قال: «لا يا ابنة الصديق ولكنه الرجل يصوم ويصلى ويتصدق وهو على ذلك يخاف  
الله سبحانه».

وأخبرنا عبد الله بن يوسف قال: حدثنا محمد بن حامد قال: حدثنا محمد بن الجهم قال:  
حدثنا عبد الله بن عمرو قال: أخبرنا وكيع عن ملك بن مغول عن عبد الرحمن بن سعيد بن  
وهب عن عائشة قال: قلت: يا رسول الله ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾ أهو الذي يزني  
ويشرب الخمر ويسرق قال: «لا يا ابنة أبي بكر أو يا ابنة الصديق، ولكنه الرجل يصوم ويصلى  
ويتصدق ويخاف أن لا تقبل منه».

﴿أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا﴾: يعنى إليها ﴿سَاقُونَ﴾: كقوله: ﴿لَمَّا نَهَوْا عَنْهُ﴾  
(المجادلة: ٨)، و ﴿لَمَّا قَالُوا﴾ (المجادلة: ٣) ونحوهما. وكان ابن عباس يقول فى معنى هذه الآية:  
سبقت لهم من الله السعادة، ولذلك سارعوا فى الخيرات.

﴿وَلَا نَكْفِ تَفْسًا إِلَّا وَسْعًا﴾: يعنى إلا ما يسعها، ويصلح لها من العبادة والشريعة ﴿وَلَدَيْنَا  
كِتَابٌ﴾: يعنى اللوح المحفوظ ﴿يَنْطِقُ بِالْحَقِّ﴾: يبين بالصدق ما عملوا، وما هم عاملون من  
الخير والشر. وقيل: هو كتاب أعمال العباد الذى تكتبه الحفظة، وهو أليق بظاهر الآية.

﴿وَهُمْ لَا يُظَلَمُونَ﴾: يعنى يوفون جزاء أعمالهم ولا ينقص من حسناتهم ولا يزداد على سيئاتهم.

ثم ذكر الكفار فقال عز من قائل: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ: عَمَى وغفلة. ﴿مِنْ هَذَا﴾: القرآن.

﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ﴾: خبيثة لا يرضاها الله من المعاصى والخطايا ﴿مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾: يعنى من دون أعمال المؤمنين التى ذكرها الله سبحانه قيل وهى قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشِيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾.

﴿هُمْ لَهَا عَمَلُونَ﴾: لا بد لهم من أن يعملوها فيدخلوا بها النار لما سبق لهم من الشقاوة. ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ﴾: يعنى أغنياءهم رؤساءهم ﴿بِالْعَذَابِ﴾: قال ابن عباس: بالسيف يوم بدر. وقال الضحاک: يعنى الجوع، وذلك حين دعا عليهم رسول الله ﷺ، فقال: «اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف». فابتلاهم بالقحط حتى أكلوا الجيف والكلاب، والعظام المحرقة، والقد، والأولاد.

﴿إِذَا هُمْ يَجْرُونَ﴾: يضحون ويجزعون ويستغيثون، وأصل الجوار: رفع الصوت بالتضرع كما يفعل الثور. قال الشاعر:

فطافت ثلاثاً بين يوم وليلة      وكان النكير أن تضيف وتجأرا  
يصف بقرة. وقال أيضاً:

يرواح من صلوات المليك      فطوراً سجوداً وطوراً جواراً

﴿لَا تَجْرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تَصْرُونَ﴾: لا تمنعون ولا ينفعكم جزعكم وتضرعكم. ﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾: يعنى القرآن ﴿فَكُنْتُمْ عَلَىٰ آعْفَٰبِكُمْ﴾ أدباركم ﴿تَنكِصُونَ﴾ تدبرون وتعرضون، وتستأخرون، وترجعون القهقري مكذبين بها كارهين لها ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ﴾: أى بالحرم، يقولون لا يظهر علينا أحد لأننا أهل الحرم. وهو كناية عن غير مذكور ﴿سَمِيرًا﴾: نصب على الحال. يعنى أنهم يسمرون بالليل فى مجالسهم حول البيت. ووحيد سامراً، وهو بمعنى السمّار، لأنه وضع موضع الوقت أراد تهجرون ليلاً كقول الشاعر:

من دونهم إن جئتهم سمرًا      عزف القيان ومجلس غمر

فقال: سمرًا لأن معناه: إن جئتهم ليلاً وهم يسمرون. وقيل: واحد ومعناه الجمع، كما قال: ﴿ثُمَّ يَخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ (غافر: ٦٧) ونحوه.

﴿تَهْجُرُونَ﴾: قرأ نافع بضم التاء، وكسر الجيم، أى تفحشون، وتقولون الخنا. يقال:

أهجر الرجل في كلامه، أى أفحش. وذكر أنهم كانوا يسبون رسول الله ﷺ وأصحابه. وقال آخرون بفتح التاء وضم الجيم ولها وجهان:

أحدهما: تعرضون عن رسول الله ﷺ والقرآن، والإيمان وترفضونها.

والآخر: يقولون سوءاً وما لا يعلمون، من قولهم هجر الرجل في منامه إذا هذى.

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا﴾: يتدبروا ﴿الْقَوْلَ﴾: القرآن ﴿أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾: فأنكروه وأعرضوا عنه. ويحتمل أن يكون أم بمعنى بل، يعنى بل جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين. فلذلك أنكروه ولم يؤمنوا به. وروى هذا القول عن ابن عباس.

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ﴾: محمداً، وأنه من أهل الصدق والأمانة ﴿فَهَمُّ لَهُمُ مُنْكَرُونَ﴾: أم يقولون به جنَّةً: جنون، كذبوا في ذلك، فإن المجنون يهذى، ويقول ما لا يعقل، ولا معنى له، ﴿بَلْ﴾ محمد ﴿جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ﴾: بالقول الذى لا يخفى صحته وحسنه على عاقل ﴿وَأَكْثَرُهُمُ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾: ولو أتبع الحق: يعنى الله سبحانه ﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾: مرادهم فيما يفعل ﴿لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ﴾: ببيانهم وشرفهم يعنى القرآن.

﴿فَهَمُّ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾: أم تسألهم: على ما جئتهم به ﴿خَرَجًا﴾: أجراً وجعلاً، وأصل الخرج والخراج الغلة والضريبة والإتاوة كخراج العبد والأرض.

وقال النضر بن شميل: سألت أبا عمر بن العلاء عن الفرق بين الخرج والخراج؟ فقال: الخراج: ما لزمك، ووجب عليك أداؤه. والخرج: ما تبرعت به من غير وجوب.

قال الله سبحانه: ﴿فَخَرَجَ رَبُّكَ﴾: رزقه وثوابه ﴿خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾: وإنك لتدعوهم إلى صراطٍ مستقيمٍ: وهو الإسلام.

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَشَكِيمُونَ﴾: عادلون مائلون، ومنه الريح النكباء.



﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرِّ الْجَوِّ فِي طُعَيْنِهِمْ يَعْصَمُونَ﴾: ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَتَخْنَا عَلَيْهِمُ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْسِئُونَ﴾ وهو الذى أشأ لكم السمع والأبصر والأفئدة قليلاً ما تشكرون ﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ وهو الذى يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون ﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾ قالوا: إذا متنا وكنا تراباً وعظاماً

أءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٠٠﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِن هَذَا إِلاَّ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠١﴾ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٠٣﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٥﴾ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٠٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿١٠٧﴾ بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٨﴾ مَا آتَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٠٩﴾ عَلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١١٠﴾ قُلْ رَبِّ إِنَّمَا تَرَيْتَنِي مَا يُوعَدُونَ ﴿١١١﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١٢﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُرِيكَ مَا نَعْدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴿١١٣﴾ أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّبِيحَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يُصِفُونَ ﴿١١٤﴾ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴿١١٥﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونَ ﴿١١٦﴾ ﴿

﴿١٠٠﴾ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَفْنَا مَا بِيَهُمْ مِنْ ضَرٍّ : قحط وجدب ﴿للجأ﴾ : لتمادوا ﴿في طغيانهم يعمهون﴾ : ولقد أخذناهم بالعذاب : يعني القتل والجوع ﴿فما استكاثروا الزهيم﴾ : خضعوا، وأصله طلب السكون ﴿وما يتضرعون﴾ .

قال ابن عباس : لما أتى بشمامة بن أثال الحنفي النبي ﷺ فأسلم وهو أسير فخلى سبيله، فلحق باليمامة فحال بين أهل مكة وبين المسيرة من اليمامة، وأخذ الله قريشاً بسنى الجذب حتى أكلوا العلهز، فجاء أبو سفيان النبي ﷺ فقال : أنشدك بالله والرحم، أليس تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين؟ فقال : «بلى». فقال : قد قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع، فأنزل الله سبحانه هذه الآية ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ قال ابن عباس : يوم بدر. وقال مجاهد : القحط. وقيل : عذاب النار في الآخرة ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبَسِّئُونَ﴾ : متحيرون آيسون من كل خير.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ وهو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتَلَفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ بلب قالوا مثل ما قال الأولون ﴿قَالُوا إِذًا مَتَىٰ وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظْمًا أءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ : هذا الوعد ﴿وَأَبَاؤُنَا

هَذَا مِنْ قَبْلُ : ووعد آباءنا من قبلنا قوم ذكروا أنهم أنبياء الله فلم ير له حقيقة .  
 ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ قُلْ : يا محمد مجيباً لهم ﴿لَمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ : ولا بد لهم من ذلك ، فقل لهم ، إذا أقروا بذلك ﴿قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ : فتعلمون أن من قدر على خلق ذلك ابتداء فهو قادر على إحيائهم بعد موتهم .  
 ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ : قراءة العامة ﴿لِلَّهِ﴾ ، ومثله ما بعده ، فجعلوا الجواب على المعنى دون اللفظ كقول القائل للرجل : من مولاك؟ فيقول لفلان ، أى أنا لفلان وهو مولاى ، وأنشد :

اعلم أننى سأكون رسماً      إذا سار النواعج لا يسير  
 فقال السائلون لمن حفرتم      فقال المخبرون لهم وزير

فأجاب المخفوض بمرفوع لأن معنى الكلام : فقال السائلون من الميت؟ فقال المخبرون الميت وزير ، فأجاب عن المعنى وقال آخر :

إذا قيل من رب المزالف والقرى      ورب الجياد الجرد قيل لخالد

وقال الأخفش : اللام زائدة يعنى لله . وقرأ أهل البصرة كلاهما : الله ، بالألف ، وهو ظاهر لا يحتاج إلى التأويل ، وهو فى مصاحف أهل الأمصار كلها : الله ، إلا فى مصحف أهل البصرة فإنه : الله الله . فجرى كل على مصحفه ولم يختلفوا فى الأول أنه : ﴿لِلَّهِ﴾ لأنه مكتوب فى جميع المصاحف بغير ألف وهو جواب مطابق للسؤال فى : ﴿لَمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا﴾ فجوابه ﴿لِلَّهِ﴾ .

﴿قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ : الله فتطيعونه ﴿قُلْ مَنْ يَدِينُ مَلَكَوْتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ : ملكه وخزائنه ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ : يعنى يؤمن من يشاء ولا يؤمن من أخافه ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ : قال أهل المعانى : معناه أجيئوا إن كنتم تعلمون .

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ : أى تخدعون وتصرفون عن توحيدهِ وطاعته .  
 ﴿بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾ : الصدق ﴿وَأَنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ ما آتخذ الله من ولدٍ وما كان معه من إلهٍ إذا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ : فانفرد به ولتغالبا فعلاً بعضهم على بعض ، وغلب القوى منهم الضعيف ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ : من الكذب ﴿عَلِيمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ : قرأ بالجر ابن كثير وابن عامر ، وأبو عمرو على نعت الله . وقرأ غيرهم بالرفع على الابتداء أو على معنى هو عالم . وروى رويس عن يعقوب : أنه كان إذا ابتدأ رفع وإذا وصل خفض .

﴿تَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ قُلْ رَبِّ إِنَّمَا تُرِنِّي مَا يُوعَدُونَ﴾ من العذاب ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ

الظَّالِمِينَ ﴿ فَلَ تَهْلِكُنِي بِهِمَا كَمَا هَلَكُوا ﴾ . والفاء في قوله : ﴿ فَلَ ﴾ جواب لإمّا لأنه شرط وجزاء .  
 ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُزِيلَكَ مَا نَعِدُهُمْ ﴾ : من العذاب فجعلناه لهم ﴿ لَقَدْ رُؤُونُ ﴾ .  
 ﴿ أَدْفَعِ بِنَاتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ : يعنى بالخلعة التى هى أحسن ﴿ السَّيِّئَةِ ﴾ : أذاهم وجفاءهم ، يقول  
 أعرض عن أذاهم واصفح عنهم ، نسختها آية القتال (١) .  
 ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ : فنجزهم به ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ ﴾ : أستجير بك ﴿ مِنْ هَمَزَاتِ  
 الشَّيْطَانِ ﴾ : أى نزغاتهم . عن ابن عباس . وقال الحسن : وساوسهم . وقال مجاهد : نفخهم ،  
 ونفثهم . وقال ابن زيد : خنقهم الناس .  
 وقال أهل المعانى : يعنى دفعهم بالإغواء إلى المعاصى والهمز شدة الدفع ومنه قيل للحرف  
 الذى يخرج من هواء الفم للدفع همزة .  
 ﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴾ : فى شىء من أمورى .



﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا  
 إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ  
 يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ  
 فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا  
 كَالِحُونَ ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَتِنَّا عَلَىٰ تَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَلَنْتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ ﴿ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا  
 شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿ قَالَ أَحْسَبُوا فِيهَا  
 وَلَا تُكَلِّمُونَ ﴿ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامِنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ  
 الرَّاحِمِينَ ﴿ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ  
 الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآئِزُونَ ﴿ ﴾

(١) القول فى أن آية السيف نسخت مائة وأربعاً وعشرين آية أو نحوها هذا قول مختلف فيه كما أنه مختلف فى مسألة  
 الناسخ والمنسوخ وذهب إلى القول بأن كل آية لها حكم خاص بها يكون عند حلول حاله من ذهب إلى القول  
 بعدم النسخ فى القرآن ، والله أعلم .

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾: يعنى هؤلاء المشركين، وذلك حين ينقطع عن الدنيا ويعاين الآخرة قبل أن يذوق الموت.

﴿قَالَ رَبِّ آرْجِعُونِي﴾: ولم يقل ارجعنى، وهو خطاب الواحد على التعظيم كقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ (الحجر: ٩) فخطوب على نحو هذا كما ابتداء بلفظ التعظيم.

وقال بعضهم: هذه المسألة إنما كانت منهم للملائكة الذين يقبضون روحه، وإنما ابتداء الكلام بخطاب الله سبحانه لأنهم استغاثوا أولاً بالله سبحانه ثم رجعوا إلى سؤال الملائكة الرجوع إلى الدنيا.

﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾: صنعت ﴿كَلَّا﴾: أى لا ترجع إليها، وهى كلمة ردع وزجر ﴿إِنَّهَا﴾: يعنى سؤاله الرجعة ﴿كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾: ولا ينالها.

روت عائشة عن النبى ﷺ أنه قال: «إذا عاين المؤمن الملائكة قالوا: نرجعك إلى الدنيا، فيقول: إلى دار الهموم والأحزان، بل قدما إلى الله عز وجل، وأما الكافر فيقول: ﴿رَبِّ آرْجِعُونِي﴾ الآية.

﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ﴾: أمامهم ﴿بِرَزْخٍ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾: أى حاجز بين الموت والرجوع إلى الدنيا، عن مجاهد. وقال ابن عباس: حجاب. وقال السدى: أجل. وقال قتادة: بقية الدنيا. وقال الضحاك، وابن زيد: ما بين الموت إلى البعث. وقال أبو أمامة: القبر. وقيل: الإمهال وكل فصل بين سنين برزخ ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ﴾: قال ابن عباس: لا يفتخرون بالأنساب فى الآخرة كما كانوا يفتخرون.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾: قال أبو العالية: هو كقوله: ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ (المعارج: ١٠).

وقال ابن جريج معنى الآية لا يسأل أحد يومئذ شيئاً بنسب: ﴿وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ لا يمت إليه برحم. واختلف المفسرون فى المراد بقوله: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ أى النفختين عنى؟ فقال ابن عباس: هى النفخة الأولى.

أخبرنى ابن فنجويه بقراءتى عليه قال حدثنا عبد الله بن إبراهيم بن أيوب قال: حدثنا أبو عبد الله أحمد بن عبد الرحمن بن أبى عوف قال حدثنا إسماعيل بن عبيد بن أبى كريمة الحرانى قال حدثنا محمد بن سلمة بن أبى عبد الرحيم قال حدثنى زيد بن أبى أنيسة عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس فى قوله: ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ قال: هذه فى النفخة الأولى فى الصور ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا

مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴿ (الزمر: ٦٨) ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ ﴿ (الزمر: ٦٨) ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (الصافات: ٢٧). وقال ابن مسعود: هي النفخة الثانية.

أخبرني الحسين بن محمد بن فنجويه قال حدثنا عبيد الله بن محمد بن شيبه قال حدثنا جعفر بن محمد الفريابي قال حدثنا يزيد بن موهب الرملي قال حدثنا عيسى بن يونس عن هارون بن أبي وكيع قال سمعت زاذان أبا عمر يقول: دخلت على ابن مسعود فوجدت أصحاب الخبز واليمنة قد سبقوني إلى المجالس فناديتهم: يا عبد الله بن مسعود من أجل أني رجل أعجمي أدنيت هؤلاء وأقصيتني؟ فقال: ادن، فدنوت حتى ما كان بيني وبينه جليس فسمعتة يقول: يؤخذ بيد العبد أو الأمة يوم القيامة فينصب على رؤوس الأولين والآخرين ثم ينادى مناد: هذا فلان ابن فلان، فمن كان له قبله حق فليأت إلى حقه فتفرح المرأة أن يدور لها الحق على أبيها أو على زوجها أو على ابنها أو على أختها، ثم قرأ ابن مسعود: ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾.

قال: فيقول الله سبحانه: أت هؤلاء حقوقهم. فيقول: رب فنيث الدنيا. فيقول للملائكة خذوا من أعماله فأعطوا كل إنسان بقدر طلبته. فإن كان ولياً لله عز وجل وفضلت له من حسناته مثقال حبة من خردل، ضاعفها حتى يدخله بها الجنة، ثم قرأ ابن مسعود: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْهَرُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضْعَفْهَا﴾ (النساء: ٤٠) وإن كان شقياً قالت الملائكة: رب فنيث حسناته وبقى طالبون؟ فيقول: خذوا من أعمالهم السيئة فأضيفوها إلى سيئاته، وصكوا له صكاً إلى النار.

﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿ تَلْفُحٌ ﴾ تسفع ﴿وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾: عابسون، عن ابن عباس.

وقال غيره: الكلوح أن تتقلص الشفتان عن الإنسان حتى تبدو الأسنان.

قال ابن مسعود: ألم تر إلى الرأس المشيط بالنار قد بدت أسنانه وقلصت شفتاه.

قال الأعشى:

وله المقدم لا مثل له ساعة الشدق عن الناب كلح

أخبرني الحسين بن محمد بن الحسين قال حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان بن عبد الله قال حدثنا محمد بن إسحاق المسوحى قال حدثنا يحيى الحماني قال: حدثنا ابن مبارك عن سعيد ابن يزيد أبي شجاع عن أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ في قوله



عز وجل: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ قال: «تشويه النار فتتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه، وتسترخى شفته السفلى حتى تبلغ سرتة».

﴿أَلَمْ تَكُنْ أَتَىٰ عَلَىٰكَ وَعَلَىٰكَ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا: التي كتبت علينا، وقرأ أهل الكوفة غير عاصم: شقاوتنا بالالف وفتح الشين. غيرهم: شقوتنا، بغير ألف وكسر الشين وهما لغتان. والمضرة اللاحقة في العاقبة، والسعادة هي المنفعة اللاحقة في العاقبة.

﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾: عن الهدى. ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾: أى من النار ﴿فَإِن عُدْنَا﴾: لما تكره ﴿فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾: فيجابون بعد ألف سنة<sup>(١)</sup> ﴿أَخْسَأُوا فِيهَا﴾: أى ابعادوا كما يقال للكلب اخسأ إذا طرد وأبعد ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾: فى رفع العذاب فإنى لا أرفعه عنكم ولا أخفئه عليكم. وقيل: هو دلالة على الغضب اللازم لهم فعند ذلك آيس المساكين من الفرج.

قال الحسن: هو آخر كلام يتكلم به أهل النار، ثم لا يتكلمون بعدها إلا الشهيق والزفير، ويصير لهم عواء كعواء الكلب لا يفهمون ولا يفهمون<sup>(٢)</sup>.  
﴿إِنَّهُمْ﴾: هذه الهاء عماد، وتسمى أيضاً المجهولة.

﴿كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي﴾: وهم المؤمنون ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا أَمِنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِحْرِيًّا: قرأ أهل المدينة والكوفة إلا عاصمًا بضم الشين هاهنا، وفى سورة (ص). وقرأ الباقون بكسرها.

قال الخليل، وسيبويه: هما لغتان مثل قول العرب: بحر لُجىٌّ ولُجىٌّ، وكوكب دُرَى ودُرَى، وكُرْسَى وكُرْسَى. وقال الكسائي، والفراء: الكسر بمعنى الاستهزاء بالقول، والضم بمعنى التسخير والاستعباد بالفعل. ولم يختلفوا فى سورة الزخرف أنه بالضم لأنه بمعنى التسخير والاستعباد، إلا ما روى عن ابن محيصة أنه كسره قياساً على سائره وهو غير قوى.

﴿حَتَّىٰ أَنْتَوَكَّرَ ذِكْرِي﴾: أى أنساكم اشتغالكم بالاستهزاء بهم وتسخيرهم ذكرى ﴿وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾: نظيره قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ (المطففين: ٢٩).

(١) هذا القول لا دليل عليه من كتاب ولا سنة والدين ما كان من هذين المصدرين اللذين هما عن رب العالمين تلاوة موحى بها من قبل المولى عز وجل أو قول صحيح صدر ممن لا ينطق عن الهوى ﷺ وأغلب ما يذكر من أخبار عن الساعة وعلاماتها وأحوال يوم القيامة لا يصح عن رسول الله ﷺ فالله سبحانه وتعالى وحده هو الذى يعلم متى يجيئهم أعند سؤالهم أم بعد مدة من الزمن طويلة أو قصيرة فهذا من علم الغيب الذى انفرده به سبحانه ولم يطلع عليه ملكٌ ولا نبي فعلى المسلم أن يعتبر ذلك عند مطالعته للأحاديث المنسوبة إلى رسول الله ﷺ وهو منها براء.

(٢) هذا القول ينجر عليه ما سبق أن قلته فى التعليق السابق ولا فرق.

﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا﴾: على استهزائكم وأذاهم في الدنيا والجزء مقابل العمل بما يستحق عليه من ثواب أو عقاب.

﴿أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾: قرأ حمزة، والكسائي: إنهم بكسر الألف على الاستثناف. وقرأ الباقر بفتحها على معنى لأنهم هم الفائزون. ويحتمل أن يكون نصباً بوقوع الجزاء عليه إني جزيتهم اليوم الفوز بالجنة.



﴿قُلْ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ ﴿قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلِّ الْعَادِينَ﴾ ﴿قُلْ إِنْ لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ ﴿فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾

﴿قُلْ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ ﴿قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾: نسوا لعظيم ما هم فيه من العذاب مدة مكثهم في الدنيا، وهذا توبيخ من الله تعالى لمنكري البعث وإلزام للحجة عليهم. قرأ حمزة والكسائي: قل كم على الأمر لأن في مصاحف أهل الكوفة: قل، بغير ألف. ومعنى الآية: قولوا كم لبستم، فأخرج الكلام مخرج الأمر للواحد، والمراد به الجماعة إذ كان مفهوماً معناه. ويجوز أن يكون الخطاب لكل واحد منهم، أي قل أيها الكافر.

وقرأ الباقر: قال، في الحرفين، وكذلك هما في مصاحفهم بالألف على معنى قال الله تعالى. وقرأ ابن كثير: قل، على الأمر، وقال: إن على الخبر، وهي قراءة ظاهرة لأن الثانية جواب.

وقوله: ﴿فَسَلِّ الْعَادِينَ﴾: أي الحُساب، عن قتادة. وقال مجاهد: هم الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم ويحصونها عليهم.

﴿قُلْ إِنْ لَبِئْتُمْ﴾: في الدنيا ﴿إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: قدر لبثكم فيها ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾: أي لعباً وباطلاً لا لحكمة، والعبث العمل لا لغرض وهو نصب على الحال، عن سيبويه، وقطرب، مجازه عابثين. وقال أبو عبيدة: على المصدر. وقال بعض نحاة الكوفة: على الظرف، أي بالعبث، وقال بعض نحاة البصرة: للعبث.

﴿وَأَتَّكُمُ إِنِّي لَا تُرْجَعُونَ﴾: قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه: يا أيها الناس، اتقوا ربكم، فما خلق امرؤ عبثاً فيلهو، ولا أهمل سُدَى فيلغو. وأخبرنى محمد بن القاسم بقراءة على عليه قال حدثنا أبو بكر محمد بن محمد بن نصر قال حدثنا محمد بن موسى قال حدثنا أبو شعيب الحرانى قال حدثنا يحيى بن عبد الله بن الضحاك قال سمعت الأوزاعى يقول: بلغنى أن فى السماء ملكاً ينادى كل يوم ألا ليت الخلق لم يخلقوا ويا ليتهم إذ خلقوا عرفوا ما خلقوا له، وجلسوا فذكروا ما عملوا<sup>(١)</sup>.

### فصل فى ذكر وجوه الحكمة فى خلق الله سبحانه الخلق

قال المحققون: خلق الله سبحانه الخلق ليدل بذلك على وجوده وكمال علمه وقدرته إذ لو لم يخلق لم يكن لوجوده معنى<sup>(٢)</sup>. وأخبرنى محمد بن القاسم قال حدثنا محمد بن يزيد قال حدثنا الحسن بن سفيان قال حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة قال حدثنا ابن عليه عن منصور بن عبد الرحمن قال: قلت للحسن البصرى فى قوله سبحانه: ﴿وَلَا يَرَاوْنَ مُخْتَلِفِينَ﴾ إِلَّا مَنْ رَجَمَ رَبُّكَ ﴿(هود: ١١٨، ١١٩)؟ قال الناس مختلفون على أديان شتى إِلَّا من رحم ربك، ومن رحم ربك غير مختلف. فقيل له: ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ (هود: ١١٩)؟ قال: نعم خلق هؤلاء لجنته وخلق هؤلاء لناره، وخلق هؤلاء لرحمته، وخلق هؤلاء لعذابه.

(١) الأوزاعى عالم جليل، شيخ كبير، أما القول الذى بلغه فلم نعرف عن بلغه، ثم ما فائدة نداء هذا المنادى إذ لم يسمع الخلق نداءه ثم إن الله عز وجل كفى الخلق نداء هذا المنادى بإرساله الرسل مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتب إلى أن جاء آخرها وهو القرآن الكريم فهو يتلى عليه آتاء الليل وأطراف النهار فمن أراد الهدى هداه الله ومن أعرض عن ذكر ربه فإن له معيشة ضنكاً وسيحشره ربه إليه أعمى، رزقنا الله وإياكم حسن الختام بالموت على دين الإسلام آمين.

(٢) خبرنى بربك فضلاً عن اعتراض على العنوان إذا كان هذا هو قول المتحققين فما بالكم بقول غيرهم، ألا يذكر هؤلاء أن الله سبحانه وتعالى: ﴿يخلق ما يشاء ويختار﴾، وأنه سبحانه ﴿لَا يُسأل عما يفعل وهم يسألون﴾: حكمة الخلق وحكمة الأحكام هذا كله من علم الله عز وجل الذى حجبه عن خلقه لحكمة هو يعلمها فمن أراد أن يعبد الله على هذا فهو المؤمن ومن أراد أن يعرف سبب كل شىء: ﴿فإن الله غنى عن العالمين﴾ والعبادة تقتضى الخضوع والإذعان وعدم البحث عن الأسباب أو المسببات أو الحكمة أو العلة فيما وراء هذه الأشياء حيث إن هذا ليس من مقام التعبد والخضوع بل من مقام التذبة والمحاسبة إذ لو كان على غير ما يريد فلا يعبد أو لا يفعل هدانا الله وإياكم سواء السبيل، وقد صرح الله سبحانه فى القرآن القول فقال: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ فما بعد هذا القول قول.

وأخبرنا محمد بن القاسم الفقيه قال أخبرنا أبو جعفر محمد بن موسى الفقيه قال حدثنا أبي قال حدثنا محمد بن خالد البرقي عن أبيه عن أحمد بن نصر قال سئل جعفر بن محمد: لم خلق الله الخلق؟

قال: لأن الله سبحانه كان محسناً بما لم يزل، فيما لم يزل إلى ما لم يزل، فأراد سبحانه وتعالى أن يفوض إحسانه إلى خلقه، وكان غنياً عنهم ولم يخلقهم لجر منفعة ولا لدفع مضرة ولكن خلقهم وأحسن إليهم وأرسل إليهم الرسل حتى يفصلوا بين الحق والباطل فمن أحسن كافأه بالجنة، ومن عصى كافأه بالنار.

وقال محمد بن عيسى الترمذي إن الله سبحانه خلق الخلق عبيداً ليعبده فيشبههم على العبودية ويعاقبهم على تركها فإن عبده فهم اليوم عبيد أحرار كرام، وغداً أحرار وملوك في دار السلام، وإن رفضوا العبودية فهم اليوم عبيد أباق سفلة لثام وغداً أعداء في السجون بين أطباق النيران.

ومنهم من قال: خلق الله سبحانه الخلق كلهم لأجل محمد ﷺ يدل عليه ما حدثنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن الرومي قال حدثنا أبو بكر محمد بن حمدون بن خالد قال حدثنا هارون بن العباس الهاشمي قال حدثنا محمد بن سيرين بن شريك قال حدثنا جندل قال حدثنا عمرو بن أوس الأنصاري عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال: أوحى الله سبحانه إلى عيسى عليه السلام: يا عيسى آمن بمحمد، ومراً أمتك أن يؤمنوا به، فلولا محمد ما خلقت آدم، ولولا محمد ما خلقت الجنة والنار، ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فسكن<sup>(١)</sup>.

وسمعت محمد بن القاسم الفارسي قال محمد بن الحسن بن بهرام الفارسي يقول: سمعت القناد يقول: خلق الله سبحانه الملائكة للقدر، وخلق الأشياء للعبارة، وخلقك للمحبة له. ومن العلماء من لم يصرح القول بذلك، ولكنه قال نبه الله سبحانه في غير موضع من كتبه المنزلة أنه خلقهم لخطر عظيم مغيب عنهم لا يجليه حتى يحل بهم ما خلقهم له، وهذا معنى قوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ الآية<sup>(٢)</sup>.

(١) هذا إسناد موقوف على ابن عباس وفي مثل هذا لا يصح الأخذ بالموقوف حتى إن هذا الخبر فيه إخبار بالغيب وليس عن رسول الله ﷺ حيث يوحى الله سبحانه وتعالى إليه بما يريد أن يعلمه للعباد من أمور الغيب التي ستكون من بعث ونشور وما شابه ذلك، ثم إن في الإسناد جندل بن والقي بن هجرس الثعلبي الكوفي، وقد قال عنه مسلم في الكنى متروك. ومتن الحديث نكارتة لا تحتاج إلى التذليل عليها.

(٢) هذا القول هو القول الذي أذهب إليه والذي سبق وأن قلت نحوه: ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾.

أخبرني ابن فنجويه قال حدثنا عبد الله بن يوسف بن أحمد بن مالك قال حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي قال حدثنا داود بن رشيد. (ح) (١) وأخبرني محمد بن القاسم قال أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن قريش قال: حدثنا الحسن بن سفيان قال حدثنا هشام بن عمار قال: حدثنا الوليد بن مسلم قال: حدثنا ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة عن حبش بن عبد الله الصنعاني عن عبد الله بن مسعود أنه مرَّ بمصاب مبتلى فقرأ في أذنه ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ حتى ختم السورة فبرأ، فقال له رسول الله ﷺ: «ماذا قرأت في أذنه؟» فأخبره، فقال: «والذي نفسي بيده لو أن رجلاً موقناً قرأها على جبل لزال» (٢).

ثم نزه نفسه سبحانه عما وصفه به المشركون من اتخاذ الأنداد، والأولاد. (وما) (٣) نسبه إليه الملحدون من السفه، والعبث فقال عز من قائل: ﴿قَتَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكَ الْحَقَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَبِيرِ﴾ يعنى الحسن العظيم. ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ قال أهل المعانى: فيه إضمار، مجازه فلا برهان له به. ﴿فَاتَّبَعُوا حِسَابَهُ﴾ جزاؤه. ﴿عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ.



(١) زيادة حديثة يتطلبها سياق الإسناد.

(٢) إسناده ضعيف ابن لهيعة منهم من ضعفه، ومنهم من تركه، ومنهم من جعله صدوقاً، ومنهم من وضعه في مصاف الاضطراب، ووصف مع ذلك بالتدليس وقد عنعن في هذا الحديث فالإسناد بلا خلاف ضعيف.

(٣) زيادة يتطلبها السياق.

## سُورَةُ النُّورِ

مدينة وهي خمسة آلاف وستمائة وثمانون حرفاً  
وألف وثلثمائة وست عشرة كلمة وأربع وستون آية

أخبرنا أبو الحسين الخبازي قال حدثنا ابن حبان قال أخبرنا محمد بن علي الفرقدى قال حدثنا إسماعيل بن عمرو قال حدثنا يوسف بن عطية قال حدثنا هارون بن كثير قال حدثنا زيد ابن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة النور أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن فيما مضى وفيما بقى».

وأخبرني الحسين بن محمد بن فنجويه قال حدثنا عبيد الله بن محمد بن شيبه قال حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم الكرابيسي قال حدثنا سليمان بن توبة أبو داود الأنصاري قال حدثنا محمد بن إبراهيم الشامي قال حدثنا شعيب بن إسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضی الله عنها وعن أبيها قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا تنزلوا النساء الغرف . . ولا تعلموهن الكتابة، وعلموهن المغزل، وسورة النور»<sup>(١)</sup>.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ

(١) هذا حديث غير صحيح في إسناده محمد بن إبراهيم بن العلاء الشامي الدمشقي أبو عبد الله الزاهد السائح مولى عبيد، وقد وصفوا أحاديثه بالنكارة، وبأنها غير محفوظة ووصفه بعضهم بالكذب.

ومتن الحديث في بعضه ما لا يصح حيث يدعو الإسلام ويحث على طلب العلم والتعلم ويشي على العلماء والمعلمين الناس الخير، ويحذر من التفریط فيه، ومنتنه يدعو إلى النهي عن تعليم النساء الكتابة وهذه دعوى إلى التشكيك في خلق النساء واتهامهن باتخاذ الأخدان من خلال توسع العلم، كيف يكون ذلك وكلما زاد العلم زادت التقوى بنص القرآن الكريم؟! هذان الله وإياكم إلى كل ما يحبه ويرضاه ويقربنا منه ويدخلنا جنته آمين.

الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا  
 وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾  
 وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ  
 إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٢﴾ وَالْخَمِيسَةَ أَنْ لَعْنَتُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٣﴾ وَيَدْرَأُ  
 عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٤﴾ وَالْخَمِيسَةَ أَنْ غَضِبَ  
 اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ  
 حَكِيمٌ ﴿١٦﴾

﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا﴾ قراءة العامة بالرفع : هذه سورة ، لأن العرب لا تبتدئ بالنكرة ، هذا قول

الخليل .

وقال الأخفش : ﴿سُورَةٌ﴾ ابتداء ، وخبره في : ﴿أَنْزَلْنَاهَا﴾ . وقرأ طلحة بن مطرف : سورة ،  
 بالنصب على معنى : أنزلنا سورة ، والكناية صلة زائدة . وقيل : اتبعوا سورة أنزلناها .  
 ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ أى أوجبنا ما فيها من الأحكام . وقرأ الحسن ومجاهد ، وابن كثير ، وأبو عمرو :  
 وفرضناها ، بالتشديد ، أى فصلناها ، وبينها ، وقيل : هو من الفرض والتشديد على التكثير ،  
 أى جعلناها فرائض مختلفة ، وأوجبناها عليكم وعلى من بعدكم إلى قيام الساعة وتصديق  
 التخفيف قوله سبحانه : ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ (القصص : ٨٥) .

﴿وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي ﴿﴾ إذا كانا حرَّين بالغين بكرين  
 غير محصنين . ﴿فَاجْلِدُوا﴾ فاضربوا . ﴿كُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةٌ جَلْدَةً وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾ رحمة  
 ورقة .

قال الأخفش رحمة فى توجع . وفيها ثلاث لغات : رأفة ، ساكنة الهمز ، وقد تخفف  
 الهمزة وهى قرأة العامة ، ورأفة ، بفتح الهمزة . ورأفة مهموزة ممدودة مثل الكأبة . وهما قراءة  
 أهل مكة مثل الشنأة والشنأة . وقيل : القصر على الاسم . والمد بمعنى المصدر مثل : صؤل  
 صألته ، وقبح قباحة . ولم يختلفوا فى سورة الحديد أنها ساكنة ، لأن العرب لا تجمع بين أكثر  
 من ثلاث فتحات .

واختلف العلماء فى معنى الآية فقال قوم : ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾ فتعطلوا الحدود ولا

تقيموها .

روى المعمر عن عمران قال: قلت لأبى مخلد فى هذه الآية: والله إنا لنرحمهم أن نجلد الرجل أو نقطع يده. فقال: إنما ذاك أنه ليس للسلطان إذا رفعوا إليه، أن يدعهم رحمة لهم حتى يقيم عليهم الحدّ، وهذا قول مجاهد، وعكرمة، وعطاء بن أبى رباح، وسعيد بن جبير والنخعى، والشعبى، وابن زيد، وسليمان بن يسار، يدل عليه من الآية، أن الله سبحانه وتعالى أمر بالجلد، وهو ضرب الجلد كالرأس لضرب الرأس، فذكر الضرب بلفظ الجلد لثلاثاً ينكأ ولا يبرح لا يبلغ به اللحم.

وروى ابن أبى مليكة عن عبد الله بن عبد الله أن عبد الله بن عمر جلد جارية له، فقال للجالد: اجد ظهرها، ورجليها، وأسفلها، وخففها. قلت: فأين قول الله سبحانه: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾؟

قال: أفأقتلها؟! إن الله أمرنى أن أضربها وأؤدبها ولم يأمرنى أن أقتلها.

وقال الآخرون: بل معناها ولا تأخذكم بهما رأفة فتخففوا الضرب، ولكن أوجعهما ضرباً. وهو قول سعيد بن المسيب، والحسن.

قال الزهرى: يجتهد فى حدّ الزنا والفرية، ويخفف فى حدّ الشرب.

وقال قتادة: يخفف فى حدّ الشراب والفرية، ويجتهد فى الزنا.

وقال حماد: يُحدّ القاذف، والشارب وعليهما ثياهما، وأما الزانى فيخلع ثيابه، وتلا هذه

الآية. ﴿فِي دِينِ اللَّهِ﴾ أى فى حكم الله. نظيره قوله سبحانه: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ (يوسف: ٧٦).

﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهِدَ عَذَابُهُمَا﴾ وليحضر حدّيهما إذا أقيم عليهما. ﴿طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ اختلفوا فى مبلغ عدد الطائفة: فقال النخعى ومجاهد: أقله رجل واحد فما فوقه، واحتجوا بقوله: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتُلُوا﴾ (الحجرات: ٩) الآية. وقال عطاء، وعكرمة: رجلان فصاعداً. وقال الزهرى: ثلاثة فصاعداً. وقال ابن زيد: أربعة بعدد من تقبل شهادته على الزنا. وقال قتادة: نفر من المسلمين.

روى حفص بن غياث عن أشعث عن أبيه قال: أتيت أبا برزة الأسلمى فى حاجة وقد أخرج جارية له إلى باب الدار، وقد زنت وولدت الزنا، فألقى عليها ثوباً، وأمر ابنه أن يضربها خمسين<sup>(١)</sup> ضرباً غير مبرح، ودعا جماعة، ثم قرأ: ﴿وَلَيْشَهِدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

أخبرنى ابن فنجويه قال حدثنا أبو على بن حبش المقرئ قال حدثنا محمد بن أحمد بن

(١) قلت ضرب خمسين لكونها غير حرة فعليها نصف ما على المحصنة من العذاب.



عثمان قال حدثنا إبراهيم بن نصر قال حدثنا مسدد قال حدثنا إسماعيل قال حدثنا يونس بن عبيد عن حريز بن يزيد البجلي عن أبي زرعة عن عمرو بن جرير عن أبي هريرة قال: إقامة حدّ بأرض خير لأهلها من مطر أربعين ليلة.

وأخبرنا أبو سعيد محمد بن عبد الله بن حمدون قال حدثنا أبو نعيم عبد الملك بن محمد بن عدى قال أخبرنا العباس بن الوليد بن مزيد البيروتي قال أخبرني محمد بن شعيب قال أخبرني معاوية بن يحيى عن سليمان الأعمش عن شقيق بن سلمة عن حذيفة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يا معشر الناس اتقوا الزنا فإن فيه ست خصال، ثلاثة في الدنيا وثلاثة في الآخرة فأما اللواتى في الدنيا: فيذهب البهاء، ويورث الفقر، وينقص العمر، وأما اللواتى في الآخرة: فيوجب السخطة، وسوء الحساب، والخلود في النار».

وأخبرنا أبو طاهر بن خزيمة قراءة عليه في شهر سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن مسلم قال حدثنا عطية بن بقرية قال حدثنا أبي قال حدثني عباد بن كثير عن عمران القصير عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أعمال أمتي تعرض على في كل جمعة مرتين، فاشتد غضب الله على الزناة».

وقال أبو عبد الله بن فنجويه قال حدثنا أبو علي بن حنش المقرئ قال حدثنا محمد بن أحمد ابن هارون بسرّ من رأى قال حدثنا أبو بكر محمد بن أبي يعقوب الدينورى قال حدثنا إبراهيم ابن يزيد الحرانى بالرها قال حدثنا المغيرة ابن سقلاب قال حدثنا النضر بن عدى عن وهب بن منبه قال: مكتوب في التوراة: الزانى لا يموت حتى يفتقر، والقواد لا يموت حتى يعمى.

﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ الآية. اختلف العلماء فى معنى الآية وحكمها: فقال قوم: قدم المهاجرون المدينة وفيهم فقراء كثير ليست لهم أموال، ولا عشائر، ولا أهلون، وبالمدينة نساء بغايا مسافحات، يكرين أنفسهن، وهنّ يومئذ أخصب أهل المدينة، فرغب فى كسبهن ناس من فقراء المسلمين، فقالوا: إنّا لو تزوجنا منهن فعشنا معهن إلى يوم يغفينا الله سبحانه عنهن؟ فاستأذنا رسول الله ﷺ فى ذلك، فنزلت هذه الآية، وحرّم فيها نكاح الزانية صيانة للمؤمنين عن ذلك، وأخبر سبحانه وتعالى أن الزانية إنّما ينكحها الزانى والمشرك، لأنهن كن زانيات مشركات، والآية وإن كان ظاهرها خبر، فمجازها ينبغى أن يكون هكذا كقوله: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا﴾ (آل عمران: ٩٧) وقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (العنكبوت: ٤٥). يعنى ينبغى أن تكون كذلك، وهذا قول مجاهد وعطاء بن أبى رباح، وقتادة والزهرى، والقاسم ابن أبى برزة والشعبى، وأبى حمزة الثمالى، ورواية العوفى عن

ابن عباس .

وقال عكرمة : نزلت في نساء بغايا متعانات<sup>(١)</sup> بمكة والمدينة ، وكثر كثيرات ، منهن تسع صواحب ريات لهن ريات كريات البيطار يعرفن بها : أم مهزول جارية السائب بن أبي السائب المخزومي . وأم عليط ، جارية صفوان بن أمية . وحنة القبطية ، جارية العاص بن وائل . ومارية ، جارية مالك بن عميلة بن السباق . وحلالة ، جارية سهيل بن عمرو . وأم سويد ، جارية عمرو بن عثمان المخزومي . وشريقة ، جارية زمعة بن الأسود . وفرسة ، جارية هشام بن ربيعة بن حبيب بن حذيفة . وقرينة ، جارية هلال بن أنس بن جابر بن ثمر . وكانت بيوتهن تسمى المواخير في الجاهلية ، لا يدخل عليهن ، ولا يأتينهن إلا زان من أهل القبلة أو مشرك من أهل الأوثان ، وكان الرجل ينكح الزانية في الجاهلية يتخذها مأكلة .

فأراد ناس من المسلمين نكاحهن على تلك الجهة ، واستأذن رجل من المسلمين نبي الله ﷺ في نكاح أم مهزول وقد اشترطت له أن تنفق عليه . فأنزل الله سبحانه هذه الآية ونهى المؤمنين عن ذلك وحرمه عليهم .

وقال عمرو بن شعيب : نزلت في مرثد الغنوي ، وعناق ، وكان مرثد رجلاً شديداً ، وكان يقال له : دلدل ، وكان يأتي مكة فيحتمل ضعفة المسلمين إلى رسول الله ﷺ ، وكانت عناق صديقتها في الجاهلية ، فلما أتى مكة دعتة عناق إلى نفسها ، فقال مرثد : إن الله حرم الزنا . قالت : فانكحني . قال : حتى أسأل رسول الله ﷺ في ذلك ، فسأله عنه ، فأنزل الله سبحانه هذه الآية ، وقد مضت القصة في سورة البقرة .

وقال آخرون : أراد بالنكاح هاهنا الجماع ، ومعنى الآية : الزاني لا يزني إلا بزانية أو مشركة والزانية لا يزني بها إلا زان أو مشرك ، وهذا قول سعيد بن جبير ، والضحاك ، ومزاحم ، ورواية الوالبي عن ابن عباس ، أخبرنا الحسن بن محمد بن عبد الله قال حدثنا أحمد بن محمد ابن إسحاق السنئي قال أخبرني محمد بن عمران قال حدثنا سعيد بن عبد الرحمن ، ومحمد بن عبد الله المقرئ قالوا : حدثنا عبد الله بن الوليد العدني عن سفيان بن حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس : «الزاني لا ينكح إلا زانية» قال : ليس هذا بالنكاح ولكنه الجماع ، لا يزني بها إلا زان أو مشرك فكنى .

وأخبرنا ابن فنجويه قال حدثنا أبو علي بن حبش قال حدثني الحسن بن علي بن زكريا قال حدثنا الحسن بن علي بن راشد قال : قال لنا يزيد بن هارون : هذا عندي إن جامعها وهو

(١) في المخطوط : متعلات ، وهو تحريف ، وأحسب أن الصواب ما رسمت من الإعلان .

مُسْتَحَلٌّ فَهُوَ مُشْرِكٌ، وَإِنْ جَامِعَهَا وَهُوَ مُحَرَّمٌ فَهُوَ زَانٌ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَانَ هَذَا حُكْمَ اللَّهِ فِي كُلِّ زَانٍ وَزَانِيَةٍ حَتَّى نَسَخْتَهَا الْآيَةُ الَّتِي بَعْدَهَا: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَّامَ مِنْكُمْ﴾<sup>(١)</sup> (النور: ٣٢)، فَأَحْلَى نِكَاحَ كُلِّ مُسَلِّمَةٍ وَإِنْكَاحَ كُلِّ مُسْلِمٍ، وَهُوَ قَوْلُ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ. أَخْبَرَنِيهِ ابْنُ فَنَجْوِيهِ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ شَيْبَةَ قَالَ حَدَّثَنَا الْفَرِيَابِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا قَتَيْبَةُ قَالَ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ أَنَّهُ قَالَ: يَزْعُمُونَ أَنَّ تِلْكَ الْآيَةَ: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ نَسَخَتْ بِالْآيَةِ الَّتِي بَعْدَهَا: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَّامَ مِنْكُمْ﴾ (النور: ٣٢) فَدَخَلَتْ الزَّانِيَةُ فِي أَيَّامِ الْمُسْلِمِينَ.

وَقَالَ الْحَسَنُ: مَعْنَاهَا الْمَجْلُودُ لَا يَنْكِحُ إِلَّا مَجْلُودَةً.

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ أَيْ يَشْتَمُونَ الْمُسْلِمَاتِ الْحَرَائِرَ الْعِفَّاتِ، فَيَقْذِفُونَهُنَّ بِالزَّانَا. ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا﴾ عَلَى مَا رَمَوْهُنَّ بِهِ. ﴿بِأَرْبَعَةِ شَهَادَاتٍ﴾ عَدُولٌ يَشْهَدُونَ عَلَيْهِنَّ أَنَّهُمْ رَأَوْهُنَّ يَفْعَلْنَ ذَلِكَ. ﴿فَأَجْلِدُوهُمْ﴾ يَعْنِي الْقَازِفِينَ، اضْرِبُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ. ﴿ثَمَنِينَ جَدَّةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

ثُمَّ اسْتَنْى فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي حُكْمِ هَذَا الْاِسْتِنَاءِ: فَقَالَ قَوْمٌ: هُوَ اِسْتِنَاءٌ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾ وَقَالُوا: إِذَا تَابَ قَبِلَتْ شَهَادَتُهُ، وَزَالَ عَنْهُ اسْمُ الْفَسْقِ، وَعَادَتْ وَوَلَايَتُهُ حُدِّفَ فِيهِ أَوْ لَمْ يُحَدِّدْ، وَهَذَا قَوْلُ الشَّعْبِيِّ، وَمَسْرُوقٌ وَسَلِيمَانُ بْنُ يَسَارٍ وَسَعِيدُ بْنُ جَبْرِ، وَعَطَاءٌ، وَطَاوُوسٌ، وَمَجَاهِدٌ، وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيْبِ، وَسَعِيدُ بْنُ عْتَبَةَ، وَالضَّحَّاكُ، وَهُوَ قَوْلُ أَهْلِ الْحِجَازِ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ الشَّافِعِيُّ. وَاخْتَلَفُوا فِي كَيْفِيَّةِ تَوْبَتِهِ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ أَنْ يَرْجِعَ عَنْ قَوْلِهِ وَيَكْذِبَ نَفْسَهُ. وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ النَّدَمُ عَلَى مَا سَلَفَ، وَالِاسْتِغْفَارُ مِنْهُ، وَتَرْكُ الْعُودِ فِيمَا بَقِيَ. فَإِذَا أُقِيمَ عَلَيْهِ الْحَدُّ أَوْ عَفِيَ الْمَقْذُوفُ عَنْهُ وَسَقَطَ الْحَدُّ، وَذَلِكَ أَنَّ الْقَذْفَ حَقٌّ لِلْمَقْذُوفِ كَالْقِصَاصِ وَالْجُنَايَاتِ، وَبِالْعَفْوِ تَسْقُطُ، فَإِذَا عَفَا عَنْهُ فَلَمْ يَطَالِبْهُ بِالْحَدِّ أَوْ مَاتَ الْمَقْذُوفُ قَبْلَ مَطَالِبَتِهِ بِالْحَدِّ أَوْ لَمْ يَرْفَعْ إِلَى السُّلْطَانِ فَلَمْ يُحَدِّدْ لِأَجْلِ هَذِهِ، أَوْ حُدِّدَ ثُمَّ تَابَ وَأَصْلَحَ الْعَمَلَ قَبِلَتْ شَهَادَتُهُ وَعَادَتْ وَوَلَايَتُهُ. يَدُلُّ عَلَيْهِ مَا رَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ: أَنَّ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ضَرَبَ الَّذِينَ شَهِدُوا عَلَى الْمُغِيرَةَ بْنِ شَعْبَةَ، وَهُمْ: أَبُو بَكْرَةَ، وَشَبْلُ بْنُ مَعْبُدٍ، وَنَافِعُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ، فَحَدَّهُمْ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: مَنْ أَكْذَبَ نَفْسَهُ أَجَزَتْ شَهَادَتُهُ فِيمَا اسْتَقْبَلَ، وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ لَمْ أَجْزْ شَهَادَتُهُ. فَأَكْذَبَ شَبْلُ نَفْسَهُ، وَنَافِعٌ وَتَابَا.

(١) وَعَلَى قَوْلٍ مِنْ قَالَ بَعْدَهُمْ جَوَّازَ النِّسْخِ فِي الْقُرْآنِ فَيَقَالُ بَيْتُهَا أَوْ فَسَّرْتَهَا هَذِهِ الْآيَةَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وأبى أبو بكر أن يفعل ، فكان لا يقبل شهادته .

وروى ابن جريج عن عمران بن موسى قال : شهدت عمر بن عبد العزيز أجاز شهادة القاذف ومعه رجل .

وقال آخرون : هذا الاستثناء راجع إلى قوله : ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفٰسِقُونَ ﴾ . فأما قوله : ﴿ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ﴾ فقد وصل بالأبد ، ولا يجوز قبولها أبداً ، وهذا قول النخعي وشريح . ورواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وإليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه .

روى الأشعث عن الشعبي قال : جاء خصمان إلى شريح فجاء أحدهما بشاهد قد قطع زنا يده ورجله في قطع الطريق ، ثم تاب وأصلح ، فأجاز شريح شهادته ، فقال المشهود عليه : أتجيز شهادته عليّ وهو أقطع ؟! فقال شريح : كل صاحب حدّ إذا أُقيم عليه ثم تاب وأصلح فشهادته جائزة إلا القاذف فإنه قضاء من الله أن لا تقبل شهادته أبداً ، وإنما توبته فيما بينه وبين الله .

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ ﴾ أى يقذفونهن بالزنا .

﴿ وَمَا يَكُنْ لَهُمْ شَهَادَةٌ ﴾ يشهدون على صحة ما قالوا .

﴿ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصّٰدِقِينَ ﴾ قرأ أهل الكوفة أربع بالرفع على الابتداء ، والخبر . وقرأ الباقر بالنصب ، على معنى أن يشهد أربع شهادات .

﴿ وَالْحَمِيسَةُ ﴾ معنى الشهادة الخامسة . قراءة العامة بالرفع على الابتداء ، وخبره فى (أن) .

وقرأ حفص بالنصب على معنى : ويشهد الشهادة الخامسة .

وقرأ نافع ، ويعقوب ، وأيوب (إن) و(أن) خفيفتين (لعنة) و(غضب) مرفوعتين وهى رواية

المفضل عن عاصم . وقرأ الباقر بتشديد النونين وما بعدهما نصب .

﴿ إِنْ كَانَ مِنَ الْكٰذِبِينَ ﴾ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابُ ﴿ ويدفع عن الزوجة الحد .

﴿ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ ﴾ . يعنى الزوج . ﴿ لَمِنَ الْكٰذِبِينَ ﴾ .

﴿ وَالْحَمِيسَةُ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴾ قرأ نافع (غَضِبَ اللَّهُ) مثل (سَمِعَ اللَّهُ)

على الفعل . وقرأ الباقر على الاسم . ﴿ وَأَوْلَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾ .

جواب لولا محذوف ، يعنى لعجل لكم بالعقوبة ، وفضحككم ، ولكنه ستر عليكم ورفع عنكم

الحدّ باللعان حكمة منه ورحمة .

فأما سبب نزول الآية : فروى عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ ﴾

الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَا يَأْتُوا بَأْرَبَعَةٍ شَهَادَةٍ فَأَجَادُوهُمْ ثُمَّ تَمَنَيْنَ جَلْدَهُ ﴾ الآية ، قال سعد بن عباد : والله لو أتيت

لكاع وقد تفخذها رجل لم يكن لى أن أهيجه ولا أحرکه حتى آتى بأربعة شهداء؟ فوالله ما كنت لأتى بأربعة شهداء حتى يفرغ من حاجته ويذهب. فإن قلت: ما رأيت أن فى ظهري لثمانين جلدة. فقال رسول الله ﷺ: يا معشر الأنصار، ألا تسمعون؟! قالوا: لا تلمه، فإنه رجل غيور ما تزوج امرأة قط إلا بكرة، ولا طلق امرأة له فاجترأ رجل منا أن يتزوجها. فقال سعد بن عبادة: يا رسول الله، بأبى أنت وأمى، والله إنى لأعرف أنها من الله، وأنها حق ولكن عجبت من ذلك لما أخبرتك. فقال رسول الله ﷺ: «فإن الله يأبى إلا ذاك». فقال: صدق الله ورسوله.

قال: فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى جاء ابن عمّ له يقال له: هلال بن أمية من حديقة له فرأى رجلاً مع امرأته يزنى بها، فأمسك حتى أصبح، فلما أصبح غدا على رسول الله ﷺ وهو جالس مع أصحابه، فقال: يا رسول الله، إنى جئت أهلى عشاءً فوجدت رجلاً مع أهلى رأيت بعينى، وسمعت بأذنى، فكره رسول الله ﷺ ما أتاه به وثقل عليه جداً حتى عرف ذلك فى وجهه.

فقال هلال: والله يا رسول الله إنى لأرى الكراهية فى وجهك مما أتيتك به، والله يعلم أنى لصادق وما قلت إلا حقاً، وإنى لأرجو أن يجعل الله فرجاً. فهم رسول الله ﷺ بضربه.

قال: واجتمعت الأنصار، فقالوا: ابتلينا بما قال سعد، أيجلد هلال، وتبطل شهادته؟! فإنهم لذلك، ورسول الله ﷺ يريد أن يأمر بضربه إذ نزل عليه الوحي، فأمسك أصحابه عن كلامه حين عرفوا أن الوحي قد نزل، حتى فرغ، فأنزل الله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَهُمْ لَا يَكُن لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ﴾ إلى آخر الآيات.

فقال رسول الله ﷺ: «أبشر يا هلال، فإن الله قد جعل لك فرجاً». فقال: قد كنت أرجو ذلك من الله تعالى.

فقال رسول الله ﷺ: «أرسلوا إليها» فجاءت فلما اجتمعا عند رسول الله ﷺ قيل فكذبت.

فقال رسول الله ﷺ: «إن الله يعلم أن أحدكما كاذب فهل منكما تائب».

فقال هلال: يا رسول الله، بأبى وأمى لقد صدقت، وما قلت إلا حقاً.

فقال رسول الله ﷺ: «لاعنوا بينهما». فقيل لهلال: اشهد، فشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين؛ فقيل له عند الخامسة: يا هلال اتق الله فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، فقال هلال: والله لا يعذبنى الله عليها كما لم يجلدنى عليها رسول الله. فشهد الخامسة: «أَنْ لَعَنَتَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ».

ثم قيل للمرأة: اشهدي، فشهدت الخامسة: (أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين).  
ففرق رسول الله ﷺ بينهما، وقضى أن الولد لها، ولا يدعى لأب، ولا يرمى ولدها، ثم قال  
رسول الله ﷺ: «إن جاءت به كذا وكذا فهو للذي قيل فيه».

قال: فجاءت به غلاماً كأنه جمل أورق على الشبه المكره، وكان بعد أميراً بمصر لا يدري  
من أبوه.

وأخبرنا محمد بن عبدوس قال: أخبرنا محمد بن محمد بن الحسين قال أخبرنا علي بن  
عبد العزيز قال أخبرنا القاسم بن سلام قال حدثنا هيثم عن يونس بن عبيد عن الحسن قال: لما  
نزلت ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءِ﴾ الآية، قال سعد بن عباد: يا رسول الله  
أرأيت إن رأى رجل مع امرأته رجلاً فقتله تقتلون، وإن أخبر بما رأى جلد ثمانين أفلا نضربه  
بالسيف؟ فقال رسول الله ﷺ: «كفى بالسيف شا». قال أراد أن يقول: شاهداً، ثم أمسك  
فقال: «لولا أن يتتابع فيه الغيران والسكران» وذكر الحديث.

وقال ابن عباس فى سائر الروايات، ومقاتل: لما نزلت: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ الآية  
قرأها النبي ﷺ يوم الجمعة على المنبر، فقام عاصم بن عدى الأنصارى فقال: جعلنى الله  
فداك، إن رأى رجل منا مع امرأته رجلاً فأخبر بما رأى جلد ثمانين وسماه المسلمون فاسقاً،  
ولا تقبل شهادته أبداً، فكيف لنا بالشهداء، ونحن إذا التمسنا الشهداء كان الرجل قد فرغ من  
حاجته ومراً. وكان لعاصم هذا ابن عم له، يقال له: عويمر، وله امرأة يقال لها خولة بنت قيس  
ابن محصن، فأتى عويمر عاصماً، فقال: لقد رأيت شريك ابن السحماء على بطن امرأتى  
خولة. فاسترجع عاصم، وأتى رسول الله ﷺ فى الجمعة الأخرى فقال: يا رسول الله، ما  
أسرع ما ابتليت بالسؤال الذى سألته فى الجمعة الماضية فى أهل بيتى؟! فقال رسول الله ﷺ:  
«وما ذاك؟» قال: أخبرنى عويمر ابن عمى أنه رأى شريك ابن السحماء على بطن امرأته خولة،  
وكان عويمر وخولة، وشريك كلهم بنى عم عاصم، فدعا رسول الله ﷺ بهم جميعاً فقال  
لعويمر: «اتق الله فى زوجتك وحليلتك وابنة عمك، فلا تقذفها بالبهتان». فقال: يا رسول  
الله، أقسم بالله إنى رأيت شريكاً على بطنها، وإنى ما قربتها منذ أربعة أشهر، وإنها حبلى من  
غيرى.

فقال رسول الله ﷺ للمرأة: «اتق الله ولا تخبرى إلا بما صنعت». قالت: يا رسول الله، إن  
عويمراً رجل غيور، وإنه رآنى وشريكاً نطيل السمر، وتحدث، فحملته الغيرة على ما قال.  
فقال رسول الله ﷺ لشريك: «ما تقول؟». قال: ما تقوله المرأة. فأنزل الله سبحانه:

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ الآية . فأمر رسول الله ﷺ حتى نودى الصلاة جامعة، فصلى العصر، ثم قال لعويمر: «قم». فقام. فقال: أشهد بالله إن خولة لزانية، وإنى لمن الصادقين، ثم قال فى الرابعة: أشهد بالله أنى ما قربتها منذ أربعة أشهر وإنى لمن الصادقين، ثم قال فى الخامسة: لعنة الله على عويمر إن كان من الكاذبين فيما قال .

ثم أمره بالعود، وقال لخولة: «قُومى». فقامت، فقالت: أشهد بالله ما أنا بزانية وأن عويمراً لمن الكاذبين، ثم قالت فى الثانية: أشهد بالله إنه ما رأى شريكاً على بطنى، وإنه لمن الكاذبين، ثم قالت فى الثالثة: أشهد بالله أنى حبلى منه وإنه لمن الكاذبين، ثم قالت فى الرابعة: أشهد بالله إنه ما رآنى قط على فاحشة وإنه لمن الكاذبين، ثم قالت فى الخامسة غضب الله على خولة تعنى نفسها إن كان من الصادقين، ففرق رسول الله ﷺ بينهما، وقال: «لولا هذه الأيمان لكان لى فى أمرهما رأى» .

ثم قال: «تحننوا بها الولادة فإن جاءت بأصيهب أثيبج يضرب إلى السواد فهو لشريك بن السحماء، وإن جاءت بأورق جعد حمش خدلج الساقين فهو لغير الذى رميت به» .  
قال ابن عباس: فجاء بأشبه خلق الله بشريك .

#### ❖ ذكر حكم الآية:

إذا قذف الرجل زوجته بالزنا لزمه الحدّ وله التخلص منه بإقامة البينة على زناها أو باللعان فإن أقام البينة حقق الزنا ولزمها الحدّ، وإن التعن حقق الزنا، ولها التخلص منه باللعان فإن التعتت وإلا لزمها الحدّ، وللزوج أن يلتعن سواء كان متمكناً فى البينة أو غير متمكن منها، ويصح اللعان من كل زوج مكلف حُرّاً كان أو عبداً مسلماً كان أو كافراً، فكل من صحت يمينه صح قذفه ولعانه .

وقال أهل العراق: اللعان بين كل حُرّين بالغين، ولا يصح اللعان إلاّ عند الحاكم أو خليفته، فإذا لاعن بينهما غلظ عليهما بأربعة أشياء: عدد الألفاظ، والمكان، والوقت، وجمع الناس .

فأما اللفظ: فأربع شهادات، والخامسة ذكر اللعنة للرجل، وذكر الغضب للمرأة، وقد مضت كيفية ذلك . وأما المكان: فإنه يقصد أشرف البقاع بالبلدان إن كان بمكة، فعند الركن والمقام وإن كان بالمدينة فعند المنبر، وإن كان ببيت المقدس ففى مسجدها، وإن كان فى سائر البلدان ففى مساجدها، وإن كانا كافرين بعث بهما إلى الموضع الذى يعتقدان تعظيمه إن كانا

يهوديين فالكنيسة، وإن كانا نصرانيين فالبیعة، وإن كانا مجوسيين ففي بيت النار، وإن كانا لا دين لهما مثل الوثنيين فإنه يلاعن بينهما في مجلس حكمه.

وأما الوقت: فإنه بعد صلاة العصر، وأما العدد: فإنه يحتاج أن يكون هناك أربعة أنفس فصاعدا فاللفظ وجمع الناس مشروطان. والمكان، والزمان مستحبان. فإذا تلاعنا تعلق باللعان أربعة أحكام: سقوط الحد، ونفى الولد، وزوال الفراش، ووقوع التحريم المؤبد. وكل هذا يتعلق بلعان الزوج، فأما لعان المرأة فإنه يسقط به الحد فقط. فإن أكذب الرجل نفسه فإنه يعود ما عليه، ولا يعود ما له في الحد والنسب عليه فيعودان وأما التحريم والفراش فإنهما له فلا يعودان. وفرقة اللعان: هي فسوخ، لأنه جاء بفعل من قبل المرأة. وقال أبو حنيفة وسفيان: اللعان تطليقة بائنة لأنه من قبل الرجل بدءاً، والله أعلم.



﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ مَا آكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠١﴾ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٢﴾ لَوْلَا جَاءَ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ فَذُكِّرُوا لَكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّنِّينَ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٧﴾ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَلْحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٠٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾ الآية.

ذكر سبب نزول هذه الآيات، وقصة الإفك:

أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن بن محمد بن إسحاق المهرجان بقراءتي عليه فأقر به



قال: أخبرنا أبو عوانة سنة ست عشرة وثلاثمائة قال: حدثنا محمد بن يحيى قال: حدثنا عبد الرزاق، وأخبرنا أبو نعيم قال أخبرنا أبو عوانة قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم الصنعاني قال قرأنا على عبد الرزاق، قال أخبرنا معمر عن الزهري قال أخبرنا سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وعلقمة بن وقاص، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن حديث عائشة زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، فبرأها الله. وكلهم حدثني بطائفة من حديثها، وبعضهم كان أوعى له من بعض، وقد وعيت عن كل واحد الحديث الذي حدثني وبعض حديثهم يصدق بعضاً، ذكروا: أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أفرغ بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه.

قالت عائشة: فأفرغ بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي، فخرجت مع رسول الله ﷺ، وذلك بعدما أنزل الله سبحانه الحجاب، فأنا أحمل في هودجى وأنزل فيه إذا مشينا، حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوه وقفل ودنونا من المدينة أذن ليلة بالرحيل، فقممت حين أذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت إلى الرّحل، فلمست صدرى، فإذا عقدى من جزع ظفار قد انقطع، فرجعت فالتمست عقدى، وحبسني ابتغاؤه، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون فحملوا هودجى، فرحلوه على بعيرى الذى كنت أركبه وهم يحسبون أنى فيه.

قالت: وكانت النساء إذا ذاك خفافاً لم يهبلهن اللحم إنما يأكلن العلقمة من الطعام فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حين رحلوه ورفعوه، وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل وساروا، فوجدت عقدى بعدما استمر الجيش، فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب، فتيممت منزلى الذى كنت فيه وعلمت أن القوم سيفقدوننى فيرجعون إلىّ، فبينما أنا جالسة فى منزلى فغلبتنى عيناي فتمت، وكان صفوان ابن المعطل السلمى، ثم الزكوانى، قد عرس من وراء الجيش، فأدلىج فأصبح عند منزلى، فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني فعرفنى حين رأتى، وقد كان رأتى قبل أن يضرب علىّ الحجاب، فما استيقظت إلاّ باسترجاعه حين عرفنى، فخمرت وجهى بجلبابى، فوالله ما كلمنى كلمة عند استرجاعه حتى أناخ راحلته، فوطئت على يدها فركبتها، فانطلق يقود بى الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين فى نحر الظهيرة. فهلك من هلك فى شأنى، وكان الذى تولى كبره عبد الله بن أبى بن سلول، فقدمت المدينة، فاشتكيت فى شدة الحر حين قدمتها شهراً، والناس يخوضون فى قول أهل الإفك ولا أشعر بشىء من ذلك، والذى يربينى فى وجعى أن لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذى

كنت أرى منه حين أشتكى، وإنما يدخل رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول: «كيف تيكم»؟ فذلك يرينى ولا أشعر بالشر، حتى خرجت بعدما نقيت، وخرجت معى أم مسطح، قبل المناصع وهو متبرزنا، فلا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريباً من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب الأول بالتنزه، وكنا نتأذى بالكنف أى نتخذها عند بيوتنا؛ فانطلقت أنا وأم مسطح وهى عاتكة بنت أبى رهم بن عبد المطلب بن عبد مناف، وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبى بكر الصديق وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد ابن المطلب. فأقبلت أنا وابنة أبى رهم قبل بيتى حين فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح فى مرطها، فقالت: تعس مسطح. فقلت لها: بس ما قلت، تسبين رجلاً شهد بدرًا؟! قالت: أى هنتاه، وأما تسمعى ما قال؟

قالت: قلت: وما ذى؟ قالت: فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مرضاً إلى مرضى، فلما رجعت إلى بيتى، دخل على رسول الله ﷺ، فسلم ثم قال: «كيف تيكم»؟ قلت: أتأذن لى أن أتى أبوى، قالت: وأنا أريد حينئذ أن أتيقن الخبر من قبلهما، فأذن لى رسول الله ﷺ. فجئت أبوى فقلت لأمى: يا أمه، ماذا يتحدث الناس؟

قالت: أى بنية، هونى عليك، فوالله لقل ما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها. قلت: سبحان الله، أوقد تحدث الناس بهذا؟! قالت: نعم. قالت: فمكثت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لى دمع، ولا أكتحل بنوم، ثم أصبحت أبكى، ودعا رسول الله ﷺ على بن أبى طالب، وأسامة بن زيد حين استلبت الوحى، واستشارهما فى فراق أهله.

فأما أسامة، فأشار على رسول الله ﷺ بالذى يعلم من براءة أهله، وبالذى يعلم فى نفسه لهم من الود، فقال: يا رسول الله هم أهلك ولا نعلم إلا خيراً. وأما على فقال: لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك.

فدعا رسول الله ﷺ بريرة، فقال: «أى بريرة هل رأيتى شيئاً يريبك من أمر عائشة»؟ فقالت له بريرة: والذى بعثك بالحق إن رأيت عليها أمراً قط أغمضه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فيأتى الداجن<sup>(١)</sup> فيأكله.

قالت: فقام رسول الله ﷺ فاستعذر من عبد الله بن أبى بن سلول، فقال وهو على المنبر: «يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغنى أذاه فى أهلى فوالله ما علمت على أهلى إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً وما كان يدخل على أهلى إلا معى».

(١) فى هامش المخطوط تعريف بالداجن: داجن البيوت ما ألغها من الطير والشاة ودجن فى بيته إذا لزمه.

فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: أعذرك منه يا رسول الله، إن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك.

قالت: فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان رجلاً صالحاً ولكن احتملته فقال لسعد ابن معاذ: كذبت لعمر و الله. فقال سعد: والله لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين.

قالت: فثار الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا، ورسول الله ﷺ قائم على المنبر، فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا، وسكت.

قالت: ومكثت يومى ذلك لا يرقأ لى دمع ولا أكتحل بنوم، وأبواى يظنان أن البكاء فالق كبدى.

قالت: فبينما هما جالسان عندى وأنا أبكى استأذنت على امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكى معى، فبينما نحن على ذلك دخل علينا رسول الله ﷺ، فسلم ثم جلس. قالت: ولم يجلس عندى منذ قيل لى ما قيل، وقد لبث شهراً لا يوحى إليه فى شأنى. قالت: فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال: «أما بعد، يا عائشة فإنه بلغنى عنك - كذا وكذا - فإن كنت بريئة فسيبرئك الله سبحانه، وإن كنت ألممت بذنب، فاستغفرى الله وتوبى إليه فإن العبد إذا اعترف بالذنب ثم تاب تاب الله عليه».

قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعى حتى ما أحس منه قطرة. فقلت لأبى: أجب عنى رسول الله ﷺ، قال والله ما أدرى ما أقول لرسول الله؟ فقلت: وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ من القرآن كثيراً إنى والله عرفت أنكم قد سمعتم بهذا الأمر حتى استقر فى أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم إنى بريئة والله سبحانه وتعالى يعلم أنى بريئة لا تصدقوننى، والله ما أجد لى ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف وما أحفظ اسمه: ﴿فَصَبِّرْ بِجَمِيلٍ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ (يوسف: ١٨).

قالت: ثم تحولت واضطجعت على فراشى وأنا والله حينئذ أعلم أنى بريئة وأن الله سبحانه مبرئى ببراءتى، ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل فى شأنى وحى يتلى ولشأنى كان أحقر فى نفسى من أن يتكلم الله فى بأمريتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ فى النوم رؤيا يبرئنى الله بها.

قالت: فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله سبحانه على نبيه ﷺ، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحى حتى إنه لينحدر منه مثل الجمان من العرق فى اليوم الشاتى من ثقل الوحى الذى أنزل عليه.

قالت: فلما سُرى عن رسول الله ﷺ وهو يضحك، فكان أول كلمة تكلم بها أن قال: «أبشرى يا عائشة أما والله فقد برأك». فقالت لى أمى: قومى إليه. فقلت: والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله سبحانه هو الذى أنزل براءتى.

قالت: فأنزل الله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾ عشر آيات. وأنزل الله سبحانه هذه الآية لبراءتى.

قالت: قال أبو بكر - وكان ينفق على مسطح لقرابته منه وفقره: والله لا أنفق عليه شيئاً أبداً بعد الذى قال لعائشة، فأنزل الله سبحانه، ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِّنْكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ إلى قوله ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (النور: ٢٢).

فقال أبو بكر رضى الله عنه: والله إنى لأحب أن يغفر الله لى فرجع إلى مسطح النفقة التى كان ينفق عليه، وقال: لا أنزعها منه أبداً.

قالت عائشة رضى الله عنها: وكان رسول الله ﷺ سأل زينب بنت جحش زوج النبى ﷺ: «ما علمت، أو ما رأيت؟» فقالت: يا رسول الله أحمى سمعى وبصرى، والله ما علمت إلا خيراً.

قالت عائشة: وهى التى كانت تسامينى من أزواج النبى ﷺ فعصمها الله سبحانه وتعالى بالورع، وطفقت أختها حمنة بنت جحش تحارب لها، فهلكت فيمن هلك.

قال الزهرى: فهذا ما انتهى إلينا من هؤلاء الرهط.

وأخبرنا أبو نعيم قال أخبرنا أبو عوانة قال حدثنا محمد بن إسماعيل الصائغ بمكة، ومحمد ابن حرب المدينى بالفسطاط قالا: حدثنا إسماعيل ابن أبى أويس قال حدثنى أبى عن هشام بن عروة عن أبىه عن عائشة رضى الله عنها. قال أبو أويس: وحدثنى أيضاً عبد الله بن أبى بكر عن عمرة عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين أزواجه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه، فخرج سهم عائشة فى غزوة النبى ﷺ بنى المصطلق من خزاعة، وذكر الحديث بطوله بمثل معناه.

وقال عروة فى سؤال رسول الله ﷺ بريدة عن عائشة قال: فانتهرها بعض أصحابه، وقال: اصدقى رسول الله ﷺ قال عروة فعيب ذلك على من قاله، فقالت: لا والله ما أعلم عليها إلا ما يعلم الصائغ على تير الذهب الأحمر، ولئن كانت صنعت ما قال الناس ليخبرنك الله، فعجب الناس من فقهما.

قال: وبلغ ذلك الذى قيل له، فقال: سبحان الله، والله ما كشفت كنف أنثى قط، فقتل

شهيداً فى سبيل الله وزاد فى آخره : قالت : وقعد صفوان بن المعطل لحسان بن ثابت ، فضربه ضربة بالسيف ، وقال حين ضربه :

تلق ذباب السيف عنى فإننى      غلام إذا هُجيت لست بشاعر  
ولكننى أحمى حمى وأنتقم      من الباهت الرامى البراء الطواهر

وصاح حسان بن ثابت ، واستغاث بالناس على صفوان ، ففر صفوان ، وجاء حسان النبى ﷺ ، فاستعدى على صفوان فى ضربته إياه ، فسأله النبى ﷺ أن يهب له ضرب صفوان إياه ، فوهبها للنبى ﷺ ، فعوضه منها حائطاً من نخل عظيم وجارية رومية ، ثم باع حسان ذلك الحائط من معاوية بن أبى سفيان فى ولايته بمال عظيم . قالت عائشة : فقيل فى أصحاب الإفك أشعار :

فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه لمسطح فى رميه عائشة رضى الله عنها ، وكان يدعى عوقاً :

يا عوف ويحكم هلا قلت عارفه      من الكلام ولم تبغ به طمعا  
وأدركتك حميا معشراً أنفا      ولم تكن قاطعاً فى عوف مقتطعا  
لما رميت حصانا غير مقرفة      أمينة الجيب لم تعرف له خضعا  
فيمن رماها وكنتم معشر إفكا      فى سىء القول من لفظ الخنا شرعا  
فأنزل الله عنذراً فى براءتها      وبين عوف وبين الله ما صنعا  
فإن أعش أجز عوقاً فى مقاته      شر الجزاء بما ألفتيه تبعا

وقال حسان بن ثابت الأنصارى ثم النجارى وهو يبرئ عائشة مما قيل فيها ويعتذر إليها :

حصان رزان ما تُزَنُّ بريبة      وتُصبح غرثى من لحوم الغوافل  
حليمة خير الناس ديناً ومنصباً      نبى الهدى والمكرمات الفواضل  
عقيلة حى من لؤى بن غالب      كرام المساعى مجدها غير زائل  
مهذبة قد طيب الله خيمها      وطهرها من كل شين وباطل  
فإن كان ما بُلِّغْتَ أنى قلته      فلا رفعت سوطى إلى أناملى  
وإن الذى قد قيل ليس بلائط      بك الدهر بل قول امرئ غير ماحل  
فكيف وودى ما حييت ونصرتى      لآل رسول الله زين المحافل  
له رتب عال على الناس فضلها      تقاصر عنها سورة المتناول

قال : وأمر النبى ﷺ بالذين رموا عائشة رضى الله عنها فجلدوا الحدود جميعاً ثمانين

ثمانين . فقال حسان بن ثابت :

لقد ذاق عبد الله<sup>(١)</sup> الذي كان أهله  
تعاطوا برجم الغيب زوج نبيهم  
وآذوا رسول الله فيها فجللوا  
فصب عليهم مُحَصَّدات كأنها  
وحمنة إذ قالوا هجيراً ومسطح  
وسخطة ذى العرش<sup>(٢)</sup> الكريم فأبرحوا  
مخازى تبقى عُمَّمُوها وفضحوا  
شآبيب قطر من ذرى المزن تسفح

فهذا سبب نزول الآية وقصتها فأما التفسير: فقوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾  
بالكذب. ﴿عُصْبَةٌ﴾ جماعة.

﴿مِنْكُمْ﴾ قال الفراء: العصبة الجماعة من الواحد إلى الأربعين.  
﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ﴾ يا عائشة، وصفوان. ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لأن الله يأجركم على  
ذلك ويظهر براءتكم. ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ﴾ يعنى من الذين جاءوا بالإفك. ﴿مَا أَكْتَسَبَ مِنْ  
الْإِثْمِ﴾ حراماً اجترح من الذنب والمعصية.

﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾ والذي يحمل معظمه فبدأ الخوض فيه، وقراءة العامة ﴿كِبْرَهُ﴾ بكسر  
الكاف وقرأ حميد، والأعرج، ويعقوب الحضرمي بضم الكاف.

قال أبو عمرو بن العلاء: هو خطأ لأن الكُبر بضم الكاف فى الولاء والسن، ومنه الحديث:  
«الولاء للكُبر». وهو أكبر ولد الرجل من الذكورة وأقربهم إليه نسباً.

وقال الكسائى: هما لغتان مثل صفر وصُفر. واختلف المفسرون فى المعنى بقوله: ﴿وَالَّذِي  
تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

فقال قوم: هو حسان بن ثابت.

روى داود بن أبى هند عن عامر الشعبي: أن عائشة رضى الله عنها قالت: ما سمعت بشيء

أحسن من شعر حسان وما تمثلت به إلا رجوت له الجنة قوله لأبى سفيان.

هجوت محمداً فأجبت عنه  
فإن أبى ووالدتى وعرضى  
أشتمته ولست له بكفو  
لسانى صارم لا عيب فيه  
وعند الله فى ذاك الجزاء  
لعرض محمد منكم وقاء  
فشركما بخيركما الفداء  
ويجرى لا تكدره الدلاء  
فقيل يا أم المؤمنين أليس الله يقول: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾؟

(١) فى تفسير القرطبي: حسان.

(٢) فى المخطوط: الرب، والتصويب من تفسير القرطبي.

قالت: أليس قد أصابه عذاب عظيم؟ أليس قد ذهب بصره، وكنع بالسيف. وروى أبو الضحى عن مسروق قال: كنت عند عائشة، فدخل حسان بن ثابت، فأمرت فألقى له وسادة، فلما خرج قلت لعائشة: تدعين هذا الرجل يدخل عليك، وقد قال ما قال؟! وأنزل الله سبحانه فيه: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾؟ فقالت: وأى عذاب أشد من العمى، ولعل الله يجعل ذلك العذاب العظيم ذهاب بصره. وقالت: إنه كان يدفع عن رسول الله ﷺ.

وقال آخرون: بل هو عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه.

روى ابن أبي مليكة عن عروة عن عائشة قالت في حديث الإفك: ثم ركبت وأخذ صفوان بالزمام فمررنا بملأ من المنافقين، وكانت عادتهم أن ينزلوا متبذنين من الناس. فقال عبد الله بن أبي بن سلول رئيسهم: من هذه؟ قالوا: عائشة. قال: والله ما نجت منه، ولا نجا منها، وقال: امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت، ثم جاء يقودها. وشرع فى ذلك أيضاً حسان، ومسطح وحمئة، فهم الذين تولوا كبره، ثم فشا ذلك فى الناس.

﴿أُولَآءِ﴾ هلا. ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِنَّ﴾ ياخوانهم ﴿خَيْرًا﴾. قال الحسن: بأهل دينهم لأن المؤمنين كنفس واحدة. نظيره قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ (النساء: ٢٩) وقوله: ﴿فَسَلِمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ﴾ (النور: ٦١).

قال بعض أهل المعانى: تقدير الآية: هلا ظننتم كما ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً. وقيل: أراد بأنفسهم أهاليهم وأزواجهم. وقالوا: أراد بهذه الآية أبا أيوب الأنصارى وامرأته أم أيوب.

روى محمد بن إسحاق بن يسار عن رجاله: أن أبا أيوب خالد بن يزيد قالت له امرأته أم أيوب: يا أبا أيوب أما تسمع ما يقول الناس فى عائشة؟!

قال: بلى، وذلك الكذب أكنت غافلة عن ذلك يا أم أيوب؟!

قالت: لا والله ما كنت لأفعله. قال: فعائشة والله خير منك، سبحانه الله هذا بهتان عظيم. فأنزل الله سبحانه: ﴿أُولَآءِ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ﴾ الآيات، أى كما فعل أبو أيوب وصاحبه، وكما قالوا.

وقوله: ﴿وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ أى كذب بين. ﴿أُولَآءِ جَاءَ وَعَلَيْهِمْ أَرْبَعَةٌ شُهَدَاءُ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ فَأُولَآئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمتكم فى ما أفضتكم خضتم. ﴿فِيهِ﴾ من الإفك. ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ إذ تلقونه بالسنيكم تأخذونه ويرويه

بعضكم عن بعض وقرأ أباي: تلتقونه، بتائين. وقرأت عائشة: تلقونه، بكسر اللام، وتخفيف القاف، من الكذب والولق والألق، والألق والليق: الكذب. قال الخليل: أصل الولق السرعة وأنشد

❖ جاءوا بأسراب من الشام تلق ❖

أى تسرع. يقال: ولق فلان في السير فهو يلق فيه، إذا استمر وأسرع فيه. فكان معنى قراءة عائشة: إذ تستمرون في إفككم.

وقرأ محمد بن السميعة: إذ تُلْقُونَهُ، من الإلقاء، نظيره ودليله قوله سبحانه: ﴿قَالُوا إِنِّيهِمُ الْقَوْلُ﴾ (النحل: ٨٦) الآية.

﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَتَظُنُّونَهُ سَهْلًا. ﴿وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ وَأُولَآئِكَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قَالُوا مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ﴾ يحتمل التنزيه والتعجب.

﴿هَذَا بَهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾ يَعِظُكُمْ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا ﴿أى ينهاكم ويخوفكم أن تعودوا. وقيل: يعظكم الله كيلا تعودوا. ﴿لِمَثَلِهِ﴾ إلى مثله. ﴿أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ وَيَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ ﴿بأمر عائشة، وصفوان. ﴿حَكِيمٌ﴾ حكم ببراءتهما.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ﴾ تظهر، وتفشو، وتديع. ﴿الْفَحِشَةَ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ يعنى عبد الله بن أبى بن سلول وأصحابه المنافقين.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ كذبهم. ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ وَأُولَآئِكَ فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ، وَأَنَّ اللَّهَ رَعُوفٌ رَحِيمٌ ﴿فيه إضمار، لعاجلكم بالعقوبة.﴾

❖ ❖ ❖

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَأُولَآئِكَ فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ، مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ وَلَا يَأْتِلْ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا



يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوفِيهِمُ اللَّهُ دِيْنَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ الْحَخِيثَاتُ  
لِلْحَخِيثَيْنِ وَالْحَخِيثُونَ لِلْحَخِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ  
مِمَّا يَقُولُونَ لَّهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾

﴿٢٤﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ  
وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا ﴿٢٥﴾ صلح وطهر من هذا الذنب. وقرأ ابن محيصر،  
ويعقوب: زكى، بالتشديد أى طهر. دليلهما قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي ﴿٢٦﴾ يطهر.  
﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ من الإثم والذنب بالرحمة والمغفرة. ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

أخبرنى الحسين بن محمد بن فنجويه قال حدثنا عبد الله بن يوسف بن أحمد بن مالك قال  
حدثنا على بن زنجويه قال حدثنا سعيد بن سيف التميمى قال حدثنا غالب بن تميم السعدى قال  
حدثنا خالد بن جميل عن موسى بن عقبة المدينى عن أبى روح الكلبى عن جبير بن نفير  
الحضرمى عن أبى الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «أما رجل شد عضد امرئ من الناس فى  
خصومة لا علم له بها فهو فى ظل سخط الله سبحانه حتى ينزع، وأما رجل حال فى شفاعة  
دون حد من حدود الله تعالى أن يقام فقد كابد الله حقاً وحرص على سخطه وأن عليه لعنة  
تتابع إلى يوم القيامة، وأما رجل أشاع على رجل مسلم كلمة وهو منها برىء يريد أن يشينه بها  
فى الدنيا كان حقاً على الله أن يذيه بها فى النار». وأصله فى كتاب الله سبحانه ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ  
أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾ (النور: ١٩) الآية.

﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ ولا يحلف. هذه قراءة العامة، وهو يفتعل من الألية وهى جمع القسم. وقال  
الأخفش: وإن شئت جعلته من قول العرب ما ألوت جهدى فى شأن فلان أى ما تركته. وقرأ  
أبورجاء العطاردى، وأبو مجلز السدوسى، وأبو جعفر وزيد بن أسلم: ولا يتأل، بتقديم  
التاء، وتأخير الهزمة، وهو ينفعل من الألية والألو.

﴿أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ يعنى أبو بكر الصديق. ﴿أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ  
وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يعنى مسطحاً وكان مسكيناً، مهاجراً، بدرياً، وكان ابن خالة أبى بكر  
رضى الله عنه.

﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾ عنهم خووضهم فى أمر عائشة.

وروت أسماء بنت يزيد، أن النبى ﷺ قرأ: «ولتعفوا ولتصفحوا»، بالتاء.

﴿أَلَا تَحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فلما قرأها رسول الله ﷺ على أبى بكر قال:

بلى أنا أحب أن يغفر الله لى ورجع إلى مسطح نفقته التى كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً.

وقال ابن عباس والضحاك: أقسم ناس من الصحابة منهم أبو بكر ألا يتصدقوا على رجل تكلم بشيء من الإفك، ولا ينفقونهم، فأنزل الله سبحانه هذه الآية.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْعَفْلَاتِ﴾ عن الفواحش و عما قذفن به كغفلة عائشة عما فيها. ﴿الْمُؤْمِنَاتِ لِمُنْأَىٰ عَذْبُوا.﴾ فى الدنيا بالجلد، وفى الآخرة بالنار. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ واختلف العلماء فى حكم الآية. فقال قوم: هى لعائشة وأزواج النبى ﷺ خاصة دون سائر المؤمنات.

أخبرنى الحسين بن محمد بن الحسين قال حدثنا هارون بن محمد بن هارون قال حدثنا محمد بن عبد العزيز قال حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني قال: حدثنا هشيم عن العوام بن حوشى قال حدثنا شيخ من بنى كاهل قال: فسّر ابن عباس سورة النور، فلما أتى على هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْعَفْلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ إلى آخر الآية، قال: هذه فى شأن عائشة زوج النبى ﷺ خاصة، وهى متهمة، ليس فيها توبة، ومن قذف امرأة مؤمنة فقد جعل الله سبحانه له توبة، ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءِ﴾ (النور: ٤) إلى قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ (النور: ٥) جعل لهؤلاء توبة، ولم يجعل لأولئك توبة. قال: فهم رجل أن يقوم فيقبل رأسه من حسن ما فسره.

وقال آخرون: نزلت هذه الآية فى أزواج النبى ﷺ، فكان ذلك كذلك حتى نزلت الآية التى فى أول السورة: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءِ﴾ (النور: ٤) إلى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (النور: ٥) فأنزل الله الجلد والتوبة، فالتوبة تقبل، والشهادة تُرد.

وأخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا ابن حيان قال: حدثنا إسحاق بن محمد قال: حدثنا أبى قال: حدثنا إبراهيم بن عيسى قال حدثنا على بن على عن ابن حمزة الشمالى قال: بلغنى أنها نزلت فى مشركى أهل مكة إذا كان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد، فكانت المرأة إذا خرجت إلى رسول الله ﷺ إلى المدينة مهاجرة، قذفها المشركون من أهل مكة، وقالوا: إنما خرجت تفجر.

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ﴾ قراءة العامة بالتاء. وقرأ أهل الكوفة إلا عاصماً بالياء لتقدم الفعل. ﴿السَّائِئَةِ﴾. وهذا قبل أن يختم على أفواههم. وقيل: معناه: تشهد السنة بعضهم على بعض. ﴿وَأَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فى الدنيا. ﴿يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمْ﴾ جزاؤهم

وحسابهم. ﴿الْحَقُّ﴾ قراءة العامة بنصب القاف. وقراءة مجاهد: الحقُّ، بالرفع على نعت الله سبحانه، وتصديقه قراءة أبيّ: يوفيهم الله الحق دينهم.

﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ بين لهم حقيقة ما كان يعدهم في الدنيا.

﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾ قال أكثر المفسرين: الخبيثات من القول للخبيثين من الناس. ﴿وَالْخَبِيثُونَ﴾ من الناس. ﴿لِلْخَبِيثَاتِ﴾ من القول. ﴿وَالطَّيِّبَاتُ﴾ من القول. ﴿لِلطَّيِّبِينَ﴾ من الناس. ﴿وَالطَّيِّبُونَ﴾ من الناس. ﴿لِلطَّيِّبَاتِ﴾ من القول.

وقال ابن زيد ﴿الْخَبِيثَاتُ﴾ من النساء ﴿لِلْخَبِيثِينَ﴾ من الرجال، و﴿وَالْخَبِيثُونَ﴾ من الرجال ﴿لِلْخَبِيثَاتِ﴾ من النساء، و﴿الطَّيِّبَاتُ﴾ من النساء ﴿لِلطَّيِّبِينَ﴾ من الرجال، و﴿الطَّيِّبُونَ﴾ من الرجال ﴿لِلطَّيِّبَاتِ﴾ من النساء. ﴿أُولَئِكَ﴾ يعنى عائشة، وصفوان، فذكرهما بلفظ الجمع كقوله: ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾ (النساء: ١١) والمراد أخوان.

﴿مَبْرُؤُونَ﴾ منزهون. ﴿مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.

أخبرنا أبو نصر النعمان بن محمد بن النعمان الجرجاني بها قال أخبرنا محمد بن عبد الكريم الباهلي قال حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن سفيان الترمذي قال حدثنا بشر بن الوليد الكندي قال حدثنا عمر أبو حفص عن سليمان الشيباني عن علي بن زيد بن جدعان عن جدته عن عائشة أنها قالت: لقد أعطيت تسعاً ما أعطيت امرأة: لقد نزل جبريل عليه السلام بصورتي في راحته حين أمر رسول الله ﷺ أن يتزوجني، ولقد تزوجني بكرةً وما تزوج بكرةً غيري، ولقد توفي وإن رأسه لفي حجرى، ولقد قُبر في بيتى، ولقد حفت الملائكة في بيتى، وإن كان الوحي لينزل عليه في أهله فيتفرقون عنه، وإن كان لينزل عليه وأنا معه في لحافه، وإنى لابنة خليفته وصديقه، ولقد نزل عذرى من السماء، ولقد خلقت طيبة وعند طيب، ولقد وعدت مغفرة ورزقاً كريماً.



﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ آرْجِعُوا فَآرْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا

تَكْمُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَرَاكَ اللَّهُ خَيْرٌ  
بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿١٠١﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ  
إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ  
آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَاءِهِنَّ  
أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا  
عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنَ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ  
الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ أخبرني الحسين بن محمد بن فنجويه قال  
حدثنا عبد الله بن يوسف قال حدثنا الحسين بن زنجويه قال حدثنا عمرو بن ثور، وإبراهيم بن  
أبي سفيان قال: حدثنا محمد بن يوسف الفريابي قال حدثنا قيس عن أشعث بن سوار عن  
عدي بن ثابت قال: جاءت امرأة من الأنصار فقالت: يا رسول الله إنني أكون في بيتي على  
حال لا أحب أن يراني عليها أحد والد ولا ولد، فيأتي الأب فيدخل عليّ، وإنه لا يزال يدخل  
عليّ رجل من أهلي وأنا على تلك الحال، فكيف أصنع؟ فنزلت هذه الآية: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا  
لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾ الآية.  
فقال بعض المفسرين: ﴿تَسْتَأْذِنُوا﴾ أي تستأذِنوا.

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: إنما هو حتى تستأذِنوا ولكن أخطأ الكاتب.  
وكان أبي بن كعب، وابن عباس، والأعمش يقرءونها كذلك: حتى تستأذِنوا. وقال في الآية  
تقديم وتأخير، تقديرها حتى تسلموا على أهلها وتستأذِنوا. وكذلك هو في مصحف ابن  
مسعود. وهو أن يقول السلام عليكم، أَدْخَلَ؟

وروى يونس بن عبيد عن عمرو بن سعيد الثقفي أن رجلاً استأذِنَ على رسول الله ﷺ  
فقال: أألج؟ فقال النبي ﷺ لامرأة يقال لها روضة: «قومي إلى هذا فعلمي، فإنه لا يحسن  
يستأذِنَ فقولِي له يقول: السلام عليكم، أَدْخَلَ؟ فسمعا الرجل، فقالتا، فقال: ادخل.  
وقال مجاهد والسدي: هو التنحنح والتنخم.

روى الأعمش عن عمرو بن مرة عن يحيى الجزار عن ابن أخى زينب امرأة ابن مسعود عن  
زينب قالت: كان عبد الله إذا جاء من حاجة فأنتهى إلى الباب تنحنح وبزق كراهية أن يهجم

منها على أمر يكرهه .

عن عكرمة : هو التسبيح والتكبير ونحو ذلك .

أخبرني أبو عبد الله بن فنجويه قال حدثنا أبو بكر بن خريجة قال حدثنا محمد بن سليمان الحضرمي قال حدثنا عبد الله بن عمر بن أبان قال حدثنا عبد الرحمن بن سليمان عن واصل بن السائب عن أبي أيوب الأنصاري قال : قلنا يا رسول الله ، ما الاستئناس يريد قول الله سبحانه : ﴿ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ﴾ ؟ قال : « يتكلم الرجل بالتكبيرة والتسيحة والتحميدة يتنحح يؤذن أهل البيت » .

وقال الخليل : الاستئناس الاستبصار من قوله : ﴿ ءَأَنْتُمْ نَارًا ﴾ (طه : ١٠) .

وقال أهل المعاني : الاستئناس طلب الأئس ، وهو أن ينظر هل في البيت أحد ويؤذنه أنه داخل عليهم ، تقول العرب : اذهب فاستأنس هل ترى أحداً في الدار؟ أى انظر هل ترى فيها أحداً؟

ويروى أن أبا موسى الأشعري أتى منزل عمر بن الخطاب رضى الله عنهما فقال : السلام عليكم أأدخل؟

فقال عمر : واحدة . فقال أبو موسى : السلام عليكم أأدخل؟ فقال عمر : ثنتان . قال أبو موسى : السلام عليكم أأدخل؟ ومر فوجه عمر بن الخطاب رضى الله عنه خلفه من رده فسأله عن صنيعه . فقال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الاستئذان ثلاثة فإن أذنوا وإلا فارجع » .

فقال عمر : لتأتيني بالبينة أو لأعاقبك . فانطلق أبو موسى فأتاه بمن يسمع ذلك معه .

وعن عطاء بن يسار أن رجلاً قال للنبي ﷺ . أستاذن على أمي؟ قال : « نعم » . قال : إنها ليس لها خادم غيري أفأستاذن عليها كلما دخلت؟ قال . « أتحب أن تراها عريانة » . قال الرجل : لا ، قال : « فاستأذن عليها » .

وأخبرني الحسين بن محمد بن علي قال حدثنا عبد الله بن محمد بن وهب قال حدثنا محمد ابن حميد قال حدثنا جرير بن عبد الحميد عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « من اطلع في بيت بغير إذنهم فقد حل لهم أن يفقتوا عينه » .

وأخبرني ابن فنجويه قال حدثنا ابن شبة قال حدثنا الحضرمي قال حدثنا أبو بكر قال حدثنا ابن عيينة عن الزهري سمع سهل بن سعد يقول : اطلع رجل في حجرة من حجر النبي ﷺ ، ومعه مدرى يحك بها رأسه ، فقال : « لو أعلم أنك تنظر لطعنت به في عينك إنما الاستئذان من

أجل النظر».

﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا﴾ أى فى البيوت. ﴿أَحَدًا﴾ يأذن لكم فى دخولها. ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ آرْجِعُوا فَآرْجِعُوا﴾ ولا تقفوا على أبوابهم ولا تلازموها. ﴿هُوَ﴾ أى الرجوع. ﴿أَزْكَىٰ﴾ أظهر وأصلح. ﴿لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾.

فلما نزلت هذه الآية قال أبو بكر: يا رسول الله أرأيت الخانات والمساكن فى طريق الشام ليس فيها ساكن؟ فأنزل الله سبحانه: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾ بغير استئذان. ﴿فِيهَا مَتَاعٌ﴾ منفعة. ﴿لَكُمْ﴾. واختلفوا فى هذه البيوت ما هى؟ فقال قتادة: هى الخانات والبيوت المبنية للسابلة لياؤوا إليها ويؤوا أمتعتهم إليهم.

قال مجاهد: كانوا يضعون بطريق المدينة أقتاباً وأمتعة فى بيوت ليس فيها أحد، وكانت الطرق إذ ذاك آمنة، فأحل لهم أن يدخلوها بغير إذن.

قال محمد بن الحنفية: هى بيوت مكة. قال الضحاك: الخربة التى يأوى المسافر إليها فى الصيف والشتاء وقال عطاء: هى البيوت الخربة، والمتاع: هو قضاء الحاجة فيها من الخلاء والبول. وقال ابن زيد: بيوت التجار وحوانيتهم التى بالأسواق. وقال ابن جرير جميع ما يكون من البيوت التى لا ساكن لها على العموم لأن الاستئذان إنما جاء لئلا يهجم على ما لا يحب البيوت التى لا ساكن لها على العموم، لأن الاستئذان إنما جاء لئلا يهجم على ما لا يجب من العورة، فإذا لم يخف ذلك فلا معنى للاستئذان.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا يَكْفُوا. ﴿مِنْ أَبْصَرِهِمْ﴾ عن النظر إلى ما لا يجوز. واختلفوا فى قوله: ﴿مِنْ﴾. فقال بعضهم: هو صلة أى يغضوا أبصارهم. وقال الآخرون: هو ثابت فى الحكم لأن المؤمنين غير مأمورين بغض البصر أصلاً، وإنما أمروا بالغض عما لا يجوز.

﴿وَيَحْفَظُوا أَرْجُوحَهُمْ﴾ عما لا يحل، هذا قول أكثر المفسرين.

وقال ابن زيد: كل ما فى القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا إلا فى هذا الموضع فإنه أراد الاستتار، يعنى ويحفظوا فروجهم حتى لا ينظر إليها.

ودليل هذا التأويل إسقاط من ﴿ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ﴾ عليهم ﴿بِمَا يَصْنَعُونَ﴾.

أخبرنى ابن فنجويه فى دارى قال حدثنا عبد الله بن يوسف بن أحمد بن مالك قال حدثنا الحسن بن على بن زكريا قال حدثنا أبو الربيع الزهرانى قال حدثنا إسماعيل بن جعفر قال حدثنا عمرو بن أبى عمرو عن المطلب بن حنطب عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ

قال: «اضمنوا لى ستاً من أنفسكم اضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا ما ائتمتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم».

وأخبرنى ابن فنجويه قال حدثنا ابن شيبه قال حدثنا الحضرمى قال حدثنا عبد الوارث قال حدثنا أبى قال حدثنا عنبسة بن عبد الرحمن قال حدثنا أبو الحسن أنه سمع على بن أبى طالب رضى الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «النظر إلى محاسن المرأة سهم من نبال إبليس مسموم، فمن رد بصره ابتغاء ثواب الله عز وجل أبدله الله بذلك عبادة تسره».

وأخبرنى ابن فنجويه قال حدثنا ابن شنبه قال حدثنا الحضرمى قال حدثنا سهل بن صالح الأنطاكى قال: حدثنا أبو داود قال: حدثنا أبان بن يزيد عن يحيى ابن أبى كثير عن أبى جعفر عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «بينما رجل يصلى إذ مرت به امرأة فنظر إليها وأتبعها بصره، فذهبت عيناه»<sup>(١)</sup>.

﴿وَقُلْ لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ عما لا يجوز. ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ عما لا يحل. وقيل: ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ أى يسترنها حتى لا يراها أحد.

﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ ولا يظهرن لغير محرم زينتهن. وهما زينتان: إحداهما ما خفى: كالخلخالين، والقرطين، والقلائد، والمعاصم، ونحوها والأخرى: ما ظهر منها، واختلف العلماء فى الزينة الظاهرة التى استثنى الله سبحانه ورضخ فيها. فقال ابن مسعود: هى الثياب، وعنه أيضاً: الرداء. ودليل هذا التأويل قوله سبحانه: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ (الأعراف: ٣١) أى ثيابكم. وقال ابن عباس وأصحابه: الكحل والخاتم والسوار والحضاب. وقال الضحاك، والأوزاعى: الوجه والكفان. وقال الحسن: الوجه والثياب.

روت عائشة عن النبى ﷺ أنه قال: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر إذا عركت أن تظهر إلا وجهها ويدها إلى ها هنا». وقبض على نصف الذراع. وإنما رخص الله سبحانه، ورخص رسوله فى هذا القدر من بدن المرأة أن تبديها لأنه ليس بعورة. فيجوز لها كشفه فى الصلاة وسائر بدنها عورة فيلزمها ستره.

﴿وَالْيَضْرِبِينَ﴾ وليلقين ﴿بِخُمْرِهِنَّ﴾ أى بمقانعهن، وهى جمع الخمار، وهو غطاء رأس المرأة. ﴿عَلَى جُوبِهِنَّ﴾ وصدورهن، ليسترن بذلك شعورهن، وأقرطهن وأعناقهن..

قالت عائشة: يرحم الله النساء المهاجرات الأول، لما أنزل الله سبحانه هذه الآية شققن

(١) هذا حديث إسناده ضعيف حيث إن يحيى بن أبى كثير، أبو نصر الطائى العطار كان يدلس وقد عنعن الحديث، فلا يعتبر بما فى متن الخبر حيث لم يصح عن رسول الله ﷺ.

أكتف مروطن فاختمرن به .

﴿وَلَا يَدِينُ زَيْنُنَ﴾ الحفية التى أمرن بتغطيتها ولم يبح لهن كشفها فى الصلاة وللأجنيبين ، وهى ماعدا الوجه والكفين وظهور القدمين . ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾ أى نساء المؤمنين ، فلا يحل لامرأة مسلمة أن تتجرد بين يدي امرأة مشركة إلا أن تكون أمة لها ، فذلك قوله سبحانه : ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ .

عن ابن جريج روى هشام بن الغار عن عبادة بن نسي أنه كره أن تقبل النصرانية المسلمة ، أو ترى عورتها ، ويتأول ﴿أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾ .

وقال عبادة : كتب عمر بن الخطاب إلى أبى عبيدة بن الجراح : أما بعد ، فقد بلغنى أن نساء يدخلن الحمامات معهن نساء أهل الكتاب ، فامنع ذلك وحل دونه .

قال : ثم إن أبا عبادة قام فى ذلك المقام مبتهلاً : اللهم أيما امرأة تدخل الحمام من غير علة ولا سقم تريد البياض لوجهها فسود وجهها يوم تبيض الوجوه .

وقال بعضهم : أراد بقوله ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ مماليكهن وعبيدهن ، فإنه لا بأس عليهن أن يظهرن لهم من زينتهن ما يظهرن لذوى محارمهن .

﴿أَوِ التَّبَعِينَ غَيْرَ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ﴾ وهم الذين يتبعونكم ليصييوا من فضل طعامكم ولا حاجة لهم فى النساء ولا يستهونهن .

قال ابن عباس : هو الذى لا تستحى منه النساء . وعنه : الأحمق العنين .

وقال مجاهد : الأبله الذى لا يعرف شيئاً من النساء . وقال الحسن : هو الذى لا ينتشر .

وقال سعيد بن جبير : المعتوه . وقال عكرمة : المحبوب . وقال الحكم بن أبان عنه : هو الخنث الذى لا يقوم ذكره .

روى الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رجل يدخل على أزواج النبى ﷺ مخنث ، وكانوا يعدونه من غير أولى الإرية فدخل النبى ﷺ يوماً وهو عند بعض نسائه ، وهو ينعت امرأة ، فقال : إنها إذا أقبلت أقبلت بأربع ، وإذا أدبرت أدبرت بثمان .

فقال النبى ﷺ : «لا أرى هذا يعلم ما ههنا لا يدخلن هذا عليكم» . فحجبه .

قال ابن زيد هو الذى يتبع القوم حتى كأنه منهم ونشأ فيهم . وليس له فى نسائهم إرية إنما يتبعهم لإرفاقهم إياه . والإرية والإرب : الحاجة . يقال : أربت إلى كذا ، أرب إرباً إذا احتجت إليه . واختلف القراء فى قوله : ﴿غَيْرِ﴾ فنصبه أبو جعفر ، وابن عامر ، وعاصم برواية أبى بكر ،



والمفضل . وله وجهان :

أحدهما : الحال والقطع لأن ﴿التَّابِعِينَ﴾ معرفة ، و﴿غَيْرِ﴾ نكرة .

والآخر : الاستثناء ، ويكون ﴿غَيْرِ﴾ بمعنى إلا . وقرأ الباقون بالخفض على نعت ﴿التَّابِعِينَ﴾ . ﴿أَوِ الْوَالِدِ الَّذِي يُرِيظُهَا عَلَى عَوْرَتِ النِّسَاءِ﴾ أى لم يكشفوا عن عورات النساء لجماعهن فيطلعوا عليها . والطفل يكون واحداً وجمعاً .

﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ﴾ يعنى ولا يحركنها إذا مشين . ﴿لِيَعْلَمَ مَا يَخْفَيْنَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ يعنى الخللخال والحلى . ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا﴾ من التقصير الواقع فى أمره ونهيه . وقيل معناه : وراجعوا طاعة الله فيما أمركم ونهاكم من الآداب المذكورة فى هذه السورة .

﴿أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾



﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ إن يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضلهم والله واسع عليم ﴿وَلَيْسَتَعْتَفِبِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ وَلَا تَكْرَهُوا قَيْدَئِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لَتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ ءَايَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا لِّلَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾

﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ﴾ أى زوجوا أيها المؤمنون من لاوزج له من أحرار رجالكم ونسائكم . ﴿وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ وقرأ الحسن : من عبيدكم . والآيى : جمع الأيم وهو من لاوزج له من رجل وامرأة ، يقال : رجل أيم ، وامرأة أيم وأيمة ، والفعل منه أمت المرأة ، تأيم أيمة وأيوماً وتأيمت تأيماً قال الشاعر :

الم تر أن الله أظهر دينه      وسعد بباب القادسية معصم  
فأبنا وقد أمت نساء كثيرة      ونسوة سعد ليس منهن أيم

وقال آخر :

فإن تنكحى أنكح وإن تتأيمى      وإن كنت أفتى منكم أتأيم

فسر بعض الفقهاء الآية على الحتم والإيجاب . فأوجب النكاح على من استطاعه . وتأولها

الباقون على الندب والاستحباب، وهو الصحيح المشهور والذي عليه الجمهور.  
قال الشافعي رضى الله عنه . واجب للرجل والمرأة أن يتزوجا إذا تآقت أنفسهما إليه لأن الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه أمر به، ورضيه، وندب إليه، وبلغنا أن النبي ﷺ قال: «تناكحوا تكثروا فإنى أباهى بكم الأمم حتى بالسقط» .  
وقال عليه السلام: «من أحب فطرتى فليستن بسنتى، وهى النكاح». ويقال: إن الرجل ليرفع بدعاء ولده من بعده.

قال الشافعي: ومن لم تتق نفسه إلى ذلك، فأحب إلى أن يتخلى لعبادة الله عز وجل .  
وذكر الله سبحانه القواعد من النساء، وذكر عبداً أكرمه فقال عز من قائل: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ (آل عمران: ٣٩) والحصور الذى لا يأتى النساء ولم يندبهم إلى النكاح فدل أن المندوب إليه من يحتاج إليه .

### باب ذكر بعض ما ورد من الأخبار فى الترغيب فى النكاح

أخبرنا أحمد بن أبي قال أخبرنا عبد الله بن إسحاق الجرجاني قال حدثنا أبو حامد محمد بن هارون الحضرمي قال حدثنا محمد بن يحيى الأزدي قال حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري قال أخبرنا أشعث عن الحسن عن سمرة: أن النبي ﷺ نهى عن التبتل<sup>(١)</sup>.

وأخبرني الحسين بن محمد بن الحسين الحديثي قال حدثنا محمد بن علي بن الحسن الصوفي قال حدثنا محمد بن صالح بن ذريح قال حدثنا جبارة بن المغلس قال حدثنا جندل عن ابن جريج عن أبي المغلس عن أبي نجيح السلمى قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان له ما يتزوج به فلم يتزوج فليس منا» .

وأخبرني الحسين بن محمد قال حدثنا مخلد بن جعفر الباقرجي قال حدثنا أحمد بن يعقوب المقرئ ابن أخى عوف قال حدثنا جبارة بن المغلس قال حدثنا مندل عن يحيى بن عبد الرحمن ابن لبيبة عن أبيه عن جده قال: قال النبي ﷺ: «من أدرك له ولد وعنده ما يزوجه فلم يزوجه فأحدث فالإثم بينهما» .

أخبرني الحسين قال حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدقاق قال حدثنا محمد بن عبد العزيز قال حدثنا أبو يوسف الصيدلاني قال حدثنا خالد بن إسماعيل عن عبيد الله عن صالح مولى (١) التبتل: هو ترك الزواج مع القدرة عليه من الناحية الصحية والمالية.

التومة قال: قال أبو هريرة: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد للقيت الله بزوجة سمعت رسول الله ﷺ يقول: «شراركم عزابكم»

وبإسناده عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا تزوج أحدكم عج الشيطان: يا ويله عصم ابن آدم منى بثلى دينه».

وأخبرني الحسين بن محمد قال حدثنا الفضل بن الفضل الكندي قال حدثنا أبو زكريا يحيى ابن علي بن خالد القطان قال حدثنا الحسين بن محمد قال حدثنا محمد بن ربيعة الكلابي قال حدثنا محمد بن ثابت العقيلي عن هارون بن رثاب عن أبي نجيح السلمى قال قال رسول الله ﷺ: «مسكين مسكين رجل ليست له امرأة، مسكينة امرأة ليس لها زوج».

قالوا: يا رسول الله، وإن كانت غنية من المال؟

قال: «وإن كانت غنية من المال».

وأخبرني الحسين قال حدثنا الفضل بن الفضل الكندي قال حدثنا عبد الله بن أحمد بن موسى قال حدثنا هشام بن عمار قال حدثنا حماد بن عبد الرحمن قال حدثنا خالد بن الزبير قال حدثنا سليمان بن حبيب عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «أربع لعنهم الله من فوق عرشه وأمنت عليه الملائكة: الذى يحصر نفسه عن النساء فلا يتزوج ولا يتسرى لثلا يولد له، والرجل يتشبه بالنساء وقد خلقه الله ذكراً، والمرأة تشبه بالرجل وقد خلقها الله أنثى، ومضلل المساكين».

قال خالد: يعنى الذى يهزأ بهم يقول: هلم أعطك، فإذا جاء يقول: ليس معى شىء، ويقول للمكفوف: اتق الدابة، وليس بين يديه شىء، والرجل يسأل عن دار القوم فيجهله.

وأخبرني أبو عبد الله بن فنجويه قال حدثنا أبو حذيفة أحمد بن محمد بن علي قال حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد السلام البيروتى قال حدثنى أحمد بن سعيد بن يعقوب قال أخبرنا بقية بن الوليد قال حدثنى معاوية بن يحيى عن سليمان بن موسى عن مكحول عن عفيف بن الحارث عن عطية بن بشر المازنى قال: أتى عكاف بن وداعة الهلالى إلى رسول الله ﷺ فقال: «يا عكاف ألك زوجة؟» قال: لا يا رسول الله، قال: «ولا جارية». قال: لا، قال: «وأنت صحيح موسر؟» قال: نعم والحمد لله.

قال: «فإنك إذاً من إخوان الشياطين، إما أن تكون من رهبان النصرارى، وإما أن تكون مؤمناً، فاصنع كما نضع فإن من سنتنا النكاح، شراركم عزابكم وأراذل موتاكم عزابكم ما للشيطان فى نفسه سلاح أبلغ من النساء إلا إن المتزوجين هم المطهرون المبرءون من الخنا، ويحك يا عكاف إنهن صواحب داود، وصواحب أيوب وصواحب يوسف عليهم السلام

وصواحب كرسف». .

قالوا: يا رسول الله، ومن كرسف؟

قال: «رجل كان يعبد الله على ساحل من سواحل البحر ثلاثين عاماً يصوم النهار، ويقوم الليل، لا يفتر من صيام ولا قيام فكفر بالله العظيم من سبب امرأة عشقها وترك ما كان عليه من عبادة ربه عز وجل، فتداركه الله سبحانه بما سلف منه، ويحك يا عكاف تزوج فإنك من المذنبين» .

قال: زوجني من شئت قبل أن أبرح، قال: «فإني قد زوجتك على اسم الله كريمة بنت كلثوم الحميري»<sup>(١)</sup> .

وأخبرني ابن فنجويه قال حدثنا محمد بن المظفر البزار قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن موسى بن النعمان بمصر قال حدثنا علي بن عبد الرحمن بن المغيرة قال حدثنا أبو صالح كاتب الليث قال حدثنا أبو يحيى بن قيس عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أتى على أمتي مائة وثمانون سنة فقد حلت العزبة والعزلة والترهب على رؤوس الجبال»<sup>(٢)</sup> .

### فصل فيمن تستحب وتختار من النساء

أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الله الثقفي بقراءتي عليه في دارى قال حدثنا موسى بن محمد بن علي بن عبد الله قال حدثنا أحمد بن محمد بن عبد العزيز بن الجعد قال حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري قال حدثنا عمر بن الوليد قال سمعت معاوية بن يحيى يحدث عن يزيد عن جبير بن نفيير عن عياض بن غنم الأشعري قال: قال لى رسول الله ﷺ: «يا عياض، لا تزوجن عجوزاً ولا عاقراً، فإنى مكاثراً» .

وأخبرني الحسين بن محمد قال حدثنا برهان بن علي الصوفى قال حدثنا أبو بكر مزك بن أحمد البرذعى قال حدثنا محمد بن عبد العزيز قال حدثنا إسحاق بن بشر الكاهلى قال حدثنا

(١) هذا إسناد لا يصح ولأن فيه سليمان بن موسى الأموى مولاهم أبو أيوب الدمشقى الأشدق فقيه أهل الشام فى زمانه وهو مع هذا القدر والمكانة من الفقه إلا أن فى إسناد أحاديثه كلاماً مع كونه ثقة فى نفسه فقد وصفوا أحاديثه بالنكارة والتفرد، ومن تكلم فيه أبو حاتم فقال: محله الصدق وفى حديثه بعض الاضطراب، وقال البخارى: عنده مناكير، وقال النسائى: أحد الفقهاء وليس بالقوى فى الحديث .

(٢) فى إسناداه أبو صالح كاتب الليث، وهو صدوق ولكنه كثير الغلط، وكانت فيه غفلة، وكان ثبتاً فى الكتابة، وهو: عبد الله بن صالح بن محمد بن مسلم الجهنى، المصرى كاتب الليث بن سعد توفى فى سنة (٢٢٢) .

عبد الله بن إدريس المدنى عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «تزوجوا الأبقار فإنهن أعذب أفواها وأنتج أرحاماً وأثبت مودة».

وإسناده قال قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد أحدكم أن يتزوج المرأة فليسأل عن شعرها كما يسأل عن وجهها، فإن الشعر أحد الجمالين».

وبه قال: قال رسول الله ﷺ: «تزوجوا الزرق فإن فيهن يمناً».

وأخبرنا الحسين بن محمد قال: حدثنا موسى بن محمد بن على بن عبد الله قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن وهب قال حدثنا عبدان بن عبد الله بن عبد الحكم قال حدثنا عبد الله بن صالح قال حدثنا محمد بن سليمان بن أبي كريمة قال حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضی الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ: «أعظم نساء أمتى بركة أصبحهن وجها وأقلهن مهراً».

### فصل فى الآداب الواردة فى النكاح والزفاف

أخبرنا أبو عمر الفراتى قال أخبرنا أبو موسى قال أخبرنا أبو على الشيبانى قال حدثنا محمد ابن رافع قال حدثنا يزيد بن هارون قال أخبرنا عيسى بن ميمون عن القاسم بن محمد عن عائشة رضی الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: «أعلنوا النكاح واجعلوه فى المساجد واضربوا عليها بالدفاف، وليولم أحدكم ولو بشاة».

وأخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه قال حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان وعبد الله بن يوسف قال حدثنا يوسف بن أحمد بن كركان القرماسينى قال حدثنا أبو الزنباع روح بن الفرج قال حدثنا أبو سلمة البصرى العتكى القاسم بن عمر قال حدثنا بشر بن إبراهيم الأنصارى عن الأوزاعى عن مكحول عن عروة عن عائشة رضی الله عنها قالت: حدثنى معاذ بن جبل قال: شهدت ملاك<sup>(١)</sup> رجل من الأنصار مع النبي ﷺ، فخطب النبي، وأملك الأنصارى ثم قال: «على الألفة والخير والطير الميمون ودفقوا على رأس صاحبكم». وأقبلت السلال فيها الفاكهة والسكر فتهب عليهم فأمسك القوم فلم يتهبوا، فقال رسول الله ﷺ: «ما أزين الحلم ألا تنتهبون؟! فقالوا يا رسول الله إنك نهيتنا عن النهبة يوم كذا وكذا. فقال رسول الله ﷺ: «إنما نهيتكم عن نهبة العساكر ولم أنهكم عن نهبة الولاثم».

(١) أى زواج.

ثم قال: ألا فاتهبوا، قال معاذ بن جبل: فوالله لقد رأيت رسول الله ﷺ يُجرّنا ونجرّره في ذلك النهاب.

وأخبرني الحسين بن محمد قال حدثنا عبد الله بن يوسف بن أحمد بن مالك قال حدثنا أبو العباس عبد الله بن أحمد بن حشيش البغدادي قال حدثنا عثمان بن معبد قال حدثنا عبد الله بن إبراهيم عن سفيان بن عامر العامري عن صافنة مولاتهم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مسوا بالإملاك فإنه أفضل في اليمن وأعظم في البركة».

وأخبرني الحسين بن محمد قال حدثنا طفران بن الحسين قال حدثنا أبو بكر بن أبي داود السجستاني قال حدثنا أحمد بن يوسف بن سالم الأزدي السلمي قال حدثنا حفص بن عبد الله عن إبراهيم ابن طهمان عن محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم عن إسحاق بن سهل بن أبي حنيفة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كانت عندي جارية من الأنصار في حجري فزوجتها، فدخل النبي ﷺ، فلم يسمع غناء، فقال: «يا عائشة ألا تغنون عليها فإن هذا الحى من الأنصار يحبون الغناء».

وأخبرني الحسين بن محمد قال حدثنا عبد الله بن يوسف قال حدثنا أبو بكر محمد بن ظهير بن ثمامة البزار قال حدثنا أبو موسى محمد بن المثني الزمعي قال حدثنا حفص بن غياث عن عطاء: أن النبي ﷺ مرّ عليه بعروس، فقال: «لو كان مع هذا لهو».

وأخبرني ابن فنجدية قال حدثنا ابن شنبه قال حدثنا محمد بن علي بن سالم الهمداني قال الحسين بن الحسين الرازي الهسنخاني قال حدثنا سعيد بن منصور قال حدثنا مسكين بن ميمون قال حدثني عروة بن رويم قال: بينا عبد الرحمن بن قرط يعس<sup>(١)</sup> بحمص إذ مرت عروس، وقد أوقدوا النيران فضر بهم بدرته حتى تفرقوا عنها، فلما أصبح قعد على منبره وقال: إن أبا جندل نكح فصنع جفنت من طعام، فرحم الله أبا جندل وصلى على آبائه، ولعن الله أصحاب عروسكم أوقدوا النيران، وتشبهوا بأهل الشرك، والله مطفي نورهم يوم القيامة.

﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ أخبرني ابن فنجدية قال حدثنا علي بن أحمد بن نصرويه قال حدثنا عبد الله بن محمد بن وهب قال حدثني أبو زرعة قال حدثنا إبراهيم بن موسى الفراء قال أخبرنا مسلم بن خالد عن سعيد بن أبي صالح عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «التمسوا الرزق بالنكاح».

وأخبرني ابن فنجدية قال حدثنا محمد بن الحسن بن بشر قال حدثنا أبو يوسف محمد بن

(١) أى يتفقد حال الرعية ليلاً حتى يطمئن على حالهم.

سفيان بن موسى الصفار بالمصيصة قال : حدثنا أبو عبد الله أحمد بن ناصح قال : حدثنا عبد العزيز الدراوردي عن ابن عجلان : أن رجلاً أتى النبي ﷺ فشكا إليه الحاجة ، فقال : « عليك بالبائة » . وشكى رجل إلى أبي بكر رضى الله عنه بعد النبي ﷺ فشكى إليه الحاجة ، فقال : عليك بالبائة . وجاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعد أبي بكر فشكى إليه الحاجة ، فقال : عليك بالبائة ؛ كلاً يريد قوله سبحانه : ﴿ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ قال ابن عجلان : وقال أبو بكر ، وعمر رضى الله عنهما : ابتغوا الغنى فى النكاح . ﴿ وَلا تَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا ﴾ عن الحرام . ﴿ حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ ويوسع عليهم من رزقه .

﴿ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ ﴾ أى المكاتبه وهى : أن يقول الرجل لعبده أو أمته وقد كاتبتك على أن تعطينى كذا وكذا فى نجوم معلومة على أنك إذا أديت ذلك فأنت حر فرضى العبد بذلك فإن أدى مال الكتابة بالنجوم التى سماها كان حراً وإن عجز عن أداء ذلك كان لمولاه أن يرده إلى الرق كما قال عليه السلام : « المكاتب عبد ما بقى عليه درهم » . وأصل الكلمة من الكُتِبَ بالضم والجمع منه الكُتبية وكتب البغل ، وكتب الكتاب فسمى المكاتب مكاتباً لأنه يضم نجوم مال الكتاب بعضها إلى بعض .

﴿ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ ﴾ اختلف الفقهاء فى حكم هذه الآية ؛ فقال قوم : هو أمر حتم وإيجاب فرض على الرجل أن يكاتب عبده الذى قد علم منه خيراً إذا سأله ذلك بقيمته وأكثر ولو كان بدون قيمته لم يلزمه ، وهو قول عمرو بن دينار ، وعطاء ، وإليه ذهب داود بن على ، ومحمد بن جرير من الفقهاء ، وهى رواية العوفى عن ابن عباس . واحتج من نصر هذا المذهب بما روى قتادة : أن سيرين سأل أنس بن مالك أن يكاتبه فتلكأ عليه ، فشكاه إلى عمر ، فعلاه بالدرة ، وأمره بالكتابة . واحتجوا أيضاً بأن هذه الآية نزلت فى غلام لحويطب بن عبد العزى يقال له : صبح ، سأل مولاه أن يكاتبه ، فأبى عليه ، فأنزل الله سبحانه هذه الآية ، فكاتبه حويطب على مائة دينار ووهب له منها عشرين ، فأدّاها ، وقتل يوم حنين فى الحرب . وروى عن عمر أنه قال : هى عزمة من عزمات الله من شاء الكتابة كُوتب .

وقال الآخرون : هو أمر ندب واستحباب ، ولا يلزم السيد مكاتبه عبده سواء بذل له قيمته أو أكثر منها أو أقل ، وهو قول الشعبي ، والحسن البصرى ، وإليه ذهب الشافعى ، ومالك ، وأبو حنيفة وسائر الفقهاء . وأما قوله سبحانه : ﴿ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ فاختلفوا فيه : فقال ابن عمر ، وابن زيد ، ومالك بن أنس : يعنى قوة على الاحتراف والكسب لأداء ما كوتب عليه . وإليه ذهب الثورى .

وروى الوالبي عن ابن عباس: إن علمتم أن لهم حيلة ولا تلقون مؤنتهم على المسلمين.  
وقال الحسن، ومجاهد، والضحاك: مالا. وهى رواية العوفى عن ابن عباس، واستدلوا  
بقوله: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ (البقرة: ١٨٠).

قال الخليل: لو أراد المال لقال: إن علمتم لهم خيراً.

أخبرنا الحسين بن محمد بن الحسين قال: حدثنا هارون بن محمد قال: حدثنا محمد بن  
عبد العزيز قال حدثنا يحيى الحماني قال حدثنا أبو خالد الأحمر عن الأعمش عن أبي إسحاق  
عن أبي ليلى الكندى عن سليمان قال: قال له عبد: كاتبى، قال: لك مال؟ قال: لا. قال:  
تطعمنى أوساخ الناس، فأبى عليه. وقال إبراهيم، وعبيدة، وأبو صالح، وابن زيد: يعنى  
صدقاً ووفاءً وأمانة. وقال طاووس، وعمرو بن دينار: مالا وأمانة.  
وقال الشافعى: أظهر معانى الخير فى هذه الآية الاكتساب مع الأمانة، فأحب أن لا يمنع من  
مكاتبته إذا كان هكذا.

أخبرنى ابن فنجويه قال حدثنا ابن شنبه قال حدثنا أبو بكر محمد بن عبد العزيز العثماني،  
وأبو النصر إسحاق بن إبراهيم قال: حدثنا يحيى بن حمزة قال أخبرنى محمد بن عجلان عن  
سعيد بن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة حق على الله  
عونهم: رجل خرج فى سبيل الله سبحانه، ورجل تزوج يلمس الغنى عن ما حرم الله عز  
وجل، ورجل كاتب التماس الأداء».

وأخبرنى ابن فنجويه قال حدثنا هارون بن محمد بن هارون قال حدثنا محمد بن عبد العزيز  
قال حدثنا يحيى الحماني قال حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن محمد بن سيرين عن عبيدة فى  
قوله سبحانه: ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ قال: إن أقاموا الصلاة. وقيل: هو أن يكون المكاتب بالغاً  
عاقلاً، فأما المجنون والصبي فلا تصح كتابتهما لأنهما ليسا من أهل الابتغاء، ولأن النبى ﷺ  
قال: «رفع القلم عن ثلاث»

وقال أبو حنيفة تصح كتابة الصبي إذا كان مراهقاً مميّزاً بناءً على أصله إذا كان مراهقاً كيساً  
حُرّاً فأذن له وليه فى التصرف نفذ تصرفه، كذلك السيد مع عبده إذا كاتبه فقد أذن له فى  
التصرف فصحت كتابته.

واختلف الفقهاء فى مال الكتابة: فقال مالك، وأبو حنيفة وأصحابه: تصح الكتابة حالة  
ومؤجلة، لأن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ ولم يشترط فيه أجلاً،  
ولأنه عقد على عين فصح حالاً ومؤجلاً كالبيع.



وقال الشافعي: لا تصح الكتابة حالة، وإنما تصح إذا كانت مؤجلة، وأقله نجمان ﴿وَأَتَوْهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ اختلفوا فيه: فقال بعضهم: الخطاب للموالى، وهو أن يحط له من مال كتابته شيئاً. ثم اختلفوا في ذلك الشيء: فقال قوم: هو ريع المال، وهو قول على، وإليه ذهب الثوري.

روى شعبة عن عبد الأعلى عن أبي عبد الرحمن السلمى: أنه كاتب غلاماً له على ألف ومائتين وترك الربع وأشهدنى، ثم قال لى: كان صديقك يفعل هذا يعنى علياً كرم الله وجهه. وقد روى ذلك مرفوعاً.

أخبرني ابن فنجويه قال حدثنا ابن حنش المقرئ قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن موسى قال حدثنا يوسف بن سعيد بن مسلم قال حدثنا حجاج عن ابن جريج عن عطاء بن السائب عن عبد الله بن حبيب يعنى أبا عبد الرحمن السلمى عن النبي ﷺ: ﴿وَأَتَوْهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ قال: «ريع المكاتبه».

وقال آخرون ليس فيه حدّ إنما هو إليه يحط عنه من مال كتابته شيئاً.

روى أسباط عن السدى عن أبيه قال: كاتبتي زينت بنت قيس بن مخزومة وكانت قد صلت مع النبي ﷺ القبليتين جميعاً. على عشرة آلاف، فتركت لى ألفاً، وروى الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد مولى ابن أسيد قال: كاتبني أبو أسيد على ثنتي عشرة مائة فجئت بها، فأخذ ألفاً، وردّ على ما تبقى<sup>(١)</sup>.

وقال نافع: كاتب ابن عمر غلاماً له يقال له شرفى على خمسة وثلاثين ألف درهم، فوضع من آخر كتابته خمسة آلاف درهم.

قال سعيد بن جبير: كان ابن عمر إذا كاتب مكاتبه، لم يضع عنه شيئاً من أول نجومه مخافة أن يعجز، فترجع إليه صدقته، ولكنه إذا كان فى آخر مكاتبته وضع عنه ما أحب وعلى هذا القول قوله: ﴿وَأَتَوْهُم﴾ أمر استحباب.

وقال بعضهم: معناه: وأتوهم سهمهم الذى جعله الله لهم من الصدقات المفروضات بقوله: ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ (التوبة: ٦٠) وهو قول الحسن، وزيد بن أسلم وابنه، وعلى هذا التأويل هو أمر إيجاب.

وقال بريدة وإبراهيم هو حث لجميع الناس على معونتهم.

أخبرني الحسين بن محمد بن فنجويه قال حدثنا ابن شنبه قال حدثنا جعفر بن محمد

(١) فى المخطوط: مائتين. وهو تحريف والله أعلم.

الفريابى قال حدثنا صفوان بن صالح قال حدثنا الوليد قال حدثنى زهير عن عبد الله بن محمد ابن عقيل عن أبى أمامة بن سهل بن حنيف عن النبى ﷺ قال: «من أعان مكاتباً فى رقبته أو غازياً فى عسرتة أو مجاهداً فى سبيله أظله الله سبحانه فى ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله».

وأخبرنى ابن فنجويه قال حدثنا موسى بن محمد بن على قال حدثنا محمد بن عثمان بن أبى شيبة قال حدثنا على بن أحمد الواسطى قال حدثنا إسحاق بن منصور عن عبد السلام بن حرب عن يزيد بن عبد الرحمن الدالانى عن خارجة بن هلال عن أبى سعيد، ورافع بن خديج، وابن عمر قالوا: جاءنا غلام لعثمان رضى الله عنه يقال له: كيس، فقال: قوموا إلى أمير المؤمنين فكلّموه أن يكاتبنى؛ فقلنا له: إن غلامك هذا سألنا أن تكاتبه. فقال: أخذته بخمسين ومائة، يجىء به وهو حر؛ قال: فخرجنا فأعانه كل رجل منا بشىء، فذهب فلم يلبث أن جاء فقال: قوموا معى، فقمنا معه، فدخلنا، ثم قال: كونوا بالباب. ثم قال: يا كيس، تذكر يوم عركت أذنك؟

قلت: بلى يا سيدى. قال: ألم أنهك أن تقول: يا سيدى؟ قال: فلم يزل بى حتى ذكرت. قال: قم، فخذ بأذنى. قال: فأبيت، فلم يزل بى حتى قمت فأخذت بأذنه، فعركتها، وهو يقول: شدّ شدّ، حتى إذا رأنى أنى قد بلغت ما بلغ منى قال: حسبك. ثم قال: واهى للقضاء فى الدنيا، اخرج فأنت حرّ، وما معك لك.

﴿وَلَا تَكْرَهُوا قِتْلَتِكُمْ عَلَى الْإِيمَاءِ﴾ الآية. نزلت فى معاذة، ومسيكة جاريتى عبد الله بن أبى المنافق، كان يكرههما على الزنا بضرية يأخذها منهما، وكذلك كانوا يفعلون فى الجاهلية يؤاجرون إماءهم، فلما جاء الإسلام قالت معاذة لمسيكة: إن هذا الأمر الذى نحن فيه لا يخلو من وجهين: فإن يك خيراً فقد استكثرنا منه، وإن يك شراً فقد آن لنا أن ندعه، فأنزل الله سبحانه هذه الآية.

وقال مقاتل نزلت فى ست جوار لعبد الله بن أبى كان يكرههن على الزنا، ويأخذ أجورهن وهى: معاذة، ومسيكة، وأميمة، وعمرة، وأروى، وقتيلة، فجاءته إحداهن ذات يوم بدينار، وجاءت أخرى ببرد، فقال لهما: ارجعا فازنيا، فقالتا: والله لا نفعل، قد جاءنا الله بالإسلام، وحرّم الزنا، فأتيا رسول الله ﷺ وشكنا إليه، فأنزل الله سبحانه هذه الآية.

وروى معمر عن الزهرى: أن عبد الله بن أبى أسر رجلاً من قريش يوم بدر، وكان لعبد الله جارية يقال لها معاذة، فكان القرشى الأسير يريد على نفسها، وكانت مسلمة، فكانت تمتنع منه، وكان ابن أبى يكرهها على ذلك ويضربها رجاء أن تحمل للقرشى فيطلب فداء ولده،

فأنزل الله سبحانه: ﴿وَلَا تَكْرَهُوا قَاتِلْتِكُمْ﴾ إماءكم ﴿عَلَى الْبَغَاءِ﴾ أى الزنا.

﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ يعنى إذ، وليس معناه الشرط، لأنه لا يجوز إكراههن على الزنا إن لم يردن تحصنًا. نظيره قوله سبحانه: ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: ٢٧٨)، وقوله: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (ال عمران: ١٣٩). أى إذ، وقوله: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ (الفتح: ٢٧) يعنى إذ شاء الله والتحصين التعفف.

وقال الحسين بن الفضل فى الآية تقديم وتأخير تقديرها: وأنكحوا الأيامى منكم إن أردن تحصنًا ثم قال: ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن بعد ورود النهى. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ﴾ لهن. ﴿عَفْوٌ رَّحِيمٌ﴾ والوزر على المكره. وكان الحسن إذا قرأ هذه الآية قال: لهن والله لهن. ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا خَيْرًا وَعِبْرَةً. ﴿مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾



﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١﴾﴾ فى يَبُوتِ أذنَ اللَّهِ أَن تَرْفَعُ وَيَذْكَرُ فِيهَا اسْمُهُ وَيُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْعُدْوِ وَالْأَصَالِ ﴿٢﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعَ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بَغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤﴾﴾

قال ابن عباس: الله هادى أهل السموات والأرض لا هادى فيهما غيره فهم بنوره إلى الحق يهتدون وبهداه من حيرة الضلالة ينجون، وليس يهتدى ملك مقرب، ولا نبي مرسل إلا بهدى منه.

وقال الضحاك، والقرطبي: منور السموات والأرض.

مجاهد: مدبر الأمور فى السموات والأرض.

أبى بن كعب، وأبو العالية والحسن: مزين السموات بالشمس، والقمر، والنجوم، ومزين

الأرض بالأنبياء، والعلماء، والمؤمنين.

وقال بعضهم: يعنى الأنوار كلها منه كما يقال: فلان رحمة وسخطة، وهو لا يكون فى نفسه رحمة ولا سخطة وإنما يكون منه الرحمة والسخطة.

وقال بعض أهل المعانى: أصل النور هو التبرئة والتصفية، يقال امرأة نوار ونساء نوار إذا كن متعريات من الريبة والفحشاء قال الشاعر:

نوار فى صواحبها نوار      كما فاجاك سرب أو صوار  
فمعنى النور هو المنزه من كل عيب.

وقال العلماء: النور على أربعة أوجه: نور متألئ، ونور متولد، ونور من جهة صفاء اللون، ونور من جهة المدح. فالنور المتألئ: مثل قرص الشمس، والقمر، والكواكب، وشعلة السراج. والمتولد: هو الذى يتولد من شعاع الشمس، والقمر، والسراج، فيقع على الأرض فيستتير به والذى هو من صفاء اللون: مثل نور اللآئى واليواقيت وسائر الجواهر، وكل شىء له نور صاف. والذى هو من جهة المدح: قول الناس: فلان نور البلد، وشمس العصر، قال الشاعر:

فإنك شمس والملوك كواكب      إذا ما بدت لم يبد منهن كوكب  
وقال آخر:

❖ قمر القبائل خالد بن يزيد ❖

وقال آخر:

إذا سار عبد الله من مرو ليلة      فقد سار منها نورها وجمالها  
ويجوز أن يقال الله سبحانه نُور من جهة المدح لأنه واجد الأشياء ونور جميع الأشياء منه دون سائر الأوجه لأن النور المحسوس الذى هو ضد الظلمة لا يخلو من: شعاع، وارتفاع، وسطوع، ولموع، وهذه كلها منفية عن الله سبحانه لأنها من أمارات الحدث.

قالوا: ولا يجوز أن يقال الله يا نور إلا أن يضم إليه شىء، كما لا يجوز أن يقال: يا بديع إلا أن يضم إليه شىء، كما قال سبحانه: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (البقرة: ١١٧)، و﴿اللَّهُ نُورٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

وقرأ على بن أبى طالب: (الله نور السموات والأرض) على الفعل.

﴿مَثَلُ نُورٍ﴾ اختلفوا فى هذه الكناية: فقال بعضهم: هى عائدة إلى المؤمن أى مثل نوره فى قلب المؤمن حيث جعل الإيمان والقرآن فى صدره.

روى الربيع عن أبي العالية عن أبي بن كعب فى هذه الآية قال: بدأ بنور نفسه، فذكره، ثم ذكر نور المؤمن، فقال: ﴿مَثَلُ نُورِي﴾ وهكذا كان يقرأ أبى: مثل نور من آمن، وقال ابن عباس، والحسن، وزيد بن أسلم، وابنه: أراد بالنور القرآن. وقال كعب، وسعيد بن جبير: هو محمد ﷺ. ومثله روى مقاتل عن الضحاك: أضاف هذه الأنوار إلى نفسه تفضيلاً، وروى عطية عن ابن عباس قال: يعنى نور الطاعة، يسمى طاعته نوراً، ثم ضرب لها مثلاً.

﴿كَمِشْكُوتَةٍ﴾ قال أهل المعانى: هذا من المقلوب، أى كمصباح فى مشكاة، وهى الكوة التى لا منفذ لها، وأصلها الوعاء يجعل فيها الشئ، والمشكاة وعاء من آدم يُبرد فيه، وهى على وزن مفعلة كالمقراة والمصفاة، قال الشاعر:

كأن عينيه مشكاتان فى حجر  
قيضا اقتياضاً بأطراف المناقير

وقيل: المشكاة عمود القنديل الذى فيه الفتيلة.

وقال مجاهد: هى القنديل.

﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ أى سراج، وأصله من الضوء، ومنه الصبح. ورجل صبيح الوجه صبيح إذا كان وضيئاً. وفرق قوم بين المصباح والسراج. فقال الخليل: المصباح... (١) نفس السراج. وقيل: السراج أعظم من المصباح، لأن الله سبحانه سَمى الشمس سراجاً، فقال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا﴾ (النبا: ١٣)، ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا﴾ (الفرقان: ٦١) وقال فى غيرها من الكواكب: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ﴾ (الملك: ٥).

﴿الْمِصْبَاحِ فِي زُجَاجَةٍ﴾ قرأ نصر بن عاصم: زُجَاجَةٍ، بفتح الزاى. وقرأ الباقون، بضمه.

قال الأخفش: فيها ثلاث لغات: ضم الزاى، وفتحها، وكسرها.

﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ أى ضخم مضىء، ودرارى النجوم عظامها. واختلف القراء فيه: فقرأ أبو عمرو، والكسائى مكسورة الدال، مهموزة الياء، ممدودة، وهو من قول العرب: درأ النجوم إذا طلع وارتفع من مكان إلى آخر ورجع. وإذا نقص فى أثر الشيطان فأسرع. وأصله من الرفع ووزنه من الفعل فعيل. وقرأ حمزة، وأبو بكر مضمومة الدال مهموزة ممدودة.

قال أكثر النحاة: هى لحن لأنه ليس فى الكلام فعيل بضم الفاء، وكسر العين.

قال أبو عبيد: وأنا أرى لها وجهاً وذلك أنه درو على وزن فعول من درأت مثل سبوح وقدوس، ثم استثقلوه لكثرة الضمات فيه، فردوا بعضها إلى الكسرة كما قالوا: عتياً، وهو

(١) موضع النقط بياض فى أصل المخطوط قدره ثلاث كلمات.

فعول من عتوت .

قال بعضهم هو مشتق على هذه القراءة من الدرارة وهى البياض . ويقال : منه ملح درانى .  
وقرأ سعيد بن المسيب ، وأبو رجاء العطاردى بفتح الدال ، وبالهزم . قال أبو حاتم : هو خطأ ،  
لأنه ليس فى الكلام فعيل ، وإن صح منهما فهما حجة ، وقرأ الباقون بضم الدال ، وتشديد  
الياء من غير همز ، ونسبوه إلى الدرّ فى صفائه ، وهى اختيار أبى عبيد ، وأبى حاتم ، ثم قال أبو  
عبيد ؛ وإنما اخترنا هذه القراءة لعل ثلاث : إحداها : ما جاء فى التفسير أنه منسوب إلى الدرّ  
لبياضه .

والثانية : للخبر عن النبى ﷺ «إن أهل الجنة ليتراءون أهل عليين كما ترون الكوكب الدرى  
فى أفق السماء ، وإن أبا بكر ، وعمر منهم وأنعم» .

والثالثة : إجماع أهل الحرمين عليها .

﴿يُوقَدُ﴾<sup>(١)</sup> اختلف القراء فيه أيضاً : فقرأ شيبه ، ونافع ، وأيوب ، وابن عامر ، وعاصم  
برواية حفص : بياء مضمومة يعنون المصباح . وقرأ حمزة والكسائى ، وخلف برواية أبى بكر :  
بتاء مضمومة أرادوا الزجاجه ، وقرأ ابن محيصن : بتاء مفتوحة ، وتشديد القاف ورفع الدال  
على معنى تتوقد الزجاجه .

وقرأ الآخرون : بفتح التاء ، والقاف ، والدال ، على المضىء ، يعنون المصباح .

﴿مِنْ شَجَرَةٍ مُّبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾

قال عكرمة وجماعة : يعنى لا يسترها من الشمس جبل ولا واد ، فإذا طلعت الشمس  
أصابتها ، وإذا غربت أصابتها ، فهى ضاحية للشمس طول النهار وليست شرقية وحدها حتى  
لا تصيبها الشمس إذا غربت ، ولا هى غربية وحدها ، فلا تصيبها الشمس فى الغداة ، إذا  
طلعت ، بل تأخذ حظها من الأمرين ، وإذا كان كذلك كان أجود وأضوأ لزيتها .

وقال السدى وجماعة : يعنى ليست فى مقنوة لا تصيبها الشمس ، ولا هى بارزة للشمس

لا يصبها الظل ، فهى لم تضرها الشمس ولا الظل .

وقال بعضهم : هى معتدلة ليست من شرق فيلحقها الحرّ ، ولا فى غرب فيضر بها البرد ،

وهى رواية ابن ظبيان عن ابن عباس .

وقال ابن زيد : هى شامية لأن الشام لا شرقى ولا غربى ، يقول هى شرقية وغربية ، وهذا

كقولك : فلان لا مسافر ولا مقيم ، وليس هذا بأبيض ولا أسود إذا كان له من كلا الأمرين

(١) فى المخطوط : (توقد) ورسمت ما فى مصحف حفص المطبوع فلاحظ التغيير عند قراءة التعليق أو الشرح .

قسط ونصيب، قال الشاعر:

بأيدي رجال لم يشيموا سيوفهم ولم يكثروا القتلى بها حين سَلَّتِ

يعنى فعلوا هذا.

وقال الحسن ليس هذه الشجرة من شجر الدنيا ولو كانت فى الأرض لكانت شرقية أو غربية وإنما هو مثل ضربه الله سبحانه لنوره، وقد أفصح القرآن بأنها من شجر الدنيا، لأنها بدل من الشجرة، فقال: ﴿زَيْتُونَةٍ﴾، وإنما خص الزيتون من بين سائر الأشجار لأن دهنها أضوأ، وأصفى.

وقيل: لأنه يورق غصنها من أوله إلى آخره، ولا يحتاج دهنه إلى عصار يستخرجه. وقيل: لأنها أول شجرة نبتت من الدنيا وقيل: بعد الطوفان. وقيل: لأن منبتها منزل الأنبياء، والأولياء، والأرض المقدسة، وقيل: لأنه بارك فيها سبعون نبياً منهم إبراهيم عليه السلام، قال: لذلك قال: ﴿مُبْرَكَةٌ﴾.

أخبرنى عبد الله بن الحسين بن محمد بن الحسين الحافظ فى دارى قال: حدثنا عبد الله بن يوسف بن أحمد بن مالك قال حدثنا أحمد بن عيسى بن السكين البلدى قال حدثنى هاشم بن القاسم الحرانى قال حدثنا يعلى بن الأشدق عن عمه عبد الله بن حراد قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم بارك فى الزيت والزيتون، اللهم بارك فى الزيت والزيتون».

وأخبرنى الحسين بن محمد قال حدثنا محمد بن على بن الحسن الصوفى قال حدثنا أبو شعيب الحرانى قال حدثنا أحمد بن عبد الملك قال حدثنا زهير قال حدثنا عبد الله بن عيسى عن عطاء عن أبى أسيد قال: قال رسول الله ﷺ: «كلوا الزيت، وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة».

وأخبرنى الحسين قال حدثنى أحمد بن جعفر بن حمدان قال حدثنا إبراهيم بن سهلويه قال حدثنا محمد بن على بن الحسن بن شقيق قال سمعت أبى يقول: حدثنا أبو حمزة عن جابر عن أبى الطفيل عن عبد الله بن ثابت الأنصارى قال: دعا بنيه، ودعا بزيت، فقال: ادهنوا رؤوسكم؛ فقالوا: لا ندهن رؤوسنا بالزيت. قال: فأخذ العصا وجعل يضربهم ويقول: أترغبون عن دهن رسول الله ﷺ.

وحدثنا عبد الله بن يوسف بن مامويه قال أخبرنا محمد بن عمر بن الخطاب الدينورى قال حدثنا أحمد بن عبد الله بن سنان قال حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح قال حدثنا أبى قال حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن أبى الخير عن عقبه بن عامر أن رسول الله ﷺ قال:

«عليكم بهذه الشجرة المباركة زيت الزيتون فتداووا به، فإنه مصحة من الناسور»<sup>(١)</sup>.  
ثم قال سبحانه: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ من صفائه وضيائه. ﴿وَلَوْ أَنَّمَا تَسْسَهُ نَارٌ﴾ قبل أن تصيبه نار، واختلف العلماء فى معنى هذا المثل والممثل، وفى المعنى بالمشكاة، والزجاجة، والمصباح. فقال قوم: هذا مثل ضربه الله سبحانه لنبى محمد ﷺ. وقال شمر بن عطية: جاء ابن عباس إلى كعب الأخبار فقال له: حدثنى عن قوله سبحانه وتعالى ﴿مَثَلُ نُورٍ كَكَشْكُورَةٍ﴾ الآية؛ فقال كعب: هذا مثل ضربه الله سبحانه لمحمد ﷺ، فالمشكاة صدره والزجاجة قلبه، والمصباح فيه النبوة توقد من شجرة مباركة وهى شجرة النبوة، يكاد نور محمد وأمره يتبين للناس ولو لم يتكلم أنه نبى يكاد ذلك الزيت أن يضىء ﴿وَلَوْ أَنَّمَا تَسْسَهُ نَارٌ﴾.  
أخبرنا أبو بكر الجوزقى قال حدثنا أبو عثمان البصرى قال حدثنا أحمد بن سلمة قال حدثنا الحسين بن منصور قال حدثنا أبان بن راشد الجزرى قال حدثنا الوازع بن نافع عن سالم عن ابن عمر فى هذه الآية قال: المشكاة: جوف محمد ﷺ والزجاجة: قلبه، والمصباح: النور الذى جعل الله فيه. ﴿لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ لا يهودى ولا نصرانى ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ إبراهيم. ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ النور الذى جعل الله فى قلب إبراهيم كما جعل فى قلب محمد عليهما السلام.  
وقال محمد بن كعب القرظى: المشكاة: إبراهيم، والزجاجة: إسماعيل، والمصباح: محمد عليهم السلام، سماه الله مصباحاً كما سماه سراجاً، فقال عز من قائل: ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ (الأحزاب: ٤٦) ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ وهى إبراهيم سماه مباركاً لأن أكثر الأنبياء كانوا من صلبه، ﴿لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ يعنى إبراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً، وإنما قال ذلك لأن اليهود تصلى قبل المغرب والنصارى قبل المشرق. ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّمَا تَسْسَهُ نَارٌ﴾ يعنى تكاد محاسن محمد تظهر للناس قبل أن يوحى إليه: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾: أى نبى من نسل نبى.

وروى مقاتل عن الضحاك قال: شبه عبد المطلب بالمشكاة، وعبد الله بالزجاجة والنبى ﷺ بالمصباح كان فى صلبهما فورث النبوة من إبراهيم عليه السلام ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ بل هى مكية لأن مكة وسط الدنيا.  
ووصف بعض البلغاء هذه الشجرة فقال: هى شجرة التقى والرضوان وشجرة الهدى والإيمان، شجرة أصلها نبوة، وفروعها مروءة، وأغصانها تنزىل، وورقها تأويل، وخدمها جبرئيل وميكائيل.

(١) إسناده ضعيف وكذا أغلب ما سبق من الأحاديث ضعيفة الإسناد.



وقال آخرون: هذا مثل ضربه الله سبحانه للمؤمن.

روى الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب، قال: هذا مثل المؤمن، فالمشكاة نفسه، والزجاجة صدره، والمصباح ما جعل الله سبحانه من الإيمان والقرآن في قلبه ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ وهى الإخلاص لله وحده لا شريك له، فمثله مثل شجرة التفت بها الشجر فهى خضراء ناعمة لا يصبها الشمس على أى حال كانت لا إذا طلعت ولا إذا غربت، وكذلك المؤمن وقد أجبر من أن يصبه شئ من الفتن، وقد ابتلى بها فثبتته الله تعالى فيها، فهو بين أربع خلال: إن أعطى شكر، وإن ابتلى صبر، وإن حكم عدل وإن قال صدق، هو فى سائر الناس كالرجل الحى يمشى فى قبور الأموات.

ثم قال: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾، فهو يتقلب فى خمسة من النور: فكلامه نور، وعمله نور، ومدخله نور، ومخرجه نور، ومصيره النور يوم القيامة إلى الجنة.

وقال ابن عباس: هذا مثل نور الله وهداه فى قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافى يضىء قبل أن تمسه النار، فإذا مسته النار ازداد ضوءاً على ضوءه، كما يكاد قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتبه العلم، فإذا جاءه العلم ازداد هدئى على هدئى ونوراً على نور كقول إبراهيم عليه السلام قبل أن تجيئه المعرفة: ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ (الأنعام: ٧٦) حين رأى الكوكب من غير أن يخبره أحد أن له ربا، فلما أخبره الله أنه ربه ازداد هدئى على هدئى. ثم قال: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ يعنى إيمان المؤمن وعمله.

وقال الحسن، وابن زيد: هذا مَثَلٌ للقرآن فى قلب المؤمن، فكما أن هذا المصباح يستضاء به وهو كما هو لا ينقص، كذلك القرآن يهتدى به، ويؤخذ به، ويعمل به، فالمصباح هو القرآن، والزجاجة قلب المؤمن، والمشكاة لسانه وفمه، والشجرة المباركة هى شجرة الوحي.

﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يَضِيءُ وَلَوْ أَرَنَّا نَارَهُ﴾ يقول: يكاد بحجة القرآن يتضح وإن لم يقرأ. وقيل: يكاد بحجج الله على خلقه تضىء لمن فكر فيها، وتدبرها ولو لم ينزل القرآن.

﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ يعنى أن القرآن نور من الله يخلقه مع ما قد أقام لهم من الدلائل، والأعلام قبل نزول القرآن فازدادوا بذلك نوراً على نور.

ثم أخبر أن هذا النور المذكور عزيز، فقال عز من قائل: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ﴾ تقريباً للشئ الذى أرادته إلى الأفهام وتسهيلاً لسبل الإدراك على الأنام. ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

ثم قال عز من قائل: ﴿فِي بُيُوتٍ﴾ نظم الآية: ذلك المصباح فى بيوت فيجوز أن يكون

معناه: توقد في بيوت وهي المساجد، عن أكثر المفسرين.

أخبرني ابن فنجويه الدينوري قال حدثنا ابن حنش المقرئ قال حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم الجوهري قال حدثنا علي بن أشكاب قال حدثنا محمد بن ربيعة الكلابي عن بكير بن شهاب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: المساجد بيوت الله عز وجل في الأرض فهي تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض.

وقال عمرو بن ميمون: أدركت أصحاب النبي ﷺ، وهم يقولون: المساجد بيوت الله، وحق على الله أن يكرم من زاره فيها.

وأخبرنا الحسين بن محمد بن الحسين قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم بن شاذان قال حدثنا عبید الله بن ثابت الجريري قال حدثنا أبو سعيد الأشج، قال حدثنا أبو أسامة عن صالح بن حيان عن ابن أبي بريدة في قوله سبحانه: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ﴾ الآية.

قال إنما هي أربعة مساجد لم بينها إلا نبي: الكعبة بناها إبراهيم، وإسماعيل، فجعلها قبة، وبيت المقدس بناه داود وسليمان، ومسجد المدينة بناه رسول الله ﷺ، ومسجد قباء أسس على التقوى بناه رسول الله ﷺ.

وأخبرني عبد الله الحسين بن محمد الدينوري قال حدثنا أبو زرعة أحمد بن الحسين بن علي الرازي قال حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد الوزاني - بالكوفة - قال حدثنا المنذر بن محمد القابوسي قال حدثني الحسين بن سعيد قال حدثني أبان بن تغلب عن نفع بن الحارث عن أنس بن مالك وعن بريدة قالوا: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ﴾ إلى قوله: ﴿وَالْأَبْصَرُ﴾، فقال رجل: أي بيوت هذه يا رسول الله؟ قال: «بيوت الأنبياء».

قال: فقام إليه أبو بكر، فقال: يا رسول الله هذا البيت، منها - لبيت علي وفاطمة؟

قال: «نعم من أفاضلها».

قال الصادق: بيوت النبي ﷺ. وقال السدي: المدينة.

وأولى الأقوال بالصواب أنها المساجد، للدلالة سياق الآية على أنها بيوت بنيت للصلاة والعبادة.

فإن قيل: ما الوجه في توجيه المشكاة والمصباح وجمع البيوت ولا تكون مشكاة واحدة إلا في بيت واحد؟

قلنا: هذا من الخطاب المتلون الذي يفتح بالتوحيد ويختم بالجمع كقوله سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا

أَلْتَبِي إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ ﴿الطلاق: ١﴾ ونحوها. وقيل: رجع إلى كل واحد من البيوت. وقيل: هو مثل قوله سبحانه: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ (نوح: ١٦) وإنما هو فى واحدة منها.

﴿أَنْ تَرْفَعُ﴾ أى تبنى عن مجاهد. نظيره قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ (البقرة: ١٢٧) من البيت وإسماعيل. وقال الحسن: تعظم. ﴿وَيَذْكَرُ فِيهَا اسْمَهُ﴾ قال ابن عباس: يتلى فيها كتابه. ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا﴾ قرأ قتادة، وأشهب، والعقيلي، ونصر بن عاصم الليثى، وابن عامر، وعاصم؛ بفتح الباء على غير تسمية الفاعل.

ثم قال: ﴿رِجَالٌ﴾ أى هم رجال كما تقول: ضرب زيد، وأكل طعامك، فيقال: من فعله؟ فتبين فتقول: فلان، وفلان. والوقف على هذه القراءة عند قوله: ﴿وَالْأَصَالِ﴾. وقرأ الآخرون بكسر الباء، جعلوا التسييح فعلاً للرجال.

قال ابن عباس: كل تسييح فى القرآن صلاة، يدل عليه قوله سبحانه: ﴿بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ أى بالغداة والعشى.

قال المفسرون: أراد الصلوات المفروضة، فالصلاة التى تؤدى بالغدو صلاة الفجر، والتى تؤدى فى الآصال، صلاة الظهر والعصر، والعشاءين لأن اسم الأصيل يجمعهما.

أخبرنا ابن فنجويه قال حدثنا ابن شنبه قال حدثنا عمير بن مرداس، قال حدثنا إسماعيل بن أويس قال حدثنا عبد الرحمن بن زيد عن أبيه عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «ما من أحد يغدو ويروح إلى المسجد ويؤثره على ما سواه إلاّ وله عند الله نزل يعد له فى الجنة كلما غدا وراح، كما لو أن أحدكم زاره من يحب زيارته فى كرامته».

وأخبرنى ابن فنجويه قال حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان قال حدثنا أحمد بن إبراهيم بن سهلويه قال حدثنا أبو سلمة يحيى بن المغيرة المخزومي قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنيني عن إبراهيم المدنى عن أبى حازم عن سهل بن سعد الساعدي قال: قال رسول الله ﷺ: «من غدا إلى المسجد فراح يتعلم خيراً أو يُعلمه كان كمثل المجاهد فى سبيل الله تعالى رجع غانماً، ومن غدا إليه وراح لغير ذلك كان كالناظر إلى الشئ ليس له يرى المصلين وليس منهم، ويرى الذاكرين وليس منهم».

ثم وصفهم فقال: ﴿رِجَالٌ﴾ قيل: وجه تخصيص الرجال بالذكر فى هذه البيوت أنه ليس على النساء جمعة ولا جماعة فى المساجد. ﴿لَا تُلْهِهُنَّ تِجَارَةٌ﴾ قال أهل المعانى: إنما خص التجارة لأنها أعظم ما يشتغل به الإنسان عن الصلوات وعن سائر الطاعات. ﴿وَلَا بَيْعٌ﴾ إن قيل: إن التجارة اسم يقع على البيع والشراء فما معنى ضم ذكر البيع إلى التجارة؟ فالجواب

عنه، ما قال الواقدي: أنه أراد بالتجارة الشراء، نظيره قوله سبحانه ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً﴾ (الجمعة: ١١) يعني الشراء.

﴿عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ﴾ أي إقامة الصلاة، فحذف الهاء الزائدة لأجل الإضافة لأن الحافض وما خفض عندهم كالحرف الواحد، فاستغنى بالمضاف إليه من الهاء إذ كانت الهاء عوضاً من الواو إذ إن أصل الكلمة أقومت إقواماً فاستثقلوا الضمة على الواو فسكنوها، فاجتمع حرفان ساكنان، فأسقطوا الواو ونقلوا حركته إلى القاف، وأبدلوا من الواو المحذوفة هاء في آخر الحرف كالتكثير للحرف، كما فعلوا في قولهم: عدة، وورثة، فلما أضيفت حذفت الهاء وجعلت الإضافة عوضاً منها كقول الشاعر:

إن الخليل أجودوا بين وانجردوا وأخلفوك عد الأمر الذي وعدوا  
أراد: عدة الأمر، فأسقط الهاء منها لما أضافها.

﴿وإيتاء الزكاة﴾ المفروضة، عن الحسن.

وقال ابن عباس: الزكاة إخلاص الطاعة لله سبحانه. قال ابن حيان: هم أهل الصفة.

وأخبرني ابن فنجويه قال أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان قال حدثنا إبراهيم بن سهلويه قال حدثنا سلمة بن شبيب قال حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا جعفر بن سليمان قال أخبرني عمرو بن دينار مولى لآل الزبير عن سالم عن ابن عمر: أنه كان في السوق، فأقيمت الصلاة، فأغلقوا حوانيتهم، فدخلوا المسجد، فقال ابن عمر فيهم نزلت: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾

وأخبرني أبو عبد الله الحسين بن محمد الدينوري قال حدثنا أبو سعيد أحمد بن عمر بن حبش الرازي قال حدثنا علي بن طيفور النسائي قال حدثنا شيبه قال حدثنا قتيبة قال حدثنا ابن لهيعة عن دراج عن أبي حجير عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن للمساجد أوتاداً الملائكة جلساؤهم يتفقدونهم، وإن مرضوا عادوهم، وإن كانوا في حاجة أعانوهم». وقال: «جلس المسجد على ثلاث خصال: أخ مستفاد، أو كلمة محكمة، أو رحمة منتظرة».

﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَلَبَّ بِهِ الْقُلُوبُ﴾ من هوله بين طمع في النجاة، وحذر من الهلاك. ﴿وَالْأَبْصَارُ﴾ أي ناحية يأخذونهم؟ ذات اليمين أم ذات الشمال؟ ومن أين يؤتون كتبهم؟ أمن قبل اليمين أم من قبل الشمال؟ وذلك يوم القيامة.

﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ يعني أنهم اشتغلوا بذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة

﴿يَجْزِيهِمُ اللَّهُ أَحْسَنَ﴾ أى بأحسن ﴿مَا عَمِلُوا﴾ .  
 ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ ما لم يستحقوه بأعمالهم . ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ .



﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٠﴾ أَوْ كَظَلْمَتٍ فِي بَحْرٍ لَّجِيٍّ يَعْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظَلَمْتُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرِنَهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿١١﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّتٍ كُلُّ قَدَّ عَمِلَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٣﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُرْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِّن خِلَالِهِ وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ﴿١٤﴾ يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٥﴾﴾

ثم ضرب لأعمال الكافرين مثلاً، فقال عز من قائل: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ﴾ وهو الشعاع الذى نراه نصف النهار فى البرارى عند شدة الحر كأنه ماء، فإذا قرب منه الإنسان أنفش فلم ير شيئاً. وسمى سراباً لأنه ينسرب أى يجرى كالماء.

﴿بِقِيَعَةٍ﴾ وهو جمع القاع مثل جار، وجيرة، والقاع: المنبسط الواسع من الأرض، وفيه يكون السراب.

﴿يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ﴾ يظنه العطشان . ﴿مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ﴾ يعنى ما قدر أنه ماء، فلم يجده على ما قدر. وقيل: معناه: جاء موضع السراب فاكتفى بذكر السراب من موضعه، كذلك الكافر يحسب أن عمله مغن عنه أو نافعه شيئاً فإذا أتاه الموت واحتاج إلى عمله، لم يجد عمله أغنى عنه شيئاً ولا نفعه . ﴿وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ﴾ أى وجد الله بالمرصاد عند ذلك . ﴿فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾ جزاء عمله . ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ أَوْ كَظَلْمَتٍ﴾

وهذا مثل آخر ضربه الله تعالى لأعمال الكفار أيضاً يقول: مثل أعمالهم فى خطاياها، وفسادها، وضلاتهم، وجهالتهم، وحيرتهم فيها كظلمات . ﴿فِي بَحْرٍ لَّجِيٍّ﴾ وهو العميق

الكثير الماء، وذلك أشد ظلمة ولجة البحر معظمه. ﴿يَغْشَهُ﴾ يعلوه. ﴿مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ﴾ متراكم. ﴿مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ﴾ قرأ ابن كثير برواية ابن النبال والفلنجى سحاب: بالرفع والتنوين، ظلمات: الجر على البدل من قوله: ﴿كَظَلَّمْتِ﴾ وروى البزى عنه: سحاب ظلمات بالإضافة: وقرأ الآخرون سحاب، ظلمات كلاهما بالرفع والتنوين، وتام الكلام عند قوله: ﴿سَحَابٌ﴾.

ثم ابتداء فقال: ﴿ظَلَمْتُ بَعْضًا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ ظلمة السحاب، وظلمة الموج، وظلمة البحر.

قال المفسرون: أراد بالظلمات أعمال الكافر، وبالبحر اللجى قلبه.

وبالموج ما يغشى قلبه من الجهل والشك والحيرة، وبالسحاب: الرين، والختم، والطبع على قلبه. قال أبي بن كعب فى هذه الآية: الكافر يتقلب فى خمس من الظلم، فكلامه ظلمة، وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة، ومصيره إلى الظلمات يوم القيامة إلى النار.

﴿إِذَا أَخْرَجَ﴾ يعنى الناظر. ﴿يَدُهُ لَمْ يَكْذِبْ رَيْنَهَا﴾ أى لم يكذب يراها من شدة الظلمات.

وقال الفراء: كاد صلة أى لم يرها كما تقول ما كدت أعرفه، وقال المبرد: يعنى لم يرها إلا بعد الجهد كما يقول القائل: ما كدت أراك من الظلمة، وقد رآه ولكن بعد بأس وشدة. وقيل معناه: قرب من الرؤية، ولم ير كما يقال: كاد العروس يكون أميراً وكاد النعام يطير.

﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ يعنى من لم يهده الله فلا إيمان له.

قال مقاتل: نزلت فى عتبة بن ربيعة بن أمية، كان يلتمس الدين فى الجاهلية ولبس المسوح، ثم كفر فى الإسلام.

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن محمد بن محمد بن إبراهيم العدل قال حدثنا أبو الحسين محمد ابن منصور الواعظ قال: حدثنا أبو عمر محمد ابن عبد الواحد الزاهد قال حدثنا محمد بن يونس الكديمي قال حدثنا عبد الله بن عائشة قال حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى خلقنى من نوره، وخلق أبا بكر من نوري، وخلق عمر وعائشة من نور أبى بكر، وخلق المؤمنين من أمتى من الرجال من نور عمر، وخلق المؤمنات من أمتى من النساء من نور عائشة، فمن لم يحبنى، ويحب أبا بكر، وعمر، وعائشة، فما له من نور؟» فنزل عليه ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ (١).

(١) هذا خبر لا يصح فى إسناده محمد بن يونس الكديمي وقد اتهموه بوضع الحديث، ومتن الحديث يدل على وضعه انتصاراً لأبى بكر وعمر وعائشة رضى الله عنهم أجمعين.

﴿الرُّتْرَانُ اللَّهُ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَنَعَتْ﴾ (أجنتهن في الهواء). ﴿كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ قال المفسرون: الصلاة لبنى آدم والتسبيح عام لغيرهم من الخلق، وفيه وجوه من التأويل:

أحدها: كل مصل ومسبح قد علم الله صلواته وتسبيحه.

والثاني: كل مسبح ومصل منهم قد علم صلاة نفسه وتسبيحه الذي كلفه الله وقد علم كل منهم صلاة الله من تسبيحه. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أى تقديرها وتدبير أمورها، وتصريف أحوالها كما يشاء. ﴿وَالِىَّ اللَّهُ الْمَصِيرُ﴾ الرُّتْرَانُ اللَّهُ يَرْجَى﴾ يسوق. ﴿سَحَابًا﴾ إلى حيث يريد. ﴿ثُمَّ نُؤْتَفُّ بِئِنَّهُ﴾ أى يجمع بين قطع السحاب المتفرقة بعضها إلى بعض، والسحاب جمع، وإنما ذكر الكناية على اللفظ. ﴿ثُمَّ يُجْعَلُهُ رُكَّامًا﴾ متراكما بعضه فوق بعض. ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ وسطه، وهو جمع خلل. وقرأ ابن عباس، والضحاك: من خلله.

﴿وَيُنزَلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾ أى البرد، و﴿مِنْ﴾ صلة. وقيل: معناه: وينزل من السماء قدر جبال أو مثال جبال من برد إلى الأرض. و﴿مِنْ﴾ الأولى: للغاية لأن ابتداء الإنزال من السماء، والثانية: للتبويض لأن البرد بعض الجبال التى فى السماء. والثالثة: لتبيين الجنس لأن جنس تلك الجبال جنس البرد. ﴿فَيُصِيبُ بِهِ﴾ أى بالبرد. ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ فيهلكه، ويهلك زروعه وأمواله، ﴿وَيَصْرِفُهُ، عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ﴾ أى ضوء برق السحاب. ﴿يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ﴾ من شدة ضوئه وبريقه. وقرأ أبو جعفر: يذهب بضم الياء وكسر الهاء من الذهاب. ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ يصرفهما فى اختلافهما وتعاقبهما. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الذى ذكرت من هذه الأشياء ﴿لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ لذوى العقول.

أخبرنى ابن فنجويه حدثنا أبو بكر بن مالك القطيعى قال حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال حدثنا أبى قال حدثنا سفيان عن الزهرى عن سعيد عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله عز وجل: يؤذنى ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدى الأمر أقلب الليل والنهار».



﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشَى عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشَى عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشَى عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبِينَاتٍ

وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠٠﴾ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠١﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿١٠٢﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿١٠٣﴾ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ القَائِمُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنْ أُمرْتُمْ لِيَخْرُجُنَّ قُلُوبُنَا لَآ تَقْسِمُوا طَاعَةً مَعْرُوفَةً إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٠٨﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٠٩﴾

﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ﴾ خالق على الاسم كوفى غير عاصم . والباقون ﴿خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ﴾ على الفعل . ﴿مِنْ مَاءٍ﴾ أى من نطفة . وقيل : إنما قال : ﴿مِنْ مَاءٍ﴾ لأن أصل الخلق من الماء ، ثم قلب بعض الماء إلى الريح فخلق منها الملائكة ، وبعضه إلى النار فخلق منه الجن ، وبعضه إلى الطين ، فخلق منه آدم <sup>(١)</sup> .

﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾ كالحيات ، والحيتان . ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ﴾ كالطير . ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾ قوائم كالأنعام والوحوش والسباع ولم يذكر ما يمشى على أكثر من أربع لأنه كالذى يمشى على أربع فى رأى العين .

﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ كما يشاء . ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لقد أنزلنا آياتٍ مبيناتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠٠﴾ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ﴿١٠١﴾ أَيُّ قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٠٢﴾

(١) هذا تأويل بالرأى عار من الدليل وإنما الدين بالدليل والحجة من قول صريح من كتاب الله سبحانه أو قول صحيح عن رسول الله ﷺ وأذ لم يأت قائله بشيء من ذلك فلا يقبل مثل قوله هذا إذ إن هذا من علم ربي سبحانه حجه عن خلقه لحكمة يعلمها .



مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴿ وَيَدْعُو إِلَىٰ غَيْرِ حُكْمِ اللَّهِ .

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا أَوْلَيْتِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ نزلت هذه الآيات في بشر المنافق وخصمه اليهودي حين اختصما في أرض، فجعل اليهودي يجره إلى رسول الله ﷺ ليحكم بينهما، وجعل المنافق يجره إلى كعب بن الأشرف، ويقول: إن محمداً ليحيف علينا، فذلك قوله: ﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴾ الرسول بحكم الله. ﴿ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين ﴿ مطيعين منقادين لحكمه. ﴿ أَلْفَىٰ قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا ﴾ يعني أنهم كذلك، فجاء بلفظ التوبيخ ليكون أبلغ في الذم كقول جرير في المدح:

أستم خير من ركب المطايا      وأندى العالمين بطون راح

يعنى أنتم كذلك.

﴿ أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ ﴾ أى يظلم. ﴿ بَلْ أَوْلَيْتِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ لأنفسهم بإعراضهم عن الحق، والواضعون المحاكمة في غير موضعها.

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ ﴾ أى إلى كتاب الله. ﴿ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴾ نصب القول على خبر كان، واسمه في قوله: ﴿ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَوْلَيْتِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ومن يطع الله ورسوله وينخش الله ويتقاه فأولئك هم الفائزون ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتُمْ لَنَخْرُجُنَّ ﴾ وذلك أن المنافقين كانوا يقولون لرسول الله ﷺ: أينما كنت نكن معك إن أقمنا وإن خرجت خرجنا وإن أمرتنا بالجهاد جاهدنا، فقال الله سبحانه ﴿ قُلْ لَا تَقْسِمُوا طَاعَةَ مَعْرُوفَةٍ ﴾ أى هذه طاعة القول واللسان دون الاعتقاد، فهي معروفة منكم بالكذب إنكم تكذبون فيها، وهذا معنى قول مجاهد. وقيل معناه: طاعة معروفة أمثل وأفضل من هذا القسم الذى يحشون فيه.

﴿ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ من طاعتكم، ومخالفتكم.

﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ عن طاعة الله ورسوله والإذعان لحكمه. ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ ﴾ أى على الرسول. ﴿ مَا حُجِّلَ ﴾ كلف وأمر به من تبليغ الرسالة. ﴿ وَعَلَيْكُمْ مَا حُجِّمْتُمْ ﴾ من طاعته ومتابعته. ﴿ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾ .

سمعت أبا بكر محمد بن أحمد بن عقيل الوراق في آخرين قالوا: سمعنا أبا عمرو إسماعيل بن نجيد السلمى يقول: سمعت أبا عثمان سعيد بن إسماعيل الجيزى يقول: من أمر السنّة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة، ومن أمر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة لقول الله سبحانه: ﴿ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾ .

﴿ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَنْبَلِغَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي

الْأَرْضِ ﴿ إِنَّمَا أَدْخَلَ اللَّامَ لِحَوَابِ الْيَمِينِ الْمُضْمَرِ لِأَنَّ الْوَعْدَ قَوْلَ مَجَازِهَا ، وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ :  
 ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ وَاللَّهُ لَيْسَتْخَلْفَهُمْ فِي الْأَرْضِ لِيُورِثَهُمْ أَرْضَ الْكُفَّارِ  
 مِنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ فَيَجْعَلُهُمْ مَلُوكَهَا وَسَاسَتَهَا وَسَكَانَهَا .

﴿ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ يَعْنِي بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ أَهْلَكَ الْجَبَابِرَةَ بِمِصْرَ وَالشَّامَ وَأُورِثَهُمْ  
 أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَقِرَاءَةُ الْعَامَّةُ : كَمَا اسْتَخْلَفَ بِفَتْحِ التَّاءِ ، وَاللَّامُ لِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَعَدَّ ﴾  
 وَقَوْلُهُ : ﴿ لَيْسَتْخَلْفَهُمْ ﴾ .

وَرَوَى أَبُو بَكْرٍ عَنِ عَاصِمِ بْنِ مَرْثَدٍ ، وَكَسَرَ اللَّامَ عَلَى مَذْهَبِ مَا لَمْ يَسْمَعْ فَاعْلَهُ .  
 ﴿ وَيُمَكِّنَنَّ ﴾ وَلِيُوطِنَنَّ . ﴿ لَهُمْ دِينُهُمْ ﴾ مَلَّتَهُمُ الَّتِي ارْتَضَاهَا لَهُمْ وَأَمْرَهُمْ بِهَا . ﴿ وَيُؤَيِّدُ تَتَمُّنًا ﴾ قَرَأَ  
 ابْنُ كَثِيرٍ وَعَاصِمٌ وَيَعْقُوبُ بِالتَّخْفِيفِ ، وَهُوَ اخْتِيَارُ أَبِي حَاتِمٍ . وَقَرَأَ غَيْرُهُمْ بِالتَّشْدِيدِ وَهَمَا  
 لِعُتَانَ ، وَقَالَ بَعْضُ الْأَثَمَةِ : التَّبْدِيلُ : تَغْيِيرُ حَالٍ إِلَى حَالٍ ، وَالْإِبْدَالُ : رَفْعُ شَيْءٍ وَجَعْلُ غَيْرِهِ  
 مَكَانَهُ . ﴿ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ ﴾ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ . ﴿ بَعْدَ ذَلِكَ ﴾ يَعْنِي  
 وَآثَرَ الْكُفْرِ بِاللَّهِ . ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ .

رَوَى الرَّبِيعُ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَالَ : مَكَثَ النَّبِيُّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ خَائِفًا يَدْعُو إِلَى  
 اللَّهِ سِرًّا وَعِلَانِيَةً ، ثُمَّ أَمَرَ بِالْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَمَكَثَ بِهَا هُوَ وَأَصْحَابُهُ خَائِفِينَ يَصْبِحُونَ فِي  
 السَّلَاحِ وَيَمْسُونَ فِيهِ ، فَقَالَ رَجُلٌ : مَا يَأْتِي عَلَيْنَا يَوْمَ نَأْمَنُ فِيهِ وَنَضَعُ عَنَّا السَّلَاحَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ  
 ﷺ : « لَا تَغْبِرُونَ إِلَّا سِيرًا حَتَّى يَجْلِسَ الرَّجُلُ مِنْكُمْ فِي الْمَلَأِ الْعَظِيمِ مُحْتَبِيًّا لَيْسَ فِيهِ حَدِيدَةٌ » .  
 وَأَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ هَذِهِ الْآيَةَ ، فَأُنْجِزَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَأُظْهِرَهُ عَلَى جَزِيرَةِ الْعَرَبِ فَأَمَّنُوا ثُمَّ تَجَبَّرُوا  
 وَكَفَرُوا بِهَذِهِ النِّعْمَةِ ، وَقَتَلُوا عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ ، فَغَيَّرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَا بِهِمْ ، وَأَدْخَلَ الْخَوْفَ الَّذِي  
 رَفَعَهُ عَنْهُمْ .

وَقَالَ مِقَاتٌ : لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْحَدِيثِيَّةِ حَزَنَ أَصْحَابُهُ فَأَطْعَمَهُمُ اللَّهُ نَخْلَ خَيْرٍ ،  
 وَوَعَدَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوا الْعَامَ الْمُقْبِلَ مَكَّةَ آمِنِينَ ، وَأَنْزَلَ هَذِهِ الْآيَةَ .

قُلْتُ : وَفِيهَا دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَى صِحَّةِ خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَإِمَامَةِ الْخُلَفَاءِ  
 الرَّاشِدِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

رَوَى سَعِيدُ بْنُ جَهْمَانَ عَنْ سَفِينَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « الْخِلَافَةُ مِنْ بَعْدِي ثَلَاثُونَ ، ثُمَّ  
 يَكُونُ مَلِكًا » .

قَالَ سَفِينَةُ : أَمَسَكَ خِلَافَةُ أَبِي بَكْرٍ سِتْنِينَ ، وَعَمْرٌ عَشْرًا وَعُثْمَانُ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ ، وَعَلَى سِتَّةِ .  
 وَأَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ الطَّبْرَانِيِّ بِهَا قَالَ أَخْبَرَنَا شَافِعُ بْنُ

محمد قال حدثنا ابن الوشاء قال حدثنا ابن إسماعيل البغدادي قال حدثنا محمد بن الصباح قال حدثنا هشيم بن بشير عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «الخلافة بعدى فى أمتى فى أربع: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلى»<sup>(١)</sup>.



﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا أُولَئِكَ إِلَّا نَارٌ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَيْسَتْ عَلَيْكُمْ أَلْحَاظٌ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَعِذُوا كَمَا اسْتَعِذَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الِأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّن عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَعِذُوا بِالَّذِينَ

(١) هذا خبر لا يصح متنه وأقل ما فى إسناده هشيم بن بشير وإن كان ثقة إلا أنه موصوف بالتدليس وقد عنعن فالخبر الوارد عنه يكون ضعيفًا فى هذه الحالة، وواضح من متنه عدم صحته وهو من الأحاديث التى دست على السنة أيام الفتن بين الطوائف الإسلامية الأولى انتصاراً لفئة من الفئات.

يَسْتَعْدُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ فَإِذَا أَسْتَعْدَنُواكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذِّنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلْلُونَ مِنْكُمْ لَوْ آذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَتَوْمَ يَرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ ﴿١﴾  
 ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هذه قراءة العامة . وقرأ ابن عامر ، وحمزة بالياء على معنى لا يحسبن الذين كفروا أنفسهم . ﴿مُعْجِزِينَ﴾ لأن الحسبان يتعدى إلى مفعولين . وقال الفراء : يجوز أن يكون الفعل للنبي ﷺ أى لا يحسبن محمد الكافرين معجزين . ﴿فِي الْأَرْضِ وَمَاؤُهُمُ النَّارُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَعْدِنَكُمْ ۝ .

قال ابن عباس : وجه الرسول ﷺ غلاماً من الأنصار يقال له : مدلج بن عمرو إلى عمر بن الخطاب وقت الظهيرة ليدعوه ، فدخل فرأى عمر بحالة كره عمر رؤيته ذلك ، فقال : يا رسول الله ، وددت لو أن الله أمرنا ونهانا في حال الاستئذان ، فأنزل الله سبحانه هذه الآية (١) .

(١) كثيراً ما ينسب إلى سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه مثل هذه الأشياء التي يزعم أن القرآن وافقه فيها وكان عمر رضى الله عنه يعلم أكثر من النبي ﷺ أو هو أغير على دين الله من رسول الله ﷺ أو أعلم بشئون الحياة منه ﷺ حتى زعموا أن القرآن كأنه ينزل بما يوافق عمر فقالوا : إن رسول الله ﷺ قال : «إن الله ليسرع في هواك» وهذا قول لا يصح وكان التشريع يأتي من الأدنى إلى الأعلى عمر ، فالنبي ، فجبريل ثم الله سبحانه وتعالى حاشا لله مع علمنا بأن عمر رضى الله عنه من خيار صحابة رسول الله ﷺ وهو ثانی الخلفاء ، وأول أمراء المؤمنين رضى الله عنهم أجمعين لكن الذى أرجوه هو أن يتبته المسلم عند سياق الأخبار ويعلم أن للصحابة مكانتهم وللنبي ﷺ مكانته وأن التشريع يأتي إليه فيبلغه لهم وهم خير من ينفذ وينقاد لأمر الله وأمر رسوله ظاهراً وباطناً ويتمهل كثيراً عند قراءة أحاديث الفضائل والمناقب ، ويعلم بمناسبة الاستئذان أن العرب لم يكونوا همجاً كما يصور البعض لا حس عندهم ولا مبادئ ولا اعتبار لحقوق الآخرين ولا احترام ولا حرمة للبيوت فإن كل هذا باطل ولا أساس له من الصحة ، والكل يحكى عنهم أنهم استحووا أن يتسوروا على رسول الله ﷺ داره ليقتلوه حتى لا يعيروا بذلك احتراماً لحرمة الدار وما يكون عليه صاحبها فيه من التخفف والحرية ، وإنما جاء الإسلام لينظم تلك المبادئ ويضعها في إطار تشريعى منظم محكم ملزم للأفراد حتى يكون الأمر منضبطاً بضوابط شرعية حيث جاء هذا الدين ليصلح أمر الدنيا والدين فمن شئون الدنيا المحافظة على حرية وحرمة الآخرين والمحافظة على أسرارهم وخصوصياتهم وقد يكون هناك سبب لنزول أى آية ، وقد لا يكون هناك سبب وتنزل الآية لتعلم المسلمين شئون حياتهم فليس إلزاماً أن يكون هناك سبب مباشر يحاول المفسر أن يلصقه بالآية من لا خبرة لهم بالتفسير أو من أصحاب الأهواء والله أسأل لى ولكم الهداية إلى الصواب إنه كريم تواب .

وقال مقاتل: نزلت في أسماء بنت مرثد، كان لها غلام كبير قد دخل عليها في وقت كرهته، فأتت رسول الله ﷺ فقالت: إن خدمنا وغللمانا يدخلون علينا في حال نكرها، فأنزل الله سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ﴾ اللام لام الأمر. ﴿الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ يعنى العبيد والإماء ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَلْفُؤْاْ الْحُلُمَ مِنْكُمْ﴾ من الأحرار. ﴿ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾ في ثلاثة أوقات. ﴿مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ﴾ للقائلة.

﴿وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ﴾ روى عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ قال: «لا تغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم فإن الله سبحانه قال: ﴿وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ﴾ وإنما العتمة عتمة الإبل»، وإنما خص هذه الأوقات لأنها ساعات الغفلة والخلوة ووضع الثياب والكسوة، فذلك قوله سبحانه: ﴿ثَلَاثَ عَوْرَاتٍ لَكُمْ﴾

قرأ أهل الكوفة: ثلاث بالنصب رداً على قوله: ﴿ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾. ورفعه الآخرون على معنى هذه ثلاث عورات. ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ﴾ يعنى العبيد، والخدم، والأطفال. ﴿جُنَاحٌ﴾ على الدخول بغير إذن. ﴿بَعْدَهُنَّ﴾ أى بعد هذه الأوقات الثلاثة. ﴿طَوَّافُونَ﴾ أى هم طوافون. ﴿عَلَيْكُمْ﴾. يدخلون ويخرجون، ويذهبون ويجيئون ويترددون فى أحوالهم وأشغالهم بغير إذن. ﴿بَعْضُكُمْ يَطُوفُ﴾. ﴿عَلَى بَعْضِ كَذَلِكَ يَشِيرُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ اختلف العلماء فى حكم هذه الآية: فقال قوم: هو منسوخ لا يعمل به اليوم<sup>(١)</sup>.

أخبرنا أبو محمد الرومى قال: أخبرنا أبو العباس السراج قال: حدثنا قتيبة قال: حدثنا عبد العزيز عن عمرو عن عكرمة: أن نفراً من أهل العراق قالوا لابن عباس: كيف ترى هذه الآية؟ أمرنا فيها بما أمرنا فلا يعمل بها أحد، قول الله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ الآية. فقال ابن عباس: إن الله رفيق حليم رؤوف رحيم يحب الستر، وكان الناس ليست ليوتهم ستور ولا حجال، فرمما دخل الخادم والولد والرجل على أهله، فأمرهم الله سبحانه وتعالى بالاستئذان فى تلك العورات، فجاءهم الله بالستور والخير، فلم أر أحداً يعمل بذلك، وقال آخرون: هى محكمة والعمل بها واجب.

روى سفيان عن موسى بن أبى عائشة قال: سألت الشعبي عن هذه الآية: ﴿لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ قلت: أمسوخة هى؟ قال: لا، والله ما نسخ. قلت: إن الناس لا يعملون بها. قال: الله المستعان.

(١) يرى من لا يقر أمر النسخ فى القرآن بأن مثل هذه الأقوال إن صحت فإنما هى نوع من التدرج فى التشريع وليس نسخاً، ويرى آخرون أن مثل هذه الأحوال والأحكام يتحول بتحول الحال، والله أعلم.

وروى أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير في هذه الآية قال: إن ناساً يقولون نُسخت، والله ما نُسخت ولكنها مما يتهاون به الناس.

﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ أَى مِنْ أحراركم﴾ ﴿الْحُرِّ فَلَيْسَتْ تَدُونُوا﴾ في جميع الأوقات في الدخول عليكم. ﴿كَمَا اسْتَفْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يعنى الأحرار الكبار.

﴿كَذَلِكَ يُمَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ يعنى اللاتى قعدن عن الولد من الكبر فلا يحضن ولا يلدن، واحدها قاعدة.

﴿النَّبِيُّ لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ لا يطمعن فى التزوج ويثن من البعولة.

﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ عند الرجال، يعنى جلابيبهن والقناع الذى فوق الخمار والرداء الذى يكون فوق الثياب، يدل على هذا التأويل قراءة أبى بن كعب: أن يضعن من ثيابهن. ﴿غَيْرِ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾ يعنى من غير أن يردن بوضع الجلابب والثياب أن ترى زينتهن. والتبرج هو: أن تظهر المرأة [من] (١) محاسنها مما ينبغى لها أن تستره.

﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ﴾ فيلبسن جلابيبهن ﴿خَيْرٌ لِهِنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ﴾ اختلف العلماء فى تأويل هذه الآية، وحكمها: فقال ابن عباس: لما أنزل الله سبحانه وتعالى قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ (النساء: ٢٩) تخرج المسلمون عن مواكلة المرضى، والزمنى، والعمى، والعرج، وقالوا: الطعام أفضل الأموال وقد نهانا الله سبحانه وتعالى عن أكل المال بالباطل، والأعمى لا يبصر موضع الطعام الطيب، والأعرج لا يستطيع المزاحمة على الطعام، والمرضى لا يستوفى الطعام، فأنزل الله سبحانه هذه الآية. وعلى هذا التأويل تكدين على بمعنى فى معنى ليس عليكم فى مواكلة الأعمى والأعرج والمرضى حرج.

وقال سعيد بن جبير، والضحاك، ومقسم: كان العرجان والعميان يتزهون عن مواكلة الأصحاء لأن الناس يتقززون منهم، ويكرهون مؤاكلتهم، وكان أهل المدينة لا يخالطهم فى طعامهم أعمى ولا أعرج ولا مريض تقززاً، فأنزل الله سبحانه هذه الآية.

وقال مجاهد: نزلت هذه الآية ترخيصاً للمرضى، والزمنى فى الأكل من بيوت من سمى الله سبحانه فى هذه الآية. وذلك أن قوماً من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا إذا لم يكن عندهم ما يطعمونهم ذهبوا بهم إلى بيوت آبائهم وأمهاتهم، أى بعض من سمى الله فى هذه الآية فكان أهل الزمانة يتخوفون من أن يطعموا ذلك الطعام لأنه أطعمهم غير مالكيه، ويقولون: إنما يذهبون بنا إلى بيوت غيرهم، فأنزل الله سبحانه هذه الآية.

(١) السياق يقتضيها.

وروى عبد الرزاق عن معمر قال سألت الزهري عن هذه الآية، فقال: أخبرني عبيد الله بن عبد الله أن المسلمين كانوا إذا غزوا خلفوا زمناهم، وكانوا يدفعون إليهم مفاتيح أبوابهم، ويقولون: قد أحللناكم أن تأكلوا مما فى بيوتنا فكانوا يتخرجون من ذلك، يقولون: لا ندخلها وهم غيب، فأنزلت هذه رخصة لهم.

قال الحسن، وابن زيد: يعنى ليس على ﴿وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ﴾ فى التخلف عن الجهاد فى سبيل الله قال: وهاننا تمام الكلام.  
وقوله: ﴿وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ الآية. كلام منقطع عما قبله.

قال ابن عباس: تخرج قوم عن الأكل من هذه البيوت لما نزل قوله سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ (النساء: ٢٩) وقالوا: لا يحل لأحد منا أن يأكل عند أحد، فأنزل الله سبحانه هذه الآية: ﴿وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ﴾.

قال ابن عباس: عنى بذلك وكيل الرجل وقيمه فى ضيعته وماشيته لا بأس عليه أن يأكل من ثمر ضيعته ويشرب من خير ماشيته. وقال الضحاك: يعنى من بيوت عبيدكم وممالككم.  
وقال مجاهد: من بيوت أنفسكم مما اخترتم وملكتم، وقرأ سعيد بن جبير: مَلَكْتُمْ بالتشديد.

قال ابن عباس: نزلت هذه الآية فى الحارث بن عمرو، خرج مع رسول الله ﷺ غازياً وخلف مالك بن زيد على أهله، فلما رجع وجده مجهوداً فسأله عن حاله فقال: تخرجت أن أكل من طعامك بغير إذنك، فأنزل الله سبحانه هذه الآية.

وكان الحسن وقتادة يريان دخول الرجل بيت صديقه والتخرج من طعامه بغير استئذان بهذه الآية.

﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾

قال قوم: نزلت فى حى من كنانة يقال لهم بنو ليث بن عمرو، كانوا يتخرجون أن يأكل الرجل الطعام وحده، فرمما قعد الرجل والطعام بين يديه من الصباح إلى الرواح والرسول حفل والأحوال منتظمة تخرج من أن يأكل وحده فإذا أمسى ولم يجد أحداً أكل، فأنزل الله سبحانه هذه الآية. وهذا قول قتادة، والضحاك، وابن جريج، ورواية الوالبى عن ابن عباس.

وروى عطاء الخراسانى عنه أنه قال: كان الغنى يدخل على الفقير من ذوى قرابته وصداقته

فيدعوه إلى طعامه، فيقول: والله إنى لأجرح أن أكل معه، أى أخرج - وأنا غنى وأنت فقير، فنزلت هذه الآية.

وقال عكرمة، وأبو صالح: نزلت فى قوم من الأنصار، كانوا لا يأكلون إذا نزل بهم ضيف إلا مع ضيفهم، فرخص لهم فى أن يأكلوا حيث شاءوا جميعاً مجتمعين أو أشتاتاً متفرقين.

﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ أى ليسلم بعضكم على بعض كقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ (النساء: ٢٩).

عن الحسن، وابن زيد: حدثنا ابن حبيب لفظاً فى شهور سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة قال: حدثنا أبو حاتم محمد بن حبان البُستى قال حدثنا محمد بن صالح الطبرى قال حدثنا الفضل ابن سهل الأعرج قال حدثنا محمد بن جعفر المدائنى قال حدثنا ورقاء عن الأعمش عن زيد بن وهب عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ: «السلام اسم من أسماء الله تعالى فافشوه بينكم، فإن الرجل المسلم إذا مرّ بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه السلام كان له عليهم فضل درجة بذكره إياهم بالسلام فإن لم يردوا عليه ردّ عليه من هو خير منهم وأطيب».

وحدثنا أبو القاسم قال أخبرنا أبو حامد أحمد بن محمد بن العباس البغوى قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن محمد بن عبد الوهاب البغوى قال حدثنا يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى ابن سمعان أن سعيد المقبرى أخبره عن أبيه عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا وقف أحدكم على المجلس فليسلم، فإن بدا له أن يقعد فليقعد، وإذا قام فليسلم، فإن الأولى ليست بأحق من الآخرة».

وقال بعضهم معناه: فإذا دخلت بيوت أنفسكم فسلموا على أهلكم وعيالكم وهو قول جابر بن عبد الله، وطاووس، والزهرى، وقتادة، والضحاك، وعمرو بن دينار، ورواية عطاء الخراسانى عن ابن عباس قال: فإن لم يكن فى البيت أحد فليقل السلام علينا من ربنا، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله.

حدثنا ابن حبيب لفظاً قال حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن موسى بن كعب العدل إملاءً قال حدثنا أبو نصر اليسع بن زيد بن سهل الرسى بمكة سنة اثنتين ومائتين قال حدثنا سفيان بن عيينة عن حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: خدمت رسول الله ﷺ، فما قال لى لشيء فعلته لم فعلته، ولا قال لى لشيء كسرته لم كسرته، وكنت واقفاً على رأسه أصب على يديه الماء، فرفع رأسه فقال: «ألا أعلمك ثلاث خصال تنتفع بها؟ قلت بأبى أنت وأمى يا رسول الله، بلى، قال: «من لقيت من أمتى فسلم عليه يطل عمرك وإذا دخلت على أهل بيتك



فسلم عليهم يكثر خير بيتك ، وصلِّ صلاة الضحى فإنها صلاة الأبرار» .

قال بعضهم : يعنى فإذا دخلت المساجد فسلموا على من فيها .

أخبرنا أبو سعيد محمد بن عبد الله بن حمدون قال أخبرنا أبو بكر محمد بن حمدون بن خالد قال حدثنا محمد بن عبد الله بن مهمل الصنعاني قال حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن عمرو بن دينار عن ابن عباس فى قوله : ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ الآية .

قال : إذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين .

﴿تَحِيَّةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ : نصب على المصدر ، أى تحيون أنفسكم بها تحية . وقيل : على الحال ، بمعنى تفعلونه تحية من عند الله . ﴿مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُمْ أَى مع رسول الله ﷺ ﴿عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ يجمعهم من حرب حضرت أو صلاة فى جمعة أو جماعة أو تشاور فى أمر نزل . ﴿لَمْ يَذْهَبُوا﴾ لم يتركوا عنه ، ولم ينصرفوا عما اجتمعوا له من الأمر . ﴿حَتَّىٰ يَسْتَضِيُّوهُ الْوَالِدِينَ يَسْتَضِيُّوهُنَّ﴾ يا محمد . ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ .

أخبرنى ابن فنجويه قال حدثنا محمد بن خلف قال حدثنا إسحاق بن محمد ، قال حدثنا أبى قال حدثنا إبراهيم بن عيسى قال حدثنا على بن على عن أبى حمزة الثمالى فى هذه الآية قال : هو يوم الجمعة ، وكان رسول الله ﷺ إذا صعد المنبر يوم الجمعة ، وأراد الرجل أن يقضى الحاجة ، والرجل به العلة لم يخرج من المسجد حتى يقوم بحيال رسول الله ﷺ حيث يراه ، فيعرف رسول الله ﷺ أنه إنما قام ليستأذن ، فيأذن لمن شاء منهم .

﴿فَإِذَا اسْتَضَدُّوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾ أمرهم . ﴿فَأَذِنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ فى الانصراف . ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَهُمْ﴾ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾

قال ابن عباس يقول : احذروا دعاء الرسول عليكم إذا أسخطتموه فإن دعاءه موجب ليس كدعاء غيره .

وقال مجاهد ، وقتادة ، لا تدعوه كما يدعو بعضكم بعضاً : يا محمد ، ولكن فخموه ، وشرفوه ، وقولوا يا نبى الله ، يا رسول الله فى لين وتواضع .

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُونُ﴾ أى يخرجون ومنه تسلل القطا ﴿مِنْكُمْ﴾ أيها المنصرفون عن نبيكم بغير إذنه . ﴿لَوْ أَدَّ﴾ أى يستتر بعضكم ببعض ، ويروغ فى خفية فيذهب . واللواذ مصدر لاوذ بفلان يلاوذ ملاوذة ولواذا ، ولو كان مصدر للذات لقال : لياذا مثل القيام والصيام .

وقيل: إن هذا في حفر الخندق، كان المنافقون ينصرفون بغير أمر رسول الله ﷺ لوأدًا مختفين.

﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ أى أمره، ﴿عَنْ﴾ صلة. وقيل: معناه: تعرضون على أمره، وتنصرفون عنه بغير إذنه. ﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ أى قتل، عن ابن عباس. وقال عطاء: الزلازل، والأهوال، وقال جعفر بن محمد: سلطان. وقال جابر: يسلط عليهم. وقال الحسن: بلية تظهر ما (فى) قلوبهم من النفاق. ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وجيع عاجل فى الدنيا. ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ عبيدًا وملكًا وملكًا، وخلقًا. ودلالة على وجوده وتوحيده وكمال قدرته وحكمته.

﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١).



(١) جاء بهامش المخطوط تعليق مقابلة نصه: تمت المجلدة السابعة وقوبل بالأصل.

## سورة الفرقان

مكية<sup>(١)</sup> وهي ثلاثة آلاف وسبعمائة وثلاثة وثلاثون حرفاً  
وثمانمائة واثنان وتسعون كلمة وسبع وسبعون آية

أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن الحسن المقرئ غير مرة قال حدثنا الإمام أبو بكر أحمد ابن إبراهيم الإسماعيلي، والحافظ أبو الشيخ عبد الله بن محمد الأصفهاني قالا: حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن شريك قال حدثنا أحمد بن يونس قال حدثنا سلام بن سليم قال حدثنا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الفرقان بعث يوم القيامة وهو يؤمن أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور، ودخل الجنة بغير حساب».

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ الَّذِي لَهُ مَلِكُ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ  
تَقْدِيرًا ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا  
وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ  
وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أَكْتَتَبَهَا فَهِيَ  
تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا  
رَحِيمًا﴾ وَقَالُوا مَا لِي هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَهُهُ مَلِكٌ

(١) قال القرطبي: مكية كلها في قول الجمهور.

وقال ابن عباس وقتادة: إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة وهي: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر﴾ إلى قوله: ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾.

وقال الضحاك: هي مدنية وفيها آيات مكية قوله: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر﴾ الآيات.

فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿١٠٤﴾ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزًا أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَبَعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿١٠٥﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿١٠٦﴾ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ﴿١٠٧﴾

﴿تَبَارَكَ﴾ : تفاعل من البركة .

عن ابن عباس : كان معناه جاء بكل بركة . دليله قول الحسن : تجيء البركة من قبله ، وقال الضحاك : تعظم . وقال الخليل : تمجد ، وأصل البركة النماء والزيادة . وقال المحققون : معنى هذه الصفة : دام بما لم يزل ولا يزال . وأصل البركة : الدثور ، يقال : برك الطير على الماء ، وبرك البعير ، ويقال : تبارك الله ، ولا يقال : متبارك أو مبارك ، لأنه ينتهي في صفاته وأسمائه إلى حيث ورد التوقيف .

﴿الَّذِي نَزَلَ الْفُرْقَانُ﴾ : القرآن ﴿عَلَىٰ عَبْدِي﴾ : محمد ﷺ ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ﴾ : الجن والإنس ﴿نَذِيرًا﴾ : قال بعضهم : النذير هو القرآن . وقيل : هو محمد ﷺ .

﴿الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمُرِّيخٌ ذُو أُنُوفٍ لَدَا وَرْدٍ لَّهُ شَرِيفٌ فِي الْمَلِكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ : مما يطلق عليه صفة المخلوق ﴿فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ : فسواه وهياه لما يصلح له فلا خلل فيه ولا تفاوت . ﴿وَأَتَّخَذُوا﴾ : يعنى عبدة الأوثان ﴿مِنْ دُونِهِ إِلهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمُوتُونَ لَأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمُوتُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿١٠٤﴾ : يعنى النضر بن الحارث وأصحابه ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قُرْآنٌ مِّمَّا يَكْفُرُ بِالْقُرْآنِ﴾ : اختلقه محمد ﷺ ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ : يعنى اليهود ، عن مجاهد .

وقال الحسن بن عبيد بن الحضر الحبشى : الكهان . وقيل : جبر ، ويسار ، وعداس مولى حويطب بن عبد العزى .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿فَقَدْ جَاءُوا﴾ : يعنى قائلى هذه المقالة .

﴿ظَلَمْنَا وَرُورًا﴾ : بنسبتهم كلام الله سبحانه إلى الإفك والافتراء ﴿وَقَالُوا﴾ : أيضًا ﴿أَسْطِيرُ الْأُولِينَ أَكْتَبْتَهَا فِيهِ نَسْنَأُ عَلَيْهِ﴾ : تقرأ عليه ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ .

ثم قال سبحانه وتعالى رداً عليهم وتكذيباً لهم ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ وَقَالُوا مَا هَذَا الرَّسُولُ ﴿١٠٥﴾ : يعنون محمداً ﷺ ﴿يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾ : كما

نَأْكُلُ ﴿وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ : يَلْتَمِسُ الْمَعَاشَ ﴿أَوْ لَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ﴾ : يَصَدِّقُهُ ﴿فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ : دَاعِيًا ﴿أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ﴾ : يَنْفَقُهُ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى التَّصَرُّفِ فِي طَلْبِ الْمَعَاشِ ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُ رِجْتَةٌ﴾ : بَسْتَانٌ ﴿يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ : هُوَ، هَذِهِ قِرَاءَةُ الْعَامَّةِ . وَقَرَأَ حَمْزَةً، وَالْكَسَائِي، وَخَلْفَ بِالنُّونِ، أَيْ نَأْكُلُ نَحْنُ .

﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَبْعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ : نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي قِصَّةِ ابْنِ أَبِي أُمِيَّةٍ، وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهَا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ .

﴿أَنْظُرْ﴾ : يَا مُحَمَّدَ . ﴿كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ : إِلَى الْهُدَى وَمَخْرَجًا مِنَ الضَّلَالَةِ، فَأَخْبَرَ اللَّهُ أَنَّهُمْ مَتَمَسِّكُونَ بِالْجَهْلِ وَالضَّلَالِ، عَادِلُونَ عَنِ الرَّشْدِ وَالصَّوَابِ، وَهَمَّ مَعَ ذَلِكَ كَانُوا مَكْلِفِينَ بِقَبُولِ الْحَقِّ فَنَبَتْ أَنْ الْإِسْتِطَاعَةَ الَّتِي يَفْعَلُ بِهَا الضَّلَالُ غَيْرَ الْإِسْتِطَاعَةَ الَّتِي يَحْصُلُ بِهَا الْهُدَى وَالْإِيمَانَ .

﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ﴾ : أَيْ مِمَّا قَالُوا، عَنِ مَجَاهِدٍ . وَرَوَى عِكْرَمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : يَعْنِي خَيْرًا مِنَ الْمَشَى فِي الْأَسْوَاقِ وَالتَّمَاسِ الْمَعَاشِ، ثُمَّ بَيَّنَّ ذَلِكَ الْخَيْرَ مَا هُوَ فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا﴾ أَيْ بَيْوتًا مَشِيدَةً، وَسُمِّيَ قَصْرًا لِأَنَّهُ قَصَرَ أَيْ حَبَسَ وَمَنَعَ مِنَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ . وَاخْتَلَفَ الْقِرَاءَةُ فِي قَوْلِهِ : ﴿وَيَجْعَلُ﴾ فَرَفَعَ لِأَمِّهِ ابْنِ كَثِيرٍ، وَابْنِ عَامِرٍ، وَعَاصِمٌ بِرِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ، وَالْمُفَضَّلُ، وَجَزَمَهُ الْآخَرُونَ عَلَى مَحَلِّ الْجُزْأِ فِي قَوْلِهِ : ﴿إِنْ شَاءَ جَعَلَ﴾ .

وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو أَحْمَدُ بْنُ أَبِي أَحْمَدَ بْنِ حَمْدُونَ النِّيسَابُورِيُّ قَالَ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يَعْقُوبَ الْبَخَارِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَمِيدِ بْنِ فَرُوقَةَ الْبَخَارِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو حَذِيفَةَ إِسْحَاقُ بْنُ بَشْرِ الْبَخَارِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا جُوَيْرِ عَنْ الضَّحَّاكِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : لَمَّا عَيَّرَ الْمُشْرِكُونَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْفَاقَةِ، فَقَالُوا : ﴿مَا لِي هَذَا الرَّسُولُ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ حَزَنَ النَّبِيُّ ﷺ لِذَلِكَ، وَنَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ مِنَ عِنْدِ رَبِّهِ مَعْزِيًّا لَهُ، فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَبُّ الْعِزَّةِ يَقْرَأُكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ لَكَ : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لِيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ (الفرقان: ٢٠) وَيَتَّبِعُونَ الْمَعَاشَ فِي الدُّنْيَا .

قَالَ : فَبَيْنَا جِبْرِيلُ وَالنَّبِيُّ ﷺ يَتَحَدَّثَانِ إِذْ ذَابَ جِبْرِيلُ حَتَّى صَارَ مِثْلَ الْهَرْدَةِ، فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْهَرْدَةُ؟ قَالَ : «الْعَدْسَةُ» . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «يَا جِبْرِيلُ مَا لَكَ ذَبْتَ حَتَّى صَرْتَ مِثْلَ الْهَرْدَةِ؟» قَالَ : يَا مُحَمَّدَ : فَتَحَ بَابَ مِنْ أَبْوَابِ السَّمَاءِ لَمْ يَكُنْ فَتَحَ قَبْلَ ذَلِكَ فَتَحُولُ الْمَلِكُ، وَأَنَّهُ إِذَا فَتَحَ بَابَ مِنَ السَّمَاءِ لَمْ يَكُنْ فَتَحَ قَبْلَ ذَلِكَ فَتَحُولُ الْمَلِكُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ رَحْمَةً أَوْ

عذاباً، وإنى أخاف أن يعذب قومك عند تعييرهم إياك بالفاقة فأقبل النبي وجبريل عليهما السلام يبكيان إذ عاد جبريل: فقال: يا محمد، أبشر هذا رضوان خازن الجنة قد أتاك بالرضى من ربك، فأقبل رضوان حتى سلم، ثم قال: يا محمد رب العزة يقرئك السلام، ومعه مسقط من نور يتلأأ، ويقول ربك: هذا مفاتيح خزائن الدنيا مع ما لا ينقص لك مما عندى فى الآخرة مثل جناح بعوضة. فظفر النبي ﷺ إلى جبريل عليه السلام كالمستشير له، فضرب جبريل بيده الأرض وقال: تواضع لله، فقال: «يا رضوان لا حاجة لى فيها الفقر أحب إلىّ وأن أكون عبداً صابراً شكوراً» فقال رضوان: أصبت أصاب الله بك.

وجاء نداء من السماء: فرجع جبريل رأسه إلى السموات قد فتحت أبوابها إلى العرش، وأوحى الله سبحانه وتعالى إلى جنة عدن أن تدلى غصناً من أغصانها عليه عذق عليه غرفة من زبرجدة خضراء لها سبعون ألف من ياقوته حمراء. فقال جبريل: يا محمد، ارفع بصرك، فرفع فرأى منازل الأنبياء وغرفهم، وإذا منازلهم فوق منازل الأنبياء، فضلاً له، خاصة ومناد ينادى: أرضيت يا محمد، فقال النبي ﷺ: «رضيت، فاجعل ما أردت أن تعطينى فى الدنيا ذخيرة عندك فى الشفاعة يوم القيامة».

ويرون أن هذه الآية، أنزلها رضوان: ﴿بَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا﴾.



﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ إِذَا رَأَيْتُمْ مِّنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا ﴿ وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقْرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿ لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿ قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ ﴿ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَعَابَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمِ مِنْكُمْ نُدِقَهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لِيَأْكُلُونَ

الطَّعَامَ وَتَشْتُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿١٠﴾  
 ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَيْتَهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا ﴿١٢﴾ : أى  
 غلياناً وفوراناً كالغضبان إذا غلى صدره من الغضب ﴿وَرَفِيرًا﴾ : ومعنى قوله ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا﴾  
 أى صوتاً كالنغيظ من التلهب والتوقد. قال قطرب: التغيظ لا يُسمع وإنما المعنى رأوا لها  
 تغيظاً، وسمعوا لها زفيراً. قال الشاعر:

رأيت زوجك فى الوغى      متقلداً سيفاً ورمحاً

أى حاملاً رمحاً.

أخبرنى أبو عبد الله بن فنجويه قال حدثنا أبو بكر ابن خزيمة قال حدثنا أبو جعفر بن أبى  
 شيبة قال حدثنا عمى أبو بكر قال حدثنا محمد بن يزيد عن الأصبع بن زيد الوراق عن خالد بن  
 كثير عن خالد بن دريك عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من  
 كذب على متعمداً فليتبوأ بين عيني جهنم مقعداً» فقال: يا رسول الله، وهل لها من عيني؟  
 قال: «نعم ألم تسمع إلى قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا  
 وَرَفِيرًا﴾ (١)».

﴿وَإِذَا الْقَوْمُ مِنهَا مَكَانًا ضَيِّقًا﴾: قال ابن عباس: يضيق عليهم كما يضيق الزج فى الرمح.

وأخبرنى الحسين بن محمد بن الحسين الثقفى قال حدثنا الفضل بن الفضل الكندى قال  
 حدثنا عبد الرحمن بن أبى حاتم قال: قرأ على يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال  
 أخبرنا نافع عن يحيى بن أبى أسيد يرفع الحديث إلى رسول الله ﷺ أنه سئل عن قول الله  
 سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا الْقَوْمُ مِنهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقْرَنِينَ﴾: قال: «والذى نفسى بيده إنهم يستكروهون  
 فى النار كما يستكروه التود فى الحائط».

مقرنين: مصفدين قد قربت أيديهم إلى أعناقهم فى الأغلال، ومنه قيل للحبل: قرن.  
 وقيل: مع الشياطين فى السلاسل والأغلال.

﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾: ويلاً، عن ابن عباس. هلاكاً، عن الضحاك.

وروى حماد عن على بن زيد عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: «أول من يكسى  
 حلّة من النار إبليس فيضعها على حاجبيه فيسحبها من خلفه، وذريته من خلفه، وهو يقول يا  
 ثبورا، وهم ينادون: يا ثبورهم، حتى يصفوا على النار، فيقال لهم:

(١) هذا حديث غير صحيح لجهالة أحد رواه وعلل حديثه أخرى.

﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ قُلْ أَذَلِكَ ﴿: الذى ذكر من صفة النار وأهلها  
 ﴿خَيْرٌ أَمْرٌ جَنَّةُ الْخَالِدِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ  
 وَعْدًا مَسْئُولًا ﴿: وذلك أن المؤمنين سألوهم ذلك فى الدنيا حين قالوا: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا  
 عَلَى رُسُلِكَ﴾ (ال عمران: ١٩٤) فقال الله سبحانه: ﴿كَانَ﴾ (١) [وعد] (٢) الله المؤمنين جنة الخلد  
 وعدًا وعدهم على طاعته إياه فى الدنيا ومساءلتهم إياه ذلك .

وقال بعض أهل العربية يعنى وعدًا واجبًا، وذلك أن المسئول واجب، وإن لم يُسأل كالذين  
 قالوا، ونظير ذلك قول العرب: لأعطيتك ألفًا وعدًا مسئولا. بمعنى أنه واجب لك تسألُهُ.  
 أخبرنى ابن فنجويه قال حدثنا أبو على بن حبش المقرئ قال حدثنا أبو القاسم بن فضل  
 المقرئ قال حدثنا على بن الحسين قال حدثنا جعفر بن سافر قال حدثنا يحيى بن حسان قال  
 حدثنا رشد بن عمرو بن الحارث عن محمد بن كعب القرظى فى قوله سبحانه وتعالى: ﴿كَانَ  
 عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا﴾

قال: الملائكة تسأل لهم ذلك قولهم: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْنَاهُ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ﴾ (غافر: ٨).  
 ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ (٣) (قرأها) بالياء أبو جعفر، وابن كثير ويعقوب، وأيوب، وأبو عبيد، وأبو  
 حاتم، وحفص. (وقراها) الباقون بالنون ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: من الملائكة والإنس،  
 والجن، عن مجاهد وقال عكرمة، والضحاك: يعنى الأصنام ﴿فَيَقُولُ﴾: (قرأها) بالنون ابن  
 عامر. وقرأها غيره بالياء. لهؤلاء المعبودين من دون الله ﴿ءَأَنْتُمْ أَضَلُّنَّ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا  
 السَّبِيلَ﴾ قالوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ ﴿: أى ما كان ينبغى لنا أن  
 نوالى أعداءك بل أنت ولينا من دونهم. وقرأ الحسن، وأبو جعفر: أَنْ نَتَّخِذَ، بضم النون،  
 وفتح الحاء.

قال أبو عبيد: هذا لا يجوز لأن الله سبحانه ذكر ﴿مِنْ﴾ مرتين، ولو كان كما قالوا: لقال:  
 أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ أَوْلِيَاءَ. وقال غيره ﴿مِنْ﴾ الثانية صلة.

﴿وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَعَبَاءَهُمْ﴾: فى الدنيا بالصحة والنعمة ﴿حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ﴾: أى تركوا  
 القرآن فلم يعملوا بما فيه. وقيل: الرسول، وقيل: الإسلام. وقيل التوحيد. وقيل: ذكر الله  
 سبحانه وتعالى .

(١) أى: ﴿كان على ربك وعدًا مسئولا﴾.

(٢) زيادة يتطلبها السياق.

(٣) فى المخطوط: (نحشروهم) فحولت إلى ما هو فى مصحف حفص المطبوع والمتداول فيلاحظ أن شرح المؤلف على  
 ما كان فى المخطوط، لا على ما رسمت.



﴿وَكَاْنُوا قَوْمًا بُورًا﴾: أى هلكى، قد غلبت عليهم الشقاية. والخذلان. قال الحسن، وابن زيد: البور الذى ليس فيه من الخير شىء قال أبو عبيد: وأصله من البوار، وهو الكساد والفساد. ومنه بوار الأمم، وبوار السلع، وهو اسم مصدر، كالزور يستوى فيه الواحد، والاثنان، والجمع، والمؤنث، والمذكر، قال ابن الزبيرى:

يا رسول المليك إن لسانى راتق ما فتقت إذ أنا بور

وقيل: هو جمع البائر، ويقال: أصبحت منازلهم بوراً أى خالية لا شىء فيها. فيقول الله سبحانه لهم عند تبرى المعبودين منهم ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا كَمَا تَقُولُونَ﴾: أنهم كانوا آلهة ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ﴾<sup>(١)</sup>: قرأه العامة: بالياء، يعنى الآلهة. وقرأ حفص بالتاء: يعنى العابدين ﴿صَرَفاً وَلَا نَصْراً﴾: أى صرف العذاب عنهم، ولا نصر أنفسهم.

وقال يونس: الصرف: الحيلة ومنه قول العرب: إنه لينصرف أى يحتال.

قال الأصمعى: الصرف، التوبة، والعدل الفدية.

﴿وَمَنْ يَظَلِرْ﴾: أى يشرك ﴿مِنْكُمْ نَذِقُهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ ﴿: يا محمد ﴿مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا أَنَّهُمْ﴾: قال أهل المعانى: الإاقيل: إنهم ﴿لِيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾: دليله قوله سبحانه: ﴿مَا يَقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾ (فصلت: ٤٣). وقيل: معناه: إلا من أنهم، وهذا جواب لقول المشركين: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ (الفرقان: ٧).

﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾: فالمرىض فتنة للصحيح، والمبتلى فتنة للمعافى والفقير فتنة للغنى، فيقول السقيم: لو شاء الله لجعلنى صحيحاً مثل فلان ويقول الفقير: لو شاء الله لجعلنى غنياً مثل فلان. وقال ابن عباس: إنى جعلت بعضكم بلاء بعض، لتصبروا على ما تسمعون منهم، وترون من خلافهم، وتتبعوا الهدى بغير أن أعطيهم عليه الدنيا، ولو شئت أن أجعل الدنيا مع رسلى فلا يخالفون لفعلت، ولكن قدرت أن أبتلى العباد بكم وأبتليكم بهم.

أخبرنا أبو القاسم عبد الخالق بن على قال أخبرنا أبو بكر محمد بن يوسف ببخارى قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن جمعان قال: حدثنا محمد بن موسى قال: حدثنا القاسم بن يحيى عن الحسن بن دينار عن الحسن عن أبى الدرداء يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ويل للعالم من الجاهل وويل للجاهل من العالم، وويل للمالك من المملوك وويل للمملوك من المالك وويل للضعيف من الضعيف، وويل للضعيف من الشديد، وويل للسلطان من الرعية، وويل للرعية من السلطان بعضهم لبعض فتنة فهو قوله سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ

(١) فى المخطوط بالياء، وأثبت ما فى مصحف حفص فىلاحظ ذلك فى شرح المؤلف.

لِيَعُضُ قَتْنَةً ﴿٤١٠﴾ .

﴿أَنْصَبِرُونَ﴾ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٤١١﴾ : قال مقاتل : نزلت هذه الآية في أبي جهل والوليد بن عقبة والعاص بن وائل والنضر بن الحارث وذلك أنهم لما رأوا أبا ذر، وابن مسعود، وعماراً، وبلالاً، وصهيباً، وعامر بن فهيرة، ومهيج مولى عمر، وجبر غلام الحضرمي، ودونهم قالوا : أنسلم فنكون مثل هؤلاء؟

فأنزل الله سبحانه يخاطب هؤلاء المؤمنين : ﴿أَنْصَبِرُونَ﴾ ؟ يعني على هذه الحال من الشدة والفقر ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ لمن أبصر، ويجزع ولن يؤمن ولن لا يؤمن .



﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًا كَبِيرًا ﴿٤١٢﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٤١٣﴾ وَقَدْ مَنَا إِلَى مَا عَمَلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٤١٤﴾ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٤١٥﴾ وَيَوْمَ تَشْتَقُّ السَّمَاءُ بِالْعَنَمِ وَنُزِلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا ﴿٤١٦﴾ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٤١٧﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٤١٨﴾ يَتَوَلَّى لِيَتَنِي لِمَ اتَّخَذْتُ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٤١٩﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٤٢٠﴾ وَقَالَ الرَّسُولُ يَذْرَبُ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٤٢١﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٤٢٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٤٢٣﴾ وَلَا يَأْتُوكَ بِمِثْلِ إِلَّا جِنَّتُكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٤٢٤﴾ الَّذِينَ يُخَشِرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢٥﴾

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُ ﴾ : فتخبرنا أن محمداً ﷺ صادق ومحق ﴿ أَوْ نَرَى رَبَّنَا ﴾ : فيخبرنا بذلك . نظيرها قوله سبحانه : ﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ قِيْلًا ﴾ (الإسراء: ٩٢) قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ : بهذه المقالة ﴿ وَعَتَوْا عُتُوًا كَبِيرًا ﴾ : قال مقاتل : غلوا في القول، والعتو أشد الكفر والفحش الظلم .

﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ ﴾ : عند الموت في القيامة ﴿ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ ﴾ : الكافرين

﴿وَيَقُولُونَ﴾: يعنى الملائكة للمجرمين ﴿حَجْرًا مَّحْجُورًا﴾: أى حراماً محرماً عليكم. البشرى الخير. وقيل: حرام عليكم الجنة. وقال بعضهم: هذا قول الكفار للملائكة. قال ابن جريج كانت العرب إذا نزلت بهم شديدة أو رأوا ما يكرهون قالوا: حجراً محجوراً، فقالوا حين عاينوا الملائكة هذا. وقال مجاهد: يعنى عوداً معاداً يستعيدون من الملائكة.

﴿وَقَدِمْنَا﴾: وعمدنا ﴿إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾: باطلا لا ثواب له، لأنهم لم يعملوه لله سبحانه وإنما عملوه للشيطان واختلف المفسرون فى الهباء. فقال بعضهم: هو الذى يرى فى الكوى من شعاع الشمس وكالغبار ولا يمس بالأيدى ولا يرى فى الظل، وهو قول الحسن، وعكرمة، ومجاهد.

وقال قتادة، وسعيد بن جبير: هو ما تسفيه الرياح وتذريه من التراب وحطام الشجر. وهى رواية عطاء الخراسانى عن ابن عباس. وقال ابن زيد: هو الغبار. وقال الوالبى عن ابن عباس: هو الماء المهرق. وقال مقاتل: ما يسطع من حوافر الدواب المنثور المتفرق.

﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾: من هؤلاء المشركين المفتخرين بأموالهم ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾: موضع قائمة. وهذا على التقدير. قال المفسرون: يعنى أن أهل الجنة لا يمر بهم فى الآخرة إلا قدر ميقات النهار من أوله إلى وقت القائلة حتى يسكنوا مساكنهم فى الجنة.

قال ابن مسعود: لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل هؤلاء فى الجنة، وهؤلاء فى النار وقرأ: (ثم إن مقيلهم لإلى الجحيم)، هكذا كان يقرؤها. وقال ابن عباس: فى هذه الآية الحساب من ذلك اليوم فى أوله، وقال القوم حين قالوا فى منازلهم فى الجنة.

وروى ابن وهب عن عمر بن الحارث: أن سعيد الصواف - أو الصراف - حدثه: أنه بلغه أن يوم القيامة يقصر على المؤمنين حتى يكون كما بين العصر إلى غروب الشمس، وإنهم ليقيلون فى رياض الجنة حتى يفرغ من الناس، وقرأ هذه الآية.

﴿وَيَوْمَ تَشْقَى السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ﴾: قرأ أبو عمرو، وأهل الكوفة بتخفيف الشين على الحذف والتخفيف ها هنا، وفى سورة (ق). وقرأ الآخرون: بالتشديد فيهما على معنى تنشق السماء بالغمام أى عن الغمام، والباء، وعن تتعاقبان كما يقال: رميت عن القوس ورميت بالقوس بمعنى واحد.

وقال المفسرون: هو غمام أبيض رقيق مثل الضبابة، ولم يكن لبني إسرائيل فى تيههم وهو الذى قال الله سبحانه وتعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ (البقرة: ٢١٠).

﴿وَنَزَلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾: هكذا قراءة العامة، وقرأ ابن كثير ونزل، بنونين، الملائكة، نصب  
 ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْخَبِيرُ لِلرَّحْمَنِ﴾: خالصاً، وبطلت ممالك غيره ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ  
 عَسِيرًا﴾: صعباً شديداً نظيرها قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ  
 غَيْرِيسِيرٍ﴾ (المدر: ٩، ١٠) والخطاب يدل على أنه على المؤمنين يسير.

وفى الحديث: «إنه ليهون يوم القيامة على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة  
 صلاحاً في دار الدنيا».

﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُونَ عَلَى يَدَيْهِ﴾: نزلت في عقبه بن أبي معيط، وأبي بن خلف، وكانا  
 متحابين، وذلك أن عقبه كان لا يقدم من سفر إلا صنع طعاماً فدعا إليه أشرف قومه، وكان  
 يكثر مجالسة النبي ﷺ فقدم من سفره ذات يوم فصنع طعاماً فدعا الناس ودعا رسول ﷺ إلى  
 طعامه، فلما قرب الطعام قال رسول الله ﷺ: «ما أنا بأكل من طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا  
 الله وأنى رسول الله». فقال عقبه: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله. فأكل  
 رسول الله ﷺ من طعامه. وكان أبي بن خلف غائباً، فلما أخبر بالقصة، قال: صبات يا  
 عقبه؟ قال: لا والله ما صبات ولكن دخل على رجل فأبى أن يطعم من طعامي إلا أن أشهد له  
 فاستحييت أن يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له فطعم.

فقال أبي: ما أنا بالذي أَرْضَى منك أبداً إلا أن تأتيه فتبزق في وجهه، وتطأ عنقه. ففعل  
 ذلك عقبه، وأخذ رحم دابة فألقاها بين كتفيه، فقال رسول ﷺ: لا ألقاك خارجاً من مكة إلا  
 علوت رأسك بالسيف». فقتل عقبه يوم بدر صبراً، وأما أبي بن خلف فقتله النبي ﷺ بيده يوم  
 أُحُد في المنايزة، وأنزل الله فيهما هذه الآية.

وقال الضحاك: لما بزق عقبه في وجه رسول الله ﷺ عاد بزاقه في وجهه وانشعب شعبتين  
 فأحرق خديّه، فكان أثر ذلك فيه حتى الموت.

وروى عطاء الخراساني عن ابن عباس قال: كان أبي بن خلف يحضر النبي ﷺ ويجالسه  
 ويستمع إلى كلامه من غير أن يؤمن به فزجره عقبه بن أبي معيط عن ذلك فنزلت هذه الآية،  
 وقال الشعبي: وكان عقبه بن أبي معيط خليلاً لأمية بن خلف، فأسلم عقبه، فقال أمية:  
 وجهي من وجهك حرام إن بايعت محمداً، فكفر وارتد لرضا أمية فأنزل الله سبحانه: ﴿وَيَوْمَ  
 يَعْصُ الظَّالِمُونَ عَلَى يَدَيْهِ﴾ يعني الكافر عقبه بن أبي معيط بن أمية بن عبد شمس بن مناف على يديه  
 ندماً وأسفاً على ما فرط في جنب الله وأوبق نفسه بالمعصية والكفر بالله لأجل طاعة خليله  
 الذي صده عن سبيل ربه ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي﴾: وفتح ياءه أبو عمرو ﴿أَتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ﴾: محمد

﴿سَبِيلًا﴾ يَتَوَلَّى لِيَتَّيْمَنَ فُلَانًا خَلِيلًا﴾: يعنى أبى بن خلف الجمحى ﴿لَقَدْ أَضَلَّتْ عَنِ الذِّكْرِ﴾: يعنى القرآن والرسول ﴿بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ﴾: وهو كل متمرد عات من الجن، وكل من صدّ عن سبيل الله وأطيع فى معصيته فهو شيطان ﴿الْإِنْسَانَ خَذُولًا﴾: عند نزول البلاء والعذاب به.

وحكم هذه الآيات عام فى كل متحابين اجتماعا على معصية الله، لذلك قال بعض العلماء أنشدنيه أبو القاسم الحسن بن محمد بن جعفر قال: أنشدنى أبو محمد عبد الله بن أحمد بن الصديق قال أنشدنا أبو وائلة عبد الرحمن بن الحسين:

تجنب قرين السوء واصرم حباله	فإن لم تجد عنه محيصاً فداره
وأحب حبيب الصدق واحذر مرأه	تل منه صفو الود ما لم تُماره
وفى الشيب ما ينهى الحليم عن الصبا	إذا اشتعلت نيرانه فى عذاره

وأنشدنى أبو القاسم الحبيبي قال أنشدنى أبو بكر محمد بن عبد الله الحامدى:

اصحب خيار الناس حيث لقيتهم	خير الصحابة من يكون عفيفاً
والناس مثل دراهم ميزتها	فوجدت فيها فضة وزيوفاً

وأخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن جعفر المفسر قال حدثنا أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد بن حسكا قال حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز قال حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب قال حدثنا عبد الواحد بن زياد قال حدثنا عاصم عن أبى كبشة قال سمعت أبا موسى يقول على المنبر قال رسول الله ﷺ: «الجلسيس الصالح مثل العطار إن لم ينلك يعبق بك من ريحه، ومثل الجليس السوء مثل القين إن لم يحرق ثيابك يعبق بك من ريحه».

وحدثنا أبو القاسم بن حبيب لفظاً سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة قال أخبرنا أبو حاتم محمد ابن حيان بن أحمد قال أخبرنا محمد بن أبى على الخلادى قال حدثنا عبد الله بن الصقر السكرى قال حدثنا وهب بن محمد البنانى قال سمعت الحارث بن وجيه يقول سمعت مالك ابن دينار يقول: إنك إن تنقل الحجارة مع الأبرار خير من أن تأكل الخبيص مع الفجار.

﴿وَقَالَ الرَّسُولُ﴾: يعنى ويقول الرسول فى ذلك اليوم ﴿يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾: أى قالوا فيه غير الحق، فزعموا أنه سحر وشعر وسمر من الهجر، وهو القول السيئ عن النخعي، ومجاهد.

وقال الآخرون هو من الهجران أى أعرضوا عنه وتركوه فلم يؤمنوا به، ولم يعملوا بما فيه. أخبرنا أبو الطيب الربيع بن محمد الحاتمي وأبو نصر محمد بن على بن الفضل الخزاعى

قالا : حدثنا أبو الحسين على بن محمد بن عقبة قال حدثنا أبو القاسم الخضر بن أبان القرشي قال حدثنا أبو هذبة إبراهيم بن هذبة قال حدثنا أنس بن مالك قال قال رسول ﷺ : « من تعلم القرآن وعلمه وعلق مصحفاً ولم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقاً به يقول : يا رب العالمين عبدك هذا اتخذني مهجوراً اقض بيني وبينه .

﴿وَكَذَلِكَ﴾ : أى وكما جعلنا لك يا محمد عدواً من مشركى قومك كذلك ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ : أى من مشركى قومه ، فاصبر لأمرى كما صبروا فإنى هاديك وناصرك على من ناوأك .

﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ : على الحال والتمييز ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ﴾ : على محمد ﴿الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ : كما أنزلت التوراة على موسى ، والزبور على داود ، والإنجيل على عيسى جملة واحدة ، قال الله سبحانه ﴿كَذَلِكَ﴾ : فعلنا ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ : لنقوى بها قلبك فتعيه وتحفظه فإن الكتب نزلت على أنبياء يكتبون ويقرونها ، والقرآن أنزل على نبي أمي ولأن من القرآن الناسخ والمنسوخ<sup>(١)</sup> ، ومنه ما هو جواب لمن سأل عن أمور ففرقناه ليكون أوعى لرسول الله ﷺ وأيسر على العالم به .

﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ : قال ابن عباس : ورسلناه ترسيلاً . وقال النخعي والحسن : وفرقناه تفريقاً شيئاً بعد شيء ، وكان بين أوله وآخره نحواً من ثلاث وعشرين سنة . وقال ابن زيد : فسرناه تفسيراً ، والمرتل البين فى ترسل وتبيين .

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ﴾ : يا محمد يعنى هؤلاء المشركين ﴿مِثْلٍ﴾ : فى إبطال أمرك ﴿إِلَّا جِنَّةًكَ بِالْحَقِّ﴾ : أى بما ترد به ما جاءوا به من المثل ويطله ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ : بياناً وتفصيلاً ، ثم وصف حال المشركين وبين حالهم يوم القيامة فقال : ﴿الَّذِينَ﴾ : يعنى هم الذين ﴿يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ : فيساقون ويجرون ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ .

أخبرنا ابن فنجويه قال حدثنا ابن خزيمة قال حدثنا الحضرى قال حدثنا عثمان قال حدثنا بشر بن المفضل عن على بن يزيد عن أوس بن أوس عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أثلاث ؛ ثلث على الدواب ، وثلث على وجوههم ، وثلث على أقدامهم ينسلون نسلًا » .

(١) ذهب قوم إلى أن القرآن كله محكم وليس فيه منسوخ وهو الأرجح من الأقوال وأن الأحكام تختلف باختلاف الأحوال والأسباب والظروف فتأخذ كل آية حكم ظروفها وأحوالها وما يراه المسلمون مناسباً لمصلحتهم ، والله أعلم .

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿١﴾ فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٢﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً ﴿٣﴾ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٤﴾ وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴿٥﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٦﴾ وَلَقَدْ اتَّوَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوْءًا أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرْتَضُونَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٧﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوعًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٨﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلَّ سَبِيلًا ﴿٩﴾ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿١٠﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِن هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿١١﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿١٢﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿١٤﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿١٥﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرَ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿١٧﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿١٨﴾ فَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾﴾

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾: أى معينا وظهيرًا ﴿فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾: يعنى القبط . وفى الآية متروك استغنى عنه بدلالة الكلام عليه تقديرها فكذبوهما فدمرناهم .

﴿فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾: فأهلكناهم إهلاكًا ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً﴾: عبرة ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ﴾: فى الآخرة ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾: سوى ما حلَّ بهم من عاجل العذاب .

﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ﴾: اختلفوا فيهم: فقال ابن عباس: كانوا أصحاب آبار . وقال وهب بن منبه: كانوا أهل بئر، قعودًا عليها، وأصحاب مواش، وكانوا يعبدون الأصنام، فوجه الله إليهم شعبيًا يدعوهم إلى الإسلام فدعاهم فتمادوا فى طغيانهم وفى أذى

شعيب، فحذرهم الله عقابه فبينما هم حول البئر بمنازلهم انهارت البئر فانخسفت بهم وبيدارهم ورياعهم فهلكوا جميعاً.

وقال قتادة: الرس، قرية بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فأهلكهم الله. وقال بعضهم: هم بقية هود قوم صالح، وهم أصحاب البئر التي ذكرها الله سبحانه في قوله تعالى: ﴿وَبِئْرٍ مَّعْلُومَةٍ وَقَصْرِ مَشِيدٍ﴾ (الحج: ٤٥).

قال سعيد بن جبير، وابن الكلبي، والخليل: كان لهم نبي يقال له حنظلة بن صفوان، وكان بأرضهم جبل يقال له فتح، مصعده في السماء ميل، وكانت العنقاء تتنابه وهي كأعظم ما يكون من الطير وفيها من كل لون. وسموها العنقاء لطول عنقها، وكانت تكون في ذلك الجبل تنقض على الطير تأكله فجاعت ذات يوم فأعوزتها الطير، فانقضت على صبي فذهبت به... (١) مغرب لأنها تغرب بما تأخذه ثم إنها انقضت على جارية حين ترعرعت، فأخذتها فضمتها إلى جناحين لها صغيرين سوى الجناحين الكبيرين فطارت بها فشكوا إلى نبيهم فقال: اللهم أهلكها واقطع نسلها، فأصابتها صاعقة فاحترقت فلم ير لها أثر، فضربتها العرب في أشعارهم ثم إنهم قتلوا نبيهم، فأهلكهم الله.

وقال كعب، ومقاتل، والسدي؛ وهم أصحاب يس، والرس بئر بأنطاكية قتلوا فيها. حبيباً النجار، فنسبوا إليها، وهم الرس، ذكرهم الله سبحانه في سورة يس، وقيل: هم أصحاب الأخدود، والرس هو الأخدود الذي حفروه، وقال عكرمة: هم قوم رسوا نبيهم في بئر؛ دليبه ما روى محمد بن إسحاق عن محمد بن كعب القرظي قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول الناس يدخل الجنة يوم القيامة لعبد أسود، وذلك أن الله بعث نبياً إلى أهل قرية فلم يؤمن به من أهلها أحد إلا ذلك الأسود، ثم إن أهل القرية عدوا على ذلك النبي فحفروا له بئراً فألقوه فيه ثم أطبق عليه بحجر ضخمة، وكان ذلك العبد الأسود يذهب فيحتطب على ظهره، ثم يأتي بحطبه فيبيعه فيشتري به طعاماً وشراباً ثم يأتي به إلى تلك البئر فيرفع تلك الصخرة يعينه الله عليها فيدلي إليه طعامه وشرابه، ثم يردها كما كانت».

قال: «فكان كذلك ما شاء الله أن يكون ثم إنه ذهب يوماً يحتطب كما كان يصنع، فجمع حطبه وحزم حزمته، وفرغ منها، فلما أراد أن يحتملها وجد سنة، فاضطجع فنام فضرب على أذنه سبع سنين، ثم إنه هب فتمطى فتحول لشقه الأخرى فاضطجع فضرب الله على أذنه سبع سنين أخرى، ثم إنه هب، فاحتمل حزمته ولا يحسب إلا أنه نام ساعة من نهار، فجاء إلى

(١) موضع النقط ثلاث كلمات لم أتبين قراءتها.



القرية فباع حزمته، ثم اشترى طعاماً وشراباً كما كان يصنع، ثم ذهب إلى الحفرة فى موضعها التى كانت فيه، فالتمسه فلم يجده، وقد كان بدا لقومه فيه بداء، فاستخرجوه فأمنوا به وصدقوه.

قال: «فكان النبى يسألهم عن ذلك الأسود ما فعل؟ فيقولون له: ما ندرى حتى قبض الله ذلك النبى، فأهب الله الأسود من نومته بعد ذلك، فقال رسول الله ﷺ: «إن ذلك الأسود لأول من يدخل الجنة» قلت: قد ذكر فى هذا الحديث أنهم آمنوا بنبيهم واستخرجوه من حفرتة. فلا ينبغى أن يكونوا المعنيين بقوله: ﴿وَأَصْحَابُ الرَّسِّ﴾ لأن الله سبحانه وتعالى قد أخبر عن أصحاب الرس أنهم دمرهم تدميراً إلا أن يكونوا دمروا بأحداث أحدثوها بعد نبيهم الذى استخرجوه من الحفرة، وأمنوا به. فيكون ذلك وجهاً.

وقد ذكر عن أمير المؤمنين على رضى الله عنه فى قصة أصحاب الرس ما يصدق قول عكرمة وتفسيره، وهو ما روى عن ابن الحسين بن زين العابدين عن أبيه عن على رضى الله عنه أن رجلاً من أشرف بنى تميم يقال له عمرو أتاه فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنى عن أصحاب الرس، وفى أى عصر كانوا؟ وأين كانت منازلهم؟ ومن كان ملكهم؟ وهل بعث الله سبحانه إليهم رسولاً أم لا؟ وبما أهلکوا؟ فإنى أجد فى كتاب الله سبحانه ذكرهم، ولا أجد خبرهم. فقال له على رضى الله عنه: لقد سألت عن حديث ما سألتى عنه أحد من قبلك ولا يحدثك به أحد بعدى.

وكان من قصتهم يا أخت تميم: أنهم كانوا قومًا يعبدون شجرة صنوبر يقال لها: شاه درخت. كان ياقث بن نوح غرسها على شفير عين يقال لها ذوشاب كانت أنبت لنوح عليه السلام بعد الطوفان وإنما سموا أصحاب الرس لأنهم رسوا نبيهم فى الأرض، وذلك قبل سليمان بن داود، وكان له اثنتا عشرة قرية فى شاطئ نهر يقال له الرس من بلاد المشرق، وبهم سمي ذلك النهر، ولم يكن يومئذ فى الأرض أعز منه ولا أعذب ولا قرى أكثر سكاناً ولا أعمر منها، وكانت أعظم مدائنهم إسفندماه وهى التى كان ينزلها ملكهم، وكان يسمى: بركوز بن عابور بن ناوش بن شارن بن عمرو بن كنعان، وبها العين والصنوبر، وقد غرسوا فى كل قرية من ناحية من طلع تلك الصنوبرة، فنبتت الحبة وصارت شجرة عظيمة، وحرموا ماء العين والآبار فلا يشربون منها هم ولا أنعامهم، ومن فعل ذلك قتلوه، ويقولون هى حياة آلهتنا فلا ينبغى لأحد أن يقطف من حباتها، ويشربون هم وأنعامهم من نهر الرس الذى عليه قراهم، وقد جعلوا فى كل شهر من السنة فى كل قرية عيداً يجتمع إليه أهلها ويضربون على

الشجرة التى بها كلة من حرير فيها أنواع الصور، ثم يأتون بشياه وبقر فيذبونها قرباناً للشجرة ويشعلون فيها النيران بالحطب، فإذا سطع دخان تلك الذبائح وقتارها فى الهواء وحال بينهم وبين النظر إلى السماء خروا للشجرة سُجداً ويكون ويتضرعون إليها أن ترضى عنهم.

وكان الشيطان يجىء فيحرك أغصانها ويصيح من ساقها صياح الصبى أنى قد رضيت عنكم عبادى فطبيوا نفساً، وقروا عيناً، فيرفعون عند ذلك رؤوسهم، ويشربون الخمر ويضربون بالمعازف، فيكونون على ذلك يومهم وليلتهم ثم ينصرفون حتى إذا كان عيد قريتهم العظمى اجتمع إليه صغيرهم وكبيرهم، فاضربوا عند الصنوبرة والعين سرادقاً من ديباج عليه من أنواع الصور اثنا عشر باباً على كل باب لأهل قرية منهم، ويسجدون للصنوبرة خارجاً من السرادق، ويقربون لها الذبائح أضعاف ما قربوا للشجرة التى فى قراهم، فيجىء إبليس عند ذلك فيحرك الصنوبرة تحريكاً شديداً، ويتكلم من جوفها كلاماً جهورياً يدهم ويمنيهم بأكثر مما وعدتهم الشياطين كلها، فيرفعون رؤوسهم من السجود وبهم من الفرح والنشاط ما لا يفيقون منه، ولا من الشراب والعزف فيكونون على ذلك اثني عشر يوماً ولياليها بعدد أعيادهم سائر السنة، ثم ينصرفون.

فلما طال كفرهم بالله سبحانه وعبادتهم غيره بعث الله سبحانه إليهم نبياً من بنى إسرائيل من ولد يهوذا بن يعقوب فلبث فيهم زماناً طويلاً يدعوهم إلى عبادة الله سبحانه وتعالى ومعرفة ربوبيته، فلا يتبعونه. فلما رأى شدة تماديهم فى الغى والضلال وتركهم قبول ما دعاهم إليه من الرشد والصلاح، وحضر عند قريتهم العظمى قال: يا رب إن عبادك أبوا إلا تكذيبى والكفر بك وغدوا يعبدون شجرة لا تنفع ولا تضر فأبىس شجرهم أجمع، وأرهم قدرتك وسلطانك، فأصبح القوم وقد بىس شجرهم كله فهالهم ذلك وقطعوا بها، وصاروا فرقتين: فرقة قالت: سحر آلهتكم هذا الرجل الذى زعم أنه رسول رب السماء والأرض إليكم ليصرف وجوهكم عن آلهتكم إلى إلهه.

وفرقة قالت: لا بل غضبت آلهتكم حين رأت هذا الرجل يعييبها ويقع فيها، ويدعوكم إلى عبادة غيرها، فحجبت حسننها وبهائها لكى تغضبوا لها فتنتصروا منه.

فأجمع رأيهم على قتله، فاتخذوا أنابيب طوالاً من رصاص واسعة الأفواه ثم أرسلوها فى قرار العين إلى أعلى الماء واحدة فوق الأخرى مثل البرابخ ونزحوا ما فيها من الماء ثم حفروا فى قرارها بئراً ضيقة المدخل عميقة، وأرسلوا فيها بنبيهم، وألقوا فاهها صخرة عظيمة، ثم أخرجوا الأنابيب من الماء، وقالوا: نرجو الآن أن ترضى عنا آلهتنا إذ رأت أننا قد قتلنا من كان يقع فيها

ويصد عن عبادتها ودفناه تحت كبيرها تتشفى منه ، فيعود لها نورها ونضرتها كما كان ، فبقوا عامة يومهم يسمعون أنين نبهم عليه السلام وهو يقول : سيدى قد ترى ضيق مكاني وشدة كربى فارحم ضعف ركنى وقلة حيلتى وعَجَل قبض روحى ، ولا تؤخر إجابة دعوتى حتى مات عليه السلام .

فقال الله تعالى لجبريل عليه السلام : إن عبادى هؤلاء غرهم حلمى وأمنوا مكربى وعبدوا غيرى ، وقتلوا رسولى ، وأنا أنتقم ممن عصانى ، ولم يخش عقابى ، وإنى جعلتهم عبرة ونكالا للعالمين ؛ فلم يرعهم وهم فى عيدهم إلا ربح عاصف شديد الحمرة فزعوا منها وتحيروا فيها وانضم بعضهم إلى بعض ، ثم صارت الأرض من تحتهم حجراً من كبريت يتوقد ، وأظلمتهم سحابة سوداء ، وألقت عليهم كالقبة الحمراء بلهب فذابت أبدانهم كما يذوب الرصاص فى النار ، فنعوذ بالله من غضبه ودرك نعمته .

وقال بعض أهل العلم بأخبار الماضين وسير الماضين ، بلغنى أنه كان رسان : أما أحدهما : فكان أهله أهل بدو وعمود وأصحاب مواش ، فبعث الله إليهم رسولا ، فقتلوه ، ثم بعث إليهم رسولا آخر وعضده بولى فقتل الرسول وجأدهم الولى حتى أفحمهم ، فكانوا يقولون : إلهنا فى البحر ، وكانوا على شفيره ، وأنه كان يخرج إليهم من البحر شيطان فى كل شهر خرجه فيذبحون عنده ويجعلونه عيداً .

فقال لهم الولى : أرأيتم إن خرج إليكم الذى تعبدون فدعوتوه فأجابنى ، وأمرته فأطاعنى أتجيئونى إلى ما دعوتكم إليه ؟ قالوا : بلى ، فأعطوه عهددهم ومواثيقهم على ذلك ، فانتظروا حتى خرج ذلك الشيطان على صورة حوت ركباً أربعة أحوات وله عنق مشتعلة ، وعلى رأسه مثل التاج ، فلما نظروا إليه خروا سجداً ، فخرج الولى إليه فقال : اتنى طوعاً أو كرها بسم الله الكريم . فنزل عند ذلك عن أحواته . فقال له الولى : أتتى عليهم لثلاثين من القوم فى أمره شك . فأتى الحوت ، وانثنى به حتى . . . (١) البريجرونه ويجرهم ، فكذبوه بعد ذلك . فأرسل الله عليهم ريحاً فقذفهم فى البحر وقذفت فى البحر مواشيهم وما كانوا يملكون من ذهب وفضة وآنية ، فأتى الولى الصالح إلى البحر حتى أخذ الذهب والفضة والأوانى فقسمها على أصحابه بالسوية ، وانقطع نسل هؤلاء القوم .

وأما الآخر : فهم قوم كان لهم نهر يدعى الرس ينسبون إليه فكان فيهم أنبياء كثير ، وقل يوم يقوم فيهم نبي إلا قتل وذلك النهر بمقتطع أذربيجان بينها وبين أرمينية ، فإذا قطعته مدبراً

(١) كلمة فى المخطوط لم أتبين قراءتها وربما تحرفت أو سقط قبلها أو بعدها كلام وهذا رسمها : «أفضين» .

ذاهباً دخلت في حد أرمينية، وإذا قطعته مقبلاً دخلت في حد أذربيجان وكان من حولهم من أهل أرمينية يعبدون الأوثان ومن قدامهم من أهل أذربيجان يعبدون النيران، وهم كانوا يعبدون الجوارى العذراء فإذا تمت لإحدهن ثلاثون سنة قتلوها واستبدلوا غيرها. وكان عرض نهرهم ثلاث فراسخ، وكان يرتفع في كل يوم ليلة حتى يبلغ أنصاف الجبال التي حوله، وكان لا ينصب في بر ولا بحر إلا أخرج من حدّهم يقف ويدور ثم يرجع إليهم؛ فبعث الله سبحانه إليهم بثلاثين نبياً في شهر واحد فقتلوه جميعاً؛ فبعث الله إليهم نبياً وأيده بنصره وبعث معه ولياً فجاهدهم في الله حق جهاده وناذوه على سواء، فبعث الله ميكائيل وكان ذلك في أوان وقوع الحب في الزرع وكانوا إذ ذاك أحوج ما كانوا إلى الماء ففجر نهرهم في البحر فانصب ما في أسفله وأتى عيونها من فوق فسدها.

وبعث الله أعوانه من الملائكة خمسمائة ألف فغرقوا ما بقى في وسط النهر، ثم أمر الله سبحانه جبريل فنزل فلم يدع في أرضهم عيناً ولا ماءً ولا نهراً إلا أيسسه بإذن الله تعالى، وأمر ملك الموت فانطلق إلى المواشى فأماتها في مراتبها، وأمر الرياح الأربع الجنوب، والشمال، والصبأ، والدبور، فضمت ما كان لهم من متاع، وألقى الله عليهم السبات، ثم زحفت الرياح الأربع بما كان من ذلك المتاع أجمع فأهتته في رؤوس الجبال وبطن الأودية.

فأما ما كان من حلى أو تبر أو آنية فإن الله تعالى أمر الأرض فابتلعت؛ فأصبحوا ولا ماشية عندهم ولا مال يعودون إليه ولا ماء يشربونه، وأصبحت زروعهم يابسة. فأمن بالله عند ذلك قليل منهم وهداهم الله سبحانه إلى غار في جبل له طريق إلى خلفه فنجوا وكانوا واحداً وعشرين رجلاً وأربع نسوة وصبيين، وكان عدة الباقين من الرجال، والنساء، والذراري ستمائة ألف، فماتوا عطشاً وجوعاً ولم تبق منهم باقية، ثم عاد القوم المؤمنون إلى منازلهم، فوجدوها قد صارت أعلاها أسفلها، فدعوا الله عند ذلك مخلصين أن يجيئهم بزرع وماشية وماء ويجعله قليلاً لئلا يطغوا، فأجابهم الله سبحانه وتعالى إلى ذلك كما علم من صدقهم، وأطلق لهم نهرهم وزادهم على ما سألوا.

فقام أولئك بطاعة الله ظاهراً وباطناً حتى مضى أولئك القوم، وحدث من نسلهم بعدهم قوم أطاعوا الله في الظاهر، وناققوا في الباطن، فأملى الله لهم، ثم كثرت معاصيهم فبعث الله سبحانه إليهم عدوهم فأسرع فيهم القتل، فبقيت شردمة منهم، فسلط الله عليهم الطاعون فلم يبق منهم أحداً، وبقي نهرهم ومنازلهم مائتي عام لا يسكنها أحد.

ثم أتى الله سبحانه بقرن بعد ذلك فنزلوها فكانوا صالحين سنين. ثم أحدثوا فاحشة جعل

الرجل يدعو ابنته وأخته وزوجته فيضاجعها جاره وصديقه وأخاه يلتمس بذلك البر والصلة، ثم ارتفعوا من ذلك إلى فرع آخر استغنى الرجال بالرجال، وتركوا النساء حتى شبقت فجاءتهم شيطانة فى صورة امرأة وهى الدلهات بنت إبليس وهى والشبصار كانا فى بيضة واحدة فشئت إلى النساء ركوب بعضهن بعضاً وعلمتهن كيف يصنعن فأصل ركوب النساء بعضهن بعضاً من الدلهات فسلط الله على ذلك القرن صاعقة من أول الليل، وخسفاً فى آخر الليل، وصيحة مع الشمس فلم تبق منهم باقية، وبادت مساكنهم.

ويشهد بصحة هذه القصة ما أخبرنى ابن فنجويه قال حدثنا أبو الطيب بن حفصويه قال حدثنا عبد الله بن جامع قال حدثنا عثمان بن خرزاد قال حدثنا سليمان بن عبد الرحمن قال حدثنا الحكم بن يعلى بن عطاء قال حدثنا معاوية بن عمار الذهنى عن جعفر بن محمد عن أبيه فى قوله: ﴿وَأَصْحَابُ الرَّسِّ﴾ قال: السحاقيات.

وأخبرنى ابن فنجويه قال حدثنى عبد الله بن يوسف بن أحمد بن مالك قال حدثنا الحسن بن إسماعيل الدينورى قال حدثنا أحمد بن يحيى بن مالك السوسى قال حدثنا نصر بن همام حدثنا عمر بن عبد الرحمن عن مكحول عن أنس بن مالك قال: قال رسول ﷺ: «من أشرط الساعة أن يستكفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء وذلك السحق».

والرس فى كلام العرب: كل محفور مثل البئر، والمعدن، والقبر، ونحوها وجمعه رساس، قال الشاعر:

سبقت إلى فرط بأهل تنا      بلة يحفرون الرساسا

وقال أبو عبيدة: الرس كل ركية لم تطو بالحجارة والآجر والخشب<sup>(١)</sup>.

﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ وَكَلَّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَلُ ﴿ فى إقامة الحجّة فلم نهلكهم إلا بعد الإعدار والإنذار ﴾ وَكَلَّا تَبَرَّنَا تَبَرًّا ﴿: أهلكنا إهلاكاً. وقال المؤرج: قال الأخفش: كسرنا تكسيراً.

﴿وَلَقَدْ أتوا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرَت مَطَرًا سَوِيًّا﴾: يعنى الحجارة وهى قرية قوم لوط عليه السلام وكانت خمس قرى فأهلك الله سبحانه أربعة، وبقيت الخامسة واسمها صغر، وكان أهلها لا

(١) كل ما سبق من تلك الحكايات لا يجرى عليه التصديق ولا التكذيب حيث إن فيه ما هو معقول وما قد أخبر به الله سبحانه وتعالى على لسان نبينا وعلى السنة أنبياء آخرين، وأن بعضه ليس من دين الله تعالى فى شىء حيث لا دليل عليه من كتاب ولا سنة صحيحة ولا يقبله العقل السليم والقطر السوية، حيث إن أول الحكايات لم يبدأ بإسناد صحيح قوى، فكل ما بنى على غير أساس صحيح لا يعتد به فى دين الله تعالى حيث صحة الإسناد وهى المعول عليها فى نقل الأخبار عن الله سبحانه وعن رسله الكرام.

يعملون ذلك العمل الخبيث<sup>(١)</sup>.

﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنها﴾ : إذ مروا بها فى أسفارهم فيعتبرون ويتذكرون قال الله سبحانه : ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ﴾ : لا يخافون ﴿شُورًا﴾ : بعثًا ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوعًا﴾ : نزلت فى أبى جهل ، كان إذا مرَّ بأصحابه على رسول الله ﷺ قال مستهزئًا : ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ إن كَادَ لِيُضِلَّنَا عَنْ هَاهُنَا﴾ : قد كاد يصدنا عن عبادتها ﴿لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ : لصرفنا عنها ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلَّ سَبِيلًا﴾ : وهذا وعيد لهم ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ﴾ : وذلك أن الرجل من المشركين كان يعبد الحجر والصنم ، فإذا رأى أحسن منه رمى به وأخذ الآخر فعبده . قال ابن عباس : الهوى إله يعبد من دون الله .

﴿أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا﴾ : حفيظًا من الخروج إلى هذا الفساد نسختها آية الجهاد<sup>(٢)</sup> ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾ : ما تقول سماع طالب الإفهام ﴿أَوْ يَعْلَمُونَ﴾ : ما يعاينون من الحجج والأعلام ﴿إِنْ هُمْ﴾ : ما هم ﴿إِلَّا كَالَّذِينَ نَزَّلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ سُبُوحًا﴾ : لأن البهائم تهتدى لمراعيتها ومشاربتها وتنقاد لأربابها التى تعلقها وتعهدتها ، وهؤلاء الكفار لا يعرفون طريق الحق ولا يطيعون ربهم الذى خلقهم ورزقهم .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ : معناه : ألم تر إلى مدّ ربك الظل وهو ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، وإنما جعله ممدودًا . لأنه لا شمس معه ، كما قال فى ظل الجنة ﴿وَوَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ (الواقعة : ٣٠) : إذ لم يكن معه شمس ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ : دائماً ثابتًا لا يزول ولا تذهبه الشمس .

قال أبو عبيدة : الظل ما نسخته الشمس وهو بالعادة ، والفاء ما نسخ الشمس وهو بعد الزوال وسمى فيئًا لأنه من جانب المشرق إلى جانب المغرب ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ﴾ : أى على الظل ﴿دَلِيلًا﴾ : ومعنى دلالتها عليه أنه لو لم تكن الشمس ما عرف الظل إذ الأشياء تعرف بأضدادها ، والظل يتبع الشمس فى طوله وقصره كما يتبع السائر الدليل ، فإذا ارتفعت الشمس قصر الظل وإن انحطت طال ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ﴾ : يعنى الظل ﴿إِنَّا قَبَضْنَا بَيْرًا﴾ : بالشمس التى تأتى بها فتنسخه ومعنى قوله : ﴿بَيْرًا﴾ : أى خفيقًا سريعًا والقبض جمع الأجزاء المنبسطة وأراد هاهنا النقل اللطيف .

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الَّيْلَ لَيْسًا﴾ : أى سترًا تستترون وتسكنون فيه ﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ : راحة

(١) ليس على هذا الاستثناء دليل من كتاب ولا سنة صحيحة .

(٢) أنا أتكلم كثيرًا عن اختلاف العلماء فى مسألة النسخ والمنسوخ وقولهم إن الأحوال هى التى تفرض الآية .

لأبدانكم وقطعاً لعملكم، وأصل السبت القطع، ومنه يوم السبت، والنعال السبتية. ﴿وَجَعَلَ  
النَّهَارَ نُشُورًا﴾: أى يقظة وحياة تنتشرون فيه لأشغالكم ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ  
وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾: وهو الطاهر فى نفسه المطهر لغيره ﴿لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا﴾: ولم يقل  
ميتة لأنه رجع به إلى المكان والموضع. قال كعب: المطر روح الأرض ﴿وَنُنَقِّيهِ﴾: قراءة العامة  
بضم النون، وروى المفضل، والبرجمى عن عاصم، بفتح النون. وهى قراءة أمير المؤمنين  
عمر بن الخطاب رضى الله عنه ﴿مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَأُنَاسِيًا كَثِيرًا﴾: والأناسى جمع الإنسان،  
وأصله أناسين مثل بستان وبساتين، فجعل الباء عوضاً من النون. وإن قيل هو أيضاً مذهب  
صحيح كما يجمع القرقور: قراقير، وقرقر.

أخبرنى الحسن بن محمد بن الفنجوى قال حدثنا مخلد بن جعفر البافرجى قال حدثنا  
الحسن بن علوى، حدثنا إسحاق بن عيسى قال: حدثنا إسحاق بن بشر قال حدثنا ابن  
إسحاق، وابن جريج، ومقاتل كلهم قالوا وبلغوا به ابن مسعود أن النبى ﷺ قال: «ليس من  
سنة بأمطر من أخرى ولكن الله قسم هذه الأرزاق فجعلها فى السماء الدنيا فى هذا القطر تنزل  
منه كل سنة بكيلى معلوم ووزن معلوم، ولكن إذا عمل قوم بالمعاصى حول الله ذلك إلى  
غيرهم، فإذا عصوا جميعاً صرف الله ذلك إلى الفياضى والبحار».

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ﴾: يعنى المطر ﴿بَيْنَهُمْ﴾: عاماً بعد عام، وفى بلدة دون بلدة. وقيل:  
﴿صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ﴾: وإبلاً، وطشاً، ورهاماً، ورذاذاً. وقيل: التصريف راجع إلى الريح.  
﴿لِيَذْكُرُوا فَأَيُّ أَكْثَرِ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾: أى جحوداً. وقيل: هو قولهم: مطرنا بنوء كذا  
أو كذا ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾: رسولاً، ولقسمنا النذير بينهم كما قسمنا المطر،  
فحينئذ تخف عليك أعباء النبوة ولكننا حملناك ثقل نذارة جميع القرى لتستوجب بصيرك عليه  
ما أعتدنا لك من الكرامة والهيبة والدرجة الرفيعة.

﴿فَلَا تُطْعِ الكَافِرِينَ﴾: فيما يدعونك إليه من عبادة آلهتهم ومقاربتهم ومداهنتهم  
﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ﴾: أى بالقرآن ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾.



﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا  
وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾: وهو الذى خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصرهاً وكان ربك قديراً ﴿  
وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾: ومآ

أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٠﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿١٠١﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَيْرًا ﴿١٠٢﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَأَلْ بِهِ خَيْرًا ﴿١٠٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿١٠٤﴾ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿١٠٦﴾ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿١٠٧﴾ وَالَّذِينَ يَبْتُغُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿١٠٨﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿١٠٩﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿١١٠﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿١١١﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿١١٢﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخَلَّدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿١١٣﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿١١٥﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿١١٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِبِئْسَاتٍ رَبِّهِمْ لَمْ يَخْرِوْا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿١١٧﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿١١٨﴾ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْعُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿١١٩﴾ خَلَائِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿١٢٠﴾ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿١٢١﴾ ﴿

﴿ وهو الذي مرج البحرين ﴾ أى خلطهما وحلى وأفاض أحدهما فى الآخر . وأصل المرج : الخلط والإرسال ، ومنه قوله سبحانه : ﴿ فهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ﴾ (ق : ٥) ، وقول النبى ﷺ لعبد الله بن عمرو : « كيف بك يا عبد الله إذا كنت فى حثالة من الناس قد مرجت عهودهم وأماناتهم



وصاروا هكذا» وشبك بين أصابعه. ويقال: مرجت دابتي، ومرجها إذا أرسلتها فى المرعى وخليتها تذهب حيث شاءت ومنه قيل للروضة: مرج قال العجاج:

❖ مرعى بها مرج ربيع ممرجاً ❖

قال ابن عباس، والضحاك ومقاتل: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ أى خلع أحدهما على الآخر ﴿هَذَا عَذَبٌ فُرَاتٌ﴾: شديد العذوبة ﴿وَهَذَا مَلْحٌ أَجَاجٌ﴾: شديد الملوحة ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾: حاجزاً بقدرته وحكمته لئلا يختلطاً ﴿وَحِجْرًا مَخْجُورًا﴾: سترًا ممنوعاً يمنعهما فلا يبغيان ولا يفسد الملح العذب.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾: قال على بن أبى طالب: النسب: ما لا يحل نكاحه، والصهر: ما يحل نكاحه.

وقال الضحاك، وقتادة، ومقاتل: النسب سبعة، والصهر خمسة، واطروا هذه الآية: ﴿خَرِمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ﴾ (النساء: ٢٣) إلى آخرها.

أخبرنى أبو عبد الله القاسينى قال أخبرنا أبو الحسن الضبى القاضى قال أخبرنا أبو بكر السبيعى الحلبى قال حدثنا على بن العباس المقانعى قال حدثنا جعفر بن محمد بن الحسين قال حدثنا محمد بن عمرو قال حدثنا حسين الأشقر قال حدثنا أبو قتيبة التيمى قال سمعت ابن سيرين يقول فى قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ قال: نزلت فى النبى ﷺ وعلى بن أبى طالب زَوْجَ فاطمة علياً وهو ابن عمه، وزوج ابنته فكان نسباً وصهراً.

﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ وَيَعْبُدُونَ: يعنى هؤلاء المشركين ﴿مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ﴾: إن عبوده ﴿وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾: إن تركوه ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾: أى معيناً للشياطين على ربه. وقيل: معناه: وكان الكافر على ربه هيناً ذليلاً، من قول العرب: ظهرت به، إذا جعلته خلف ظهره، فلم تلتفت إليه.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ: على تبليغ الوحى ﴿مِنَ الْجَزَاءِ﴾: يقولوا: إنما يطلب محمد أموالنا بما يدعوننا إليه، فلا تتبعه كيلا نعطيهم من أموالنا شيئاً ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾. قال أهل المعانى: هذا من الاستثناء المنقطع، مجازه: لكن من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً يانفاق ماله فى سبيله ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْعَلِيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾: أى اعبدوه وصل له شكراً منك له على نعمه. وقيل: أحمد منزهاً له عما لا يجوز فى وصفه.

وقيل: قل سبحان الله والحمد لله ﴿وَكُنْفِي بِهِ بُدُوبَ عِبَادٍ خَيْرًا﴾: فيجازيهم بها ﴿الَّذِي﴾: في محل الخفض على نعت الحيّ.

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾: فقال: ﴿بَيْنَهُمَا﴾ وقد جمع السموات لأنه أراد الصنفين والشئيين كقول القطامي:

ألم يحزنك أن حبال قيس      وتغلب قد تباينتنا انقطاعا

أراد: وحبال تغلب، فثنى والحبال جمع لأنه أراد الشئيين والنوعين، وقال آخر:

إن المنية والحتوف كلاهما      بدوى المحارم يرقبان سوادى

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسُئِلَ بِهِ خَيْرًا﴾: أى فسل خبيراً بالرحمن. وقيل: فسل

عنه خبيراً، وهو الله عز وجل. وقيل: جبريل عليه السلام. الباء بمعنى عن لقول الشاعر:

فإن تسألوني بالنساء فإنني      خير بأدواء النساء طيب

أى عن النساء.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾: ما نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة ﴿أَسْجُدْ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾: وقرأ حمزة والكسائي: بالياء، يعنيان الرحمن. وقرأ غيرهما: تأمرنا، بالتاء، يعنون لما تأمرنا أنت يا محمد ﴿وَزَادَهُمْ﴾: قول القائل لهم اسجدوا للرحمن ﴿نُفُورًا﴾: عن الدين والإيمان. وكان سفيان الثوري إذا قرأ هذه الآية رفع رأسه إلى السماء وقال: إلهي زادني خضوعاً ما زاد أعداءك نفوراً.

﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾: يعنى منازل الكواكب السبعة السيارة، وهى اثنا عشر برجاً: الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والزهرة، والعقرب، والقوس، والجدى، والدلو، والحوت، فالحمل والعقرب: بيتا المريخ. والثور والميزان: بيتا الميزان. والجوزاء والسنبلة: بيتا عطارد. والسرطان: بيت القمر. والأسد: بيت الشمس. والقوس والحوت: بيتا المشترى. والجدى والدلو: بيتا زحل وهذه البروج مقسومة على الطبائع الأربع فيكون نصيب كل واحد منهما ثلاثة بروج سمى الثلثات. والحمل، والأسد، والقوس: مثلثة نارية. والثور، والسنبلة، والجدى: مثلثة أرضية والجوزاء والميزان والدلو: مثلثة هوائية. والسرطان والعقرب، والحوت: مثلثة مائية. واختلفت أقاويل هذا التأويل فى تفسير البروج.

فأخبرنا الحسن بن محمد بن الحسين الدينورى قال أخبرنا أحمد بن محمد بن إسحاق السنى قال حدثنى محمد بن الحسين بن أبى الشيخ قال حدثنى هارون بن إسحاق الهمذانى قال

حدثني عبد الله بن إدريس قال حدثني أبي عن عطية العوفى فى قوله سبحانه: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾: قال: قصوراً فيها الحرس دليبه: قوله: ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾ (النساء: ٧٨).

وقال الأخطل:

كأنها برج رومى يشيده بان بجص وأجر وأحجار

وقال مجاهد، وقتادة: هى النجوم.

وأخبرنى ابن فنجويه قال حدثنا ابن شيبه قال حدثنا على بن محمد بن ماهان قال حدثنا على بن محمد الطنفسى قال حدثنا خالى يعلى عن إسماعيل عن أبى صالح: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ قال: النجوم الكبائر قال عطاء: هى السُّرُج، وهى أبواب السماء التى تسمى الحجره.

﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا﴾: يعنى الشمس، نظيره قوله سبحانه: ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ (نوح: ١٦) وقرأ حمزة والكسائى: وجعل فيها سُرُجًا، بالجمع، يعنون النجوم، وهى قراءة أصحاب عبد الله ﴿وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾: قال ابن عباس والحسن وقتادة: يعنى عوضاً، وخلفاً يقوم أحدهما مقام صاحبه، فمن فاته عمله فى أحدهما قضاءه فى الآخر.

قال قتادة: فأروا الله من أعمالكم خيراً فى هذا الليل والنهار فإنهما مطيتان تقحمان الناس إلى آجالهم وتقربان كل بعيد وتبليان كل جديد، وتجيئان بكل موعود إلى يوم القيامة.

روى شمر بن عطية عن شقيق قال: جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال: فاتنتى الصلاة الليلة؟ فقال: أدرك ما فاتك من ليلتك فى نهارك فإن الله سبحانه وتعالى ﴿جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ﴾.

وقال مجاهد: يعنى جعل كل واحد منهما مخالفاً لصاحبه، فجعل هذا أسود وهذا أبيض.

وقال ابن زيد، وغيره: يعنى يخلف أحدهما صاحبه إذا ذهب أحدهما جاء الآخر فهما يتعاقبان فى الضياء والظلام، الزيادة والنقصان. يدل على صحة هذا التأويل قول زهير:

بها العين والأرام يمشين خلفاً وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم

وقال مقاتل: يعنى جعل الليل والنهار خلفاً من الليل لمن نام بالليل وجعل الليل خلفاً بالنهار لمن كانت له حاجة أو كان مشغولاً ﴿لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ﴾: قرأه العامة بتشديد الدال، يعنى يتذكر، ويتعظ. وقرأ حمزة، وخلف بتخفيف الدال من الذكر ﴿أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾: شكر

نعمة الله سبحانه وتعالى عليه ﴿وَعِبَادَ الرَّحْمَنِ﴾: يعنى أفاضل العباد. وقيل هذه الإضافة على التخصيص والتفضيل. وقرأ الحسن؛ وعبيد الرحمن.

﴿الَّذِينَ يَتَشَوَّنَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾: أى بالسكينة والوقار، والطاعة والتواضع غير أشرين، ولا مرحين، ولا متكبرين ولا مفسدين.

أخبرنا عبد الله بن حامد قال أخبرنا العباس ابن محمد بن فوهبار قال حدثنا على بن الحسن ابن أبى عيسى قال حدثنا يحيى بن يحيى قال حدثنا هشيم بن عباد بن راشد عن الحسن فى قوله سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَتَشَوَّنَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ قال: حلماً وعلماً.

وقال محمد بن الحنفية: أصحاب وقار وعفة لا يسفهون، وإن سفه عليهم حلموا.

وقال الضحاك: أتقياء أعفاء لا يجهلون. قال وهو بالسريانية. قال الثمالى: بالنبطية.

والهون فى اللغة: الرفق واللين، ومنه قول النبى ﷺ: «أحب حبيك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما وأبغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيك يوماً ما»<sup>(١)</sup>.

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ﴾: بما يكرهون ﴿قَالُوا سَلَمًا﴾: سداداً من القول، عن مجاهد.

وقال ابن حيان: قولاً يسلمون فيه من الإثم.

وقال الحسن: سلموا عليهم، دليله قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ﴾ (القصص: ٥٥).

وقال أبو العالية، والكلبى: هذا قيل أن يؤمروا بالقتال ثم نسختها آية القتال<sup>(٢)</sup>.

أخبرنا ابن فنجويه قال حدثنا ابن حبش المقرئ قال حدثنا محمد بن صالح الكيلسى بمكة قال حدثنا سلمة بن شبيب قال حدثنا الوليد بن إسماعيل قال حدثنا شيبان بن مهران عن خالد ابن المغيرة بن قيس عن أبى مجلز لاحق بن حميد عن أبى برزة الأسلمى عن رسول الله ﷺ قال: «رأيت قوماً من أمتى ما خلقوا بعد وسيكونون فيما بعد اليوم أحبهم ويحبونى، ويتناصحون، ويتبادلون، ويتماشون بنور الله فى الناس رويداً فى خفية وتقية يسلمون من الناس ويسلم الناس منهم بصبرهم وحلمهم، قلوبهم بذكر الله يرجعون، ومساجدهم بصلواتهم يعمرون، يرحمون صغيرهم، ويجلون كبيرهم، ويتواسون بينهم، يعود غنيهم

(١) ليس هذا بحديث، وهو قول سائر مسرى المثل ينسب تارة إلى النبى ﷺ، وتارة إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه، وتارة إلى غيره، والأصل أنه من الأقوال السائرة التى لا يعرف لها قائل على أرجح الأحوال وهو فى مضمونه كلام يحث على التوسط فى الأمور وعدم المغالاة وعدم التفريط.

(٢) قال القائلون بالنسخ: إن آية القتال هذه قد نسخت مائة وأربعة وعشرين آية من القرآن الكريم واعترض عليهم القائلون بعدم النسخ بأن أحكام الآيات التى يظن بها النسخ إنما يقتضيها الحال.

على فقيرهم، وقويهم على ضعيفهم، يعودون مرضاهم، ويتبعون جنائزهم» فقال رجل من القوم: في ذلك يرفقون برفيقهم؟ فالتفت إليه رسول الله ﷺ فقال: «كلا إنهم لا رفيق لهم، هم خدام أنفسهم، هم أكرم على الله من أن يوسع عليهم لهوان الدنيا عند ربهم». ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾.

وروى أن الحسن كان إذ قرأ هاتين الآيتين قال: هذا وصف نهارهم، ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ رِزْقَهُمْ سَجْدًا وَّقِيْلًا﴾: قال: هذا وصف ليلهم.

قال ابن عباس: من صلى بالليل ركعتين أو أكثر من ذلك، فقد بات لله سبحانه وتعالى ساجداً وقائماً.

قال الكلبي: يقال الركعتان بعد المغرب، وأربع بعد العشاء.

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾: أى ملجأ دائماً غير مفارق من عذب من الكفار، ومنه سمى الغريم لطلبه حقه والجاحد على صاحبه وملازمته إياه. وفلان مغرم لفلان إذا كان مولعاً به لا يصير عنه ولا يفارقه، قال الأعشى:

إن يعاقب يكن غراماً وإن يعط جزياً فإنه لا يبالي

وقال الحسن: قد علموا أن كل غريم يفارق غريمه إلا غريم جهنم.

وقال ابن زيد: الغرام الشر. وقال أبو عبيدة: الهلاك. قال بشر بن أبي خازم:

فيوم النصار ويوم الجفار كانا عذاباً وكانا غراماً

أى هلاكاً.

﴿إِنهَا﴾: يعنى جهنم.

﴿سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾: أى إقامة، من أقام يقيم.

وقال سلامة بن جندل:

يومان يوم مقامات وأندية ويوم سير إلى الأعداء تأويب

فإذا فتحت الميم فهو المجلس، من قام يقوم ومنه قول عباس بن مرداس:

فأتى ما وأيك كان شراً فقيد إلى المقامة لا يراها

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾: واختلف القراء فيه. فقرأ أهل المدينة، والشام:

يُسْرِفُوا، بضم الياء، وكسر التاء. وقرأ أهل الكوفة: بفتح الياء وضم التاء. وقرأ غيرهم: بفتح الياء، وكسر التاء. وكلها لغات صحيحة، يقال: وقتر، وقترت، وقترت، وقترت، مثل يعرشون،

ويعكفون . واختلف المفسرون فى معنى الإسراف ، والإقتار : فقال بعضهم : الإسراف النفقة فى معصية الله وإن قلت . والاقتار : منع حق الله سبحانه ، وهو قول ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، وابن جريج ، وابن زيد .

أخبرنا الحسين بن محمد بن الحسين الدينورى قال حدثنا محمد بن عمر بن إسحاق الكلواذى قال حدثنا عبد الله بن سليمان ابن الأشعث قال حدثنا هارون بن زيد ابن أبى الزرقاء الرملى قال حدثنا أبى قال حدثنا سهيل بن أبى حزم عن كثير بن زياد أبى سهل عن الحسن فى هذه الآية قال : لم ينفقوا فى معاصى الله ، ولم يمسكوا عن فرائض الله . وقال بعضهم : الإسراف أن تأكل مال غيرك بغير حق .

قال عون بن عبد الله بن عتبة : ليس المسرف من يأكل ماله ، وإنما المسرف من يأكل مال غيره .

وقال قوم السرف : مجاوزة الحد فى النفقة . والإقتار : التقصير عما ينبغى مما لا بد منه . وهذا الاختيار لقوله :

﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ : أى وكان إنفاقهم بين ذلك .

﴿قَوَامًا﴾ : عدلاً ، وقصدًا ، ووسطًا بين الإسراف والاقتار .

قال إبراهيم : لا يجيعهم ولا يعريهم ولا ينفق نفقة يقول الناس : قد أسرف .

وقال مقاتل : كسبوا طيبًا وأنفقوا قصدًا وقدموا فضلًا ، فربحوا وأنجحوا .

وقال يزيد بن أبى حبيب فى هذه الآية : أولئك أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام كانوا لا يأكلون طعامًا للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوبًا للجمال ، ولكن كانوا يريدون من الطعام ما يسد عنهم الجوع ويقويههم على عبادة ربهم ، ومن الثياب ما يستر عوراتهم ، ويكنهم من الحر والقر .

وأخبرنى ابن فنجويه قال حدثنا ابن حبش قال حدثنا ابن زنجويه قال حدثنا سلمة قال حدثنا عبد الرزاق عن أبى عيينة عن رجل عن الحسن فى قوله سبحانه : ﴿لَا تُبْرَأُوا وَلَا تَقْتَرُوا﴾ : أن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه قال : كفى سرفًا أن لا يشتهى رجل شيئًا إلا اشتراه فأكله .  
﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ الآية .

أخبرنا أبو محمد الحسن بن أحمد المخلدى قال أخبرنا المؤمل بن الحسن بن عيسى قال حدثنا الحسن بن محمد قال حدثنا حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى يعلى - يعنى ابن مسلم - عن سعيد بن جبير سمعه يحدث عن ابن عباس : أن ناسًا من أهل الشرك قد قتلوا فأكثروا ، وزنوا

فأكثرُوا، ثم أتوا محمداً ﷺ، فقالوا: إن الذى تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملناه، كفارة، فنزل: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ ونزل: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ (الزمر: ٥٣): وقيل نزلت فى وحشى غلام ابن مطعم.

وأخبرنا عبد الله بن حامد قال أخبرنا محمد بن الحسين قال حدثنا أحمد بن يوسف السلمى قال حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر، والثورى عن منصور، والأعمش عن أبى وائل.

(ح) <sup>(١)</sup> وأخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسن قال حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان، وعبد الله بن عبد الرحمن قالا: حدثنا يوسف بن عبد الله بن ماهان قال حدثنا محمد ابن كثير قال حدثنا سفيان عن الأعمش، ومنصور، وواصل الأحمد بن أبى وائل.

(ح) <sup>(١)</sup> وأخبرنا عبد الله بن حامد الوزان قال أخبرنا مكى بن عبدان قال حدثنا عبد الله ابن هاشم قال: حدثنا عبد الله بن غير قال أخبرنا الأعمش عن شقيق عن عمرو بن شرحبيل عن عبد الله بن مسعود قال: قلت: يا رسول الله، أى الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك». قلت: ثم أى؟ قال: «أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك». قلت: ثم أى؟ قال: «تزنى بحليلة جارك». فأنزل الله سبحانه تصديق ذلك: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾.

قال مسافع ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ الآية.

أخبرنا ابن فنجويه قال: حدثنا ابن حبش قال: أخبرنا ابن زنجويه قال: أخبرنا مسلمة بن عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال ذكر لنا أن لقمان كان يقول: يا بنى إياك والزنا فإن أوله مخافة، وآخره ندامة ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾: الذى ذكرت ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾: قال ابن عباس: إثمًا. ومجازه: يلقى جزاء الآثام.

وأخبرنى ابن فنجويه قال حدثنا أحمد بن محمد بن حفصويه قال حدثنا محمد بن موسى قال حدثنا زهير بن محمد قال حدثنا محمد بن زياد قال حدثنا الكلبى قال حدثنا شرقى القطامى قال حدثنى لقمان بن عامر قال جئت أبا أمامة الباهلى صدى بن عجلان فقلت حدثنى حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ، قال: فدعا لى بطلاء ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لو أن صخرة زنة عشر عشرات قذف بها من شفير جهنم ما بلغت قعرها سبعين خريقاً، ثم تنتهى إلى غى وأثام». قال: فقلت: وما غى، وأثام؟ قال: «بئران يسيل فيهما صديد أهل النار، وهما اللتان قال الله سبحانه فى كتابه: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا﴾ (مریم: ٥٩) و﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾».

أخبرنا أبو عمرو سعيد بن عبد الله بن سعيد بن إسماعيل الجيزى قال أخبرنا العباسى بن

(١) زيادة حديثية يقتضيها السياق.

محمد بن قوهباد قال حدثنا إسحاق بن عبد الله بن محمد بن رزين السلمى قال أخبرنا حفص ابن عبد الرحمن قال حدثنا سعيد عن قتادة عن أبي أيوب عن عبد الله بن عمرو بن العاص : أن أئاما واد فى جهنم . وهو قول مجاهد . وقال أبو عبيدة : الأثام العقوبة .

قال مسافع الليثى :

جزى الله ابن عروة حيث أمسى      عُقُوقًا وَعُقُوقًا لَهُ أَثَامُ

أى عقوبة .

﴿يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخَذُ فِيهِ مَهَانًا﴾ : قراءة العامة بجزم الفاء والذال . ورفعهما ابن عامر ، وابن عباس على الابتداء . ثم قال : ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ : الآية .

أخبرنى الحسين بن محمد بن عبد الله قال حدثنا موسى بن محمد قال حدثنا موسى بن هارون الجمال قال حدثنا إبراهيم بن محمد الشافعى قال حدثنا عبد الله بن رجاء عن عبيد الله ابن عمر بن على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال : قرأناها على عهد رسول الله ﷺ سنين : ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ الآية . ثم نزلت : ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ فما رأيت النبى عليه الصلاة والسلام فرح بشىء قط فرحه بها ، وفرحه بـ : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ (الفتح : ١ ، ٢) .

وأخبرنى الحسين بن محمد الفنجدوى قال حدثنا محمد بن الحسن بن على اليقطينى قال أخبرنا أحمد بن عبد الله بن يزيد العقيلى قال حدثنا صفوان بن صالح قال حدثنا الوليد بن مسلم قال حدثنا عبد العزيز بن الحصين عن ابن أبى نجيح قال حدثنى القاسم بن أبى بزة قال قلت لسعيد بن جبير : أبا عبد الله أرأيت قول الله سبحانه وتعالى : ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ إلى قوله : ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ . قال : سمعت ابن عباس يقول : هذه مكية نسختها الآية المدنية التى فى سورة النساء : ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ (١) (النساء : ٩٣) ولا توبة له .

وروى أبو الزناد عن خارجة بن زيد بن ثابت أنه دخل على أبيه وعنده رجل من أهل العراق ، وهو يسأله عن هذه الآية التى فى الفرقان ، والتى فى سورة النساء : ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾ ؟ فقال زيد بن ثابت : قد عرفت الناسخة من المنسوخة نسختها التى فى النساء بعدها

(١) سبق أن ذكرت مراراً وتكراراً قول أهل العلم فى مسألة الناسخ والمنسوخ وذهب قوم منهم إلى عدم جوازه فى القرآن الكريم .



بسته أشهر.

وروى حجاج عن ابن جريج قال قال الضحاك بن مزاحم: هذه السورة بينها وبين النساء: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ ثماني حجج. والصحيح أنها محكمة.

روى جعفر بن سليمان عن عمرو بن مالك البكري عن أبي الجوزاء قال: اختلفت إلى ابن عباس ثلاث عشرة سنة، فما شئ من القرآن إلا سألته عنه، ورسولي يختلف إلى عائشة، فما سمعته ولا أحد من العلماء يقول: إن الله سبحانه وتعالى يقول لذنب لا أغفره.

﴿فَأُولَٰئِكَ يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾

قال ابن عباس، وابن جبير، والضحاك، وابن زيد: يعنى فأولئك يبدلهم الله بقبائح أعمالهم فى الشرك محاسن الأعمال فى الإسلام، فيبدلهم بالشرك إيماناً، وبقتل المؤمنين قتل المشركين وبالزنا عفة وإحصاناً، وقال الآخرون: يعنى يبدل الله سيئاتهم التى عملوها فى حال إسلامهم حسنات يوم القيامة؛ يدل على صحة هذا التأويل ما أخبرنى أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين الحافظ فى دارى قال: حدثنا أبو جعفر محمد بن عبد الله بن برزة قال حدثنا أبو حفص المستملى قال حدثنا محمد بن عبد العزيز أبى رزمة قال حدثنا الفضل بن موسى القطعى عن أبى العنيس عن ابنه عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ليتمنين أقوام أنهم أكثروا من السيئات». قيل: من هم؟ قال: «الذين بدل الله سيئاتهم حسنات».

وأخبرنا ابن فنجويه قال حدثنا أبو بكر بن مالك القطعى قال حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال حدثنا أبى قال حدثنا وكيع قال حدثنا الأعمش عن المعمر بن سويد عن أبى ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه، قال: فيعرض عليه ويخفى عنه كبائرها، فيقال: عملت يوم كذا وكذا وكذا، وهو يقر لا ينكر وهو مشفق من الكبائر فيقال أعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة قال: فيقول: إن لى ذنوباً ما أراها، فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه».

وأخبرنا ابن فنجويه قال حدثنا عبيد الله عن عبد الله بن أبى سمرة البغوى ببغداد قال حدثنا محمد بن أحمد الطالقانى قال حدثنا محمد بن هارون أبو نشيط قال حدثنا أبو المغيرة قال حدثنا صفوان قال حدثنى عبد الرحمن بن جبير عن أبى الطويل شطب الممدود: أنه أتى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله، رأيت رجلاً عمل الذنوب كلها ولم يترك منها شيئاً، وهو فى ذلك لم يترك حاجة ولا داجة إلا اقتطعها بيمينه فهل لذلك من توبة؟ قال: «قال هل أسلمت؟» قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنتك رسوله قال: «نعم تفعل الخيرات وتترك

الشهوات يجعلهن الله خيرات كلهن». قال: وغدراتى وفجراتى؟ قال: «نعم». قال: الله أكبر، فما زال يكبر حتى توارى.

وأخبرنى ابن فنجويه فى عصابة قال حدثنا محمد بن على بن الحسن قال حدثنا عبد الرحمن ابن أبى حاتم قال حدثنا أبو نسيط قال حدثنا أبو المغيرة قال سمعت مبشر بن عبيد، وكان عارفاً بالنحو والعربية - يقول: الحاجة: الذى يقطع على الحجاج إذا توجهوا. والداجة: الذى يقطع عليهم إذا قفلوا. ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾: رجوعاً حسناً.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾: قال الضحاک: الشرك، وتعظيم الأنداد. وقال على بن أبى طلحة: يعنى شهادة الزور، وكان عمر بن الخطاب يجلد شاهد الزور أربعين جلدة، ويسخم وجهه، ويطوف به فى السوق. وقال يحيى بن اليمان عن مجاهد: أعياد المشركين. قال ليث عنه: الغناء، وهو قول محمد ابن الحنفية بإسناد الصالحى عن إبراهيم بن محمد بن المنكدر قال: بلغنى أن الله تعالى يقول يوم القيامة أين الذين كانوا ينزهون أنفسهم وأسماعهم عن اللهو ومزامير الشيطان: أدخلوهم رياض المسك، أسمعوا عبادى تحميدى وثنائى وتمجيدى، وأخبروهم: أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

أخبرنا أبو بكر الجوزقى قال حدثنا عبد الواحد بن محمد الأريغاني قال حدثنا الأحمش قال حدثنا عمرو العنقرى قال حدثنا مسلمة بن جعفر عن عمرو بن قيس فى قوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ قال: مجالس الخنا. وقال ابن جريج: الكذب. وقال قتادة: مجالس الباطل، وأصل الزور تحسين الشيء ووصفه بخلاف صفته حتى يخيل إلى من سمعه أو رآه أنه خلاف ما هو به، فهو تمويه الباطل بما يوهم أنه حق.

﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾: قال مقاتل: إذا سمعوا من الكفار الشتم والأذى أعرضوا، وصفحوا، وهى رواية ابن نجيب عن مجاهد؛ نظيره: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ (القصص: ٥٥) الآية: وقال السدى: وهى منسوخة بآية القتال<sup>(١)</sup>. وقال العوام بن حوشب عن مجاهد: إذا أتوا على ذكر النكاح كَنُّوا عنه. وقال ابن زيد: إذا مروا بما كان المشركون فيه من الباطل، مروا منكبين له معرضين عنه، وقال الحسن، والكلبى: اللغو المعاصى كلها يعنى: إذا مروا بمجالس اللهو والباطل مروا كراماً مسرعين معرضين، يدل عليه ما روى إبراهيم بن ميسرة: أن ابن مسعود مرَّ بلهو مسرعاً، فقال رسول الله ﷺ: «إن أصبح ابن مسعود لكريمًا».

(١) تكلم أهل العلم فى مسألة النسخ فى القرآن فمنهم المؤيد ومنهم المعارض ويرى المعارضون أن كل آية لها موقعها فى حالها وظروفها.

وقال أهل اللغة: أصله من قول العرب: ناقة كريمة، وبقرة كريمة، وشاة كريمة، إذا كانت تعرض عن الحلب تكرماً. كأنها لا تبالى بما يحلب منها.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِبِئَاتٍ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا﴾: لم يقعوا ولم يسقطوا ﴿لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾: كأنهم صم عمى، بل يسمعون ما يذكرون به فيفهمونه، ويرون الحق فيه فيتبعونه. قال الفراء: ومعنى قوله: ﴿لَمْ يَخِرُّوا﴾ أى لم يقيموا، ولم يصروا، تقول العرب: شتمت فلاناً فقام يبكى، يعنى فظل، وأقبل يبكى، ولا قيام هنالك، ولعله بكى قاعداً. وقعد فلان يشتمنى أى أقبل وجعل وصار يشتمنى وذلك جائز على ألسن العرب.

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا﴾ قرأ بغير ألف أبو عمرو، وأهل الكوفة. وقرأ الباقون: (ذرياتنا) بالألف ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾: بأن يراهم مؤمنين صالحين مطيعين لك ووحيد ﴿قُرَّةٌ﴾ لأنها مصدر، وأصلها من البرد لأن العرب تتأذى بالحر وتستروح إلى البرد. ﴿وَأَجَعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾: أى أنه يقتدى بنا. قال ابن عباس: واجعلنا أئمة هداة كما قال: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أئمةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ (الأنبياء: ٧٣) ولا تجعلنا أئمة ضلالة كقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أئمةً يَدْعُونَ إِلَى التَّارِثِ﴾ (القصص: ٤١). وقال قتادة: هداة دعاة خير.

وأخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن يوسف الفقيه قال أخبرنا أبو بكر محمد بن حمدون ابن خالد قال حدثنى أبو جعفر أحمد بن عبد الله العازى الطبرى المعروف بابن فيروز قال حدثنا الحكم بن موسى قال حدثنا يحيى بن حمزة عن عبد الرحمن بن زيد بن جابر عن مكحول فى قول الله عز وجل: ﴿وَأَجَعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ قال: أئمة فى التقوى يقتدى بهم المتقون، وقال بعضهم: هذا من المقلوب، واجعل المتقين لنا إماماً، واجعلنا مؤتمين مقتدين بهم، وهو قول مجاهد. ولم يقل: أئمة لأن الإمام مصدر، يقال: أمَّ فلاناً إماماً مثل الصيام والقيام، ومن جعله: أئمة، فلأنه قد كبر حتى صار بمعنى الصفة.

وقال بعضهم: أراد أئمة، كما يقول القائل: أميرنا وهو لا يعنى أمراءنا، وقال سبجانه: ﴿فَأَنبَأَهُمْ عُدُوِّيَّ﴾ (الشعراء: ٧٧)، قال الشاعر:

يا عاذلاتى لا تزدن ملامتى  
إن العواذل لسن لى بأمين

أى أمناء.

﴿أُولَئِكَ يُجْرُونَ أَلْفَرَقَةَ﴾: يثابون الدرجة الرفيعة فى الجنة، ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾: على أمر ربهم وطاعة نبيهم. قال الباقر: على الفقر.

﴿وَيُقَلِّبُونَ﴾: قرأ أهل الكوفة بفتح الياء وتخفيف القاف واختاره أبو عبيد لقوله: ﴿وَلَقِّنَهُمْ

نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿ (الإنسان: ١١).

﴿خَلَدِينِ فِيهَا حَسُنْتَ مُسْتَقْرًا وَمَقَامًا﴾ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُرْبِي ﴿ : أى ما يصنع وما يفعل عن مجاهد، وابن زيد.

وقال أبو عبيدة: يقال ما عبأت به شيئاً أى لم أعده فوجوده وعدته سواء، مجازه: أى مقدار لكم. وأصل هذه الكلمة تهيئة الشيء. يقال: عبأت الجيش، وعبأت الطيب، عبادة، وعبواً وعبواً إذا هيأته وعملته، قال الشاعر:

كأن بنحره وبمنكبيه      عبيراً بات يعبؤه عروس

﴿لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ : إياه. وقيل: لولا عبادتكم. وقيل: لولا إيمانكم، واختلف العلماء فى معنى هذه الآية: فقال قوم معناها: قل ما يعبأ بخلقكم ربى لولا عبادتكم وطاعتكم إياه، يعنى أنه خلقكم للعبادة. نظيرها قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الناريات: ٥٦). وهذا معنى قول ابن عباس ومجاهد، قال ابن عباس فى رواية الوالى: أخبر الله سبحانه وتعالى الكفار أنه لا حاجة لربهم بهم إذ لم يخلقهم مؤمنين، لو كان له بهم حاجة لحبب إليهم الإيمان كما حُبب إلى المؤمنين.

وقرأ آخرون: قل ما يعبأ بعدابكم ربى لولا دعاؤكم إياه فى الشدائد، بيانه: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِّ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾ (العنكبوت: ٦٥) ونحوها من الآيات.

وقال بعضهم: قل ما يعبأ بمغفرتكم ربى لولا دعاؤكم معه آلهة وشركاء بيانه قوله سبحانه وتعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ﴾ (النساء: ١٤٧)، وهذا معنى قول الضحاك.

وأخبرنى ابن فنجويه قال حدثنا ابن حبيش قال حدثنا أبو القاسم بن الفضل قال حدثنا أبو حاتم قال حدثنا أبو طاهر بن السرج قال حدثنا موسى بن ربيعة الجُمحى قال سمعت الوليد بن الوليد يقول: بلغنى أن تفسير هذه الآية: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُرْبِي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ : يقول: ما خلقتكم ولى إليكم حاجة إلا أن تسألونى وأغفر لكم وتسالونى فأعطيكم. ﴿فَتَدَّ كَذَّبْتُمْ﴾ : يا أهل مكة.

وأخبرنا شعيب بن محمد قال أخبرنا مكى بن عبدان قال حدثنا أحمد بن الأزهر قال حدثنا روح بن عباد قال حدثنا شعبة عن عبد الحميد بن واصل قال سمعت مسلم بن عمار قال سمعت ابن عباس يقرأ: ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾.

وبه عن شعبة عن أدهم - يعنى السدوسى عن سليمان بن عبد الله: أنه كان خلف ابن الزبير، فقرأ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ فلما أتى على هذه الآية قرأها: فقد كذب

الكافر فسوف يكون لزاماً .

ومعنى الآية : فسوف يكون تكذيبكم لزاماً قال ابن عباس : موتاً . قال ابن زيد : قتالاً . قال

أبو عبيدة : هلاكاً ، وأنشد :

فإما ينجوا من خسف أرضى      فقد لقيا حتوفهما لزاما

قال بعض أهل المعانى : يعنى فسوف يكون جزاء يلزم كل عامل ما عمل من خير أو شر .

وقال ابن جرير : يعنى عذاباً دائماً لازماً ، وهلاكاً مفنياً يلحق بعضكم بعضاً كقول أبى ذؤيب :

ففاجأه بغادية لزام      كما يتفجر الحوض اللفيق

يعنى باللزام الكثير الذى يتبع بعضه بعضاً ، وباللفيق الحجارة المتهدمة . واختلفوا فى

اللازم هاهنا ؛ فقال قوم : هو يوم بدر قتل منهم سبعون وأسر سبعون ، وهو قول عبد الله بن

مسعود ، وأبى بن كعب ، وأبى مالك ، ومجاهد ، ومقاتل .

روى الأعمش عن مسلم عن مسروق قال : قال عبد الله : خمس مضيعين : الدجال ،

واللزام ، والبطشة والقمر ، والروم . وقال آخرون : هو عذاب الآخرة .



## سورة الشعراء

مكية إلا قوله: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ إلى آخر السورة فإنها مدنية<sup>(١)</sup>

وهى خمسة آلاف وخمسمائة واثنان وأربعون حرفاً

وألف ومائتان وتسع وتسعون كلمة ومائتان وسبع وعشرون آية

أخبرنا أبو الحسين الخبازى قال حدثنا أبو الشيخ الأصبهاني قال حدثنا أبو العباس الطهراني قال حدثنا يحيى بن يعلى بن منصور قال حدثنا إسماعيل بن أبي أويس قال حدثنا أبي عن أبي بكر عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «أعطيت السورة التى يذكر فيها البقرة من الذكر الأول، وأعطيت طه والطواسين من ألواح موسى عليه السلام، وأعطيت فواتح القرآن وخواتيم السورة التى تذكر فيها البقرة من تحت العرش، وأعطيت المفصل نافلة».

وأخبرنى أبو الحسن محمد بن القاسم الماوردى الفارسى قال حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن منصور الخيزرانى ببغداد قال حدثنا محمد بن أحمد بن حبيب قال حدثنا يعقوب بن يوسف قال حدثنا يحيى بن يحيى قال أخبرنا خارجة عن عبد الله عن إسماعيل بن أبي رافع عن الرقاشى (ح)<sup>(٢)</sup> وعن الحسن بن أنس: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن الله أعطانى السبع مكان التوراة، وأعطانى الطواسين مكان الزبور، وفضلنى بالحواميم، والمفصل، ما قرأهن نبى قبلى».

وأخبرنى كامل بن أحمد النحوى وسعيد بن محمد المقرئ قالوا أخبرنا أحمد بن محمد بن جعفر الشروطى قال حدثنا إبراهيم بن شريك الكوفى قال حدثنا أحمد بن عبد الله اليربوعى قال حدثنا سلام بن سليمان قال حدثنا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال قال لى رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الشعراء كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به، وهود، وشعيب، وصالح، وإبراهيم، وبعدد من

(١) فى تفسير الطبرى: هى مكية فى قول الجمهور. وقال مقاتل: منها مدنى الآية التى يذكر فيها الشعراء، وقوله: ﴿أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى إسرائيل﴾.

وقال ابن عباس، وقتادة: هى مكية إلا أربع آيات منها نزلت فى المدينة من قوله: ﴿والشعراء يتبعهم الغاؤون﴾ إلى آخرها. وهى مائتان وسبع وعشرون آية وفى رواية ست وعشرون.

(٢) زيادة حديثة يتطلبها سياق الإسناد.

كذب بعيسى، وصدق بمحمد ﷺ.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طَسَمَ﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ لَعَلَّكَ بَنِيعٌ تَفْسَكُ إِلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٣﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَاءَ لِيَوْمِهِمْ أَنْ بُعِثُوا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥﴾ أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمَا أَنْبَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٦﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾

﴿طَسَمَ﴾ اختلف القراء فيها وفي أختيها فكسر الطاء فيهن على الإمالة حمزة، والكسائي. وخلف، وعاصم في بعض الروايات. وقرأ أهل المدينة بين الكسر والفتح، وهو اختيار أبي عبيد وأبي حاتم. وقرأ غيرهم بالفتح على التفتيح.

وأظهر النون في السين هاهنا، وفي سورة القصص أبو جعفر وحمزة للتبيين والتمكين، وأخفاها الآخرون لمجاورتها حروف الغم. وأما تأويلها: فروى الوالبي عن ابن عباس قال: ﴿طَسَمَ﴾ قسم وهو من أسماء الله سبحانه. وقال عكرمة عنه: عجزت العلماء عن علم تفسيرها. وقال مجاهد: اسم السورة. وقال قتادة، وأبوروق: اسم من أسماء القرآن أقسم الله عز وجل به، أقسم الله سبحانه بطوُّه وسنَّائه وملكه.

وأخبرني ابن فنجويه قال حدثنا أبو حيش قال حدثني أحمد بن عبيد الله بن يحيى الدارمي قال حدثني محمد بن عبدة المصيضي قال حدثنا إبراهيم بن محمد بن يوسف الفريابي قال حدثنا محمد بن بشر الرقي قال حدثنا أبو عمر حفص بن ميسرة عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن محمد بن الحنفية عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية ﴿طَسَمَ﴾ قال رسول الله ﷺ: «الطاء: طور سيناء، والسين: الإسكندرية، والميم مكة»<sup>(١)</sup>.

قال جعفر الصادق: الطاء: طوبى، والسين: سدرة المنتهى، والميم: محمد المصطفى ﷺ.

(١) هذا حديث واضح الضعف وبه علة من علل المتون غير ما فى إسناده من الوهن وفيه أبو عمر حفص بن ميسرة الصنعاني، وقد تكلموا فيه ومنهم من ضعفه، وعبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب تكلموا فيه وقالوا منكر الحديث.

﴿تِلْكَ آيَاتُ﴾ أى هذه الآيات آيات. ﴿الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ لَمَّا كَذَبَ بَدِخُءُ أَي قَاتِلُ: ﴿نَفْسِكَ إِلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ وذلك حين كذبه أهل مكة، فشق ذلك عليه، فأنزل الله سبحانه هذه الآية، ونظيرها فى الكهف.

﴿إِنْ شَأْنُ نَزْلِ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ دليلين، قال: لو شاء الله سبحانه لأنزل عليهم آية يذلون بها فلا يلوى أحد منهم عنقه إلى معصية الله عز وجل. قال ابن جريج: لو شاء لأراهم أمراً من أمره لا يعمل أحداً منهم بمعصيته.

أخبرنى ابن فنجويه قال حدثنا ابن حبان قال حدثنا إسحاق بن محمد قال حدثنا أبى قال حدثنا إبراهيم بن عيسى قال حدثنا على بن على قال حدثنى أبو حمزة الثمالى فى هذه الآية قال: بلغنا والله أعلم أنها صوت يسمع من السماء فى النصف من شهر رمضان تخرج له العواتق من البيوت.

وبه عن أبى حمزة قال حدثنى الكلبى عن أبى صالح مولى أم هانئ أن عبد الله بن عباس حدثه قال: نزلت هذه الآية فىنا، وفى بنى أمية قال: سيكون لنا عليهم الدولة، فتذل لنا أعناقهم بعد صعوبة، وهوانٌ بعد عزة. وأما قوله سبحانه: ﴿خَاضِعِينَ﴾ ولم يقل خاضعة وهى صفة الأعناق. وفيه وجوه صحيحة من التأويل أحدها: فظل أصحاب الأعناق لها خاضعين، فحذف الأصحاب، وأقام الأعناق مقامهم لأن الأعناق إذا خضعت... (١) خاضعون فجعل الفعل أولاً للأعناق، ثم جعل خاضعين للرجال كقول الشاعر:

على قبضة موجودة ظهر كفه      فلا المرء مستحى ولا هو طاعم

فأنت فعل الظهر لأن الكف تجمع الظهر، ويكفى منه كما أنك مكثف بأن تقول خضعت للأمر أن تقول: خضعت لك رقتى، ويقول العرب: كل ذى عين ناظر إليك، وناظرة إليك؛ لأن قولك نظرت إليك عيني، ونظرت بمعنى واحد، وهذا شاهد فى كلام العرب أن يترك الخبر عن الأول، ويعمد إلى الآخر، فيجعل له الخبر كقول الراجز:

طول الليلالى أسرع فى نقضى      طوين طولى و طوين عرضى

فأخبر عن الليلالى وترك الطول.

قال جرير:

أرى مرّ السنين أخذن منى      كما أخذ السرار من الهلال

وقال الفرزدق:

(١) موضع النقط كلمة غير مقروءة.



نرى أرماعهم متقلديها إذا صدئ الحديد على الكمأة  
فلم يجعل الخبر للأرماع ورده إلى هم لكناية القوم، وإنما جاز ذلك لأنه لو أسقط من،  
وطول، والأرماع من الكلام لم يفسد سقوطها معنى الكلام، فكذلك رد الفعل إلى الكناية في  
قوله: ﴿أَعْتَقُهُمْ﴾ لأنه لو أسقط الأعناق لما فسد الكلام، ولأدى ما بقى من الكلام عنها،  
وكان: فظلوا خاضعين لها. واعتمد الفراء وأبو عبيدة على هذا القول.

وقال قوم ذكر الصفة لمجاورتها المذكر، وهو قوله: (هم) على عادة العرب في تذكير المؤنث  
إذا أضافوه إلى مذكر، وتأنيث المذكر إذا أضافوه إلى مؤنث، كقول الأعشى:

وتشرق بالقول الذى قد أذعته كما شرقت صدر القناة من الدم

قال العجاج: لما رأى متن السماء أبعدت وقيل: لما كان الخضوع، وهو المتعارف من بنى آدم  
أخرج الأعناق مخرج بنى آدم كقوله: ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ (يوسف: ٤) وقوله  
سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا التَّمْلُّ أَدْخُلُوا مَسَكِنِكُمْ﴾ (النمل: ١٨). ومنه قول الشاعر:

تمررتها والديك يدعو صباحه إذا ما بنو نعش دنوا فتصوبوا

وقيل: إنما قال: ﴿خَضَعِينَ﴾ فعبر بالأعناق عن جميع الأبدان، والعرب تعبر ببعض  
الشيء عن كله كقوله: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ (الحج: ١٠) وقوله: ﴿الزَّمَنُ طَبْرُهُ فِي عُنُقِهِ﴾  
(الإسراء: ١٣) ونحوهما.

قال مجاهد: أراد بالأعناق ههنا الرؤساء والكبراء. وقيل: أراد بالأعناق الجماعات،  
والطوائف من الناس. يقال: جاء القوم عنقاً أى طوائف، وعُصْباً، كقول الشاعر:

إن العراق وأهله عنق إليك فهيت هيتا

وقرأ ابن عبله: فظلت أعناقهم لها خاضعة.

﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ﴾ أى وعظ وتذكير. ﴿مَنْ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ﴾ فى الوحى والتنزيل. ﴿إِلَّا  
كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءٌ﴾ أخبار وعواقب وجزاء ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾  
وهذا وعيد لهم. ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمَا أَنْبَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ﴾ لون، وصنف، من النبات مما  
يأكل الناس والأنعام. ﴿كِرِيمٍ﴾ حسن يكرم على الناس. يقال: نخلة كريمة، إذا طاب حملها،  
ونافعة كريمة إذا كثر لبنها.

أخبرنى ابن فنجويه قال حدثنا عبد الله بن يوسف قال حدثنا الحسن بن محمد بن محمد بن بختويه  
قال حدثنا عمرو بن ثور، وإبراهيم بن أبى يوسف قالوا: حدثنا محمد بن يوسف الفريابى قال  
حدثنا سفيان عن رجل عن الشعبي فى قوله: ﴿كِرِيمٍ﴾ ثم قال: الناس من نبات الأرض، فمن

دخل الجنة فهو كريم، ومن دخل النار فهو لئيم.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الذى ذكرت. ﴿لَايَةً﴾ لدلالة على وجودى، وتوحيدي وكمال قدرتي وحكمتى، ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ لما سبق من علمى فيهم. قال سيويه: «كان» ههنا صلة مجازة: وما أكثرهم مؤمنين. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ بالنقمة من أعدائه. ﴿الرَّحِيمُ﴾ ذو الرحمة بأوليائه.



﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ ﴿﴾ وَلَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿﴾ قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا بِمَا يَنْتَهَىٰ إِلَيْنَا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿﴾ فَأَتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿﴾ وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿﴾ قَالَ فَعَلْتَهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿﴾ فَفَرَزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿﴾ قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ أَلَدَىٰ أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿﴾ قَالَ لَئِنْ آتَّخَذتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿﴾ قَالَ أَوْلَوْ جِئْتِكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيضَاءٌ لِلنَّظِيرِينَ ﴿﴾

﴿وَإِذْ نَادَى﴾. واذكر يا محمد إذ نادى. ﴿رَبُّكَ مُوسَى﴾ حين رأى الشجرة والنار. ﴿أَنْ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ لأنفسهم بالكفر والمعصية، ولبنى إسرائيل باستعبادهم وسوموهم سوء العذاب.

﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ﴾ وقرأ عبيد بن عمير بالتاء، أى ألا تتقون؟! ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ

يَكْذِبُونَ ﴿٢٦﴾ وَيَصْبِقُ صَدْرِي ﴿٢٧﴾ من تكذيبهم إياي. ﴿وَلَا يَنْطَلِقُ﴾ ولا ينبعث. ﴿لِسَانِي﴾ بالكلام، والتبليغ للعقدة التي فيه<sup>(١)</sup>. قراءة العامة برفع القافين رداً على قوله ﴿أَخَافُ﴾. ونصبهما يعقوب على معنى: وأن يضيق ولا ينطلق. ﴿فَأَرْسِلْ إِلَيَّ مَسْرُونًا﴾ ليؤازرنى ويظاهرنى فى تبليغ الرسالة، وهذا كما تقول: إذا نزلت بى نازلة أرسلت إليك أى لتعيننى. ﴿وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ﴾ يعنى القتل الذى قتله منهم واسمه فاتون، وكان خباز فرعون. وقيل: ﴿عَلَى﴾ بمعنى: لهم عندى ذنب. ﴿فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ به. ﴿قَالَ﴾ الله سبحانه: ﴿كَلَّا﴾ أى لن يقتلك. ﴿فَأَذَهَبَ بِسَائِرَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ سامعون ما يقولون، وما تجابون، إنما أراد بذلك تقوية قلبيهما وإخبارهما أنه يعينهما ويحفظهما. ﴿فَأَتَيْنَا فِرْعَوْنَ فَقَوْلًا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ولم يقل: رسولا، لأنه أراد المصدر، أى رسالة ومجازه: ذو رسالة رب العالمين، كقول كثير:

لقد كذب الواشون ما بحت  
عندهم بسرٌ ولا أرسلتهم برسول  
أى: برسالة. وقال العباس بن مرداس:  
ألا من مبلغٌ عنا خُفَافاً  
يعنى رسالة فلذلك انتهاء، قاله الفراء.

وقال أبو عبيدة: يجوز أن يكون الرسول فى معنى الاثنين والجمع، تقول العرب: هذا رسولى، ووكيلى، وهذان رسولى ووكيلى، وهؤلاء رسولى ووكيلى، ومنه قوله: ﴿فَأَتَيْنَاهُمْ عَدُوًّا لِي﴾ (الشعراء: ٧٧). وقيل: معناه: كل واحد منا رسول رب العالمين.

﴿أَنْ﴾ أى بأن ﴿أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أى إلى فلسطين ولا تستعبدهم. وكان فرعون استعبدهم أربعمائة سنة وكانوا فى ذلك الوقت ستمائة وثلاثين ألفاً، فانطلق موسى إلى مصر، وهارون بها، فأخبره بذلك، فانطلقا جميعاً إلى فرعون، فلم يؤذن لهما سنة فى الدخول عليه. فدخل البواب، فقال لفرعون: ها هنا إنسان يزعم أنه رسول رب العالمين. فقال فرعون: ائذن له لعلنا نضحك منه. فدخل عليه، وأديا إليه رسالة الله سبحانه وتعالى. فعرف فرعون موسى لأنه نشأ فى بيته، فقال له: ﴿أَلَمْ نُزِّنْكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ يعنى صبيًا. ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ وهى ثلاثون سنة. ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ﴾ يعنى قتل القبطى.

أخبرنا ابن عبدوس قال حدثنا محمد بن يعقوب قال حدثنا محمد بن الجهم قال حدثنا

(١) لم تكن العقدة التى فى لسان موسى عليه السلام لسبب عيب فى لسانه إنما كانت العجمة التى اعترته نظراً لقيامه خارج مصر فى قوم شعيب واختلاف بعض ألفاظ الكلمات عما هى فى ديار فرعون واعتياد موسى عليه السلام على لغة ولهجة قوم شعيب، فكل الأنبياء أسوياء فى الخلق والخلق.

الفراء قال حدثني موسى الأنصاري عن السري بن إسماعيل عن الشعبي أنه قرأ: (فعلت فعلتك التي)، بكسر الفاء ولم يقرأ بها غيره.

﴿وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ الجاحدين لنعمتي وحق تربيتي ربيناك فينا وليدًا، فهذا الذي كافأنا أن قتلنا منا وكفرت بنعمتنا. وهذه رواية العوفى عن ابن عباس، وقال: إن فرعون لم يكن يعلم ما الكفر بالربوبية.

فقال موسى: ﴿قَالَ فَعَلْتَهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ أي الجاهلين قبل أن يأتيني عن الله شيء، هذا قول أكثر المفسرين. وكذلك هو في حرف ابن مسعود: وأنا من الجاهلين.

وقيل: من الضالين عن العلم بأن ذلك يؤدي إلى قتله.

وقيل: من الضالين عن طريق الصواب من غير تعمد، كالقاصد إلى أن يرمى طائرًا، فيصيب إنسانًا.

وقيل: من المخطئين، نظيره: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (يوسف: ٨)، ﴿إِنَّكَ لَفِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ (يوسف: ٩٥).

وقيل: من الناسين، نظيره: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا﴾ (البقرة: ٢٨٢).

﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْكُمْ﴾ إلى مدين. ﴿فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾ فهمًا وعلماً. ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿.

اختلف العلماء في تفسيرها ففسرها بعضهم على إقرار، وبعضهم على الإنكار، فمن قال هو إقرار: قال: عدها موسى نعمة منه عليه حيث رياه ولم يقتله كما قتل غلمان بني إسرائيل، ولم يستعبده كما استعبدهم، وهذا قول الفراء، ومن قال: هو إنكار معناه: أو تلك نعمة؟ على طريق الاستفهام كقوله: ﴿هَذَا رَبِّي﴾ (الأنعام: ٧٦)، وقوله: ﴿فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٤)، وقول الشاعر: هم هم<sup>(١)</sup>.

وقال عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة:

لم أنسَ يومَ الرحيلِ وقتها      وجفنها من دموعها شَرِقُ  
وقولها والركابِ واقفة      تركنتي هكذا وتَنَطَّقُ

وهذا قول مجاهد. ثم اختلفوا في وجهها. فقال بعضهم: هذا ردٌّ من موسى عليه السلام

(١) الشاعر هو أبو خراش الهذلي، وتام البيت هو:

أخافوني وقالوا يا خويلد لا تُرْع

وتام البيت من تفسير القرطبي.

فقلت وأتكرت الوجوه هم هم

على فرعون حين امتن عليه بالترية فقال: لو لم تقتل بنى إسرائيل لربانى أبواى فأى نعمة لك علىّ؟

وقيل: ذكره إساءته إلى بنى إسرائيل، فقال: تَمَنَّ عَلَىّ أَنْ تَرِيْنِي وَتَنْسَى جَنَائِكَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؟

وقيل معناه: كيف تَمَنَّ عَلَىّ بالترية، وقد استعبدت قومي؟ ومن أهين قومه ذل فتعبيدك بنى إسرائيل قد أحبط إحسانك إلىّ.

وقال الحسن: يقول: أخذت أموال بنى إسرائيل وأنفقت منها علىّ، واتخذتهم عبيداً. وقوله سبحانه: ﴿أَنْ عَبَدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أى اتخذتهم عبيداً، يقال: عَبَدْتَهُ وَأَعْبَدْتَهُ وَأَنْشَدَ الْفِرَاءَ:

عَلَامٌ يُعْبِدُنِي قَوْمِي وَقَدْ كَثُرَتْ فِيهِمْ أَبَاعَرُ مَا شَاءُوا وَعِبْدَانُ

وله وجهان أحدهما: النصب بنزع الخافض مجازه: بتعبيدك بنى إسرائيل. والثانى: الرفع على البدل من النعمة.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ وأى شىء رب العالمين الذى تزعم أنك رسوله إلىّ؟. ﴿قَالَ﴾ موسى عليه السلام. ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ أنه خلقها عن الكلبى.

وقال أهل المعانى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ أى ما تعايونونه كما تعايونونه، فكذلك فأيقنوا أن ربنا هو رب السموات والأرض.

﴿قَالَ﴾ فرعون. ﴿لَمَنْ حَوْلَهُ﴾ من أشراف قومه. قال ابن عباس: وكانوا خمسمائة رجل عليهم الأسورة محيلاً لقوم موسى معجباً لقومه: ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ فقال موسى مفهماً لهم، وملزماً للحجة عليهم: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ﴾ قال فرعون. ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ يتكلم بكلام لا يعقله، ولا نعرف صحته. ف ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ تَقُولُونَ﴾ فقال فرعون حين لزمته الحجة وانقطع عنه الجواب تكبراً عن الحق وتمادياً فى الغى: ﴿قَالَ لَنْ آتَّخِذَ إِلَيْهَا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ المحبوسين.

قال الكلبى: وكان سجنه أشد من القتل لأنه كان يأخذ الرجل إذا سجنه فيطرحه فى مكان وحده فرداً لا يسمع ولا يبصر فيه شيئاً يهوى به فى الأرض.

فقال له موسى حين توعده بالسجن ﴿قَالَ أَوْلَوْ جِئْتِكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ يبين صدق قولى. ومعنى الآية: أتفعل ذلك إن أتيتك بحجة بينة؟ وإنما قال ذلك له موسى لأن من أخلاق الناس السكون

إلى الإنصاف والإجابة إلى الحق بعد البيان .

فقال له فرعون : ﴿ فَأْتِ بِآيَةٍ ﴾ فإنا لن نسجناك حينئذ . ﴿ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ ﴾ فَأْتِنِي بِعَصَاةِ إِذًا هِيَ تُعْبَانُ مُبِيْنٌ ﴾ بِيْنٌ ظاهر أمره . فقال : وهل غير هذا ؟ ﴿ وَنَزَعَ ﴾ . موسى ﴿ يَدُهُ إِذَا هِيَ بِيَضَاءٍ لِلنّٰظِرِيْنَ ﴾ .



﴿ قَالَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ حٰوَلُوْا اِنَّ هٰذَا السّٰحِرُ عَلِيْمٌ ﴾ يُرِيْدُ اَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ اَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُوْنَ ﴾ قَالُوْا اَرْجِهْ وَاَحَاةُ وَاَبْعَثْ فِي الْمَدٰٓئِنِ حٰشِرِيْنَ ﴾ يَا تُوْكُ بِكُلِّ سَحٰرٍ عَلِيْمٌ ﴾ فَجُمِعَ السّٰحِرَةُ لِمَيَقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُوْمٍ ﴾ وَقِيْلَ لِلنّٰاسِ هَلْ اَنْتُمْ مُّجْتَمِعُوْنَ ﴾ لَعَلْنَا نَتَّبِعُ السّٰحِرَةَ اِنْ كَانُوْا هُمْ الْغٰلِبِيْنَ ﴾ فَلَمَّا جَاءَ السّٰحِرَةُ قَالُوْا لِفِرْعَوْنَ اَيْنَ لَنَا لَاجِرٌ اِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغٰلِبِيْنَ ﴾ قَالَ نَعَمْ وَاِنَّكُمْ اِذَا لَمِنَ الْمُقْرَبِيْنَ ﴾ قَالَ لَهُمْ مُّوسٰى اَلْقُوا مَا اَنْتُمْ مُّتْلُوْنَ ﴾ فَاَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعَصِيْمَهُمْ وَقَالُوْا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ اِنَّا لَنَحْنُ الْغٰلِبِيُّوْنَ ﴾ فَأَلْقٰى مُّوسٰى عَصَاهُ اِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُوْنَ ﴾ فَأَلْقٰى السّٰحِرَةُ سَجٰدِيْنَ ﴾ قَالُوْا ءَاَمَنَّا بِرَبِّ الْعٰلَمِيْنَ ﴾ رَبِّ مُّوسٰى وَهٰرُونَ ﴾ قَالَ ءَاَمَنْتُمْ لِهٖ قَبْلَ اَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ اِنَّهٗ لَكَبِيْرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمْ السّٰحِرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُوْنَ اَلْقَطْعَانَ اَيْدِيكُمْ وَاَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَّلَا صٰلِبِيْنَكُمْ اَجْمَعِيْنَ ﴾ قَالُوْا اَلَا ضِيْرٌ اِنَّا اِلٰى رَبِّنَا مُنْقَلِبُوْنَ ﴾ اِنَّا نَطْمَعُ اَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيْئَتَنَا اَنْ كُنَّا اَوَّلَ الْمُؤْمِنِيْنَ ﴾ وَاَوْحَيْنَا اِلٰى مُّوسٰى اَنْ اَسْرِ بِعِبَادِيْ اِنَّكُمْ مُّتَّبَعُوْنَ ﴾ فَاَرْسَلَ فِرْعَوْنَ فِي الْمَدٰٓئِنِ حٰشِرِيْنَ ﴾ اِنْ هٰتُوْلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيْلُوْنَ ﴾ وَاِنَّهُمْ لَنَا لَغٰٓيِطُوْنَ ﴾ وَاِنَّا لَجَمِيْعٌ حٰدِرُوْنَ ﴾ فَاَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّتِ وَعِيُوْبٍ ﴾ وَكُنُوْزٍ وَمَقَامٍ كَرِيْمٍ ﴾ كَذٰلِكَ وَاَوْرَثْنَاهَا بَنِيْ اِسْرٰٓءِيْلَ ﴾ فَاتَّبَعُوْهُمُ مُّشْرِقِيْنَ ﴾ فَلَمَّا تَرٰءَا الْجَمْعَانَ قَالَ اَصْحٰبُ مُّوسٰى اِنَّا لَمُدْرِكُوْنَ ﴾ قَالَ كَلَّا اِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِيْنِيْ ﴾ فَاَوْحَيْنَا اِلٰى مُّوسٰى اَنْ اَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَاَنْفَلَقْ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيْمِ ﴾ وَاَرْزَلْنَا تَمَّةَ الْاٰخِرِيْنَ ﴾ وَاَنْجَيْنَا مُّوسٰى وَمَنْ مَّعَهٗ وَاَجْمَعِيْنَ ﴾ ثُمَّ

أَعْرَفْنَا الْأَخْرِينَ ﴿٢٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾

قال فرعون: ﴿لَمَلَأْ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ﴾ يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحريه فماذا تأمرون ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ يَأْتُونَكَ بِكُلِّ سَخَارٍ عَلِيمٍ ﴿فَجَمَعَ السَّحْرَةَ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ وهو يوم الزينة.

قال ابن عباس: وافق ذلك يوم السبت في أول يوم من السنة، وهو يوم النيروز. وقال ابن زيد: وكان اجتماعهم للميقات بالإسكندرية. ويقال بلغ ذنب الحية من وراء البحيرة يومئذ.

﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾ لتنظروا إلى ما يفعل الفريقان، ولمن تكون الغلبة لموسى أو للسحرة. ﴿لَعَلَّكُمْ لَكِي﴾ ﴿تَبْلُغُ السَّحْرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْعَالِينَ﴾ موسى، وقيل: إنما قالوا ذلك على طريق الاستهزاء، وأرادوا بالسحرة موسى، وهارون وقومهما.

﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحْرَةَ قَالُوا الْفِرْعَوْنُ ابْنٌ لَنَا لِأَجْرٍ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْعَالِينَ﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُفْرَبِينَ ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى الْقَوْمَ مَا أَنْتُمْ مُتَّبِعُونَ﴾ قَالُوا جِبَالَهُمْ وَعَصِيهِمْ وَقَالُوا بَعِزَّةَ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْعَالِيُونَ ﴿قَالَ لِي مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ فَأَتَى السَّحْرَةَ سَجْدِينَ ﴿قَالُوا أَمِنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿قَالَ أَمِنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَا قُطْعَانَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صُلْبَيْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ قَالُوا لَا صَبْرَ لَنَا إِذْ نَأْتِي رَبَّنَا مُتْقَلِبِينَ ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا﴾ لَأَنْ ﴿كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ من أهل زماننا. ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكَ مُتَّبَعُونَ﴾ يتبعكم فرعون وقومه.

أخبرني ابن فنجويه قال حدثنا ابن لؤلؤ قال أخبرنا الهيثم بن الخلف قال حدثنا الدورقي عن حجاج بن جريح في هذه الآية قال: أوحى الله سبحانه إلى موسى أن اجمع بنى إسرائيل كل أربعة أهل أبيات في بيت ثم اذبحوا أولاد الضأن فاضربوا بدمائها على أموالكم، فإني سأمر الملائكة فلا تدخل بيتاً على بابه دم، وسأمرها فتقتل أبقار آل فرعون من أنفسهم وأموالهم، ثم اخبزوا خبزاً فطيراً فإنه أسرع لكم، ثم أسر بعبادي حتى ينتهي إلى البحر فيأتيك أمري، ففعل ذلك. فلما أصبحوا قال فرعون: هذا عمل موسى، وقومه، قتلوا أبقارنا من أنفسنا وأموالنا، فأرسل في أثره ألف ألف وخمسمائة ألف ملك مسور، مع كل ملك ألف، وخرج فرعون في الكرسی العظيم.

﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ يعنى الشرط ليجمعوا السحرة، وقال لهم: ﴿إِنَّ هَذِهِ لَأَشْرَارٌ يُبْذَرُونَ﴾ عصبه، وشرذمة كل شىء بقيته القليلة، ومنه قول الراجز:  
جاء الشتاء وثيابى أخلاق شراذم يضحك منها النَّوَّاقِ<sup>(١)</sup>

قال ابن مسعود: كان هؤلاء الشرذمة ستمائة وسبعين ألفاً. وأخبرنا أبو بكر الخرمى قال حدثنا أبو حامد الأعمش قال حدثنا أبو جعفر محمد بن عبد الله بن المبارك الخزمي قال حدثنا يحيى بن آدم قال حدثنا إسحاق عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون الأودى فى هذه الآية، قال: كان أصحاب موسى ستمائة ألف.

﴿وَأَنبَأْنَا لَدُنَّ لَعَّائِينَ﴾ يعنى أعداء المخالفتهم ديننا، وقتلهم أبكارنا وذهابهم بأموالنا التى استعاروها وخروجهم من أرضنا بغير إذن منا.

﴿وَأَنَّا لَجَمِيعٌ حَازِرُونَ﴾ قرأ النخعى، والأسود بن يزيد، وعبيد بن عمرو، وسائر...<sup>(٢)</sup> وقرأ الكوفة، وأبو عامر، والضحاك: ﴿حَازِرُونَ﴾، بالألف، وهى قراءة ابن مسعود، وابن عباس، واختيار أبى عبيد. وقرأ الآخرون: حاذرون، بغير ألف، وهما لغتان.

وقال قوم: حاذرون، مؤدون مقرؤون شاكون فى السلاح ذوو إرادة وقوة وكراع. وحذرون: فرقون متيقظون، وقال الفراء: كأن الحاذر الذى يحذر كالحذر المخلوق حذر ألا يلقاه إلا حذراً. والحذر اجتناب الشىء خوفاً منه.

وقرأ شميظ بن عجلان: حادرون بالبدال غير معجمة. قال الفراء: يعنى عظاماً من كثرة الأسلحة. ومنه قيل للعين العظيمة الحذرة، وللمتورم حاذر.

قال امرؤ القيس:

وعين لها حذرةٌ بدرّةٍ شُقَّتْ مَاقِيهَا مِنْ أُخْرٍ

﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۖ وَكُنُوزٍ﴾ قال مجاهد: سماها كنوزاً لأنها لم تنفق فى طاعة الله سبحانه. ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ ومجلس حسن ﴿كَذَلِكَ﴾ كما وصفنا. ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾ بهلاكهم. ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ فَأَتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾ فلحقوهم فى وقت إشراق الشمس، وهو إضاءتها. ﴿فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ﴾ أى تقابلا بحيث يرى كل فريق منهما صاحبه. وكسر يحيى، والأعمش، وحمزة، وخلف: الرأ فى (ترأى). وقرأ الباقون بالفتح.

﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ للمحقون. وقرأ الأعرج، وعبيد بن عمير: لمدركون،

(١) فى تفسير الطبرى: النواق من الرجال: الذى يروض الأمور ويصلحها.

(٢) موضع النقط كلمة هذا رسمها: «ك».



بتشديد الدال والاختيار قراءة العامة كقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَذْرَكَهُ الْقَرَقُرُ﴾ (يونس: ٩٠).

﴿قَالَ﴾ موسى ثقة بوعد الله: ﴿كَلَّا﴾ لا يدركونكم. ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ طريق النجاة. ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾.

أخبرني الحسين بن محمد بن الحسين الفنجوى قال أخبرني محمد بن الحسين بن علي اليقطيني قال أخبرنا أحمد بن عبد الله العقيلي، قال حدثنا صفوان بن صالح قال حدثنا الوليد قال حدثني محمد بن حمزة وعبد الله بن سلام: أن موسى لما انتهى إلى البحر قال: يا من كان قبل كل شيء، والمكون لكل شيء، والكائن بعد كل شيء اجعل لنا مخرجاً، فأوحى الله سبحانه أن اضرب بعصاك البحر ﴿فَأَنفَلَقَ﴾ فانشق ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ﴾ فرقة أى قطعة من الماء ﴿كَالطُّورِ الْعَظِيمِ﴾ كالجبل الضخم.

قال ابن جريج وغيره: لما انتهى موسى إلى البحر هاجت الريح والبحر يرمى بموج مثل الجبال، فقال له [قومه] <sup>(١)</sup> توسع يا مكلم الله أين أمرت فقد غشينا فرعون، والبحر أمامنا. قال موسى: هاهنا، فخاض يوشع الماء وجاز البحر يتوارى حوافر دابته الماء. وقال الذى يكتم إيمانه: يا مكلم الله أين أمرت؟ قال: هاهنا. فكبح فرسه بلجامه حتى طال الزبد من شذقيه، ثم أقحمه البحر، فارتسب فى الماء. وذهب القوم يصنعون مثل ذلك فلم يقدرُوا. فجعل موسى لا يدرى كيف يصنع؟ فأوحى الله سبحانه: ﴿أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾ فضربه بعصاه. ﴿فَأَنفَلَقَ﴾ فإذا الرجل واقف على فرسه لم يبتل لبده ولا سرجه.

﴿وَأَرْزَلْنَاهُ آخِرِينَ﴾ يعنى قوم فرعون، يقول قربانهم إلى الهلاك، وقدمناهم إلى البحر. ﴿وَأُنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ وَأَجْمَعِينَ﴾ ثم أغرقنا الآخرين ﴿فرعون وقومه﴾. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ قال مقاتل: لم يؤمن من أهل مصر غير آسية امرأة فرعون، وحزيبيل المؤمن، ومريم بنت موسى التى دلت على عظام يوسف عليه السلام. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.



﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُهَا عَنكِفِينَ﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يُضُرُّونَ﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا

ءَابَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿١٠٠﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿١٠١﴾ أَنْتُمْ وءَابَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿١٠٢﴾ فَإِنَّهُمْ  
 عَدُوِّيَ إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٣﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿١٠٤﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿١٠٥﴾ وَإِذَا  
 مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿١٠٦﴾ وَالَّذِي يُبَيِّتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿١٠٧﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ  
 الَّذِينَ ﴿١٠٨﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّنِي بِالصَّلَاحِينَ ﴿١٠٩﴾ وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي  
 الْآخِرِينَ ﴿١١٠﴾ وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿١١١﴾ وَأَغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿١١٢﴾ وَلَا  
 تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿١١٣﴾

﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿١٠١﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُ لَهَا عَظْمِينَ ﴿١٠٢﴾ قَالَ  
 بعض العلماء: إنما قالوا: فنظّل لأنهم كانوا يعبدونها النهار دون الليل.

﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ﴾ قراءة العامة بفتح الياء، هل يسمعون دعاءكم. وقرأ قتادة:  
 يُسمعونكم، بضم الياء. ﴿إِذْ تَدْعُونَ﴾ أَوْ يَفْعَلُونَ أَوْ يَصْرُونَ ﴿١٠١﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا كَذَلِكَ  
 يَفْعَلُونَ ﴿١٠٢﴾.

وفي هذه الآية بيان أن الدين إنما يثبت بالحجة وبطلان التقليد فيه.

﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ أَنْتُمْ وءَابَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿١٠١﴾ الأولون ﴿فَأِنَّهُمْ عَدُوِّيَ﴾ وأنا منهم  
 برىء، وإنما وحد العدو لأن معنى الكلام قال: كل معبود لكم عدو لي لو عبدتهم يوم  
 القيامة، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ (مریم: ٨٢).

وقال الفراء: هو من المقلوب، فإنى عدو لهم لأن من عاديته عاداك.

ثم قال: ﴿إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ نصب بالاستثناء، يعنى وإنهم عدو لي وغير معبود لي ﴿إِلَّا  
 رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ فإنى أعبده. قاله الفراء. وقيل: هو بمعنى لكن. وقال الحسن بن الفضل: يعنى  
 الأمر عند رب العالمين.

ووصفه فقال: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ أخبر أن الهادى على الحقيقة هو الخالق لا هادى  
 غيره.

قال أهل البيان: الذى خلقنى فى الدنيا على فطرته، فهو يهدينى فى الآخرة إلى جنته.

﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ يعنى يرزقنى ويربىنى.

وقال أبو العباس بن عطاء يعنى ﴿يُطْعِمُنِي﴾ أى طعام شاء، ﴿وَيَسْقِينِ﴾ أى شراب شاء.

قال محمد بن كثير العبدى: صحبت سفیان الثورى بمكة دهرًا فكان يستقى من السبت إلى السبت كفاً من... (١).

وسمعت أبا القاسم بن شعيب يقول سمعت أبا الحسين محمد بن على بن الشاه يقول سمعت أبا عبد الله محمد بن على بن حمدان يقول سمعت الجراح بن عبد الكريم يقول: خرجت من بلخ فى طلب إبراهيم بن أدهم، فرأيت به حمص فى أتون يسجرها فسلمت عليه، وسألته عن حاله، فردّ علىّ السلام وسألنى عن حالى، وحال أقربائى. فكنت معه يومه ذلك، فقال: لعل نفسك تنازعك إلى شىء من طعام؟ فقلت: نعم. فأخذ رمادًا، وترابًا فخلطهما، وأكلهما، ثم أقبل بوجهه علىّ وأنشأ يقول:

اخلط الترب بالرماد وكله      وازجر النفس عن مقام السؤال

فإذا شئت أن تقنع بالذل      فرم ما حوته أيدي الرجال

فخرجت من عنده فمكثت أيامًا لم أدخل عليه، فاشتد شوقى إليه، فدخلت عليه، وكنت عنده، فلم يتكلم بشىء، فقلت: لم لا تتكلم؟ فقال:

منع الخطاب لأنه سبب الأذى      والنطق فيه معادن الآفات

فإذا نطقت فكن لربك ذاكرًا      وإذا سكت فعد جسمك مات

قال أبو بكر الوراق: ﴿يُطْعِمُنِي﴾ بلا طعام، ﴿وَيَسْقِينِي﴾ بلا شراب، ومجازها: يشبعنى ويروينى من غير علاقة كقول النبى ﷺ: «إنى أبيت يطعمنى ربي ويسقنى» يدل عليه حديث السقيا فى عهد النبى ﷺ، حيث سمع النبى ﷺ ثلاثة أيام يقرأ: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ (هود: ٦). فرمى بقربته، وأتاه آت فى منامه بقدر من شراب الجنة.

قال أنس: فعاش بعد ذلك نيفًا وعشرين سنة لم يأكل، ولم يشرب على شهوته.

وقال على بن قادم: كان عبد الرحمن بن أبى نعم لا يأكل فى الشهر إلا مرة فبلغ ذلك الحجاج فدعاه، وأدخله بيتًا وأغلق عليه بابه ثم فتحه بعد خمسة عشر يومًا ولم يشك أنه مات، فوجده قائمًا يصلى، فقال: يا فاسق، تصلى بغير وضوء. فقال: إنما يحتاج إلى الوضوء من يأكل ويشرب وأنا على الطهارة التى أدخلتنى عليها هذا البيت.

وسمعت أبا القاسم الحسن بن محمد النيسابورى يقول: سمعت أبا نصر منصور بن عبد الله الأصبهانى يقول: سمعت أبا سعيد الخراز بمكة يقول: كنت بطرسوس جائعًا فاشتد على

(١) كلمة بالخطوط هذا رسمها: «ومل» وقد تكون «رمل» كما سيأتى فى إبراهيم بعده وهذا طبعًا ليس بصحيح فى كلا الموضعين.

الجوع، فجلست على شاطئ النهر فوضعت رجلى فى الماء، فنوديت: أصرخت من جوعك، هالك شبع الأبد.

قال: فعاش بعده سنين لم يشته طعاماً ولا شراباً، وكان مع ذلك إذا أراد الأكل والشراب أمكنه.

وبلغنى: أن امرأة أسرت من حلب إلى الروم فى أيام سيف الدولة على بن حمدان، فهربت منهم ومشت مائتى فرسخ لم تطعم شيئاً. فقدمت إلى سيف الدولة، فقال لها: كيف قويت على المشى؟ وكيف عشت بلا طعام؟  
قالت: كنت كلما جعت أو أعيتت أقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثلاث مرات، فأشبع وأروى وأقوى.

وسمعت أبا القاسم الحبيشى يقول سمعت أبا قاسم النصرى يقول سمعت أبا بكر الشبلبي يقول فى الخبز لطيفة تشبعك لا الخبز، ولو شاء لأبقى فىك تلك اللطيفة حتى لا تحتاج إلى الخبز.

وقال ذو النون المصرى يطعمنى طعام المحبة ويسقبنى شراب المحبة، ثم أنشأ يقول:

شراب المحبة خير الشراب      وكل شراب سواه سراب

وسمعت ابن حبيب يقول سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الله الجرجانى يقول سمعت الحسن بن علوية الدامغانى يقول سمعت عمى يقول سمعت أبا يزيد البسطامى يقول: إن لله شراباً يقال له شراب المحبة ادخره لأفاضل عباده فإذا شربوا سكروا فإذا سكروا طاشوا فإذا طاشوا طاروا فإذا طاروا وصلوا، فإذا وصلوا اتصلوا، فهم ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ (القمر: ٥٥).

وقال الجنيد: يحشر الناس كلهم عراة إلا من لبس لباس التقوى، وغراثا إلا من أكل طعام المعرفة، وعطاشا إلا من شرب شراب المحبة<sup>(١)</sup>.

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ﴾ أضاف إبراهيم عليه السلام المرض إلى نفسه وإن كان من الله سبحانه لأن قومه كانوا يعدونه عيباً، فاستعمل حسن الأدب، نظيرها قصة الخضر حيث قال: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ

(١) ما سبق من كلام أهل التصوف عار من الدليل ومثل هذا الكلام لا يقال إلا عن دليل مقطوع بصحته حيث هو من أمور الغيب فلا يجوز أن يقال فى هذا: هذا من قبيل الإشارة إذ إن الله حذر من مثل هذا وبين أن من علامات التقوى تعظيم شعائر الله فقال: ﴿ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب﴾ فعلى المسلم أن لا يتقول على الله ولا على نبيه ما لا علم له به وما لا دليل له عليه نجانا الله وإياكم من الغلو والتساهل فى دين الله.

أَعْيَبَهَا ﴿الكهف: ٧٩﴾ وقال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ (الكهف: ٨٢)، ﴿فَهُوَ يَشْفِين﴾ يبرئنى .  
 يحكى أن أبا بكر الوراق مرَّ بطبيب يعطى الناس الأدوية ، فوقف عليه وقال : أيفعل دواؤك  
 هذا أمرين؟ قال : وما هما؟ فقال : رد قضاء قاض ، وجر شفاء شاف؟ فقال : لا . قال : فليس  
 ذلك شىء .

وقال جعفر الصادق : إذا مرضت بالذنوب شفانى بالتوبة .

قال يسار بن عبد الله : إذا أمرضتنى مفاصة الخلق شفانى بذكره والأنس به .

﴿وَالَّذِي يُمَيِّتُنِي تُرْمِيحِينَ﴾ أدخل ها هنا ﴿نَمْرٌ﴾ للقطع والتراخي .

قال أهل الإشارة : يميتنى بالعدل ويحيينى بالفضل ، يميتنى بالمعصية ويحيينى بالطاعة ،

يميتنى بالفراق ويحيينى بالتلاق ، يميتنى بالخذلان ويحيينى بالتوفيق ، يميتنى غنى ويحيينى به ،

يميتنى بالجهل ويحيينى بالعلم .

﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ﴾ أرجو . ﴿أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ قراءة العامة بالتوحيد .

وأخبرنى ابن فنجويه قال حدثنا ابن حبش قال حدثنا أبو القاسم بن الفضل قال حدثنا أبا

قال حدثنا أحمد بن يزيد قال حدثنا روح عن أبى اليقظان قال حدثنا الحكم السلمى قال

سمعت الحسن يقرأ : والذى أطمع أن يغفر لى خطاياى يوم الدين .

قال : إنها لم تكن خطيئة ولكن كانت خطايا . قال مجاهد ، ومقاتل : هى قوله : ﴿إِنِّي

سَقِيمٌ﴾ (الصفات: ٨٩) وقوله : ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾ (الأنبياء: ٦٣) وقوله لسارة : هى أختى ، زاد

الحسن : وقوله للكوكب : ﴿هَذَا رَبِّي﴾ (الأنعام: ٧٦) .

أخبرنى الحسين بن محمد بن الحسين قال حدثنا أحمد بن إبراهيم بن شاذان قال : حدثنا

عبيد الله بن زياد الحريرى قال حدثنا أبو سعيد الأشج قال حدثنا أبو خالد عن داود عن الشعبي

عن عائشة رضى الله عنها قالت : قلت : يا رسول الله إن عبد الله بن جدعان كان يقرى

الضيف ، ويصل الرحم ، ويفك العانى ، فهل ينفعه ذلك؟ قال : «لا لأنه لم يقل يوماً قط رب

اغفر لى خطيئتى يوم الدين» .

وهذا الكلام من إبراهيم عليه السلام احتجاج على قومه ، وإخبار أنه لا يصلح للإلهية إلا

من فعل هذه الأفعال .

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾ هو البيان على الشىء على ما توجه الحكمة . وقال مقاتل : فهماً

وعلمًا .

وقال الكلبي : النبوة .

﴿وَالْحَقِّي بِالصَّلِحِينَ﴾ بمن قبلى من النبيين فى الدرجة وقال ابن عباس: أهل الجنة .  
 ﴿وَأَجْعَلِ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ أى ذكراً جميلاً وثناءً حسناً وقبولاً عاماً فى الأمم التى  
 تجىء بعدى . فأعطاه الله سبحانه وتعالى الكمال ، فكل أهل الأديان يتولونه ويشنون عليه .  
 قال القتيبي : وذلك أن اللسان موضع القول على الاستعارة لأن القول يكون به . والعرب  
 تسمى اللغة لساناً . وقال الأعشى :

إنى أتنتى لسان لا أسرُّ بها      من علولا عجب منها ولا سخر  
 ﴿وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ وَأَغْفِرْ لِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿ وقد بينا المعنى الذى من أجله  
 استغفر إبراهيم عليه السلام لأبيه حين وعده التوبة بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .  
 ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ .



﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿ وَأَزْلَمْتُ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿  
 وَرُزِّتَ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ  
 يَنْصُرُونَ ﴿ فَكَبَّوْا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿ وَجُنُودٌ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا  
 يَخْتَصِمُونَ ﴿ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿ إِذْ نَسَوَكُمْ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا  
 الْمُجْرِمُونَ ﴿ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴿ وَلَا صِدِّيقٍ حَمِيمٍ ﴿ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُوتَ مِنْ  
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ  
 الرَّحِيمُ ﴿﴾

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿ خالص من الشرك والشك ، فأما  
 الذنوب فليس يسلم منها أحد ، هذا قول أكثر المفسرين .

وقال سعيد بن المسيب : القلب السليم هو الصحيح ، وهو قلب المؤمن لأن قلب الكافر ،  
 والمنافق مريض ، قال الله سبحانه : ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ (البقرة: ١٠) .

وقال أبو عثمان النيسابورى : هو القلب الخالى من البدعة المطمئن على السنة .

وقال الحسين بن الفضل : سليم من آفة المال والبنين .

وقال الجنيد : السليم فى اللغة اللديغ فمعناه كاللديغ من خوف الله .

﴿وَأَزْلَمْتُ﴾ وقربت . ﴿الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ وَرُزِّتَ ﴿ وأظهرت . ﴿الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ للكافرين .

﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾ يوم القيامة . ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ من دُونَ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْصُرُونَ﴾ لأنفسهم . ﴿فَكَبُّوا فِيهَا﴾ .

قال ابن عباس : جمعوا . وقال مجاهد : ذهبوا . وقال مقاتل : قذفوا . وأصله كجبوا ، فكررت الكاف مثل قولك تهننى وريح صرصر ونحوهما .

﴿هُرْمٌ وَالْعَاوُنُ﴾ يعنى الشياطين ، عن قتادة ومقاتل . وقال مقاتل : كفرة الجن .

﴿وَجُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ وهم أتباعه ومن أطاعه من الجن والإنس ، قالوا للشياطين والمعبودين : ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لِنَعْنِي ضَلَّلٌ مُّبِينٌ﴾ إِذْ نَسَوَكُمْ﴾ نعدلكم . ﴿بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فنعبدكم من دونه . ﴿وَمَا أَضَلْنَا﴾ أى دعانا إلى الضلال وأمرنا به . ﴿إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾ هم الشياطين ، عن مقاتل ، وقال الكلبي : أولئنا الذين اقتدينا بهم . وقال أبو العالية ، وعكرمة : يعنى إبليس ، وابن آدم القاتل ، لأنه أول من سن القتل وأنواع المعاصى .

﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ قريب ينفعنا ويشفع لنا ، وذلك حين تشفع الملائكة ، والنبيون ، والمؤمنون .

أخبرنى الحسين بن محمد الفنجرى قال حدثنا محمد بن الحسين بن على اليقطينى قال أخبرنا أحمد بن عبد الله بن يزيد العقيلى قال حدثنا صفوان بن صالح قال حدثنا الوليد بن مسلم قال حدثنا من سمع أبا الزبير يقول : أشهد لسمعت جابر بن عبد الله يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن الرجل ليقول فى الجنة : رب ما فعل صديقى فلان ، وصديقه فى الجحيم ، فيقول الله سبحانه : أخرجوا له صديقه إلى الجنة ، فيقول من بقى : ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ ، وأخبرنى ابن فنجويه قال حدثنا ابن شنبه قال حدثنا سمعان بن أبى مسعود قال حدثنا المضاء بن الجارود قال حدثنا صالح المري عن الحسن قال : ما اجتمع ملاً على ذكر الله تعالى فيهم رجل من أهل الجنة إلا شفعه الله فيهم ، وإن أهل الإيمان شفعاء بعضهم فى بعض عند الله شافعون مشفعون .

﴿قُلُوا أَنْ لَنَا كَرَّةٌ﴾ رجعة إلى الدنيا ، تمنوا حين لم ينفعهم ﴿فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَةٌ

وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾



﴿كَذَبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ إِنْ لَكُمْ رَسُولٌ

أَمِينٌ﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ

الْعَلَمِينَ ﴿١٤﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٥﴾ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذُلُونَ ﴿١٦﴾ قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ إِنَّ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٠﴾ قَالُوا لَيْنَ لَمْ تَنْهَ يَنْبُوحَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿٢١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَبُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَفْتَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحًا وَنَجْنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَكَ الْمَشْحُونِ ﴿٢٤﴾ ثُمَّ أَعْرَفْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرَهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٢٧﴾

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ وصلت التاء للجماعة كقوله: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ﴾ (الحجرات: ١٤).

﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ يعني نوحًا وحده، كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ﴾ (المؤمنون: ٥١).

وأخبرني أبو عبد الله الدينوري قال حدثنا أبو علي المقرئ قال حدثنا أبو حميد علي بن الحسين بن حرب قال حدثنا الحسين بن محمد بن الصباح قال حدثنا عبد الوهاب عن إسماعيل عن الحسين قال: قيل له: يا أبا سعيد أرايت قوله عز وجل: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ و﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الشعراء: ١٢٣) و﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الشعراء: ١٤١) وإنما أرسل إليهم رسولاً واحداً؟

قال: لأن الآخر جاء بما جاء به الأول، فإذا كذبوا واحداً، فقد كذبوهم أجمعين.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ﴾ في النسب لا في الدين. ﴿نُوحٌ إِلَّا تَتَّقُونَ﴾ إني لكم رسول أمين ﴿علي الوحي﴾. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا﴾ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ لَكَ وَاتَّبَعَكَ ﴿قراءة العامة. وقرأ أبو يعقوب: واتباعك﴾. ﴿الْأَرْذُلُونَ﴾ يعني السفلة عن مقاتل وقتادة والكلبي. وقال ابن عباس: الحماكة.

وأخبرني الحسين بن محمد الفنجري قال حدثنا محمد بن الحسين الكعبي قال حدثنا حسين ابن مزاحم عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذُلُونَ﴾ قال: الحماكة (والحجامون). وقال عكرمة: الحماكة والأسافلة.

﴿قَالَ﴾ نوح. ﴿وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ إنما لي منهم ظاهر أمرهم، وعلى أن أدعوهم وليس علي من خساسة أحوالهم في ديارهم ومحاسبتهم بشيء ولم أكلف ذلك إنما كلفت أن أدعوهم.



﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوَ تَشْعُرُونَ﴾ وقيل: معناه: أى لم أعلم أن الله يهديهم ويضلهم ويوفقهم ويخذلكم.

﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ إِنَّ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ يَنُوحُ﴾ عما تقول وتدعو إليه. ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ يعنى من المشثومين، عن الضحاك. وقال قتادة: المضروبين بالحجارة. وقال ابن عباس، ومقاتل: من المقتولين.

وقال اليمانى: كل شىء فى القرآن من ذكر المرجومين فإنه يعنى بذلك القتل إلا التى فى سورة مريم: ﴿لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ لِأَرْجُمْنَاكَ﴾ (مريم: ٤٦) فإنه يعنى لأشتمتك.

﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾ فَأَفْتَحُ ﴿فَاحْكُم﴾ ﴿يَبْنِي وَيَنْهَاهُمْ فَتَحَا وَنَجَّيْ وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ. يعنى الموقر المجهم، عن ابن عباس. وقال مجاهد: المملوء المفروغ منه. وقال عطاء: المتقل. وقال قتادة: المحمل.

﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿وَإِنَّ رَبَّنَا لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.



﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةَ تَعْبَثُونَ ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾ وَجَنَّتِ وَعْيُونِ ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَطَّتْ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿إِنْ هٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ وَإِنَّ رَبَّنَا لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿

﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ على الرسالة، وقال الكلبي: أمين فيكم قبل الرسالة، فكيف تتهمونى اليوم؟ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾ من أجر. قال الوابي عن ابن عباس: كل شرف.

وقال قتادة، والضحاك، ومقاتل، والكلبي: طريق. وهى رواية العوفى عن ابن عباس.  
 وقال ابن جريج عن مجاهد: هو الفج بين الجبلين.  
 وقال ابن أبى نجيح عنه: هو الثقبه الصغيرة. وعنه أيضاً: المناظر. وقال عكرمة: واد.  
 وقال مقاتل بن سليمان: كانوا يسافرون ولا يهتدون إلا بالنجوم فبنوا على الطرق أميالاً  
 طوالاً عبثاً ليهدوا بها يدل عليه قوله: ﴿ءَايَةٌ﴾: علامة.  
 وروى عن مجاهد أيضاً قال: الريع بنيان الحمام، دليله قوله: ﴿تَعَبُّونَ﴾ أى تلعبون. وقال  
 أبو عبيدة: هو المكان المرتفع وأنشد لذى الرمة:

طراقُ الحَوَافِي مشرق فوق ربيعة      نَدَى ليله فى ريشه يترقرقُ

وفيه لغتان: ريع وريع، بكسر الراء وفتحها وجمعه أرياع، وريعة.

﴿وَتَخِذُونَ مَصَانِعَ﴾ قال ابن عباس، ومجاهد: قصور مشيدة. وقال معمر عنه: الحصون.  
 وقال ابن أبى نجيح عنه: بروج الحمام. وقال قتادة: مأخذ للماء. وقال الكلبي: منازل. وقال  
 عبد الرزاق: المصانع عندنا بلغة اليمن القصور العادية، واحدها مصنع.  
 ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْذُلُونَ﴾ قال ابن عباس، وقاتادة: كأنكم تبقون فيها خالدين، وقال خالد بن  
 زيد: لعل استفهام، يعنى فهل تخذلون حين تبنون هذه الأشياء؟ وقال الفراء: كيما تخذلون.  
 ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ﴾ أى سطوتم. وأخذتم. ﴿بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ قتالين من غير حق.

قال مجاهد: قتل بالسيف وضرب بالسياط والجبار الذى يقتل ويضرب على الغضب.  
 ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ثم ذكر ما أعطاهم فقال: ﴿أَمَدَّكُمْ  
 بِأَعْيُنِهِمْ وَبَيَّنَّ وَجَنَّتْ وَعْيُونٌ﴾ إني أخاف عليكم عذاب يومٍ عظيمٍ ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ﴾.  
 روى العباس عن ابن عمير، وبشر عن الكسائى بإدغام الظاء فى التاء. وقرأ الباقون  
 بالإظهار وهو الاختيار.

﴿أَمَرَ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿قرأ أبو جعفر، وابن كثير، وأبو عمرو،  
 ويعقوب وأيوب، وأبو عبيد، وأبو عاصم بفتح الخاء لقوله: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ (العنكبوت: ١٧)  
 وقوله: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَخْلَقْتُ﴾ (ص: ٧) ومعناه إن هذا إلا كذب الأولين، وأساطيرهم، وقرأ  
 الباقون بضم الخاء واللام، أى عادة الأولين من قبلنا يعيشون ما عاشوا ثم يموتون ولا بعث ولا  
 حساب، وهذا تأويل قتادة. ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكَ نَبْلَهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ  
 أَكْثَرَهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ صَالِحٌ ﴿٢﴾ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٤﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٥﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ أَتَتْرَكُونَ فِي مَا هَلَهْنَا أَمِينِينَ ﴿٧﴾ فِي جَنَّتٍ وَعَيْونَ ﴿٨﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعُهَا هَضِيمٌ ﴿٩﴾ وَتَنَحُّوتَ مِنَ الْجِبَالِ يَبُوتًا فَرِهِينَ ﴿١٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿١١﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٢﴾ الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٤﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأَلَبَّ بِنَايَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿١٦﴾ وَلَا تَسْوَهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٧﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴿١٨﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٢٠﴾﴾

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ صَالِحٌ ﴿٢﴾ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٤﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٥﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ أَتَتْرَكُونَ فِي مَا هَلَهْنَا أَمِينَ أَمِي فِي الدُّنْيَا. ﴿٧﴾ أَمِينِينَ ﴿٨﴾ فِي جَنَّتٍ وَعَيْونَ ﴿٩﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعُهَا ﴿١٠﴾ ثَمْرَهَا. ﴿١١﴾ هَضِيمٌ﴾.

قال ابن عباس: لطيف ما دام في كُفْرَاه. ومنه قيل: هضيم الكشح: إذا كان لطيفاً وقال الكلبي: إذا كان لطيفاً. وهضم الطعام إذا لطف واستحال إلى شكله. وقال عطية عنه: يانع نضيج. وقال قتادة وعكرمة: الرطب اللين. وقال الحسن: الرخو.

وأخبرني ابن فنجويه قال حدثنا ابن شنبه قال حدثنا ابن ماهان قال حدثنا الطنافسي قال حدثنا وكيع عن عبيدة عن أبي إسحاق عن أبي العلاء: ﴿هَضِيمٌ﴾ قال: مذنب. وقال مجاهد: متهشم متفتت وذلك حين يطلع يفيض عليه فيهضمه، وهو ما دام رطباً فهو هضيم، فإذا يبس فهو هشيم. قال أبو العالية: يتهاشش، وقال الضحاك ومقاتل: متراكم قد ركب بعضه بعضاً، حتى هضم بعضه بعضاً، وأصله من الكسر.

﴿وَتَنَحُّوتَ مِنَ الْجِبَالِ يَبُوتًا فَرِهِينَ﴾ قرأ أهل الشام والكوفة: ﴿فَرِهِينَ﴾ بالألف وهي قراءة أصحاب عبد الله، واختيار أبي عبيد، أي حاذقين بتخييرها.

وقال عطية، وعبد الله بن شداد: متخيرين لمواضع نحتها. وقرأ الباقون: فرهين، بغير ألف، وهو اختيار أبي حاتم. واختلفوا في معناه: فقال ابن عباس: أشرين. وقال الضحاك:

كيسين . وقال قتادة : معجبين بصنعكم . وقال مجاهد : شرهين . وقال عكرمة : ناعمين . وقال السدي : متحرين . وقال ابن زيد : أقوياء . وقال الكسائي : بطرين . وقال أبو عبيد : فرحين . وقال الأخفش : فرحين . والعرب تعاقب بين الحاء والهاء ، قد مدحته ، ومدهته . ويجوز أن يكون فرهين وفارهين بمعنى واحد مثل قوله : ﴿عِظَلَمَا تَحْتَرَةٌ﴾ (النازعات : ١١) وناخرة . ونحوها .

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿المشركين﴾ ﴿الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿أى المسحورين المخدوعين ، عن مجاهد ، وقتادة . وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس : من المعلنين بالطعام والشراب . وأنشد الكلبي قول لبيد :

فإن تسألينا فيم نحن فإننا عسافير من هذا الأنام المسحر  
وقال آخر :

❖ ونسحر بالطعام وبالشراب ❖

أى نعلل ونخدع . وهو على هذين القولين من السحر ، بكسر السين . وقال بعضهم : من السحر بفتح السين أى أصحاب الرؤية . يدل عليه قوله : ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ﴾ على صحة ما تقول . ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ قَالَ هَذَا رَبُّنَا إِنَّهَا شَرِبٌ ﴿حظ ونصيب من الماء . ﴿وَلَكُمْ شَرِبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾ وَلَا تَسْئَلُهَا بِسُوءٍ ﴿بعقر . ﴿فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ﴾ فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَسِيمِينَ ﴿أى على عقرها حين رأوا العذاب ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ .

❖ ❖ ❖

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْهَ يَلُوطُ لَتَكُونَ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴿إِنْ فِي

ذَٰلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١١﴾  
 كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٣﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ  
 وَأَطِيعُوا أَمْرًا وَعَلَمِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَتَأْتُونَ الذَّكَرَانَ مِنْ  
 الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٨﴾ مجاوزون الحلال إلى  
 الحرام .

﴿قَالُوا لَيْنَ لَمَّا تَنبَهُ يَلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ من بلدنا . ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ﴾ يعنى اللواط .  
 ﴿مِنَ الْقَالِينَ﴾ المبعوضين ثم دعا فقال : ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ فَتَجَنَّبَهُ وَأَهْلَهُ رَاجِعِينَ ﴿ .  
 عند نزول العذاب . ﴿وَالأَعْجُوزَاتِ فِي الْعَنَبِينَ﴾ وهى امرأة لوط بقيت فى العذاب والهلاك .  
 ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخِرِينَ﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَنَسَاءَ مَطَرِ الْمُنذَرِينَ ﴿ قال سمعت وهب بن منبه يقول :  
 الكبريت والنار ﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ .



﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٩﴾ إِنِّي لَكُمْ  
 رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٢٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا وَعَلَمِينَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ  
 الْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ \* أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿٢٤﴾  
 وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٢٥﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ  
 الْأُولَىٰ ﴿٢٦﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَطَّلَكَ لِمَنْ  
 الْكَذِبِينَ ﴿٢٨﴾ فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كَيْفًا مِنْ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي  
 تَعْمَلُونَ ﴿٣٠﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً  
 وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٣٣﴾  
 ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ﴾ الغيضة وهم قوم شعيب ، والأيكة والليكة : لغتان قرئتتا جميعاً .  
 ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ .

قال أبو زيد : بعث الله سبحانه شعيباً إلى قومه وأهل مدين وإلى أهل البادية ، وهم أصحاب

﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ ولم يقل أخوهم شعيب لأنه لم يكن من أصحاب الأيكة فى النسب فلما ذكر مدين قال ﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ (الأعراف: ٨٥) لأنه كان منهم.

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وإنما دعوة هؤلاء الأنبياء كلهم فيما حكى الله سبحانه عنهم على صيغة واحدة للإخبار بأن الحق الذى يدعون إليه واحد، وأنهم متفقون على الأمر بالتقوى والطاعة والإخلاص فى العبادة والامتناع من أخذ الأجر على الدعوة وتبليغ الرسالة.

﴿أَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ الناقصين للكيل والوزن. ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبَالَ﴾ الخليفة. ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ والجبل: الخلق، قال الشاعر:

والموت أعظم حادث مما يمر على الجيلة

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَطَّلَكَ لِمِنَ الْكَافِرِينَ﴾ فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كَيْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١) وهو مجازيكم به وما على إلا الدعوة.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ وذلك أن الله سبحانه حبس عنهم الريح سبعة أيام وسلط عليهم الحر حتى أخذ بأنفاسهم ولم ينفعهم ظل ولا ماء وكانوا يدخلون الأسراب ليتبردوا فيها فإذا دخلوها وجدوها أشد حراً من الظلة، فخرجوا وهربوا إلى البرية، فأظلمت سحابة وهى الظلة فوجدوا لها برداً ونسيماً، فنادى بعضهم بعضاً حتى إذا اجتمعوا تحتها أمطرت عليهم ناراً فاحترقوا.

قال قتادة: بعث الله سبحانه شعيباً إلى أمتين أصحاب الأيكة، وأهل مدين. فأما أصحاب الأيكة: فأهلكوا بالظلة. وأما أهل مدين: فأخذتهم الصيحة، صاح بهم جبريل صيحة فأهلكوا جميعاً.

أخبرنى الحسين بن محمد قال حدثنا موسى بن محمد قال حدثنا الحسين بن علوية قال حدثنا المسيب عن برد الجزرى قال: سلط الحر عليهم سبعة أيام ولياليهن ثم رفع لهم جبل من بعيد فأتاه رجل منهم فإذا تحته أنهار وعيون وماء بارد فتمكن تحته وأخذ ما يكفيه ثم جاء إلى أهل بيته فناداهم فأذنهم فجاءوا فأخذوا ما يكفيهم وتمكنوا، ثم أذن بقية الناس فاجتمعوا تحته كلهم، فلم يغادر منهم أحداً، فوقع ذلك الجبل عليهم، فذلك قوله سبحانه: ﴿عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ

(١) سقط قوله: ﴿إِنْ كُنْتَ مِنْ﴾ من بين الآيات فأثبتته.

إِنَّهٗ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهٗوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾



﴿وَإِنَّهٗ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿٣٠﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٣١﴾ بِلسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ وَإِنَّهٗ وَلَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٣﴾ أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَتُؤُنَا مِنِّي إِبْرَآءِيَاكَ ﴿٣٤﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿٣٥﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿٣٦﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرُوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٨﴾ فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٣٩﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ أَفَعَذَابُنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٤١﴾ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٣﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِ إِيَّالَهُمَا مُنذِرُونَ ﴿٤٥﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٤٧﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٨﴾ إِنَّمَا عَنْ السَّمْعِ لَمَعَزُولُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴿٥٠﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٥١﴾ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِئِنْ أَتَبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٢﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرِئَءِ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٥٤﴾ الَّذِي يَرِنُّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٥٥﴾ وَتَقَلُّبِكَ فِي السُّجُودِ ﴿٥٦﴾ إِنَّهٗ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥٧﴾﴾

﴿وَإِنَّهٗ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ . يعنى القرآن . ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ قرأ الحجازيون ، وأبو عمرو بتخفيف الزاى ورفع الحاء ، والنون يعنون جبريل بالقرآن . وقرأ الآخرون : بتشديد الزاى ، وفتح الحاء والنون ، أى نزل الله جبريل . وهو اختيار أبى عبید ، وأبى حاتم لقوله : ﴿وَإِنَّهٗ لَتَنْزِيلُ﴾ وهو مصدر نزل على قلبك يا محمد حتى وعيته .

﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلسَانٍ﴾ يعنى نزل بلسان . ﴿عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ وَإِنَّهٗ﴾ يعنى ذكر القرآن وخبره ، عن أكثر المفسرين . وقال مقاتل : يعنى ذكر محمد عليه الصلاة والسلام ونعته . ﴿لَفِي زُبُرِ﴾ كتب . ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ وقرأ الأعمش : (زبر) بجزم الباء وغيره بالرفع . ﴿أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ﴾ قرأ ابن عامر : تكن ، بالتاء ، ﴿آيَةٌ﴾ بالرفع ، وقرأ غيره : ﴿يَكُنْ﴾ بالياء ، ﴿آيَةٌ﴾ بالنصب . ومعنى الآية : أولم يكن لهؤلاء المنكرين دلالة وعلامة . ﴿أَنْ يَعْلَمَهُ﴾ يعنى محمداً .

﴿عُلَمَتُؤُنَا مِنِّي إِبْرَآءِيَاكَ﴾ عبد الله بن سلام وأصحابه . قال ابن عباس : بعث أهل مكة إلى

اليهود وهم بالمدينة يسألون عن محمد عليه السلام، فقالوا: إن هذا زمانه وإننا نجد في التوراة نعته وصفته، فكان ذلك آية لهم على صدقه.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ﴾ يعنى القرآن. ﴿عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾ هو جمع الأعجم، وهو الذى لا يفصح ولا يحسن العربية وإن كان منسوباً إلى العرب، وتأتيه عجماء، وجمعه عجم. ومنه قيل للبهائم عجم لأنها لا تتكلم.

قال النبي عليه السلام: «العجماء جرحها جبار» فإذا أردت أنه منسوب إلى العجم قلت: عجمى.

وأخبرنا ابن فنجويه قال حدثنا ابن حبش قال حدثنا أبو القاسم بن الفضل قال حدثنا سهل ابن على قال حدثنا أبو عمر قال حدثنا شجاع بن أبى نصر عن عيسى بن عمر عن الحسن أنه قرأ: (ولو نزلناه على بعض الأعجميين) مشددة بياءين جعله نسبة. ومعنى الآية: ولو نزلناه على رجل ليس بعربى اللسان فقرأه عليهم يعنى بغير لغة العرب لما كانوا به مؤمنين، وقالوا: ما نفقه قولك نظيره قوله سبحانه: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ (فصلت: ٤٤) وقيل معناه: ولو نزلناه على رجل ليس من العرب لما آمنوا به أنفة من اتباعه.

﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ﴾ أى أدخلنا القرآن. ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ لتقوم الحجة عليهم، وقيل يعنى: سلكن الكفر فى قلوب المجرمين ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾.

قال الفراء: من شأن العرب إذا وضعت لا موضع كى فى مثل هذا ربما جزمت ما بعدها، وربما رفعت، فتقول: ربطت الفرس لا ينفلت، جزماً ورفعاً. وأوثقت العبد لا يأبى فى الجزم على تأويل إن لم أربطه انفلت، وإن لم أوثقه قر، والرفع على أن الجازم غير ظاهر. أنشد بعض بنى عقيل:

وحتى رأينا أحسن الود بيننا

مُسَاكِنَةً لَا يَقْرِفُ الشَّرَّ قَارِفُ

ينشد رفعاً وجزماً، ومن الجزم قول الراجز:

لطالما حلاً ثماها لا ترد

فخلّيها والسّجال تبترد

﴿حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ يَا أَيُّهَا بَغْتَةُ ﴿قراءة العامة بالياء، يعنون العذاب.

أخبرنى ابن فنجويه قال حدثنا ابن حبش قال أخبرنا أبو العباس عبدالرحمن بن محمد بن حماد الطهرانى قال: أخبرنا أبو زكريا يحيى بن الفضل الجرمى قال حدثنا وهب بن عمرو النمرى قال أخبرنا هارون بن موسى العتكى قال حدثنا الحسام عن الحسن أنه قرأ: فتأتيتهم بغتة، بالتاء، فقال له رجل: يا أبا سعيد إنما يأتيهم العذاب بغتة فانتهره الحسن وقال: إنما هي



الساعة. ﴿وَمَهْمٌ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ﴾.

قال مقاتل: فقال المشركون يا محمد إلى متى توعدنا بالعذاب؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾ في الدنيا ولم نهلكهم. ﴿ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ يعنى العذاب. ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَسْتَعُونُ﴾ ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾ رسل يندرونهم. ﴿ذَكَرْنِي﴾ أى يندرونهم تذكرة، محلها نصب وقيل رفع، أى تلك ذكرى.

﴿وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ فى تعذيبهم حيث قدمنا الحجة عليهم وأعذرنا إليهم.

﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ بل نزل به الروح. وقراءة العامة الشياطين بالياء فى جميع القرآن

لأن نونه سخية وهجاؤه واحد كالدهاقين، والبساتين.

وقرأ الحسن البصرى، ومحمد بن السميع اليماني: الشياطين، بالواو.

وقال الفراء: غلط الشيخ - يعنى الحسن - فقل ذلك للنضر بن شميل، فقال: إن جاز أن

يحتج بقول رؤبة والعجاج، وذويهما فهلاً جاز أن يحتج بقول الحسن وصاحبه مع أننا نعلم أنهما لم يقرأ ذلك إلا وقد سمعا فيه.

وقال المؤرج: إن كان اشتقاق الشياطين من شاط يشيط كان لقراءتهما وجه.

وأخبرنى الحسين بن محمد بن الحسن بن عبد الله قال حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان بن

عبد الله قال حدثنا أحمد بن الفرج المقرئ قال حدثنا عمر بن شنبه قال سمعت أبا عبيدة يقول:

لم يعب على الحسن فى قراءته إلا قوله وما تنزلت به الشياطين.

وياسناده عن عمر بن شنبه قال حدثنا أبو حرب البابى من ولد باب قال: جاء أعرابى إلى

يونس بن حبيب فقال: أتانا شاب من شبابكم هؤلاء، فأتى بنا هذا الغدير، فأجلسنا فى ذات

جناحين من الخشب، فأدخلنا بساتين من ورائهما بساتون.

قال يونس: ما أشبه هذا بقراءة الحسن.

﴿وَمَا يَتَّبِعِي لَهُمْ﴾ أن ينزلوا القرآن. ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ذلك ﴿إِنَّمَا عَنِ السَّمْعِ﴾ أى استراق السمع

من السماء. ﴿لَمَعَزُورُونَ﴾ وبالشهب مرجومون. ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾

وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾.

أخبرنى الحسين بن محمد بن الحسين قال حدثنا موسى بن محمد بن على بن عبد الله قال

حدثنا الحسين بن على بن شبيب العمر قال حدثنا عباد بن يعقوب قال حدثنا على بن هاشم عن

صباح بن يحيى المزنى عن زكريا بن ميسرة عن أبى إسحاق عن البراء قال: لما نزلت: ﴿وَأَنْذِرْ

عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ جمع رسول الله ﷺ بنى عبد المطلب وهم يومئذ أربعون رجلاً الرجل منهم

يأكل المسنة ويشرب العس فأمر علياً برجل شاة فأدمها ثم قال: «ادنوا بسم الله» فدنا القوم عشرة عشرة، فأكلوا حتى صدروا ثم دعا بقعب من لبن فجرع منه جرعة، ثم قال لهم: «اشربوا بسم الله» فشرب القوم حتى رووا، فبدرهم أبو لهب فقال: هذا ما يسحركم به الرجل، فسكت النبي ﷺ يومئذ فلم يتكلم.

ثم دعاهم من الغد على مثل ذلك من الطعام والشراب، ثم أنذرهم رسول الله ﷺ فقال: «يا بني عبد المطلب إنى أنا النذير إليكم من الله سبحانه والبشير لما يجىء به أحد، جئتكم بالدنيا والآخرة، فأسلموا وأطيعوني تهتدوا. من يؤاخيني ويؤازرنى ويكون وليى ووصىى بعدى وخليفتى فى أهلى ويقضى دينى» فسكت القوم، وأعاد ذلك ثلاثاً، كل ذلك يسكت القوم ويقول على: أنا، فقال: «أنت». فقام القوم، وهم يقولون لأبى طالب: أطع ابنك فقد أمر عليك.

وأخبرنى عبد الله بن حامد الأصبهاني، ومحمد بن عبد الله بن حمدون قال أخبرنا أحمد ابن محمد بن الحسن قال حدثنا محمد بن يحيى قال حدثنا أبو اليمان قال أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني سعيد بن المسيب، وأبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال: قام النبي ﷺ حين أنزل الله سبحانه: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ قال: «يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله سبحانه لا أغنى عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد مناف لا أغنى عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنكم من الله شيئاً، يا فاطمة بنت محمد لا أغنى عنك من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله ﷺ لا أغنى عنك من الله شيئاً سلوني من مالي ما شئتم».

وأخبرنى عبد الله بن حامد قال أخبرنا مكى بن عبدان قال حدثنا عبد الله بن هاشم قال حدثنا عبد الله قال حدثنا الأعمش عن عبد الله بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما أنزل الله سبحانه: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ أتى رسول الله ﷺ الصفا فصعد عليه ثم نادى: «يا صباحاه». فاجتمع الناس إليه بين رجل يجىء وبين رجل يبعث رسولاً، فقال رسول الله ﷺ لبني عبد المطلب: «يا بني فهر لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل يريد أن يغير عليكم صدقتموني؟» قالوا: نعم، قال: «فإنى نذير لكم بين يدي عذاب شديد». فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم ما دعوتنا إلا لهذا، فأنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (المسد: ١).

﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ ولين جانبك. ﴿لَمَنْ آتَبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنْ بَرَىءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿من عبادة الأوثان ومعصية الرحمن.

﴿وَتَوَكَّلْ﴾ قرأها بالفاء أهل المدينة، والشام، وكذلك هو فى مصاحفهم. وقرأ غيرهم

بالواو، أى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ ليكيفيك كيد أعدائك.

﴿الَّذِي يَرِنُكَ حِينَ تَقُومُ﴾ إلى صلاتك عن أكثر المفسرين.

وقال مجاهد: ﴿الَّذِي يَرِنُكَ﴾ أيّما كنت.

﴿وَتَقَلِّبُكَ﴾ ويرى تقلبك في صلواتك في حال قيامك، وعودك، وركوعك، وسجودك،

قاله عكرمة، وعطية عن ابن عباس. وقال مجاهد: ويرى تقلبك في المصلين أى إبصارك منهم من هو خلفك كما تبصر من هو أمامك.

قال: وكان يرى من خلفه كما يرى من بين يديه<sup>(١)</sup>.

أخبرنا عبد الله بن حامد قال أخبرنا أحمد بن محمد بن أحمد بن الحسن قال حدثنا السلمي، وأحمد بن حفص، وعبد الله الفراء، وقطن قالوا: حدثنا حفص قال حدثنا إبراهيم ابن طهمان عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «أتموا الركوع والسجود فوالله إنى لأراكم من بعد ظهرى إذا ركعتم وسجدتم».

وقال قتادة وابن زيد ومقاتل، والكلبي: يعنى وتصرفك مع المصلين فى أركان الصلاة فى

الجماعة قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً، وهى رواية عطاء الخراسانى عن ابن عباس.

وقال سعيد بن جبير: وتصرفك فى أحوالك كما كانت الأنبياء من قبلك تفعله.

والساجدون فى هذا القول الأنبياء.

وقال الحسن: يعنى وتصرفك، وذهابك، ومجيئك فى أصحابك المؤمنين.

أخبرنى أبو سهل عبد الملك بن محمد بن أحمد بن حبيب المقرئ قال حدثنى أبو بكر أحمد

ابن موسى قال حدثنا زنجويه بن محمد قال حدثنا على بن سعيد النسوى قال حدثنا أبو عاصم

عن شبيب عن عكرمة عن ابن عباس: ﴿وَتَقَلِّبُكَ فِي السَّجِدِينَ﴾ قال: من نبى إلى نبى حتى

أخرجك فى هذه الأمة.

وحدثنا أبو الحسن محمد بن على بن سهل الماسرخسى الفقيه إملاءً فقال أخبرنا أبو سعيد

أحمد بن محمد بن زياد البصرى بمكة قال حدثنا الحسن بن بشير قال حدثنا سعدان بن الوليد

عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عباس فى قوله سبحانه: ﴿وَتَقَلِّبُكَ فِي السَّجِدِينَ﴾ قال: ما زال

رسول الله ﷺ يتقلب فى أصلاب الأنبياء حتى ولدته أمه.

﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لقراءتك. ﴿الْعَلِيمُ﴾ بعملك.

(١) هذه مبالغة من مجاهد رحمتنا الله وإياه إن كان قالها ولا أحسبها إلا ممدوسة عليه فرسول الله ﷺ بشر ككل البشر خصه الله سبحانه بالرسالة وفضله على جميع خلقه خلقاً وعبادة ثم بعد ذلك فهو مثلهم فى سائر شؤون الحياة.

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَذِبُونَ ﴿٣﴾ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَمِيمُونَ ﴿٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٧﴾﴾

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾ ثم بين فقال: ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ﴾ كذاب. ﴿أَثِيمٍ﴾ فاجر، وهم الكهنة.

وقال مقاتل: مثل مسيلمة<sup>(١)</sup>، وطلحة<sup>(٢)</sup>.

﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ﴾ يعنى يستمعون من الملائكة مستترين فيلقون إلى الكهنة. ﴿وَأَكْثُرُهُمْ كَذِبُونَ﴾ لأنهم يخلطون به كذباً كثيراً وهم الآن محجوبون، والحمد لله رب العالمين.

﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ أخبرنا أبو زكريا يحيى بن إسماعيل الحربى قال أخبرنا أبو حامد أحمد بن حمدون بن عمارة الأعمش قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن قهزاد المروزى قال حدثنا حاتم بن العلاء قال أخبرنا عبد المؤمن عن ابن بريدة عن ابن عباس فى هذه الآية: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ قال: هم الشياطين يدل عليه قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَأَعْوَبْنَاهُ إِنَّا كُنَّا عَاوِينَ﴾ (الصفات: ٣٢).

وقال الضحاك: تهاجى رجلا ن على عهد رسول الله ﷺ أحدهما من الأنصار والآخر من قوم آخرين، ومع كل واحد منهما غواة من قومه وهم السفهاء، فنزلت هذه الآية، وهى رواية عطية عن ابن عباس.

وروى عكرمة عنه: الرواة. وقال على بن أبى طلحة عنه: كفار الجن والإنس.

وأخبرنى ابن فنجويه قال حدثنا طلحة بن محمد، وعبد الله بن أحمد قالا حدثنا أبو بكر بن مجاهد قال أخبرنى جعفر بن محمد قال حدثنا حسين بن محمد بن على قال حدثنا أبى عن عبد الله بن سعيد بن الحر عن أبى عبد الله: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ قال: هم الذين يشعرون قلوب الناس بالباطل. وأراد بهؤلاء شعراء الكفار عبد الله بن الزبيرى المخزومى، وهبيرة بن

(١) الكذاب.

(٢) العنسى. وكلاهما ادعى النبوة.

أبى وهب ، ومسافع بن عبد مناف ، وعمرو بن عبد الله أبا عزة الجمحى ، وأمىة بن أبى الصلت ، كانوا يهجون رسول الله ﷺ فيتبعهم الناس .

أخبرنا الحسن بن محمد بن الحسين قال حدثنا عبد الله بن محمد بن شنبه قال حدثنا محمد ابن عمران بن هارون قال حدثنا على بن سعيد النسوى قال حدثنا عبد السلام عن إسحاق بن عبد الله بن أبى فروة عن مكحول عن أبى إدريس عن غضيقة - أو أبى غضيف - من أصحاب رسول الله ﷺ قال : قال النبى ﷺ : « من أحدث هجاءً فى الإسلام فاقطعوا لسانه » .

وأخبرنى الحسين بن محمد قال حدثنا أحمد بن محمد بن إسحاق السنى قال أخبرنا أبو يعلى قال حدثنا إبراهيم بن عرعة قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدى قال حدثنا يعقوب القمى عن جعفر عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس قال : لما فتح النبى ﷺ - يعنى مكة - رنّ إبليس رنةً ، فاجتمعت إليه ذريته ، فقال : آيسوا أن تترد أمة محمد على الشرك بعد يومكم هذا ، ولكن أفسوا فيها - يعنى مكة - الشعر ، والنوح .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ ﴾ من أودية الكلام . ﴿ يَهيمُونَ ﴾ حائرين ، وعن طريق الحق والجد جائرين .

قال الكسائى : الهائم الذهاب على وجهه . وقال أبو عبيدة : المخالف للقصده .

قال ابن عباس فى هذه الآية : فى كل لغو يخوضون وقال مجاهد : فى كل فن يفتنون . وقال قتادة : يمدحون قومًا بباطل ، ويشتمون قومًا بباطل .

﴿ وَأَنْتُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ ثم استثنى شعراء المؤمنين : حسان بن ثابت ، وعبد الله بن رواحة ، وكعب بن زهير ، وكعب بن مالك ، فقال عز من قائل : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ﴾ يعنى ردوا على المشركين الذين هجوا رسول الله ﷺ والمؤمنين .

أخبرنى ابن فنجويه قال حدثنا ابن شنبه قال حدثنا عبد الله بن أحمد الكسائى قال حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة قال حدثنا يحيى بن واضح عن محمد بن إسحاق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبى الحسن البراد قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾ جاء عبد الله بن رواحة ، وكعب بن مالك ، وحسان بن ثابت إلى رسول الله ﷺ وهم يبكون فقالوا : يا رسول الله ، أنزل الله سبحانه هذه الآية ، وهو يعلم أنا شعراء ، فقال : « اقرءوا ما بعدها : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ أنتم ، ﴿ وَانْتَصَرُوا ﴾ أنتم » .

وأخبرنى ابن فنجويه قال حدثنا القطيعى قال حدثنا ابن حنبل قال حدثنى أبى قال حدثنا أبو

اليمان قال أخبرنا شعيب عن الزهري .

(ح)<sup>(١)</sup> وأخبرنا ابن حمدون قال أخبرنا ابن الشرقى قال حدثنا محمد بن يحيى قال حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري قال حدثني عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه أنه قال للنبي ﷺ حين أنزل الله سبحانه في الشعراء ما أنزل : يا رسول الله ، إن الله سبحانه وتعالى قد أنزل في الشعراء ما قد علمت ، فكيف ترى فيه ؟ فقال النبي ﷺ : « إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه ، والذي نفسى بيده لكأنما ترمونهم به نضح النبل » .

وأخبرني ابن فنجويه قال حدثنا عمر بن الخطاب قال حدثنا عبد الله بن الفضل قال حدثنا عمرو بن محمد الناقد قال حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن سعيد بن أبي هريرة . أن عمر مرَّ بحسان وهو ينشد الشعر في المسجد ، فلحظ إليه . فقال : قد كنت أنشد فيه ، وفيه من هو خير منك ، ثم التفت إلى أبي هريرة وقال : أنشدك بالله أسمعت رسول الله ﷺ يقول : « أجب عنى اللهم أيده بروح القدس » ؟ قال : اللهم نعم .

وأخبرني ابن فنجويه قال حدثنا ابن شنبه قال حدثنا محمد بن على بن سالم الهمداني قال حدثنا أحمد بن منيع قال حدثنا أبو معاوية قال حدثنا الشيباني عن عدى بن ثابت عن البراء بن عازب قال : قال رسول الله ﷺ لحسان : « اهج المشركين فإن جبريل معك » .

﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَشْرَكُوا . ﴾ (أى منقلب يتقلبون) أى مرجع يرجعون إليه بعد مماتهم .

وروى نوفل بن أبي عقرب عن ابن عباس رضى الله عنه : (أى منقلب ينفلتون) بالفاء ، والتاء ، ومعناها واحد .

وأخبرني ابن فنجويه قال حدثنا ابن شنبه قال حدثنا الفريابي قال حدثنا عبيد الله بن معاذ قال حدثنا أبي قال حدثنا ابن عون عن إبراهيم قال : كان شريح يقول : سيعلم الظالمون حظ من نقصوا إن الظالم ينتظر العقاب ، وإن المظلوم ينتظر النصر .



## سُورَةُ النَّامِلِ

مَكِّيَّةٌ، وَهِيَ أَرْبَعَةٌ أَلْفٌ وَسَبْعُمِائَةٌ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ حَرْفًا  
وَأَلْفٌ وَتِسْعٌ وَأَرْبَعُونَ كَلِمَةً، وَثَلَاثٌ وَتِسْعُونَ آيَةً

أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ الْفَقِيهَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْمَدَلِّيَّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو يَحْيَى الْبَزَّازُ: قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَنْصُورٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ مَجَاهِدِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ، عَنْ الْحِجَّاجِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِي الْخَلِيلِ وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ وَعَطَاءِ بْنِ أَبِي مَيْمُونَةَ، عَنْ زُرَّابِ بْنِ حَبِيشٍ، عَنْ أَبِي ابْنِ كَعْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ طَسَّ سَلِيمَانَ كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ عَشْرُ حَسَنَاتٍ بَعْدَ مَنْ صَدَّقَ بِسَلِيمَانَ وَكَذَّبَ بِهِ، وَهُودٌ وَشَعِيبٌ وَصَالِحٌ وَإِبْرَاهِيمُ، وَيُخْرَجُ مِنْ قَبْرِهِ وَهُوَ يَنَادِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طَسَّ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ  
الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيْنًا لَهُمْ  
أَعْمَاهُمْ فَهُمْ يَصْمُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْآخَسُونَ ﴿٥﴾  
وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾﴾

﴿طَسَّ﴾: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَقْسَمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِهِ أَنَّ هَذِهِ  
السُّورَةَ ﴿تِلْكَ﴾ <sup>(١)</sup> آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ: يَعْنِي وَآيَاتِ كِتَابٍ مُبِينٍ، وَقِيلَ: الطَّاءُ مِنَ  
اللطيف، والسين من السميع، وقال أهل الإشارة: هي إشارة إلى طهارة سرِّ حبيبه <sup>(٢)</sup>.

(١) سقطت تلك الكلمة سهواً من الناسخ.

(٢) سبق أن ذكرت مراراً وتكراراً أن تلك الحروف من معجزات القرآن والتي لا يعلم حقيقة تأويلها إلا الله سبحانه  
وتعالى وأى محاولة لفهمها ضرب من العبث لأنه سرُّ أَرَادَ اللهُ لَهُ الْحِفْظَ وَتَعْبُدُ تَعْبُدُ اللهُ بِهِ الْعِبَادَ لِإِسْلَامِ الْقِيَادِ إِلَيْهِ  
سُبْحَانَهُ طَائِعِينَ.

﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ : فيهما وجهان من العربية، الرفع على خبر الابتداء أى هى هدى، وإن شئت على حرف جزاء الصفة فى قوله ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ والنصب على القطع والحال.

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ : إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زيننا لهم أعمالهم : القبيحة حتى رأوها حسنة، وتزيينه خذلانه إياهم.

﴿فَهُمْ يَكْفُرُونَ﴾ : أولئك الذين لهم سوءة : ﴿الْعَذَابِ﴾ فى الدنيا القتل والأسر بيده.

﴿وَهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمْ الْآخِسُونَ﴾ : بحرمان النجاة والمنع من دخول الجنات.

﴿وَإِنَّكَ لَلتَّقَى﴾ : لتلقن وتعطى ﴿الْقُرْآنَ﴾ نظيره قوله سبحانه تعالى : ﴿وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ (القصص: ٨٠) ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ .



﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنستُ نَارًا سَاءَتِ كُفْرًا مِنهَا بَخْرٌ أَوْ أَيْتِكُمْ شِهَابٌ قَبَسٌ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ فلما جاءها نودى أن بورك من فى النار ومن حولها وسبحن الله رب العالمين ﴿يَلْمُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ وألقى عصاك فلما رآها شتهزت كأنها جانٌ ولئى مدبراً ولم يعقب يلموسى لا تخف إني لا يخاف لدى المرسلون ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء فى تسع آيات إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قوماً فاسقين ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ وجحدوا وبها وأسئقتنهن أنفسهن ظلماتاً وعلواً فانظر كيف كان عقبة المفسدين ﴿﴾

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ﴾ : فى مسيره من مدين إلى مصر وقد أصلد زنده<sup>(١)</sup> ﴿إِنِّي آنستُ نَارًا﴾ : فامكثوا مكانكم ﴿سَاءَتِ كُفْرًا مِنهَا بَخْرٌ أَوْ أَيْتِكُمْ شِهَابٌ قَبَسٌ﴾ : قرأ أهل الكوفة ويعقوب : شهاب منون على البدل، غيرهم بالإضافة، وهو اختيار أبى عبيد وأبى حاتم، ومعناه : سآتكم بشعلة

(١) أى قلع زنده فلم يرو أى لم يوقد ناراً، والزند: زلطان تطرق إحداهما بالآخرى فيخرج من بينهما شرر يشعل ما يريد الإنسان إشعاله من النار.

وقد كان هذا الزند أو الزناد موجود إلى فترة الخمسينيات وأوائل الستينيات فى مصر، وقد رأيت من كان يستخدمه ببلدى العاقولة تبع كفر المداور مركز مغاغة محافظة المنيا بمصر، وأنا صغير، وكنت أحاول استخدامه ولكن لم أفلح فى ذلك.



نار أقتبسها منها.

﴿أَلَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ : تستدفئون ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَن فِي النَّارِ﴾ .

قال ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن : يعنى قُدَّس مَن فى النار وهو الله سبحانه عنى به نفسه عزَّ وجل ، وتأويل هذا القول أنه كان فيها لا على معنى تمكُّن الأجسام لكن على معنى أنه نادى موسى منها ، وأسمعه كلامه من جهتها وأظهر له ربوبيته من ناحيتها ، وهو كما روى أنه مكتوب فى التوراة : جاء الله عزَّ وجلَّ من سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران ، فمجيئه عزَّ وجلَّ من سيناء بعثته موسى منها ، ومن ساعير بعثته المسيح بها ، واستعلانه من جبال فاران بعثه المصطفى ﷺ ، وفاران مكة ، وقالوا : كانت النار نوره عزَّ وجلَّ ، وإنما ذكره بلفظ النار لأن موسى حسبه ناراً ، والعرب تضع أحدهما موضع الآخر .

وقال سعيد بن جبير : كانت النار بعينها وهى إحدى حجب الله سبحانه وتعالى ، يدلَّ عليه ما أخبرنا عبد الله بن حامد قال : أخبرنا محمد بن يعقوب قال : حدثنا محمد بن إسحاق قال : حدثنا هاشم القاسم بن القاسم قال : حدثنا المسعودى عن عمرو بن مرة عن أبى عبيدة ، موسى الأشعرى قال : قام بيننا رسول الله ﷺ بأربع فقال : «إنَّ الله عزَّ وجلَّ لا ينام ، ولا ينبغى له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل ، حجابهُ النور ، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه كلِّ شىء أدركه بصره» ، ثم قرأ أبو عبيدة ﴿أَنْ بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

وقيل معناه : بورك مَن فى النار سلطانه وقدرته وفيمن حولها .

وقال آخرون : هذا التبرك عائد إلى موسى والملائكة ، ومجاز الآية : بورك من فى طلب النار وقصدها بالقرب منها ، وهذا كما يقال : بلغ فلان البلد إذا قرب منه ، وورد فلان الماء لا يريدون أنه فى وسطه ، ويقال : أعط مَن فى الدار ، يريدون من هو فيها مقيم أو شريك وإن لم يكن فى الوقت فى الدار ، ونحوها كثير .

ومعنى الآية : بورك فيك يا موسى وفى الملائكة الذين حول النار ، وهذا تحية من الله سبحانه لموسى وتكرمه له كما حيا إبراهيم على السنة الملائكة حين دخلوا عليه فقالوا : ﴿رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ (هود : ٧٣) .

وقال بعضهم : هذه البركة راجعة إلى النار نفسها .

روى ابن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس أنه قال : معناه بوركت النار ، ودليل هذا التأويل ما أخبرنا عبد الله بن حامد قال : أخبرنا أحمد بن محمد بن يحيى قال : حدثنا أحمد بن

نجدة قال: حدثنا الحماني قال: حدثنا هشيم قال: أخبرنا سفيان بن حسين عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: سمعت أبياً يقرأها: أن بوركت النار ومن حولها، وتقديم هذا التفسير أن (من) تأتي في الكلام بمعنى (ما)، كقوله سبحانه: ﴿وَمَنْ أَسْتَعْلَهُرْ بِرَزَقَيْنِ﴾ (الحجر: ٢٠) وقوله: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْتَشِي عَلَى بَطْنَيْهِ﴾ (النور: ٤٥) الآية و(ما) قد تكون صلة في كثير من المواضع كقوله: ﴿جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ﴾ (ص: ١١) و﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾ (المؤمنون: ٤٠) فمعنى الآية بورك في النار وفيمن حولها وهم الملائكة وموسى (عليه السلام)، فسمى النار مباركة كما سمي البقعة مباركة فقال في ﴿الْبُقْعَةُ الْمُبْرَكَةُ﴾ (القصص: ٣٠).

وأما وجه قوله: ﴿بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ﴾ فإن العرب تقول: باركك الله، وبارك فيك، وبارك عليك وبارك لك، أربع لغات، قال الشاعر:

فبوركت مولوداً وبوركت ناشياً  
وبوركت عند الشيب إذ أنت أشيب

فأما الكلام المسموع من الشجرة فاعلم أن مذهب أهل الحق أن الله سبحانه وتعالى مستغن عن الحد والمكان والجهة والزمان لأن ذلك كله من أمارات الحدث، وهي خلقه وملكه وهو سبحانه أجل وأعظم من أن يوصف بالجهات، أو تحده الصفات، أو تصحبه الأوقات، أو تحويه الأماكن والأقطار.

ولما كانت كذلك استحال أن توصف صفات ذاته بأنها متقلبة من مكان أو حالة في مكان، وإذا ثبت هذا لم يجوز أن يوصف كلامه بأنه يحلّ موضعاً أو ينزل مكاناً، كما لا يوصف بأنه جوهر ولا عرض ولا حروف ولا صوت، بل هو صفة يوصف بها البارى عز وجل فينتفى عنه بها آفات الخرس والبكم وما لا يليق به.

فأما الأفهام والأسماع فيجوز أن يكون في موضع دون موضع ومن مكان دون مكان ومن حيث لم تقع إحاطة واستغراق بالوقت على كنه صفاته، قال الله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١).

﴿يَسْمُوسِي إِنَّهُ﴾: الهاء عماد وليست بكناية ﴿أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَتَّى: تتحرك ﴿كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾: وهى الحيّة الخفيفة الصغيرة الجسم، وقال الكلبي: لا صغيرة ولا كبيرة.

فإن قيل: كيف قال فى موضع ﴿كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾: وفى موضع آخر ﴿فَإِذَا هِيَ تُعْبَانُ﴾

(الأعراف: ١٠٧) والموصوف واحد؟

قلنا: فيه وجهان:

أحدهما: أنها في أوّل أمرها جانّ وفي آخر الأمر ثعبان، وذلك أنّها كانت تصير حية على قدر العصا ثم لا تزال تنتفخ وتربو حتى تصير كالثعبان العظيم.  
والآخر: أنّها في سرعة الجانّ وخفّته وفي صورة الثعبان وقوّته.  
فلما رآها موسى (عليه السلام) ﴿وَلَّى مُدْبِرًا وَوَرَيْعَبًا﴾: ولم يرجع، قال قتادة: ولم يلتفت.

فقال الله سبحانه: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَفُونَ فِي الْأَمَا مِنْ ظُلْمٍ﴾ فعمل بغير ما أمر ﴿تُرِيدُ حَسَنًا﴾: قراءة العامة بضم الحاء وجزم السين، وقرأ الأعمش بفتح الحاء والسين ﴿بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

واختلف العلماء في حكم هذا الاستثناء ومعنى الآية، فقال الحسن وابن جريج: قال الله سبحانه (يا موسى إنّما أخفّتك لقتلك).

قال الحسن: وكانت الأنبياء تذنّب فتعاقب، ثم تذنّب والله فتعاقب.

قال ابن جريج: فمعنى الآية: لا يخيف الله سبحانه الأنبياء بذنّب يصيبه أحدهم، فإن أصابه أخافه حتى يتوب، فقوله: ﴿إِلَّا﴾ على هذا التأويل استثناء صحيح، وتناهى الخبر عن الرسل عند قوله: ﴿إِلَّا مِنْ ظُلْمٍ﴾ ثم ابتدأ الخبر عن حال من ظلم من الرسل وغيرهم من الناس، وفي الآية استغنى عنه بدلالة الكلام عليه تقديرها (فمن ظلم ثمّ بدلّ حسناً بعد سوء فإنّي غفور رحيم).

وقال الفراء: يقول القائل: كيف صيرّ خائفًا من ظلم ثمّ بدلّ حسناً بعد سوء وهو مغفور

له؟

فأقول له: في الآية وجهان:

أحدهما: أن تقول أن الرسل معصومة، مغفور لها، آمنة يوم القيامة، ومن خلط عملاً صالحًا وآخر سيئًا من سائر الناس فهو يخاف ويرجو، فهذا وجه.

والآخر: أن يجعل الاستثناء من الذين تركوا في الكلمة لأنّ المعنى ﴿لَا يَخَافُ الَّذِينَ الْمُرْسَلُونَ﴾ إنّما الخوف على غيرهم.

ثمّ استثنى فقال عزّ من قائل: ﴿إِلَّا مِنْ ظُلْمٍ﴾ يقول: كان مشرّكًا فتاب من الشرك وعمل حسنةً مغفور له وليس بخائف.

قال: وقد قال بعض النحويين: ﴿إِلَّا﴾ ههنا بمعنى الواو يعني: ولا من ظلم منهم كقوله سبحانه: (لئلا يكون للناس عليهم حجة إلاّ الذين ظلموا منهم).

وقال بعضهم: قوله: ﴿إِلَّا﴾ ليس باستثناء من المرسلين لأنه لا يجوز عليهم الظلم وإنما معنى الآية: لكن من ظلم فعليه الخوف فإذا تاب أزال الله سبحانه وتعالى عنه الخوف.

﴿وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾: وإنما أمره بإدخال يده فى جيبه لأنه كان عليه فى ذلك الوقت مدرعة من صوف، ولم يكن لها كمٌّ، قال المفسرون.

﴿تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوَاءٍ﴾: برص وافق ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾: يقول هذه آية مع تسع آيات أنت مرسل بهن.

﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾: فترك ذكر مرسل لدلالة الكلام عليه، كقول الشاعر:

رأتني بحلبها فصددت مخافةً  
وفى الحبل روعاء الفؤاد فروق

أراد: رأتني مقبلاً بحلبها، فترك ذكره لدلالة الكلام عليه.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً﴾: مضيئة بيضاء يُبصر بها ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾.



﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ ﴿حَتَّى إِذَا تَوَّأَ عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَفْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿فَتَبَسَّ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿وَنَفَقَدَ الطَّيْرُ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْيَ أَمْ كَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿لَأَعَذِّبَنَّهٗ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَنٍ مُبِينٍ﴾ ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ، وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ﴾ ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ ﴿إِلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ

الْخَبَاءِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٠﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ  
الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١١﴾

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢﴾ وَوَرِثَ  
سُلَيْمَانُ دَاوُدَ ﴿١٣﴾ : نبوته وعلمه وملكه دون سائر أولاده، وكان لداود (عليه السلام) تسعة عشر  
ابنًا.

قال مقاتل: كان سليمان أعظم ملكًا من داود وأقضى منه، وكان داود أشدّ تعبدًا من  
سليمان (عليهما السلام).

﴿وَقَالَ﴾ سليمان شاكراً لنعم الله سبحانه وتعالى عليه ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ عُلْمًا مِّنطِقَ الطَّيْرِ﴾ جعل  
ذلك من الطير كمنطق بنى آدم إذ فهمه عنها ﴿وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ .  
قال مقاتل في هذه الآية: كان سليمان (عليه السلام) جالساً إذ مرَّ به طائر يطوف فقال  
لجلسائه: هل تدرون ما يقول الطائر الذي مرَّ بنا؟ قالوا: أنت أعلم، فقال سليمان: إنَّه قال  
لى: السلام عليكم أيها الملك المسلط على بنى إسرائيل، أعطاك الله سبحانه وتعالى الكرامة  
وأظهرك على عدوك، إنى منطلق إلى فروخى ثم أمر بك الثانية، وإنَّه سيرجع إلينا الثانية  
فانظروا إلى رجوعه.

قال: فنظر القوم طويلاً إذ مرَّ بهم فقال: السلام عليك أيها الملك إن شئت أن تأذن لى كيما  
أكسب على فروخى حتى يشبوا ثم آتيتك فافعل بى ما شئت، فأخبرهم سليمان بما قال وأذن  
له.

وقال فرقد السخى: مرَّ سليمان على بلبل فوق شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال  
لأصحابه: أتدرون ما يقول هذا البلبل؟ قالوا: الله ونبيه أعلم، قال: يقول: أكلت نصف تمرة  
فعلى الدنيا العفا.

وأخبرنى الحسين بن محمد بن الحسن العَدَل قال: حدَّثنا عبيد الله بن محمد بن شنبه  
وأحمد بن جعفر بن حمدان قالا: حدَّثنا الفضل بن العباس الرازى قال: حدَّثنا أبو عبيد قال:  
حدَّثنا موسى بن إبراهيم قال: حدَّثنا عباد بن إبراهيم عن الكلبي عن رجل عن كعب قال:  
صاحت ورشان عند سليمان بن داود (عليه السلام) فقال: أتدرون ما تقول؟

قالوا: لا.

قال: فإنها تقول: ليت ذا الخلق لم يخلقوا.

وصاح طاوُس عند سليمان (عليه السلام) فقال: أتدرون ما يقول؟  
قالوا: لا.

قال: فإنه يقول: مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يَرْحَمُ.

وصاح صرد عند سليمان فقال: أتدرون ما يقول؟  
قالوا: لا.

قال: فإنه يقول: استغفروا الله يا مذنبين، فمن نَمَّ نَهَى رسول الله ﷺ عن قتله.  
قال: فصاحت طيطوى عند سليمان (عليه السلام) فقال: أتدرون ما تقول؟  
قالوا: لا.

قال: فإنها تقول: كلَّ حَىِّ مَيِّتٍ، وكلَّ جَدِيدٍ بَالٍ.

وصاح خطَّاف عند سليمان (عليه السلام) فقال: أتدرون ما يقول؟  
قالوا: لا.

قال: فإنها تقول: قدّموا خيراً تجدوه، فمن نَمَّ نَهَى رسول الله ﷺ عن قتله.  
وهدرت حمامة عند سليمان (عليه السلام) فقال: أتدرون ما تقول هذه الحمامة؟  
قالوا: لا.

قال: فإنها تقول: سبحان ربى الأعلى ملء سمائه وأرضه.

وصاح قُمرى عند سليمان (عليه السلام) فقال: أتدرون ما يقول؟  
قالوا: لا.

قال: فإنه يقول: سبحان ربى الأعلى<sup>(١)</sup>، والغراب يدعو على العشار، والحدأة تقول: كلَّ شىء هالك إلا الله. والقطة تقول: من سكت سلم، والببغاء تقول: ويل لمن الدنيا همّه، والصفدع يقول: سبحان ربى القدوس، والبازى يقول: سبحان ربى وبحمده، والصفدعة<sup>(٢)</sup> تقول: سبحان المذكور بكل مكان.

وأخبرنا الحسين بن محمد قال: حدّثنا أحمد بن جعفر بن حمدان قال: حدّثنا الفضل بن العباس بن مهران قال: حدّثنا أبو عبيد قال: حدّثنا موسى بن إبراهيم قال: أخبرنا إسماعيل عن عياش عن زرّ عن مكحول قال: صاح درّاج عند سليمان بن داود (عليه السلام) فقال: أتدرون ما يقول؟

(١) فى القرطبي: سبحان ربى العظيم المهيمن.

(٢) فى القرطبي: والسرطان يقول: سبحان المذكور بكل لسان فى كل مكان.

قالوا: لا .

قال فإنه يقول: الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى .

وبإسناده عن موسى بن إبراهيم قال: أخبرنا صالح الهروى عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «الديك إذا صاح يقول: اذكروا الله يا غافلين» .

وروى جعفر بن محمد الصادق، عن أبيه، عن جدّه عن الحسن بن علي قال: إذا صاح النسر قال: يا ابن آدم عش ما شئت آخره الموت، وإذا صاح العقاب قال: فى البعد من الناس أنس<sup>(١)</sup>، وإذا صاح القبر قال: إلهى العن مبغضى آل محمد، وإذا صاح الخطّاف قرأ: الحمد لله رب العالمين (إلى آخرها)<sup>(٢)</sup>، يمدّ الضالين كما يمد القارئ .

«وَحْشِرٌ»: وَجُمِعَ «لِسَلِيمَتِنِ جُنُودُهُ، مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ»: فى مسير لهم «فَهَمَّ يُوزَعُونَ»: أى يُحْبَسَ أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا<sup>(٣)</sup>، وذلك أنه جعل على كل صنف منهم وَزَعَةً ترد أولها على آخرها لثلاثاً يتقدموا فى المسير كما يصنع الملوك .

وروى على بن أبى طلحة عن ابن عباس قال: يُوزعون: يدفعون . ابن زيد ومقاتل: يُساقون، السدى: يوقفون، وأصل الوزع فى كلام العرب الكفّ والمنع، ومنه الحديث: ما يزع السلطان أكثر مما يزع القرآن ويُقال للأمر أوزعه . وفى الخبر: لا بد للناس من وزعة . وقال الشاعر:

على حين عاتبت المشيب على الصبا      وقلت ألمّا أصحّ والشيب وازع

أخبرنى ابن فنجويه قال: حدّثنا طلحة بن محمد وعبيد الله بن أحمد قالوا: حدّثنا أبو بكر ابن مجاهد قال: حدّثنا أحمد قال: حدّثنا سنيد قال: حدّثنا حجاج عن أبى معشر عن محمد بن كعب فى هذه الآية قال: بلّغنا أنّ سليمان (عليه السلام) كان عسكره مائة فرسخ، خمسة وعشرون منها للإنس، وخمسة وعشرون للجن، وخمسة وعشرون للوحش، وخمسة وعشرون للطير، وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاثمائة صريحة وسبعمائة

(١) فى القرطبي: الراحة .

(٢) زيادة من القرطبي، وكل ما ورد فى منطق الطير هو من الحكم المأثورة أو بعضه، ولكن لا يصح فى ذلك شىء عن سليمان عليه السلام ولا عن نبينا محمد ﷺ وكفى وضوحاً فى عدم صحة ما ينسب إلى الطير من أقوال ما جاء منسوباً إلى القنبر، إذ يدل هذا على مدى التعصب للفرق والشيع والأحزاب التى يمقتها الإسلام مقتناً شديداً أما الحكم فهى كثيرة تنسب إلى الطير أحياناً وإلى الحيوان أحياناً، وإلى الجمادات أخرى .

(٣) جاء بعد هذه العبارة فى المخطوط تآكل فى حروف المخطوط فى تفسير هذا الجزء من هذه الآية، فنقلت تفسيره عن القرطبي وجعلته بين معقوفين وإن شاء الله سأذكر ذلك عند نهاية الفقرة .

سرية ، فأمر الريح العاصفة فحملته وأمر الرخاء فسرت به ، فأوحى إليه - وهو يسير بين السماء والأرض - إنى قد زدت فى ملكك أنه لا يتكلم أحد من الخلائق بشيء إلا جاءت الريح فأخبرتكم به .

وقال مقاتل : نسجت الشياطين لسليمان (عليه السلام) بساطاً فرسخاً فى فرسخ ذهباً فى إيريسم ، وكان يوضع له منبر من الذهب فى وسط البساط فيقعد عليه ، وحوله ثلاثة آلاف كرسي من ذهب وفضة ، يقعد الأنبياء على كرسي الذهب ، والعلماء على كرسي الفضة ، وحولهم الناس ، وحول الناس الجن والشياطين ، وتظله الطير بأجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس ، وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح إلى الرواح ومن الرواح إلى الصباح .

أخبرنى ابن فنجويه قال : حدثنا أبو بكر بن مالك القطيعى قال : حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : حدثنا أحمد بن محمد بن أيوب قال : حدثنا أبو بكر يعنى ابن عياش عن إدريس ابن وهب بن منبه قال : حدثنى أبى قال إن سليمان (عليه السلام) ركب البحر يوماً فمر بحراث فنظر إليه الحراث فقال : لقد أوتى آل داود ملكاً عظيماً ، فحملت الريح كلامه فى أذن سليمان فنزل حتى أتى الحراث فقال : إنى سمعت قولك وإنما مشيت إليك لأن لا تتمنى ما لا تقدر عليه ، كتسيحة واحدة يقبلها الله تعالى خير مما أوتى آل داود ، فقال الحراث : أذهب الله همك كما أذهبت همى .

﴿حَتَّى إِذَا تَوَّأَ عَلَىٰ وَادٍ الثَّمَلِ﴾ .

أخبرنى ابن فنجويه قال : حدثنا مخلد بن جعفر قال : حدثنا الحسن بن علويه قال : حدثنا إسماعيل بن عيسى قال : حدثنا إسحاق بن بشر قال : أخبرنا أبو إلياس عن وهب بن منبه عن كعب قال : إن سليمان (عليه السلام) كان إذا ركب حمل أهله وسائر حشمه وخدمه وكتابه تلك السقوف بعضها فوق بعض على قدر درجاتهم ، وقد اتخذ مطابخ ومخابر تحمل فيها تنانير الحديد وقدوراً عظماً تسع على قدر عشرة جزائر ، وقد اتخذ ميادين للدواب أمامه ، فيطبخ الطبّاخون ويخبز الخبازون وتجرى الدواب بين يديه وبين السماء والأرض والريح تهوى بهم .

فسار بمن اصطحبه إلى اليمن ، فسلك المدينة مدينة الرسول ﷺ فقال سليمان : هذه دار هجرة نبيّ فى آخر الزمان ، طوبى لمن آمن به ، وطوبى لمن أتبعه ، وطوبى لمن اقتدى به ، ورأى حول البيت أصناماً تُعبد من دون الله سبحانه ، فلما جاوز سليمان البيت بكى البيت فأوحى الله



سبحانه إلى البيت: ما يبكيك؟ فقال: يا رب أبكاني هذ نبي من أنبيائك وقوم من أوليائك مروا عليّ، فلم يهبطوا فيّ ولم يصلّوا عندي ولم يذكروك بحضرتي، والأصنام تعبد حولي من دونك، فأوحى الله سبحانه إليه أن لا تبكى وإنى سوف أملاك وجوهاً سجّداً، وأنزل فيك قرآناً جديداً، وأبعث منك نبياً في آخر الزمان أحب أنبيائي إليّ، وأجعل فيه عمّاراً من خلقتي يعبدوننى وأفرض على عبادى فريضة يرفّون إليك رقة النّسور إلى وكرها ويحنّون إليك حنين الناقاة إلى ولدها والحمامة إلى بيضتها، وأطهرك من الأوثان وعبدة الشيطان.

قال: ثم مضى سليمان حتى مرّ بوادى السدير، واد من الطائف فأتى على وادى النمل فقالت غملة تمشى، وكانت عرجاء تتكاوس، وكانت مثل المذنب فى العظم، فنادت النملة ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: يعنى أن سليمان يفهم مقاتلتها وكان لا يتكلّم خلق إلاّ حملت الريح ذلك فألقته فى مسامع سليمان (عليه السلام).

قال: ﴿قَتَبَسَمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْرِعْنِي﴾ إلى قوله: ﴿فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ يعنى مع عبادك الموحّدين.

وقال قتادة ومقاتل: وادى النمل بأرض الشام.

قال نوف الحميرى: كان نمل وادى سليمان مثل الذباب<sup>(١)</sup>.

وقال الشعبى: النملة التى فقه سليمان كلامها كانت ذات جناحين.

قال مقاتل: سمع سليمان كلامها من ثلاثة أميال. واختلفوا فى اسم تلك النملة.

فأخبرنى أبو عبد الله الحسين بن محمد الحسنى الدينورى قال: حدّثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن يوسف الصرصرى قال: حدّثنا الهيثم بن خلف الدورى قال: حدّثنا هارون بن حاتم البزاز قال: حدّثنا إبراهيم بن الزبيرقان التيمى عن أبى روق عن الضحاك قال: كان اسم النملة التى كلّمت سليمان بن داود (عليه السلام) طاحية.

وأخبرنى ابن فنجويه قال: حدّثنا طلحة وعبيد الله قالوا: حدّثنا ابن مجاهد قال: حدّثنى الفضل بن الحسن قال: حدّثنا أبو محمد النعمان بن شبل الباهلى قال: حدّثنا ابن أبى روق عن أبيه قال: كان اسم غملة سليمان حرمى، وهو قول مقاتل.

ورأيت فى بعض الكتب أنّ سليمان لما سمع قول النملة قال: ائتونى بها، فأتوه بها فقال:

(١) يريد ذوات أجنحة فتكون من الطير لعلمه لغة الطير دون سائر المخلوقات الأخرى.

لها لَمْ حَذَّرَتِ النملَ ظلمي؟ أما علمتِ أنى نبي عدل؟ فلم قلت: لا يحطمنكم سليمان وجنوده؟

فقلت النملة: أما سمعت قولي: وهم لا يشعرون؟ مع ما أنى لم أرد حطم النفوس وإنما أردت حطم القلوب، خشيت أن يتمنين ما أعطيت ويشغلن بالنظر عن التسبيح، فقال لها: عطيني، فقلت النملة: هل علمت لَمْ سَمَى أبوك داود؟ قال: لا.

قلت: لأنه داوى جرحه فؤاده<sup>(١)</sup>، هل تدري لم سميت سليمان؟ قال: لا.

قلت: لأنك سليم وكنت إلى ما أوتيت لسلامة صدرك وإن لك أن تلحق بأبيك<sup>(٢)</sup>، ثم قلت: أتدري لَمْ سَخَّرَ اللهُ لك الريح؟ قال: لا.

قلت: أخبرك الله أن الدنيا كلها ريح، فتبسم سليمان ضاحكاً متعجباً من قولها، وقال ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾ إلى آخر الآية.

أخبرني ابن فنجويه قال: أخبرنا ابن شنبه قال: أخبرنا الحضرمي قال: حدثنا حسن الخلال قال: حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال: نهى رسول الله ﷺ عن قتل أربعة من الدواب: الهدهد والصرد والنحلة والنملة.

﴿وَتَقَدَّ الطَّيْرُ﴾: أى طلبها وبحث عنها ﴿فَقَالَ مَا لِي لَا أَرَى الْهُدْهُدَ﴾: فتح ابن كثير وعاصم والكسائي وأيوب (لى) ههنا وفي سورة يس ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ﴾ (يس: ٢٢) وأرسل حمزة الياء فيهما جميعاً، وأما أبو عمرو فكان يرسل الياء فى هذه ويفتح فى يس، وفرق بينهما فقال: لأن هذه للتى فى النمل استفهام والأخرى انتفاء.

﴿أَمْ كَانَ﴾: قيل: الميم صلة وقيل: أم بمعنى بل كان ﴿مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ لَأَعْدَيْتُهُ عَذَابًا شَدِيدًا: وكان عذابه أن ينتف ريشه وذئبه فيدعه معطاً ثم يلقيه فى بيت النمل فيلدغه<sup>(٣)</sup>، وقال عبد الله ابن شداد: نتفه وتشميسه.

(١) فى المخطوط: لأنه داوى جرحه فؤد، والتصويب من القرطبي.

(٢) العبارة فى المخطوط: لأنك سليمان ركنت إلى ما أوتيت لسلامة صدرك.

والتصويب من القرطبي، وليس معنى تصويب العبارات أن الخبر صحيح إنما هو تقويم لنص المخطوط قدر الطاقة أما الخبر فلا نصيب له من الصحة.

(٣) كم فى جعبة البشر من أنواع العذاب والتخيل للانتقام، انظر إلى مدى قسوة هذا العقاب الذى لا يمكن أن يخطر =

الضحّاك : لأشدنّ رجله ولأشمسنّه .

مقاتل بن حيان : لأطليته بالقطران ولأشمسنّه .

وقيل : لأودعته القفص ، وقيل : لأفرقنّ بينه وبين إلفه ، وقيل : لأمنعنه من خدمتي ،

وقيل : لأبدنّ عليه؟ .

﴿أَوْ لَا أَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِي سُلْطٰنٌ مُّبِينٌ﴾ : حجة واضحة ، وأما سبب تفقده الهدهد وسؤاله عنه من بين الطير إخلاله بالنوبة التي كان ينوبها واحتياج سليمان (عليه السلام) إلى الماء ، فلم يعلم من قصره بعد الماء ، وقيل له : علم ذلك عند الهدهد ، فتفقده فلم يجده فتوعده وكان القصّة فيه على ما ذكره العلماء بسيرة الأنبياء دخل حديث بعضهم في بعض :

إنّ نبي الله سليمان (عليه السلام) لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج إلى أرض الحرم ، فتجهز للمسير واستصحب من الإنس والجنّ والشياطين والطيور والوحوش ما بلغ معسكره مائة فرسخ ، وأمر الرياح الرخاء فحملتهم ، فلما وافى الحرم وأقام به ما شاء الله تعالى أن يقيم وكان ينحر كل يوم طول مقامه جملة خمسة آلاف ناقة ويذبح خمسة آلاف ثور وعشرين ألف شاة .

وقال لمن حضره من أشراف قومه : إنّ هذا مكان يخرج منه نبيّ عربيّ صفته كذا وكذا ، يعطى النصر على جميع من ناواه ، وتبلغ هيئته مسيرة شهر ، القريب والبعيد عنده في الحق سواء لا تأخذه في الله لومة لائم .

قالوا : فبأى دين يدين يا نبي الله؟ قال : بدين الحنيفية فطوبى لمن أدركه وآمن به وصدقه .

قالوا : وكم بيننا وبين خروجه يا نبي الله؟ قال : زهاء ألف عام فليبلغ الشاهد منكم الغائب

فإنه سيد الأنبياء وخاتم الرسل وإن اسمه . . . (١) .

= ولو للحظة على قلب نبي وقد أحدث ترك ذكر نوع العقاب الذي سوف كان يعاقب به سليمان الهدهد هذا الخيال وحرك كوامن الشر في نفوس المفسرين فذهب كل إنسان بخياله إلى ما كان سوف يعاقب به نبي الله سليمان الهدهد فكشف لنا عن مكونات النفس البشرية وميلها إلى شدة الانتقام إذا كان في غيرها أما إذا كان العقاب عليها فكان مجرد التوبيخ من أشد أنواع العذاب ولو قال قائل : إن نبي الله سليمان بين مدى ما كان يضمه من عقابه للهدهد بقوله : ﴿أَوْ لَا أَذْبَحَنَّهُ﴾ قلت : الذبح سنة الله في الطيور وليست عقوبة فكل الطير مباح ذبحه وأكل لحمه خلا بعض الطيور المنهى عن أكلها ، فليس في ذلك ما يدل على أن نبي الله كان يضم للهدهد كل هذا الشر ، وكيف يكون في قلبه كل هذا ، وهو يدعو الناس إلى عبادة الله قليلا منهم من يجيب؟ إن الأنبياء هم صفوة الله من خلقه وألينهم قلوبا وأحرصهم على مصالح الناس وأرأفهم بخلق الله ومخلوقاته فيجب أن يظن بهم كل الخير ، هدانا الله وإياكم إلى سبيل الرشاد آمين .

(١) كلمة غير واضحة بالمخطوط .

قال: فأقام بمكة حتى قضى نسكه ثم أحب أن يسعى إلى أرض اليمن فخرج من مكة صباحاً وسار نحو اليمن يوم نجم سهيل فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضاً وأزهر خضرتها وأحب النزول بها ليصلى ويتغذى فطلبوا الماء فلم يجدوا وكان الهدهد دليله على الماء، كان يرى الماء من تحت الأرض كما يرى أحدكم كأسه بيده فينقر الأرض فيعرف موضع الماء وبعده ثم يجيء الشياطين فيسلخونه كما يسلخ الإهاب ثم يستخرجون الماء.

قال سعيد بن جبير: ذكر ابن عباس هذا الحديث، فقال له نافع بن الأزرق: أفرأيت قولك الهدهد ينقر الأرض فيبصر الماء، كيف يبصر هذا ولا يبصر حتى القمح فيقع في عنقه؟. فقال له ابن عباس: ويحك إن القدر إذا جاء حال دون البصر.

وروى قتادة عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقتلوا الهدهد فإنه كان دليل سليمان على قرب الماء وبعده، وأحب أن يعبد الله في الأرض حيث يقول: ﴿وَجِئْتِكَ مِنْ سَائِلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ إني وجدت امرأة» الآية.

قالوا: فلما نزل سليمان قال الهدهد: إن سليمان قد اشتغل بالنزول فارتفع نحو السماء فانظر إلى طول الدنيا وعرضها، ففعل ذلك فنظر يميناً وشمالاً فرأى بستاناً فمال إلى الخضرة فوقع فيه فإذا هو بهدهد فهبط عليه، وكان اسم هدهد سليمان بن داود عليه السلام: يعفور، واسم هدهد اليمن عنقر فقال عنقر ليعفور سليمان: من أين أقبلت؟ وأين تريد؟ قال: أقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود عليه السلام.

فقال الهدهد: ومن سليمان بن داود؟ قال: ملك الجن والإنس والشياطين والطيور والوحوش والريح فمن أين أنت؟ فقال: أنا من هذه البلاد. قال: ومن ملكها؟ قال: امرأة يقال لها: بلقيس، وإن لصاحبكم سليمان ملكاً عظيماً ولكن ليس ملك بلقيس دونه، فإنها ملكت الشمس كلها وتحت يديها اثنا عشر ألف قائد، تحت يد كل قائد مائة ألف مقاتل. فهل أنت منطلق معي حتى تنظر إلى ملكها؟ قال: أخاف أن يتفقدني سليمان وقت الصلاة إذا احتاج إلى الماء.

قال الهدهد اليماني: إن صاحبك ليسره أن تأتيه بخبر هذه الملكة. فانطلق معه ونظر إلى بلقيس وملكها وما رجع إلى سليمان إلا وقت العصر.

قال: فلما نزل سليمان ودخل عليه وقت الصلاة طلب الهدهد وذلك أنه نزل على غير ماء فسأل الإنس عن الماء فقالوا: ما نعلم ههنا ماء. فسأل الجن والشياطين فلم يعلموا فتفقد

الهدهد ففقدته - قال ابن عباس: في بعض الروايات: . . . (١) موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عن الهدهد فقال: أصلح الله الملك ما أدرى أين هو وما أرسلته مكاناً، فغضب عند ذلك سليمان عليه السلام وقال ﴿لَأُعَذِّبَنَّكَ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّكَ أَوْ لِيَأْتِيَنَّ بِسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ﴾ .

روى عكرمة عن ابن عباس قال: كل سلطان في القرآن فهو حجة . قالوا: ثم دعا بالعقاب سيد الطير فقال: على بالهدهد الساعة . فرفع العقاب نفسه دون السماء حتى استقرَّ بالهواء فنظر إلى الدنيا كالقصة بين يدي أحدكم ثم التفت يميناً وشمالاً فإذا هو بالهدهد مقبلاً من نحو اليمن فانقض العقاب نحوه يريده ، فلما رأى الهدهد ذلك علم أن العقاب يقصده بسوء فناشده فقال: بحق الله الذي قواك فأقدرك على إلا رحمتي ولم تتعرض لي بسوء .

قال: فولَّ عنه العقاب وقال له: ويلك ثكلتك أمك إن نبي الله قد حلف أن يعذبك أو يذبحك ، ثم طارا متوجهين نحو سليمان فلما انتهى إلى العسكر تلقاه النسر والطير فقالوا له: ويلك أين غبت في نومك هذا ، فلقد توعدك نبي الله وأخبروه بما قال .

فقال الهدهد: أو ما استثنى رسول الله؟ قالوا: بلى ، قال: أو ليأتيني بعذر بين . ثم طار العقاب والهدهد حتى أتيا سليمان وكان قاعداً على كرسيه . فقال العقاب: قد أتيتك به يا نبي الله .

فلما قرب الهدهد منه رفع رأسه وأرخی ذنبه وجناحيه يجرحهما على الأرض؛ تواضعاً لسليمان ، فلما دنا منه أخذ برأسه فمدّه إليه وقال له: أين كنت؟ لأعذبك عذاباً شديداً ، فقال له الهدهد: يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله سبحانه ، فلما سمع ذلك سليمان ارتعد وعفا عنه (٢) .

أخبرني الحسن بن محمد الثقفي قال: حدثنا الفضل بن الفضل الكندي قال: حدثنا محمد ابن إبراهيم بن أبي الرجال ببغداد قال: حدثنا إبراهيم بن بسطام عن أبي قتبية عن الحسن بن أبي جعفر الجعفرى عن الزبير بن حريث عن عكرمة قال: إنّما صرف سليمان (عليه السلام) عن ذبح الهدهد لبرّه بوالديه .

(١) موضع النقط عبارة غير ظاهرة بالمخطوط .

(٢) هذه حكاية من نسج خيال قائلها وقد نسبها إلى ابن عباس وغيره وهو منها براء ، فإن الخبر في قصة الهدهد هو ما أخبر الله سبحانه وتعالى من شأنه وليس فوق ذلك مزيد فإن ما ورد في السورة لا يحتاج إلى زيادة إيضاح .

قالوا: ثم سأله فقال: ما الذى أبطأ بك عني؟ فقال الهدهد: ما أخبر الله فى قوله ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ قراءة العامة بضم الكاف، وقرأ عاصم ويعقوب وأبو حاتم بفتحهما وهما لغتان مشهورتان.

﴿فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾: علمت ما لم تعلم ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ﴾ قرأ الحسن وأبو عمرو وابن أبى إسحاق وحמיד وابن كثير فى رواية البزى من سبأ ولسبأ مفتوحة الهمزتين غير مصروفة، ردوها إلى القبيلة، وهى اختيار أبى عبيد، وقرأ الباقر بالجـ، جعلوه اسم رجل وبه نطق الخبر أن النبى ﷺ سئل عن سبأ فقال: كان رجلاً له عشرة من البنين يتيامن من ستة ويتشاءم من أربعة، وسنذكر أسماءهم وقصتهم فى سورة سبأ إن شاء الله عز وجل، وقال الشاعر:

الواردون وتيم فى ذرى سبأ  
قد عضّ أعناقهم جلد الجواميس  
﴿بَنِيَّ﴾: بخبر ﴿قَيْنٍ﴾: لا شك فيه.

قال وهب: قال الهدهد: إني أدركت ملكاً لم يبلغه ملكك.

﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾: واسمها بلقيس بنت الشيرج، وهو الهدهد وقيل: شراحيل بن ذى حدن بن الشيرج بن الحارث بن قيس بن صفى بن سبأ بن يشخب بن يعرب بن قحطان، وكان أبو بلقيس الذى يسمّى الشيرج ويلقب بالهدهد ملكاً عظيم الشأن قد ولد له أربعون ملكاً، وكان يملك أرض اليمن كلها وكان يقول للملوك الأطراف: ليس أحد منكم كفوّاً لى، فأبى أن يتزوج فيهم فزوجوه امرأة من الجن<sup>(١)</sup> يقال لها ريحانة بنت السكن، فولدت له تلمقة وهى بلقيس ولم يكن له ولد غيرها.

ويصدق هذا ما أخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا محمد بن الحسن بن بشر قال: حدثنا محمد بن حريم بن مروان قال: حدثنا هشام بن عمار قال: حدثنا الوليد بن مسلم عن سعيد ابن بشير عن قتادة عن النضر بن أنس عن بشر بن نهيك عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال: «كان أحد أبوى بلقيس جنياً»<sup>(٢)</sup>.

(١) هذا من العقائد الفاسدة، نعم الجن تتكاح وتتكاثر فيما بينها كما يتكاح ويتكاثر بنو الإنسان أو الإنس لكن لا يصح ولم يصح أن أحداً من الجن تزوج بإنسية أو أن إنساناً تزوج بجنية - كما أن ذلك لم يحدث ولن يحدث لاستحالة ذلك حتى علمياً بعد معرفتنا بالجينات والهندسات الوراثية وتكون الخلايا، ولو جاز ذلك لما نتج عنه خلق سوى.

(٢) هذا حديث غير صحيح وفى إسناده كلام كثير فمنهم على سبيل المثال سعيد بن بشير الأزدى وقد ضعفوه، وقالوا فيه كلاماً كثيراً، والوليد بن مسلم وصفوه بالتدليس، وقد عنعن، فيصير خبره فى هذه الحالة ضعيفاً إلى غير ذلك مما فى علل المتن، وعلّة المتن هنا لا تحتاج إلى توضيح فهى تنطق وتصرح بعدم الصحة.

قالوا: فلما مات أبو بلقيس ولم يخلف ولداً غيرها طمعت في الملك وطلبت من قومها أن يبايعوها فأطاعها قوم وعصاها آخرون، فاختروا عليها رجلاً فملكوه عليهم، وافترقوا فرقتين كل فرقة منها استولت بملكها على طرف أرض اليمن.

ثم إن هذا الرجل الذي ملكوه أساء السيرة في أهل مملكته حتى كان يمدّ يده إلى حرم رعيته ويفجر بهن، وأراد أصحابه أن يخلعوه فلم يقدرُوا عليه، فلما رأت بلقيس ذلك أدركتها الغيرة فأرسلت إليه تعرض نفسها عليه، فأجابها الملك (وقال لها)<sup>(١)</sup>: والله ما منعني أن أبتديك بالخطبة إلاّ اليأس منك.

فقال: لا أرغب عنك فإنك كفؤ كريم، فاجمع رجال قومي واخطبني إليهم فجمعهم وخطبها إليهم، فقالوا: لا نراها تفعل هذا، فقال لهم: إنما هي ابتدأتني فأنا أحب أن تسمعوا قولها وتشهدوا عليها، فلما جاؤوها وذكروا لها ذلك قالت: نعم أحببت الولد ولم أزل، كنت أرغب عن هذا (معرضه)<sup>(٢)</sup> فالساعة قد رضيتُ به فزوّجوها منه، فلما زُفّت إليه خرجت في ناس كثير من خدمها وحشمها حتى غصّت منازلها ودوره بهم، فما زالت تسقيه<sup>(٣)</sup> الخمر حتى سكر ثم حزّت رأسه وانصرفت من الليل إلى منزلها، فلما أصبح الناس رأوا الملك قتيلاً ورأسه منصوباً على باب دارها، فعلموا أنّ تلك المناكحة كانت مكرراً وخديعة منها فاجتمعوا إليها وقالوا لها: أنت بهذا الملك أحقّ من غيرك، فقالت: لولا العار والشنار ما قتلته ولكن عمّ فساده وأخذتني الحميّة حتى فعلت ما فعلت فملكوها واستتبّ أمرها».

أخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا ابن خديجة قال: حدثنا ابن أبي الليث ببغداد قال: حدثنا أبو كريب قال: حدثنا أبو معاوية عن إسماعيل بن مسلم عن الحسن عن أبي بكر قال: ذكرت بلقيس عند رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «لا يفلح قوم وُلّوا أمرهم امرأة».

﴿وَأُوْتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾: يحتاج إليه الملوك من الآلة والعدة.

﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾: سرير ضخم حسن، وكان مقدّمه من ذهب مفصّص بالياقوت الأحمر والزمرد الأخضر، ومؤخره من فضة مكلّل بألوان الجواهر وله أربع قوائم؟ قائمة من ياقوت أحمر وقائمة من زمرد، وقائمة من ياقوت أخضر، وقائمة من درّ، وصفائح السرير من ذهب، وعليه سبعة أبواب كل بيت باب مغلق.

(١) زيادة يتطلبها سياق الخبر، وليس معنى ذلك تصحيح الخبر.

(٢) زيادة يتطلبها السياق.

(٣) في المخطوط: فلما جاءه يسقيه. وهو تحريف.

وقال ابن عباس: كان عرش بلقيس ثلاثين ذراعاً في ثلاثين ذراعاً، وطوله في الهواء ثلاثون ذراعاً.

وقال مقاتل: كان ثمانين ذراعاً في ثلاثين ذراعاً وطوله في الهواء ثمانون ذراعاً مكللاً بالجوهر.

﴿وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ: قرأ أبو عبد الرحمن البلخي والحسن وأبو جعفر وحמיד والأعرج والكسائي ويعقوب برواية رويس «ألا اسجدوا» بالتخفيف على معنى: ألا يا هؤلاء اسجدوا، وجعلوه أمراً من الله سبحانه مستأنفاً، وحذفوا هؤلاء بدلالة فاعلها، وذكر بعضهم سماعاً من العرب: ألا يا ارحمونا، ألا يا تصدقوا علينا، يريدون ألا يا قوم كقول الأخطل:

ألا يا سلمى يا هند، هند بنى بدر وإن كان حيانا عدى آخر الدهر

فعلى هذه القراءة «اسجدوا» فى موضع جزم على الأمر والوقف عليه ألا، ثم يتدنى اسجدوا.

قال الفراء: حدثني الكسائي عن عيسى الهمداني قال: ما كنت أسمع المشيخة يقرؤونها إلا بالتخفيف على نية الأمر، وهى فى قراءة عبد الله: هلاً تسجدوا لله، بالياء، وفى قراءة أبى ألا يسجدون لله، فهاتان القراءتان حجة لمن خفف، وقرأ الباقون: ألا بالتشديد بمعنى وزين لهم الشيطان أعمالهم لئلا يسجدوا لله فأن موضع نصب ويسجدوا نصب بآن، واختار أبو عبيد هذه القراءة وقال: للتخفيف وجه حسن إلا أن فيه انقطاع الخبر عن أمر سبأ وقومها، ثم يرجع بعد إلى ذكرهم، والقراءة بالتشديد خبر يتبع بعضه بعضاً لا انقطاع فى وسطه، والوقف على هذه ألا ثم يتدنى يسجدوا كما يصل.

﴿الَّذِي يَخْرِجُ الخَبَاءَ﴾: الخفى المحبوس ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: يعنى غيب السموات والأرض.

وقال أكثر المفسرين: خبء السماء المطر، وخبء الأرض النبات، وفى قراءة عبد الله: يخرج الخبء من السموات، ومن وفى يتعاقبان، يقول العرب: لأستخرجن العلم فيكم، يريد منكم، قاله الفراء.

﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْتُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾: قراءة العامة بالياء فيهما، وقرأ الكسائي بالياء وهى رواية حفص عن عاصم.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾: الذى كل عرش وإن عظم فدونه، ولا يشبهه عرش



ملكة سبأ ولا غيره .

قال ابن إسحاق وابن زيد : من قوله : ﴿ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ ﴾ إلى قوله ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ : كله كلام الهدهد .



﴿ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَيْتَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَأَنْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا إِلَيَّ إِنِّي أَتِيْتُ إِلَىٰ كِتَابِ كَرِيمٍ ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَآةَ أَهْلِهَا أَذْلَةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿ وَإِنِّي مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ لِِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَ بِمَالٍ فَمَا آتَيْنَاهُ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا يَبْلُغُونَ لَهْمَ بِهَا وَلِنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذْلَةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿ قَالَ عَفِيفٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَٰذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿ قَالَ نَكَرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرُ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ﴿ قَالَتْ كَآئِهِ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنِ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿

﴿ قَالَ ﴾ : قال سليمان للهدهد ﴿ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ ﴾ : فيما أخبرت ﴿ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ :

فَدَلَّهْمُ الْهُدْهُدُ عَلَى الْمَاءِ فَاحْتَفَرُوا الرُّكَايَا وَرَوَى النَّاسَ وَالِدُوَابَّ، وَكَانُوا قَدْ عَطَشُوا، ثُمَّ كَتَبَ سَلِيمَانُ كِتَابًا مِنْ عَبْدِ اللَّهِ سَلِيمَانَ بْنِ دَاوُدَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إِلَى بَلْقَيْسَ مَلِكَةَ سَبَأَ، السَّلَامَ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدْيَ، أَمَا بَعْدَ فَلَا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ.

وقال ابن جريج: لم يزد سليمان على ما قصَّ الله في كتابه إنَّه وإنَّه.

قال منصور: كان يقال: كان سليمان أبلغ الناس في كتابه، وأقله إملاءً ثم قرأ ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قال قتادة: وكذلك الأنبياء عليهم السلام كانت تكتب جملاً لا يطيلون ولا يكثرون، فلما كتب الكتاب طبعه بالمسك، وختمه بخاتمه وقال للهدهد ﴿أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ﴾: فكن قريباً منهم ﴿فَأَنْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾: يردون من الجواب.

وقال ابن زيد: في الآية تقديم وتأخير مجازها: اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم وانظر ماذا يرجعون ثم تولَّ عنهم أى انصرف، كقوله ﴿ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ﴾ (القصص: ٢٤): أى انصرف إليه، فأخذ الهدهد الكتاب وأتى به إلى بلقيس وكانت بأرض يقال لها مأرب من صنعاء على ثلاثة أيام، فوافاها في قصرها وقد غلقت الأبواب، وكانت إذا رقدت غلقت الأبواب وأخذت المفاتيح فوضعتها تحت رأسها وأوت إلى فراشها، فأتاها الهدهد وهى نائمة مستلقية على قفاها فألقى الكتاب على نحرها، هذا قول قتادة.

وقال مقاتل: حمل الهدهد الكتاب بمنقاره فطار حتى وقف على رأس المرأة، وحولها القادة والجنود، فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت رأسها فألقى الكتاب في حجرها. وقال ابن منبّه وابن زيد: كانت لها كوة<sup>(١)</sup> مستقبلة الشمس، تقع الشمس فيها حين تطلع، فإذا نظرت إليها سجدت لها، فجاء الهدهد تلك الكوة فسدّها بجناحه فارتفعت الشمس ولم تعلم، فلما استبطأت الشمس قامت تنظر فرمى بالصحيفة إليها.

قالوا: فأخذت بلقيس الكتاب وكانت كاتبة قارئة عربية من قوم تبع بن شراحيل الحميري، فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت لأن ملك سليمان (عليه السلام) كان في خاتمه، وعرفت أنّ الذى أرسل هذا الكتاب هو أعظم ملكاً منها؛ لأن ملكاً أرسله الطير إنَّه لملك عظيم، فقرأت الكتاب وتأخّر الهدهد غير بعيد فجاءت حتى قعدت على سرير ملكها وجمعت الملاء من قومها وهم اثنا عشر ألف قائد، مع كل قائد مائة ألف مقاتل.

وقال قتادة ومقاتل والثمالى: كان أهل مشورتها ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً كل رجل منه

(١) الفتحة أو الشباك النافذ فى الحائط إلى الخارج ومنها أيضاً ما ليس بنافذ.

على عشرة آلاف .

قالو: فجاؤوا وأخذوا مجالسهم فقالت لهم بلقيس: ﴿يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ إِلَىٰ آلِي إِلِي كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ .

قال قتادة: حسن ، نظيره قوله: ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ (الشعراء: ٥٨) .

وقال ابن عباس: شريف بشرف صاحبه .

الضحاك: سمته كريماً لأنه كان مختوماً ، يدلّ عليه ما أخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا أحمد بن شاذان قال: حدثنا جيعويه بن محمد قال: حدثنا صالح بن محمد بن محمد بن مروان عن ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس أنّ النبي ﷺ قال: «كرامة الكتاب ختمه» .

وأنبأني عبد الله بن حامد قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن يوسف قال: حدثنا عمرو قال: حدثني أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي قال: حدثنا إسحاق بن منصور قال: حدثنا معاذ ابن هشام قال: حدثني أبي عن قتادة عن أنس قال: لما أراد نبي الله ﷺ أن يكتب إلى العجم، قيل له: إن العجم لا يقبلون إلا كتاباً عليه خاتم، فاصطنع خاتماً، فكأنني أنظر إلى بياضه في كفه .

وقال ابن المقفع: من كتب إلى أخيه كتاباً ولم يختمه فقد استخف به لأن الختم ختم، وقيل: سمته كريماً لأنه كان مصدرًا بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمِنَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۖ أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ وقرأ أشهب العقيلي: ألا تغلوا على بالعين معجمة، وأتوني مسلمين مؤمنين طائعين .

﴿قَالَتْ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ﴾: قال ابن عباس: كان مع بلقيس مائة ألف قيل، مع كلّ قيل مائة ألف، والقيل تلك دون الملك الأعظم ﴿أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾: أشيروا عليّ فيما عرض لي وأجيبوني فيما أشاوركم فيه ﴿مَا كُنْتُ قَاطِعَةً﴾ قاضية وفاصلة ﴿أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُون﴾: تحضروني . قالوا مجيبين لها ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةٍ﴾: في القتال ﴿وَأَوْلُوا بِأَسِ شَدِيدٍ﴾: عند الحرب ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ﴾: أيتها الملكة ﴿فَأَنْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾: تجدينا لأمرك مطيعين .

فقالت بلقيس لهم حين عرضوا أنفسهم للحرب ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً﴾: عنوة وغلبة ﴿أَفْسَدُوهَا﴾: خربوها ﴿وَجَعَلُوا أَعْرَةَ أَهْلِهَا آذِنًا﴾: أى أهانوا أشرافها وكبراءها لكي يستقيم لهم الأمر، وتناهى الخبر عنها هاهنا فصدق الله سبحانه قولها فقال ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ .

أنشدني أبو القاسم الحبيبي قال: أنشدني أبي رحمه الله:

إِنَّ الْمَلُوكَ بِلَاءَ حَيْثَ مَا حَلُّوا      فلا يكن لك فى أكنافهم ظل  
 ماذا تَوَمَّلْ من قوم إذا غضبوا      جاروا عليك وإن أرضيتهم مَلَّوا  
 وإن مدحتهم خالوك تخدعهم      واستقلوك كما يُستقل الكَلَّ  
 فاستغن بالله عن أبوابهم أبداً      إن الوقوف على أبوابهم ذلّ

﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ﴾ : وذلك أن بلقيس كانت لبيبة قد سيست وساست، فقالت للملأ من قومها: إنى مرسله إلى سليمان وقومه بهديّة أصانعه بذلك عن ملكى واختبره بها أملك هو؟ فإن يكن ملكاً قبل الهدية وانصرف، وإن يكن نبياً لم يقبل الهدية ولم يرضه منّا إلا أن نتبعه على دينه، فأهدت إليه وصيفاً ووصائف.

قال ابن عباس: ألبستهم لباساً واحداً حتى لا يعرف ذكر من أنثى.

وقال مجاهد: ألبس الغلمان لباس الجوارى وألبس الجوارى لبسة الغلمان، واختلفوا فى عددهم فقال مقاتل: مائة وصيف ومائة وصيفة. وقال مجاهد: مائتا غلام ومائتا جارية. وقال الكلبي: عشرة غلمان وعشر جوار. وقال وهب وغيره: خمسمائة غلام وخمسمائة جارية.

وأخبرنى ابن فنجويه قال: حدثنا ابن حنش قال: حدثنا ابن فنجويه قال: حدثنا سلمة قال: حدثنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر عن ثابت البناني فى قوله: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ﴾ قال: أهدت له صفائح ذهب فى أوعية الديباج، فلما بلغ ذلك سليمان أمر بالجن فموهوا له الأجر بالذهب ثم أمر به فألقى فى الطريق، فلما جاءوا رأوه ملقى فى الطريق فى كل مكان، قالو: قد جئنا نحمل شيئاً نراه ههنا ملقى ما يلفت إليه، فصغر فى أعينهم ما جاؤوا به، وقيل: كانت أربع لبنات من ذهب. وقال وهب وغيره من أهل الكتاب: عمدت بلقيس إلى خمسمائة جارية وخمسمائة غلام فألبست الجوارى لباس الغلمان، الأقبية والمناطق، وألبست الغلمان لباس الجوارى، وجعلت فى سواعدهم أساور من ذهب، وفى أعناقهم أطواقاً من ذهب، وفى آذانهم قُرُوطاً وشنوفاً مرصّعات بأنواع الجواهر، وحملت الجوارى على خمسمائة رمكة والغلمان على خمسمائة بردون، على كل فرس لجام من ذهب مرصّع بالجواهر وغواشيها من الديباج الملونة، وبعثت إليه أيضاً خمسمائة لبنة من ذهب وخمسمائة لبنة من فضة وتاجاً مكلّلاً بالدرّ والياقوت المرتفع وأرسلت إليه أيضاً المسك والعنبر وعود الألنجوج، وعمدت إلى حقة فجعلت فيها درّة يتيمة غير مثقوبة وخرزة جزعية مثقوبة معرجة الثقب، ودعت رجلاً من أشرف قومها يقال له المنذر بن عمرو وضمت إليه رجلاً من قومها من

أصحاب رأى وعقل وكتبت معه كتاباً نسخة الهدية وقالت: إن كنت نبياً فمیز بين الوصفاء والوصيفات، وأخبر بما فى الحقة قبل أن تفتحها وأثقب الدرّة ثقباً مستويّاً وأدخل خيطاً الخرزة وأمرت بلقيس الغلمان فقالت: إذا كلّمكم سليمان فكلموه بكلام فيه تأنيث وتخنيث شبه كلام النساء، وأمرت الجوارى أن يكلمنه بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال، ثمّ قالت للرسول: انظر إلى الرجل إذا دخلت عليه، فإن نظر إليك نظرَ غَضَبٍ فاعلم أنّه ملك ولا يهولتك منظره فأنا أعزّ منه، وإن رأيت الرجل بشاً لطيفاً فاعلم أنّه نبيّ مرسل فتفهّم قوله وردّ الجواب.

فانطلق الرسول بالهدايا وأقبل الهدهد مسرعاً إلى سليمان (عليه السلام) فأخبره الخبر كلّه، فأمر سليمان (عليه السلام) الجنّ أن يضرّبوا لبنات الذهب والفضة ففعلوا، ثم أمرهم أن ييسطوا من موضعه الذى هو فيه إلى تسع فراسخ ميداناً واحداً بلبنات الذهب والفضة، وأن يجعلوا حول الميدان حائطاً شرفها من الذهب والفضة ففعلوا، ثم قال: أىّ الدواب أحسن ممّا رأيتم فى البرّ والبحر؟ قالوا: يا نبيّ الله إنّنا رأينا دوابّ فى بحر كذا وكذا منمّرة منقطّة مختلفة ألوانها، لها أجنحة وأعراف ونواص. قال: علىّ بها الساعة، فأتوا بها، فقال: شدّوها عن يمين الميدان وعن يساره على لبنات الذهب والفضة، وألقوا لها علوفها.

ثم قال للجنّ: علىّ بأولادكم، فاجتمع خلق كثير فأقامهم على يمين الميدان ويساره، ثم قعد سليمان (عليه السلام) فى مجلسه على سريره ووُضع له أربعون ألف كرسي عن يمينه ومثلها عن يساره، وأمر الشياطين أن يصطفّوا صنفوا فراسخ، وأمر الإنس فاصطفّوا فراسخ، وأمر الوحش والسباع والهوامّ والطيّر فاصطفّوا فراسخ عن يمينه ويساره.

فلما رأى القوم الميدان ونظروا إلى ملك سليمان (عليه السلام) ورأوا الدوابّ التى لم تر أعينهم مثلها تروث على لبنات الذهب والفضة، تقاصرت إليهم أنفسهم وبقوا بما معهم من الهدايا.

وفى بعض الروايات أن سليمان (عليه السلام) لما أمر بفرش الميدان بلبنات الذهب والفضة أمرهم أن يتركوا على طريقهم موضعاً على قدر موضع اللبّات التى معهم، فلما رأى الرسل موضع اللبّات خالياً وكل الأرض مفروشة خافوا أن يتّهموا بذلك فطرحوا ما معهم فى ذلك المكان.

قالوا: ثم جاؤوا، فلما رأوا الشياطين نظروا إلى موضع عجيب ففرّجوا فقال لهم الشياطين: جوزوا فلا بأس عليكم، فكانوا يميرون على كردوس كردوس من الجن والإنس

والطير والسباع والوحوش حتى وقفوا بين يدي سليمان (عليه السلام) فنظر إليهم سليمان نظراً حسناً بوجه طلق وقال: ما وراءكم؟ فأخبره رئيس القوم بما جاؤوا له وأعطاه كتاب الملكة فنظر فيه فقال: أين الحُقَّة فأتى بها فحرَّكها، وجاءه جبرئيل (عليه السلام) فأخبره بما فى الحُقَّة فقال: إنَّ فيها درة يتيمة غير مثقوبة وجزعة مثقوبة معوجة الثقب، فقال الرسول: صدقت فاثقب الدرَّة وأدخل الخيط فى الخرزة فقال سليمان (عليه السلام): من لى بثقبها؟ فسأل سليمان الإنس فلم يكن عندهم علم ذلك، ثمَّ سأل الجنَّ فلم يكن عندهم علم ذلك، ثمَّ سأل الشياطين فقالوا: ترسل إلى الأرضة فجاءت الأرضة وأخذت شعرة فى فيها فدخلت فيها حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان (عليه السلام): حاجتك؟ فقالت: تصير رزقى فى الشجرة فقال: لك ذلك، ثمَّ قال: من لهذه الخرزة يسلكها الخيط؟ فقالت دودة بيضاء: أنا لها يا رسول الله، فأخذت الدودة الخيط فى فيها ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الآخر، فقال سليمان: حاجتك؟ قالت: تجعل رزقى فى الفواكه قال: لك ذلك، ثمَّ ميز بين الجوارى والغلمان بأن أمرهم أن يغسلوا وجوههم وأيديهم فكانت الجارية تأخذ الماء من الآنية بإحدى يديها ثم تجعله على اليد الأخرى ثم تضرب به على الوجه، والغلام كان يأخذه من الآنية يضرب به وجهه، وكانت الجارية تصبّ على باطن ساعدها، والغلام على ظهر الساعد، وكانت الجارية تصب الماء صبّاً، وكان الغلام يحدر الماء على يده حدرًا، فميز بينهم بذلك ثم ردّ سليمان (عليه السلام) الهدية<sup>(١)</sup>.

﴿قَالَ أَمِدُونْ بِمَالٍ﴾: اختلف القرّاء فيه فقروا حمزة ويعقوب أتمدونى بنون واحدة مُشدّدة، غيرهما بنونين خفيفتين وحذف الياء، ابن عامر وعاصم والكسائى وخلف، والباقون بإثباته.

﴿فَمَا آتَيْنِ اللَّهَ خَيْرًا مِّمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾: لأنكم أهل مفاخرة الدنيا والمكابرة بها ولا تعرفون غير ذلك، وليست الدنيا من حاجتى لأن الله سبحانه قد مكّننى منها وأعطانى فيها ما لم يعط أحداً ومع ذلك أكرمنى بالدين والنبوة والحكمة، ثمَّ قال للمنذر بن عمرو أمر الوفد ﴿أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾: بالهدية ﴿فَلَنَأْتِيَهُمْ جُنُودٌ لَا قِبَلَ﴾: لا طاقة ﴿لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا﴾: أى من أرضها وملكها ﴿أَذَلَّةٌ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾: ذليلون إن لم يأتونى مسلمين.

قال وهب وغيره من أهل الكتب: لما رجعت رُسل بلقيس إليها من عند سليمان (عليه السلام) قالت: قد والله عرفت ما هذا بملك، وما لنا به طاقة، وما نصنع بمكائرته شيئاً، فبعثت

(١) هذا حديث طريف ظريف نسجه خيال كاتبه أو واضعه فرسم القصة حسبما صورها له عقله لا كما ذكرها كتاب الله سبحانه وتعالى وفيما ذكر الله سبحانه وتعالى كفاية لمن سطعت عليه أنوار الهداية.

إلى سليمان: إني قادمة عليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك وما تدعو إليه من دينك، ثم أمرت بعرشها فجعل في آخر سبعة أبيات بعضها في بعض، في آخر قصر من سبع قصور لها، ثم أغلقت دونه الأبواب ووكلت به حراساً يحفظونه ثم قالت لمن خلقت على سلطانها: احتفظ بما قبلك وسرير ملكي، فلا يخلص إليه أحد ولا يزيئه حتى آتيك، ثم أمرت منادياً فنادى في أهل مملكتها يؤذنه بالرحيل، وشخصت إلى سليمان في اثني عشر ألف قيل من ملوك اليمن تحت يدي كل قيل ألوف كثيرة.

قال ابن عباس: وكان سليمان رجلاً مهيباً لا يتدنى بشيء حتى يكون هو الذي يسأل عنه، فخرج يوماً فجلس على سرير ملكه فرأى رهجاً قريباً منه فقال: ما هذه؟ قالوا: بلقيس يارسول الله.

قال: «وقد نزلت منا بهذا المكان؟».

قال ابن عباس: وكان ما بين الكوفة والحيرة قدر فرسخ فأقبل حينئذ سليمان على جنوده فقال: ﴿أَيْكُمْ يَا بَنِي بَعْرَشَهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾: أي مؤمنين. وقال ابن عباس: طائعين. واختلف أهل العلم في السبب الذي لأجله أمر سليمان (عليه السلام) لإحضار العرش فقال أكثرهم: لأن سليمان (عليه السلام) علم أنها إن أسلمت حُرِّم عليه مالها فأراد أن يأخذ سريرها قبل أن يُحرم عليه أخذه بإسلامها<sup>(١)</sup>.

وقال قتادة: لأنه أعجبه صفته لما وصفه الهدد فأحب أن يراه.

وقال ابن زيد: أراد أن يختبر عقلها فيأمر بتكثيره لينظر هل تشبهه إذا رآته أم تنكره؟ وقيل: قدرة الله سبحانه وعظيم سلطانه في معجزه يأتي بها في عرشها.

﴿قَالَ عَفْرِيَّتُ مَنِ الْجِنِّ﴾: وهو المارد القوي، وفيه لغتان: عفريت وعفرية، فمن قال عفريت جمعه عفاريت، ومن قال عفرية جمعه عفارت.

قال وهب: اسمه كوذى، وقال شعيب الجبائي: كان اسم العفريت ذكوان، وقال ابن عباس: العفريت: الداهية، وقال الضحَّاك: هو الخبيث. ربيع: الغليظ. القراء: القوى الشديد. الكسائي: المنكر، وأنشد:

فقال شيطان لهم عفريت ما لكم مكث ولا تبييت

(١) حاشا لله أن يكون هذا خلقاً لنبي من أنبياء الله تعالى، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وما كان لنبي أن يغفل﴾ فكلاً ثم كلاً، وألف كلاً أن يكون ذلك قصد نبي الله سليمان، وإنما كان قصده توكيد نبوته في نفسها حتى يكون إيمانها عن يقين وتحقق من أنه نبي مرسل من قبل الله بدون أدنى شك ولا تحتاج بعد ذلك إلى تثبت من أن الله مؤيد ومرسله.

وقرأ أبو رجاء العطاردي قال: عفرية .

وأخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا عبيد الله بن عبد الله بن أبي سمرة البغوي قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر بن شاذان البغدادي قال: حدثنا محمد بن الحسن بن سهل قال: حدثنا عبد الرحمن البحتری قال: حدثنا عمرو بن عثمان قال: حدثنا أبي عن عبد الله بن عبد العزيز القرشي عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه كان يقرأ: قال عفرية من الجن والعفرية البكر بين البكرين لم يلد أبواه قبله شيئاً ولم يلد هو شيئاً .

﴿أَنَا أَيْتِكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقَوْمَ مِنْ مَقَامِكَ﴾ : أي مجلسك الذي تقضى فيه ، قال ابن عباس : وكان له كلّ غداة مجلس يقضى فيه إلى منزع النهار .

﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ﴾ : على حمله ﴿أَمِينٌ﴾ : على ما فيه من الجواهر ، فقال سليمان عليه السلام أريد أسرع من هذا ، ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾ : واختلفوا فيه ، فقال بعضهم هو جبرئيل (عليه السلام) ملك من الملائكة أيد الله عز وجل به نبيه سليمان عليه السلام . وقال الآخرون : بل كان رجلاً من بني آدم .

ثم اختلفوا فيه فقال أكثر المفسرين : هو آصف بن برخيا بن شمعيان بن ميكيا وكان صديقاً يعلم الاسم الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سئل به أُعطي<sup>(١)</sup> .

أخبرني ابن فنجويه قال: أخبرنا مخلد بن جعفر الباقرحي قال: حدثنا الحسن بن علوية قال: حدثنا إسماعيل بن عيسى قال: حدثنا إسحاق بن بشر قال: حدثنا جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال: إن آصف قال لسليمان (عليه السلام) حين صلى ودعا الله سبحانه: مُدِّ عَيْنِيكَ حَتَّى يَنْتَهِيَ طَرْفُكَ قَالَ: فَمَدَّ سَلِيمَانُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عَيْنَهُ فَنَظَرَ نَحْوَ الْيَمَنِ وَدَعَا آصِفَ ، فَبَعَثَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ فَحَمَلُوا السَّرِيرَ مِنْ تَحْتِ الْأَرْضِ يَخْدُونَ الْأَرْضَ خَدًّا حَتَّى انْخَرَقَتِ الْأَرْضُ بِالسَّرِيرِ بَيْنَ يَدَيْ سَلِيمَانَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) .

واختلف العلماء في الدعاء الذي دعا به آصف عند الإتيان بالعرش ، فروت عائشة أن النبي ﷺ قال : «إِنْ اسْمَ اللَّهِ الْأَعْظَمَ الَّذِي دَعَا بِهِ آصِفُ عِنْدَ الْإِتْيَانِ بِالْعَرْشِ ، فَرُوتَ عَائِشَةُ أَنَّ النَّبِيَّ

وَرُويَ عَثْمَانُ بْنُ مَطَرٍ عَنِ الزَّهْرِيِّ قَالَ: دَعَا الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ (يَا إِلَهِنَا وَإِلَهَ كُلِّ شَيْءٍ إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ائْتِنِي بِعَرْشِهَا) قَالَ: فَمَثَلُ لَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ . وَقَالَ مُجَاهِدٌ: يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ . وَأَخْبَرَنِي ابْنُ فَجْوَيْهِ قَالَ: حَدَّثَنَا طَلْحَةُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ جَعْفَرٍ وَعَبِيدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ يَعْقُوبَ قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ مُجَاهِدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

(١) هذا مما عمت به البلوى في كون أن كثيراً من المسلمين يعتقدون في ذلك ، وكذلك موضوع الأبدال .



إسماعيل عن ابن زيد قال: الذي عنده علم من الكتاب رجل صالح كان في جزيرة من جزائر البحر فخرج ذلك اليوم ينظر من ساكن الأرض؟ وهل يعبد الله عز وجل أم لا يعبد؟ فوجد سليمان (عليه السلام) فدعا باسم من أسماء الله فإذا هو بالعرش حمل فأتى به سليمان من قبل أن يرتد إليه طرفه.

وبه عن مجاهد قال: حدثني البيهقي وابن حرب قال: حدثنا أبو حذيفة قال: حدثنا شبيل قال: زعم ابن أبي بزة أن اسم الذي عنده علم من الكتاب أسطوم، وقال بعضهم: كان رجل من حمير يقال له: ضبة.

وقال قتادة: كان اسمه بليحا، وقال محمد بن المنكدر: إنما هو سليمان أما إن الناس يرون أنه كان معه اسم وليس ذلك كذلك، إنما كان رجل عالم من بني إسرائيل آتاه الله علماً وفقهاً فقال: أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك، قال سليمان (عليه السلام): هات، فقال: أنت النبي ابن النبي وليس أحد أوجه عند الله منك ولا أقدر على حاجته فإن دعوت الله، وطلبت إليه كان عندك.

قال: صدقت ففعل ذلك فجاء بالعرش في الوقت.

وقوله: ﴿قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾: اختلفوا في معناه فقال سعيد بن جبير: يعني قبل أن يرجع إليك أقصى من تركت، وهو أن يصل إليك من كان منك على مدّ بصرك. قتادة: قبل أن يأتيك الشخص من مدّ البصر.

وهب: تمد عينيك فلا ينتهي طرفك إلى مداه حتى أمثله بين يديك.

مجاهد: يعني إدامة النظر حتى يرتد الطرف خاسئاً.

وعنه أيضاً قال: يعني مدّ بصرك ما بينك وبين الحيرة، وهو يومئذ في كندة.

وعن قتادة: هو أن يبعث رسولاً إلى منتهى طرفه فلا يرجع حتى يؤتى به.

﴿فَلَمَّا رَأَاهُ﴾ يعني رأى سليمان (عليه السلام) العرش ﴿مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ﴾: محمولاً إليه من مأرب إلى الشام في قدر ارتداد الطرف ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَتْلُوَنِي أَشْكُرُ﴾: نعمته ﴿أَمْ أَكْفُرُ﴾: فلا أشكرها ﴿وَمَنْ شَكَرْنَا فَإِنَّا نَشْكُرُهُ لِنَفْسِهِ﴾: لم ينفع بذلك غير نفسه حيث استوجب بشكره تمام النعمة ودوامها؛ لأن الشكر قيد للنعمة الموجودة وصيد للنعمة المفقودة.

﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾: بالإفضال على من كفر نعمه.

﴿قَالَ نَكُرُوا﴾: غيروا ﴿لَهَا عَرْشَهَا﴾: فزيدوا فيه وانقصوا منه واجعلوا أعلاه أسفله وأسفله

أعلاه ﴿نَظَرُ أَهْتَدَى﴾: إلى عرشها فتعرفه ﴿أَمْرٌ تَكُونُ [مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ]﴾<sup>(١)</sup>: من الجاهلين به الذين لا يهتدون إليه، وإنما حمل سليمان (عليه السلام) على ذلك، كما ذكره وهب ومحمد ابن كعب وغيرهما من أهل الكتب: إن الشياطين خافت أن يتزوجها سليمان فتفشى إليه أسرار الجن، ولا ينفكون من تسخير سليمان وذريته من بعده، فأرادوا أن يزهّدوه فيها فأساؤوا الثناء عليها وقالوا: إن في عقلها شيئاً وإنّ رجلها كحافر الحمار، فأراد سليمان (عليه السلام) أن يختبر عقلها بتكبير عرشها، وينظر إلى قدميها ببناء الصرح<sup>(٢)</sup>، ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ بَلْقِيسَ قِيلَ﴾: لها ﴿أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾: شبهته به وكانت قد تركته خلفها في بيت خلف سبعة أبواب مغلقة والمفاتيح معها فلم تقرّ بذلك ولم تنكر، فعلم سليمان (عليه السلام) كمال عقلها.

قال الحسن بن الفضل: شبّهوا عليها فشبهت عليهم وأجابتهم على حسب سؤالهم، ولو قالوا لها: هذا عرشك لقلت: نعم.

فقال سليمان (عليه السلام) ﴿وَأَوْتِينَا الْعِلْمَ﴾: بالله وبقدرته على ما شاء من قبل هذه المرأة<sup>(٣)</sup> ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ هذا قول مجاهد.

وقال بعضهم: معناه وأوتينا العلم بإسلامها ومجيئها طائعة وقبل مجيئها، وكنا مسلمين طائعين خاضعين.

وقال بعضهم: هذا من قول بلقيس لما رأت عرشها عند سليمان (عليه السلام) قالت: عرفت هذه، وأوتينا العلم بصحة نبوة سليمان (عليه السلام) بالآيات المتقدمة من قبل هذه الآية وذلك بما اخترت من أمر الهدية والرسل، ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ أى متقادين لك مطيعين لأمرك من قبل أن جئناك.

﴿وَصَدَّهَا﴾: ومنعها ﴿مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: وهو الشمس بأن تعبد الله، وعلى هذا القول يكون ﴿مَا﴾: فى محل الرفع.

(١) ما بين المعرفين سقط سهواً من المخطوط.

(٢) انظر كيف اختلفوا الكل حدث قصة تشين بالأنبياء وما ذلك إلا من صنع بنى إسرائيل حيث دسوا فى كتب المسلمين تلك الأشياء التى تشين إلى الإسلام قبل أن تشين إلى الأنبياء فقدّمياً قتلوهم واليوم يشوهونهم حتى فى كتب غيرهم، وكان سليمان عليه السلام صاحب هذا الملك العظيم ليس فى مملكته امرأة يتزوجها فى جمال بلقيس ثم تصويره بصورة الناظر إلى النساء ومحاسنهن ووصفه بالجهل بحقيقة الجن وهو النبى المرسل مدعين أنها أعلم بهم منه حيث زعموا أن أمها جنية.

(٣) فى المخطوط: المرأة. وهو تحريف.

وقال بعضهم : معناه وصدّها سليمان (عليه السلام) [عن<sup>(١)</sup>] ما كانت تعبد من دون الله أي منعها ذلك وحال بينها وبينه ، ولو قيل : وصدّها الله ذلك بتفويقها للإسلام لكان وجهاً صحيحاً ، وعلى هذين التأويلين يكون محل ﴿مَا﴾ : نصباً .

﴿إِنَّمَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ﴿الآية﴾ . وذلك أَنَّ سليمان (عليه السلام) لما أقبلت بلقيس تريدهُ أمرَ الشياطين فبنوا له صرحاً أي قصرًا من زجاج كأنه الماء بياضاً ، وقيل : الصرح صحن الدار ، وأجرى من تحته الماء وألقى فيه كل شيء من دواب البحر ، السمك وغيره ، ثم وضع له سريره في صدرها فجلس عليه وحلقت عليه الطير والجن والإنس وإنما أمر ببناء هذا الصرح لأن الشياطين قال بعضهم لبعض : سخر الله لسليمان عليه السلام ما سخر وبلقيس ملكة سبأ ينكحها فتلد له غلاماً فلا تنفك من العبودية أبداً ، فأرادوا أن يزهّدوه فيها فقالوا : إن رجلها رجل حمار وإنها شعراء الساقين لأن أمها كانت من الجن فأراد أن يعلم حقيقة ذلك وينظر إلى قدميها وساقيها سليمان (عليه السلام)<sup>(٢)</sup> .

وروى محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال : إنما بنى الصرح ليختبر عقلها وفهمها ، يعاينها بذلك كما فعلت هي من توجيهها إليه الوصفاء والوصائف ليميز بين الذكور والإناث ، تعاينه بذلك ، فلما جاءت بلقيس قيل لها : ادخلي الصرح ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ : وهي معظم الماء وقال ابن جريج : يعنى بحرًا .

﴿وَكَشَفْتُ عَنْ سَاقَيْهَا﴾ : لتخوضه إلى سليمان عليه السلام ، فنظر سليمان فإذا هي أحسن الناس ساقاً وقدمًا إلا أنها كانت شعراء الساقين ، فلما رأى سليمان ذلك صرف بصره عنها وناداهما<sup>(٣)</sup> ﴿قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ﴾ : مملّس مستو ﴿مِنْ قَوَارِيرٍ﴾ : وليس ببحر ، فلما جلست قالت :

(١) زيادة يتطلبها السياق .

(٢) سبق أن علقنا على نحو هذا قبل قليل في تكبير العرش وبيننا أن ذلك من وضع أهل الكتاب على كتب أهل الإسلام حتى يشوهوا صورة الإسلام والمسلمين في نظر أولى العقول والأفهام الذين يظنون بالأنبيا الكمال ، وحاشا لله أن يفعل سليمان عليه السلام ما يفعل عبثاً أو لهواً وإنما يفعل ما يفعل دعوة ومصلحة للدين فيإسلام بلقيس أسلم أهل اليمن .

(٣) انظر إلى عجب الكلام كيف تكون من أحسن الناس ساقاً وتكون كثيرة الشعر فيهما ، أليس هذا تناقضاً ، أم أن الجمال صار لا يفرق بين الملساء الناعمة الملمس والشعراء الحشنة ، إن هذا العجب لعجب عجاب ، ممن يختلقون على أنبياء الله الكذب ثم لا يحترمون حتى عقول القارئ ، وهل كان سليمان عليه السلام يعجز عن معرفة حقيقة مثل هذه بأرخص الأثمان بل بلا ثمن أصلاً من أن يجعل امرأة من أهل بيته تنظر إلى ذلك منها بدلاً من أن يكلف جُنْدَهُ وخدمتهُ يعمل مثل هذا الصرح لمعرفة هذا الأمر البسيط ، فنقلوا القصة من الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ، إلى الجنس والشهوة واللذة عافانا الله وإياكم من سوء الظن بالله وأنبيائه ورسله وجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

يا سليمان إنّي أريد أن أسألك عن شيء .

قال : سلى .

قالت : أخبرني عن ما ماء رواء ولا من أرض ولا من سماء . وكان سليمان إذا جاءه شيء لا يعلمه سأل الإنس عنه ، فإن كان عندهم علم ذلك وإلا سأل الجن ، فإن علموا وإلا سأل الشياطين ، فسأل الشياطين عن ذلك فقالوا له : ما أهون هذا من الخيل فلتجر ثم املا الآنية من عرقها .

فقال لها سليمان : عرق الخيل ، قالت : صدقت ، ثم قالت : أخبرني عن لون الربّ ، فوثب سليمان عليه السلام عن سريره وخرّ ساجداً وصعق عليه فقامت عنه وتفرقت جنوده وجاءه الرسول فقال : يا سليمان يقول لك ربك : ما شأنك ؟

قال : يا رب أنت أعلم بما قالت ، قال : فإن الله يأمرك أن تعود إلى سريرك وترسل إليها وإلى من حضرها من جنودك وجنودها فتسألها وتسألهم عمّا سألتك عنه ، ففعل ذلك سليمان (عليه السلام) ، فلما دخلوا عليه قال لها : عمّاذا سألتني ؟

قالت : سألتك عن ماء رواء ليس من أرض ولا سماء فأجبت .

قال : وعن أيّ شيء سألتني أيضاً ؟

قالت : ما سألتك عن شيء إلا هذا فاسأل الجنود فقالوا مثل قولها ، أنساهم الله تعالى ذلك وكفى سليمان (عليه السلام) الجواب<sup>(١)</sup> ، ثم إن سليمان دعاها إلى الإسلام وكانت قد رأت حال العرش والصرح فأجابت وقالت : ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ﴾ : بالكفر ﴿ وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ : فحسن إسلامها .

واختلف العلماء في أمرها بعد إسلامها فقال أكثرهم : لما أسلمت أراد سليمان أن يتزوجها ، فلما همّ بذلك كره ما رأى من كثرة شعر ساقها وقال : ما أقبح هذا ! فسأل الإنس : ما يذهب هذا ؟

قالوا : موسى فقالت المرأة : لم تمسني حديدة قطّ ، فكره سليمان موسى وقال : إنها تقطع ساقها ، فسأل الجن فقالوا : لا ندرى ، ثم سأل الشياطين فتلكتوا ثم قالوا : إننا نحتال لك حتى تكون كالفضة البيضاء فاتخذوا لها النورة والحمام .

(١) انظر إلى كيفية سرد القصة وكأنهما ليس لهما هدف إصلاح ملكيهما أو دعوة الناس إلى ما يصلح شئونهم في الدنيا ولا في الآخرة وصورهما في صورة العابثين اللذين جلسا يتبادلان الفوازير والنكات ، ثم أخيراً تذكر أنه مكلف بدعوة هذه الملكة إلى الإسلام ، أخى المسلم عليك أن تميز أثناء قراءة الكتب ما يعرض عليك هل هو موافق للحق أم لا . واعلم أن دين الله موافق للظفرة السليمة .

قال ابن عباس : فإنه لأول يوم رؤيت فيه النورة واستنكحها سليمان عليه السلام .  
 أخبرني ابن فنجويه قال : حدثنا محمد بن أحمد بن نصرويه قال : حدثنا محمد بن عمران  
 ابن هارون قال : حدثنا محمد بن ميمون المكي قال : حدثني أبو هارون العطار عن أبي حفص  
 الأبار عن إسماعيل بن أبي بردة عن أبي موسى يبلغ به النبي ﷺ قال : « أول من اتخذ  
 الحمامات سليمان بن داود عليه السلام ، فلما ألزق ظهره إلى الجدر فمسّه حرّها قال : آوه من  
 عذاب الله » .

قالوا : فلما تزوّجها سليمان أحبّها حبّاً شديداً وأقرّها على ملكها وأمر الجن فابتنوا لها  
 بأرض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعاً وحسناً وهي : سلحون وسون وعمدان ،  
 ثم كان سليمان عليه السلام يزورها في كل شهر مرة بعد أن ردها إلى ملكها ، ويقيم عندها  
 ثلاثة أيّام يبتكر من الشام إلى اليمن ومن اليمن إلى الشام ، وولدت له فيما ذكر .

وروى ابن أبي إسحاق عن بعض أهل العلم عن وهب قال : زعموا أنّ سليمان بن داود  
 عليه السلام قال لبلقيس لما أسلمت وفرغ من أمرها : اختارى رجلاً من قومك أزوجك .

قالت : ومثلي يا نبي الله ينكح الرجال وقد كان لي في قومي من الملك والسلطان ما كان .

قال : نعم إنه لا يكون في الإسلام إلا ذلك ولا ينبغي لك أن تحرّمي ما أحل الله لك .

فقالت : زوّجني إن كان لا بدّ من ذلك ذاتبع ملك همذان فزوّجه إياها ثم ردها إلى اليمن  
 وسلّط زوجها ذاتبع على اليمن ، ودعا زوبعة أمير جن اليمن فقال : اعمل لذي تبع ما  
 استعملك فيه .

قال : فصنع لذي تبع الصنائع باليمن ثم لم يزل بها يعمل له فيها ما أراد حتى مات سليمان  
 ابن داود (عليه السلام) ، فلما أن حال الحول وتبيّنت الجن موت سليمان (عليه السلام) أقبل  
 رجلٌ منهم فسلك تهامة حتى إذا كان في جوف اليمن صرخ بأعلى صوته : يا معشر الجن إنّ  
 الملك سليمان قد مات فارفعوا أيديكم قال : فعمدت الشياطين إلى حجرين عظيمين فكتبوا  
 فيهما كتاباً بالمسند<sup>(١)</sup> نحن بنينا سلحين دائبين سبعة وسبعين خريفاً ، وبنينا صرواح ومرواح  
 وبنين وحاضة وهند وهنيدة ، وسبعة أمجلة بقاعة ، وتلثوم بريدة ، ولولا صارخ بتهامة لتركنا  
 بالبون إمارة ، وقال وسلحين وصرواح ومرواح وبنين وهند وهنيدة وتلثوم حصون كانت  
 باليمن عملتها الشياطين لذي تبع ، ثم رفعوا أيديهم وانطلقوا وتفرّقوا وانقضى ملك ذي تبع  
 وملك بلقيس مع ملك سليمان (عليه السلام) .

(١) جاء تحت هذه الكلمة في المخطوط بقلم دقيق بخط الناسخ عبارة : خط الحميرية .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ قَالَ  
يَتَقَوْمٍ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ قَالُوا  
أَطِئْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَبَّرَكُمُ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ  
رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ  
مَا شَهِدْنَا مَهْلِكِ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ وَمَكْرُأً مَكْرًا وَمَكْرًا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ فَأَنْظُرْ  
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ فَبَلَكَ يَوْمَهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ  
فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ وَأُنْحَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ﴾: يعنى بأن ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾: وحده ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ﴾:

مؤمن وكافر ومصدق ومكذب ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾: فى الدين.

قال مقاتل: واختصامهم مبين فى سورة الأعراف وهو قوله: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن  
قَوْمِهِ﴾ إلى قوله: ﴿يَصْلَحُ أَتْنَا بِمَا تَعِدْنَا إِن كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الأعراف: ٧٥-٧٧).

فقال لهم صالح: ﴿قَالَ يَتَقَوْمٍ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ بالبلاء والعقوبة ﴿قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾: العافية  
والرحمة، والاستعجال طلب التعجيل بالأمر، وهو الإتيان به قبل وقته. ﴿لَوْلَا﴾: هلا  
﴿تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ﴾: بالتوبة من كفركم ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ قَالُوا أَطِئْنَا: تشاء منا، وأصله تطيرنا  
﴿بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ﴾: وذلك أن المطر أمسك عنهم فى ذلك الوقت وقحطوا فقالوا: أصابنا هذا  
الضرر والشر من شؤمك وشؤم أصحابك، وإنما ذكر التطير بلفظ الشأم على عادة العرب  
ونسبتهم الشؤم إلى البارح، وهو الطائر الذى يأتى من جانب اليد الشموى وهى اليسرى.

﴿قَالَ طَبَّرَكُمُ﴾: من الخير والشر وما يصيبكم من الخصب والجذب ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾: بأمره وهو  
مكتوب على رؤوسكم، لازم أعناقكم، وليس ذلك إلى ولا علمه عندى.

﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾: قال ابن عباس: تُخْتَبَرُونَ بالخير والشر، نظيره ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ  
فِتْنَةً﴾ (الأنبياء: ٣٥).

الكلبي: تُفْتَنُونَ حتى تجهلوا أنه من عند الله سبحانه وتعالى.

محمد بن كعب: تُعَذَّبُونَ بذنوبكم وقيل: تمتحنون بإرسالى إليكم لثابوا على طاعتكم  
ومتابعى، وتعاقبوا على معصيتى ومخالفتى.

﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ﴾: يعنى مدينة ثمود وهى الحجر ﴿تِسْعَةَ رَهْطٍ﴾: من أبناء أشرافهم

﴿يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾: وأسماءُهم قدار بن سالف ومصدع بن دهر وأسلم ورهمى وبرهم ودعوى وعيم وقتال وصداف .

﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا﴾: تحالفوا ﴿بِاللَّهِ﴾: أيها القوم وموضع تقاسموا جزم على الأمر كقوله: ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ﴾ (الإسراء: ٨٨) وقال قوم من أهل المعانى: محله نصب على الفعل الماضى يعنى أنهم تحالفوا وتوثقوا، تقديره: قالوا متقاسمين بالله، ودليل هذا التأويل أنها فى قراءة عبد الله: ولا يصلحون تقاسموا بالله، وليس فيها قالوا.

﴿أُنَبِّئْتَهُ وَأَهْلَهُ﴾: من البيات فقتله، هذه قراءة العامة بالنون فيهما واختيار أبى حاتم، وقرأ يحيى والأعمش وحمزة والكسائى: لتبيئته ولتقولن بالتاء فيهما وضم التاء واللام على الخطاب واختاره أبو عبيد، وقرأ مجاهد وحميد بالتاء فيهما وضم التاء واللام على الخبر عنهم .

﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا﴾: ما حضرنا ﴿مَهْلِكٌ أَهْلِيهِ﴾: أى إهلاكهم، وقرأ عاصم برواية أبى بكر مهلك بفتح الميم واللام، وروى حفص عنه بفتح الميم وكسر اللام، وهما جميعاً بمعنى الهلاك ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾: فى قولنا: إننا ما شهدنا ذلك .

﴿وَمَكْرُؤًا مَكْرًا﴾: وغدروا غدراً حين قصدوا تبييت صالح والفتك به ﴿وَمَكْرًا مَكْرًا﴾: وجزيئناهم على مكرهم بتعجيل عقوبتهم ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ فأنظر كيف كان عاقبة مكرهم ﴿أَنَا﴾: قرأ الحسن والأعمش وعاصم وحمزة والكسائى أنا بفتح الألف ولها وجهان: أحدهما: أن يكون أنا فى محلّ الرفع رداً على العاقبة .

والثانى: النصب على تكرير (كان) تقديره: كان عاقبة مكرهم التدمير، واختار أبو عبيد هذه القراءة اعتبار الحرف أى أن دمرناهم، وقرأ الباقون: إننا بكسر الألف على الابتداء .  
﴿دَمَّرْنَاهُمْ﴾: يعنى أهلكننا التسعة، واختلفوا فى كيفية هلاكهم .

فقال ابن عباس: أرسل سبحانه الملائكة فامتلات بهم دار صالح فأتى التسعة الدار شاهرين سيوفهم فرمتهم الملائكة بالحجارة من حيث يرون الحجارة ولا يرون الملائكة فقتلتهم .  
قال قتادة: خرجوا مسرعين إلى صالح فسلب الله عليهم صخرة فدمغتهم .  
مقاتل: نزلوا فى سفح جبل ينتظر بعضهم بعضاً ليأتوا دار صالح، فجثم عليهم الجبل فأهلكهم .

السدى: خرجوا ليأتوا صالحاً فزلقوا خرقاً من الأرض يتمكنون فيه فانهار عليهم .  
﴿وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾: بالصيحة وقد مضت القصة .

﴿فَبَلَكَ يَوْمَهُمْ خَاوِيَةً﴾: خالية، قراءة العامة بالنصب على الحال عن الفراء والكسائي وأبو عبيدة عن القطع مجازة: فتلك بيوتهم الخاوية، فلما قطع منها الألف واللام نصبت كقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ وَاصِبًا﴾ (النحل: ٥٢) وقرأ عيسى بن عمر ﴿خَاوِيَةً﴾: بالرفع على الخبر ﴿بِمَا ظَلَمُوا﴾: أى بظلمهم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾: لعبرة ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ وَأَخْبَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾: من صيحة جبريل، والخراج الذى ظهر بأيديهم.

قال مقاتل: خرج أول يوم على أيديهم مثل الحمصة احمر ثم اصفر من الغد، ثم اسودّ اليوم الثالث، ثم تفتّقت، وصاح جبريل (عليه السلام) فى خلال ذلك فحمدوا، وكانت الفرقة المؤمنة الناجية أربعة آلاف، خرج بهم صالح إلى حضرموت، فلما دخلها صالح مات، فسمى (حضرموت).

قال الضحّاك: ثم بنى الأربعة آلاف مدينة يقال لها: (حاضورا) وقد مضت القصة جميعاً.



﴿وَلَوْ طَآ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ أَيْتَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَظْهَرُونَ﴾ فَأَخْبَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ وَقَدَرْنَا مِنْ الغَافِرِينَ﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذِرِينَ﴾ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ؕ ءَآلَهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ﴾

﴿وَلَوْ طَآ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحِشَةَ﴾: وهى الفعلة القبيحة الشنيعة ﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾: أنها فاحشة، وقيل: يرى بعضكم بعضاً. كانوا لا يتسترون عتواً منهم وعمداً، ﴿أَيْتَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَظْهَرُونَ﴾: من أدبار الرجال، يقولونه استهزاءً منهم بهم ﴿فَأَخْبَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ﴾: وأهله ﴿قَدَرْنَا﴾: قضينا عليها أنها ﴿مِنَ الغَافِرِينَ﴾: أى الباقين فى العذاب وقال أهل المعانى: معنى ﴿قَدَرْنَا﴾: جعلناها ﴿مِنَ الغَافِرِينَ﴾ وإنما قال ذلك لأن جرمها على مقدار جرمهم، فلما كان تقديرها كتقديرهم فى الشرك والرضى بأفعالهم القبيحة، جرت مجراهم فى إنزال العذاب بها ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾: أى على شذاذها ﴿مَطَرًا﴾: وهو الحجارة ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذِرِينَ﴾ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: قال الفراء: قيل للوط: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: على هلاك كفار قومى.



وقال الباقون: الخطاب لرسول الله ﷺ، يعنى و﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على هلاك كفار الأمم الخالية، وقال مقاتل: على ما علمك هذا الأمر. الآخرون: على جميع نعمه.

﴿وَسَلَّمَ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ أَصْطَفَىٰ﴾: لرسالاته وهم الأنبياء (عليهم السلام)، عن مقاتل، دليhle قوله: ﴿وَسَلَّمَ عَلَىٰ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الصفات: ١٨١) وأخبرنى عبد الله بن حامد قال: أخبرنا السدى. قال: حدثنا أحمد بن نجدة. قال: حدثنا الحكم بن طهر، عن السدى، عن أبى مالك، عن ابن عباس ﴿وَسَلَّمَ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ أَصْطَفَىٰ﴾ قال: أصحاب محمد (عليه السلام). وأخبرنى عبد الرحيم بن إبراهيم بن محمد العدل بقراءتى عليه، قال: أخبرنى عبد الله بن محمد بن مسلم، فيما أجازة لى أن محمد بن إدريس حدثهم، قال: حدثنا الحميدى. قال: سمعت سفيان سئل عن ﴿عِبَادِهِ الَّذِينَ أَصْطَفَىٰ﴾: قال: هم أصحاب محمد.

وقال الكلبي: هم أمة محمد اصطفاهم الله لمعرفة وطاعته، ثم قال إلزاماً للحجة: ﴿ءَآلَهُ﴾ القراءة بهمزة ممدودة وكذلك كل استفهام فيه ألف وصل، مثل قوله: (الذين وآلن) جعلت المدّة علماً بين الاستفهام والخبر، ومعنى الآية: الله الذى صنع هذه الأشياء ﴿خَيْرٌ أَمَا يَشْرِكُونَ﴾ من الأصنام، وقرأ عاصم وأهل البصرة (بالياء)، والباقون (بالتاء)، وكان النبى (عليه السلام) إذا قرأ هذه الآية قال: «بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم».



﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ؕ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلٌّ هُمْ فَوُّرٌ يَعْدِلُونَ ۗ﴾ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلْفَهَا أَنْهْرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًّا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ؕ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلٌّ أَكْثَرُ هُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۗ﴾ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ؕ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ۗ﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ؕ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ تَعَلَىٰ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۗ﴾ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ؕ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قُلٌّ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۗ﴾ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ۗ﴾ بَلِ أَدْرَاكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ۗ﴾

﴿أَمَّنْ﴾ : قال أبو حاتم: فيه إضمار كأنه قال: آلهتكم خير أم الذي ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ حَذَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ : حُسن .  
 ﴿مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾ : هو (ما) النفي ، يعني ما قدرتم عليه ﴿أَءَلِهَةٌ مَعَ اللَّهِ﴾ : يعينه على ذلك ، ثم قال : ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ﴾ يشركون ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ : لا تميد بأهلها ﴿وَجَعَلَ خِلْفَهَا﴾ : وسطها ﴿أَنْهَرًا﴾ : تطرد بالمياه ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي﴾ : جبالات ثوابت ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ﴾ : العذب والملح ﴿حَاجِرًا﴾ : مانعاً لئلا يختلطوا ولا يبغي أحدهما على صاحبه ، وقيل : أراد الجزائر ﴿أَءَلِهَةٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ : أمنٌ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ : أي المجهود ، وعن ابن عباس وقال السدي : المضطر الذي لا حول له ولا قوة ، ذو النون : هو الذي قطع العلائق عمّا دون الله ، أبو حفص وأبو عثمان النيسابوريان : هو المفلس .

وسمعت أبا القاسم الحسن بن محمد يقول : سمعت أبا نصر منصور بن عبد الله الأصبهاني يقول : سمعت أبا الحسن عمر بن فاضل العنزي يقول : سمعت سهل بن عبد الله التستري يقول : ﴿الْمُضْطَرُّ﴾ الذي إذا رفع يديه إلى الله داعياً لم يكن له وسيلة من طاعة قدمها ﴿وَيَكْتِيفُ السُّوءَ﴾ : أي الضرر ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ : يهلك قرناً وينشئ آخرين ﴿أَءَلِهَةٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ : أمنٌ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ : إذا سافرتم .

﴿وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِي﴾ : قدّام رحمته ﴿أَءَلِهَةٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ : أمنٌ يَبْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ : للبعث ﴿وَمَنْ يُزِقْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ﴾ : المطر ﴿وَالْأَرْضِ﴾ : النبات ﴿أَءَلِهَةٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ : حجّتكم على قولكم إن مع الله إلهاً آخر ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ : قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ : نزلت في المشركين حيث سألوا رسول الله ﷺ عن وقت قيام الساعة .

قال الفراء : وإنما رفع ما بعد ﴿إِلَّا﴾ : لأنّ قبلها جحداً كما يقال : ما ذهب أحد إلا أبوك ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ﴾ : متى ﴿يُبْعَثُونَ﴾ : قالت عائشة : من زعم أنّه يعلم ما في غد فقد أعظم على الله الفرية ، والله عز وجل يقول : ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ .

أخبرنا أبو زكريا الحرى قال : أخبرنا أبو حامد الأعمش قال : حدثنا علي بن حشرم قال حدثنا الفضل بن موسى ، عن رجل قد سمّاه قال : كان عند الحجاج بن يوسف منجم ، فأخذ الحجاج حصيات بيده قد عرف عددها فقال للمنجم : كم في يدي ؟ فحسب ، فأصاب المنجم ، ثمّ اعتقله الحجاج فأخذ حصيات لم يعددهنّ ، فقال للمنجم : كم في يدي ؟ فحسب ، فحسب ، فأخطأ ثمّ حسب أيضاً ، فأخطأ ، فقال : أيها الأمير أظنك لا تعرف عددها في يدك .

قال: فما الفرق بينهما؟! قال: إن ذاك أحصيته فخرج من حد الغيب، فحسبت فأصبت، وإن هذا لم تعرف عددها، فصار غيباً، ولا يعلم الغيب إلا الله عز وجل. ﴿بَلِ آدَارِكُ﴾: اختلف القراء فيه، فقرأ ابن عباس بلى بإثبات الياء ﴿آدَارِكُ﴾: بفتح الألف وتشديد الدال على الاستفهام.

روى شعبة عن أبي حمزة قال: قال لى ابن عباس: فى هذه الآية ﴿بَلِ آدَارِكُ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ﴾: أى لم يدرك، قال الفراء: وهو وجه جيد كأنه يوجهه إلى الاستهزاء بالملكذبن بالبعث، لقولك للرجل تكذبه: بلى لعمري لقد أدركت السلف فأنت تروى ما لا تروى، وأنت تكذبه. وقرأ الحسن ويحيى بن وثاب والأعمش وشيبة ونافع وعاصم وحمزة والكسائي ﴿بَلِ آدَارِكُ﴾: بكسر اللام وتشديد الدال أى تدارك وتتابع ﴿عَلِمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾: هل هى كائنة أم لا؟ وتصديق هذه القراءة أنها فى حرف أبى أم تدارك ﴿عَلِمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾: والعرب تضع بل موضع أم، وأم موضع بل إذا كان فى أوّل الكلام استفهام كقول الشاعر:

فوالله ما أدري أسلمى تغولت أم البوم أم كلُّ إلى حبيب

أى بل كلُّ إلى حبيب، ومعنى الكلام هل تتابع علمهم بذلك فى الآخرة، أى لم يتتابع فصل وغاب علمهم به فلم يبلغوه ولم يدركوه؛ لأن فى الاستفهام ضرباً من الجحد، وقرأ أبو جعفر ومجاهد وحميد وابن كثير وأبو عمرو ﴿بَلِ آدَارِكُ﴾: من الإدراك أى لم يدرك علمهم علم فى الآخرة، وقال مجاهد: معناه يدرك علمهم فى الآخرة ويعلمونها إذا عاينوها حين ينفعهم علمهم لأنهم كانوا فى الأنبياء مكذّبين، وقيل بل ضلّ وغاب علمهم فى الآخرة فليس فيها لهم علم، ويقال: اجتمع علمهم فى الآخرة أنها كائنة وهم فى شك من وقتهم.

﴿بَلِ هُمْ فِي شَكِّ مَنِّي بَلِّ هُمْ مَنِّي عَمُونَ﴾: أى جهلة واحدها عمى، وقرأ سليمان بن يسار وعطاء بن يسار (تدارك): غير مهموزة، وقرأ ابن محيصن (أءدرك): على الاستفهام، أى لم تدرك، وحمل القول فيه أن الله سبحانه أخبر رسوله ﷺ أنهم إذا بعثوا يوم القيامة استوى علمهم بالآخرة وما وعدوا فيه من الثواب والعقاب، وإن كانت علومهم مختلفة فى الدنيا وإن كانوا فى شك من أمرها بل جاهلون به.

وسمعت بعض العلماء يقول فى هذه الآية: إن حكمها ومعناها لو أدرك علمهم فيما هم فى شك منها حيث هم منها عمون على تعاقب الحروف.



﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَّءَابَاؤُنَا أَنِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿١﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَّءَابَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِن هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٣﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَكْرَهُونَ ﴿٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٥﴾ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٦﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٨﴾ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٩﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُضُّ عَلَىٰ نَبِيِّ إِسْرَاءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٠﴾ وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿١٢﴾ فَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿١٣﴾ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمَعُ الدَّعَاءَ إِذَا وَلُوا مَدِيرِينَ ﴿١٤﴾ وَمَا أَنتَ بِهَدَى الْعَمَىٰ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعْ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٥﴾ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: يعنى مشركى مكة ﴿أءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَّءَابَاؤُنَا أَنِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾: من قبورنا أحياء ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا﴾: البعث ﴿نَحْنُ وَّءَابَاؤُنَا مِن قَبْلُ﴾: وليس ذاك بشىء ﴿إِن هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: أحاديثهم وأكاذيبهم التى كتبها.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾: ولا تحزن ﴿ولا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَكْرَهُونَ﴾: نزلت فى المستهزئين الذين أقسموا بمكة وقد مضت قصتهم.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ: أى دنا وقرب لكم، وقيل: تبعكم.

وقال ابن عباس: حضركم، والمعنى: ردفكم، فأدخل اللام كما أدخل فى قوله: ﴿لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٤) و﴿لِلرَّءِيَا تَعْبُرُونَ﴾ (يوسف: ٤٣): وقد مضت هذه المسألة.

قال الفراء: اللام صلة زائدة كما يقول تقديرها به ويقدر له ﴿بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾: من العذاب فحل بهم ذلك يوم بدر ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾: وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ: تخفى ﴿صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾: وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ: أى مكتوم سر وخفى أمر،

وإنما أدخل الهاء على الإشارة إلى الجمع .

﴿فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ : وهو اللوح المحفوظ .

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُضُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ : من أمر الدين ﴿وَإِنَّهُ﴾ :

يعنى القرآن ﴿لَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ : أى بين المختلفين فى الدين يوم القيامة ﴿بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ : المنيع فلا يرد له أمر ﴿الْعَلِيمُ﴾ : بأحوالهم فلا يخفى عليه شىء .

﴿فَمَوْكَلٌ عَلَىٰ اللَّهِ إِنَّكَ عَلَىٰ الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ : البين ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى﴾ : الكفار كقوله ﴿أَوْ مَن كَانَ

مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ (الأنعام: ١٢٢) وقوله ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ (فاطر: ٢٢) .

﴿وَلَا تَسْمَعُ الصُّرُءَ الدُّعَاءَ إِذَا وُلُّوا مُذْبِرِينَ﴾ نظيره ﴿صُمُّ بَكْرُ عَتَى﴾ (البقرة: ١٨/١٧١) .

﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعَمَىٰ عَن ضَلَالَتِهِمْ﴾ : قرأ العامة على الاسم ، وقرأ يحيى والأعمش

وحمزة يهدى العمى بالياء ونصب الياء على الفعل ههنا وفى سورة النمل ﴿إِن تَسْمَعُ﴾ : وتفهم

﴿إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ : بأدلتنا وحجتنا ﴿فَهُمْ مُّسْلِمُونَ﴾ : فى علم الله سبحانه وتعالى .

﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ﴾ : وجب العذاب والسخط ﴿عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ قراءة

العامة بالتشديد من التكلم وتصديقهم ، وقرأ أبى : تنبهم .

قال السدى : تكلمهم ببطلان الأديان سوى دين الإسلام ، وقرأ أبو رجاء العطاردى :

تكلمهم بفتح التاء وتخفيف اللام من الكلم وهو الحرج أى تسمهم .

قال أبو الجوزاء : سألت ابن عباس عن هذه الآية يكلمهم أو تكلمهم فقال : كل ذلك يفعل

تكلم المؤمن ويكلم الكافر . ﴿أَنَّ النَّاسَ﴾ وقرأ ابن أبى إسحاق وأهل الكوفة بالنصب وقرأ

الباقون بالكسر .

﴿كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ : قبل خروجها .

ذكر الأخبار الواردة فى صفة دابة الأرض وكيفية خروجها

أخبرنا الشيخ أبو محمد عبد الله بن حامد الأصبهاني قال : أخبرنا محمد بن إسحاق ، قال

حدثنا عبد الله بن محمد بن رسمويه قال : حدثنا الحكم بن بشير بن سليمان ، عن عمرو بن

قيس الملائى ، عن عطية ، عن ابن عمر ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾

قال : حين لا يأمرؤن بالمعروف ولا ينهون عن المنكر .

أخبرنا عبد الله بن حامد الأصفهاني عن أحمد بن عبد الله بن سليمان قال : أخبرنى أبو

عبد الله بن فنجويه قال : أخبرنا أبو بكر بن خريجة حدثنا محمد بن عبد الله بن سليمان

الحضرمى عن ميثم بن مينا الجهنى عن عمرو بن محمد العبقرى عن طلحة بن عمرو عن

عبد الله بن عمير الليثي عن أبي شريحة الأنصاري عن النبي ﷺ أنه قال: «يكون للدابة ثلاث خرجات من الدهر فتخرج خروجاً بأقصى اليمن فيفشو ذكرها بالبادية ولا يدخل ذكرها القرية - يعنى مكة - ثم يمر زمان طويل ، ثم تخرج خرجة أخرى قريباً من مكة فيفشو ذكرها بالبادية ويدخل ذكرها القرية - يعنى مكة - فيينا الناس يوماً فى أعظم المساجد على الله حرمة وأكرمها على الله سبحانه - يعنى المسجد الحرام - لم ترعهم إلا وهى فى ناحية المسجد تدنو كذا ما بين الركن الأسود إلى باب بنى مخزوم عن يمين الخارج فى وسط من ذلك فينفض الناس عنها وتثبت لها عصابة عرفوا أنهم لم يعجزوا الله فخرجت عليهم تنفض رأسها من التراب فمرت بهم فجلت عن وجوههم حتى تركتها كأنها الكواكب الدرّية ثم ولّت فى الأرض لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب ، حتى إنّ الرجل ليقوم فيتعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول : يا فلان الآن تصلى ، فيقبل عليها بوجهه فتسمه فى وجهه ، ويتجاور الناس فى ديارهم ويصلحون فى أسفارهم ويشتركون فى الأموال يُعرف الكافر من المؤمن فيقال : للمؤمن يا مؤمن وللكافر يا كافر» .

وأخبرنى ابن محمّد بن الحسين الثقفى ، عن عمر بن أحمد بن القاسم النهاوندى ، عن محمّد بن عبد الغفّار الزرقانى ، عن أحمد بن محمّد بن هانئ الطائى ، عن محمّد بن النضر بن محمّد الأودى ، عن أبيه ، عن سفیان الثورى ، عن شهاب بن عبد ربّه الرحمن ، عن طارق بن عبد الرحمن ، عن ربعى بن خراش ، عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ : «دابة الأرض طولها سبعون ذراعاً لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب تسم المؤمن بين عينيه وتكتب بين عينيه مؤمن وتسم الكافر بين عينيه وتكتب بين عينيه كافر ، ومعها عصا موسى وخاتم سليمان (عليهما السلام)» .

وأخبرنى الحسين بن محمّد قال : أخبرنى أبو بكر مالك القطيعى عن عبد الله بن أحمد بن حنبل ، عن أبى ، عن بهز عن حمّاد عن على بن زيد عن أوس بن خالد عن أبى هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال : «تخرج الدابة معها عصا موسى وخاتم سليمان فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتختم أنف الكافر بالخاتم ، حتى إنّ أهل الخوان ليجمعون فيقولون : هذا يا مؤمن ويقولون هذا يا كافر» .

وأخبرنا الحسين بن محمّد عن عبد الله بن محمّد بن شنبه عن الحسن بن يحيى عن ابن جريج عن أبى الزبير أنّه وصف الدابة فقال : رأسها رأس الثور ، وعينها عين خنزير ، وأذنها أذن فيل ، وقرنها قرن آيل ، وصدرها صدر الأسد ، ولونها لون نمر ، وخاصرتها خاصرة هرة ،

وذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم البعير، وبين كل مفصلين اثنا عشر ذراعاً معها عصا موسى وخاتم سليمان، ولا يبقى مؤمن إلا نكته في مسجده بعصا موسى نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة حتى يضىء لها وجهه، ولا يبقى كافر إلا وتنكت وجهه بخاتم سليمان فتفشو تلك النكتة فيسود لها وجهه، حتى إن الناس يتعاونون في الأسواق بكمّ يا مؤمن وبكم يا كافر، ثم تقول لهم الدابة، يا فلان أنت من أهل الجنة ويا فلان أنت من أهل النار، وذلك قول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً...﴾ الآية.

وأخبرنا الحسين بن محمد عن ابن شنبه عن ابن عمر، وعن سفيان بن وكيع عن الوليد بن عبد الله بن جميع عن عبد الملك بن المغيرة الطائفي عن أبي اليلمانى عن ابن عمر قال: تخرج الدابة ليلة جمع والناس يسيرون إلى منى قال: فتحمل الناس بين يديها وعجزها، لا يبقى منافق إلا خطمته ولا مؤمن إلا مسحته.

وأخبرنى الحسين بن محمد عن عمر بن الخطاب عن عبد الله بن الفضل عن إبراهيم بن محمد بن عرعة عن عبيد الله بن عبد المجيد الحنفى عن فرقد بن الحجّاج القرشى قال: سمعت عقبه بن أبى الحساء اليمانى قال: سمعت أبا هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تخرج دابة الأرض من موضع جباد فيبلغ صدرها الركن ولما يخرج ذنبها بعد قال: وهى دابة ذات وبر وقوائم».

وأخبرنى الحسن قال: حدّثنا على بن محمد بن لؤلؤ قال: أخبرنا أبو عبيد محمد بن أحمد ابن المؤمل قال: حدّثنا أبو جعفر محمد بن جعفر الأحول قال: حدّثنا منصور بن عمّار قال: حدّثنا ابن لهيعة، عن أبى قبيل، عن عبد الله بن عمرو أنه ضرب أرض الطائف برجله وقال: من هاهنا تخرج الدابة التى تكلم الناس، وأخبرنى عقيل بن محمد الجرجانى الفقيه قال: حدّثنا أبو الفرج المعافى بن زكريا البغدادي قال: أخبرنا أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى قال: حدّثنا أبو كريب قال: حدّثنا الأشجعى، عن فضل بن مرزوق، عن عطية، عن ابن عمر قال: تخرج الدابة من صدع فى الصفا كجرى الفرس ثلاثة أيام وما خرج ثلثها.

وبه عن محمد بن جرير قال: حدّثنى عصام بن بندار بن الجراح قال: حدّثنا أبى قال حدّثنا سفيان بن سعيد قال: حدّثنا المنصور بن المعتمر، عن ربيع بن خراش قال: سمعت حذيفة بن اليمان قال: ذكر رسول الله ﷺ الدابة، قلت: يا رسول الله من أين تخرج؟ قال: «من أعظم المساجد حرمة على الله، بينما عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون؛ إذ تضطرب الأرض تحتهم من تحرك القنديل وينشق الصفا ممّا يلى المسعى، وتخرج الدابة من الصفا أول ما يبدو رأسها

ملمعة ذات وبر وريش ، لن يدركها طالب ، ولا يفوتها هارب ، تسمى الناس مؤمناً وكافراً ، أما المؤمن فترك وجهه كأنه كوكب دُرِّي ، وتكتب بين عينيه : مؤمن ، وأما الكافر فترك بين عينيه نكتة سوداء وتكتب بين عينيه : كافر .

وبه عن محمد بن جرير قال : حدثني أبو عبد الرحمن الرقي قال : حدثنا ابن أبي مزينة قال : حدثنا ابن لهيعة ويحيى بن أيوب قالوا : حدثنا ابن الهاد ، عن عمرو بن الحكم أنه سمع عبد الله بن عمر يقول : تخرج الدابة من شعب ، فيمس رأسها السحاب ورجلاها في الأرض ما خرحتا ، فتمر بالإنسان يصلى ، فتقول : ما الصلاة من حاجتك ، فتخطمه وقال وهب : وجهها وجه رجل وسائر خلقها كخلق الطير فتخبر من رآها أن أهل مكة كانوا بمحمد والقرآن لا يوقنون ، وفي هذا تصديق لقراءة من فتح أن .

وقال كعب : صورتها صورة الحمار ، وروى ابن جريج وروح ، عن هشام ، عن الحسن أن موسى (عليه السلام) سأل ربه أن يريه الدابة ، فخرجت ثلاثة أيام ولياليهن تذهب في السماء ، وأشار بيده لا يرى واحداً من طرفيها ، فرأى منظرًا فظيعاً ، فقال : ربّ ردّها ، فردّها<sup>(١)</sup> .



﴿ وَيَوْمَ نَخَشِرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ وَقَالَ  
 أَكْذَبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَا ذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا  
 فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنَا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِن فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ  
 يُؤْمِنُونَ ﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنُزِعَ مِنَ السَّمَاءَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ  
 وَكُلُّ أَتَوَةٍ دَاخِرِينَ ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي  
 أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّمَّهَا وَهُم مِّنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ  
 ءَامِنُونَ ﴿ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكَيْتٌ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿ إِنَّمَا  
 أَمَرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ

(١) كل ما سبق من أحاديث في أمر الدابة لا يخلو من ضعف وفيها ما هو موضوع وليس المقام مقام مناقشة الأحاديث وصحتها على التفصيل ، وإنما أردت أن أشير إشارة مجملية إلى هذه النوعية من الأحاديث وعلى العموم فخير الدابة عند ربي سبحانه وتعالى أخفاه لحكمة يعملها .



الْمُسْلِمِينَ ﴿٢٧﴾ وَأَنْ أَتَلُوا الْقُرْآنَ أَنْ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَأِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾

قوله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ نَخْشِرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ جماعة ﴿مَنْ يَكْذِبْ بِآيَاتِنَا فَهَمْ يُوزَعُونَ﴾: يحبس أولهم على آخرهم ليجتمعوا ثم يُساقون إلى النار، وقال ابن عباس: يوزعون: يدفعون ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُو﴾: يوم القيامة ﴿قَالَ﴾: الله سبحانه لهم ﴿أَكْذَبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عَلْمًا﴾: ولم تعرفوا حق معرفتها ﴿أَمَّا إِذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: فيها من تكذيب أو تصديق، وقيل: هو توبيخ، أى ماذا كنتم تعملون حين لم تبحثوا عنها، ولم تفكروا فيها؟

﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ﴾: ووجب العذاب ﴿عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا﴾: أشركوا ﴿فَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾: لأن أفواههم مختومة. وقال أكثر المفسرين: ﴿فَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾: بحجة وعذر، نظيره قوله سبحانه: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ ولا يُؤذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿المرسلات: ٣٥، ٣٦﴾ ﴿الْمُرِيرُوا أَنَا جَعَلْنَا﴾ خلقنا ﴿الْيَلَّ لَيْسَكُوا فِيهِ وَالنَّهَارُ مُبْصِرًا﴾: مضيئاً يُبْصِرُ فِيهِ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾: الذى ذكرت ﴿لَا يَلَيْتُ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: يصدقون فيعتبرون قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ وهى النفخة الأولى.

أخبرنا محمد عبد الله بن حامد الوزان قال: أخبرنا محمد بن جعفر بن يزيد الصيرفى قال: حدثنا على بن حرب قال: حدثنا أسباط قال: حدثنا سلمان التميمى، عن أسلم العجلي، عن بشر بن شغاف، عن عبد الله بن عمرو قال: جاء أعرابى إلى النبى ﷺ فسأله عن الصور، فقال: «قرن ينفخ فيه».

وقال مجاهد: الصور كهيئة البوق، وقيل: هو بلغة أهل اليمن، وعلى هذا أكثر المفسرين، يدل عليه قول النبى ﷺ: «كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن، وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ».

وقال قتادة وأبو عبيدة: هو جمع صورة يقال: صورة وصور، وصور: مثل سور البناء والمسجد، وجمعها سور وسور وأنشد أبو عبيدة:

❖ سرت إليها فى أعالى السور ❖

فمعنى الآية: ونفخ فى صور الخلق.

وقد ورد فى كيفية نفخ الصور حديث جامع صحيح وهو ما أخبرنا الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم المهرجاني قراءة عليه أبو بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعى ببغداد، قال: أخبرنى أبو قلابة الرقاشى قال: أخبرنى أبو عاصم الضحاك بن مخلد،

عن إسماعيل بن رافع، عن محمد بن كعب القرظي، عن رجل من الأنصار، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاها إسرافيل وهو واضعه على فيه، شاخص بصره إلى العرش ينتظر متى؟» قال: قلت: يا رسول الله وما الصور؟ قال: القرن، قال: قلت: كيف هو؟ قال: عظيم، والذي بعثني بالحق إن عظم داره فيه كعرض السماء والأرض، فينفخ فيه بثلاث نفخات: الأولى نفخة الفزع، والثانية نفخة الصعق، والثالثة نفخة القيام لرب العالمين، فأمر الله عز وجل إسرافيل (عليه السلام) بالنفخة الأولى فيقول: انفخ الفزع فيفزع من في السموات والأرض إلا من شاء الله، فيأمره فيمدّها ويطيّلها وهو الذي يقول الله عز وجل: ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مِّمَّا هِيَ مِنْ قَوَاقِرٍ﴾ (ص: ١٥) فيسير الله عز وجل الجبال فيمرّ من السحاب فيكون سرايباً، وترجّ الأرض بأهلها رجاً فيكون كالسفينة الموثقة في البحر، تضربها الأمواج وتلقيها الرياح، أو كالقنديل المعلق بالعرش يرجّحه الأرواح وهي التي يقول الله عز وجل: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۖ تَتَّبِعُهَا الرِّازِدَةُ ۖ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ (النازعات: ٦-٨) فتمتدّ الأرض بالناس على ظهرها فتذهل المراضع وتضع الحوامل ويشيب الولدان، وتطير الشياطين هاربة من الفزع حتى يأتي الأقطار فتلقاها الملائكة تضرب وجوهنا، فيرجع ويولّي الناس مدبرين ينادى بعضهم بعضاً، وهو الذي يقول الله عز وجل: ﴿يَوْمَ التَّنَادِ ۖ يَوْمَ تُولُون مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ (غافر: ٣٢، ٣٣).

فينا هم كذلك إذ تصدّعت الأرض من قطر إلى قطر ورأوا أمراً عظيماً لم يروا مثله، وأخذهم من الكرب والهول ما الله به عليم، ثم نظروا إلى السماء فهى كالمهل، ثم انشقت فتناثرت نجومها وانكشفت شمسها وقمرها.

قال رسول الله ﷺ: «والأموات يومئذ يعلمون بشيء من ذلك».

قال أبو هريرة: يا رسول الله فمن استثنى الله عز وجل حيث يقول: ﴿فَفَزَعَنَا مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾.

قال ﷺ: «أولئك هم الشهداء وإنما يصل الفزع إلى الأحياء وهم أحياء عند ربهم يرزقون ووقبهم الله فزع ذلك اليوم وأمهم، وهو عذاب بعثه الله تعالى إلى شرار خلقه، وهو الذي يقول الله: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَتَقْوَأ رَبَّكُمْ إِنْ زُلْزَلَةُ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (الحج: ١، ٢) فيمكثون في ذلك البلاء ما شاء الله إلا أنه يطول عليهم، ثم يأمر الله عز وجل إسرافيل فينفخ نفخة الصعق ﴿فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ (الزمر: ٦٨): فإذا اجتمعوا جاء ملك الموت إلى الجبار ويقول: قد مات أهل السماء والأرض إلا

من شئت، فيقول الله سبحانه وهو أعلم بمن بقى فقال: أى ربّ بقيت أنت الحىّ الذى لا تموت، وبقي حملة العرش، وبقي جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، وبقيت أنا فيقول الله عزّ وجلّ فيموت جبرائيل وميكائيل فينطق الله العرش فيقول: أى ربّ يموت جبرائيل وميكائيل، فيقول: اسكت إنى كتبت الموت على كلّ من تحت عرشى فيموتان.

ثمّ يأتى ملك الموت فيقول: أى ربّ قد مات جبرائيل وميكائيل فيقول وهو أعلم بمن بقى فيقول: بقيت أنت الحىّ الذى لا تموت وبقيت حملة عرشك فيقول ليتمت حملة عرشى فيموتون، فيأمر الله العرش فيقبض الصور من إسرافيل فيموت.

ثمّ يأتى ملك الموت فيقول: يا ربّ قد مات حملة عرشك فيقول وهو أعلم بمن بقى فيقول: بقيت أنت الحىّ الذى لا تموت وبقيت أنا فقال: أنت خلق من خلقى خلقتك لما رأيت فمت فيموت فإذا لم يبق إلاّ الله الواحد الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وكان آخراً كما كان أولاً طوى السموات كطى السجلّ للكتب.

ثمّ قال: أنا الجبار، لمن الملك اليوم، ولا يجيبه أحد، ثمّ يقول تبارك وتعالى جلّ ثناؤه وتقدّست أسماؤه: لله الواحد القهار ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ (إبراهيم: ٤٨) ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ﴾ (الزمر: ٦٧) فيسطها بسطاً ثمّ يمدها مدّ الأديم العكافى ﴿لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ (طه: ١٠٧).

ثمّ يزر الله الخلق زجرة واحدة، فإذا هم فى هذه الأرض المبدّلة فى مثل ما كانوا فيه من الأوّل، من كان فى بطنها، كان فى بطنها ومن كان على ظهرها كان على ظهرها، ثمّ ينزل الله سبحانه عليهم ماء من تحت العرش كمنى الرجال، ثمّ يأمر السحاب أن تُنزل بمطر أربعين يوماً حتى يكون من فوقهم اثنا عشر ذراعاً، ويأمر الله سبحانه الأجساد أن تثبت كنبات الطرايث وكنبات البقل حتى إذا تكاملت أجسادهم كما كانت، قال الله سبحانه: ليحىّ حملة العرش، فيحيون: ثمّ يقول الله تعالى: ليحىّ جبريل وميكائيل فيحييان. فيأمر الله إسرافيل، فيأخذ الصور فيضعه على فيه، ثمّ يدعو الله الأرواح فيؤتى بها، تتوهج أرواح المؤمنين نوراً والأخرى ظلمة، فيقبضها جميعاً ثمّ يلقيها على الصور، ثمّ يأمر الله سبحانه إسرافيل أن ينفخ نفخة للبعث فتخرج الأرواح كأنها النحل قد ملأت ما فى السماء والأرض، فيقول الله سبحانه: ليرجعن كلّ روح إلى جسده، فتدخل الأرواح الخياشيم، ثمّ تمشى فى الأجساد كما يمشى السمّ فى اللدبغ.

ثمّ تنشق الأرض عنهم سراعاً، فأنا أوّل من ينشق عنه الأرض، فتخرجون منها إلى ربّكم

تسلون عُرّة حفاة غرلا مهطعين إلى الداعي ، فيقول الكافرون : هذا يومٌ عَسْرٌ<sup>(١)</sup> .  
 قوله عزّ وجلّ : ﴿فَفَزَعٌ﴾ أى فيفزع ، والعرب تفعل ذلك فى المواضع التى يصلح فيها إذا ،  
 لأنّ إذا يصلح معها فعل ويفعل كقولك : أزورك إذا زرتنى ، وأزورك إذا تزورنى . ﴿مَنْ فِي  
 السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ : أن لا يفزع وقد ذكرنا فى الخبر الماضى أنّهم الشهداء  
 ﴿وَكُلُّ أُنُوفٍ دَاخِرِينَ﴾ : قرأ الأعمش وحمزة وخلف وحفص ﴿أُنُوفٌ﴾ : مقصوراً على الفعل بمعنى  
 جاءوه عطفاً على قوله : ﴿فَفَزَعٌ﴾ و﴿أُنُوفٌ﴾ اعتباراً بقراءة ابن مسعود .

أخبرنا محمد بن نعيم قال : حدثنا الحسين بن أيوب قال : حدثنا على بن عبد العزيز قال :  
 حدثنا أبو عبيد قال : حدثنا هشام ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، (ح)<sup>(٢)</sup> وأخبرنا محمد بن  
 عبدوس قال : حدثنا محمد بن يعقوب قال : حدثنا محمد بن الجهم قال : حدثنا الفراء قال :  
 حدثنى عدّة ، منهم المفضل الضبى وقيس وأبو بكر كلّهم عن جحش بن زياد الضبى كلاهما  
 عن تميم بن حذلم قال : قرأت على عبد الله بن مسعود ﴿وَكُلُّ أُنُوفٍ دَاخِرِينَ﴾ : بتطويل الألف ،  
 فقال : ﴿وَكُلُّ أُنُوفٍ﴾ : قصره وقرأ الباقر بالمدّ وضمّ التاء على مثال فاعلوه كقوله : ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ  
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ (مريم : ٩٥) وهى قراءة على رضى الله عنه ﴿دَاخِرِينَ﴾ : صاغرين .

قوله تعالى : ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ﴾ يا محمد ﴿تَحْسِبُهَا جَمْدَةً﴾ : قائمة واقفة مستقرّة مكانها .  
 ﴿وَهِيَ تَمْرٌ مَّرَّ السَّحَابِ﴾ : حين تقع على الأرض فتستوى بها .

قال القتيبي : وذلك أنّ الجبال تجمع وتسير وهى فى رؤية العين كالواقفة وهى تسير ،  
 وكذلك كلّ شىء عظيم وكلّ جمع يقصر عنه البصر لكثرتة وعظمتة وبعُد ما بين أطرافه فهو  
 فى حساب الناظر واقف وهو يسير ، وإلى هذا ذهب الشاعر فى وصف جيش :

بأرعن مثل الطود تحسب أنّهم      وقوف لحاج والركاب تهملج

﴿صُنِعَ اللَّهُ﴾ : نُصِبَ عَلَى الْمَصْدَرِ وَقِيلَ : عَلَى الْإِغْرَاءِ أَيْ اعْلَمُوا وَأَبْصَرُوا ﴿الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ  
 شَيْءٍ﴾ : أى أحكم كلّ شىء ، قتادة : أحسن . ﴿إِنَّهُ خَيْرٌ مِمَّا تَفْعَلُونَ﴾ : قرأ أهل الكوفة  
 ﴿تَفْعَلُونَ﴾ : بالتاء . غيرهم بالياء ، واختار أبو عبيدة بقوله : ﴿أُنُوفٌ﴾ إنّما هو خبر عنهم ﴿مَنْ

(١) هذا خبر غير صحيح وإن كان الثعلبي رحماً الله وإياه قد أشار فى أوله إلى أنه حديث صحيح قد جمع أمر  
 الصور ، والبعث إلا أنه أبسط ما فيه من عيوب الإسناد أن فيه رجلاً مجهولاً ، وقد اتفق أهل الأثر على أن مثل هذا  
 الإسناد يكون ضعيفاً وعليه فيكون ما تبعه من متن ضعيف وإن كان فى بعض فقرات المتن ما هو صحيح إلا أن فى  
 فقراته الأخرى ما هو أشد من الضعيف بل ما يصل إلى حد الوضع ، فلا يعتد بمثل هذا الحديث وإن كان زائغاً بين  
 الناس فليست العبرة بكثرة الزبوع فكم من خبر موضوع أزيح منه وكم من خبر صحيح لا يعلمه إلا القليل جداً .

(٢) زيادة حديثية يتطلبها سياق الإسناد .

جَاءَ ﴿: أَى وَافَى اللّٰهَ بِالْحَسَنَةِ ﴿: بِالْإِيْمَانِ . قَالَ أَبُو مَعْشَرٍ : كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَحْلِفُ مَا يَسْتَشْنَى أَنْ الْحَسَنَةَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللّٰهُ ، قِتَادَةٌ ، بِالْإِخْلَاصِ .

وَأَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ فَنجَوِيهِ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ شَنْبَةَ قَالَ : حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللّٰهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مَنْصُورٍ قَالَ : حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ بَشْرٍ قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللّٰهِ بْنُ سَلِيْمَانَ قَالَ : حَدَّثَنَا سَعْدُ ابْنِ سَعِيدٍ قَالَ : سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ يَقُولُ : رَجُلٌ غَزَا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ ، فَكَانَ إِذَا خَلَا الْمَكَانَ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللّٰهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي أَرْضِ الرُّومِ فِي مَوْضِعٍ فِي حُلْفَاءٍ وَيُرْدَى رَفَعَ صَوْتَهُ يَقُولُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللّٰهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، خَرَجَ عَلَيْهِ رَجُلٌ عَلَى فَرَسٍ عَلَيْهِ ثِيَابٌ بَيْضٌ ، فَقَالَ : يَا عَبْدَ اللّٰهِ مَاذَا قُلْتَ ؟ قَالَ : قُلْتُ الَّذِي سَمِعْتُ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا الْكَلِمَةُ الَّتِي قَالَ اللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ ﴿ .

﴿قَلَّ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُرْمٌ مِنْ فَرَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿ : وَأَخْبَرَنِي أَبُو عَبْدِ اللّٰهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللّٰهِ الْعَبَّاسِيُّ قَالَ : أَخْبَرَنَا الْقَاضِي أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ عَثْمَانَ النَّصِيْبِيَّ بِبَغْدَادٍ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ ابْنُ الْحُسَيْنِ السَّبِيْعِيُّ بِحَلَبٍ قَالَ : حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْجَصَّاصُ قَالَ : أَخْبَرَنَا حُسَيْنُ بْنُ الْحَكَمِ قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبَانَ ، عَنْ فَضِيلِ بْنِ الزَّبِيرِ ، عَنْ أَبِي دَاوُدَ السَّبِيْعِيِّ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللّٰهِ الْهَذَلِيِّ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَيَّ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ ، فَقَالَ : يَا عَبْدَ اللّٰهِ أَلَا أَنْبِئُكَ بِالْحَسَنَةِ الَّتِي مِنْ جَاءَ بِهَا أَدْخَلَهُ اللّٰهُ الْجَنَّةَ ، وَالسَّيِّئَةَ الَّتِي مِنْ جَاءَ بِهَا أَكْبَهَ اللّٰهُ فِي النَّارِ ، وَلَمْ يَقْبَلْ مَعَهَا عَمَلٌ ؟ قُلْتُ : بَلَى ، قَالَ : الْحَسَنَةُ حُبْنَا وَالسَّيِّئَةَ بُغَضْنَا .

﴿قَلَّ خَيْرٌ مِنْهَا ﴿ : أَى فَلَهُ مِنْ هَذِهِ الْحَسَنَةِ خَيْرٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَهُوَ الثَّوَابُ وَالْأَمْنُ مِنَ الْعَذَابِ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : ﴿قَلَّ خَيْرٌ مِنْهَا ﴿ أَى فَمَنْهَا يَصِلُ إِلَيْهِ الْخَيْرُ ، الْحَسَنُ : مَعْنَاهُ لَهُ مِنْهَا خَيْرٌ ، عَكْرَمَةُ وَابْنُ جَرِيحٍ : أَمَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ خَيْرٌ مِنَ الْإِيْمَانِ فَلَا ، وَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ خَيْرٌ مِنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللّٰهُ وَلَكِنْ لَهُ مِنْهَا خَيْرٌ ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا ﴿قَلَّ خَيْرٌ مِنْهَا ﴿ : يَعْنِي الثَّوَابَ لِأَنَّ الطَّاعَةَ فَعَلَ الْعَبْدَ وَالثَّوَابَ فَعَلَ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ .

وَقِيلَ : هُوَ أَنَّ اللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقْبَلُ إِيمَانَهُ وَحَسَنَاتِهِ ، وَقَبُولُ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ الْعَبْدِ ، وَقِيلَ : ﴿قَلَّ خَيْرٌ مِنْهَا ﴿ يَعْنِي رِضْوَانُ اللّٰهِ سُبْحَانَهُ ، قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى : ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللّٰهِ أَكْبَرُ ﴿ (التوبة: ٧٢) .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ ﴿قَلَّ خَيْرٌ مِنْهَا ﴿ يَعْنِي الْإِضْعَافَ ، إِعْطَاءَ اللّٰهُ الْحَسَنَةَ بِالْوَاحِدَةِ عَشْرًا صَاعِدًا ، فَهَذَا خَيْرٌ مِنْهَا ، وَقَدْ أَحْسَنَ بْنُ كَعْبٍ وَابْنُ زَيْدٍ فِي تَأْوِيلِهِمَا لِأَنَّ الْإِضْعَافَ خِصَائِصٌ مِنْهَا أَنَّ الْعَبْدَ يُسْأَلُ عَنْ عَمَلِهِ وَلَا يُسْأَلُ عَنِ الْإِضْعَافِ ، وَمِنْهَا أَنَّ

للشيطان سيلا إلى عمله ولا سبيل له إلى الإضعاف، ولأنه لا مطمع للخصوم في الإضعاف، ولأن دار الحسنة الدنيا ودار الإضعاف الجنة، ولأن الجنة على استحقاق العبد، والتضعيف كما يليق بكرم الرب ﴿وَهُمْ مِنْ فِرْعَ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ قرأ أهل الكوفة ﴿فِرْعَ﴾ منونا ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بنصب الميم وهي قراءة ابن مسعود، وسائر القراء قرءوا بالإضافة واختاره أبو عبيد قال: لأنه أعم التأويلين أن يكون الأيمن من جميع فِرْع ذلك اليوم، وإذا قال: ﴿مِنْ فِرْعَ يَوْمَئِذٍ﴾ صار كأنه فِرْع دون فِرْع، وهو اختيار الفراء أيضا، قال: لأنه فِرْع معلوم، ألا ترى أنه قال: ﴿لَا يَخْزَنُهُمُ الْفِرْعُ الْأَكْبَرُ﴾ (الأنبياء: ١٠٣) فصير معرفة؟ فإذا أضفته كان معرفة فهو أعجب إلى ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسِّيَةِ﴾ يعنى الشرك.

أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان قال: أخبرنا مكى بن عبدان قال: حدثنا عبد الله بن هاشم قال: حدثنا عبد الرحمن، عن سفيان، عن أبي المحجل، عن أبي معشر، عن إبراهيم ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ قال: لا إله إلا الله. ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسِّيَةِ﴾ قال: الشرك.

وأخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرنا أبو الحسن محمد بن شعيب البيهقي قال: حدثنا بشر ابن موسى قال: حدثنا روح، عن حبيب بن الشهيد، عن الحسن قال: ثمن الجنة لا إله إلا الله. ﴿فَكَبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾: قال ابن عباس: ألقيت، الضحاك: طرحت، أبو العالية: قلبت، وقيل لهم: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ إِنَّمَا أَمِرتُ يقول الله سبحانه لنبيه محمد ﷺ قل: ﴿إِنَّمَا أَمِرتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا﴾ يعنى مكة جعلها حرما آمنا، فلا يسفك فيها دم حرام، ولا يظلم فيها أحد، ولا يهاج، ولا يصطاد صيدها، ولا يختلى خلاها، وقرأ ابن عباس «التي حرما» إشارة إلى البلدة.

﴿وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾: خلقا ومُلْكًا ﴿وَأَمِرتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ أَنْ فَمَنْ أَهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدَى لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ قَفْلًا إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلْغُ﴾ (يس: ١٧) نسختها آية القتال<sup>(١)</sup>، ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على نعمه، ﴿سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾: يعنى يوم بدر، نظيرها فى سورة الأنبياء: ﴿سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ (الأنبياء: ٣٧) وقال مجاهد: ﴿سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ فى أنفسكم وفى السماء والأرض والرزق، دليله قوله: ﴿سَيُرِيكُمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِكُمْ﴾ (فصلت: ٥٣) وقوله: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ وفى أنفسكم (الذاريات: ٢٠، ٢١) ﴿فَتَقَرَّبُوهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

(١) سبق أن تكلمت كثيرا على اختلاف العلماء فى مسألة الناسخ والمنسوخ وذهب قوم إلى أنه لا نسخ فى القرآن وأن للآية أحكام تسرى حسب الوقت المناسب لها.

## سُورَةُ الْقَصَصِ

مكية وهي خمسة آلاف وثمانمائة حرف  
وألف وأربعمائة وإحدى وأربعون كلمة وثمان وثمانون آية

أخبرنا أبو الحسن الخبازي قال حدثنا ابن حبش قال حدثني أبو العباس محمد بن موسى الدقاق وقال حدثنا عبد الله بن روح المدائني . (ح)<sup>(١)</sup> وأخبرنا الخباز قال حدثنا ظفران قال حدثنا ابن أبي داود قال حدثنا محمد بن عاصم قال: حدثنا شباة بن سوار الفزاري قال حدثنا مخلد بن عبد الواحد عن علي بن زيد عن عطاء بن أبي ميمون عن زر بن حبيش عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله: «من قرأ: ﴿طسّم﴾ القصص، لم يبق ملك في السموات والأرض إلا شهد له يوم القيامة أنه كان صادقاً، إن كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون».

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طسّم﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ تَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدْبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣﴾ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَيْمَةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٤﴾ وَنَمَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٥﴾

﴿طسّم﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ تَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا ﴿٣﴾: قال ابن عباس: استكبر. وقال السدي: تجبر. وقال قتادة: طغى. وقال مقاتل: تعظم ﴿في الأرض﴾: يعنى أرض مصر.

﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا﴾: فرقاً وأصنافاً فى الخدمة والتسخير ﴿يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ﴾: يعنى بنى إسرائيل ﴿يُدْبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي

(١) زيادة حديثه يتطلبها سياق الإسناد.

الْأَرْضِ ﴿: يعنى بنى إسرائيل .

﴿وَجَعَلَهُمْ أُمَّةً﴾ : قال ابن عباس : قادة فى الخير يقتدى بهم . وقال قتادة : ولاية وملوكا .  
 دليله قوله سبحانه : ﴿وَجَعَلَكُمْ مَلُوكًا﴾ (المائدة : ٢٠) . وقال مجاهد : دعاة إلى الخير ﴿وَجَعَلَهُمُ  
 الْوَارِثِينَ﴾ : بعد هلاك فرعون وقومه ، فورثهم ديارهم وأموالهم ﴿وَتُمْكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ : يعنى  
 ويوطئ لهم فى أرض مصر والشام .

﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا﴾ : قرأ حمزة ، ويحيى بن وثاب ، والأعمش ، والكسائى ،  
 وخلف : يرى ، بالياء وما بعده رفع على أن الفعل لهم . وقرأ غيرهم : ﴿وَنُرِيَ﴾ بنون  
 مضمومة ، وياء مفتوحة ، وما بعده نصب لوقوع الفعل عليهم ﴿مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ : وذلك  
 أنهم أخبروا أن هلاكهم على يدي رجل من بنى إسرائيل فكانوا على وجل ﴿مِنْهُمْ﴾ ، فأراهم  
 الله ﴿مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ .



﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۗ  
 إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١﴾ فَأَلْتَقَطَهُ آءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَرْنًا ۗ إِنَّا  
 فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِبِينَ ﴿٢﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكِ لَا  
 تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٣﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَدِرْعًا ۗ إِن  
 كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤﴾ وَقَالَتِ لِأُخْتِهِ قُصِيهِ  
 فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ  
 أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿٦﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ  
 عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۗ وَلِنَعْلَمَ أَنَّ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَلْكَرْبُ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ  
 وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۗ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨﴾

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ : قال قتادة : قذفنا فى قلبها وليس بنوة واسم أم موسى يوخا بذا بنت  
 لاوس بنت يعقوب (١) ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي﴾ : عليه ﴿وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا

(١) كذا جاء اسمها فى المخطوط ولا أرى طائلاً ولا فائدة من البحث عن مثل هذه الأمور حيث لا تكلف لنا فى ذلك ،  
 وعموماً قد ذكر القرطبى أسماء أخرى فى تفسيره فقال : واسمها : أيارخا ، وقيل : أيارخت فيما ذكر السهلبى . =



رَأَدُوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠﴾: أخبرنا أبو عبد الله الحسن بن محمد قال حدثنا مخلد بن جعفر الباقرجي قال حدثنا الحسن بن علوية قال حدثنا إسماعيل بن عيسى قال حدثنا إسحاق ابن بشر أخبرني ابن سمعان عن عطاء عن ابن عباس قال إسحاق: وأخبرني جووير ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال: إن بني إسرائيل لما كثروا بمصر استطالوا على الناس وعملوا بالمعاصي، ورق خيارهم أشرارهم، ولم يأمروا بالمعروف، ولم ينهوا عن المنكر فسلط الله عليهم القبط، فساموهم سوء العذاب إلى أن نجاهم الله على يد موسى عليه السلام.

قال وهب: بلغني أن فرعون ذبح في طلب موسى سبعين ألف وليد<sup>(١)</sup>. [ويقال: تسعون ألف وليد. ويروى أنها حين اقتربت وضربها الطلب، وكان بعض القوابل الموكلات بحبالى بنى إسرائيل مصافية لها. فقالت: لينفني حُبك اليوم. فعالجتها، فلما وقع على الأرض هالها من نور بين عينيه، وارتعش كل مفصل منها ودخل حُبّه قلبها؛ ثم قالت: ما جئتك إلا لأقتل مولودك، وأخبر فرعون، ولكن وجدت لابنك حُبًّا ما وجدت مثله قط فاحفظه.

فلما خرجت جاء عيون فرعون فلقته فى خرقه ووضعت<sup>(٢)</sup> فى التنور وهو مسجور فطاش عقلها فلم تعقل ما تصنع؛ قال: فدخلوا فإذا التنور مسجور، ورأوا أم موسى لم يتغير لها لون، ولم يظهر لها لبن. فقالوا: ما أدخل عليك القابلة؟ قالت: هى مصافية لى، فدخلت على زائرة. فخرجوا من عندها فرجع إليها عقلها. فقالت لأخت موسى: أين الصبى؟ قالت: لا أدري، فسمعت بكاء الصبى من التنور فانطلقت إليه وقد جعل الله سبحانه النار عليه بردًا وسلامًا، فاحتلمته.

ثم إن أم موسى عليه السلام لما رأت إلحاح فرعون فى طلب الولدان، خافت على ابنها، فقذف الله سبحانه فى نفسها: أن تتخذ له تابوتًا، ثم تقذفه فى اليم، وهو النيل فانطلقت إلى رجل نجار من أهل مصر. من قوم فرعون. فاشترت منه تابوتًا صغيرًا؛ فقال لها النجار: ما

= ثم ذكر عن الثعلبي بغير ما هو هنا فقال:

وقال الثعلبي: لوحا بنت هاند بن لاوى بن يعقوب.

وذكر محقق القرطبي فى الهامش أسماء أخرى فقال: وقيل فى اسمها أيضًا: بوخابذ، وقيل يوخابيل، وقيل غير ذلك.

(١) بعد هذا جاء الكلام فى المخطوط غير مقروء لسوء فى التصوير نظرًا للعوامل الجوية التى مر بها المخطوط فرأيت إثبات الباقي من تفسير القرطبي لأن الكلام الظاهر فى المخطوط مقارب لما هو فى القرطبي وإن لم يكن بنصه وجعلته بين معقوفين ثم سأضغ إشارة أخرى بعد الانتهاء من المحو.

(٢) انتهى النقل عن القرطبي فى هذا الموضع وأعود إلى النقل عن المخطوط حيث اتضح الكلام فيه وكان الكلام فى المخطوط فى هذه الحكاية عن ابن عباس بدل قول القرطبي قبل قليل ويروى.

تصنعين بهذا التابوت؟ قالت: ابن لى أخبئه فيه وكرهت الكذب. قال: ولم؟ قالت: أخشى عليه كيد فرعون، فلما اشترت التابوت، حملته وانطلقت، وانطلق النجار إلى أولئك الذباحين ليخبرهم بأمر أم موسى، فلما هم بالكلام أمسك الله لسانه فلم يطلق الكلام، وجعل يشير بيده، فلم يدر الأمتاء ما يقول، فلما أعياهم أمره، قال كبيرهم: اضربوه، فضربوه وأخرجوه.

فلما انتهى النجار إلى موضعه ردَّ الله سبحانه عليه لسانه، فتكلم، فانطلق أيضاً يريد الأمتاء، فأتاهم ليخبرهم فأخذ الله لسانه وبصره، فلم ينطق الكلام ولم يبصر شيئاً، فضربوه وأخرجوه، فوقع فى واد فهوى فيه، حيران فجعل لله عليه إن رد لسانه وبصره أن لا يدل عليه، وأن يكون معه لحفظه حيثما كان. فعرف الله عز وجل منه الصدق، فرد عليه بصره ولسانه، فخر الله ساجداً. فقال: يا رب دلنى على هذا العبد الصالح. فدلّه الله عليه، فخرج من الوادى، فأمن به وصدقه، وعلم أن ذلك من أمر الله.

فانطلقت أم موسى، فألقته فى البحر، وكان لفرعون يومئذ بنت ولم يكن له ولد غيرها وكانت من أكرم الناس عليه، وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها إلى فرعون، وكان بها برص شديد، مسلخة برصاء، فكان فرعون قد جمع لها أطباء مصر والسحرة فنظروا فى أمرها؛ فقالوا له: أيها الملك لا تبرأ إلا من قبل البحر يؤخذ منه شبه الإنسان، فيؤخذ من ريقه فيلطح به برصها فتبرأ من ذلك، وذلك فى يوم كذا، وساعة كذا حين تشرق الشمس.

فلما كان يوم الاثنين غدا فرعون إلى مجلس كان له على شفير النيل، ومعه آسية بنت مزاحم، وأقبلت بنت فرعون فى جواربها حتى جلست على شاطئ النيل مع جواربها تلاعبهن، وتنضح بالماء على وجوههن، إذ أقبل النيل بالتابوت تضربه الأمواج؛ فقال فرعون: إن هذا الشيء فى البحر قد تعلق بالشجرة اتئونى به. فابتدروه بالسفن من كل جانب حتى وضعوه بين يديه، فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه، وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه.

قال: فدنت آسية فرأت فى جوف التابوت نوراً لم يره غيرها للذى أراد الله سبحانه أن يكرمها. فعالجته ففتحت الباب، فإذا هى بصبي صغير فى مهده، وإذا نور بين عينيه. وقد جعل الله تعالى رزقه فى إبهامه يمصه لبناً، فألقى الله سبحانه لموسى عليه السلام المحبة فى قلب آسية، وأحبه فرعون وعطف عليه، وأقبلت بنت فرعون، فلما أخرجوا الصبي من التابوت، عمدت بنت فرعون إلى ما كان يسيل من ريقه فلطخت به برصها، فبرئت فقبلته وضمته إلى صدرها.

فقال الغواة من قوم فرعون: أيها الملك، إنّا نظن أن ذلك المولود الذى نحذر منه من بنى إسرائيل هو هذا، رُمى به فى البحر فرقاً منك، فاقتله. فَهَمَّ فرعون بقتله، فلما هَمَّ بقتله، قالت آسية: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتْ عَيْنٌ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ وكانت لا تلد، فاستوهبت موسى من فرعون، فوهبه لها. وقال فرعون: أما أنا فلا حاجة لى فيه؛ فقال رسول الله ﷺ: «لو قال يومئذ، هو قررة عين لى كما هو لك لهداه الله سبحانه كما هداها، ولكن أحب الله عز وجل أن يحرمه للذى سبق فى علمه».

فقبل لآسية سَمِيَهُ. قالت: سميته مُوشا لأننا وجدناه فى الماء<sup>(١)</sup> والشجر. فمو: هو الماء. وشا: هو الشجر. فذلك قوله سبحانه: ﴿فَأَلْتَمَطَهُ﴾: أى فأخذه، والعرب تقول لما وردت عليه فجأة من غير طلب له ولا إرادة: أصبته التقاطاً، ولقيت فلاناً التقاطاً، ومنه قول الراجز:

ومنهل وردته التقاطا      لم ألق إذا وردته فراطا

ومنه اللقطة، وهو ما وجد ضالاً فأخذ ﴿إِلَّٰ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ﴾: هذه اللام تسمى لام العاقبة ولام الصيرورة، لأنهم إنما أخذوه ليكون لهم قررة عين فكان عاقبة ذلك أنه كان عدواً لهم ﴿عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ قال الشاعر:

فلمموت تغذو الوالدات سخالها      كما لخراب الدهر تُبْنِي المَسَاكِنُ

﴿عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾: قرأ أهل الكوفة: بضم الحاء وجزم الزاى. وقرأ الآخرون: بفتح الحاء والزاى. واختاره أبو عبيد وقال: للتفخيم. واختلف فيه غير عاصم. وهما لغتان مثل: العدم والعدم، السقم والسقم<sup>(٢)</sup> ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَلَمَنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِبِينَ﴾: عاصين آثمين.

﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتْ عَيْنٌ﴾: أى هو قررة عين ﴿لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ﴾: فإن الله أتانا من أرض أخرى وليس من بنى إسرائيل<sup>(٣)</sup> ﴿عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: لما هو

(١) تراكيب هذه القصة مختلفة هذا بالإضافة إلى أنها لا تطابق ما جاء فى قصته عليه السلام فى القرآن الكريم، ونحن المسلمين لا نقبل فى الأخبار من الآثار إلا ما جاء موثقاً ثقة عن ثقة متصلاً اتصالاً مقطوعاً به إلى رسول الله ﷺ، وثم بعد هذا لا بد وأن يكون موافقاً لما جاء به الإسلام متماشياً مع خطوطه الرئيسية موافقة للعقل مؤيداً بالعلم، أما خيالات القصص، فلا يقرها الإسلام ولا تلزم بطاعة، أو خضوع، أو إذعان.

(٢) زاد فى القرطبي: والرشد والرشد.

(٣) وفى القرطبي قصة تشبه ما جاء فى القرآن هنا فقال: يروى أن آسية امرأة فرعون رأت التابوت يعوم فى البحر فأمرت بسوقه إليها وفتحته، فرأت فيه صبيّاً صغيراً فرحمته وأحبهته. فقالت لفرعون: ﴿قررة عين لى ولك﴾ أى هو قررة عين لى ولك.

قلت: فهذه قصة لا تتعارض مع ما جاء فى القرآن وهى تحكى ما حكاه وإنما أخذت منه تفسيراً له أما التى سبقت فقد تجاوزت التفسير إلى الخيال وتصور الأحداث بطريقة الواضع لها.

كائن من أمرهم وأمره، عن مجاهد. وقال قتادة: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أن هلاكهم على يديه. وقال محمد بن إسحاق بن يسار: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أنى أفعل ما أريد، ولا أفعل ما يريدون. أخبرنا ابن فنجويه قال: حدثنا طلحة وعبيد الله قالوا حدثنا أبو مجاهد قال حدثني أحمد بن حرب قال حدثنا سنيد قال حدثني حجاج عن أبي معشر عن محمد بن قيس: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ يقول: لا يدري بنو إسرائيل أنا التقطناه. وقال الكلبي: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ إلا وأنه ولدنا<sup>(١)</sup>.

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أَمْرٍ مُوسَىٰ فَغَرَّغًا﴾: أى خالياً لاهياً ساهياً من كل شىء إلا من ذكر موسى وهمه، قال أكثر المفسرين. وقال الحسن، وابن إسحاق، وابن زيد: يعنى فارغاً من الوحي الذى أوحى الله سبحانه وتعالى إليها به حين أمرها أن تلقيه فى البحر، ولا تخاف ولا تحزن، والعهد الذى عهد إليها أن يرده إليها، ويجعله من المرسلين؛ فجاءها الشيطان، فقال: يا أم موسى، كرهت أن يقتل فرعون موسى فيكون لك أجره وثوابه، وتوليت أنت قتله فألقيته فى البحر وغرقته.

ولما أتاه الخبر بأن فرعون أصابه فى النيل قالت: وقع فى يد عدوه، والذى فررت به منه. فأنساها عظيم البلاء ما كان من عهد الله سبحانه إليها. فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أَمْرٍ مُوسَىٰ فَغَرَّغًا﴾ من الوحي الذى أوحى إليها وقال الكسائى: ﴿فَغَرَّغًا﴾ أى ناسياً. قال أبو عبيدة: ﴿فَغَرَّغًا﴾ من الحزن لعلمها بأنه لم يغرق وهو من قول العرب: دم فراغ إذا كان هدراً لا قود فيه ولا دية، وقال الشاعر:

فإن تك أذواد أصبين ونسوة فلم يذهبوا فرغاً بقتل حبال

وقال العلاء بن زيد: ﴿فَغَرَّغًا﴾ نافرأً. وقرأ ابن محيص، وفضالة بن عبيد: فزغاً، بالزاي والعين من غير ألف ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدَىٰ بِهِ﴾: قال بعضهم: الهاء فى قوله ﴿بِهِ﴾ راجعة إلى موسى، ومعنى الكلام: إن كادت لتبدي به أنه ابنها من شدة وجدها.

أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان قال أخبرنا مكى بن عبدان قال حدثنا عبد الرحمن بن بشر قال حدثنا سفيان عن أبي سعيد عن عكرمة عن ابن عباس: ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدَىٰ بِهِ﴾ قال: كادت تقول وا ابناء. وقال مقاتل: لما رأت التابوت يرفعه موج ويضعه آخر فخشيت عليه الغرق

(١) هذا على أن الكلام لامرأة فرعون: أى حتى لا يشعر بنو إسرائيل إلا أن هذا الولد إنما هو ابن فرعون من امراته آسية والكلام فى القرطبي أوضح منها إذ يقول: وقيل: هو من كلام المرأة أى وبنو إسرائيل لا يدرون أنا التقطناه ولا يشعرون إلا أنه ولدنا.

فكادت تصيح من شفقتها عليه . وقال الكلبى : كادت تظهر أنه ابنها ، وذلك حين سمعت الناس وهم يقولون لموسى بعدما شب : موسى بن فرعون ، فشق عليها ، فكادت تقول : لا بل هو ابنى . وقال بعضهم : الهاء عائدة إلى الوحى ، أى كادت لتبدى بالوحى الذى أوحينا إليها أن ترده عليها<sup>(١)</sup> .

﴿لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَىٰ قَلْبِنَا﴾ : قوينا قلبها فعصمناها وثبتناها ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ : المصدقين الموقنين بوعد الله عز وجل ﴿وَقَالَتْ﴾ : أم موسى ﴿لَأُخْتِي﴾ : لأخت موسى ، واسمها مريم ﴿قُضِيَتْ﴾ : ابتغى أثره حتى تعلمى خبره . ومنه القصص لأنه حديث يتبع فيه الثانى الأول ﴿فَبَصَّرَتْ بِهٖ﴾ : أبصرته ﴿عَنْ جُنُبٍ﴾ : بُعد . وقال ابن عباس : الجنب ، أن يسموا بصر الإنسان إلى الشىء البعيد وهو إلى جنبه لا يشعر به .

وقال قتادة : جعلت تنظر إليه<sup>(٢)</sup> (بناحية)<sup>(٣)</sup> كأنها لا تريده ، وكان يقرأ : عن جَنَّب ، بفتح الجيم ، وسكون النون . وقرأ النعمان بن سالم : عن جانب ، أى عن ناحية ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ : أنها أخته ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾ : وهى جمع المرضع ﴿مِنْ قَبْلِ﴾ : أى من قبل مجىء أم موسى ، وذلك أنه كان يؤتى إليه بمرضع بعد مرضع ، فلا يقبل ثدى امرأة فهمهم ذلك . فلما رأت أخت موسى التى أرسلتها أمه فى طلبه ذلك وما يصنع به ﴿فَقَالَتْ﴾ : لهم ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ﴾ : أى يضمونوه ، ويرضعونه ، ويضمونوه إليهم ، وهى امرأة قد قتل ولدها ، فأحب شىء إليها أن تجد صبياً صغيراً فترضعه ﴿وَهُمُ الَّذِينَ نَصَحُونَ﴾ : والنصح إخلاص العمل من شائب الفساد وهو نقيض الغش . قالوا : نعم فأتيناها . فانطلقت إلى أمها فأخبرتها ، وجاءت بها إليهم . فلما وجد الصبى ربح أمه قبل ثديها ، فذلك قوله : ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَىٰ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَنَكُنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ : إن الله وعدنا رده إليها .

قال السدى ، وابن جريج : لما قالت . أخت موسى : ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِصُونَ﴾ أخذوها ، وقالوا : إنك قد عرفت هذا الغلام فدلينا على أهله . قالت : ما أعرفه ، ولكن إنما قلت هم للملك ناصحون<sup>(٤)</sup> ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ : قال الكلبى : الأشد : ما بين

(١) قلت : والتفسير الأول أى يكون الهاء عائدة على موسى أوضح ، وأقرب إلى الفهم ، وذلك حسب السياق فى الآية ، وهو القول المباشر للعقل .

(٢) فى المخطوط : إليها ، وهو تحريف .

(٣) زيادة من القرطبى يتطلبها السياق .

(٤) زاد القرطبى فى تفسيره : وقيل : إنها لما قالت : ﴿هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم﴾ وكانوا يبالبغون فى طلب مرضعة يقبل ثديها ، فقالوا : من هى ؟ فقالت : أمى . فقيل : لها لبن ؟ قالت : نعم ، لبن هارون . وكان ولد =

ثمانى عشرة سنة إلى ثلاثين سنة. وقال سائر المفسرين: الأشد، ثلاث وثلاثون سنة ﴿وَأَسْتَوَى﴾: أى بلغ أربعين سنة.

أخبرنا أبو محمد المخلدى قال أخبرنا أبو الوفا المؤمل بن الحسين بن عيسى قال حدثنا الحسن ابن محمد بن الصباح قال حدثنا يحيى بن سليم قال أخبرنى عبد الله بن عثمان بن خيثم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قول الله سبحانه: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾ قال: الأشد، ثلاث وثلاثون سنة، والاستواء أربعون سنة، والعمر الذى أعذر الله إلى ابن آدم ستون سنة، ثم قرأ: ﴿أَوَلَمْ نُنَمِرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾ (فاطر: ٣٧).  
﴿ءَاتَيْنَهُ حُكْمًا﴾: عقلاً وفهماً ﴿وَعَلْمًا﴾: وقال مجاهد: قبل النبوة.  
﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.



﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغْشَىهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴿١٠﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ فَاصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ، قَالَ لَهُ، مُوسَى إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمْوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٤﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَمْوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ

= فى سنة لا يقتل فيها الصبيان . . فقالوا: صدقت والله.

﴿وهم له ناصحون﴾ أى فيهم شفقة ونصح.

فروى أنه قيل لأم موسى حين ارتضع منها: كيف ارتضع منك ولم يرتضع من غيرك؟

فقلت: إني امرأة طيبة الريح وطيبة اللبن، لا أكاد أوتى بصبي إلا ارتضع منى.

قال أبو عمران الجونى: كان فرعون يعطى أم موسى كل يوم ديناراً.

قال الزمخشري: فإن قلت: كيف حل لها أن تأخذ الأجر على إرضاع ولدها؟

قلت: ما كانت تأخذه على أنه أجر على الرضاع، ولكنه مال حربى تأخذه على وجه الاستباحة.

لِيَقْتُلُوكَ فَأَخْرَجَ إِيَّيَ لَكَ مِنَ النَّصِيحِينَ ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾

﴿وَدَخَلَ﴾ : يعنى موسى ﴿الْمَدِينَةَ﴾ : قال السدى : يعنى مدينة منف من أرض مصر . وقال مقاتل : كانت قرية تدعى خانين على رأس فرسخين من مصر .

﴿عَلَىٰ حِينٍ غَفَلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ : قال محمد بن كعب القرظى : دخلها فيما بين المغرب والعشاء ، وقال غيره : نصف النهار عند القائلة واختلف العلماء فى السبب الذى من أجله دخل موسى هذه المدينة فى هذا الوقت : فقال السدى : كان دخول موسى حين كان يركب مراكب فرعون ويلبس مثل ما يلبس ، وكان إنما يدعى موسى بن فرعون ، ثم إن فرعون ركب مركباً وليس عنده موسى عليه السلام ، فلما جاء موسى قيل له : إن فرعون قد ركب ، فركب فى أثره ، فأدركه المقييل بأرض يقال لها منف ، فدخلها نصف النهار ، وقد تقلبت أسواقها وليس فى طرفها أحد وهو الذى يقول الله سبحانه : ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفَلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ .

وقال ابن إسحاق : كانت لموسى من بنى إسرائيل شيعة يستمعون منه ويقتدون به ويجمعون إليه . فلما اشتد رأيه وعرف ما هو عليه من الحق رأى فراق فرعون وقومه ، فخالفهم فى دينه وتكلم وعادى وأنكر حتى ذكر ذلك منه وحتى خافوه وخافهم حتى كان لا يدخل قومه إلا خائفاً مستخفياً ، فدخلها يوماً ﴿عَلَىٰ حِينٍ غَفَلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ .

وقال ابن زيد : لما علا موسى فرعون بالعصا فى صغره ، قال فرعون : هذا عدونا الذى قتلت فيه بنى إسرائيل . فقالت امرأته : لا بل هو صغير ، ثم دعت بالجمر والجوهر ، فلما أخذ الجمرة وطرحها فى فيه حتى صارت عقدة فى لسانه <sup>(١)</sup> . فترك فرعون قتله وأمر بإخراجه من مدينته ، فلم يدخل عليهم إلا بعد أن كبر وبلغ أشده ، ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفَلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ عن موسى ، أى من بعد نسيانهم خبره وأمره لبعد عهدهم به .

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه فى قوله : ﴿عَلَىٰ حِينٍ غَفَلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ كان يوم عيد لهم

(١) فى هذا الخبر خطأ فاحش وهو ما اشتهر من أن موسى عليه السلام كان به ثغرة فى لسانه بسبب هذه الحادثة وهذا غير صحيح فليس هناك نبي فيه عيب صغيراً كان أو كبيراً بل هم جميعاً مبرعون من التشوهات الخلقية والأمراض المعدية أو المنفرة أو المقززة كما أشيع عن سيدنا أيوب بل أمراضهم أمراض عادية يحسونها ولا ترى عليهم حتى لا ينفر منهم المدعوون أما من احتج فى قصة سيدنا موسى هنا بقوله : ﴿ولا يكاد يبين﴾ أو بقوله : ﴿هو أفصح منى لساناً﴾ إنما تلك هى اللكنة التى اكتسبها من معايشة قوم مدين لا لعب فى لسانه ، وفصاحة هارون عليه السلام إنما هى من معايشة قوم فرعون واعتياده لغتهم .

قد شغلوا بلهوهم ولعبهم ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ هَذَا﴾ : من أهل دينه من بنى إسرائيل ﴿وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ : من مخالفيه من القبط . قال المفسرون : الذى هو من شيعته : هو السامرى ، والذى من عدوه : طباح فرعون واسمه : فليثون .

وأخبرنى ابن فنجويه قال حدثنا موسى بن محمد قال حدثنا الحسن بن علويه قال حدثنا إسماعيل بن عيسى قال حدثنا المسيب بن شريك قال : اسمه : قانون ، وكان خباز فرعون . قالوا : يسخره يحمل الحطب إلى المطبخ<sup>(١)</sup> ، وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لما بلغ موسى أشده وكان من الرجال لم يكن أحد من آل فرعون (يقدر أن)<sup>(٢)</sup> يأخذ أحداً من بنى إسرائيل معه بظلم ولا سخرة حتى امتنعوا كل الامتناع ، فبينما هو يمشى ذات يوم فى ناحية من المدينة إذ هو برجلين يقتتلان أحدهما من بنى إسرائيل والآخر من آل فرعون فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعونى فغضب موسى عليه السلام واشتد غضبه لأنه تناوله وهو يعلم منزلة موسى من بنى إسرائيل وحفظه لهم ، ولا يعلم الناس إلا إنما ذلك من قبل الرضاعة من أم موسى ، فقال للفرعونى : خل سبيله . فقال : إنما أخذه ليحمل الحطب إلى مطبخ أبيك . فنازع أحدهما صاحبه . فقال الفرعونى لموسى عليه السلام : لقد هممت أن أحمله عليك .

فكان موسى عليه السلام قد أوتى بسطة فى الخلق وشدة فى القوة والبطش ﴿فَوَكَرَهُ مُوسَى﴾ : بجمع كفه ولم يتعمد قتله . قال الفراء ، وأبو عبيدة : الوكر الدفع بأطراف الأصابع . وفى مصحف عبد الله : فنكزه ، بالنون ، والوكز ، واللكرز ، والنكز ، واللهمز ، واحد معناها الدفع ﴿فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ : أى قتله وفرغ من أمره . وكل شئ فرغت منه فقد قضيته ، وقضيت عليه .

قال الشاعر :

اتقاضون وقد رأوا خفائهم      قد عَضَهُ فُقَضَى عَلَيْهِ الْأَشْجَعُ

أى قتله .

فلما قتله موسى عليه السلام ندم على قتله ، وقال : لم أؤمر بذلك ثم دفنه فى الرمل ﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ : بالمغفرة فلم تعاقبنى ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَاهِرًا﴾ : عوناً وعزاً

(١) لا يهم ما كان عمل من وجدهم موسى عليه السلام يقتتلان ولا ما أسماؤهما فلا داعى للخلاف فى مثل هذه الأمور التى علمها لا ينفع وجهها لا يضر .

(٢) زيادة يتطلبها السياق .



﴿لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ : قال ابن عباس: لم يستثن فابتنى<sup>(١)</sup>. قال قتادة: يعنى فلن أعين بعدها على خطيئة.

أخبرنا عبد الله بن حامد قال أخبرنا محمد بن خالد قال حدثنا داود بن سليمان قال أخبرنا عبد بن حميد. قال حدثنا عبيد الله بن موسى عن سلمة بن نبيط قال: بعث بعض الأمراء وهو عبد الرحمن بن مسلم إلى الضحاك بعباء أهل بخارى وقال: أعطهم. فقال: اعفنى، فلم يزل يستعفيه حتى أعفاه. فقال له بعض أصحابه: (ما عليك أن تعطهم)<sup>(٢)</sup> وأنت لا ترزؤهم شيئاً؟ فقال: لا أحب أن أعين الظلمة على شيء من أمرهم.

وبه عن عبد الله قال: حدثنا يعلى قال حدثنا عبيد الله بن الوليد الوصافي قال: قلت لعطاء ابن أبى رباح: إن أخألى يأخذ بقلمه، وإنما يكتب ما يدخل وما يخرج؟ قال: أخذ بقلمه كان ذلك غنى، وإن تركه احتاج وصار عليه دين وله عيال. فقال: من الرأس؟ قلت: خالد بن عبد الله. قال: أما تقرأ ما قال العبد الصالح: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهيراً لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ فلا يعينهم فإن الله سيغنيه<sup>(٣)</sup>.

﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً﴾ : من قتله القبطى أن يؤخذ فيقتل به ﴿يَتَرَقَّبُ﴾ : ينتظر الأخبار ﴿فَإِذَا الَّذِي آسَنَّا صُرَّةَ رَبِّ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ﴾ : يستغيثه. وأصل ذلك من الصراخ، كما يقال: قال بنو فلان يا صاحبه.

قال ابن عباس: أتى فرعون فقيل له: إن بنى إسرائيل قد قتلوا رجلاً منا، فخذ لنا بحقنا، ولا ترخص لهم فى ذلك. فقال: ابغونى قاتله، ومن يشهد عليه، فلا يستقيم أن أقضى بغير بينة ولا تثبت، فطلبوا ذلك، فبيناهم يطوفون لا يجدون ثبثاً، إذ مر موسى عليه السلام من

(١) يريد أنه لم يقل: إن شاء الله تعالى. وهذه الكلمة وإن كانت واردة فى القرآن وهى قوله: ﴿ولا تقولن لشيء إنى فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله﴾ فإنما هى على سبيل الحض والاستحباب والتذكر، وليس معنى ذلك أنها لازمة واجبة ومن تركها سهواً فسوف يعاقبه الله، لا ليس هذا، ومن المعلوم أن المسلم يعلم تمام العلم أنه لا يكون إلا ما هو مقدر ولو ذكر فلن يذكر غير ذلك وإن ترك لفظاً فإنما سلوكه يفيد الإقرار بذلك، وكذا قولهم فى سيدنا سليمان بأنه ترك ذلك فعوقب بنصف مخلوق فهذا أيضاً لا يصح فى حق الأنبياء لأنهم هم الذين علمونا هذا جزاهم الله عنا خير الجزاء.

(٢) زيادة من القرطبي.

(٣) نعم هذا قول طيب، ولكن على من أراد أن يأخذ به فعليه أن ينفذه فى تودة وفى هدوء فمن أراد أن لا يعمل تحت مظلة حكومته فلا ضير عليه أن ينصرف عن إعانتهم فى هدوء دون إثارة بلبلة أو جرّ آخرين معه، وسيرزقه الله من حيث لا يحتسب إن شاء الله، أما أن يدعو إلى ترك العمل معهم ويحرض غيره على ذلك فهذه دعوة لا تفيده ولا تفيده غيره بل ستجر عليه من المتاعب ما هو فى غنى عنه، وقد لا يصبر هو على مثل هذا البلاء وليأخذ من دينه بالرخصة.

الغد فرأى ذلك الإسرائيلي يقاتل فرعونياً آخر يريد أن يسخره، فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني فصادف موسى عليه السلام وقد ندم على ما كان منه بالأمس من قتله القبطي، فقال موسى عليه السلام للإسرائيلي:

﴿إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُبِينٌ﴾: ظاهر الغواية حين قاتلت بالأمس رجلاً، وقتلته بسبيك، وتقاتل اليوم آخر، وتستغيثني عليه.

وقيل: إنما قال للفرعوني: ﴿إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُبِينٌ﴾ بتسخيرك وظلمك. فالقول الأول أصوب وأليق بنظم الآية.

قال ابن عباس: ثم مدّ موسى يده وهو يريد أن يبطش بالفرعوني فنظر الإسرائيلي إلى موسى بعدما قال له: ﴿إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُبِينٌ﴾ فإذا هو غضبان كغضبه بالأمس فخاف أن يكون بعدما قال له: ﴿إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُبِينٌ﴾ أرادته ولم يكن أرادته إنما أراد الفرعوني، فقال: ﴿يَسْمُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ﴾: بالقتل ظلماً. قال عكرمة، والشعبي: لا يكون الإنسان جباراً حتى يقتل نفسين بغير حق.

﴿وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾: ثم تتركها فلما سمع القبطي ما قال الإسرائيلي علم أن موسى عليه السلام قتل ذلك الفرعوني، فانطلق إلى فرعون فأخبره بذلك. فأمر فرعون بقتل موسى ولم يكن ظهر على قاتل القبطي، حتى قال صاحب موسى عليه السلام بما قال.

قال ابن عباس: فلما أرسل فرعون الذباحين لقتل موسى عليه السلام أخذوا الطريق الأعظم، فجاء رجل من شيعة موسى من أقصى المدينة أي آخرها. واختصر طريقاً قريباً حتى سبقهم إلى موسى عليه السلام، فأخبره الخبر وأنذره حتى أخذ طريقاً آخر، فذلك قوله: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ﴾: واختلفوا فيه: فقال أكثر أهل التأويل: حزيب بن صبورا<sup>(١)</sup> مؤمن آل فرعون، وكان ابن عم فرعون. وقال شعيب الحبائي: اسمه شمعون وقيل شمعان ﴿مَنْ أَقْصَا الْمَدِينَةَ يَسْعَى﴾: قال الكلبي: يسرع في مشيته لينذره. وقال مقاتل: يمشى على رجله.

﴿قَالَ يَسْمُوسَىٰ إِنْ الْمَلَأُ يَأْتِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾: أي يهمون بقتلك ويتشاورون فيك. وقيل أمر بعضهم بعضاً. نظيره قوله عز وجل: ﴿وَأْتِمِرُوا بِئِنَّكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾ (الطلاق: ٦). وقال النمر بن تولى:

أرى الناس قد أحدثوا سمةً      وفي كل حادثة يؤتمر

(١) في القرطبي: حزيب بن صبورا، وزاد وقيل: طالوت.

﴿ فَأَخْرَجَ ﴾: من هذه المدينة ﴿ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ فَخَرَجَ: موسى عليه السلام ﴿ مِنْهَا ﴾: ينتظر الطلب ﴿ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾<sup>(١)</sup>: ينتظر الطلب ﴿ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ ﴾ أى نحوها، وقصدها ماضيًا إليها خارجًا عن سلطان فرعون. يقال: داره تلقاء دار فلان إذا كانت محاذيتها، وأصله من اللقاء، ولم تصرف (مدین) لأنها اسم بلدة معروفة، قال الشاعر:

رهبان مدين لو رأوك تنزلوا والعصم من شغف الجبال القادر

وهو مدين بن إبراهيم نسب البلدة إليه كما نسب مدائن إلى أخيه مدائن بن إبراهيم ﴿ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾: قصد الطريق إلى مدين، وإنما قال ذلك لأنه لم يكن يعرف الطريق إليها، فلما دعا جاء ملك على فرس بيده خبزة، فانطلق به إلى مدين.



﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصَدِرَ الرِّعَاءُ وَأُبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَىٰ اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَبَّابَةٌ اسْتَجْرَتْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجْرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِكَ وَنُنَادِيَ بِكَ إِحْدَىٰ ابْنَتِي هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرِنِي ثَمَنِي حِجَابٍ فَإِنِ أُمِّتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنِ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتَ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿

قال المفسرون: خرج موسى عليه السلام من مصر بلا زاد ولا درهم ولا ظهر ولا حذاء، إلى مدين وبينهما مسيرة ثمانى ليال - نحواً من الكوفة إلى البصرة - ولم يكن له طعام إلا ورق الشجر. وقال ابن جبير: خرج من مصر حافياً، فما وصل إلى مدين حتى وقع خف قدميه.

(١) قال لى شيخى الشيخ آدم أحمد صالح المعروف بالشيخ آدم صالح رحمه الله تعالى رحمة واسعة فى تفسير هذه الآية: ﴿ خَائِفًا ﴾ من فرعون وقومه ﴿ يترقب ﴾ رحمه الله تعالى به.

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ : وهو بئر كان لهم ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ : مواشيهم ﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ : تحبسان، وتمنعان أغنامهما عن أن تشذ وتذهب. وقال الحسن: تكفان الغنم عن أن تختلط بأغنام الناس، وترك ذكر الغنم اختصاراً. قال قتادة: تذودان الناس عن شائهما. وقال أبو مالك، وابن إسحاق: تحبسان غنمهما عن الماء حتى تصدر عنه مواشى الناس، ويخلو لهما البئر، فتسقيان غنمهما لضعفهما. وهذا القول أولى بالصواب لما بعده وهو قوله: ﴿قَالَ﴾ : يعنى موسى عليه السلام ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ : ما شأنكما لا تسقيان مواشيكما مع الناس.

﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ﴾ : قرأ أبو عبد الرحمن السلمى، والحسن، وابن عامر، وأبو جعفر، وأبو رزين المتوكل: بفتح الياء، وضم الدال وجعلوا الفعل للرعاء، أى حتى يرجعوا هم عن الماء. وقرأ الآخرون بضم الياء وكسر الدال، أى حتى يصرفوا مواشيهم عن الماء. والرعاء جمع راع مثل تاجر وتجار، ومعنى الآية: لا نسقى مواشينا حتى يصدر ﴿الرِّعَاءُ﴾ : لأننا لا نطبق أن نسقى، ولا نطبق أن نزاحم الرجال، فإذا صدروا سقينا مواشينا ما أفضل من مواشيهم فى الحوض.

﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ : لا يقدر أن يسقى مواشيه. واختلفوا فى اسم أبيها: فقال مجاهد، والضحاك، والسدى، والحسن: هو شعيب النبى عليه السلام، واسمه: شعيب بن بويب بن مدين بن إبراهيم. وقال وهب وسعيد بن جبير، وأبو عبيدة بن عبد الله، هو بثرون ابن أخى إبراهيم، وكان شعيب قدمات قبل ذلك بعدما كف بصره فدفن بين المقام وزمزم.

وروى حماد بن سلمة عن أبى حمزة الضبعى عن ابن عباس قال: اسم أبى امرأة موسى صاحب مدين بلوى. قالوا: فلما سمع موسى عليه السلام قولهما رحمهما فاقتلع صخرة على رأس بئر أخرى كانت بقربهما كان لا يطيق رفعها إلا جماعة من الناس. قال شريح: عشرة رجال. وقيل: إنه زاحم القوم عن الماء، وأخذ دلوأ لهما وسقى غنمهما، عن ابن إسحاق فذلك قوله سبحانه: ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ﴾ : قال السدى: ظل سمرة<sup>(١)</sup>. وروى عمرو بن ميمون عن عبد الله قال: أحببت على جمل لى ليلتين حتى صبحت مدين، فسألت عن السمرة التى آوى إليها موسى عليه السلام، فإذا شجرة خضراء برق، فأهوى إليها جملى وكان جائعاً فأخذها فعاالجها ساعة فلم يقطعها فدعوت الله سبحانه لموسى عليه السلام وانصرفت.

(١) السمرة: شجرة صغيرة الورق قصيرة الشوك لها بذرة صفراء يأكلها الناس.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنزَلْتَ إِلَيَّ﴾ : قال قطرب اللام ههنا بمعنى إلى ، تقول العرب : احتجت له ، واحتجت إليه بمعنى واحد ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ : أى طعام ﴿قَقِيرٍ﴾ : محتاج . قال ابن عباس : لما قال ذلك وإن خضرة البقل تتراعى فى بطنه من الهزال ، ما سأل الله تعالى إلا أكلة . قال الباقر : لقد قالها وإنه محتاج إلى شق تمره .

قالوا : فلما رجعتا إلى أبيهما سريعاً قبل الناس ، وأغنامهما حفل بطان قال لهما : ما أعجلكما؟ قالتا : وجدنا رجلاً صالحاً رحمنا ، فسقى لنا أغنامنا . فقال لإحدهما اذهبى فادعيه لى .

﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه مستترة بكم درعها . وقيل : قد سترت وجهها بيدها . روى قتادة عن مطرف قال : أما والله لو كان عند نبي الله شىء ما أتبع نفقتها ، ولكنه حملة على ذلك الجهد .

﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ : فانطلق موسى عليه السلام معها ، فهبت الريح فالزقت ثوب المرأة بردفها ، فكره موسى أن يرى ذلك منها ، فقال لها : امشى خلفى ، وانعتى لى الطريق فدليني عليها إن أخطأت فإننا بنو يعقوب لا ننظر إلى أعجاز النساء<sup>(١)</sup> ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ﴾ : يعنى الشيخ ﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾ : وأخبره بأمره والسبب الذى أخرجه من أرضه ﴿قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ : يعنى فرعون وقومه لا سلطان له بأرضنا .

﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا﴾ : وهى التى تزوجها موسى عليه السلام ﴿يَتَأْتِ اسْتَجْرَةَ﴾ : ليرعى أغنامنا ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيَّ الْأَمِينُ﴾ : فقال لها أبوها : وما علمك بقوته وأمانته؟ فقالت : أما قوته فإنه لما رأنا حابسى أغنامنا عن الماء قال لنا : هل بقركما بئر؟ قلنا : نعم ، ولكن عليها صخرة لا يرفعها إلا أربعون رجلاً ، قالت : فانطلق بى إليها فأخذ الصخرة بيده فنحاهها .

وأما أمانته ؛ فإنه قال لى فى الطريق امشى خلفى وإن أخطأت فارمى قدامى بحصاة حتى أنهج نهجها .

(١) هذا تأويل ضعيف غير مستقيم لا يقبله العقل ولا يدل على فضيلة إذ الفضيلة تظهر من سلوكيات بسيطة معظمها غير منطوق ولكن تظهر فى سلوك الناس وتصرفاتهم ، وفى هذه الحكاية هنا وصف لا يحتاج إلى أن يكون دليلاً على الفضيلة أو الأمانة فأهل البدو من شيمهم أن تسير النساء خلف الرجال ولا تقبل امرأة أن تسير أمام رجل وكذا لا يقبل رجل أن يسير خلف امرأة مهما كانت الأسباب ، وقد ظهرت لهما من موسى عليه السلام صفات النبيل والكرم والشهامة والمروءة والصلاح والعفة فى تصرفه معهما وفيما لم يذكره القرآن مما تعود القرآن على طيه لكونه معروفاً .

﴿قَالَ﴾ عند ذلك الشيخ لموسى عليه السلام ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيْ هَتْتَيْنِ﴾: واسمها صفورة. وأما في قول شعيب الجبائي قال: وامرأة موسى عليه السلام صفورة. وقال ابن إسحاق: صفورة، وشرفا. وقال غيرهما: الكبرى صفرا، والصغرى صفيرا ﴿عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي﴾: يعنى أجزتى. قالت الأئمة: على أن تئينى من تزويجها رعى ماشيتى ﴿ثُمَّ نَفَى حَجَجٍ﴾: سنين واحدتها حجة. جعل صداقها ذلك، يقول أجرك الله فهو يأجرك بمعنى أثابك ﴿فَإِنْ أَتَمَّتْ عَشْرًا﴾: أى عشر سنين ﴿فَمِنْ عِنْدِكَ﴾: وأنت به متبرع متفضل، وليس مما أشرطه عليك فى عقد النكاح ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾.

﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾: من الوافين بالعهد المحسنين الصالحة ﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلِينَ قَضَيْتُ﴾: الثمانى أو العشر ﴿فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾: شهيد وحفيظ.

وقال العلماء بأخبار الأنبياء: إن موسى عليه السلام وصاحبه لما تعاقدا بينهما هذا العقد أمر صهره إحدى بنتيه أن تعطى موسى عليه السلام عصا يدفع بها السباع عن غنمه. واختلفوا فى حال تلك العصا<sup>(١)</sup>: فقال عكرمة: خرج بها آدم من الجنة، وأخذها جبريل بعد موت آدم فكانت معه حتى لقي بها موسى عليه السلام فدفعها إليه. وقال آخرون: لم يزل الأنبياء يتوارثونها حتى وصلت إلى شعيب، وكانت عصا الأنبياء عنده فأعطاها موسى عليه السلام.

وقال السدى: كانت تلك العصا استودعها إياه ملك فى صورة رجل وأمر ابنته أن تأتية بعضا. فدخلت الجارية، فأتته بها، فلما رآها الشيخ قال: لا هذه لائت بغيرها فلما لقيها تريد أن يأخذ غيرها، فلا يقع فى يده إلا هى كل ذلك يطير فى يدها حتى فعلت ذلك مرات، فأعطاها موسى عليه السلام فأخرجها معه؛ ثم إن الشيخ ندم وقال: كانت وديعة فخرج يتلقى موسى عليه السلام، فلما لقيه قال: أعطنى العصا. قال موسى عليه السلام: هى عصاى، فأبى أن يعطيه، فاختصما حتى رضيا أن يجعل بينهما أول رجل يلقاها فأتاهما ملك يمشى فقضى بينهما، فقال: ضعوها بالأرض فمن حملها فهى له، فعالجها الشيخ فلم يطبقها، وأخذها موسى عليه السلام فرفعها فتركها له الشيخ.

وروى حبان عن الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس أنه قال: كان فى دار يثرون بيت لا

(١) هذا من الجدل الذى نهى عنه الدين والذى لا يهتم به الإسلام فالإسلام يهتم بالذى يخدم النفس البشرية ويجعلها سوية رضية أما عن عصا موسى عليه السلام فهى عصا ككل عصا.

يدخله إلا يثرون وابنته التي تزوجها موسى عليه السلام كانت تكنسه وتنظفه ، وكان في البيت ثلاث عشرة عصا ، وكان ليثرون أحد عشر ولداً من الذكور ، فكلما أدرك منهم ولد أمره بدخول البيت وإخراج عصا من تلك العصى فجعل يخرق الولد حتى هلك كلهم ، فرجع موسى ذات يوم إلى منزله فلم يجد أهله واحتاج إلى عصى لرعيه ، فدخل ذلك البيت ، وأخذ من تلك العصى وخرج بها ، ولما علمت بذلك امرأته انطلقت إلى أبيها ، فأخبرته بذلك فسُرُّ بها يثرون ، وقال لها : إن زوجك هذا نبي ، وإن له مع هذه العصا لشأناً<sup>(١)</sup> .

وفى بعض الأخبار : أن موسى عليه السلام لما أصبح من الغد بعد العقد وأراد الرعى قال له صهره شعيب : اذهب بهذه الأغنام فإذا بلغت مفرق الطريق فخذ على يسارك ، ولا تأخذ على يمينك وإن كان الكلاب بها أكثر ، فإن هناك تيناً عظيماً أخشى عليك وعلى الأغنام منه ، فذهب موسى بالأغنام ، فلما بلغ مفرق الطريق أخذت الأغنام ذات اليمين ، فاجتهد موسى على أن يصرفها ذات الشمال فلم تطعه ، فسار موسى على أثرها حتى غلبته فرأى عشباً وريقاً لم ير مثله ، ولم ير التين ، فنام موسى عليه السلام والأغنام ترعى فإذا بالتنين قد جاء ، فقامت عصا موسى عليه السلام وحاربتة حتى قتلته وعادت إلى جنب موسى عليه السلام ، وهي دامية .

فلما استيقظ موسى عليه السلام رأى العصا دامية والتنين مقتولاً ، فارتاح لذلك وعلم أن لله سبحانه في تلك العصا قدرة وإرادة وعاد إلى شعيب وكان ضريراً ، فمس الأغنام فإذا هي أمثل حالاً مما كانت فسأله ، فأخبره موسى عليه السلام بالقصة . ففرح بذلك شعيب ، وعلم أن لموسى عليه السلام وعصاه شأناً .

فأراد شعيب أن يجازى موسى عليه السلام على حسن رعيه إكراماً له وصلة لابنته ، فقال له : إني قد وهبت لك الحوايا التي تضعها أغنامي هذه السنة كل أبلق ويلقاء . فأوحى الله إلى موسى عليه السلام في المنام ، أن اضرب بعصاك الماء الذي في مستقى الأغنام .

قال : فضرب موسى عليه السلام بعصاه الماء ثم سقى الأغنام منه ، فما أخطأت واحدة منها إلا وقد وضعت حملها ما بين أبلق ويلقاء . فعلم شعيب أن ذلك رزق ساقه الله إلى موسى عليه السلام وامرأته ، فوفى له بشرطه وسلم إليه الأغنام<sup>(٢)</sup> .

(١) هذا خبر من رواية الكلبي وأبي صالح وقال فيهما أهل الجرح والتعديل ما قالوا بما يفيد بعدم قبول روايتهما .

(٢) وكذلك هذه القصة كسابقتها بل هي أشد منها ضعفاً حيث لم يذكر من رواها ولا عن رواها ، بالإضافة إلى ما حوته من أخبار الأساطير وعجائب الأسفار القديمة وليس فيها من الواقع شيء ولا لها من الحقيقة نصيب .

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا عَلَيَّ أَيُّكُمْ مِنْهَا بِخَبْرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَمْوَسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوَسَىٰ أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِينَ ﴾ ﴿ أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ وَأَضْمُمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذُنُوبِكُمْ بِرُءُوسِنَا مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾ ﴿ وَأَخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾ ﴿ قَالَ سَدِّدْ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَجْعَلْ لَكُمَا سُلْطٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيٰتِنَا أَنْتَمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغٰلِبُونَ ﴾ ﴿

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ ﴾ : أى أتمه و فرغ منه ، وأخبرنا محمد بن عبد الله بن حمدون قال أخبرنا مكى بن عبد الرحمن قال حدثنا عبد الرحمن بن بشير قال حدثنا موسى بن عبد العزيز قال حدثنا الحكم بن أبان قال حدثنا عكرمة ، قال : قال ابن عباس : سئل رسول الله ﷺ : أى الأجلين قضى موسى عليه السلام ؟ قال : «أبعدهما وأطيبهما» .

وأخبرنا عبد الله بن حامد قال : أخبرنا أحمد بن عبد الله المزني قال : حدثنا محمد بن عبد الله بن سليمان قال حدثنا محمد بن عبد الجبار الهمداني قال حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنا ابن لهيعة عن الحارث بن زيد بن على بن رباح عن عتبة بن المسيب ، وكان من أصحاب النبي ﷺ يسكن الشام ومات فى زمن عبد الملك - قال : سئل رسول الله : أى الأجلين قضى موسى ؟ قال : «أبرهما وأوفاهما» .

وروى محمد بن إسحاق عن حكم بن جبيرة عن سعيد بن جبيرة قال : قال لى يهودى بالكوفة وأنا أتجهز للحج : إني أراك رجلاً تتبع العلم ، أخبرنى أى الأجلين قضى موسى عليه السلام ؟ قلت : لا أعلم ، وأنا الآن قادم على حبر العرب - يعنى ابن عباس - فسأله عن ذلك . فلما قدمت مكة سألت ابن عباس عن ذلك فقال : قضى أكثرهما وأطيبهما ، إن النبي إذا وعد لم يخلف ، قال سعيد : قدمت العراق فلقيت اليهودى ، فأخبرته ، فقال : صدق قال ما أنزل على موسى عليه السلام هذا والله العالم . وقال وهب : أنكحه الكبرى ، وقد روى : أن



النبي ﷺ قال: «تزوج صغراهما، وقضى أوفاهما». فإن صح هذا الخبر فلا معدل عنه .  
وقال مجاهد: لما قضى موسى عليه السلام الأجل، مكث بعد ذلك عند صهره عشرًا  
أخرى فأقام عنده عشرين سنة، ثم استأذنه في العود إلى مصر لزيارة والدته وأخيه، فأذن له  
فسار بأهله، وكانت أيام الشتاء، وأخذ على غير الطريق مخافة ملوك الشام، وامرأته في  
شهرها لا يدري أليلاً تضع أم نهاراً، فسار في البرية غير عارف بطريقها، فأجأه المسير إلى  
جانب الطور الغربي الأيمن في ليلة مظلمة شديدة البرد، وأخذ امرأته الطلق، ففدح زنده، فلم  
تور المقدحة شيئاً، فأنس من جانب الطور ناراً ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا عَلَيَّ أَتِيكُمْ مِنْهَا  
بِخَيْرٍ أَوْ جَذْوَةٍ﴾: قطعة وشعلة ﴿مِنَ النَّارِ﴾: وفيها ثلاث لغات: فتح الجيم وهى قراءة عاصم .  
وضمها وهى قراءة حمزة، وكسرها وهى قراءة الباقيين . وقال قتادة ومقاتل: الجذوة العود  
الذى قد احترق بعضه، وجمعها جذى، قال ابن مقبل:

باتت حواطب ليلى يلتمسن لها  
حزل الجذأ غير خوار ولا دعر

﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾: تستدفئون، وتسخنون بها من البرد ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِهَا﴾: من  
جانب ﴿الْوَادِ الْأَيْمَنِ﴾: عن يمين موسى عليه السلام ﴿فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ﴾: وقرأ أشهب العقيلي  
فى البقعة، بفتح الباء ﴿مِنَ الشَّجَرَةِ﴾: أى من ناحية الشجرة، ﴿أَن يَمُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ  
الْعَالَمِينَ﴾ قال عبد الله بن مسعود: كانت الشجرة سمرة خضراء ترق. وقال قتادة: عوسجة .  
وقال وهب: عليق<sup>(١)</sup>.

﴿وَأَن أَلْقَ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾: تتحرك ﴿كَأَنَّهُا جَانٌّ﴾: وهى الحية الصغيرة من سرعة  
حركتها ﴿وَلَىٰ مُدْبِرٍ﴾: هارباً منها ﴿وَأَمْرٌ يُعِيبُ﴾: ولم يرجع فنودى ﴿يَمُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ  
مِنَ الْأَمِينِينَ﴾ أسلك يدك فى جيبيك تخرج بيضاء من غير سوء: فخرجت كأنها المصباح ﴿وَأَضْمُ  
إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾: يدك . قرأ حفص بفتح الراء وجزم الهاء . وقرأ هل الكوفة والشام  
بضم الراء، وجزم الهاء . وقرأ غيرهم: بفتح الراء والهاء، دليلهم قوله سبحانه: ﴿وَيَدْعُونَنَا  
رَغْبًا وَرَهْبًا﴾ (الأنبياء: ٩٠) . وكلها لغات يعنى: الخوف والفرق .

ومعنى الآية: إذا هالك أمر يدك وما ترى من شعاعها، فأدخلها فى جيبيك تعد إلى حالتها  
الأولى . وقال بعضهم: أمره الله سبحانه وتعالى أن يضم يده إلى صدره، فيذهب الله عز وجل  
ماناله من الخوف عند معاينة الحية . وقيل: معناه: سكن روعك، واخفض عليك جأشك،  
لأن من شأن الخائف أن يضطرب قلبه ويرتعد بدنه، وضم الجناح هو السكون . ومثله قوله

(١) كذا الخلاف فى الشجرة ونوعها لا فائدة فيه إذ لو فيه فائدة لعرفها لنا الله سبحانه .

سبحانه: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ (الإسراء: ٢٤) يريد الرفق. وقوله سبحانه: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء: ٢١٥) أى ارفق بهم وأن جانبك لهم. وقال الفراء: أراد بالجنح عصاه.

وقال بعض أهل المعاني: الرهب الكُم<sup>(١)</sup> بلغة حمير وبنى حنيفة. وحكى عن الأصمعي: أنه سمع بعض الأعراب يقول لآخر: أعطني مما فى رُهبك. قال: فسألته عن الرُهب، فقال: الكم. ومعناه على هذا التأويل: اضمم إليك يدك وأخرجها من الكم لأنه تناول العصا ويده فى كمه.

﴿فَذَانِكَ﴾: قراءة العامة بتخفيف النون. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو بتشديد النون وهى لغة قريش وفى وجهها أربعة أقوال: قيل شد النون عوضاً عن الألف الساقطة ولم يلتفت إلى التقاء الساكنين لأن أصله: فذانك، فحذف الألف الأولى لالتقاء الساكنين.

وقيل: التشديد للتأكيد كما أدخلوا اللام فى ذلك. وقيل: شددت فرقاً بينها وبين التى تسقط للإضافة لأن ذان لا يضاف. وقيل: للفرق بين تشنية الاسم المتمكن وبينها. قال أبو عبيدة: وكان أبو عمرو يخص هذا الحرف بالتشديد دون كل تشنية فى القرآن، وأحسبه فعل ذلك لقلّة الحروف فى الاسم فقرأه بالثقل.

ومعنى الآية: ﴿فَذَانِكَ﴾ يعنى العصا، واليد البيضاء ﴿رَهْنَانٍ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِۦۙ أَنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ قال ربّ إني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون<sup>(٢)</sup> وأخي هارون هو أفصح منى لساناً: وأحسن بياناً. وإنما قال ذلك للعقدة التى كانت فى لسانه<sup>(٢)</sup> ﴿فَأَرْسَلْنَا مَعِيَ رِدْءًا﴾: معينا، يقال أردأته أى أعتته. وترك همزه عيسى بن عمر وأهل المدينة طلباً للخفة ﴿يُضِدِّقْنِي﴾: قراءة العامة بالجزم. ورفع عاصم، وحمزة، وهو اختيار أبى عبيد. فمن جزمه فعلى جواب الدعاء ومن رفعه فعلى الحال، أى رداءً مصدقاً حالة التصديق، لقوله سبحانه: ﴿رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ﴾ (المائدة: ١١٤) أى كائنة، حال صرف إلى الاستقبال.

﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ قال سَنَشُدُّ عَضُدَكَ﴾: أى نقوبك ونعينك.

﴿بِأَخِيكَ﴾: وكان هارون يومئذ بمصر.

(١) فى المخطوط: «اللم». وهو تحريف.

(٢) سبق أن تكلمت عن أن العقدة التى كانت فى لسان موسى عليه السلام ليست بلغة نظراً لما ادعوه من أمر التمرة والجمرة وإنما لكنته كانت من مكته فى قوم شعيب، وفصاحة هارون عليه السلام كانت من قيامه بين قوم فرعون فكان أبين لهم وأوضح ليس إلا. والأنبياء جميعاً ليس بهم عيب تكوينى.

﴿وَنَجْعَلُ لَكُمْ سُلْطٰنًا﴾ : قوة وحجة وبرهانًا .  
 ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِغَايَتِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْفٰلِغُونَ﴾ :



﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِغَايَتِنَا يَبَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرَىٰ وَمَا سَمِعْنَا بِهٰذَا فِي ءَابَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عٰقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّٰلِمُونَ ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلٰهِ غَيْرِي فَأَوْقَدْ لِي يٰيَهْمٰنُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صِرْحًا لَعَلِّي أُطْعَمُ إِلَىٰ إِلٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكٰذِبِينَ ﴿ وَأَسْتَكْبَرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُم إِلٰهِنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عٰقِبَةُ الظَّٰلِمِينَ ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿ وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ هُمْ مِنَ الْمَتَّبٰوِحِينَ ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتٰبَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بِصَٰبِرٍ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِغَايَتِنَا يَبَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرَىٰ وَمَا سَمِعْنَا بِهٰذَا﴾ الذي تدعوننا إليه ﴿فِي ءَابَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ ﴿ : قرأ العامة بالواو ، وقرأ أهل مكة بغير واو ، وكذلك هو فى مصاحفهم ﴿رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ﴾ : بالحق من الباطل ﴿وَمَنْ تَكُونُ لَهُ﴾ : بالياء كوفى ، والباقون بالتاء ﴿عٰقِبَةُ الدَّارِ﴾ : أى العقبى المحمودة فى الدار الآخرة ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّٰلِمُونَ﴾ : لا ينجح الكافرون ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلٰهِ غَيْرِي فَأَوْقَدْ لِي يٰيَهْمٰنُ عَلَى الطِّينِ﴾ : فاطبخ لى الأجر . وقيل : إنه أول من اتخذ الأجر وبنى به .

قال أهل التفسير : لما أمر فرعون وزيره هامان ببناء الصرح ، جمع هامان العمال والفعلة ، حتى اجتمع خمسون ألف بناء سوى الأتباع ، والأجراء ، ومن يطبخ الأجر والخص ، وينجر الخشب والأبواب ويضرب المسامير . فرفعوه ، وشيدوه حتى ارتفع ارتفاعاً لما يبلغه بنيان أحد من الخلق منذ خلق الله السموات والأرض . أراد الله سبحانه وتعالى أن يفتنهم فيه ، فلما فرغوا منه ارتقى فرعون فوقه فأمر بنشابة فرمى بها نحو السماء فردت إليه وهى ملطخة دمًا .

فقال : قد قتلت إله موسى<sup>(١)</sup> قالوا : وكان فرعون يصعده على البرازين ، فبعث الله سبحانه جبريل عليه السلام عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع ، فوَقعت قطعة منها على عسكر فرعون فقتلت منهم ألف رجل ووقعت قطعة منها في البحر . ووقعت قطعة في المغرب فلم يبق أحد من عمل فيه بشيء إلا هلك ، فذلك قوله تعالى : ﴿ فَأَوْقِدْ لِي يَهْلِكُنْ عَلَى الطَّيْنِ فَأَجْعَلْ لِي صَرَخًا ﴾ : قصراً ﴿ أَلْعَلِّي أُلْطِعُ إِلَى إِلَهِي مُوسَى ﴾ : انظر إليه وأقف على حاله<sup>(٢)</sup> ﴿ وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ ﴾ : يعني موسى عليه السلام ﴿ مِنَ الْكَذِبِينَ ﴾ : في ادعائه كون إله غيري ، وأنه رسوله ﴿ وَأَسْتَكْبِرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يَرْجِعُونَ ﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ : فألقيناهم ﴿ فِي الْيَمِّ ﴾ : يعني البحر . قال قتادة : هو بحر يقال له أساف غرقهم الله فيه<sup>(٣)</sup> ﴿ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾ .

﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً ﴾ : قادة ورؤساء . ﴿ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴾ وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ﴿ حَزَنًا وَعَذَابًا ﴾ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ : الممقوتين . وقال أبو عبيدة وابن كيسان : المهلكين . وقال ابن عباس : يعني المشوهين الخلقة بسواد الوجوه وزرقة العيون . قال أهل (المعاني)<sup>(٤)</sup> يقال : قَبَحَهُ اللهُ ، وَقَبَحَهُ إِذَا جَعَلَهُ قَبِيحًا .

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ : أخبرنا شعيب بن محمد قال أخبرنا مكى بن عبد الرحمن قال حدثنا أحمد بن الأزهر قال حدثنا روح بن عباد عن عوف عن أبي نصره عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال : « ما أهلك الله عز وجل قومًا ولا قرنًا ولا أمة ، ولا قرية بعذاب من السماء منذ أنزل الله سبحانه التوراة غير القرية التي مسخوها قردة ألم تر أن الله سبحانه قال : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى ﴾ . الآية .



(١) هذا قول لا يقوله عاقل . نعم قد كان فرعون جبارًا في الأرض كافرًا بالله تعالى غير أنه كان ذا عقل لم يكن بهذه الضعة من التفكير في أمور الدنيا فهو رجل قد حكم دولة مثل مصر بدهاء ومكر وقهر وظلم ويطش فلا يعقل أن لا يكون لديه أدنى قدر من أن إله موسى الذى يتكلم عنه رب لا يرى على ما قال موسى عليه السلام على الأقل فمثل هذه الحكايات يجب ترك الكلام بها ولا يجب ذكرها وكأنها لم ترد حتى لا يظن من لا يعرف الإسلام أن الإسلام دين جهل .

(٢) هذا القول منه استهزاء وسخرية فهو يعلم أنه مهما ارتفع في السماء فلن يصل ولن يرى إله موسى عليه السلام وأما عمل الصرح فهو من العلو في الأرض بغير الحق واتخاذ البناء بالريع وللخلود وللشهرة وتسخير الناس .

(٣) من المعروف أن البحر الذى غرق فيه فرعون وقومه هو بحر القلزم والمعروف اليوم بالبحر الأحمر .

(٤) زيادة يتطلبها السياق .

﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْعَرَبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾  
 وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا  
 وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحِمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا  
 مَّا أَتَتْهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿ وَلَوْ لَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ  
 فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ  
 مِن عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أوتى مثل ما أوتى موسىٰ أو لم يكفروا بما أوتى موسىٰ من قبل قالوا  
 سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّن عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا  
 أَتَّبِعُهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَن أَضَلُّ مِمَّن  
 اتَّبَعَ هَوَاهُ بغير هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿

﴿وَمَا كُنْتَ﴾ يا محمد ﴿بِجَانِبِ الْعَرَبِيِّ﴾ أى غربى الجبل ﴿إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ الْأَمْرَ﴾ أى  
 أخبرناه بأمرنا ونهينا وألزمناه عهدنا ﴿وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ الحاضرين هناك فتذكره من ذات  
 نفسك ﴿وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا﴾: أحدثنا وخلقنا ﴿قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾: فنسوا عهد الله سبحانه  
 وتركوا أمره. نظيره: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (الحديد: ١٦) ﴿وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا﴾: مقيماً.  
 ﴿فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾: يعنى أرسلناك رسولاً، وأنزلنا عليك  
 كتاباً فيه هذه الأخبار فتتلوها عليهم ولولا ذلك لما علمتها ولما أخبرتهم بما تشاهده ﴿وَمَا كُنْتَ  
 بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ موسى: خذ الكتاب بقوة.

قال وهب بن منبه: قال موسى: يا رب أرني محمداً ﷺ قال: إنك لن تصل إلى ذلك، فإن  
 شئت ناديت أمته فأسمعناك صوتهم. قال: «بلى يا رب». فقال الله سبحانه: يا أمة محمد  
 فأجابه من أصلاب آبائهم.

وأخبرنا عبد الله بن حامد الأصفهاني قال: أخبرنا محمد بن جعفر الطبري قال حدثنا حماد  
 ابن الحسين قال حدثنا أبو بكر قال حدثنا سفيان عن الأعمش عن أبي مدرك عن أبي زرعة -  
 يعنى عمرو بن جرير ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾: قال يا أمة محمد قد أحببتكم قبل أن  
 تدعوني، وأعطيتكم من قبل أن تسألوني.

وأخبرنا عبد الله بن خالد الوزان قال أخبرنا أحمد بن محمد بن شاذان قال حدثنا معاوية بن

محمد قال حدثنا صالح بن محمد قال حدثنا قال: (ح) <sup>(١)</sup> وأخبرنا عثمان بن أحمد قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم الختلى قال حدثنا محمد بن الصباح بن عبد السلام قال حدثنا داود بن سليمان كلاهما عن سليمان بن عمرو عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي قال: قال رسول الله ﷺ في قول الله سبحانه: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ قال: «كتب الله عز وجل كتاباً قبل أن يخلق الخلق بألفى عام في ورقة آس وضعها على العرش، ثم نادى أمة محمد: إن رحمتي سبقت غضبي أعطيتكم قبل أن تسألوني، وغفرت لكم قبل أن تستغفروني من لقيني منكم يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبدي ورسولي أدخلته الجنة».

﴿وَلَكِنْ رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّكَ﴾: قراءة العامة بالنصب على الخبر، تقديره ولكن رحمتك رحمة. وقرأ عيسى بن عمر: رحمة بالرفع يعني ولكنه رحمة من ربك إذ أطلعك عليه وعلى الأخبار الغائبة عنك ﴿لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾: يعني أهل مكة.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ﴾: عقوبة ونقمة ﴿بِمَا قَدَّمْتُمْ أُيُودِيَهُمْ﴾: من الكفر والمعصية ﴿فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: جواب لولا محذوف، أي فهلا لو عاجلناهم بالعقوبة. وقيل: معناه: لما أرسلناك إليهم رسولا ولكننا بعثناك إليهم ﴿لَوْلَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ (النساء: ١٦٥) ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا﴾: يعني محمد عليه الصلاة والسلام ﴿قَالُوا﴾: يعني كفار مكة ﴿لَوْلَا أَوْتِي﴾: محمد ﴿مِثْلَ مَا أَوْتِيَ مُوسَى﴾: كتاباً جملة واحدة.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَوْ لَوْ كُفِّرُوا بِمَا أَوْتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ <sup>(١)</sup> تَظَاهَرَا﴾: قال الكلبي: وكانت مقاتلهم تلك حين بعثوا الرهط منهم إلى رؤوس اليهود بالمدينة في عيد لهم، فسألوهم عن محمد ﷺ، فأخبروهم أنه نعتة وصفته، وأنه في كتابهم التوراة. فرجع الرهط إلى قريش فأخبروهم بقول اليهود. فقالوا عند ذلك: ﴿سِحْرَانِ تَظَاهَرَا﴾ قرأ أهل الكوفة: سحران بغير ألف، وهي قراءة ابن مسعود وقرأ عكرمة واحتج بقوله: ﴿قُلْ فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا﴾. وقرأ الآخرون: ساحرات بالألف، واختاره أبو حاتم، وأبو عبيدة قال: لأن معنى التظاهر بالناس وأفعالهم أشبه منه بالكتب. فمن قرأ سحران أراد التوراة والقرآن، ومن قرأ ساحران، أراد موسى ومحمداً عليهما السلام.

(١) زيادة يتطلبها سياق الإسناد.

(٢) جاء الرسم في المخطوط: ساحران، وأثبت ما هو في رسم المصحف المطبوع برواية حفص عن عاصم فيلاحظ الفرق في شرح المؤلف.

﴿وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَفَرُونَ﴾ قُلْ: قل لهم يا محمد .

﴿فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ: ولم يأتوا به .

﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾:



﴿وَلَقَدْ وَصَلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَأَمَّا بِهِ ءِإِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ أُولَٰئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَّا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْنَا سَلَمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْنِئُ الْجَاهِلِينَ ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ وَقَالُوا إِنْ تَتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نَتَخَطَّفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نَمُكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَأَمِنَّا يُجَبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِ بِطَرَتٍ مَعِيشَتَهَا فُتِنَاتٍ مَسَكِنُهُمْ لَمْ تُسْكِنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَأَيْنَتْنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿وَمَا أَوْتَيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

﴿وَلَقَدْ وَصَلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ أى بيناه . قال ابن عباس ومجاهد: فصله . وقال ابن زيد: وصلنا لهم خير الدنيا بخير الآخرة حتى كأنهم عاينوا الآخرة فى الدنيا . وقال أهل المعانى: أى والينا وتابعنا، وأصله من وصل الحبال بعضها إلى بعض قال الشاعر:

فقل لبنى مروان ما بال ذمة وحبل ضعيف ما يزال يُوَصَّلُ

وقرأ الحسن: وصلنا، خفيفة . وقرأ العامة: بالتشديد .

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ: أى من قبل محمد ﷺ ﴿هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾: أى من مؤمنى أهل الكتاب ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾: يعنى القرآن ﴿قَالُوا ءَأَمَّا بِهِ ءِإِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ

رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿١﴾ أَوْلَيْكَ يَوْمَئِذٍ أَجْرُهُمْ مَرَّتَيْنِ ﴿٢﴾ : لإيمانهم بالكتاب الأول والكتاب الآخر ﴿يَا صَبْرُوا﴾ : على دينهم . قال مجاهد : نزلت في قوم من أهل الكتاب أسلموا فأوذوا ﴿وَيَذَرُونَ﴾ : ويدفعون ﴿بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ ﴿٤﴾ : القبيح من القول ﴿أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْنَا سَلَّمْ عَلَيْكُمْ لَا تَبْغِي الْجَاهِلِينَ﴾ : أى لا نريد الجاهلين عند الكلبي . قيل : مجاورة الجاهلين . وقيل : لا نريد أن نكون جهالاً .

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ : أى من أحببت هدايته . وقيل : من أحببته . نزلت في أبى طالب .

حدثنا أبو محمد الحسن بن أحمد المخلدي إملاءً قال حدثنا أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسن الحافظ قال حدثنا عبد الرحمن بن بشر قال حدثنا يحيى بن سعيد عن زيد بن كيسان قال حدثني أبو حازم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ لعمه : «قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة» . قال : لولا أن تعيرنى نساء قريش يقلن إنه حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك . فأنزل الله سبحانه : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ :

أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان أخبرنا مكى بن عبدان قال حدثنا محمد بن يحيى ، وأحمد ابن يوسف قالوا : حدثنا عبد الرزاق . قال وأخبرنا محمد بن الحسين قال حدثنا أحمد بن يوسف السلمى قال حدثنا عبد الرزاق . قال : (ح) <sup>(١)</sup> وأخبرنا أبو سعيد بن حمدون قال أخبرنا ابن الشرقى قال حدثنا محمد بن يحيى قال حدثنا عبد الرزاق (ح) <sup>(١)</sup> قال أخبرنا معمر بن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبيه عن النبي ﷺ : أنه دخل على عمه أبى طالب فى مرضه الذى مات فيه ، وعنده أبو جهل بن هشام ، وعبد الله بن أبى أمية ، فقال له : «يا عم قل : لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله» .

فقال أبو جهل ، وعبد الله بن أبى أمية : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟

قال : بل على ملة عبد المطلب ، فأنزل الله سبحانه : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ .

﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ : أخبرنا ابن فنجويه قال حدثنا عبد الله بن يوسف بن أحمد بن مالك قال حدثنا محمد بن إبراهيم الطيالسى قال حدثنا الحسين بن على بن زيد المدائنى قال حدثنا أبى قال حدثنا الفضل بن العباس الهاشمى قال حدثنا عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفى قال حدثنا يحيى بن سعيد الأنصارى عن الزهرى عن محمد بن مطعم عن أبيه قال : لم يسمع أحد

(١) زيادة حديثة يتطلبها سياق الإسناد .



الوحي يلقي على رسول الله ﷺ إلا أبو بكر الصديق فإنه أتى النبي ﷺ فوجده يوحى إليه فسمع: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (١).

﴿وَقَالُوا إِنْ تَتَّبِعِ الْهَدَىٰ مَعَكَ﴾: نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف، وذلك أنه قال للنبي ﷺ: إنا لنعلم أن الذي تقول حق، ولكن يمنعنا اتباعك أن العرب تخطفنا من أرضنا لإجماعهم على خلافنا ولا طاقة لنا بهم، فأنزل الله سبحانه: ﴿وَقَالُوا إِنْ تَتَّبِعِ الْهَدَىٰ مَعَكَ نَتَّخِطْفَ مِنْ أَرْضِنَا﴾: مكة.

قال الله سبحانه: ﴿أَوْ مَنكِنَ لَهُمْ حَرَمًا مَّأْمُونًا﴾: وذلك أن العرب في الجاهلية كانت تغير بعضهم على بعض فيقتل بعضهم بعضاً وأهل مكة آمنون حيث كانوا حرمة الحرم (يُجَبِّي) (٢) إليه ثمرات: يجلب ويجمع. قرأ أهل المدينة ويعقوب: تجبى بالتاء لأجل الثمار، واختلف أبو حاتم. وقرأ غيرهم بالياء لقوله: ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾: واختاره أبو عبيد، قال: لأنه قد حال بين الاسم المؤنث والفعل حائل ﴿زَرْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطَرْت مَعِيشَتَهَا﴾: أى أشرت وطفت فكفرت بربها. قال عطاء بن أبى رباح: أى عاشوا فى البطر والأشر وأكلوا رزق الله، وعبدوا الأصنام. وجعل الفعل للقرية وهو فى الأصل للأهل. وقد مضت هذه المسألة ﴿فَتِلْكَ مَسْكِنُهُمْ لَوْ تَشْكُرُ مِن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾: يعنى لم يعمر منها إلا أقلها، وأكثرها خراب قال ابن عباس: لم يسكنها إلا المسافر، ومار الطريق يوماً أو ساعة ﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ نظيره قوله سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ (مرم: ٤٠)، وقوله: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (آل عمران: ١٨٠).

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ﴾: بكفر أهلها ﴿حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمَةٍ﴾: يعنى مكة ﴿رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾: كافرون ﴿وَمَا أَوْتِيَهُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّلْنَاهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: بالياء أبو عمرو. ومختلف عنه الباكون بالتاء.



﴿أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعَدًّا حَسَنًا فَهُوَ لَنَقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآئِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿١٠﴾ قَالَ

(١) من المعلوم أنه لم يثبت أن أحداً من البشر قط سمع الوحي وهو ينزل على رسول الله ﷺ ولكنهم رأوه ﷺ عندما كان الوحي ينزل عليه ولكنهم كانوا لا يعرفون ما أوحى إليه به حتى يخبره بعد انفصام الوحي عنه ﷺ.  
(٢) فى المخطوط: بالتاء، ورسمت ما فى مصحف حفص عن عاصم المطبوع المتداول فلاحظ قول المؤلف على ضوء ما كان رسم.

الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا  
 إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿١٠٠﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمُ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا  
 يَهْتَدُونَ ﴿١٠١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٢﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ لِيَوْمِئِذٍ فَهُمْ لَا  
 يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠٣﴾ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿١٠٤﴾ وَرَبُّكَ  
 يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٠٥﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا  
 تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿١٠٦﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ  
 الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ  
 إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بَضِيئًا أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿١٠٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ  
 يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بَلِيلًا تُسْكِنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿١٠٩﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ  
 لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١١٠﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ  
 فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿١١١﴾ وَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ  
 فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾

﴿أَفَنَ وَوَعَدَنَّهُ وَعَدًا حَسَنًا﴾: يعنى الجنة ﴿فَهُوَ لَنَقِيهِ﴾: مدركه ومصيبه ﴿كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ  
 الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾: فى النار. نظيره قوله سبحانه: ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي  
 لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ (الصفات: ٥٧). قال مجاهد: نزلت فى النبى ﷺ، وفى أبى جهل بن  
 هشام، وقال محمد بن كعب: فى حمزة وعلى، وأبى جهل. وقال السدى: عمار، والوليد  
 ابن المغيرة.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾: فى الدنيا أنهم شركائى ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ  
 عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾: وجب عليهم العذاب وهم الرؤوس، عن الكلبي. وقال غيره الشياطين ﴿رَبَّنَا  
 هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ﴾: منهم ﴿مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ وقيل: أى  
 الكفار ﴿ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمُ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾: جواب ﴿لَوْ﴾  
 مضمر، أى لو كانوا يهتدون لما رأوا العذاب. وقيل معناه: ودوا إذا رأوا العذاب لو أنهم كانوا  
 يهتدون.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ فَعَمِيَتْ ﴿: فخفيت واشتبهت ﴿عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ﴾: يعنى الأخبار، والأعذار، والحجج ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: كان الله سبحانه قد أعذر إليهم فى الدنيا، فلا تكون لهم حجة ولا عذر يوم القيامة ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾: لا يجيبون بهذه ولا يحتجون. وقيل: يسكنون لا يقبل بعضهم بعضاً. وقال مجاهد: لا يتساءلون بالأنساب كما كانوا يفعلون فى الدنيا. نظيره قوله سبحانه: ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ (المؤمنون: ١٠).

﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴿: هذا جواب قول الوليد بن المغيرة: ﴿لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (الزخرف: ٣١)، أخبر الله سبحانه أن لا يبعث الرسل باختيارهم.

وهذا من الجواب المفصول. وللقراء فى هذه الآية طريقان: أحدهما: أن ير على قوله: ﴿وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾: ويجعل ﴿مَا﴾ إثباتاً بمعنى الذى أى ونختار لهم ما هو الأصلح أو الخير.

والثانى: أن يقف على قوله: ﴿وَيَخْتَارُ﴾ ويجعل ﴿مَا﴾ نافياً، أى ليس إليهم الاختيار. وهذا القول أصوب، وأعجب إلى لقوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِ﴾ (الأحزاب: ٣٦)، وأنشدنى أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب قال أنشدنى أبو جعفر محمد بن سراج قال أنشدنى حماد بن على البكراوى لمحمود بن الحسن الوراق:

توكل على الرحمن فى كل حاجة	أردت فإن الله يقضى ويقدر
متى ما يرد ذو العرش أمراً بعبده	يصبه وما للبعد ما يتخير
وقد هلك الإنسان من وجه أمانه	وينجو بحمد الله من حيث يحذر

وأنشدنى الحسن بن محمد قال أنشدنى أبو الفوارس حنيف بن أحمد بن حنيف الطبرى:  
العبد ذو ضجر والرب ذو قدر      والدهر ذو دول والرزق مقسوم  
والخير أجمع فيما اختار خالقنا      وفى اختيار سواه اللوم والشوم

وروى سعيد بن المسيب عن جابر بن عبد الله عن النبى ﷺ قال: «إن الله عز وجل اختار أصحابى على جميع العالمين سوى النبيين واختار لى من أصحابى أربعة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلى» - رضوان الله عليهم أجمعين - «جعلهم خير أصحابى وفى كل أصحابى خير، واختار أمتى على سائر الأمم، واختار لى من أمتى أربعة قرون بعد أصحابى القرون: الأول، والثانى، والثالث، تترى والرابع فردى».

أخبرني ابن فنجويه قال حدثنا ابن شنبه قال حدثنا جعفر بن أحمد الواسطي قال حدثنا محمد بن عبيد قال حدثنا يوسف بن يعقوب السلمى قال حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن وهب بن منبه عن أخيه في قوله: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ قال: اختار من الغنم الضأن، ومن الطير الحمام.

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ : دائماً لا نهار معه.

﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ : لا ليل فيه، ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَلِيلٌ تُسْكِنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿ وَيَوْمَ يناديهم فيقول أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ وَزَعْنًا﴾ : وأخرجنا وأحضرنا.

﴿مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا﴾ : حينئذ.

﴿أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ﴾ : يعنى التوحيد والصدق والحجة البالغة.

﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ :



﴿إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى قَبَعِي عَلَيْهِمْ وَعَاتَيْنَهُ مِنْ الْكُنُوزِ مَا إِنْ مَفَاتِحُهُ لَسْتُوا بِالْعَصَبَةِ أَوْ لِي الثَّوَرَةُ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ وَأَبْتَعَ فِيمَا ءَاتَيْتَكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبتَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُنْفِسِينَ ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لِيَلْبِغُوا لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُرُونٌ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْتَمَأُ إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿ فَحَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴿ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَتَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ

يَقُولُونَ وَيَكُنَّ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مِّنَ اللَّهِ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا  
 وَيَكَانَهُ لَا يَفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١٠﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ  
 وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١١﴾ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى  
 الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى  
 مَعَادٍ قُل رَّبِّيَ أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَن هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٣﴾ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَن يُلْقَىٰ  
 إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ ﴿١٤﴾ وَلَا يَصُدُّكَ عَنِ  
 آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٥﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ  
 إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٦﴾

﴿إِنَّ قُرُونًا كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾ كان ابن عمه لأنه قارون بن يصر بن فاهث بن لاوى بن يعقوب وموسى بن عمران بن فاهث . هذا قول أكثر المفسرين . وقال ابن إسحاق : تزوج يصر ابن فاهث ؛ شमित بنت ثنوايت بن برشيا بن نهشان بن إبراهيم . فولدت له : عمران بن يصر ، وقارون بن يصر . فنكح نجيب بنت سموئل بن برشيا بن نهشان بن برشيا . فولدت له : هارون ابن عمران ، وموسى بن عمران عليهما السلام . فموسى على قول ابن إسحاق ابن أخى قارون . وقارون عمه لأبيه وأمه ، قال قتادة : وكان يقال له : المنور لحسن صورته ، ولم يكن فى بنى إسرائيل أقرأ للتوراة منه ، ولكن عدو الله نافق كما نافق السامرى .

﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ : أخبرنى ابن فنجويه قال حدثنا موسى بن محمد قال حدثنا الحسن بن علوية قال حدثنا إسماعيل بن عيسى عن المسيب أن قارون : ﴿إِنَّ قُرُونًا كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ . قال : كان عاملاً لفرعون على بنى إسرائيل وكان يبغى عليهم ويظلمهم . قال ابن عباس : كان فرعون قد ملكه على بنى إسرائيل حين كان بمصر . وقال سعيد عن قتادة : بغى عليهم بكثرة ماله وولده . وقال شيبان عنه : بالكبر والبذخ . وقال عطاء الخراسانى ، وشهر بن حوشب : زاد عليهم فى الثياب شبراً ﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْأَكْنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ﴾ : وهى جمع المفتاح الذى يفتح به الباب ﴿لَتَنْوَأَ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ﴾ : أى لتثقل وتميل بهم إذا حملوها لثقلها . يقال : ناء ينوء نوءاً إذا نهض بثقل قال الشاعر :

وتمشى الهوينى عن قريب فتبهر

تنوء بأخراها فالأياً قيامها

واختلفوا في مبلغ عدد العصبة في هذا الموضع : فقال مجاهد : ما بين العشرة إلى خمسة عشر . وقال قتادة : ما بين العشرة إلى أربعين . وقال أبو صالح : أربعون رجلاً . وقال عكرمة : منهم من يقول أربعون ، ومنهم يقول سبعون . وقال الضحاك عن ابن عباس : ما بين الثلاثة إلى العشرة . وقيل : ستون .

روى جرير عن منصور عن خيثمة قال : وجدت في الإنجيل : إن مفاتيح خزائن قارون وقر ستين بغلاً غراً محجلة ما يزيد منها مفتاح على أصبع ، لكل مفتاح منها كنز . وقال مجاهد : كانت المفاتيح من جلود الإبل ، (وقيل من جلود البقر لتخف عليه)<sup>(١)</sup> ويقال : كان قارون أينما ذهب يحمل معه مفاتيح كنوزه ، وكانت من حديد ، فلما ثقلت عليه جعلت من خشب فتقلت عليه فجعلها من جلود البقر على طول الأصابع ، وكانت تحمل معه إذا ركب على أربعين بغلاً .

وقال بعضهم : أراد بالمفاتيح الحرائر<sup>(٢)</sup> ، وإليه ذهب أبو صالح ، وروى حصين عن أبي رزين قال : لو كان مفتاح واحد لأهل الكوفة كان كافياً إنما يعني كنوزه . فإن قيل : فما وجه قوله : ﴿لَتَنُوًّا بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ﴾ ؟ . قائماً العصبة هي التي ينوء بها ، قيل فيه قولان : أحدهما : يميل بهم ، ويثقلهم حملها ، والآخر : قال أهل البصرة : قد تفعل العرب هذا تقول للمرأة : إنها لتنوء بها عجيزتها وإنما هي تنوء بعجيزتها كما ينوء البعير بحمله ، قال الشاعر :

فدیت بنفسه نفسى ومالى وما ألوک إلا ما يطاق

والمعنى : قد فدیت بنفسى ومالى نفسه . وقال آخر :

ويركب خيلاً لا هوادة بينها وتسعى الرماح بالضياطرة الحمر

وإنما يسعى الضياطرة بالرمح ، والخيل ههنا الرجال .

﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ﴾ : من بنى إسرائيل ﴿لَا تَقْرَحْ﴾ : لا تأشر ، ولا تمرح ، ومنه قول الله

سبحانه : ﴿إِنَّهُ لَقَرِحٌ فَخُورٌ﴾ (هود : ١٠) ، وقال الشاعر :

ولست بمفراج إذا الدهر سرنى ولا جازع من صرفه المتحول

أراد لست بأشرف لأن السرور غير مكروه وغير مذموم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ : الأشرفين

(١) زيادة من القرطبي .

(٢) هذا وجه من وجوه التأويل الفاسدة حيث يصرف النص الصريح الواضح إلى معان لا تحملها اللغة ولا المجازات ولا الكتابات بل هي بعض شطحات المفسرين ومدعى الحقيقة الذين يزعمون أن للقرآن ظاهراً وباطناً وهي دعوة باطلة .

البطرين المتكبرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم .

أخبرني ابن فنجويه قال حدثنا منصور بن جعفر النهاوندى قال حدثنا أحمد بن يحيى النهاوندى قال حدثنا أحمد بن يحيى بن الجارود قال حدثنا محمد بن عمرو بن حبان عن بقية قال حدثنا مبشر بن عبد الله في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَا تَقْرَحْ﴾ . قال: لا تفسد: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ ، وقال الشاعر:

إذا أنت لم تبرح تؤدى أمانة      وتحمل أخرى أفرحتك الودائع

يعنى أفسدتك .

﴿وَأَبْغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ : قال مجاهد ، وابن زيد : لا تترك أن تعمل فى دنياك لاخرتك حتى تنجو من عذاب الله سبحانه ، وهى رواية على بن أبى طلحة عن ابن عباس . وقال على رضى الله عنه : لا تنس صحتك وقوتك وشبابك ونشاطك وغناك أن تطلب به الآخرة . وقال الحسن : ولا تنس أن تطلب فيها كفايتك وغناك مما أحل الله لك منها .

أبأنى عبد الله بن حامد قال أخبرنا حامد بن محمد قال حدثنا أحمد بن على الخزاز قال حدثنا سعيد بن سلمة قال حدثنا خلف بن خليفة عن منصور بن زاذان فى قوله: ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ قال: قوتك وقوت أهللك وقيل: هو الكفن لأنه حظه من الدنيا عند خروجه منها .

﴿وَأَحْسِنْ﴾ : إلى الناس ﴿كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ﴾ : ولا تطلب ﴿الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُنْفِسِينَ﴾ قال: قارون: ﴿إِنَّمَا أَوْتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ : يعنى على فضل علم ، ﴿عِنْدِي﴾ : علمنيه الله ورأى لذلك أهل ففضلنى بهذا المال عليكم لفضلى عليكم بالعلم وغيره . وقيل: هو علم الكيمياء ، قال سعيد بن المسيب : كان موسى عليه السلام يعلم الكيمياء ، فعلم يوشع ابن نون ثلث ذلك العلم ، وعلم كالب بن نوفيا ثلثه ، وعلم قارون ثلثه ، فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما إلى علمه ، وفى خبر آخر: أن الله سبحانه وتعالى علم موسى عليه السلام علم الكيمياء فعلم موسى عليه السلام أخته ، فعلمت أخته قارون ، فكان ذلك سبب أمواله ، وقيل: ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ بالتصرف فى التجارات والزراعات وسائر أنواع المكاسب والمطالب وقيل فى سبب جمعه تلك الأموال ما أخبرنا : الحسين بن محمد بن الحسين بن عبد الله قال حدثنا عبد الله بن يوسف بن أحمد قال حدثنا محمد بن موسى الحلوانى قال حدثنا خزيمة بن أحمد قال حدثنا أحمد بن أبى الحوارى قال سمعت أبا سلمة الدارنى يقول: تبدى إبليس

لقارون وكان قارون قد أقام في جبل أربعين سنة يتعبد حتى إذا غلب بنى إسرائيل في العبادة بعث إليه إبليس شياطينه، فلم يقدروا عليه، فتبدى هو له وجعل يتعبد، وجعل قارون يتعبد، وجعل إبليس يقهره ويغريه فخضع له قارون فقال له إبليس: يا قارون، قد رضينا بهذا الذي نحن فيه، لا نشهد لبنى إسرائيل جماعة، ولا نعود مريضاً ولا نشهد جنازة؟ قال فحذره من الجبل إلى البيعة، فكانوا يأتون بالطعام؛ فقال إبليس: يا قارون، قد رضينا الآن أن نكون هكذا كلاً على بنى إسرائيل؟! فقال له قارون: ما لى شىء الرأى عندك. قال: نكسب يوم الجمعة وتتعبد بقية الجمعة قال: فكسبوا يوم الجمعة، وتعبدوا بقية الجمعة.

فقال إبليس لقارون: قد رضينا أن تكون هكذا؟! فقال له قارون: فأى شىء عندك؟ قال نكسب يوماً، ونتعبد يوماً ونتصدق ونعطى. قال: فلما كسبوا يوماً، وتعبدوا يوماً، خنس إبليس وتركه، ففتحت على قارون الدنيا، فبلغ ماله ما أخبرنا ابن فنجويه قال أخبرنا موسى قال أخبرنا الحسين بن علويه: قال حدثنا إسماعيل بن موسى عن المسيب بن شريك: ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ﴾ قال: أو عيته وكانت أربعمئة ألف ألف في أربعين جراباً<sup>(١)</sup>.

قال سبحانه وتعالى: ﴿أَوْمَرِيَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ﴾: الكافرة ﴿مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾: قال قتادة: يدخلون النار بغير حساب وقال مجاهد: يعنى الملائكة لا تسأل عنهم لأنهم يعرفون بسيماهم. وقال الحسن: ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ ليعلم ذلك من قبلهم فإن سئلوا سؤال تفرغ وتوبخ.

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾: قال جابر بن عبد الله: فى القرمز<sup>(٢)</sup>. وقال النخعي، والحسن: فى ثياب خز. وقال مجاهد: على براذين بيض عليها سروج الأرجوان عليهم المعصفرات. وقال قتادة: على أربعة آلاف دابة، عليها رواحلها، وقال ابن زيد: فى سبعين ألفاً عليهم المعصفرات، قال: وكان ذلك أول يوم رثيت المعصفرات فيما كان يذكرون لنا. وقال مقاتل: على بغلة شهباء عليها سرح من ذهب عليه الأرجوان، ومعه أربعة آلاف فارس عليهم وعلى دوابهم الأرجوان، ومعه ثلاثمئة جارية بيض عليهن الحلوى والثياب الحمراء على البغال الشهب.

﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَيَلْبِتُنَّ لِئَامِثَلِ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾: من المال ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ تَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقِنَهَا﴾: ولا يلغن ولا

(١) هذه الحكاية لا دليل عليها، ثم هذا الرقم من المال لا دليل عليه حيث بهم الله مقدار المال.

(٢) قال القرطبي: القرمز: صبغ أحمر مثل الأرجوان، والأرجوان فى اللغة صبغ أحمر.



يوفق لهذه الكلمة ﴿إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾: على طاعة الله، وعن زينة الدنيا. ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾: قال العلماء بأخبار القدماء: كان قارون أعلم بنى إسرائيل بعد موسى وهارون، وأقرأهم للتوراة، وأجلهم وأغناهم. ولكنه نافق كما نافق السامري فبغى على قومه، واختلف فى معنى هذا البغى، فقال ابن عباس: كان فرعون قد ملك قارون على بنى إسرائيل حين كان بمصر، وعن المسيب بن شريك: أنه كان عاملاً على بنى إسرائيل وكان يظلمهم، وقيل: زاد عليهم فى الثياب شبراً، وقيل: بغى عليهم بالكبر، وقيل: بكثرة ماله، وكان أغنى أهل زمانه وأثراهم، واختلف فى مبلغ عدة العصبة فى هذا الموضع فقال مجاهد: ما بين العشرة إلى خمسة عشر، وقال قتادة: ما بين العشرة إلى الأربعين، وقال عكرمة: منهم من يقول أربعون ومنهم من يقول سبعون، وقال الضحاك: ما بين الثلاثة إلى العشرة، وقيل: هم ستون.

وروى عن خيشمة قال: وجدت فى الإنجيل أن مفاتيح خزائن قارون وقرستين بغلاً غراء محجلة ما يزيد منها مفتاح على إصبع لكل مفتاح منها كنز، ويقال: كان أينما يذهب تحمل معه وكانت من حديد، فلما ثقلت عليه جعلها من خشب فتقلت عليه فجعلها من جلود البقر على طول الأصابع، فكانت تحمل معه على أربعين بغلاً، وكان أول طغيانه أنه تكبر واستطال على الناس بكثرة الأموال فكان يخرج فى زينتته ويختال كما قال تعالى ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾.

قال مجاهد: خرج على براذين بيض عليها سروج الأرجوان وعليهم المعصفرات. وقال عبد الرحمن: خرج فى سبعين ألفاً عليهم المعصفرات وقال مقاتل: على بغلة شهباء عليها سرج من الذهب عليها الأرجوان ومعه أربعة آلاف فارس عليهم وعلى دوابهم الأرجوان ومعه ثلاثة آلاف جارية بيض عليهن الحلى والثياب الحمر على البغال الشهب، فتمنى أهل الجهالة مثل الذى أوتيه كما حكى الله فوعظهم أهل العلم بالله أن اتقوا الله فإن ﴿تَوَابَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾. فبغى وطفى حتى هلك. وكان سبب طغيانه كثرة ماله. قالوا: وكان أول طغيانه وعصيانه أن الله سبحانه أوحى إلى موسى أن يأمر قومه أن يعلقوا فى أرديتهم خيوطاً أربعة فى كل طرف خيط أخضر لونه كلون السماء.

فقال: يا رب لم أمرت بنو إسرائيل بتعليق هذه الخيوط الخضراء فى أرديتهم؟ فقال الله جل جلاله: إن بنى إسرائيل فى غفلة، وقد أردت أن أجعل لهم علماً فى ثيابهم يذكرون به إذا نظروا إلى السماء ويعلمون أنى منزل منها كلامى.

قال موسى: يا رب أفلا تأمرهم أن يجعلوا أرديتهم كلها خضراء فإن بنى إسرائيل تحقر هذه

الخيوط . فقال له ربه عز وجل : يا موسى إن الصغير من أمرى ليس بصغير ، وإن هم لم يطيعوني فى الأمر الصغير لم يطيعوني فى الأمر الكبير ، قال : فدعا موسى بنى إسرائيل وقال لهم : إن الله سبحانه أمركم أن تعلقوا فى أردتكم خيوطاً خضراء كلون السماء لكى تذكروا ربكم إذا رأيتموها . ففعلت بنو إسرائيل ما أمرهم به موسى . واستكبر قارون فلم يطمعه وقال : إنما يفعل هذا الأرباب بعبيدهم لكى يتميزوا من غيرهم . فكان بدو عصيانه وبغيه .

فلما قطع موسى بنى إسرائيل البحر جعلت الحبورة لهارون . وهى رئاسة المذبح . فكان بنو إسرائيل يأتون بهديهم ويدفعونه إلى هارون فيضعه على المذبح ، فتنزل نار من السماء فتأكله ، فوجد قارون فى نفسه من ذلك ، وأتى موسى فقال : يا موسى لك الرسالة ، ولهارون الحبورة وليست فى شىء من ذلك وأنا أقرأ للتوراة منكما لا صبر لى على هذا . فقال موسى : والله ما أنا جعلتها فى هارون بل الله جعلها له . فقال قارون : والله لا أصدقك فى ذلك حتى ترينى آية ، قال : فجمع موسى رؤساء بنى إسرائيل ، فقال : هاتوا عصيكم ، فحزمها ، وألقاها فى قبهه التى كان يعبد الله سبحانه فيها . فجعلوا يحرسون عصيهم حتى أصبحوا وأصبحت عصا هارون قد اهتز لها ورق أخضر ، وكانت من شجر اللوز . فقال موسى : يا قارون ترى هذا؟ فقال قارون : والله ما هذا بأعجب مما تصنع من السحر .

واعتزل قارون موسى بأتباعه . وجعل موسى يداريه للقرابة التى بينهما ، وهو يؤذيه فى كل وقت ، ولا يزيد كل يوم إلا عتواً وتجيراً معاداة منه لموسى عليه السلام . حتى بنى داراً وجعل بابها من الذهب ، وضرب على جدرانها صفائح الذهب . وكان المملأ من بنى إسرائيل يغدون عليه ويروحون فيطعمهم الطعام ويحدثونه ، ويضاحكونه .

قال ابن عباس : ولما نزلت الزكاة على موسى أتاه قارون فصالحه عن كل ألف دينار على دينار ، وعن كل ألف درهم على درهم ، وعن كل ألف شاة شاة ، وعن كل ألف شىء شيئاً ، ثم رجع إلى بيته فحسبه فوجده كثيراً ، فلم تسمح بذلك نفسه ، فجمع بنى إسرائيل وقال لهم : يا بنى إسرائيل ، إن موسى قد أمركم بكل شىء فأطعتموه ، وهو الآن يريد أن يأخذ أموالكم . قالوا : أنت كبيرنا وسيدنا ، فمرنا بما شئت . فقال : أمركم أن تجيئوا بفلانة البغى ، فنجعل لها جعلاً حتى تقذف موسى عليه بنفسها ، وإذا فعلت ذلك خرج عليه بنو إسرائيل ورفضوه ، فدعوها ، فجعل لها قارون ألف درهم ، وقيل : ألف دينار ، وقيل طستاً من ذهب . وقيل : حكمها وقال : إنى أعولك وأخلطك بنسائى على أن تقذفى موسى عليه السلام بنفسك غداً إذا حضر بنو إسرائيل ، فلما كان من الغد جمع قارون بنى إسرائيل ثم أتى موسى عليه

السلام، فقال له: إن بنى إسرائيل قد اجتمعوا ينتظرون خروجك لتأمرهم وتنهاتهم. فخرج إليهم موسى عليه السلام وهم فى براح من الأرض. فقام فيهم فقال: يا بنى إسرائيل من سرق قطعنا يده، ومن افترى جلدناه ثمانين، ومن زنى وليست له امرأة جلدناه مائة، ومن زنى وله امرأة رجمناه حتى يموت، فقال له قارون: وإن كنت أنت؟ قال: وإن كنت أنا. قال فإن بنى إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلاتة. قال: ادعها، فإن قالت فهو كما قالت. فلما جاءت قال لها موسى: يا فلاتة أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء؟ وعظم عليها فأحلفها بالذى فلق البحر لبنى إسرائيل، وأنزل التوراة على موسى إلا صدقت، فتداركها الله سبحانه مما هى فيه، فقالت فى نفسها أحدث اليوم توبة أفضل من أن أؤذى رسول الله ﷺ. فقالت: لا كذبوا، ولكن جعل لى قارون جعلاً على أن أؤذفك بنفسى فلما تكلمت بهذا الكلام سقط فى يده قارون ونكس رأسه وسكت الملاً وعرف أنه وقع فى مهلكة. فخرّ موسى ساجداً يبكى ويقول: يا الله<sup>(١)</sup>.

(فجعل الله أمر قارون إلى موسى عليه السلام وأمر الأرض أن تطيعه، فجاءه وهو يقول للأرض: يا أرض خذيه، وهى تأخذه شيئاً فشيئاً، وهو يستغيث يا موسى، إلى أن ساخ فى الأرض، هو وداره وجلساؤه الذين كانوا على مذهبه.

وروى أن الله تعالى أوحى إلى موسى: استغاث بك عبادى فلم ترحمهم، أما إنهم لو دعونى لوجدونى قريباً مجيباً<sup>(٢)</sup>.

قال قتادة وذكر أنه يخسف به كل يوم قامه، وأنه يتخلخل فيها لا يبلغ قعرها إلى يوم القيامة. قالوا: وأصبحت بنو إسرائيل يقولون فيما بينهم إن موسى إنما دعا على قارون ليستبد بداره وكنوزه وأمواله. فدعا الله موسى حتى خسف بداره وماله الأرض.

وأوحى الله سبحانه إلى موسى إنى لا أعبد الأرض لأحد بعدك أبداً. فذلك قوله سبحانه: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾<sup>(٣)</sup>. ﴿فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾:

(١) جاء بعد ذلك فى المخطوط سوء فى التصوير نظراً لتآكل الحروف فى أصل المخطوط للعوامل الجوية التى تعرض لها وأنا أنقل باقى القصة من القرطبى فقد ذكر نحوها وأجعل ما هو من القرطبى بين معقوفين.

(٢) إلى هنا انتهى النقل عن القرطبى وكل ذى لب يعلم أن هذه القصة مخالفة لصريح القرآن ثم إن ما ورد فيها من أحكام السرقة والزنا مما هو تشريع مفصل إنما وردت به الشريعة الإسلامية التى نزلت على محمد ﷺ أما شرائع من كان قبلنا فإنما كانت مجملة إجمالاً كثيراً، فلا يغتر بمثل هذه الحكايات ولا يجب تكريرها على الناس حتى لا يعتقدوها ومن ذكرها بين عوارها.

(٣) واضح تماماً من نص الآية أن ما سبق من تفسير لا يصح أن يكون تفسيراً لها لمخالفته الصريحة لها.

المتنعين ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَتَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ﴾ : العرب تعبر بأضحى وأمسى وأصبح عن الصيرورة والفعل فتقول : أصبح فلان عليلاً ، وأمسى حزناً ، وأضحى معدماً إذا صار بهذه الأحوال ، وليس ثمَّ وقت الصبح والمساء والضحي شىء .

﴿يَقُولُونَ وَيَكُنَّ اللَّهُ﴾ : اختلف العلماء فى هذه اللفظة : فقال مجاهد معناه : ألم تعلم . وقال قتادة : ألم تر وقال الفراء : هى كلمة تقرير كقولك : أما ترى إلى صنع الله وإحسانه ، وذكر أنه أخبره من سمع أعرابية تقول لزوجها : أين ابنك ؟ فقال : ويكأنه وراء البيت . أى أما ترى وراء البيت ؟ ! وقال ابن عباس ، والحسن : هى كلمة ابتداء وتحقيق تقديره أن الله ﴿يَسْطُرُ الرِّزْقَ﴾ : وقال المؤرج : هو تعجب . وقال قطرب : إنما هو ويلك وأسقط منه اللام ، (وضمت الكاف التى هى للخطاب إلى وى) <sup>(١)</sup> ، قال عنتره :

ولقد شفى نفسى وأبرأ سقمها  
قول الفوارس ويك عنتر أقدم

وقال بعض الشعراء :

ويكأن من يكن له نشب  
يُحِبُّ وَمَنْ يَفْتَقِرُ بَعِيشَ عَيْشِ ضُرِّ

وقال القعنبى : معناه . . . <sup>(٢)</sup> بلغة حمير ، وقال سيبويه : سألت الخليل عنه ، فقال : وى

كلمة تنبيه منفصلة من كأن ، فكأن المعنى الظن والعلم ، وبسط الرزق .

﴿يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ : يقتر ﴿لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَّا﴾ : قرأ يعقوب وبعض أهل . . . <sup>(٣)</sup> والكوفة بفتح الحاء والسين . وقراءة العامة بضم الحاء ، وكسر السين ﴿وَيَكُنَّ لَهُ لَا يَفْلُحُ الْكَافِرُونَ﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ : تكبراً . وتجبراً ﴿وَلَا فَسَادًا﴾ : عملاً بالمعاصى عن ابن جريج ومقاتل . وقال عكرمة ومسلم البطين : الفساد أخذ المال بغير حق . وقال الكلبي : الدعاء إلى غير عبادة الله .

﴿وَالْمَقْبَةُ﴾ : المحمودة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ : قال قتادة : الجنة ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ : أى أنزله عند أكثر المفسرين . وقال عطاء بن أبى رباح : فرض عليك العمل بالقرآن ﴿لِرَأْدِكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ : أى إلى مكة ، وهى رواية العوفى عن ابن عباس ، قال القتيبي : معاد الرجل بلده لأنه ينصرف ثم يعود .

(١) ما بين المعقوفين زيادة يتطلبها السياق وقد زدتها من تفسير القرطبي .

(٢) موضع النقط كلمة ممحوة من المخطوط يظهر موضعها نقط غير منتظمة .

(٣) موضع النقط كلمة ممحوة من المخطوط لعب في أصله نظراً لعوامل الزمن والتعريف وسوء التخزين .

وقال مقاتل : خرج النبي ﷺ من الغار ليلاً مهاجراً إلى المدينة فى غير الطريق مخافة الطلب ، فلما رجع إلى الطريق ونزل الجحفة بين مكة والمدينة وعرف الطريق إلى مكة واشتاق إليها وذكر مولده ومولد آبائه فأثاه جبريل فقال : أتشتاق إلى بلدك ومولدك ؟ قال : « نعم » . قال : فإن الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ أى إلى مكة ظاهراً عليها .

وقال مقاتل : قال الضحاك : قال ابن عباس : نزلت بالجحفة ليس بمكة ولا بالمدينة . . . (١) قال انطلقت أنا وأبى إلى أبى سعيد الخدرى فسأله عن هذه الآية : ﴿ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ فقال : إلى الموت ، وهى رواية سعيد بن جبیر عن ابن عباس . وقال الحسن والزهرى وعكرمة : إلى يوم القيامة وقال أبو مالك ، وأبو صالح : إلى الجنة .

أخبرنا عبد الخالق بن على قال أخبرنا أبو بكر بن حبيب قال حدثنى يحيى بن أبى طالب قال أخبرنا عمار بن كثير قال أخبرنا فضيلة عن ليث عن مجاهد فى قوله : ﴿ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ قال : إلى الجنة .

﴿ قُلْ رَبِّيَ أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ ﴾ : قال بعض أهل المعانى فى الكلام تقديم وتأخير تقديره : إن الذى فرض عليك القرآن ما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب لرادك إلى معاد ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهيراً لِّلْكَافِرِينَ ﴿ وَلَا يَصُدُّنَكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ﴾ وهذا حين دعى إلى دين آبائه ﴿ وَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ يعنى إلا هو : عن مجاهد . وقال الصادق : دينه . وقال أبو العالية : إلا ما أريد به وجهه .

أخبرنا ابن شاذان أخبرنا ابن جيعويه قال حدثنا صالح بن محمد بن جرير عن الأعمش عن شهر بن حوشب عن عبادة بن الصامت قال : يجاء بالدينا يوم القيامة فيقال : ميزوا ما كان لله منها . قال : فيماز ما كان لله منها . ثم يؤمر بسائرهما فيلقى فى النار .

وبه عن صالح عن سليمان بن عمرو عن سالم الأفطس عن الحسن عن ابن جبیر عن على ابن أبى طالب رضى الله عنه : أن رجلاً سأله ، فلم يعطه شيئاً ؛ فقال : أسألك بوجه الله . فقال له : كذبت ليس بوجه الله سألتنى إنما وجه الله الحق ألا ترى إلى قوله سبحانه وتعالى : ﴿ كُلُّ

(١) موضع النقط ثلاث كلمات غير مقروءة ، أى محووة .

شَيْءٌ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴿١٠٠﴾ يعنى الحق، ولكن سألتنى بوجهك الخلق كل شىء هالك إلا الله والجنة والنار والعرش، وقال ابن كيسان: إلا الله. ﴿لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.



انتهى بفضل الله تعالى الجزء الرابع من تفسير الثعلبي  
ويليه إن شاء الله تعالى الجزء الخامس وأوله: سورة العنكبوت



## فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٣	سورة الإسراء
٩١	سورة الكهف
١٦٥	سورة مريم
١٩٧	سورة طه
٢٣١	سورة الأنبياء
٢٨١	سورة الحج
٣١٥	سورة المؤمنون
٣٤٢	سورة النور
٤٠٣	سورة الفرقان
٤٣٨	سورة الشعراء
٤٧١	سورة النمل
٥١٩	سورة القصص